مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٥)

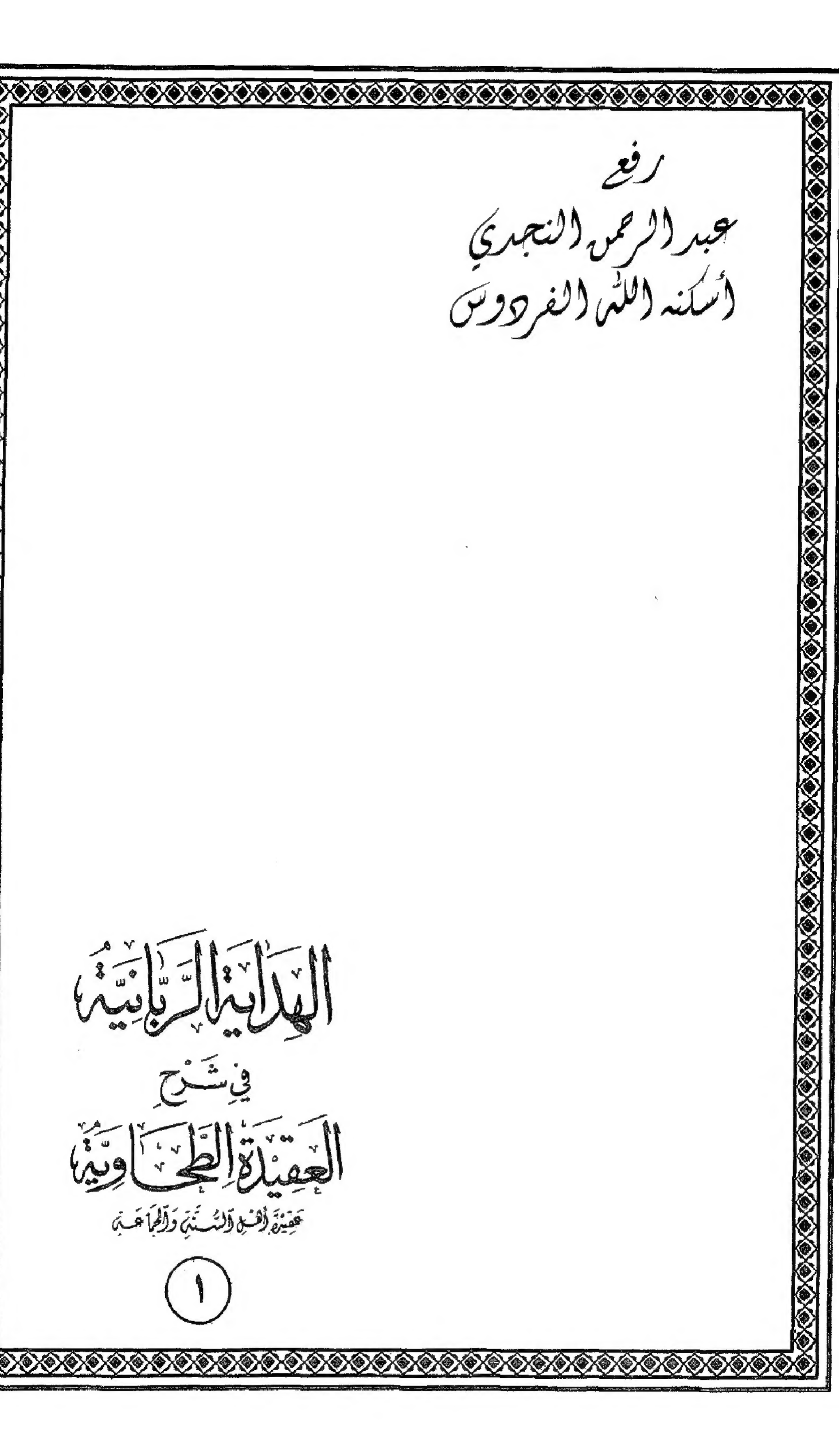
الهداية الربانية في شرح العقيدة الطحاوية

عقيدة أهل السنة والجماعة

تأليف
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

الجزء الأول

دار التوحيد للنشر
الرياض



الهداية الربانية

في شرح

العقيدة الطحاوية

عقيدة أهل السنة والجماعة

١

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله
الهداية الربانية في شرح العقيدة الطحاوية عقيدة أهل السنة والجماعة/ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي - الرياض، ١٤٢٩ هـ

.... ص، .... سم

ردمك: ٥ - ١٧٢٢ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

١ - اعقيدة الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٩/٦٨٦١

رقم الإيداع: ٦٨٦١/ ١٤٢٩

ردمك: ٥ - ١٧٢٢ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

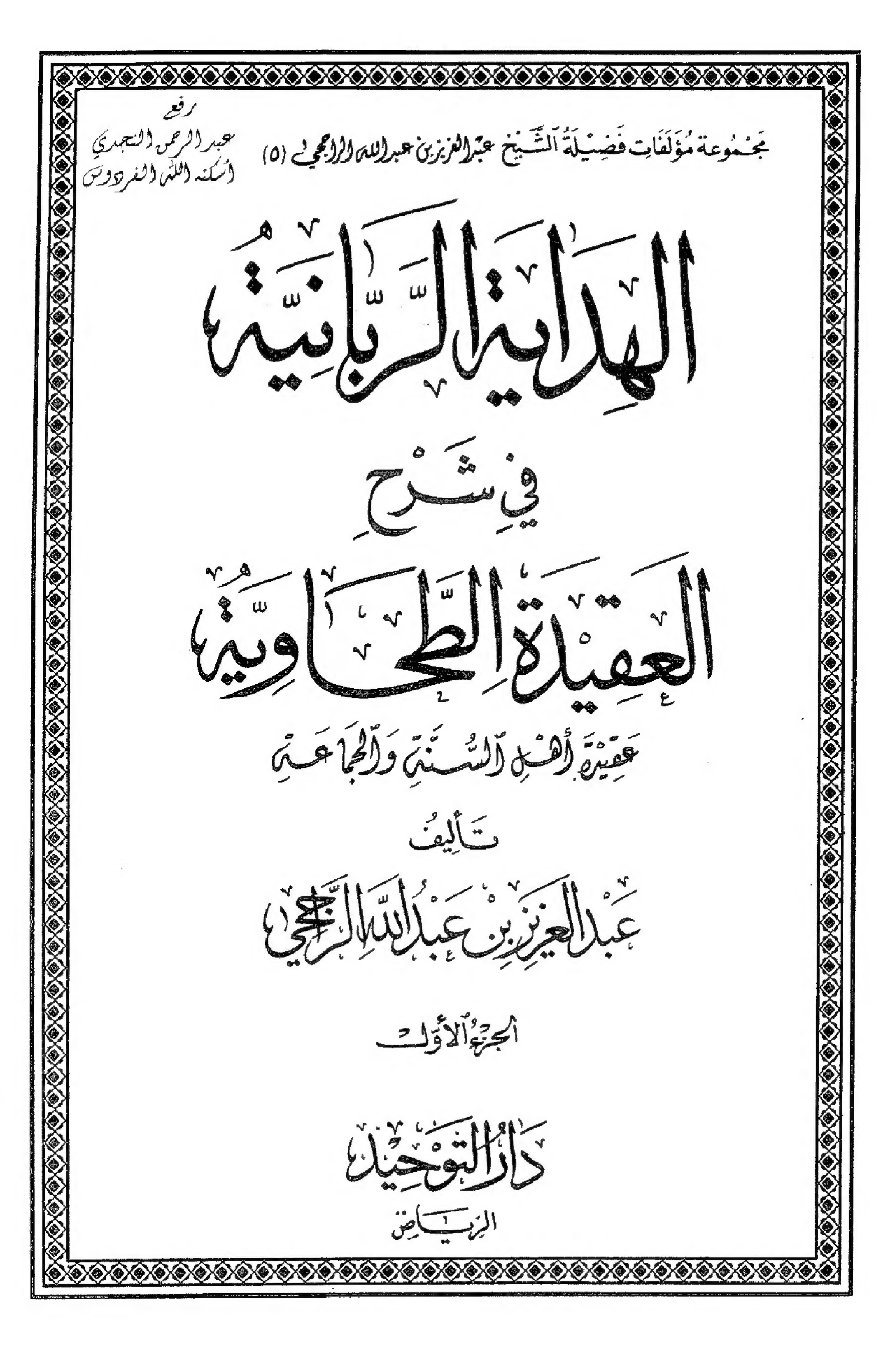
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار التوحيد للنشر

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ ــ فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

ص . ب : ١٠٤٦٤ الرمز : ١١٤٣٣

البريد الإلكتروني: e-mail:dar.attawheed.pub.sa@gmail.com



مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٥)

الهداية الربانية

في شرح

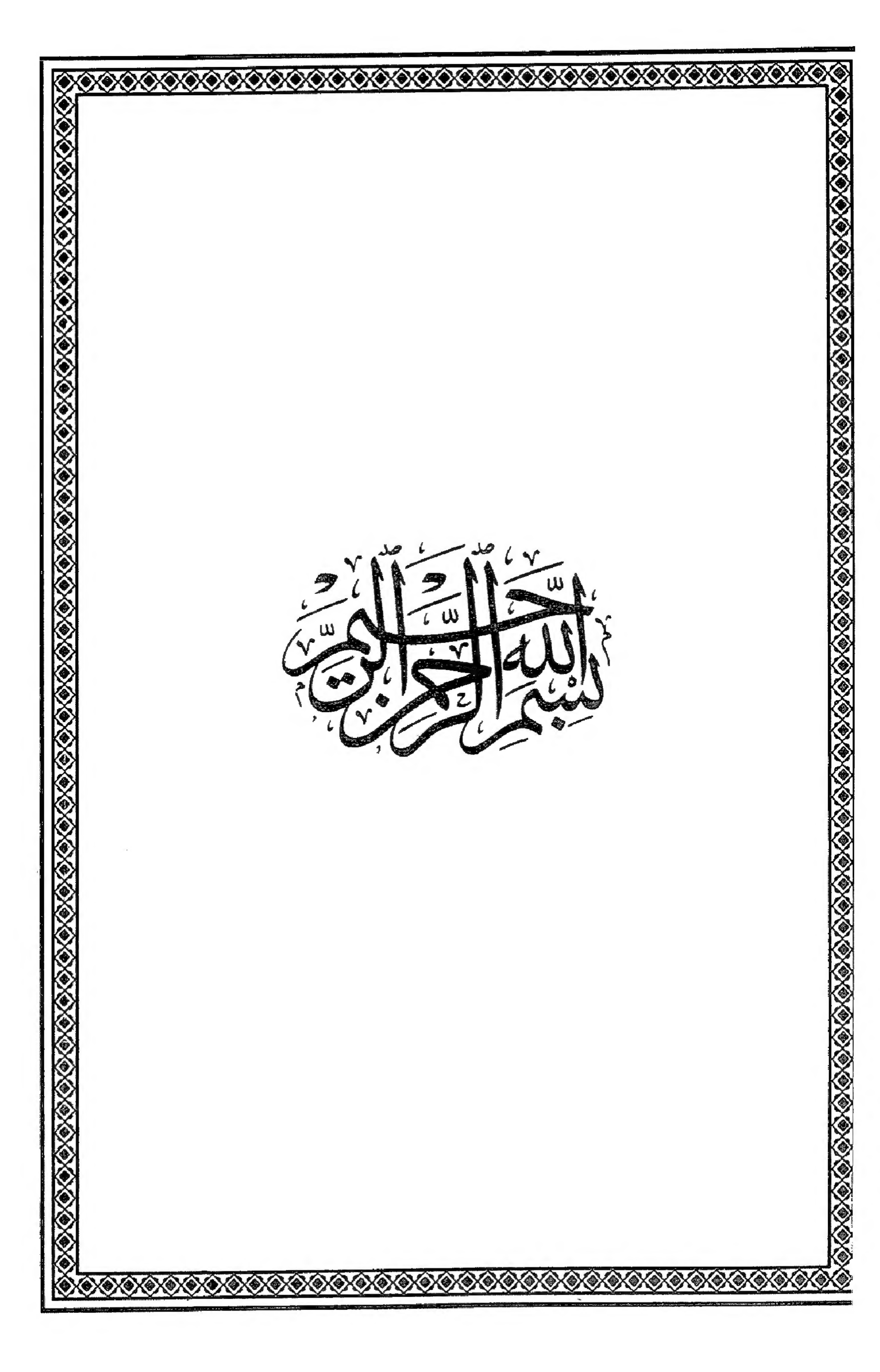
العقيدة الطحاوية

عقيدة أهل السنة والجماعة

تأليف
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

الجزء الأول

دار التوحيد
الرياض


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذا الكتاب (**الهداية الربانية في شرح العقيدة الطحاوية**) وهو شرح لرسالة الإمام الطحاوي رحمه الله المسمَّاة: (**العقيدة الطحاوية**)، وهذه الرسالة في عقيدة السلف الصالح والتي تلقتها الأمة بالقبول.

وهي بيان لعقيدة أهل السنة والجماعة، وإن كان هناك بعض الملحوظات اليسيرة على رسالة الإمام الطحاوي؛ سيأتي بيانها - إن شاء الله - في موضعها.

وقد شُرِحت في مجالس علمية، وتم تفريغها فخرجت في هذه النسخة المطبوعة. أسأل الله عز وجل أن ينفع بها كل من قرأها أو اطلع عليها.

وأسأل الله تعالى أن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل، وأن يبارك في الجهود وينفع بالأسباب إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذا شرح العقيدة الطحاوية شرحته شرحًا متوسطًا، أسأل الله أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعل هذا العمل نافعًا لعباد الله، وأسأله ﷻ أن يجعله من العمل الذي لا ينقطع إنه جواد كريم.

التعريف بهذا العلم:

هذا العلم: هو علم العقائد.

التعريف بمتن الطحاوية

متن العقيدة الطحاوية يتعلق بعلم الأصول؛ أي: أصول الدين؛ وهو المُسَمَّى بـ(العقائد).

التعريف بعلم أصول الدين:

علم أصول الدين: هو علم العقائد؛ فهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله[1].

---

(١) ويعرفه بعض المتكلمين بأنه: «علم يقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية، بإيراد الحجج لها، ودفع الشبه عنها» انظر: «أبجد العلوم» (٢/ ٦٧)، وهذا التعريف فيه لَوْثَةٌ كلامية؛ فقد عَرَّفه بهذا صاحب «المواقف» (١/ ٣١)، وذكر في «شرح المقاصد» (١/ ٧) أنَّ عُدولَه عن قوله: «يُقتدرُ به» إلى قوله: «يُقتدر معه»: =

فضل هذا العلم:

وعلم أصول الدين بالنسبة إلى غيره: هو أشرف العلوم؛ لأن شرف العلم إنما يكون بشرف المعلوم، والمعلوم هو الله ﷻ، فعلم أصول الدين يتعلق بالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا هو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروض؛ ولهذا لما كتب الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله أوراقًا جمعها في أصول الدين؛ سَمَّاها: الفقه الأكبر[1]؛ وأما فقه فروع الدين فهو الفقه الأصغر، فيكون العلم - على ذلك - عِلْمَيْن: علم أصول الدين - وهذا هو الفقه الأكبر -، وعلم فروع الدين - وهذا هو الفقه الأصغر -.

وإن كان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله عليه - له كلام في تقسيم

= مبالغةً في نفي الأسباب؛ واستناد الكُلِّ إلى خَلْق الله تعالى؛ ابتداءً؛ على ما هو المذهب!! ثم إن العقائد عند هؤلاء مكتسبة من النظر في الأدلة التي يسمونها عقلية، وهي في مرتبة اليقين، بخلاف الكتاب والسنة؛ فإن دلالتهما عندهم ظنية، وهؤلاء أيضاً ظنوا أنَّ الأدلة السمعية؛ لفظية فقط، وهذا غلطٌ؛ لأنها نوعان: نوع خبري فقط، ونوع خبري عقلي؛ يدلّ العقول وينبهها على الأدلة العقلية، وهو أكثر النوعيْن في القرآن، وهو يرشد إلى طريقة الاستدلال البرهانية الصحيحة. والله أعلم.

(١) يروى هذا الكتاب عن أبي حنيفة بروايات أشهرها رواية أبي مطيع البلخي وهو متن صغير اعتنى الأحناف بشرحه فشرحه منهم البزدوي وأبو الليث السمرقندي، أما الشرح المتداول لعلي القاري فهو شرح لرواية حماد بن أبي حنيفة وهي أوسع وأكثر مسائل من رواية أبي مطيع، وقد نقل عنه شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٥/ ٤٦-٤٨)، و «درء التعارض» (٦/ ٢٦٣-٢٦٤). وانظر: «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (٣/ ٢٣٧-٤٢٠). وانظر للكلام على هذا الكتاب سنداً ومتناً؛ كتاب «براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المُبتدعة» (ص ٤٦ وما بعدها)، للدكتور: عبدالعزيز بن أحمد الحميدي.

الدين إلى أصول وفروع[١].

مدى الحاجة لهذا العلم:

حاجة العباد إلى هذا العلم فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، وحاجتهم إليه أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، بل أشد من حاجتهم إلى النَّفَسِ الذي يتردد بين جنبي الإنسان؛ لأن الإنسان إذا فقد الطعام والشراب وفقد النَّفَسَ؛ ماتَ الجسدُ، والموت لا بد منه، ولا يضر موت الجسد إذا صلح القلب، أما إذا فَقَدَ العلمَ بالله وأسمائه وصفاته والعلم بشرعه ودينه؛ ماتَ قلبه وروحه[٢].

وبهذا يتبين حاجة العباد إلى علم أصول الدين؛ وذلك لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة ولا سعادة إلا بأن تعرف ربها وخالقها، وفاطرها، ومعبودها، بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك أحبَّ إليها من كل شيء، ويكون مع ذلك سعيها وعملها فيما يقربها إليه ﷻ .

الحكمة من إرسال الرسل، وبيان أن العقل لا يستطيع أن يستقل بمعرفة هذا الأمر:

ولما كانت عقول البشر لا تستقل بمعرفة هذا الأمر - أعني: العلمَ بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله - على التفصيل، اقتضت حكمةُ الله ورحمته بعباده أن أرسل الرسل؛ يعرِّفون بالله، ويَدْعُون إلى الله، ويبشرون من أجابهم، وينذرون من عصاهم وخالفهم، وجعلﷻ مفتاح دعوة الرسل

---

(١) انظر للتوسع في هذه القضية وتحريرها «التفريق بين الأصول والفروع» للشيخ سعد الشثري.

(٢) انظر هذا المعنى بتمامه في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٧).

وزبدة رسالتهم؛ معرفةَ المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلى هذه المعرفة تُبنى مطالبُ هذه الرسالة كلها من أولها إلى آخرها؛ هذا هو الأصل العظيم؛ أصل الدين، ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان:

الأصل الأول: معرفة الطريق الموصل إلى الله، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه سبحانه.

الأصل الثاني: معرفة حال السالكين والسائرين إلى الله وما لهم بعد الوصول إليه من النعيم المقيم؛ ويتبع ذلك معرفة ما يكون في أمور البرزخ من سؤال منكر ونكير، ومن عذاب القبر ونعيمه، ومعرفة العلم بأحكام البعث والنشور، والوقوف بين يدي الله عز وجل، وتطاير الصحف، ووزن الأعمال والأشخاص، والوُرود على الحوض، والمرور على الصراط، ثم الاستقرار في الجنة أو في النار[١].

هذه هي أقسام العلم النافع الثلاثة، وليس هناك قسم رابع؛ كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «الكافية الشافية»[٢]:

والعِلْمُ أقسامٌ ثلاثٌ ما لها ... مِنْ رابعٍ والحقُّ ذو تبيان
عِلْمٌ بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينُه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني

فأعَرَفُ الناس بالله أتبعهم للطريق الموصل إليه؛ الذي يمتثل الأوامرَ، ويجتنب النواهي، ويعمل بشرع الله ودينه، وأتبعُهم، أتبع الناس للصراط المستقيم؛ ولهذا سمى الله تبارك وتعالى كتابه المنزل على رسوله ﷺ - وهو القرآن العظيم - «روحًا» لتوقف الحياة الحقيقية عليه، وسماه «نورًا» لتوقف الهداية

---

(١) انظر هذا المعنى بتمامه في «الصواعق المرسلة» (١/ ١٥١).
(٢) انظر: «الكافية الشافية» (٢ / ٤٨).

عليه؛ قال سبحانه: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [غافر: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

وسماه الله شفاءً؛ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

والله ﷻ أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وقد بلَّغ النبيُّ ﷺ البلاغ المبين، وأوضح الحجة للمستبصرين، ومضى على طريقه ﷺ السلفُ الصالح: الصحابةُ والتابعون والأئمة من بعدهم، فاهتدوا بهديه ﷺ، وترسموا خطاه، وآمنوا بالله، وبملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وامتثلوا أوامر الله، واجتنبوا نواهيه، واستناروا بنور الله؛ فكانوا على الهدى المستقيم.

فهم أهل السنة والجماعة والصحابة والتابعون وتابعوهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ هم أهل الحق، وهم الطائفة المنصورة، ثم لما بَعُدَ العهدُ خَلَفَ من بعدهم خلوفٌ غيروا وبدلوا، وتفرقوا في دينهم شيعًا وأحزابًا، ولكن الله ﷻ حفظ على هذه الأمة أصول دينها؛ كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ»(١)، وفي لفظ آخر: «لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٧٩)، بهذا السياق، وكذا الترمذي (٢٢٢٩)، عن ثوبان رضي الله عنه، لكنه عند مسلم (١٩٢٠)، عن ثوبان أيضاً، لكن بلفظ: «لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين الحق؛ لا يضرهم من خذلهم...».

خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهم أَمْرُ اللهِ وهم عَلى ذلك»[١].

فتصدى العلماء والأئمة لإيضاح أصول الدين وفروعه، والرد على بدع أهل البدع، وإيضاح الحق، فنصر الله بهم الحق، وألّفوا المؤلفات في عقيدة السلف الصالح، ومن هؤلاء الأئمة: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي - نسبة إلى قرية «طحا» من صعيد مصر- المولود سنة تسع وثلاثين ومائتين، والمتوفى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، فقد ألف هذه الرسالة في العقيدة، وهي التي عُرِفَتْ بـ «العقيدة الطحاوية»، وقد تلقاها العلماء بالقبول سلفًا وخلفًا، وفيها بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، إلا أنه قد يُلَاحَظ على هذه الرسالة ملحوظات يسيرة منها:

- أنها قد تتمشى مع معتقد المرجئة[٢]، وسيأتي التنبيه عليه - إن شاء الله - في مَوْضعه.

- أن بها أيضًا عبارات مشتبهة وفيها إيهام، لكن القاعدة في هذا أن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٧) كلاهما من حديث معاوية رضي الله عنه.
وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ١٤١): «... وفي الباب عن سعدٍ وثوبان في مسلم، وعن قُرَّة بن إياس في الترمذي، وابن ماجه، وعن أبي هريرة في ابن ماجه، وعن عمران في أبي داود، وعن زيد بن أرقم عند أحمد...».
وفيه أيضاً عن المغيرة بن شعبة عند مسلم.

(٢) سموا بذلك لقولهم بالإرجاء، وأصل الإرجاء التأخير، وذلك لأنهم أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان.
والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة. انظر: «الملل والنحل» (١/ ١٨٦)، والفصل في «الملل والنحل» (٢/ ١١٣)، و «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (١٠٧، ١٠٨).

العبارات المشتبهة تُفَسَّرُ بالعبارات الواضحة؛ لأن القاعدة عند أهل العلم أن النصوص المشتبهة من كتاب الله - عز وجل - تُفَسَّر بالنصوص الواضحة المحكمة وتُرَدُّ إليها؛ هذه هي طريقة أهل العلم الراسخين؛ يردون المتشابه إلى المحكم، ويفسرون النصوص المتشابهة بالنصوص المحكمة فيتضح الأمر، وكذلك أيضًا النصوص المتشابهة في سنة رسول الله ﷺ تُفَسَّر بالنصوص الواضحة المحكمة؛ فيزول الاشتباه، وكذلك أيضًا النصوص المشتبهة في كلام أهل العلم تفسر بالنصوص الواضحة من كلامهم؛ ولا يَتعلق بالنصوص المتشابهة ويَترك النصوص المحكمة الواضحة إلا أهل الزيغ والضلال؛ كما قال الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧].

وقد ثبت عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، وقال: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»(١).

فأهل الزيغ يتعلقون بمتشابهه ويتركون المحكم، فمثلًا إذا تعلق النصراني بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وقال: «نحن» ضميرُ الجمع؛ وهذا يدل على أن الآلهة ثلاثة، فيقول أهل الحق له: أنت من أهل الزيغ، وهذه من النصوص المشتبهة،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٥) عن عائشة وهذا لفظه، وأخرجه من حديث عائشة أيضاً البخاري (٤٥٤٧) لكن بلفظ: «فإذا رأيتِ الذين يتبعون ما تشابه منه..» والباقي مثله.

والواجب عليك أن تردها إلى النصوص الواضحة المُحْكَمَة؛ كقول الله عز وجل: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]، وكقوله أيضًا: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤].

فـ(نحن) في لغة العرب يقولها الواحد المُعَظِّمُ لنفسه، فعليك أن تُرْجِعَ هذا النصَّ المشتبه إلى النص المُحْكَم.

ومثال ذلك أيضًا من السنة النبوية: أنه قد يتعلق بعض دعاة السفور[1] - سفور النساء - ببعض النصوص المشتبهة ويقولون: إن حديث الخثعمية في حجة الوداع: «**جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَسْأَلُهُ، وَكَانَ رَدِيفَهُ الفَضْلُ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الفَضْلِ إِلَى الطَّرَفِ الآخَرِ**»[2].

قالوا: هذا يدل على أنَّ تلك المرأة كانت سافرةً؛ كاشفةَ الوجه، ويدلُّ أيضاً على أن المرأة يجوز لها كشف وجهها، وأنَّ ستر الوجه ليس بواجب.

ويستدلون أيضًا بحديث أسماء: أنها جاءت إلى النبي ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض النبي ﷺ عنها بوجهه، وقال: «**يَا أَسْمَاءُ؛ إِنَّ المَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ المَحِيضَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يُرَى مِنْهَا إِلَّا هَذَا وَهَذَا، وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَفَّيْهِ**»[3].

---

(١) فالمقصود هنا دعاة السفور وليس من كان عالمًا مجتهدًا كالشيخ الألباني رحمه الله وغيره.

أخرجه البخاري (١٥١٣)، ومسلم (١٣٣٤) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٠٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/٨٦) من حديث عائشة، رضي الله عنها، وقال أبو داود: «هذا مرسل، خالد بن دريك لم يدرك عائشة»، وقال ابن القطان في كتابه «الوهم والإيهام» (٣/٢٦): «وخالد بن دريك فإنه مجهول الحال»، هكذا قال مع أن ابن دُريك قال عنه أبو حاتم كما في «الجرح والتعديل» (٣/٣٢٨): «لا بأس به»، وقال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٤١٠): =

قالوا: هذا يدل على جواز كشف الوجه، نقول لهم: أنتم من أهل الزيغ؛ لأنكم تعلقتم بالنصوص المتشابهة، وتركتُم النصوصَ المحكمةَ الواضحة؛ كقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، والحجاب ما يحجب المرأة عن الرجل، والحجاب يكون جدارًا، أو يكون بابًا، أو يكون غطاءً على الوجه. ومن النصوص المُحْكمة التي أعرضتم عنها كذلك قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩].

ومن الأدلة كذلك؛ ما ثبتَ في «صحيح البخاري» في قصة الإفك لما سار الجيش، وترك عائشة رضي الله عنها: «**فَجَلَسْتُ فِي مَكَانِ الجَيْشِ لَعَلَّهُمْ يَفْقِدُونَهَا ثُمَّ يَرْجِعُونَ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ قَدْ جَاءَ مُتَأَخِّرًا فَلَمَّا رَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَعَرفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَبِي**»(١)، فقولها: «**فَخَمَرْتُ**

= «وثّقه ابن معين والنسائي...».

وقول ابن القطان هذا، ذكره في «خلاصة البدر المنير» (٢/ ٨٦) ثم تعقبه بقوله: «حاشاهُ؛ فقد وثقه النسائي وغير واحدٍ». وقال المنذري: وفيه أيضاً سعيد بن بشير أبو عبدالرحمن البصري نزيل دمشق مولى بني نضر، تكلم فيه غير واحد، وقال ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٧٣): ولا أعلم رواه عن قتادة غير سعيد بن بشير، وقال فيه مرة: عن خالد بن دريك، عن أم سلمة بدل عائشة»، وانظر «إرواء الغليل» (٦/ ٢٠٣).

(١) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة، رضي الله عنها، ولفظ البخاري «فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب»، ولفظُ مسلمٍ مثله، إلّا أنه قال في روايته: «... وكان يراني قبل أن يُضْرَبَ الحجابُ عَلَيَّ...».

وَجْهِي بِجِلْبَابِي» صريح في تغطية الوجه، وقولها: «وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ» دليل على أن النساء قبل الحجاب كنَّ يكشفن الوجوه، وأما بعد الحجاب فكن يسترن الوجوه .

وفي «سنن أبي داود» عن عائشة ﵂ أنها قالت: «كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُحْرِمَاتٌ، فَإِذَا حَاذَوْا بنا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رأسها عَلَى وَجْهِهَا، فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ»[1] نقول لهم: كيف تتعلقون بحديث أسماء وحديث الخثعمية وتتركون هذه النصوص المحكمة؟ عليكم أن تفسروا حديث الخثعمية بما يتناسب مع هذه النصوص، ثم حديث أسماء هذا ضعيف، وفيه علل كثيرة؛ فهو منقطع؛ لأنه من رواية خالد بن دُريك عن عائشة، وخالد بن دريك لم يسمع من عائشة، ثم هو منكر المتن؛ لا يمكن أن تكون أسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة وامرأة الزبير، وامرأة عاقلة دَيِّنة تدخل على النبي ﷺ في ثياب رِقاق!! ففيه علل متعددة كثيرة؛ ثم هو كذلك من رواية سعيد بن بشير وهو ضعيف، ولو صح الحديث - جدلًا - لكان محمولًا على ما قبل الحجاب.

فالمقصود من هذا: أن أهل الزيغ يتعلقون بالنصوص المتشابهة، ويتركون النصوص المحكمة؛ وأما الراسخون في العلم فإنهم يأخذون

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨٣٣)، واللفظ له، وابن ماجه (٢٩٣٥)، وأحمد (٦/ ٣٠)، والدارقطني (٢/ ٢٩٤، ٢٩٥)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٢٦٩١)، وابن الجارود في «المنتقى» (٤١٨- غوث المكدود)، والبيهقي (٥/ ٤٨)، وفي سنده يزيد بن أبي زياد. قال الإمام ابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ٢٠٣): «وفي القلب منه». وضعّفه النووي في «المجموع» (٧/ ٢٢٦). وكذا أعلّه بيزيد، الحافظُ ابن حجر في «الدراية» (٢/ ٣٢). أمَّا الألباني فقد حسَّنه، كما في كتابه «جلباب المرأة المسلمة» (ص ١٠٧- طبعة: المكتبة الإسلامية).

بالنصوص المحكمة، ويُرْجِعون النصوصَ المتشابهة إليها.

ومن ذلك أيضًا في القرآن الكريم -لأهمية هذا المثال- أن نصوص العلو محكمة، فيأتي أهل الزيغ، ويتعلقون بنصوص المعية كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وكقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

فيأتي أهل البدع وأهل الزيغ ونفاة الصفات فيقولون: هذا دليل على أن الله مختلط بالمخلوقات، وأن الله معهم، نقول لهم: أنتم من أهل الزيغ فلماذا تركتم نصوص العلو والمعية المحكمة كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] في سبعة مواضع[١]، وكقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وكقوله أيضًا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وكقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وكقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وكقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وكقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

حتى إن نصوص العلو تزيد على ثلاثة آلاف دليل كلها صريحة في أن الله فوق السماوات، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه.

ثم إن المعية لا تفيد الاختلاط في لغة العرب؛ فلا تزال العرب تقول: ما زلنا نسير والقمر معنا، في حين أن القمر فوقك، وتقول: فلان معه كذا، وقد يكون فوق رأسه.

---

(١) في سورة الأعراف (٥٤)، ويونس (٣)، والرعد (٢)، والفرقان (٥٩)، والسجدة (٤)، والحديد (٤)، وفي سورة طه (٥)، لكن فيها بلفظ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

فالمقصود أن طريقة أهل الزيغ تعلقهم بالنصوص المتشابهة، وتركهم النصوص المحكمة[١]؛ أما طريقة الراسخين في العلم فإنهم يأخذون بالنصوص المحكمة ويُرْجِعون إليها النصوصَ المتشابهة ويفسرونها بها؛ فيزول الإشكال، وهكذا كلام أهل العلم، فإذا رأيت كلامًا لعالم اشتبه عليك، فارجع إلى كلامه الواضح لتفسره به؛ كما سيأتي في بعض كلام أبي جعفر الطحاوي[٢].

وهذه «العقيدة الطحاوية» قد تلقاها العلماء بالقبول، وشُرحت بشروح متعددة، لكن هذه الشروح لا تتمشى مع معتقد أهل السنة والجماعة.

وأحسن شرحٍ لها: هو الشرح المنتشر المطبوع الذي ألَّفه علي بن علي ابن أبي العز الحنفي، المولود سنة سبعمائة وواحد وثلاثين، والمتوفى سنة سبعمائة واثنتين وتسعين، وقد ذكر رحمه الله في مقدمتها: أن «العقيدة الطحاوية»

---

(١) انظر تفصيل طريقة أهل البدع هذه ونقضها في: «موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة» (ص٣٦٥-٤٠١).

(٢) جاء في «مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز، فتاوى العقيدة» (١/ ٧١- ٧٢ -ط: دار الوطن): «قوله -أي قول الطحاوي-: تعالى عن الحدود والغايات، والأركان، والأعضاء، والأدوات، والجهات الست، كسائر المبتدعات»: هذا الكلام فيه إجمال، قد يستغله أهل التأويل والإلحاد في أسماء الله وصفاته، وليس لهم بذلك حجة؛ لأن مراده رحمه الله: تنزيه الباري سبحانه عن مشابهة المخلوقات، لكنه أتى بعبارة مجملة، تحتاج إلى تفصيل، حتى يزول الاشتباه ...»، ثم فصَّل مراده بكل شيء من ذلك، إلى أن قال: «وأهل البدع يطلقون مثل هذه الألفاظ، لينفوا بها الصفات، بغير الألفاظ التي تكلم بها، وأثبتها لنفسه، حتى لا يفتضحوا، وحتى لا يشنع عليهم أهل الحق، والمؤلف الطحاوي رحمه الله لم يقصد هذا المقصد، لكونه من أهل السنة المثبتين لصفات الله، وكلامه في هذه العقيدة يفسِّر بعضه بعضًا، ويصدِّق بعضه بعضًا، ويُفسَّر مشتبهه بمحكمه». اهـ.

شرحت شروحًا متعددة إلا أنها لا تتمشى مع معتقد أهل السنة والجماعة؛ فأراد أن يشرحها شرحًا يتمشى مع معتقد أهل السنة والجماعة.



◆ قَالَ المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

قَالَ الْعَلامَةُ حُجَّةُ الإِسْلامِ أَبُو جَعْفَرٍ الْوَرَّاقُ الطَّحَاوِيُّ - بِمِصْرَ - رَحِمَهُ اللهُ : هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْكُوفِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الأَنْصَارِيِّ[١]، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ[٢] -

---

(١) هو الإمام المجتهد العلامة المحدث كبير القضاة أبو يوسف يعقوب الأنصاري الكوفي، الإمام الثاني للحنفية، صحب أبا حنيفة سبع عشرة سنة، وتفقه به، وهو أنبل تلامذته وأعلمهم، وكان من أئمة أهل الرأي ولكن يميل لأصحاب الحديث، ورجحه شيخ الإسلام على محمد بن الحسن، وكان سببًا في رجوع أبي حنيفة عن القول بخلق القرآن.

وثقه جمع من الأئمة وضعفه كثير من الجهابذة، توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٥٣٥- ٥٣٩)، و «تاريخ ابن معين» (٢/ ٦٨٠) و (٤/ ٤٧٤)، و «التاريخ الكبير» للبخاري (٨/ ٣٩٧)، و «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٧)، و«ضعفاء العقيلي» (٤/ ٤٣٨- ٤٤٤).

(٢) أبو عبد الله الكوفي فقيه العراق، الإمام الثالث لأهل الرأي والحنفية. قرأ على مالك موطأه، وروى عنه، وتأثر به بعض الشيء فخالف إمامه أبا حنيفة في كثير من المسائل القياسية، ووافق مذهب أهل الحديث من الحجازيين مالك وغيره، وله كلام شديد في الرد على الجهمية.

أثنى عليه جم غفير من الأئمة، وضعفه النقاد والجهابذة النحارير. انظر: «تاريخ ابن معين» (٢/ ٥١١)، و «ضعفاء العقيلي» (٤/ ٥٢-٥٥)، و«اللسان» لابن حجر (٥/ ١٢١، ١٢٢).

رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ):

الشرح

نبَّه ﷺ في هذه المقدمة أنه يريد أن يبين عقيدة السلف الصالح على ما يعتقده الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وصاحبه الأكبر: أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، والصاحب الثاني: أبو عبد الله: محمد بن الحسن الشيباني، قال: (وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ)؛ فبين بذلك ﷺ أن هذه العقيدة تتمشى مع معتقد أهل السنة والجماعة.

وخص هؤلاء الثلاثة؛ لأن أبا حنيفة إمام أئمة المذهب الحنفي، والطحاوي ﷺ وَمَنْ ذَكَرَهُمْ، كلٌّ منهم: أحنافٌ في المذهب؛ يتمذهبون بمذهب أبي حنيفة، وهذه العقيدة في أصول الدين ليست خاصة بالأحناف. بل هي عامة؛ للأحناف، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، والتمذهب إنما هو في فروع الدين كأحكام الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، أما العقيدة والتوحيد؛ فواحدة ليس فيها اختلاف .

و«العقيدة» مأخوذة من «العَقْدِ» وهو الرَّبْطُ، والعَقْدُ: نقيضُ الحَلِّ، وسميت عقيدة؛ لأن الإنسان يجزم ويعتقد في نفسه، ويُقال: اعتقد فلانٌ الأمر؛ صَدَّقه وعقد عليه قلبه، وضميره. وهي مأخوذة من عقد البيع ونحوه، ثم استُعمِلت في التصميم والاعتقاد الجازم[1]، وتطلق العقيدة على

(١) المصباح المنير للمقري الفيومي (٢/ ٤٢١)، و «لسان العرب» لابن منظور (٣/ ٢٩٦، ٢٩٨) مادة (عقد). ط: دار صادر، بيروت.

ما يدين به الإنسان ربه، ويعتقده من أمور الدين، فإن كان ما يعتقده الإنسان مطابقًا للواقع؛ فهي عقيدة صحيحة، وإن كان مخالفًا للواقع؛ فهي عقيدة فاسدة.

فمثلًا الجهمية(١)، والمعتزلة(٢)، والشيعة(٣)، ....

---

(١) سموا بذلك نسبة إلى جهم بن صفوان، وقد قتله سلم بن أحوز سنة ١٢٧هـ، وهم من القائلين بنفي الأسماء والصفات عن الله -تعالى-، وأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل بالله فقط، وأن الفاعل هو الله وحده، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم مجازًا، ومن أصولهم تقديم العقل على النقل، كما قالوا بخلق القرآن، وقيل: إن الجهمية لا تعتبر فرقة قائمة بذاتها كالمعتزلة، ولذا لم تذكر كفرقة عند كثير ممن كتب في الملل والنحل، وإنما تذكر ضمن فرق المعتزلة أو المرجئة. انظر: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٣٣٨)، و «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ٢٠٤).

(٢) سموا بذلك لاعتزالهم أقوال المسلمين في مرتكب الكبيرة حيث قالوا: إنه في منزلة بين المنزلتين، فلا هو مؤمن ولا هو كافر، وقيل: لاعتزال زعيمهم واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري. ومذهبهم يقوم على نفي الصفات عن الله -تعالى-، ونفي القدر في معاصي العباد، وإضافة خلقها إلى فاعليها، وأن القرآن مخلوق، ونفوا شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر، وهم فرق كثيرة: منها الجبائية، والضرارية، والنظامية، والجاحظية، وغيرها. انظر: «البرهان في عقائد أهل الأديان» (٢٧،٢٦)، و«مقالات الإسلاميين» (١/ ٣٣٥) وما بعدها، و«الملل والنحل» (١/ ٥٤).

(٣) هم الذين شايعوا علياً ﷺ على الخصوص وغلوا فيه، وقالوا بإمامته نصًا ووصية، إما جليًا أو خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسول ﷺ إغفاله، وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله، ويجمع الشيعة: القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأئمة وجوبًا عن الكبائر =

. . . .

= والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولًا وفعلًا وعقدًا لا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك.
وهم يُسَمَّون بالشيعة؛ لأنهم شايعوا عليًا ﷺ ويقدمونه على سائر الصحابة، ويُسَمَّوْنَ بالرافضة: لرفضهم أبا بكر وعمر، وقيل: لرفضهم زيد بن علي، لما تولى أبا بكر وعمر وقال بإمامتهما، وبعضهم غلوا في علي -وهم الغالية- فقالوا بإلهيته، وبعضهم قال بنبوته، وقد قتل علي ﷺ بعضهم في زمانه، وهم فرق وطوائف كثيرة، والكلام عنهم متشعب.
قال شيخ الإسلام في «التسعينية»: «والشيعة هم: ثلاثة درجات، شرها الغالية الذين يجعلون لعلي شيئًا من الإلهية، أو يصفونه بالنبوة، وَكُفْرُ هؤلاء بيّنٌ لكل مسلم يعرف الإسلام، وكفرهم من جنس كفر النصارى من هذا الوجه، وهم يشبهون اليهود من وجوه أخرى.
والدرجة الثانية: وهم الرافضة المعروفون كالإمامية وغيرهم الذين يعتقدون أن عليًا هو الإمام الحق بعد النبي ﷺ بنص جلي أو خفي، وأنه ظُلم ومنع حقه، ويبغضون أبا بكر وعمر ويشتمونهما، وهذا هو عند الأئمة سيما الرافضة.
والدرجة الثالثة: المفضِّلة من الزيدية وغيرهم الذين يفضلون عليًا على أبي بكر وعمر، ولكن يعتقدون إمامتهما وعدالتهما ويتولونهما، فهذه الدرجة -وإن كانت باطلة- فقد نُسِبَ إليها طوائفُ من أهل الفقه والعبادة، وليس أهلها قريبًا ممن قبلهم، بل هي إلى أهل السنة أقرب منهم إلى الرافضة؛ لأنهم ينازعون الرافضة في إمامة الشيخين، وعدلهما، وموالاتهما، وينازعون أهل السنة في فضلهما على علي، والنزاع الأول أعظم، ولكن هم المرقاة التي تصعد منه الرافضة، فهم لهم باب».
[وانظر: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٦٥ فما بعدها)، و«الإبانة» (٥٢، ٢١٩)، و«الفصل» (٤/ ١٣٧)، و«الملل والنحل» (١/ ١٤٤ فما بعدها)، و«الفرق بين الفرق» (٢١)، و«التبصير في الدين» (ص٣٢ فما بعدها)، و«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (٥٢- ٦٣)، و«البرهان» (ص٦٥)، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية خاصة «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»].

والرافضة[١] كلهم لهم عقيدة، ويجزمون بها، لكنها عقائد فاسدة باطلة؛ لمخالفتها للحق، وأهل السنة والجماعة عقيدتهم موافقة للحق؛ فهي عقيدة صحيحة، والعقيدة هي الأساس؛ وهي أساس بناء المجتمعات، فإن كان المجتمعُ عقيدةَ أفرادِه سليمةً؛ صار مجتمعاً قويًّا متماسكًا، وإن كانت عقيدة أفراده منحرفةً؛ صار مجتمعًا متفككًا منهارًا.

وقد دلت التجارب أن صلاح سلوك المجتمع يتناسب مع مدى صلاح عقيدة أفراده، وأن انحراف سلوك الإنسان يتناسب مع مدى تضاؤل عقيدته وانحرافه، والعقيدة السليمة الصحيحة تعصم الدم والمال، وتصحح جميع الأعمال، والعقيدة الفاسدة تهدر الدم والمال وتفسد جميع الأعمال، قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[٢]، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»[٣].

---

(١) سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي حينما قالوا له: تَبَرَّأْ من الشيخين حتى نكون معك، فقال: لا بل أتولاهما وأتبرأ ممن تبرأ منهما، فقالوا: إذًا نرفضك. وهم يثبتون الإمامة عقلًا، وأن إمامة علي وتقديمه ثابت نصًا، وأن الأئمة معصومون، وأن الأُمَّةَ ارتدت بتركها إمامة علي رضي الله عنه. انظر: «البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان» للسكسكي (ص٣٦)، و«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» للفخر الرازي (٧٧، ٧٨)، و«رسالة في الرد على الرافضة» لأبي حامد المقدسي (٦٥-٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٧) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه بهذا السياق أبو داود الطيالسي في «المسند» (٢٨٩) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، عن ابن مسعود أيضاً، وفيه زياةٌ في متنيْهما.

فدل هذا على أن العقيدة السليمة تعصم الدم والمال، لا يحل دمه ولا ماله ما دام اعتقاده صحيحًا إلا إذا ارتكب واحدة من ثلاث: الزاني بعد الإحصان، والقاتل عمدًا، و المرتد الذي فارق دينه.

فلو صحت العقيدة؛ صحت الأعمال كلها، فإذا كانت العقيدة سليمة صحت الصلاة، وصح الصوم، وصحت الزكاة، وصح الحج، وهكذا جميع العبادات.

أما إذا فسدت العقيدة؛ فسدت جميع الأعمال، فإذا دعا الإنسان غير الله، أو ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله، أو طاف بغير بيت الله؛ تقربًا لذلك الغير، أو فعل ناقضًا من نواقض الإسلام؛ أو اعتقد عدم وجوب الصلاة، أو عدم وجوب الزكاة، أو عدم وجوب الحج، أو اعتقد حل الزنا، أو حل الخمر، أو حل الربا، أو حل عقوق الوالدين: فسدت العقيدة، وبطلت الأعمال كلها؛ فلا تصح الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج، ولا غيرها من العبادات؛ فكلها تكون باطلة .

ومن ثمّ اتجهت جهود الأنبياء والمصلحين إلى إصلاح عقائد المجتمعات قبل كل شيء، وكل نبي أرسله الله دعا قومه إلى إصلاح العقيدة فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، كما أخبر الله عن نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم، ونبينا محمد ﷺ مكث في مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو الناس إلى إصلاح العقيدة، ويقول لقومه: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا»[1]، ولم يفعل شيئًا من التشريعات سوى

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (١٥٩)، وابن حبان (٦٥٦٢)، من حديث طارق بن عبدالله المحاربي، وكذا أخرجه من هذا الوجه الحاكم (٢/ ٦٦٨ - تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٧٦)، و (٦/ ٢٠)، والدارقطني =

الصلاة؛ لعظم شأنها، فإنها فُرضت قبل الهجرة بسنة أو بسنتين أو بثلاث، كل هذه المدة يدعو قومه إلى إصلاح العقيدة[١].

ثم لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وثبتت العقيدةُ؛ نـزلتْ بقيةُ التشريعات؛ فشُرع الأذان، وشُرعت صلاة الجماعة، وفُرضت الزكاة، وفُرض الصوم، وفُرض الحج، وفُرض الجهاد، وَشَرَعَ اللهُ إقامة الحدود؛ كحدّ الزنا، وحد السرقة، وحد شرب الخمر، وهكذا.

وتبين بهذا: أن العقيدة هي الأساس الذي تبنى عليه الأعمال، وهي التي تعصم الدم والمال، فالعقيدة الصحيحة تصحح جميع الأعمال.



= في «السنن» (٣/ ٤٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٥٦٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨١٧٥)، وصححه في «البدر المنير» (١/ ٦٨٠)، وكذا صححه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٦٨ - تحقيق: مصطفى عبدالقادر). لكن أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٢)، والطبراني في «الكبير» (٤٥٨٢)، واللالكائي في «السنة» (١٤١٤، ١٤١٥)، وغيرهم من حديث ربيعة بن عِبَاد ﷺ، وفي الباب عن مُنيب بن مُدرك بن منيب الأزدي، عن أبيه، عن جده عند الطبراني في «الكبير» (٨٠٥)، وعن غيره أيضاً.

(١) انظر: «عيون الأثر» لابن سيد الناس (١/ ١٩٦).

التَّوْحِيدُ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ
أَنْوَاعُ التَّوْحِيدِ وَمَعَانِيهِ

◆ قَالَ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

(نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ، وَلا شَيْءَ مِثْلُهُ):

الشرح

• قوله: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ):

التوحيد لغةً: مصدر وحَّد يوحِّد توحيدًا، وهو الإفراد[1]؛ واصطلاحًا: هو إفراد الله بالعبادة؛ أي: جَعْلُ اللهِ واحدًا لا شريك له[2].

• قوله: (مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ):

أي: عن عقيدة وعن شيء نجزم به، ونتيقن به، ولكن بتوفيق الله ليس بحول منَّا ولا قوة، ولكنَّ الله هو الذي وفقنا لهذا الاعتقاد السليم.

فلا يستطيع الإنسان أن يفعل شيئًا، ولا أن يعتقد شيئًا، ولا أن يقول شيئًا؛ إلا بتوفيق الله وإعانته، ولهذا قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ) أي: واحد لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أسمائه، ولا في أفعاله، ولا في ألوهيته وعبادته.

---

(١) انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (٦/ ٩٠)، و«العين» للفراهيدي (٣/ ٢٨٠، ٢٨١).

(٢) انظر: «فتح المجيد» (ص ١٣).

أقسام التوحيد:

وتوحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ هي المعروفة عند أهل العلم:

* توحيد الربوبية.

* توحيد الألوهية.

* توحيد الأسماء والصفات[١].

وهذا التقسيم ليس مأخوذًا من الرأي والعقل، فلم يأخذه العلماء من عند أنفسهم، وإنما دليلهم على ذلك الاستقراء والتتبع للنصوص[٢].

وكل قِسْمٍ منها عليه دليل، وإذا كان كل قسم عليه دليل عُلِمَ بذلك أنهم لم يكونوا مبتدعين كما يزعم بعض الناس، حتى إن بعضهم[٣] قال: إن هذا التقسيم للتوحيد مثل تقسيم التثليث عند النصارى - نسأل الله السلامة والعافية - .

فهذه الأقسام إذًا مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما سيأتي، وأيضًا فحالُ الناس الموحدين لله لا تخلو من هذه الأمور الثلاثة، فقد يكون الإنسان موحدًا في ربوبية الله، وقد يكون موحدًا في أسمائه وصفاته، وقد يكون موحدًا في ألوهيته وعبادته، وقد يكون موحدًا لله في ربوبيته

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٤)، و«رفع الشبهة والغرر» للكرمي (١/ ٦٧).

(٢) انظر: «أضواء البيان» (٣/ ٤٨٨ -تفسير الآية التاسعة من سورة الإسراء) وهو نفيس جدًا.

(٣) وهو الضال حسن السقاف في كتابه «التنديد بمن عدَّد التوحيد وإبطال محاولة التثليث في التوحيد والعقيدة الإسلامية»، وقد رد عليه ردًا شافيًا الشيخ عبد الرزاق البدر في كتابه: «القول السَّديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد».

وأسمائه وصفاته وألوهيته، وقد يكون موحدًا لله في ربوبيته وإنْ لم يكن موحدًا لله في ألوهيته، فأحوال الناس تختلف.

القسم الأول: توحيد الربوبية:

وهو إثبات حقيقة ذات الرب وأفعاله، بأن تعتقد: أن الله ﷻ واجب الوجود لذاته، وأنه هو القائم بنفسه، المقيم لغيره، وأنه هو الرب؛ مربي عباده، وأنه هو الخالق، وأنه هو المالك، وأنه هو المدبر، فلا بد في توحيد الله في ربوبيته من هذه الأمور:

الأمر الأول: إثبات حقيقة ذات الرب؛ بأن تعتقد أن الله واجب الوجود لذاته، لم يسبقه عدم، ولا يلحقه عدم ﷻ، بخلاف المخلوق فإن وجوده ليس واجبًا ولا ممتنعًا؛ لأنه لو كان واجبًا لما سبقه العدم، فكون العدم سبق وجود المخلوق؛ دليل على أن وجوده ليس واجبًا بل جائز، وليس ممتنعًا؛ لأن الله خلقه وأوجده، فالممتنع لا يوجد؛ فدل على أن وجود المخلوق وجود جائز، سبقه العدم، ويلحقه العدم، ويلحق حياته الضعفُ والنقصُ، أما وجود الله فهو وجود واجب لذاته لم يسبقه عدم ﷻ، ولا يلحقه عدم ولا يلحق حياته نقص ولا ضعف، ولا تغير ولا فساد ولا سِنَة ولا نوم، ولم يتفرع من شيء، ولا يتفرع منه شيء؛ كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

الأمر الثاني: الإيمان بربوبية الله واعتقاد أن الله هو الرب، وغيره مربوب، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢]، فهو رب العالمين، وكل ما سوى الله عالَم، والله تعالى رب هذا العالَم، وغيره مربوب .

الأمر الثالث: إثبات أن الله هو الخالق وغيره مخلوق، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال أيضًا: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

الأمر الرابع: اعتقاد أو إثبات أن الله هو المالك وغيره مملوك، فهو مالك كل شيء.

الأمر الخامس: اعتقاد وإثبات أن الله هو المدبِّر وغيره مدبَّر، فهو مدبر الخلق وهو المحيي، وهو المميت، وهو الرزاق، وهو منزل المطر، ومسبب الأسباب، يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، ويقبض ويبسط.

بهذا يكون الإنسان قد وَحّد اللهَ في ربوبيته؛ حيث أثبت وجود الله واعتقد أن الله واجب الوجود لذاته، وأثبت ربوبية الله؛ واعتقد أنه هو الرب وغيره مربوب، وأثبت أن الله هو الخالق وغيره المخلوق، وأثبت أن الله هو المالك وغيره المملوك، وأثبت أن الله هو المدبِّر وغيره المدبَّر، ومع ذلك لا يكفي هذا التوحيد في الإيمان والنجاة من النار، ولا يكون الإنسان مسلمًا بهذا التوحيد وَحْدَهُ إلّا إذا ضَمَّ إليه غَيْرَهُ من أنواع التوحيد، كما سيأتي.

وهذا النوع من التوحيد أَقَرَّ به الكفار من مشركي قريش، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، ويقول سبحانه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٥]، وقال: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾

[المؤمنون: ٨٦-٨٧]، وقال: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨-٨٩]، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

فهذا النوع من التوحيد أَقَرَّ به كفارُ قريش، ومع ذلك لم يدخلوا في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم؛ لأنهم لم يأتوا بلازمه، وهو: توحيد الألوهية والعبادة[١].

القسم الثاني: توحيد الأسماء والصفات:

وهو الإيمان والإقرار بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلا التي ثبتت بالكتاب والسنة. وإثباتها لله على ما يليق بجلاله وعظمته، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والأسماء والصفات توقيفية؛ ليس لأحد أن يخترع لله أسماء وصفات من عند نفسه، فما ثبت بالكتاب والسنة أنه اسم لله أو وصف: أثبتناه له، وما لم يثبت بالكتاب والسنة: نتوقف ولا نثبته، فلا بد من الإيمان والإقرار والعلم بما لله من الأسماء والصفات، على الوجه اللائق بالله -عز وجل-، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.

وهذا النوع أيضًا من التوحيد: أَقَرَّ به كفارُ قريش؛ ولم يوجد عندهم إنكار لشيء من الأسماء والصفات إلا في اسم الرحمن خاصة، فأنزل

---

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية: (١/ ٢٢٥- ٢٢٨)، و«الدرر السنية» لعبدالرحمن ابن محمد بن قاسم: (٣/ ٣٣، ٣٤).

الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

ولما أمر النبي ﷺ أن يكتب الكتاب في صلح الحديبية وقال للكاتب: «**اكْتُبْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ سُهَيْلُ - الَّذِي صَالَحَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْمُشْرِكِينَ -: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَإِنَّنَا لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ وَلَا الرَّحِيمَ**»[1].

قال الحافظ ابن كثير[2] رحمه الله: والظاهر أن إنكارهم لاسم الرحمن إنما هو من باب التعنت والعناد، وإلا فقد وجد في أشعار الجاهلية ما يثبت اسم الرحمن لله - عز وجل -؛ كما قال الشاعر:

وَمَا يَشَأُ الرَّحْمَنُ يَعْقِدْ ويُطْلِقِ

ولم يُعْرَفْ عنهم إنكار شيء من الأسماء إلا في اسم «الرحمن» خاصة، وهذا النوع من التوحيد-وهو توحيد الأسماء والصفات-لا يكفي بالإيمان والإسلام، ولا يدخل الإنسان في الإسلام حتى يقر بلازمه، وهو توحيد الألوهية والعبادة.

القسم الثالث: توحيد الألوهية والعبادة:

وهو توحيد الله بأفعال العبادة، وهذا النوع يكون بأفعالك أنت أيها الإنسان من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وبر للوالدين، وصلة للرحم، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وكف نفسك عن المحرمات؛ تتقرب بها إلى الله، وتوحد اللهَ بها؛ بأن تخلصها لله، وتريد بها وجه الله والدار الآخرة. هذا هو توحيد العبادة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٤) من حديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم رضي الله عنهما، ومسلم (١٧٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه، واللفظ أقرب إلى سياق مسلم.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٢).

وتوحيد العبادة: هو أول دعوة الرسل وآخرها، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله، كما أخبر الله تعالى عن الأنبياء:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهذا التوحيد هو آخر ما يخرج به العبد من الدنيا؛ كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»**[(١)] .

وهذا التوحيد هو الذي لأجله خلق الله الخليقة، وأرسل الله الرسل، وأنـزل الله الكتب، وقام سوق الجهاد، وحقت الحاقة، ووقعت الواقعة،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١١٦)، والحاكم (١٢٩٩، ١٨٤٢ - تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢١)، والبزار في «مسنده» (٢٦٢٦)، والشاشي في «مسنده» (١٣٧٢)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ١٨٠)، وغيرهم من طريق صالح بن أبي عَريب، عن كثير بن مُرَّة، عن معاذ بن جبل ﷺ، به مرفوعاً. وقد أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٣٣) بنحوه.
والحديث صححه الحاكم عقب إخراجه له، وأعلّه ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ٧٠٩) بجهالة صالح بن أبي عَريب. قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ١٠٣): «وتُعقّب بأنه روى عنه جماعة، وذكره ابن حبان في الثقات».
ثم أورد أحاديث بنحوه عن عددٍ من الصحابة.

ولأجله انقسم الناس إلى شقي وسعيد؛ إلى كفار ومؤمنين، وهذا التوحيد هو الغاية المحبوبة لله والغاية التي ترضي الله - عز وجل -.

وهذا التوحيد هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم في قديم الدهر وحديثه؛ بخلاف توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات فهما توحيدان فطريان قد أقر بهما جميع الخلق إلا بعض الطوائف التي شذت وانتكست فطرتها، وعميت بصيرتها - وإلا فجميع الخلائق يقرون بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، والنزاع والخصومة بين الأنبياء والرسل وبين أقوامهم في هذا التوحيد، وهو توحيد الألوهية والعبادة.

ومن العلماء - كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم[(١)] - من قسم التوحيد بالنسبة إلى الخبر والإنشاء إلى قسمين:

القسم الأول: توحيد في المعرفة والإثبات؛ وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ وهو التوحيد القولي، ويقال له: التوحيد الاعتقادي، ويقال له: التوحيد العلمي الخبري.

والقسم الثاني: توحيد في الطلب والقصد؛ وهو توحيد العبادة.

قال العلماء: إن التوحيد الأول - وهو التوحيد في المعرفة والإثبات - كما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله وغيره هو إثبات حقيقة ذات الرب وأسمائه وصفاته وأفعاله، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمته، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ

(١) انظر: «الرسالة التدمرية» (ص ٥)، و«اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية: (١/ ٤٦٥)، و«مدارج السالكين» (٣/ ٤٤٩)، (١/ ٢٤-٢٥).

وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦]، وكما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ١-٣]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ١-٨].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [السجدة: ١-٤]، وهكذا سورة «الإخلاص» بكمالها.

والنوع الثاني: التوحيد الإرادي الطلبي مثل ما تضمنته سورةُ «الكافرون» قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١-٦]، ومثل ما تضمنته الآية الكريمة؛ آية «آل عمران»: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وكذلك أيضًا ما تضمنته سورة «يونس» قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا

أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٢-٣].

وفي آخرها: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس: ١٠٤-١٠٥].

كذلك جملة سورة «الأنعام» أنكر الله تعالى على المشركين شركهم قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ [الأنعام: ١٣٦]، ثم قال بعد ذلك: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ثم قال: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعيْ التوحيد، بل كل سورة في القرآن متضمنة لهذين النوعين؛ فإن القرآن إما خَبَرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله -وهذا هو التوحيد العلمي الخبري-، وإما دعوة إلى توحيده، ونهي عن الشرك، وعبادة غيره - وهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي -، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته - وذلك من حقوق التوحيد ومكملاته -، وإما خبر عن أهل التوحيد، وما حصل لهم في الدنيا من النصر والعز، وما يكرمهم به في الآخرة من الثواب؛ فهذا جزاء من حقق التوحيد، وإما خبر عن أهل

الشرك وما أصابهم في الدنيا من النكسة والهزيمة، وما يكون في الآخرة وما تكون عاقبتهم وما يحصل لهم في الآخرة من العذاب والنكال؛ وهذا جزاء من خرج عن التوحيد.

يتبين من هذا أن القرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وجزاء أهله، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

وسورة «الفاتحة» مثلًا متضمنة التوحيد؛ فـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] توحيد، و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفَاتِحَة: ١] توحيد، و﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: ٤] توحيد، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَة: ٥] توحيد، و﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَاتِحَة: ٦-٧] توحيد متضمن للهداية لطريق المنعم عليهم، وهم أهل التوحيد، و﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٧] هم الذين فارقوا التوحيد .

فالقرآن كله من أوله إلى آخره على هذا النمط؛ بهذا التفصيل كله في التوحيد وحقوقه وجزاء أهله، وفي شأن الشرك وأهله وجزائه.

ونفاة الصفات أدخلوا في توحيد الربوبية نفي الصفات؛ فكل المعطلة بأنواعهم ومدارسهم قالوا: إن معنى التوحيد نفي الصفات، وقالوا: إن إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب، و«الواجب» عندهم هو الله، كما أنهم يسمون المخلوق «الـمُمْكِن».

ففرارًا من ذلك قالوا بنفي الصفات حتى لا يكون «واجب» إلا واحدًا، فإنَّه بزعمهم لو: كان له سمع وبصر وعلم وقدرة؛ لصار الواجب متعددًا، وهذا من أبطل الباطل، وهو من الفساد بِمَحَلٍّ ظَاهِرٍ؛ فإنَّ إثباتَ ذاتٍ

مجردةٍ عن جميع الصفات والأسماء؛ لا تُوجد في الخارج؛ فلا يُوجَد شيءٌ في الخارج إلا له اسم وصفة، فإذا نفيتَ الأسماء والصفات عن شخصٍ، فلا يمكن أن يوجَد بِحَالٍ؛ فإذا قلتَ: هناك شيء موجود لكن ليس له طول، ولا عرض، ولا عمق، وليس فوق، ولا تحت، ولا خلف، ولا يمين، ولا شمال؛ فهذا الشيء بهذا الوَصْف؛ لا وجود له إلا في الذهن، وهؤلاء النُّفَاة سلبوا الأسماء والصفات عن الرب، ومعنى هذا: أنهم لم يثبتوا ربًّا ولا خالقًا في الحقيقة، إنما كل ذلك في الذهن، والعياذ بالله.

وقد أفضى هذا التوحيد - بزعمهم - ببعضهم إلى أن وصلوا إلى الحلول والاتحاد - نعوذ بالله - حتى قالوا: إن الوجود واحد، ووقعوا في شَرٍّ من مذهب النصارى؛ فإن النصارى خَصُّوا حلولَ الرب بالمسيح عيسى ابن مريم؛ وهؤلاء الجهمية الغلاة قالوا: إن الله حالٌّ في كل مكان - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا - .

فلما وصلوا إلى القول بالحلول والاتحاد، وقالوا: إن الوجود واحد؛ تفرع عن هذا التوحيد - الذي يسمونه توحيدًا وهو من أعظم أنواع الشرك - القول بأن الوجود واحد، وقالوا: بأن فرعون على صواب، وأنه مصيب حينما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقالوا: إنَّ عُبَّاد الأصنام على الحق والصواب، وأنهم إنما عبدوا الله ولم يعبدوا غيره، وقالوا: لا فرق في التحريم بين الأم والأخت والأجنبية، ولا بين الماء والخمر، ولا بين الزنا والنكاح.

وقالوا: الكلُّ مِنْ عَيْنٍ واحد، بل هو العين الواحد، ومن فروع مذهب

الاتحادية[1] قولهم: إن الأنبياء ضَيَّقوا على الناس، وبعَّدوا عليهم المقصود، والأمر وراء ذلك كله؛ فهذا - والعياذ بالله - سببه أن هؤلاء أعرضوا عن كتاب الله وسنة رسوله، وتركوا كتاب الله وراءهم ظهريًّا؛ فتولتهم الشياطين، فقالوا هذه المقالات التي سَوَّدوا بها الأوراق، وأضلوا بها الناس، وتكلموا بالكفر الصراح - نسأل الله السلامة والعافية -.

(١) هم القائلون باتحاد الخالق بالمخلوق، كقول النصارى في عيسى: اتحد اللاهوت بالناسوت، وكقول الصوفية في بعض أقطابهم. ويسمى بالاتّحاد الجزئي، ومنهم من يقول: باتحاد الخالق بجميع المخلوقات، وهذا ما يسمى بالاتحاد الكلي.
وهو قرين وحدة الوجود، والفرق بينه وبين وحدة الوجود أن الاتحاد يكون بين شيئين. أما الوحدة فهي قولهم: إن الوجود كله هو الله الإله المعبود، فليس هناك إلا شيء واحد، فلا خالق ولا مخلوق. انظر: «المعجم الفلسفي» لمجمع اللغة العربية القاهرة (٢، ٢٠٩)، و «الموسوعة الميسرة» بإشراف محمد شفيق غربال (٤٥)، و«ديوان ابن الفارض» (٢٨، ٢٩).

معنى قوله تعالى: (ليس كمثله شيء)

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلا شَيْءَ مِثْلُهُ):

الشرح

● قوله: (وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ).

أي: أن الله تعالى لا يماثله شيء من المخلوقات لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ فليس له مثيل - سبحانه وتعالى-؛ كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فمن اعتقد أن لله مثيلًا في ذاته، أو مثيلًا في صفاته، أو مثيلًا في أفعاله: فقد كفر؛ لأنه تنقُّصٌ للرب تعالى؛ ولأنه لم يثبت واجب الوجود لذاته.

ومن اعتقد لله مثيلًا فهو في الحقيقة لم يعبد الله، وإنما يعبد وثنًا صوَّره في خياله، ونحته له فكره، وهو من عباد الأوثان لا من عباد الرحمن، وهو مشابه للنصارى في كفرهم؛ ولهذا قال العلامة ابن القيم[1]:

لسنا نُشَبِّهُ وصْفَه بصفاتنا إن المشبه عابد الأوثان

وقال[2]:

من شبه الله العظيم بخلقه فهو النسيب بمشرك نصراني

فمن شبه الله بخلقه فقد شابه النصارى؛ لأن النصارى شبهوا المسيح بالله، وقالوا: هو ابن الله - تعالى الله عما يقولون -، ومن مَثَّلَ اللهَ بخلقه؛ فهو في الحقيقة ما عبد الله، وإنما عبد وثنًا؛ كما أن من نفى صفات الله

(١) انظر: «الكافية الشافية» (٢/ ١٣).
(٢) انظر: «الكافية الشافية» (٢/ ١٣).

وأسماءه فهو في الحقيقة لم يثبت شيئًا، وإنما عبد عدمًا لا وجود له .

ولهذا يقول العلماء: المشبه الممثل يعبد صنمًا، والمعطل يعبد عدمًا[١]، والموحد يعبد إلهًا واحدًا فردًا صمدًا، فالممثل المشبه اعتقد أن لله مثيلًا في صفاته، أو في أفعاله؛ فهذا قد عبد وثنًا، والذي نفى الأسماء والصفات قال: ليس لله سمع، ولا بصر، ولا علم، ولا قدرة، ولا إرادة، وليس فوق السماوات ولا تحتها، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له، ولا محايد له، ولا متصل به، ولا منفصل عنه؛ فبذلك عبد عدمًا؛ لأنك لو قلت: صِف المعدوم بأكثر من هذا ما استطعت؛ بل إن هذا - والعياذ بالله - أشد من العدم؛ ولهذا فإن المعطل في الحقيقة ما أفاد شيئًا؛ لأنه لا يوجد شيء مسلوب الأسماء والصفات، فكل موجود لا بد له من صفات، حتى الجماد.

ولذلك يكون مذهب أهل السنة والجماعة مذهبًا خالصًا صافيًا من بين فرث ودم، من بين فرث التعطيل، ودم التشبيه والتمثيل.

---

(١) الصواعق المرسلة، لابن القيم (١/ ١٤٨)

كمال قدرة الله وانتفاء العجز عنه

◆ قَالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ):

الشرح

بعد أن ذكر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الله، وأنهم يعتقدون أن الله واحد لا شريك له، ولا يماثله شيء من مخلوقاته، قال: (وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ): فأهلُ السنة والجماعة وأهل الحق يعتقدون أن الله لا يعجزه شيء؛ لكمال قدرته تَعَالَى؛ كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وهذا النفي يستلزم إثبات ضده من الكمال؛ وهكذا كل نفي ورد في الكتاب والسنة في حق الرب -عز وجل-، فإنما هو لإثبات ضده من الكمال؛ ليس نفيًا صرفًا ولا محضًا، بل يستلزم إثبات ضده من الكمال؛ ولذا قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، فهذا النفي ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤]؛ لكمال علمه وقدرته، وكما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]؛ فنفى الظُّلْمَ هنا لإثبات كمال ضده، وقولُه: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]؛ لكمال علمه، وقوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ لكمال قوته واقتداره، وقوله ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ لكمال حياته، وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ لكمال عظمته وجلاله وكبريائه.

وهكذا كل نفي يأتي في الكتاب والسنة؛ فإنما هو لإثبات ضده من الكمال؛ لأن النفي المحض الصرف ليس فيه كمال؛ ولهذا يوصف المعدوم بالنفي الصرف المحض، ومن ذلك النفي الصرف المحض قول الشاعر العربي(١):

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمةٍ ولا يظلمون الناسَ حَبّةَ خردل

فنفى عنهم الغدر، ونفى عنهم الظلم، لكن ليس المراد أنهم مقتدرون؛ بل المراد بيان ضعفهم؛ وعجزهم؛ بدليل ما قبل البيت وما بعده، وبدليل أنه صغرهم بقوله: (قُبَيِّلَةٌ)، وهذا التصغير للتحقير؛ فهم لا يغدرون بذمة، ولا يظلمون الناس؛ لضعفهم وعجزهم؛ ونفي الغدر والظلم إنما يكون كمالًا إذا كان مع القدرة؛ أما إذا كان مع العجز فلا يكون كمالًا، كما في قول الشاعر(٢):

لكنّ قومي وإن كانوا ذوي حَسَبٍ ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

فهو ينفي عن قومه الشر قائلاً: ليسوا من الشر في شيء وإن هانا، ومع ذلك يجزون عن ظلم أهل الظلم مغفرة؛ فإذا ظلمهم أحد غفروا له، وإذا أساء إليهم أحد أحسنوا إليه، فهذا يكون كمالاً لو كانوا قادرين، لكنهم إن فعلوا ذلك بسبب عجزهم وضعفهم، لم يكن كمالًا في حقهم، وهذا النوع من النفي لا يَرِدُ في أسماء الله وصفاته، ولا يرد في كتاب الله والسنة؛ لأنه نفي صرف، إنما الذي يَرِدُ كما تقدَّم النفي الذي يستلزم إثبات

---

(١) هذا البيت للنجاشي من بني الحارث. انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة الدينوري (١٨٧-١٩٠) و «جمهرة الأمثال» (١/ ٨١).

(٢) هذان البيتان لقريط بن أنيف من بني العنبر. انظر: «ديوان الحماسة» (٣-٥).

ضده من الكمال؛ ومضت أمثلةٌ على هذا، كقوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]؛ وذلك لكمال عِلْمه، وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ وذلك لكمال حياته وقيوميته وهكذا.

والنصوص في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ جاءت في باب الأسماء والصفات بالإثبات المفصل وبالنفي المجمل، فنفي النقائص والعيوب عن الله يأتي مجملًا؛ كقوله سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وكقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]، وكقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وكقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢].

أما الإثبات فإنه يأتي مفصلًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، وكقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

أما أهل الكلام وأهل البدع فعكسوا، حيث أتوا بإثبات مجمل ونفي مفصل؛ فإذا أرادوا أن ينفوا النقائص عن الله يأتون بالتفصيل، فيقولون: ليس بذي جثة، وليس بذي أعضاء، وليس بلون، ولا رائحة، ولا طعم، ولا كذا، ولا كذا، ولا لحم، ولا دم، ولا عِرْق، إلى آخره. فهم يفصّلون في نفي النقائص والعيوب.

أما الإثبات فإنهم يأتون فيه بإثبات مُجْمَل؛ فعكسوا بهذا ما دل عليه الكتاب والسنة، وهذا النفي المفصل مع كونه مخالفًا للكتاب والسنة ففيه

إساءة أدب مع الله - عز وجل -؛ فإن الأدب والكمال أن تنفي النقائص إجمالًا ولا تعددها؛ فمثلًا - ولله المثل الأعلى - لو أراد إنسان أن يمدح أميرًا، أو مَلِكًا، أو رئيسًا فيقول له: أنت لست بخياط، ولست بحجام، ولست بأعور، ولست بكذا؛ فهذا المادح يؤدَّب ويعزَّر وإن كان صادقًا؛ لأنه أساء المدح، فبدلًا من أن يمدح صار يذم وهو لا يشعر، وإن كان في ذلك كله صادقًا.

وإنما الكمال أن تأتي بالنفي المجمل؛ فتقول: أنت لست مثل أحد من رعيتك، بل أنت أعلى وأجل وأكمل، فهذا يكون مدحًا؛ وإذا كان هذا في حق المخلوق؛ فهو في حق الخالق أولى.

وقد يأتي النفي مفصلًا للرد على أهل البدع[1]، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ [الإخلاص: ٣]؛ للرد على الكفرة الذين نسبوا الولد إلى الله، فينبغي للمسلم أن يعلم ما دل عليه الكتاب والسنة، وأن يحذو حذوهما، وأن يحذر طريقة أهل البدع.

---

(١) انظر لتقرير هذه القاعدة الجليلة «مجموع الفتاوى» (٢/ ٤٧٨- ٤٧٩)، و (٦/ ٣٧، ٦٦، ٥١٥)، و(١١/ ٤٨٠)، و (٢٠/ ١١١، ١٢٦)، و«منهاج السنة» (٢/ ١٥٦- ١٥٧، ١٨٥، ٥٦٢)، و«درء التعارض» (٥/ ١٦٣)، (٦/ ٣٤٨)، و«الصفدية» (١/ ١١٦)، و«الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٠٩).

كلمة التوحيد لا إله إلا الله

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ (وَلا إِلَهَ غَيْرُهُ):

الشرح

هذه هي كلمة التوحيد التي بعث الله بها المرسلين، وأنزل الله من أجلها الكتب، ولأجلها خلق الخلق، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، وقد أخبر الله تعالى عن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]؛ فقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦] هذا هو النفي، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٧] هذا هو الإثبات.

فإثبات التوحيد إنما هو بالنفي والإثبات المقتضي للحصر.

ولهذا لما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، قال بعدها: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]؛ لأن الإثبات وحده يتطرق إليه الاحتمال؛ فقد يخطرُ خاطرٌ شيطاني فيقول قائلٌ: إذا كان إلهنا الله، فهل لنا إله غيره؟

ولهذا قال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ثم قال بعدها: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

فليس هناك توحيد إلا بنفي وإثبات؛ وذلك التوحيدُ لا يكون إلا بكفرٍ وإيمانٍ، يعني: كفرًا بالطاغوت، وإيمانًا بالله عز وجل؛ فـ(لا إله)؛ هذا كفرٌ بالطاغوت، و(إلا الله)؛ هذا إيمانٌ بالله؛ ولذلك نقول: التخلية ثم التحلية.

و(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ): (لا) نافية للجنس، و(إله) اسمها، والخبر محذوف، والتقدير: (لا إله حق إلا الله)، والإله معناه: المعبود، أي: لا معبود بحق إلا الله.

وهذه الكلمة كلمة التوحيد لا تنفع صاحبها إلا بتحقيق شروطها التي دلت عليها النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ ومنها:

العلم المنافي للجهل:

قال سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

ولهذا قال البخاري رحمه الله في «صحيحه»: (بابٌ: العلم قبل القول والعمل)، ثم استشهد بهذه الآية. ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال - سبحانه -: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [الزخرف: ٨٦].

فلا بد من أن تعرف الشيء الذي تنفيه، والشيء الذي تثبته، فلا إله إلا الله تنفي الألوهية عن غير الله وتثبتها لله؛ فهي تنفي جميع أنواع العبادة لغير الله وتثبتها لله - عز وجل -، والعبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهي كل ما أمر به الشرع ونهى عنه الشرع.

فكل ما أمر به أَمْرَ إيجاب أو استحباب؛ لا بد أن يُمتثل، وكل ما نهى عنه نَهْيَ تَحريمٍ أو تنزيه؛ لا بد أن يُترك، هذه هي العبادة؛ طاعة لله، وإخلاص له.

اليقين:

فلا بد أن يقولها عن يقين منافٍ للشك والريب، فإن قالها وعنده شك وتردد في أن الإله المعبود بحق هو الله ﷻ فلن تنفعه هذه الكلمة.

الصدق:

فلا بُدَّ لقائلها من الصدق المنافي للنفاق؛ فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وقلوبهم مكذِّبة، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٨]، أي: يقولون ذلك بألسنتهم، ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] أي: بقلوبهم، وقال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١].

الإخلاص:

فلا بُدَّ لقائلها من الإخلاص المنافي للشرك. فإذا قال: «لا إله إلا الله» ولم يخلص أعماله لله؛ بطلت هذه الكلمة وانتقضت؛ فالشرك ينقضها ويحبط جميع الأعمال. قال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

ومثال ذلك: كمن توضأ وأحسن الوضوء، وتطهر وأحسن الطهارة، ثم أحدث، كأن خرج منه بول أو غائط أو ريح؛ فهذا قد بطلت طهارته، فكذلك كلمة التوحيد إذا قالها عن غير إخلاص؛ صار في عمله شرك .

المحبة لها ولأهلها:

فلا بُدَّ له من المحبة لهذه الكلمة ولأهلها، والسرور بذلك.

الانقياد:

فلا بُدَّ له من الانقياد لحقوقها؛ بفعل الواجبات، وترك المحرمات.

القبول:

ولا بد له أيضاً من القبول المنافي للترك؛ فقد يقولها بعض الناس، لكن لا يقبلها مِمَّنْ يَدْعُونَ إليها؛ تعصبًا وتكبرًا، فهذا لا تنفعه هذه الكلمة.

فإذا وُجدت هذه الشروط؛ فإن هذه الكلمة تكون صحيحة، وقد قالها قائلها عن تحقيق، أما مَن قالها مع فقدان هذه الشروط؛ فإنها لا تنفعه.

كذلك: لا بد أن يوحد الله في ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته، وفي ألوهيته وعبادته كما سبق؛ فإن أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة، وكلها مطلوبة، فمَنْ لم يأت بنوع من هذه الأنواع؛ فلا يصح التوحيد منه؛ ومن لم يوحد الله في ربوبيته فهو كافر ولو زعم أنه عابد، ولا يمكن أن يعبد الله وهو لا يوحده في ربوبيته؛ كذلك: من زعم أنه يوحد الله في أسمائه وصفاته، ولكنه لم يوحد الله في عبادته؛ لم يكن موحدًا، وهكذا.

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ أي: أنَّ مَنْ عَبَدَ الله، وأخلص التعلق بالله - عز وجل -؛ فلا بد أن يكون قد وحَّد الله في ربوبيته؛ لأنه إنما عَبَدَ الله؛ لاعتقاده أن الله هو الخالق، الرازق، المدبر، المحيي، المميت، الذي بيده النفع والضر.

أما توحيد الربوبية فإنه مستلزم لتوحيد الألوهية؛ أي: أنَّ مَن وحَّد الله

في ربوبيته، واعتقد أن الله هو الخالق، الرازق، المدبر، المحيي، المميت، فإن هذا الاعتقاد وهذا التوحيد، يوجب له أن يوحد الله في ألوهيته.

لكن ليس كل فرد يلتزم بما لزمه؛ فإن الدلالات عند العلماء من أهل الأصول لها ثلاثة أنواع[1]:

١- دلالة التضمن: وهي دلالة الشيء على جزء معناه أو على بعض معناه.

٢- دلالة الالتزام: وهي دلالة الشيء على خارج معناه.

٣- ودلالة المطابقة: دلالة الشيء على جميع معناه .

فمثلًا مَن عَبَد الله؛ فإنه وحَّد الله في ربوبيته، ووحد الله في ألوهيته، فتكون دلالة توحيد العبادة دلالة مطابقة، لأنه دل على جميع معناه؛ لأن توحيد العبادة يشمل أمرين: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.

ودلالة توحيد العبادة على توحيد الربوبية دلالة تضمن؛ لأنه يدل على جزء معناه، فتوحيد الربوبية جزء من معنى توحيد الألوهية.

أما دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية فهي دلالة التزام؛ لأنه خارج عن معناه؛ مثل دلالة التوبة على التائب؛ فالتوبة غير التائب، ودلالة الوالد على الولد؛ فالولد غير الوالد لأنه شيء خارج عنه؛ فتوحيد الربوبية غير توحيد الألوهية .

وبعض أهل الكلام كالأشاعرة وغيرهم أخطؤوا في تقدير الخبر المحذوف من كلمة التوحيد، فقالوا: «لا إله موجود إلا الله»، وفسروا الإله

---

(١) انظر: «الإحكام» للآمدي (١/٣٦، ٣٧)، و«آداب البحث والمناظرة» (ص١٣).

بالخالق، وهذا خطأ، لأنه لو كان المعنى: لا خالق إلا الله؛ لما حصل نزاع بين النبي ﷺ وكفار قريش، ولما حصل نزاع بين الرسل وأممهم، لأن الأمم يُقِرُّونَ بأنه لا خالق إلا الله.

فلا يتبين عظمة هذه الكلمة إلا بتفسير (الإله) بالمعبود، فتقدير الخبر المحذوف «بحق»؛ هو الصحيح، فيكون المعنى: لا معبود بحق إلا الله؛ وبهذا يتبين عظمة هذه الكلمة؛ لأن الآلهة موجودة، ولكنها آلهة باطلة، وإنْ عُبِدَتْ؛ فبالباطل، قال سبحانه: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠١]، فهم لهم آلهة، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١-٦].

فاليهود لهم معبود؛ وهو العُزَيْرُ، والنصارى لهم معبود؛ وهو المسيح، والكافرون يعبدون الأصنام والأوثان؛ وجميع الكفرة لهم معبودات لكنها باطلة، لكن المعبود بحق هو الله، وما سواه فهو باطل، قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

فالكفار لهم دين، لكنه دين باطل؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ٦]، وحكى الله عن أهل الكتاب أنهم قالوا: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]، فلهم دين لكنه دين باطل، والدين الحق هو دين الإسلام؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

فتفسير الإله بالخالق؛ تفسير باطل؛ لأنه لو كان الإله هو الخالق؛ لما حَصَلَ خلاف وقتال بين الأنبياء وبين أممهم.

صفتا القدم والبقاء

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (قَدِيمٌ بِلا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلا انْتِهَاءٍ):

الشرح

(قديمٌ): قوله: كلمة «القديم» لم ترد في أسماء الله، وإنما أحدثها أهل الكلام، إنما الذي ورد «الأول» و «الآخر»، وهما اسمان لأزلية الله وأبديته، فلما رأى الطحاوي هذا؛ قيده فقال: (قَدِيمٌ بِلا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلا انْتِهَاءٍ): فـ«قديم بلا ابتداء» تساوي اسمه «الأول»، و «دائم بلا انتهاء» تساوي اسمه «الآخر».

وأهل السنة والجماعة لا يسمون الله بأنه «القديم»؛ لأن الأسماء والصفات توقيفية؛ أي: أننا نقف على ما ورد في الكتاب والسنة فنثبته لله، وما ورد في الكتاب والسنة نفيًا عن الله؛ فإنَّا ننفيه عن الله.

وما لم يرد في الكتاب والسنة نفيًا ولا إثباتًا فنتوقف في إطلاقه: مثل الجسم، والحيز والعَرَضِ[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام: «الألفاظ التي تنازع فيها من ابتدعها من المتأخرين، مثل لفظ «الجسم» و«الجوهر» و«المتحيز» و«الجهة» ونحو ذلك، فلا تُطلق نفيًا ولا إثباتًا، حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنى صحيحًا موافقًا لما أخبر به الرسول، صُوِّب المعنى الذي قصده بلفظه، ولكن ينبغي أن يعبر عنه بألفاظ النصوص، لا يُعدل إلى هذه الألفاظ المبتدعة المجملة إلا عند الحاجة، مع قرائن تبيّن المراد بها، والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، وأما إن أريد بها معنى باطل، نُفي ذلك المعنى، وإن جُمع بين حق وباطل، أثبت الحق وأبطل الباطل». «منهاج السنة» (٢/ ٥٥٤)، وانظر (٢/ ٦١١). وانظر «الدرء» (١/ ٢٢٣)، و(٢٢٩، ٢٤٢)، و«الفتاوى» (٥/ ٢٢٩)، و(٦/ ٣٦، ١٦/ ٤٢٦، ١٧/ ٣٠٤).

فقول الطحاوي: «قديم، ودائم»، فهذا ليس من الأسماء[١].

وليس لنا حاجة بها، وإنما نكتفي بما ورد في الكتاب والسنة، فنقول: الله الأول والآخر؛ كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③﴾ [الحديد: ٣]، وثبت في «صحيح مسلم» الدعاء المشهور أن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ**»[٢].

هذا الحديث فيه: إثبات أربعة أسماء لله - عز وجل -: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وهذه الأسماء الأربعة؛ كل اسمين منها

---

(١) قال الشيخ ابن باز في تعليقه على الطحاوية: «هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله الحسنى، كما نبه عليه الشارح رحمه الله وغيره، وإنما ذكره كثير من علماء الكلام، ليثبتوا به وجوده قبل كل شيء، وأسماء الله توقيفية لا يجوز إثبات شيء منها إلا بالنص من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة، ولا يجوز إثبات شيء منها بالرأي، كما نص على ذلك أئمة السلف الصالح ولفظ القديم لا يدل على المعنى الذي أراده أصحاب الكلام؛ لأنه يقصد به في اللغة العربية: المتقدم على غيره، وإن كان مسبوقا بالعدم، كما في قوله: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، وإنما يدل على المعنى الحق بالزيادة التي ذكرها المؤلف وهو قوله: (قَدِيمٌ بلا ابتداء)، ولكن لا ينبغي عدّه في أسماء الله الحسنى؛ لعدم ثبوته من جهة النقل، ويغني عنه اسمه سبحانه الأول، كما قال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] الآية. والله ولي التوفيق».

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

متقابلان؛ فالأول والآخر: متقابلان، والظاهر والباطن: متقابلان.

فالأول والآخر: اسمان لأزليته وأبديته؛ ولهذا فسَّرها النبي ﷺ في هذا الحديث فقال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**»(١).

والظاهر والباطن: اسمان لعلوه وفوقيته، فلا يحجبه شيء من المخلوقات؛ ولهذا قال: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»، فهو الظاهر؛ لأنه ﷻ فوق السموات، وفوق العرش مستو على عرشه بائن من خلقه.

وهو الباطن الذي لا يحجبه شيء من المخلوقات، يرى كل شيء، ويبصر كل شيء ﷻ، ولا يخفى عليه شيء من خلقه؛ من أعمالهم وسكناتهم وحركاتهم. ووصْفُ الله بالأول والآخر معلوم مستقر في الفِطَر؛ فإن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعًا للتسلسل؛ فإننا نشاهد حدوث الحوادث من النبات والحيوان والمعادن، وحوادث التحول وغيرها.

وهذه المخلوقات ليست ممتنعة؛ لأن الممتنع لا يمكن أن يوجد؛ وهي قد وُجدت، وليست واجبة الوجود لذاتها؛ لأنها كانت معدومة ثم وُجدت فدل على أن وجودها جائز ليس ممتنعًا؛ لأنها وُجدت، والممتنع لا يوجد.

وهذا المخلوق الذي يوجد بعد أن كان معدومًا لا بد له من موجد يوجده، وإلا بقي معدومًا؛ كما قال سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ

---

(١) هو قطعة من الحديث السابق

﴿ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٥]، أي: حدثوا من غير شيء أم هم أحدثوا أنفسهم؟

وأما اسم «القديم» فمع أنه لم يرد في الكتاب والسنة إلا أنه لا يفيد التقدم على كل شيء، وإنما يفيد التقدم تقدمًا نسبيًّا؛ كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، فالعرجون القديم لا يسمى قديمًا إلا إذا وجد العرجون الجديد، لكنه ليس متقدمًا على كل شيء.

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٦]، و﴿ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ مبالغة في القديم؛ وقال سبحانه: ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١]، ومنه سُمِّيت قَدَمُ الإنسان قَدَمًا؛ لأنها تتقدم بدن الإنسان؛ والفعل يأتي متعديًا ولازمًا؛ يقال: أخذني ما قدم وما حدث، ويقال: قَدُمَ هذا يَقْدُمُه يعني يتقدمه، وقال سبحانه في فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [هود: ٩٨]؛ أي: يتقدمهم في النار.

ومنه: قول «القديم والجديد في الشافعي»؛ فالقول القديم: ما أخذ به في العراق؛ والقول الجديد: ما أخذ به في مصر، فسمي القديم بالنسبة للقول الجديد.

فالمقصود: أن كلمة القديم لا يراد بها التقدم على كل شيء، وإنما تفيد التقدم النسبي، بخلاف الأول كما تقدم.

ولا يرد على هذا: كون الجنة والنار باقيتين، وكون الناس إذا بُعِثوا يبقون؛ لأن وجودهم إنما بإيجاد الله لهم؛ ولأن بقاءهم بإبقاء الله لهم.

الإقرار بدوام بقائه سبحانه وتعالى

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (لا يَفْنَى وَلا يَبِيدُ):

الشرح

قوله: (لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ)

أي: الله ﷻ؛ وهذا تأكيد لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وتأكيد لقول المؤلف: «قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ».

فالله سبحانه وتعالى لا يفنى ولا يبيد؛ فهو ﷻ الباقي؛ أي: الذي لم يزل ﷻ ولا يزال ولا يتطرق إليه الفناء، ولا التغير، ولا البلاء؛ لأن حياته كاملة ﷻ فهو الحيُّ القيوم.

والفناء والبَيْد متقاربان؛ فهذا تأكيد لكونه ﷻ هو الأول، وهو الآخر، وهو الحيُّ القيوم الذي لا يتطرق إليه ضعف، ولا نوم، ولا سِنَة؛ لأنه كامل - سبحانه وتعالى- بخلاف المخلوق فإنه يفنى، ويبيد، ويزول، ويضعف، ويمرض، ويتفرق، ويموت، أما الله ﷻ فهو الموصوف بصفات الكمال الذي لا يتطرق إليه نقص في وجه من الوجوه.

كل ما يحدث في الكون فهو بإرادته سبحانه

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلا يَكُونُ إلا مَا يُرِيدُ):

الشرح

هذا فيه إثبات الإرادة، وكل ما يكون في هذا الكون فالله أراده؛ لأنه لا يقع في ملك الله إلا ما يريد؛ لأن الله هو المالك، المدبِّر، المسيِّر، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد من الذوات والصفات والأفعال.

وأراد الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ أن يرد على القَدَرية[1] من المعتزلة الذين يقولون: إنه يقع في ملك الله شيء لا يريده الله، وإن الله تعالى أراد الإيمان من الناس كلهم، ولكن الكافر والعاصي أرادا الكفر والمعصية، فوقع الكفر، والله لا يريد الكفر، ووقعت المعاصي، والله لا يريد المعاصي.

فألزمهم أهل السنة والجماعة بأنه إن يقع في ملك الله ما لا يريد؛ فهذا يلزم مِنه تَنَقُّص الرب عز وجل، وأهل السنة والجماعة يقولون: إن الله تعالى وإن كان أراد وقوع الكُفْر والمعاصي كونًا وقدرًا، لكنه لا يريدها دينًا وشرعًا، ولا يحبها، ولا يرضاها، ولا يأمر بها، بل ينهى عنها، ويبغضها، ويسخطها، ويكرهها.

---

(١) سموا بذلك؛ لقولهم في القدر، وهم يزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعله استقلالًا فأثبتوا خالقًا مع الله، ولذا سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس قالوا بإثبات خالقَيْن: النور والظلمة، وهم يزعمون أن الله [illegible] يقدر على مقدورات غيره، وهذا هو مذهب المعتزلة في القدر. انظر: «الملل [illegible]حل» (١/ ٥٤)، و«البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان» (٢٦، ٢٧)، و«عون المعبود» للعظيم أبادي مع شرح ابن القيم (١٢/ ٤٥٢، ٤٥٣).

ولهذا يقسم أهل السنة والجماعة الإرادة إلى قسمين:

الأول: إرادة كونية، قَدَرية، خَلْقية.

الثاني: إرادة دينية شرعية أمْرية.

فالأولى: ترادف المشيئة؛ وهي مشيئته الشاملة لجميع الموجودات والحوادث.

والإرادة الثانية: متضمنة للمحبة والإرادة، ولكل نوع من النوعين أدلة من الكتاب العزيز ومن السنة(١).

فمن أدلة الإرادة الكونية القَدَرية الخَلْقية: قول الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فهذه إرادة كونية قدرية، فمن أراد الله أن يهديه للإسلام شرح صدره، ومن أراد أن يضله جعل صدره ضيقًا حرجًا.

ومن الأدلة: قول الله تعالى عن نوح -عليه الصلاة والسلام- أنه قال لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٤]، فهذه إرادة كونية؛ فقوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]؛ يعني: كونًا وقدرًا.

ومن الأدلة قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

أما أدلة الإرادة الدينية والشرعية فمنها: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٣/ ١٨٠-١٨٣)، و(٥/ ٣٦٠، ٤١٤، ٤١٣)، و(٧/ ٧٢، ٧٣)، و«مدارج السالكين» (١/ ٢٦٤-٢٦٨)، و«شفاء العليل» (٢/ ٧٦٧).

بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ يعني: دينًا وشرعًا، وقول الله عز وجل: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٦-٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فأهل السنة والجماعة جمعوا بين النصوص فقسَّموا الإرادةَ إلى قسمين، ولم يقسموها مِن عند أنفسهم، إنما أخذوا هذا من النصوص.

فالإرادة الكونية القَدَرية هي المذكورة في قول المسلمين: (ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن).

وأمَّا الإرادة الدينية الشرعية؛ فهي مذكورة في قول الناس: (هذا يفعل ما لا يريده الله)؛ أي: يفعل ما لا يحبه الله؛ ولهذا لو قال الإنسان: والله لأفعلن كذا - إن شاء الله - ثم لا يفعل لا يحنث، حتى ولو كان الذي لم يفعله واجبًا أو مستحبًّا؛ فلو قال: والله لأصلينَّ الضحى - إن شاء الله - ثم لم يصل: لا يحنث؛ لأنه تعلق بالمشيئة، لكن لو قال: والله لأصلينَّ الضحى إن أحب الله؛ ثم لم يصل، فعليه كفارة يمين؛ لأن الله يحب أن يصلي الضحى.

أما المعتزلة والقَدَرية فما عندهم إلا إرادة واحدة، وهي الإرادة الدينية الشرعية، فهذه هي التي أثبتوها، لكنهم عَمُوا عن الإرادة الكونية فضلّوا سواء السبيل.

والجبرية[١] ليس عندهم إلا إرادة واحدة، وهى الإرادة الكونية؛ وأنكروا الإرادة الدينية الشرعية فضلّوا أيضًا .

وأهل السنة والجماعة: أخذوا أدلة القدرية والمعتزلة التي يثبتون فيها الإرادة الدينية الشرعية وقالوا: هذه حق، وأخذوا الأدلة التي أثبتها الجبرية في الإرادة الكونية وقالوا: هذه حق، وقالوا: كل شيء في هذا الوجود أراده الله كونًا وقَدَرا؛ الكفر والمعاصي وغيرها، ولكن له الحكمة البالغة في ذلك، لكنه لا يريد الكفر والمعاصي دينًا وشرعًا، ولا يحبها بل يبغضها وينهى عنها، ومن حِكَمِه وأسراره من إيجاد الكفر والمعاصي: ظهورُ قدرة الله على إيجاد المتقابلات والمتضادات، فالكفر يقابل الإيمان، والمعصية تقابل الطاعة؛ كما أن الليل يقابل النهار.

ومنها: ظهور العبوديات المتنوعة كعبودية الجهاد في سبيل الله، وعبودية الولاء والبراء، وعبودية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فلو لم يكن هناك كفر ولا كفار ولا عصاة، فكيف تكون هناك عبودية الجهاد في سبيل الله؟ وعبودية الولاء والبراء؟ وعبودية الحب في الله والبغض في الله؟ وهكذا؟

ومنها: انقسام الناس إلى شقي وسعيد، وإلى مؤمن وكافر؛ ولأن الله

---

(١) سموا بذلك نسبة إلى الجبر، فهم يقولون: إن العبد مجبور على فعله فهو كالريشة في مهب الريح ليس له إرادة ولا قدرة على الفعل، وممن قال بهذا الجهم بن صفوان. وهم أصناف: الجبرية الخالصة وهي التي لا تثبت للعبد فعلًا، ولا قدرة على الفعل أصلًا.
والجبرية المتوسطة: وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة. انظر: «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (١٠٣)، و«الملل والنحل» (١/١٠٨)، و«رسالة في الرد على الرافضة» (١٦٩، ١٧٠).

تعالى خلق للجنة أهلها ووعدهم بها، وخلق للنار أهلها ووعدهم بها.

وفي الحديث أن الله قال للجنة: «**أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ من عبادي، وَقَالَ للنار: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ من عبادي، وَلِكُلِّ واحدةٍ منكم مِلْؤُهَا...**»[1].

فهذه حِكَمْ وأسرار قدَّرها الله تعالى لا لذاتها؛ بل لما يترتب عليها من الحِكَم، وكون الكفر والمعاصي يسببان ضررًا على الأشخاص الذين قدّر عليهم، فهذا ضرر نسبي لا يضاف إلى الله، والذي يضاف إلى الله إنما هو الخَلْق، والإيجاد، والتقدير.

وهذا الخلق والإيجاد مبني على الحكمة؛ فلا يسمى شرًّا بالنسبة إلى الله، ولكن يسمى شرًّا بالنسبة إلى العبد الذي أضره وأساء إليه، أما بالنسبة إلى الله فلا يضاف إليه إلا الخلق والإيجاد والتقدير، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[2].

فالمقصود: أن قول المصنف رحمه الله: (وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ) يبين معتقدات أهل السنة والجماعة في إثبات الإرادة الكونية الشاملة والرَّد على المعتزلة الذين أنكروا الإرادة الكونية القدرية، وأنهم ضلوا بذلك؛ كما أن

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي رضي الله عنه، وورد هذا الحرفُ أيضاً من حديث حذيفة رضي الله عنه، عند النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٩٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٠٠)، والبزار في «مسنده» (٢٩٢٦)، والطيالسي في «مسنده» (٤١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٨)، واللالكائي في «السنة» (٢٠٨٦)، وابن منده في «الإيمان» (٢/ ٨٧٢). وصححه، والحاكم (٢/ ٣٩٥- تحقيق: مصطفى عبدالقادر). وصححه الحاكم، والحافظ ابن حجر كما في «فتح الباري» (٨/ ٣٩٩).

الجبرية أنكروا الإرادة الشرعية، وضلوا في عدم إثباتهم الإرادة الدينية الشرعية .

وهدى اللهُ أهلَ السنة والجماعة: فأثبتوا الإرادة بنوعيها، وعملوا بالنصوص من الجانبين ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البَقَرَة: ٢١٣]. أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم.

معرفة البشر ربهم بأسمائه وصفاته وعجزهم عن الإحاطة بكنهه وحقيقته

◆ **قَالَ المُؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللهُ: **(لا تَبْلُغُهُ الأَوْهَامُ، وَلا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ):**

الشرح

الأوهام: جمع وَهْم وهو الظن، والأفهام: جمع فَهْم وهو العلم، ولهذا يقول أهل اللغة: توهمتُ الشيء: ظننتُه، وفَهِمت الشيء: عَلِمتُه.

والمعنى: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يبلغه الوَهْم، ولا يحيط به علمٌ؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]؛ أي: لا يعلمون كنهه وحقيقته، وإنما يعلمونه بأسمائه وصفاته، لا كما يرونه يوم القيامة، وهذا يدل على كماله وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

تنزيه الله عن مشابهة مخلوقاته

◆ قَالَ المؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلا يُشْبِهُ الأَنَامَ):

الشرح

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يشبهه أحدٌ من الأنام، والأنام: هم الناس، وهذا المعنى هو الأقرب والأفضل؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝﴾ [الرَّحمٰن: ١٠]، وقيل: المراد بهم الثقلان الجن والإنس، وقيل: المراد بهم كل ذي روح، والمعنى: لا يشبه أحدًا من خلقه.

وأراد المصنف: الرد على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، ويغلون في الإثبات؛ فيقول أحدهم: عِلْم الله كعلم المخلوقين، وقدرته كقدرتهم، وسمعه كسمعهم، واستواؤه كاستوائهم.

وهذا هو مذهب المشبهة، والغالب أن المشبهة من غلاة الشيعة، وأول من قال إن الله جسم: هشام بن الحكم الرافضي(١)، وبيان بن سِمْعان التميمي(٢) الذي تنسب إليه البيانية من غالية الشيعة؛ وكان يقول: إن الله

---

(١) هو هشام بن الحكم البغدادي الكندي هشام بن الحكم الشيباني بالولاء، الكوفي، أبو محمد. ولد بالكوفة، ونشأ بواسط، وسكن بغداد. متكلم مناظر، كان شيخ الامامية في وقته، وهو من الشيعة الإمامية الذين غالوا في التجسيم والتشبيه، وإليه تنسب فرقة الهشامية. توفي بعد نكبة البرامكة ١٨٧هـ بمدة يسيرة، وقيل: بل في خلافة المأمون ١٩٨هـ- ٢١٨هـ. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٦٤-١٦٦)، و«الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي (١٩، ٣٤، ٤١، ٤٢، ٦٧، ١٣٩)، و«الأعلام» للزركلي (٨/ ٨٥).

(٢) بيان بن سمعان النهدي التميمي، ظهر بالعراق بعد المائة. وزعم أن معبوده إنسان من نُورٍ على صورة الإنسان في أعضائه، وأنه يفنى كله إلا وجهه، وهو من الغلاة =

على صورة الإنسان.

ومِن المشبهة هشام بن سالم الجَوَاليقي(١)، وداود الجَوَاربي(٢)؛ ومذهبهم الغلوُّ في الإثبات حتى أدخلوا في ذلك ما نفاه الله ورسوله.

حتى أثبتوا أنَّ الله يُرى في الدنيا بالأبصار، وأنه يُصَافِح ويعانِق، ويحاضَر ويسامَر، وينزل عشية عرفة على جَمَل، وقال بعضهم: إنه يندم ويحزن ويبكي -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا- شابهوا اليهود في هذا، وهؤلاء ما قدروا الله حق قدره، قال ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

وثبت في الحديث الصحيح: **«أَنَّ اللهَ يَضَعُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ خَلْقِهِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ بِيَدِهِ فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟»**(٣).

= القائلين بإلهية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وتنسب إليه فرقة البيانية. قتله خالد بن عبد الله القسري. انظر عنه وعن فرقته «المقالات» للأشعري (١/ ٩٥)، و«الملل والنحل» (١/ ١٣٦)، و«الفرق بين الفرق» (٢٧، ١٣٨، ١٤٥، ١٤٦، ١٦٣).

(١) هشام بن سالم الجواليقي الجعفي العلاف، من الإمامية المشبهة.

(٢) قال ابن حجر في «لسان الميزان» (٢/ ٤٢٧): «رأس في الروافض والتجسيم من مرامي جهنم قال أبو بكر بن أبي عوف: سمعت يزيد بن هارون يقول: الجواربي والمريسي كافران»، وقال السمعاني في «الأنساب» (٥/ ٦٤٣) بعدما ذكر هشام الجواليقي: «وعنه أخذ داود الجواربي قوله: إن معبوده له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية». انظر: «الملل والنحل» (١/ ١٦٧)، و«الفرق بين الفرق» (١٤٠)، و«تلبيس إبليس» لابن الجوزي (٨٧).

(٣) أخرجه بنحوه البخاري (٧٥١٣)، وسائر المواضع في البخاري لم يرد فيه قوله: «يهزهن» إلّا في الموضع هذا المحال إليه، وأخرجه بنحوه أيضاً: مسلم (٢٧٨٦)؛ =

وفي الحديث: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضون السَّبْعُ فِي يَدِ الله إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»(١)، ومعلوم: أن الإنسان إذا كان في يده خردلة؛ فهو مسيطر عليها؛ مستو عليها، إن شاء قبضها، وإن شاء جعلها تحته، فكيف يقول هؤلاء الكفرة: إن الله ينزل عشية عرفة على جَمَل، وتكون السماء فوقه والأرض تحته؟ -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا - .

والتشبيه مذهب باطل قد جاءت النصوص بنفيه وإبطاله، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، ومن شبَّه الله بخلقه -واعتقد أن الله يشبه المخلوقات- فهو في الحقيقة لم يعبد الله على الحقيقة، وإنما يعبد وثنًا صَوَّرَهُ خيالُه، ونحته له فِكْرُه؛ فهم من عباد الأوثان، لا من عباد الرحمن.

ومَن شبَّهَ الله بخلقه فقد شابه النصارى؛ وكما أن الله لا يشبه أحدًا من خلقه، فهو لا يشبهه أحدٌ من خلقه، ومذهب المشبهة عكس مذهب النصارى؛ فالمشبهة شبهوا الله بخلقه وقالوا: إن صفة الله كصفة المخلوق؛ والنصارى شبهوا المخلوق بالخالق، فقالوا: إن عيسى ابن الله؛ فالنسبة بين المشبهة والنصارى عكسية، وكلٌّ منهما مشبهة.

قال نُعيم بن حماد شيخ البخاري رَحِمَهُ اللهُ: «من شبه الله بخلقه فقد كفر،

= كلاهما من حديث ابن مسعود، رضي الله عنه، إلى قوله: «أنا الملك»، أما باقي لفظه فهو من حديث أبي هريرة في حديث آخر أخرجه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٢٤)، من طريق أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، موقوفاً.

ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه، ولا رسوله؛ تشبيهاً»[١].

قال إسحاق بن راهويه الإمام المشهور: «مَن شبه الله بخلقه فقال: إن الله يشبه أحدًا من خلقه في صفاته فهو كافر بالله العظيم، أو كما ورد عنه رحمه الله»[٢].

وبهذا يتبين: أن المشبهة كفار، وأن غالبهم من غلاة الشيعة - نسأل الله السلامة والعافية -.

---

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» رقم (٤٦٤)، وفي «السير» (١٠/ ٦١٠)، وقال في «السير» (١٣/٢٩٩): «وما أحسن قول نُعيم بن حماد الذي سمعناه بأصح إسناد...» ثم ذكره غير أنه لم يُسندْهُ. وهو في «شرح السنة» للالكائي رقم (٩٣٦).

(٢) انظر: «شرح السنة» للالكائي رقم (٩٣٧)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص١١٧).

حي لا يموت قيوم لا ينام

◆ قَالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ):

الشرح

● قوله: (حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ):

فيه إثبات هذين الاسمين للرب تبارك وتعالى؛ فالحي: اسم من أسماء الله عز وجل، والقيوم: اسم آخر.

والحي: متضمن لصفة الحياة، والقيوم: متضمن لصفة القيومية؛ لأن أسماء الله تبارك وتعالى مشتقة ليست جامدة، وكل اسم من أسماء الله يدل على الصفة؛ فالرحمن: تدل على صفة الرحمة، والقادر: يدل على صفة القدرة، والعليم: يدل على صفة العلم، وهكذا؛ لأن أسماء الله تعالى مشتملة على المعاني.

والحي والقيوم: اسمان عظيمان من أسماء الرب تبارك وتعالى قد جمع الله تبارك وتعالى بينهما في ثلاث آيات من كتابه عز وجل؛ الآية الأولى: قول الله تعالى في آية «الكرسي»: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والثانية: قوله تعالى في أول سورة آل عمران: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٢-٣]، والثالثة في سورة طه قوله سبحانه: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝١١١﴾ [طه: ١١١]؛ فالله تعالى جمع بينهما في هذه الآيات الثلاث، واسم الحي جاء في آيات أخرى كما في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥].
وهذان الاسمان عظيمان من أعظم أسماء الله الحسنى، حتى قال بعض

أهل العلم: إنهما اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وجاء هذا في حديث أسماء بنت يزيد: أن النبي ﷺ قال: «فِي هَاتيْنِ الآيَتَيْنِ اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ١-٢]»[1]، والحديث فيه ضعف ولكنه شاهد.

ولهذا قال بعض أهل العلم: إنهما اسم الله الأعظم، وما ذاك إلا لأن مدار الأسماء الحسنى كلها تعود إلى هذين الاسمين، وإليهما ترجع معانيها.

فصفة الحياة: ترجع إليها جميع صفات الأفعال، ولا يتخلف عنها إلا لضعف الحياة، والله تعالى له الحياة الكاملة، فجميع صفات الكمال ترجع إليها.

والقيوم الذي لا ينام: يدل على كمال غناه ﷻ الذي لا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، وهو أكمل مِن القديم؛ لأنه يدلُّ على كمال الرب، وكمال قوته واقتداره، ودوام ذلك واستمراره أزلًا وأبدًا، فهو القائم بنفسه المقيم لغيره ﷻ.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٦)، والترمذي (٣٤٧٨)، وابن ماجه (٣٨٥٥) من طريق عبيدالله بن أبي زياد القداح، عن شهر بن حوشب، عن أسماء، وشهر متكلم فيه، والحديث قال فيه الترمذي: «حسن صحيح»، وتعقّبه الحافظ فقال في «الفتح» (١١/ ٢٢٤): «وفيه نظر؛ لأنه من رواية شهر بن حوشب»، لكن له شاهد من حديث أبي أُمامة عند ابن ماجه (٣٨٥٦)، والحاكم (١/ ٦٨٤- تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، وغيرهما. والحديث الأول حَسّنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣١٢٣)، وحَسّن الثاني أيضاً في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧٤٦).

ويدل على أنه واجب بنفسه، وهو واجب الوجود؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ فنفي السِّنة والنوم يدل على كمال الحياة والقيومية؛ ولهذا كانت هذه الآية - آية الكرسي - أعظم آية في القرآن الكريم؛ كما ثبت ذلك في «الصحيح»[١]، وأنَّ مَن قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح[٢].

وكان النبي ﷺ كثيرًا ما يدعو ويتوسل إلى الله بهذين الاسمين؛ فهما اسمان عظيمان ثابتان لله عز وجل، متضمنان لصفة الحياة، والقيومية، ولذلك يعبّد بهما فيقال: عبدالحي، وعبدالقيوم.

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٠) من حديث أُبي بن كعب ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري (٢٣١١) من حديث أبي هريرة.

صفتا الخلق والرزق

◆ قال المؤلف رحمه الله: (خَالِقٌ بِلا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلا مُؤْنَةٍ):

الشرح

وهذان أيضًا اسمان من أسماء الرب، فمن أسمائه الخالق، ومن أسمائه الرازق، فهو خالق بلا حاجة إلى أحد؛ لأنه كامل سبحانه وتعالى.

وهو الغني عن كل ما سواه، وهو رازق بلا مَؤونة؛ أي: بلا ثقل وكلفة ومشقة، والأدلة على ذلك كثيرة؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝١٨﴾ [فاطر: ١٥-١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

وثبت في «صحيح مسلم» من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الطويل: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ

وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إنسانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ»[1]، أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

وهو حديث قدسي من كلام الله عز وجل، لفظًا ومعنى.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

من صفات الله الفعلية أنه يحيي ويميت

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ):

الشرح

يبين المؤلف أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يحيي ويميت، وأنهما صفتان من صفاته الفعلية.

فهو يميت من يشاء، إماتةً بلا مخافة من أحد؛ لأنه ليس فوقه أحد يخافه؛ كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حينما أهلك ثمود قوم صالح: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾ [الشمس: ١٤-١٥]، فهو لا يخاف من أحد تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهو الحكيم العليم، وهو الباعث: يبعث عباده؛ يحييهم ويعيد إليهم أرواحهم، ويبعث أجسادهم بعد إماتتهم؛ حينما يؤمر إسرافيل فينفخ في الصور؛ فتعود الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين؛ كما سيأتي في مبحث البعث .

والموت صفة وجوديةٌ؛ خلافًا للفلاسفة[1] ومَن وافقهم؛ فإنهم يقولون: هو صفة عَدَمية، والصواب: أن الموت صفة وجودية، والدليل على أنه صفة وجودية قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

---

(١) كلمة فلسفة تتكون من مقطعين: هما (فيلو) و(سوفيا). ومعنى (فيلو) في اليونانية: محب، و(سوفيا): الحكمة، فالفيلسوف هو محب الحكمة، ومذهبهم: أن العالم قديم، وعلّته مؤثرة بالإيجاب، وليست فاعلة بالاختيار، وأكثرهم ينكرون علم الله -تعالى-، وينكرون حشر الأجساد، ومن أشهرهم أرسطاليس. انظر: «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (١٤٥، ١٤٦)، و«الفصل في الملل والنحل» (١/ ٩٤)، و«الملل والنحل» (٢/ ١٥٥)، و(المعجم الفلسفي) (١٣٨-١٤٠).

أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [المُلك: ٢]، والمعدوم لا يوصف بكونه مخلوقًا؛ وثبت في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «يُؤْتَى بالمَوْت كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنادي مُنادٍ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرون، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذا؟ فيقولون: نَعمْ هذا الموتُ، وَكُلُّهُم قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادي: يا أَهل النار، فَيَشْرَئِبُّونَ، ويَنْظُرونَ، فيقولُ: هل تَعرِفُونَ هذا؟ فَيقولون: نَعَمْ؛ هذا الموتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذبَحُ، ثُمَّ يَقولُ: يَا أَهْلَ الجنة خُلُودٌ فلا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خلودٌ فلا مَوْت...»[1].

وهذا بعد إخراج عصاة الموحدين من النار. والموتُ وإن كان عَرَضًا إلا أن الله يقلبه عينًا؛ لأن الله على كل شيء قدير، والذي يُذبَح هو الموت لا المَلَك -كما يتوهمه بعض الناس- لكن الموت صفة وجودية جعلها الله بيد الملَك، وملَك الموت موكل به، والله على كل شيء قدير .

كما أن العمل الصالح يأتي الإنسان في قبره على صورة شاب حسن، والعمل القبيح يأتي على أقبح صورة، فالله تعالى يجعل عمله عينًا[2]، وكما

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠) واللفظ له، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) انظر ما أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٩٥) من حديث البراء بن عازب ﷺ، في حديث طويل، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن حديث البراء كما في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٩١): «... وهو في المسند وغيره بطوله، وهو حديث حسن؛ ثابت...». وقال ابن منده في «الإيمان» (٢/ ٩٦٥): «هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء...»، وأورده الإمام ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٥٧- ٥٨) من رواية الإمام أحمد، ثم قال: «... وهو صحيح صححه جماعة من الحفاظ»، وصححه الألباني ﷺ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٢١٩).

يأتي القرآن في صورة الرجل الشاحب اللون[١].

وكما أن الأعمال توزن يوم القيامة في الميزان يجعلها الله أعيانًا، وكما أن سورة البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة يظلّلان صاحبهما كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو صنفان من هذه الأصناف[٢]، وكما أن الأعمال الصالحة تصعد إلى الله؛ كما ثبت في القرآن الكريم: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وكما ثبت في الحديث الصحيح.

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٧٨١)، والدارمي (٢/ ٥٤٣)، وأحمد (٥/ ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٦١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٠٤٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٥٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٤٣)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢١)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٣٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٥٦، ٥٦٠، ٥٦٧ -طبع الهند)، وأبو عبيد القاسم بن سلّام في «فضائل القرآن» (ص ٣٦- ٣٧)، وغيرهم، من حديث عبدالله بن بُريدة عن أبيه، وبعضهم يرويه مطوّلاً، وبعضهم يختصره. والحديثُ حسَّنه الإمام ابن كثير في «التفسير» (١/ ٣٤- ٣٥) وساق له شواهد عن عدد من الصحابة. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٥٩) -بعد أن عزاه لابن ماجه وأحمد-: «ورجاله رجال الصحيح»؛ وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ١٢٦): «هذا إسنادٌ رجاله ثقات...».

(٢) رواه مسلم (٨٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٥٢ - تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، وأبو عوانة في «المسند» (٢/ ٤٨٥)، وابن حبان في «الصحيح» (١١٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣٩٥)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٥٤٣)، وعبدالرزاق في «المصنف» (٥٩٩١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٨ - تحقيق: طارق عوض الله)، وفي «الكبير» (٧٥٤٢، ٧٥٤٣، ٧٥٤٤، ٨١١٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٧) وغيرهم من حديث أبي أُمامة الباهلي ﷺ، وفي الباب عن غيره من الصحابة.

اتصاف الرب تعالى بصفات الكمال أزلًا وأبدًا

◆ **قَالَ المُؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شيئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا)**:

الشـرح

المعنى أن الله ﷻ لم يزل متصفًا بصفات الكمال -صفات الذات وصفات الفعل-، ولم يكن فاقدًا لشيء منها في وقت من الأوقات، فهو متصف بصفات الكمال قبل خلقه وبعد خلقه.

والصفات تنقسم إلى قسمين:

* صفات الذات.

* وصفات الأفعال.

وصفات الذات ضابطها: ألَّا تنفك عن الباري؛ كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر.

وصفات الأفعال ضابطها: أن تتعلق بالمشيئة والاختيار، كالنـزول، والاستواء، والإحياء، والإماتة، والقبض، والبسط، والرضا، والغضب، والكراهة، والسخط، إلى غير ذلك من صفات الأفعال.

وصفات الأفعال عند أهل العلم، وعند أهل الحكمة حقٌّ، ويقولون: إنها قديمة النوع حادثة الآحاد: ؛ أي: نوعها قديم وإن كانت حادثة، فمثلًا الكلام قديم النوع، لكن أفعاله حادثة، فالله تعالى يكلِّم رسله ويكلم أنبياءه ويكلم الناس يوم القيامة، ويكلم آدم، ويكلم أهل الجنة.

والرب ﷻ لم يزل متصفًا بصفاته، ولم تحدث له صفة من الصفات بعد خلقه؛ بل كان متصفًا بصفة الكمال أزلًا وأبدًا؛ لأن هذه الصفات صفات كمال، ولا يمكن أن يكون فاقدًا لهذا الكمال في وقت من الأوقات، ولأن فقدها نقص، ولا يمكن أن يتصف الرب بالنقص في أي وقت من الأوقات.

ولا يَرِدُ على هذا صفات الأفعال والصفات الاختيارية ونحوها مثل الكلام، والاستواء، والتصوير، والطيّ، والقبض، والبسط، والنزول، إلى غير ذلك؛ لأنها قديمة النوع حادثة الآحاد، وأراد المصنف رحمه الله الرد على أهل الكلام مثل الجهمية والمعتزلة، ومَن وافقهم من الشيعة الذين يقولون: إن صفات الأفعال كانت ممتنعة عن الرب ﷻ؛ أي أن الرب كان لا يتكلم ولا يفعل، وأن هناك فترةً خلا فيها عن الكلام والفعل؛ بل إن الكلام والفعل ممتنع عن الرب، ثم انقلب فجأة فصار الكلام والفعل ممكنًا، والإمكان معناه: القدرة على الشيء، والامتناع معناه: عدم إمكان وجود الكلام والفعل.

وكلامهم هذا من أبطل الباطل، ووافقهم عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب[1] والأشعري[2] في أن صفات الأفعال كذلك كانت ممتنعة، ثم صارت ممكنة

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كُلَّاب القطان المتوفى بعد سنة ٢٤٠هـ بقليل. عده الأشعري من متكلمي أهل السنة، وقال عنه ابن حزم: إنه شيخ قديم للأشعرية. انظر: «طبقات الشافعية» (٢/ ٢٩٩)، و«لسان الميزان» (٣/ ٢٩٠، ٢٩١)، و«الملل والنحل» (١/ ١٤٨)، و«مقالات الأشعري» (١/ ٢٩٨، ٢٩٩)، (٢/ ٥٢، ٥٤، ١١٢، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٣١)، و«الفصل» لابن حزم (٢/ ٢٨٩)، (٥/ ٧٧).

(٢) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل أبي موسى الأشعري، =

إلا الكلام.

والكلام عنده قديم متعلق بذات الرب لا يتعلق بقدرة ومشيئة، وهذا كلام باطل.

فما تقدمت حكايتهُ هو مذهب أهل الكلام وأهل البدع وأهل الباطل.

أما أهل السنة والجماعة فيقولون: إن الرب ﷻ لم يزل متكلمًا، ولم يزل فاعلًا إلى ما لا نهاية؛ لأن الرب فعّال، قال ﷻ ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠] ، وقال:﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ، وقال سبحانه: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧]، فهذه النصوص تدل على أن الرب فعّال، وكل حي فعّال، والفعل صفة كمال، فلا يمكن أن يكون فاقدًا لهذا الكمال في وقت من الأوقات.

وقال بعض أهل الكلام: لا بد من أن توجد فترة ليس فيها كلام ولا فعل، قالوا: لأننا لو قلنا إن الكلام متسلسل والفعل متسلسل فمعنى ذلك

= ولد سنة ٢٦٠هـ، وإليه ينسب مذهب الأشاعرة. كان مُعْتَزِلياً، ثم أشعريًا، ثم رجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات كما هو واضح من مؤلفاته، ومنها: «الإبانة عن أصول الديانة»، و«مقالات الإسلاميين»، و«إمامة الصديق». توفي سنة ٣٢٤هـ ببغداد. انظر: «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر (١٢٨-١٤٦)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٢١٠)، و«الإعلام» (٤/ ٢٦٣)، و«طبقات الشافعية» (٣/ ٣٤٧).

أنه قد انسدَّ علينا طريق إثبات الصانع وهو الله، فلا ندري هل هذه الأفعال أو الحوادث سابقة لله أو هو سابق عليها؟

فلا بد في إثبات أن الله هو الأول من إثبات أن هناك فترة ليس فيها كلام ولا فعل، ثم بعد ذلك يأتي الكلام والفعل حتى يكون الله هو الأول؛ هذه شبهتهم.

وقد ردَّ عليهم أهل السنة من وجوه كثيرة؛ منها:

أولًا: أن إثبات الفترة التي ليس فيها كلام، ولا فعل: لا دليل عليه.

ثانيًا: أن إثبات هذه الفترة تعطيل للرب من الكمال، والرب فعَّال لما يريد، فلا يمكن أن يكون فاقدًا لهذا الكمال في وقت من الأوقات.

ثالثًا: أن قولكم: إن الكلام والفعل كان ممتنعًا على الرب، ثم انتقل فجأة فصار ممكنًا؛ نقول: إذا كان الرب ﷻ فعَّالًا وكاملًا ولم يتجدد له شيء فما الذي جعل الكلام والفعل ممتنعًا ثم جعله ممكنًا؟! كيف يكون ذلك وما من وقت يُقَدَّر إلا والإمكان ثابت قبله إلى ما لا نهاية؟! وهم لا يستطيعون أن يحددوا وقتًا يكون بدءًا للفعل والإمكان.

رابعًا: أنه يلزمكم -على هذا- أن العالَم ليس حادثًا؛ والعالَم حادث، والحادث ممكن أن يوجد، ويجوز ألا يوجد، فإذا أراد الله إيجاده: أوجده، وإذا لم يُرِدْ: فلا.

وقولكم: إن الرب هو الأول. هذا صحيح: لأن الرب هو الأول الذي ليس قبله شيء، وكون الحوادث متسلسلة في المستقبلِ لا يمنع أن يكون الله هو الأول؛ لأننا نقول: كل فرد من أفراد الحوادث مسبوق بالعدم، موجود بإيجاد الله له.

وإذا وصفنا بهذا الوصف فلا يلزم وجود هذه الفترة، ولذلك نقول: الحوادث متسلسلة في الماضي إلى ما لا نهاية.

خامسًا: أنكم خالفتم النصوص؛ فإن النصوص فيها أن الرب فعَّال، كما تقدم، وأنكم بهذا تنقصتم الرب ﷻ حيث نفيتم عنه صفة الكمال، وهو الفعل والكلام، وهذه تسمى مسألة تسلسل الحوادث.

فالمخلوقات- مثل النبات، والحيوان، والأشجار، والطيور، والحيوانات، والسماوات، والأرضين... إلى غيرها؛ تسمَّى: حوادث متسلسلة .

وأهل السنة يقولون: الحوادث متسلسلة -أي: مستمرة- في الماضي؛ بمعنى: أن الرب لم يزل يفعل ويخلق خلقًا بعد خلق إلى ما لا نهاية في الأزل، ولكن كل فرد من أفراد هذه المخلوقات، مسبوق بالعدم، موجود بإيجاد الله له، ليس له من نفسه وجود ولا عدم .

أما نوع الحوادث؛ فهو متسلسل إلى ما لا نهاية؛ كما أن الحوادث متسلسلة في المستقبل إلى ما لا نهاية؛ فكما أن تسلسل الحوادث في المستقبل لا يمنع أن يكون الله هو الآخر؛ فكذلك تسلسلها في الماضي لا يمنع أن يكون الله هو الأول؛ لأن الحوادث متسلسلة في المستقبل بالاتفاق، حتى عند أهل البدع؛ لأن الله لا يزال يُحْدِث لأهل الجنة نعيمًا بعد نعيم إلى ما لا نهاية. هذا هو الحق الذي تدل عليه نصوص الكتاب والسنة النبوية وإجماع السلف الصالح.

وذهب كثير من أهل البدع وأهل الكلام: إلى أن الحوادث متسلسلة في المستقبل، إلا أنها غير متسلسلة في الماضي، وأثبتوا فترةً كان الرب سبحانه فيها مُعَطَّلاً عن العمل، والفعل، والكلام.

وذهب الجهم بن صفوان[1] إلى أن الحوادث غير متسلسلة لا في الماضي ولا في المستقبل؛ لأنَ مَذْهَبَه إلى أن النار والجنة تفنيان.

وذهب أبو الهذيل العلّاف[2] -شيخ المعتزلة في المئة الثالثة- أن أهل الجنة والنار تفنى حركاتهم، ويكونوا كالحجارة.

وعلى هذا: تكون مسألة تسلسل الحوادث من المسائل المهمة العظيمة التي أحجم عنها الفحول من الرجال، حتى إن ابن القيم ذكر هذا في «الكافية الشافية» وأشار إلى أن من عنده علم فليأت به.

والصور العقلية التي يتصورها العقل في مسألة التسلسل أربع صور:

الصورة الأولى: الحوادث متسلسلة في الماضي وفي المستقبل.

الصورة الثانية: الحوادث غير متسلسلة لا في الماضي ولا في المستقبل.

والصورة الثالثة: الحوادث متسلسلة في المستقبل لا في الماضي.

الصورة الرابعة: الحوادث متسلسلة في الماضي لا في المستقبل.

---

(١) هو جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب، رأس الجهمية وإليه ينتسبون؛ لأنه أول من نشر المذهب. قال الذهبي: الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان أصغر التابعين، وما علمته روى شيئًا، ولكنه زرع شرًا عظيمًا. قتله سلمة بن أحوز سنة ١٢٨هـ. انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٢٦)، و«الأعلام» (٢/ ١٤١).

(٢) هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلّاف، ولد سنة ١٣٥هـ في البصرة، وكان من أئمة المعتزلة. كفَّ بصره في آخر عمره. توفي سنة ٢٣٥هـ بسامراء. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٤٢، ٥٤٣)، و«الأعلام» (٧/ ١٣١).

هذه صورٌ عقلية؛ ثلاثُ صورٍ قال بها الناس جميعًا، وصورة لم يقل بها أحد؛ وهي: أن الحوادث متسلسلة في الماضي وفي المستقبل، وهذا قول أهل السنة والجماعة، وهذا هو الصواب الذي تدل عليه النصوص.

والقول بأن الحوادث غير متسلسلة لا في الماضي ولا في المستقبل هو قول جهم بن صفوان، وأبي الهذيل العلّاف، وأنكر عليه ذلك أهل السنة، وبَدَّعُوه، وصاحوا به.

والقول بأن الحوادث متسلسلة في المستقبل دون الماضي هو قول كثير من أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الشيعة.

والقول بأن الحوادث متسلسلة في الماضي لا في المستقبل لم يقل به أحد.

ولهذا قال لهم أهل السنة: ما الفرق بين تسلسل الحوادث في الماضي وفي المستقبل؟! أنتم وافقتم على أن الحوادث متسلسلة في المستقبل، وأن الرب لا يزال يُحْدِث في أهل الجنة نعيمًا بعد نعيم، إلى ما لا نهاية، وهذا لا يمنع أن يكون سبحانه هو الآخر الذي ليس بعده شيء، وكذلك تسلسل الحوادث في الماضي؛ لا يمنع أن يكون الله هو الأول الذي ليس قبله شيء؛ لأننا نقول: كل فرد من أفراد الحوادث مسبوق بالعدم؛ مخلوق بعد أن لم يكن[1].

والصفات الذاتية والفعلية -كما سبق- ثابتة للرب ﷻ بخلاف قول أهل البدع؛ فإنهم أنكروا الصفات الذاتية والفعلية كالجهمية والمعتزلة؛

---

(١) للتوسع في هذه المسألة انظر: «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (٣/ ٩٩٦- ١٠١٢)، و«الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات» (١/ ٣١٧- ٢/ ٤٥٣).

وأما الكُلَّابية فإنهم: أثبتوا الصفات الذاتية وأنكروا الصفات الفعلية، فتكون المذاهب ثلاثة:

- أهل السنة: أثبتوا الصفات الذاتية والفعلية.
- أهل البدع من الجهمية والمعتزلة: نفوا الصفات الذاتية والفعلية.
- عبد الله بن سعيد كلَّاب -زعيم الكلابية-: أثبت الصفات الذاتية، ونفى الصفات الفعلية.

وشبهةُ الكلابية والأشاعرة في ذلك يقولون: لئلا تحلّ الحوادثُ بذات الرب، ويسمونها مسألة حلول الحوادث؛ يقولون - أي: الكلابية والأشاعرة -:

لو أثبتنا الصفات الفعلية: من الغضب، والرضا، والكراهة، والسخط، والقبض، والبسط، والإحياء، والإماتة، والخفض، والرفع، والطَّيِّ، والاستواء، والنـزول؛ لَلَزِمَ من ذلك حلول الحوادث بذات الرب، والله منزه عن حلول الحوادث به.

قال أهل السنة: ما مرادكم بحلول الحوادث؟! هذا القول -وهو حلول الحوادث- قول مُجْمَل لا بد فيه من التفصيل؛ فإن أردتم بحلول الحوادث أن الله يحل في ذاته شيء من مخلوقاته؛ فهذا باطلٌ، ونفيكم له بهذا الاعتبار: صحيح، وإن أردتم بأن الله تجدد له صفات لم يكن متصفًا بها خلقها لنفسه، أو سماه بها الناس فهذا باطل، وإن أردتم بحلول الحادث نفي أن يكون الله يغضب، ويرضى، ويكره، ويسخط، ويستوي، وينـزل كما يشاء، ويكون متصفًا بالطي، وبالقبض والبسط، والخفض والرفع؛ فهذا باطل؛ لأن هذه المعاني والصفات ثابتة لله، ولا ننفيها عن الله

بتسميتكم إياها «حلول الحوادث» .

ويتبع هذا البحث مسائل:

المسألة الأولى: الصفة؛ هل هي زائدة على الموصوف أو غير زائدة؟ وهل الصفة غير الموصوف أو الصفة هي الموصوف؟[(١)].

والجواب: أن هذا لفظٌ مجمل؛ لا بد فيه من التفصيل؛ فلا يقال: إن الصفة غير الموصوف، ولا يقال: إنها هي الموصوف، ولا يقال: الصفة زائدة على الموصوف، ولا يقال: غير زائدة؛ بل لا بد من التفصيل؛ بل يقال: إن أردتم بذلك أن الرب ﷻ له ذات منفصلة عن الصفة؛ فهذا قول باطل، وإن أردتم أن الصفات لها معنى يُفهم منها غير ما يفهم من الذات؛ فهذا صحيح، لكن ليس هناك ذات منفصلة عن الصفات؛ بل الذات لا بد أن توصف بالصفات، فليس هناك ذات مجردة إلا في الذهن.

وهناك فرقٌ بين أن يقال: الصفات غير الذات، وبين أن يقال: الصفات غير الله، فالقول: بأن الصفات غير الله باطل؛ لأن اسم الله؛ اسم له ﷻ متصف بصفاته، أما القول بأن الصفات غير الذات فهذا صحيح؛ لأن الصفات لها معان غير معنى الذات .

أما في حق الله؛ فلا يقال: إن صفات الله غير الله؛ ولهذا استعاذ النبي ﷺ بالصفات فقال: **«أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»**[(٢)]،

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٢٦، ٣٣٨).

(٢) أخرجه من حديث عثمان بن أبي العاص، بهذا السياق؛ ابنُ ماجه (٣٥٢٢)، والطبرانيُّ في «الكبير» (٨٣٤٢)، وأخرجه بنحوه من حديث عثمان بن أبي العاص أيضاً؛ مسلمٌ (٢٢٠٢)، وأبو داود (٣٨٩١)، وابن ماجه (٣٥٢٢)، والترمذي (٢٠٨٠)، والنسائي في «الكبرى» (٧٥٤٦، ٧٧٢٤، ١٠٨٣٧- ١٠٨٣٩)، وغيرهم.

وقال: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»[(١)]، ولم يعُذْ بمخلوق عليه الصلاة والسلام فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»[(٢)]، وقال: «... وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[(٣)]، فاستعاذ بالعظمة، وقال: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتِ»[(٤)]، فهذه استعاذةٌ بالله، لأن الصفات لا تنفصل عن الذات.

فالله - تعالى - هو الذات المقدسة، المتصفة بالصفات، والله - تعالى- بذاته وصفاته وأسمائه؛ هو الخالق وغيره مخلوق؛ فإن أريد أن هناك ذاتًا منفصلة مجردة عن الصفات؛ فهذا باطل، وإن أريد أن الذات متصلة بصفاتها؛ فهذا صحيح.

المسألة الثانية: هو الاسم غير المسمى أو عين المسمى؟[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت حكيم السُّلمية رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه النسائي (٥٥٢٩)، وأبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وأحمد (٢/ ٢٥) من حديث ابن عمر، ورواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٩٨ - تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، وابن حبان (٩٦١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٢٧٨)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٨٣٧)، والحديث صححه الحاكم، والنووي في «الأذكار» (ص ٦٥)، وصححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ١٣١ -ط: السابعة).

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٦٨) ورد هذا اللفظ في سياق قِصَّةٍ أخرجها الضياء في «الأحاديث المختارة» (١٧٩- ١٨١)، وقِوام السنة في «الحجة» (١/ ٢١٦) و (٢/ ٤٧٣- ٤٧٤)، والطبراني في «الدعاء» (١٠٣٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ١٥٢)، وقال الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ١٣١ -ط: السابعة): «ضعيف، رواه ابن إسحاق بسندٍ ضعيف مُعْضل».

(٥) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ١٨٥- ٢٠٧).

الجواب: هذا فيه تفصيل، فلا يقال: إنه هو المسمى، ولا يقال: إنه غير المسمى؛ بل تارةً يُراد بالاسم المسمى؛ كما تقول: سمع الله لمن حمده؛ فالاسم يراد به المسمى، وتارة يراد به اللفظ الدال على المُسَمَّى؛ كما تقول: الله اسمٌ عربي؛ والرحمن اسمٌ عربي؛ فالرحمن اسم من أسماء الله؛ فالاسم ها هنا هو المرادُ لا المُسَمَّى، أما إذا قال: سمع الله لمن حمده؛ فالاسم يراد به ها هنا المسمى. فلا بد من التفصيل في هذه المسائل.

وجدير بنا هنا أن نقول: إنه يفهم من معاني الصفات ما لا يفهم من الذات، فإن أريد أن هناك ذاتًا مجردة؛ فهذا ليس بصحيح، وإن أريد أن الصفات لها معنى غير معنى الذات فهذا صحيح.

أما الله ﷻ فلا يقال: إن صفاته غير ذاته، بل الله ﷻ بذاته وصفاته هو الله، فلا يقال: إن الصفات غير الذات؛ فلا يقال -مثلاً-: الله وعلمه، أو: الله وقدرته.

ولهذا أنكر الإمام أحمد رحمه الله في كتاب «الرد على الزنادقة»[1] حين رد على الجهمية وعلى أهل البدع لما قالوا: الله وقدرته، الله وعلمه، الله ونوره؛ قال: لا نقول الله وعلمه، الله وقدرته، الله ونوره؛ لأن الواو تفيد المغايرة، بل نقول: الله بعلمه وقدرته ونوره .

سؤال ما هو مذهب الفلاسفة في الصفات؟

الجواب: أما مذهب الفلاسفة كأرسطو والفارابي وابن سينا وغيرهم من الفلاسفة المتأخرين - وهم الذين يسمون الفلاسفة الإلهيين-؛ فإنهم

---

(١) (ص ٢٢١، ٢٨٣)

قالوا: إن المخلوقات والحوادث مقارنة للرب، ملازمة له في الأزل وفي الأبد.

فَقالوا: إنها مقارِنة للرب، فلم يثبتوا أن الله هو الأول الذي ليس قبله شيء، بل قالوا: إنها مقارنة له في الزمان أزلًا وأبدًا، وهي لازمة له كلزوم النور للسراج والمصباح؛ لا يستطيع الانفكاك عنها، فهي ليست مخلوقة باختياره وإرادته؛ لأنه علتها، وهي المعلولة، وتقدُّمه عليها إنما هو كتقدم العلة على المعلول.

ولم يُثبتْ أرسطو وجودًا لله إلا من جهة كونه مبدأ للكثرة، وعلة غائية لحركة الفلك، بل هذه الكثرة وهذه المخلوقات مبدؤها الله، أي كأنه جزء منها - عياذاً بالله -، وهو العلة المحرك لها.

وهؤلاء الفلاسفة قد كَفَّرهم العلماءُ مثل شيخ الإسلام ابن تيمية[1] رحمه الله فقال ما معناه: أنتم أنكرتم أن يكون الله متقدمًا في الزمان، وأنكرتم أن يكون الله هو الأول الذي ليس قبله شيء حينما قلتم: إن الحوادث والمخلوقات مقارنة للرب في الزمان، ولم تثبتوا أن هذه الحوادث مخلوقة لله بقدرته ومشيئته، فكنتم بذلك كفارًا.

ثم ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من العلماء -أهل البدع؛ أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة - فقالوا لهم: أنتم خالفتم الفلاسفة فأثبتم فترة كان مُعَطَّلاً فيها عن الفعل حتى تثبتوا أن الله هو الأول الذي ليس قبله شيء، ولم تقولوا كقول الفلاسفة: إن المخلوقات مقارِنةٌ لله في الزمان،

---

(١) انظر: «درء تعارض النقل والعقل (١/ ٦٩).

لكنكم حينما أنكرتم العلو - علو الرب على خلقه، واستواءه على العرش- وقلتم: إن الله مختلط بالمخلوقات، ونفى بعضكم - وهم الجهمية المتأخرون - عنه الوصفين المتقابلين، فقالوا: لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا مباين له، ولا مُحَايث له، ولا متصل به، ولا منفصل عنه. ولزم من كلامكم هذا أنه - تعالى عن ذلك - عدم.

فالجهمية الأُوَل قالوا بالحلول، والجهمية الثانية قالوا بنفي النقيضين؛ فالطائفتان لم تثبتا أن الله فوق المخلوقات، وأنه مستوٍ على العرش، بائن من خلقه، فأنتم أنكرتم أن يكون الله متقدمًا في المكان، فلم تثبتوا أن الله هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، كما أن الفلاسفة أنكروا تقدم الله في الزمان؛ فلم يثبتوا أن الله هو الأول الذي ليس قبله شيء، فصرتم بهذا مماثلين للفلاسفة. والله -تعالى- قد وصف نفسه بهذه الصفات الأربع، وبهذه الأسماء الأربعة متقابلةً فقال عز وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣].

ففسر النبي ﷺ الأولية: بنفي تقدم شيء عليه، وفسر الآخرِيّة: بنفي أن يكون بعده شيء، وفسر الظاهر بنفي أن يكون فوقه شيء، فقال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»(١). فليس هناك فرق بين كفر الجهمية وكفر الفلاسفة، وهذه فائدة مهمة في بيان ما عليه أهل البدع من الجهمية والمعتزلة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الخلاصة:

وعلى كل حال؛ فهذه المباحث مباحث عظيمة؛ ولكن لم يتكلم السلف والسابقون فيها، ولولا أن أهل الكلام وأهل البدع تكلموا فيها بالكلام الباطل وملئوا به الأوراق والكتب، لما اضطر أهل العلم إلى رد هذا الكلام الباطل، بمثل هذا التفصيل.

صفتا الخالق والبارئ

◆ قَالَ المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ، وَلا بِإِحْدَاثِ الْبَرِيَّةِ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِي):

الشرح

المعنى: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسمه الخالق، واسمه الباري؛ ولم يزل له هذا الاسم، والبارئ: أي: الذي خلق الخلق وبرأ البرية وأحدثها، ولم يزل له الأسماء الحسنى؛ لأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى قادر على الفعل في أي وقت.

ومادام أنه فعَّال وقادر على الفعل في أي وقت؛ فهو متصف بالصفات؛ فالإنسان حينما يتكلم ويكون قادرًا على الكلام يقال: إنه متكلم، فإذا تكلم أمس ثم تكلم اليوم يقال: إنه متكلم؛ وإذا كان ساكتًا وهو قادر على الكلام يقال: إنه متكلم بالقوة، وإذا تكلم يقال: إنه متكلم بالفعل؛ لأنه قادر على الكلام؛ والكاتب إذا كان يكتب ويباشر الكتابة، يقال: كاتب بالفعل؛ وإذا رفع يده عن القلم يقال: كاتب بالقوة؛ لأنه قادر على الكتابة؛ فالقادر على الفعل يكون فاعلًا له، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فعال قادر على الفعل في أي وقت من الأوقات؛ ولهذا هو تَبَارَكَ وَتَعَالَى الخالق وهو البارئ قبل الخلق وبعده.

الله تعالى هو الرب بكل معاني الربوبية قبل أن يخلق الخلق

❖ قَالَ المؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلا مَرْبُوبَ، وَمَعْنى الخَالقِ وَلا مَخْلُوقَ):

الشرح

● (لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ):

لأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو مُرَبِّي عباده، وحافظهم، ومدبر أمرهم.

وقولُهُ: (ومعنى الخَالِقُ وَلَا مَخْلُوقَ): هذا قد يفهم منه أنه يميل إلى قول أهل الكلام الذين يقولون: إن هناك فترة ليس فيها مخلوق؛ وسبق بطلان هذا القول؛ لأن الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى لم يزل فَعَّالًا لما يريد؛ مطلقًا؛ في كل وقت، وعلى هذا فله معنى الربوبية، وله معنى الخالق في كل وقت؛ في الأزل وفي الأبد.

الله تعالى هو الخالق قبل إنشاء الخلق وبعد إنشائه

◆ قَالَ المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَكَمَا أَنَّه مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا اسْتَحَقَّ هَذَا الاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِم):

الشرح

أي: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى محيي الموتى؛ وكذلك أيضًا هو الخالق قبل إنشائهم وبعد إنشائهم، ومن صفاته الفعلية: أنه يحيي ويميت، ومن أسمائه: الخالق؛ وذلك لأنه قادر على الفعل في أي وقت؛ ولذلك فإن له صفات الفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

متعلقات القدرة والرد على المعتزلة

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ):

الشرح

أي: لكونه سبحانه وتعالى متصفًا بصفاته الذاتية والفعلية في الأزل، وأنه لم يزل فعالًا، وأنه ليس هناك فترة يعطل فيها الرب سبحانه وتعالى؛ فهو على كل شيء قدير؛ وأراد بذلك الردَّ على المعتزلة الذين يقولون: إن الله على ما يشاء قدير، ولا يقولون: إن الله على كل شيء قدير[١].

لأن هناك شيء لا يقدر عليه اللهُ عند المعتزلة؛ وهي أفعال العباد؛ ولذلك أوّلوا وحرَّفوا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فُصِّلَت: ٣٩] بقولهم: على كل ما هو مقدورٌ لَهُ، وأفعال العباد -بزعمهم- لا يقدر عليها؛ لأن أفعال العباد من خير وشر وطاعة ومعصية: فهم الذين خلقوها وأوجدوها، والله لا يقدر عليها، أو يقولون: إن العباد أحدثوا أفعالًا من طاعات ومعاص استغلالاً، ولهذا قالوا: إن العبد يستحق الثواب من الله كما يستحق الأجير أجره؛ لأنه هو الذي أوجده؛ وقالوا: إنه يجب على الله أن يعاقب العاصي، وأن يخلد صاحب الكبيرة في النار؛ لأنه توعد بذلك وهو لا يخلف وعيده؛ ولذلك قالوا: إن أفعال العباد لا يقدر عليها الرب، وسيأتي شرح هذا إن شاء الله في بابه.

---

(١) انظر: «الإيمان بالقضاء والقدر» للحمد (ص١٤٧-١٤٩) وتعليق الشيخ ابن باز عليه هناك.

والمقصود أنهم لا يقولون: إن الله على كل شيء قدير، بل يقولون: إنه على ما يشاء قدير؛ ولذلك إذا رأيت في بعض الكتب يُذْكَرُ في آخرها عبارةُ: (وهو على ما يشاء قدير)، فاعلم أن هذا يتمشى مع مذهب المعتزلة، ولا يَرِدُ على ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]؛ لأن هذا مقيد بجمعهم؛ فلا يقال: إنه على ما يشاء قدير، بل يقال: إنه على كل شيء قدير؛ لأن معنى قولهم: (على ما يشاء قدير)؛ يُفْهَمُ منه أن هناك شيئًا لا يشاؤه الله؛ فلا يقدر عليه، وهي أفعال العباد؛ وهذا باطل؛ وعلى هذا فقياس مذهبهم ألَّا يقال: الله بكل شيء عليم، بل يُقالُ: هو عالم بكل ما يعلمه ونحوها من العبارات التي لا فائدة فيها، فالحاصل: أن تحريفهم للآية، على معنى: أنه على كل شيء مقدور له قدير؛ أما أفعال العباد فليست مقدورة له؛ فهو من أبطل الباطل؛ وهو كذلك مصادمٌ لنصوص القرآن والسنة، لأنَّ الله -تعالى- يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥] ويقول: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، و(كل) من صيغ العموم، فكل ما يسمى شيئًا؛ فإن الله -تعالى- يقدر عليه .

فكلّ ممكن فهو داخل في هذا بخلاف الممتنعُ الذي لا يمكن؛ لأنه لا يسمى شيئًا؛ فلا يرد على هذا أيضاً المُحالُ لذاته، مثل كون الشيء موجودًا معدومًا في وقت واحد، ومثل قولهم: هل يقدر على خَلْقِ مثل نَفْسِه؟!، ومثل قولهم: هل يقدر على إعْدَامِ نفسه؟!

والجواب: أن هذا من الممتنع المُحال تمامًا؛ لأنه لا يمكن إيجادها ولو تصورًا، ولا تسمى شيئًا باتفاق العقلاء؛ وليست داخلة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

وقد اختلف العلماء في المعدوم الذي يمكن وجوده: قالوا: هل يسمى شيئًا أو لا؟[1].

والصواب: أنه يسمى شيئًا في الذِّكْر والكتاب والعلم؛ كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١﴾ [الحج: ١]، فالساعة لم تأت ومع هذا فقد سمَّاها الله شيئًا؛ فهي شيء عظيم في الذِّكْر، وفي علم الله، وفي الكتاب، ومن الأمثلة قوله ﷻ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ [الإنسان: ١]، فإنّه لم يكن شيئًا في الوجود، لكنه شيء في علم الله، وَذِكْره، وكتابه، ومن الأمثلة كذلك قوله - سبحانه - عن زكريا: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٩]، أي: لم تك شيئًا في الوجود، ولكن في علم الله، وَذِكْره، وكتابه.

فهذا في الممتنع الذي يمكن وجوده، أمَّا الممتنع الذي لا يمكن وجوده؛ فإنه لا يسمى شيئًا، فلا يقال: إنه داخل تحت القدرة.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ١٤٣- ١٤٦)

الخلق جميعًا كلهم فقراء إلى الله

◆ قَالَ المؤلف رحمه الله: (ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٍ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ):

الشرح

هذا وصف لله - سبحانه - بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء عليه يسير؛ فلا يعجزه شيء، ولا يشق عليه شيء؛ وليس هناك شيء عسير على الله سبحانه وتعالى.

قوله: (وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ) لأن المخلوقين كلهم فقراء إلى الله كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٥-١٧]، وقال - سبحانه -: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]؛ أي: هين عليه؛ فكل شيء هين على الله، وكل شيء يسير على الله، وكل مخلوق هو فقير إلى الله - عز وجل -، والله هو الغني سبحانه وتعالى.

الرد على الممثلة والمشبهة والمعطلة

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ (لا يَحْتَاجُ إِلَى شَيءٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ):

الشرح

لا يحتاج إلى شيء من الأشياء، فـ(الشيء) شاملة لجميع الموجودات؛ فهو لا يحتاج إلى أي مخلوق لكمال غِنَاه. وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] هذا رد على الممثلة والمشبهة، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] رَدٌّ على المعطلة الذين ينكرون الأسماء والصفات. فهذه الآية تَضَمّنَتْ الردَّ على طائفتَيْن: الممثلة، والمشبهة؛ الذين يشبهون الله بخلقه، ويمثلون الصفات بصفات المخلوقين، وعلى المعطلة؛ الذين ينكرون الأسماء والصفات.

الله سبحانه خلق الخلق وهو عالم به

قال المؤلف رحمه الله (خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِهِ)

الشرح

الله - سبحانه وتعالى - هو الذي خلق الخلق بعلمه، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو عليم بكل شيء كما قال - سبحانه -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، وقال - سبحانه -: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام: ٦٠].

وهو - سبحانه وتعالى - يعلمهم قبل خلقهم، ويعلمهم بعد خلقهم.

وأراد المؤلف الرد على المعتزلة الذين يقولون: إنه لا يعلم الخلق إلا بعد خلقه، وهذا من أبطل الباطل؛ لأن علم الله شامل للماضي والحاضر والمستقبل؛ فهو سبحانه يعلم ما كان في الماضي، ويعلم ما يكون في المستقبل والحاضر، وأيضًا يعلم ما لم يكن لو كان فكيف يكون؟ كما في قوله سبحانه عن الكفار الذين سألوا الرجعة إلى الدنيا؛ قال سبحانه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]؛ فهذا علمه بحالهم لو رُدُّوا، ومثل قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣]، فهذا عِلْمُه بحالهم.

ومثل قول الله - سبحانه تعالى- في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٦-٤٧]، فإنّه يعلمُ سبحانه لو خرجوا ماذا سيحدث؛ وذلك قولُه: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧] يعني: شرًّا؛ وقال بعضهم: إن الشر هو الفتنة والفساد، ثم قال تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]، وهذا من لطفه سبحانه بعباده أنه ثبطهم ومنعهم حتى لا يفسدوا على عباد الله المؤمنين.

قدّر الله مقادير الخلق قبل خلق السماوات والأرض

◆ **قَالَ المُؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللهُ: **(وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا):**

الشرح

الله - سبحانه وتعالى - قدَّر الأقدار والآجال، وجعل لكل شيء من مخلوقاته أقدارًا وأجلًا، قال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال سبحانه: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، ومن ذلك: أن الله - سبحانه وتعالى - قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وقدَّر لكل أجل كتابًا، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا؛ كما في الحديث الذي ثبت في «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»**[1].

وثبت في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: **حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذلكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ المَلَكَ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؛ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣)

فَيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلَهَا»[1]، وهذا من تقدير الأجل .

ومن ذلك أن الله - سبحانه وتعالى - قدَّر الموت على كل أحد، وجعل له أجلًا مقدرًا؛ كما قال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، وقال: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

وأسباب الموت متعددة؛ سواء أَقَدَّرَ اللهُ الموتَ على العبد بالمرض أو بالقتل أو بالغرق أو بالحرق أو بأي سبب من الأسباب، فإنه قد مات بأجله الذي قدره الله عليه.

وهذا فيه الرد على المعتزلة الذين يقولون: إن المقتول قُطِعَ عليه أجلُه؛ ولو لم يُقتل لعاش إلى أجل آخر، وهذا باطل؛ لأن الله - تعالى - قدَّر الموت، وجعل له أسبابًا؛ قدَّر بأن هذا سيموت بالقتل، كما قدر الموت على من يموت بالمرض، أو بالهدم أو بالغرق أو بالحرق أو بغير ذلك من الأسباب .

فقول المعتزلة هذا من أبطل الباطل؛ لأن معنى ذلك: أن له أجلًا لا يصل إليه، أو أن الله جعل له أجلين، فجعلوه تعالى عن قولهم كالجاهل الذي لا يعلم العواقب، وهذا من أبطل الباطل؛ والصواب أن المقتول؛ كغيره أجله مُقَدَّر بالقتل؛ لا يتقدم ولا يتأخر، فهو داخل في قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، ومن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) واللفظ له

ذلك: حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان أنها قالت للنبي ﷺ: **اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: «**قَدْ سَأَلْتِ اللهَ بِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لن يُعَجِّلَ شيئاً قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شيئاً عن حِلِّه، وَلَوْ كُنتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي القَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ**»[1] أو كما قال - عليه الصلاة والسلام - .

وهذا دليل واضح بأن الآجال مضروبة ومعدودة؛ ولهذا كان الإمام أحمد رحمه الله يكره أن يدعى له بطول العمر ويقول: إن هذا أمر فُرِغ منه[2]، لكن ظاهر حديث أم حبيبة أنه جائز؛ لأن النبي قال: «**لَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ في النَّارِ أَوْ عَذَابٍ في القَبْرِ كَانَ خيراً**»[3]، ولم يقل: إنه ممنوع، فدل على جوازه، لكن ينبغي أن يُقَيَّد بالطاعة، فإذا قلتَ: أطال الله عمرك على طاعته؛ فهذا حسن، أما إذا قلتَ: أطال الله عمرك فقط؛ فهذا ليس دعاءً. ومنه ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ**»[4]، فإذا طال

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٣).

(٢) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص ٦٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٣).

(٤) أخرجه بنحوه أحمد (٥/ ٤٠) و(٥/ ٤٣، ٤٧ - ٥٠)، والترمذي (٢٣٣٠) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وقال: «حسن صحيح»، والدارمي (٢٧٤٢)، والحاكم (١/ ٤٨٩ - تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٧١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٢٤)، والطبراني في «الأوسط» (٥٤٤٩ -تحقيق: طارق عوض الله)، والبزار في «مسنده» (٣٦٢٣)، والطيالسي (٨٦٤)، وغيرهم. وفي سنده علي بن زيد: ضعيف، لكن له شاهد لا بأس به من حديث عبدالله بن بسر؛ أخرجه الترمذي (٢٣٢٩)، وأحمد (٤/ ١٨٨) و(٤/ ١٩٠)، والضياء في «المختارة» =

العمر على شرٍ، فهذا شرٌّ لا خير، وإذا طال العمر على خيرٍ؛ فهذا خيرٌ، ونحن في لهجتنا الدارجة نقول: (أطال الله عمرك)، (طوَّل الله عمرك)، فينبغي أن يضاف إليها: «على طاعته»؛ حتى تحصل الفائدة، وتكون الدعوة فيها خير.

= (٩/ ٤٣، ٦٠، ٨٣، ٨٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٧١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٢٠)، والطبراني في «الأوسط» (١٤٤١، ٢٢٦٨ -تحقيق: طارق عوض الله)، وعبد بن حُميد في «المنتخب من المسند» (٥٠٩).
وفي الباب بمعناهما عن أبي هريرة، وجابر، وأنس، وعبادة بن الصامت، وغيرهم.
انظر: «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٣- ٢٠٤).

شمول علمه سبحانه وتعالى

◆ **قَالَ المُؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللهُ: **(وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ)**:

الشرح

في هذا إثبات علم الله - عز وجل -، وقد سبق الكلام على علم الله؛ عند قول المؤلف: (خَلَقَ الخَلْق بِعِلْمِهِ)، وهنا كرَّر ما أشار إليه، فقال: (لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ)؛ والمعنى: أنَّ عِلْمَ الله - سبحانه وتعالى - سابق للمقادير.

ومراتب القدر - كما هو معلوم - أربع:

المرتبة الأولي: عِلْم الله الشامل لجميع الكائنات

الثانية: كتابته لها في اللوح المحفوظ.

الثالثة: إرادته ومشيئته .

الرابعة: خلقه وإيجاده[١].

هذه مراتب القدر، فمن لم يؤمن بها؛ لم يؤمن بالقدر، والأدلة عليها كثيرة؛ قال الله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، فهذا دليل على إثبات العلم والكتاب، وقال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾

(١) انظر: «شفاء العليل» (١/ ١٣٣- ٢٢٦)

[الحديد: ٢٢].

وللإرادة أدلة كثيرة كما سبق؛ منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وللخلق والإيجاد أدلة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ومنها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، ومن أنكر المرتبة الأولى والثانية - العلم والكتابة - فقد كفَّره أهل العلم؛ لأن من أنكر العلم؛ فقد نَسَبَ اللهَ إلى الجهل، ولا شَكَّ في كفر هذا وأمثاله.

وكانت القدرية الأولى ينكرون العلم والكتابة، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي رحمه الله: (ناظروا القدريةَ بالعلم فإن أقروا به خُصموا، وإن أنكروه كفروا)؛ وذلك لأنهم ينسبون الله إلى الجهل، والقدرية الأولى قد انقرضوا، وأما عامة القدرية فهم يثبتون العلم والكتابة، وينكرون عموم الإرادة والمشيئة بجميع الكائنات؛ حتى تشمل أفعال العباد، فإنهم قالوا: إن أفعال العباد ما أرادها الله ولا خلقها؛ فالعباد هم الذين أرادوها وخلقوها.

وَعِلْمُ الله - كما سبق - شامل للماضي والمستقبل والحاضر، بل لِما لم يكن أن لو كان كيف يكون؟ وأدلة العلم كثيرة من الكتاب والسنة: فمنها قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

أما الدليل العقلي على ثبوت العلم لله - عز وجل -:

فإنه يستحيل إيجاد هذه الأشياء مع الجهل؛ ولأن الإيجاد يستلزم

الإرادة، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد هو العلم؛ فثبت علم الله في الشرع والعقل؛ ففي الشرع فالأدلة كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ومنها قوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن: ٢٦] [سورة الجن آية: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وهناك من قَسَّم المراتب إلى ستة، وهذا كلام لا نعرف من قاله.

ومعروف عند أهل العلم أن المراتب أربعة، والمشيئة واحدة لا تنقسم.

والإرادة جعلها شيخ الإسلام رحمه الله على درجتين، وكل درجة تتضمن مرتبتين[١]:

الدرجة الأولى: العلم، وتتضمن مرتبة العلم والكتابة.

والثانية: الإرادة وتتضمن الإيجاد والخلق.

فهذه أربع مراتب، ولا نعرف أنَّ أحدًا قسمها ستًّا.

---

(١) انظر: «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام، و«مجموع الفتاوى» (٢/ ١٥٢) و(١٢/ ١٢٧) و(١٦/ ١٣٧- ١٣٨)، و«جامع الرسائل والمسائل» (١/ ١٨٣).

الله تعالى خلق الخلق لعبادته وتوحيده

◆ قَالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ):

الشرح

في هذا أن الله - سبحانه وتعالى - أمر العباد بطاعته ونهاهم عن معصيته، فبعد أن ذكر الخلق والقدر، ذكر مقتضى خلق الخلق؛ وهو عبادته وتوحيده وطاعته، فقال: (وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ)؛ كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومعنى يعبدون: أي: يوحدون؛ بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، والوقوف عند الحدود، والاستقامة على دين الله، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ٢]، فهذه هي العبادة التي خلق الله الخلق من أجلها.

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

◆ **قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ لا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ):**

الشرح

هذا في بيان مشيئة الرب، وأن كل شيء يجري بتقديره ومشيئته، وأن مشيئة الله نافذة؛ أما مشيئة العباد فهي تابعة لمشيئة الله - عز وجل -؛ فلا يتخلف ما شاءه الله؛ كما دَرَجَ أن يُقَالَ: (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)؛ فكل شيء يجري بتقدير الله ومشيئَتِهِ. وإرادتُهُ الكونية؛ لا تتخلف، والمشيئةُ لا تنقسم كما تنقسم الإرادة، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال - سبحانه -: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال - سبحانه -: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقال - سبحانه -: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال - سبحانه -: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣]، وقال - تعالى -: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقال - سبحانه -: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فمشيئة الله نافذة؛ أما مشيئة العباد فهي تابعة لمشيئة الله عز وجل؛ فقد

يشاء العبد شيئًا لكن لا يقع؛ لأن الله لم يشأ وقوعه، وقد يشاءُ العبد شيئًا فيقع؛ لأن الله أراد وقوعه.

وقد أنكر الله - سبحانه وتعالى - على الكفار احتجَاجَهُم بالمشيئة؛ كما في قوله -عز وجل-: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨] الآية، وقال - سبحانه -: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل: ٣٥]، وقال الله - سبحانه وتعالى- عن نوح في خطابه لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٤]، فهؤلاء المشركون احتجوا بالمشيئة على محبة الله ورضاه، فأنكر الله عليهم ذلك؛ لأنهم استدلوا بها على أن ما شاءه الله فقد أحبه ورضيه، فلولا أنه أحبه ورضيه لما شاءه؛ فأنكر الله عليهم ذلك؛ لأن الله قد يشاء الشيء ولا يرضاه ولا يحبه، أو أنهم عارضوا شرع الله ودينه بمشيئته، أو عارضوا قضاء الله وقدره بالشرع، قال تعالى ذاكرًا قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فأنكر الله عليهم ذلك؛ فلا يعارَض ما شرعه الله بالمشيئة؛ لأن الله حكيم فيما يقدره ويشاؤه - سبحانه وتعالى -، فإذا قدّر اللهُ الشركَ على العبد؛ فله الحكمةُ البالغة، ولا يكون هذا حجة للعبد في جواز الشرك، ولو قدّر اللهُ المعصيةَ على العبد؛ فله الحكمة البالغة، ولا يكون هذا دليلًا على جواز المعصية.

مسألة الضلال والهدى

◆ **قَالَ المؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا):

الشرح

هذا فعله - سبحانه وتعالى -؛ يهدي من يشاء ويعصم ويعافي، فضلًا منه وإحسانًا، ويضل ويبتلي؛ عدلًا منه وحكمة، وهذه المسألة - مسألة الهدى والضلال - مسألة عظيمة من أهم مسائل القدر، حتى إن العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ قال: إنها قلب أبواب القدر[1].

وأراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الرد على القدرية والمعتزلة الذين يقولون: إنه يجب على الله فعل الأصلح للعبد، وهي نفسها مسألة الهدى والضلال.

والقدرية أنكروا أن يهدي الله أحدًا أو أن يضل أحدًا فقالوا: إن العبد هو الذي يهدي نفسه، وهو الذي يضل نفسه، وأجابوا على النصوص فقالوا: معنى «يهدي»: يعني يبين له الطريق الصواب، ويسميه مهتديًا، ومعنى «يضله»: أي: يسميه ضالًّا، أو يحكم عليه أن يضل نفسه بعد أن يُخلق.

ولا بد من بيان مراتب الهداية وأنواعها حتى يتبين هذا الباب.

اعلم - وفقك الله - أنَّ مراتب الهداية أربعة:

المرتبة الأولى: الهداية العامة:

---

(١) انظر: «شفاء العليل» (ص ٦٥ وما بعدها)، نشر: دار الفكر، بيروت، طبع سنة ١٣٩٨هـ تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس الحلبي.

وهي أن يهدي كل مخلوق إلى ما يصلح معاشه ويقيمه، وهي عامة لكل مخلوق؛ للآدميين، والطيور، والوحوش، والصغار، والكبار، والأطفال، ويدخل في ذلك: هداية الطيور إلى أوكارها، وهداية الأنعام إلى مراتعها، وهداية الطفل إلى ثدي أمه، وهداية الإنسان إلى ما يصلحه في معاشه، وما يقيم به أمور حياته؛ كما هداه الله كيف يأكل، وكيف يشرب، وكيف ينكح.

ومن أدلة الهداية العامة قول الله - سبحانه وتعالى-: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ١-٣]، وقال - سبحانه - في جواب موسى لفرعون: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠]، وهذه الهداية لم ينكرها أحد .

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والإرشاد والتعليم والدعوة والإبلاغ:

وهي هداية الإنسان إلى ما يصلحه في معاده وهي النجاة من النار، وهذه خاصة بالمكلفين من الجن والإنس، وليست للحيوانات ولا الطيور، وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه؛ لأن الله لا يعذب أحدًا حتى تقوم عليه الحجة، وحتى يُهدى هذه الهداية.

وهذه الهداية هي التي أرسل اللهُ من أجلها الرسل، وأَنـزلَ من أجلها الكتب قال سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ [التوبة: ١١٥]، أي: ما كان الله ليضلهم بعد أن هداهم وبين لهم طريق الخير، فلما بَيَّن لهم طريق الخير وتركوه؛ أضلهم عقوبةً لهم؛ قال - سبحانه -: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:

١٧]؛ هديناهم؛ أي: دللناهم على طريق الخير وطريق الشر، فلما بَيَّن الله لهم طريق الخير وطريق الشر واستحبوا العمى على الهدى؛ جاءتهم العقوبة وهي المذكورةُ في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [فُصّلَت: ١٧].

وهذه الهداية ثابتة للرسل والأنبياء والمصلحين والدعاة، أي أن كلهم يقدرون عليها؛ قال الله - تعالى - للنبي ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، أي: ترشد وتدل وتبلغ وتدعو إلى الأمر الذي خُلق العباد له؛ وتبين ما أوجب الله عليهم من توحيده وطاعته وترك معصيته. فإذا بعث الله الرسول فأرشد الناس ودلهم على ما أوجب الله عليهم من التوحيد والطاعة واجتناب المعصية؛ قامت الحجةُ عليهم، فإن عصوا بعد ذلك أو كفروا؛ استحقوا العذاب.

النوع الثالث: هداية التوفيق، والإلهام، والتسديد:

وهي أن يوفق الله الإنسان إلى قبول الحق والرضا به واختياره، وهذه الهداية خاصة بالله، فلا يقدر عليها إلا هو - سبحانه -؛ فلا يقدر عليها أحد من الخلق؛ لا الأنبياء، ولا غيرهم؛ وهذه هي التي نفاها الله عن النبي ﷺ بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القَصَص: ٥٦]، أي: أن النبي ﷺ لا يخلق الهداية في القلب، ولا يلهمه، ولا يجعله يقبل الحق ويختاره ويرضى به، قال سبحانه: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، فالله - تعالى - هو الذي يهدي ويضل، والعبد هو الضال والمهتدي. ولا بد في وقوع هذه الهداية من أمرين:

الأمر الأول: الهداية من الله.

والثاني: الاهتداء من العبد.

فإذا هداه الله واهتدى؛ حصلت له الهداية بالتوفيق، وكذلك الإضلال من الله، والعبد هو الضال؛ فإذا أضله الله فَضَلَّ؛ صار ضالًّا.

فالهداية والإضلال بيد الله عز وجل؛ وقد اتفقت رسل الله وكتبه المنزلة، على أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وهذه المسألة مسألة عظيمة؛ لأن أفضل ما يقدِّره الله على العبد وأجل ما يقْسِمه له هو الهداية، وأعظم ما يبتلي الله به العبد، وأعظم مصيبة تصيبه هو أن يقدّر الله عليه الإضلال، وكل نعمة فهي دون نعمة الهداية، وكل مصيبة هي دون مصيبة الإضلال.

وهذه المرتبة أنكرها المعتزلة والقدرية، فأنكر عليهم أهل السنة وبدَّعُوهم وضللوهم، ومن ذلك قول المؤلف رحمه الله: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَخْذِلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا).

فأهل السنة قالوا: النصوص واضحة؛ أن الله - سبحانه وتعالى - بيده الهداية والإضلال، ومن ذلك قول تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ﴾ [السَّجدَة: ١٣]، فلو كانت الهداية بيد العبد لما قيدها الله بالمشيئة، ولكن الله - سبحانه وتعالى - خص المؤمن بنعمة دينية دون الكافر؛ كما قال - سبحانه -: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصَّافات: ٥٧]، وقال - سبحانه -: ﴿...وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحُجرات: ٧-٨].

هذه النعمة اختص الله بها المؤمنين؛ فجعلهم يقبلون الحق، ويرضون

به، ويختارونه، وألهمهم إياه، وخلق الهداية في قلوبهم؛ فصاروا مهتدين، وله الفضل والإحسان.

والكافر أضله الله وخذله وابتلاه، كل ذلك عدلًا منه، وحكمة بالغة.

والمعتزلة والقدرية تأولوا النصوص، فقالوا: قَوْلُهُ: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣] معناه: يسميه مهتديًا، ويبين لهم طريق الصواب، أو يسميه ضالًا، أو يحكم عليه بالإضلال، بعد أن يخلق الضلال من نفسه، ففسروها بهداية الدلالة والإرشاد، وهذا من أبطل الباطل .

وضرب القدرية مثلًا لذلك - والله يقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] -، فقالوا: مَثَلُ الله في ذلك مَثَلُ رجل له ابنان أعطى كل واحد منهما سيفًا، وقال لهما: جاهدا به في سبيل الله؛ فالأول أطاع والده وجاهد به في سبيل الله؛ والثاني عصى والده وجعل يستعرض رقاب المسلمين ويقتلهم، فهذا اختار طريق الحق من نفسه، وهذا اختار طريق الضلال من نفسه، والله - تعالى - ما خص الأول بهداية ولا خص الثاني بالإضلال!! وهذا من أبطل الباطل كما أوضحناه قبلُ.

والمرتبة الرابعة: الهداية إلى طريق الجنة والنار يوم القيامة:

فالكفار يهديهم الله إلى النار، والمؤمنون يهديهم الله إلى الجنة، قال سبحانه وتعالى في الكفار: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣] الآية، وقال سبحانه في المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦)﴾ [محمد: ٤-٦]، فهذه هداية بعد قتلهم يهديهم إلى طريق الجنة، ويصلح بالهم بإرضاء خصومهم، وقبول أعمالهم.

فهذه مراتب الهداية؛ وأهل السنة يقسمون الهداية إلى قسمين:

- هداية دلالة وإرشاد.
- وهداية توفيق وإلهام[١]

والقدرية والمعتزلة ليس عندهم إلا هداية واحدة؛ هي: هداية الدلالة والإرشاد، أما هداية التوفيق فهم يردونها إلى هداية البيان والإرشاد، وهذا من أبطل الباطل، وهذا مبني على أصلهم الفاسد، وهو قولهم: بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله؛ فما دام يجب على الله فعل الأصلح للعبد؛ قالوا: فلا يمكن أن يهدي الله أحدًا، ولا أن يضل أحدًا.

وهذا أيضًا مبني على أصلهم الفاسد الآخر، وهو القول: بأن أفعال العباد مخلوقة لهم؛ فالعباد هم الذين خلقوا الهداية والضلال، وهم الذين يخلقون الطاعات والمعاصي، ولو خص الله أحدًا بالهداية وخذل أحدًا؛ لكان ظالمًا، والله عدل لا يجور.

وكما سبق: فإنَّ الله له حكمة بالغة في تقدير الكفر والمعاصي وغيرهما، وأن الذي يُنسب إلى الله إنما هو الخلق، وهو مبني على الحكمة، والذي ينسب إلى العبد هو المباشرة والكسب.

ولهذا: فإن الهداية والإضلال بيد الله؛ فالله تعالى يهدي ويضل، والعبد يباشر؛ فيكون هو المهتدي أو الضال.

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (١/٩- ١٤)

تقلب العباد في مشيئة الله

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ):

الشرح

● قوله: (وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ)

أي: أن كل العباد يتقلبون بين مشيئته وفضله؛ كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ [التغابن: ٢] فهو - سبحانه وتعالى - يهدي من يشاء فضلًا منه وإحسانًا، ويضل من يشاء مشيئة وحكمة وعدلًا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

فالله - سبحانه وتعالى - عليم بالـمَحالّ التي تصلح للهداية؛ عليم بالمحل الذي يصلح لغرس الكرامة فيهديه، وعليم بالمحل الذي لا يصلح لغرس الكرامة فلا يهديه.

وهو - سبحانه وتعالى - يتصرف في عباده كما يشاء، والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه، والله تعالى وضع الأشياء في مواضعها، ولا يكون الإنسان ظالمًا إلا إذا منع الشخص مما يستحقه.

والله تعالى ما منع الكافر شيئًا يستحقه؛ فالهداية والإضلال ملكه، وبيده - سبحانه وتعالى - فهو يهدي من يشاء، ويضل من يشاء؛ يهدي من يشاء فضلًا وإحسانًا، ويضل من يشاء مشيئة وحكمة وعدلًا.

ولهذا قال: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝﴾ [طه: ١١٢]

والظلم يختلف الناس في تفسيره، ولعله يأتي - إن شاء الله - في العقيدة بيان حقيقة الظلم، وأقسامه، والأقوال فيه.

تعالى الله سبحانه عن الأضداد والأنداد

◆ **قَالَ المؤلِّفُ** رَحِمَهُ اللهُ: (وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنْ الأَضْدَادِ وَالأَنْدَادِ):

الشرح

● **قوله: (وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنْ الأَضْدَادِ وَالأَنْدَادِ).**

أي: أن الله تعالى متعال عن الأضداد والأنداد، و(الأضداد) جمع ضِدٌّ وهو المخالِف، و(الأنداد) جمع نِدٌّ وهو المِثل، فهو سبحانه لا مخالف له، «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»[1] فلا يمكن أن يخالفه شيء، كما قال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤] فلا ضد له، ولا مخالف له، ولا مثل له - سبحانه وتعالى -، ومقصودُ الماتن رَحِمَهُ اللهُ الإشارة إلى الردّ على المعتزلة؛ القائلين بأنَّ العبد يخلق فِعْل نفْسه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٥)، ومن طريقه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٤٢ - تحقيق: الحاشدي)، ورواه أيضاً النسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٤٠) من حديث إحدى بنات النبي ﷺ، وضعّفه الحاشدي في تعليقه على «الأسماء والصفات» للبيهقي (١/ ٤٢٠- ٤٢١)، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٥٨) -بعد ما عزاه إلى أبي داود والنسائي-: «... وأم عبدالحميد، لا أعرفها». وفي الباب أحاديث وآثار، لا تخلو أسانيدها من مقال. انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (١/ ٤٢١- ٤٢٥).

لا راد لقضاء الله

◆ قَالَ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ (لا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلا غَالِبَ لِأَمْرِهِ):

الشرح

لا يرد قضاء الله راد، فإذا قضى الله شيئًا فلا يرده أحد، ولا بد من وقوعه، (وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ)؛ أي: لا يؤخر أحد حكم الله، بل لا بد أن ينفذ، (وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِ اللهِ)؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - هو الغالب، وهو الواحد القهار، إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، فلا يغلب أمر الله شيء.

الإيمان بأن كل شيء يجري بمشيئة الله وقدره

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ):

الشرح

أي: صدقنا، واعتقدنا ذلك، وقوله: (وَأَيْقَنَّا): من اليقين وهو الاستقرار؛ يقال: يقن الماء إذا استقر في المكان، أي: ثبت هذا في قلوبنا واستقر، بأنَّ كلَّ ما تقدَّم، فإنه يجري بمشيئة الله وَقَدرِه.

والمعنى: أن كل شيء يجري بقضاء الله وقدره وإرادته وتكوينه ومشيئته. ومشيئة الله نافذة، وقدر الله جارٍ ماضٍ، وما أراده الله لا بد أن يكون؛ آمنا بذلك وصدقنا، واستقر ذلك في قلوبنا؛ لأن هذا من الإيمان بقضاء الله وقدره.

كما لا بد من الإيمان بعلم الله بالأشياء، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وإرادته لكل ما يوجد في هذا الكون؛ لأنه هو الذي خلقه وأوجده.

وهذا مكتوب قبل أن تُخْلَقَ الخلائقُ بخمسين ألف سنة؛ كما ثبت في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرشُه عَلَى المَاءِ»[١].

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣)

وأن محمدًا عبدُه المصطفى ونبيُّه المجتبى

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ المُصْطَفَى وَنَبِيُّهُ المُجْتَبَى وَرَسُولُه المُرْتَضَى):

الشرح

(إن) - بكسر الهمزة - معطوف على قوله: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ)؛ لأن (إن) تكسر بعد القول كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [مريم: ٣٠]، وكما في قوله: ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الصافات: ٥٢]؛ وتقرأ الجملة هكذا: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ، وَلا شَيْءَ مِثْلُهُ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ المُصْطَفَى وَنَبِيُّه المُجْتَبَى وَرَسُولُه المُرْتَضَى). فقد عطف المؤلف إثبات النبوة على إثبات توحيد الله في ربوبيته، وفي أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وفي ألوهيته وعبادته.

قوله: المجتبى والمصطفى والمرتضى: متقاربة، يعني: أن محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي العربي المكي، ثم المدني هو عبد الله ورسوله، اجتباه الله، واصطفاه على العالمين، وارتضاه، واختصه بالرسالة والنبوة - عليه الصلاة والسلام -.

فلا بدّ من الإيمان بأن محمدًا عبد الله ورسوله، وأنه خاتم النبيين، وأنه أفضل الأنبياء، وأنه رسول الله إلى العرب والعجم، والجن والإنس؛ من لم يؤمن بهذا فهو كافر ليس بمؤمن، ولو زعم أنه يوحد الله و يعبده.

شهادتان لا تصح إحداهما بدون الأخرى: من شهد أن لا إله إلا الله ولم يشهد أن محمدًا رسول الله لم تقبل منه، ومن شهد أن محمدًا رسول

الله ولم يشهد أن لا إله إلا الله لم تقبل منه، وإذا أطلقت إحداهما دخلت فيها الأخرى، وإذا اجتمعتا تُفسر الشهادة الأولى بتوحيد الله، والثانية الشهادة برسالة النبي ﷺ.

ولهذا نفى الله الإيمان عن أهل الكتاب - اليهود والنصارى -؛ لأنهم لم يشهدوا أن محمدًا رسول الله، وإن كانوا يزعمون أنهم مؤمنون بالله؛ قال الله تعالى في سورة «براءة»: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩]، فنفى عنهم الإيمان؛ لأنهم لم يؤمنوا بأن محمدًا رسول الله، وإن كانوا يزعمون أنهم آمنوا بالله، وأنهم يعملون بكتبهم، لكن الإيمان نُفِيَ عنهم؛ فما صح، ولا اعتُبِرَ.

وقد جمع الله له ﷺ بين العبودية والرسالة، وهذه أفضل المقامات وأكملها، وكلما حقق الإنسان العبودية لله؛ كلما علت درجته، ومرتبته عند الله.

ولا يمكن أن يخرج أحد عن العبودية أبدًا، فالناس - بل جميع المخلوقات - معبدة لله؛ العبودية العامة، قال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣]؛ هذه هي العبودية العامة، ومعناها: أن كل مخلوق تنفذ فيه مشيئة الله وقدرته وإرادته.

وأما العبودية الخاصة؛ فهذه خاصة بالمكلفين، الذين يعبدون الله باختيارهم، ويوحدونه؛ من الجن والإنس والملائكة، وأكمل المقامات للنبي ﷺ هي العبودية الخاصة والرسالة[1].

---

(١) انظر: «مدارج السالكين (١/ ١٠٥)

وكلما حقق الإنسان عبوديته لله؛ كلما علت درجته ومرتبته؛ ولما كان الأنبياء أكثر الناس عبودية لله؛ كانوا أفضل الناس وأقربهم إلى ربهم عز وجل، ولذلك كان الرسول - عليه الصلاة والسلام - أكثر الناس عبودية لله -عز وجل-، وأعلاهم وأشرفهم منزلةً، ولهذا: فقد وصفه الله بالعبودية في المقامات الشريفة، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، ووصفه بالعبودية في مقام الدعوة إلى الله فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن: ١٩]، ووصفه بالعبودية في مقام الوحي فقال: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠]، ووصفه بالعبودية في مقام التحدي فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، فهذه أكمل المقامات وأشرفها.

كيفية إثبات النبوة:

وفي ثبوت النبوة كلام للناس؛ فكثير من أهل الكلام والنظر يثبتون النبوة بالمعجزات؛ فيرون أن المعجزات هي الدليل على النبوة .

والمعجزات لا شك أنها من دلائل النبوة، لكن ليست دلائل النبوة محصورة في المعجزات، بل دلائل النبوة كثيرة؛ منها: المعجزات، وخوارق العادات التي يجريها الله على يد النبي، مثل الإسراء والمعراج.

وكذلك من أعظم المعجزات الدالة على نبوته ﷺ: القرآن الكريم، ومنها: نَبْعُ الماء من بين أصابعه ﷺ، وكذلك تكثير الطعام، وإخباره عن المغيبات بوحي من الله عز وجل.

وهناك أيضًا دلائل كثيرة، حتى ألف العلماء مؤلفات كـ«دلائل النبوة» للبيهقي وغيره .

والنبوة يدعيها أصدق الناس، وأكذبهم، والناس يفرقون بين الصادق وبين الكاذب في أخباره وأقواله وأفعاله، فلا بد أن يقول مدعيها للناس كلامًا، ولا بد أن يخبرهم بأخبار، ولا بد أن يفعل أشياء؛ يعرف الناس بها الصادق من الكاذب .

بل إن الناس يعرفون الصادق من الكاذب في غير دعوى النبوة؛ فأنت تعرف الصادق من الكاذب في بيعه وشرائه؛ فتعرف المهندس الصادق، وتعرف الطبيب الصادق الناصح؛ ولهذا تجد بعض الناس يشترى من فلان؛ لأنه صادق، ولا يشتري من فلان؛ لأنه كاذب .

فإذا كان هذا حاصلاً في أمور الناس المعيشية، فكيف لا يُعرف الصادق من الكاذب في دعوى النبوة؟!

فالنبيُّ يعرف الناسُ صدقه فيما يُخْبِرُ به من الأخبار، وبما يفعله من أمور كلها مشتملة على علوم وأحوال يتبين بها صدقه، فصدق النبي ووفاؤه ومطابقة أقواله لأفعاله؛ دليل على نبوته .

ومن أمثلة ذلك: استدلال خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي ﷺ على نبوته بما جبل الله نبيه عليه من الأخلاق والصفات الحميدة مثل الصدق والوفاء، وذلك لمَّا جاءه جبريل في أول البعثة في صورته التي خلق عليها، وقد ملأ ما بين السماء والأرض، رُعِبَ النبي ﷺ رعبًا شديدًا، وجاء إلى زوجه خديجة وقال: «لَقد خَشيتُ على نفسي، فَقَالتْ له خديجة: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلَ الكَلَّ، وَتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتُقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ»[1]، فالنبي ﷺ يعلم أنه صادق،

(١) أخرجه البخاري (٣) واللفظ له، ومسلم (١٦٠).

ولكن يخشى أن يكون عرض له عارض سوء، فبينت له خديجة أنه لا يمكن أن يعرض له عارض سوء؛ لأن الله لما جبله على هذه الصفات الحميدة فلا يخزيه - سبحانه وتعالى -. فهذا من الأدلة التي يُستدل بها على نبوة النبي ﷺ.

ومن ذلك أيضًا: تصديق ورقة بن نوفل ابن عم خديجة له، وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب من الإنجيل بالعربية، فجاءت خديجة بالنبي ﷺ إلى ابن عمها، وقالت: اسمع من ابن أخيك.

فأخبره النبي ﷺ خبره، فآمن به وصدقه في الحال، واعترف بنبوته، وقال: «**هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنزِلَ عَلى مُوسَى**»(١)، والناموس: هو صاحب السر في الخبر، يعني جبريل الذي ينزل على موسى وآمن في الحال، وكان ورقة كان شيخًا كبيرًا قد عمي وطعن في السن، فتمنى أن يكون جذعًا حين يخرجه قومه، قال: «**يَا لَيْتَنِي فيها جَذَعًا أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟! فَقَالَ وَرَقَة: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجَلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ**»(٢)، فآمن ورقة رضي الله عنه، وجاء في حديث أن النبي ﷺ شهد له بالجنة، والمقصود: أن ورقة استدل بذلك على صدق النبي ﷺ.

وكذلك أيضًا هرقل ملك الروم لما كتب له النبي ﷺ له الكتاب يدعوه إلى الإسلام كتب له: «**مِنْ مُحَمَّدٍ عبد الله ورسوله إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٣) وفي مواضع متفرقة من صحيحه الجامع، ومسلم (١٦٠)، وهو طرف آخر للحديث السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٨٢) واللفظ له، ومسلم (١٦٠)، وهو طرف آخر للحديث السابق.

سلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ.. فَإِني أدعوكَ بدِعاية الإِسْلام أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ توليت فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمُ الأَرِيسِيِّينَ، وَ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]»[(١)].

فاهتم هرقل بهذا الكتاب اهتمامًا عظيمًا، وسأل في بلده: هل يوجد أحد من العرب؟ - وكان أبو سفيان في ذلك الوقت في الشام في تجارة ومعه أصحابه - فقيل: نعم هاهنا، فقال: عليَّ به، وقال لترجمانه: قل لهم: أيكم أقرب نسبًا من هذا الرجل؟ فقالوا: أبو سفيان، فقدم أبا سفيان وجعلهم خلفه، وقال لترجمانه: نسائل هذا الرجل مسائل فإن كذبني فكذبوه؛ ولهذا تحاشى أبوسفيان الكذب وهو في كفره وقال: لولا أن يؤثر عليَّ الكذب لكذبت.

فسأله أسئلة استدل بها على صدق النبي ﷺ واعترف بنبوته، «قَالَ لَهُ: كَيْفَ نَسَبُهُ فيكم؟ قُلتُ: هُوَ فِينا ذُو نَسَبٍ»[(٢)]، قال: «وَكَذَلِكَ الرُسُلُ تبعَثُ في أَحساب قومها»[(٣)] وسأله: «فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلتُ: لَا»[(٤)]. فَقَالَ: «فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ»[(٥)]،

---

(١) أخرجه البخاري (٧) بهذا اللفظ، من حديث أبي سفيان بن حَرْبٍ، وهو خَبَرٌ طويل، وسيأتي تخريجه بتمامه.
(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٧) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣)، وأحمد (١/ ٢٦٢).
(٣) أخرجه البخاري (٤٥٥٣)، ومسلم (١٧٧٣) بهذا اللفظ.
(٤) أخرجه البخاري (٧) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣).
(٥) أخرجه البخاري (٤٥٥٣)، ومسلم (١٧٧٣)، وأحمد (١/ ٢٦٢).

وسأله «فَأَشْرَافُ النَّاسِ يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلتُ: بل ضُعَفَاؤُهُمْ»[(١)]، فَقَالَ: «وَكَذَلِكَ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ»[(٢)]، وسأله «أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟»[(٣)] فَقَالَ: يَزِيدُونَ، فَقَالَ: وَكَذَلِكَ أَمرُ الإيمانُ حتى يتمَّ»[(٤)]، وسأله فقال: «فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سُخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلتُ: لَا»[(٥)]، قَالَ: «وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةُ القُلُوب»[(٦)]، وسأله «فَكَيْفَ كَانَتْ حربُهُ وحربُكم؟ قلتُ: كانتْ دُوَلاً وسجالاً؛ يُدال علينا المرة، وتُدال عليه الأخرى»[(٧)] يعني مرة ننتصر عليه، ومرة ينتصر علينا فقال: «فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى، ثُمَّ تَكُونُ لَهم العَاقِبَةُ»[(٨)]، وسأله «فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ به؟ قَالَ: يَأْمُرُنَا بِعِبَادَةِ اللهِ، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَدَقَةِ، وَالعَفَافِ وَالوَفَاء بالعهد، وأَدَاء الأَمَانَةِ»[(٩)].

ثم قال لهم: «وَهَذِهِ صِفة نَبيٍّ كنتُ أعلمُ أَنهُ خارجٌ، ولكن لم أكن

---

(١) أخرجه البخاري (٧) وهذا لفظه، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) لم يقع في «الصحيحين» بلفظ: «وكذلك أتباع الرسل»، بل عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٢٧٢)، وليس عند لفظ: «في أول الأمر»، ولفظه في «البخاري» (٧): «... فذكرتَ أنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ؛ وهم أَتْبَاعُ الرُّسل...»، ولفظ مسلم (١٧٧٣): «... فقلتَ: بل ضعفاؤهم؛ وهم أتْبَاعُ الرُّسل...».

(٣) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) بهذا اللفظ.

(٤) أخرجه ا لبخاري (٧) وهذا لفظه، ومسلم (١٧٧٣)، وأحمد (١/ ٢٦٢).

(٥) أخرجه البخاري (٧) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣)، وأحمد (١/ ٢٦٢).

(٦) أخرجه البخاري (٤٥٥٣)، ومسلم (١٧٧٣)، كلاهما بهذا اللفظ، وله عند البخاري في مواضع من الصحيح، بنحوه.

(٧) أخرجه البخاري (٢٩٤١) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣)، وأحمد (١/ ٢٦٢).

(٨) أخرجه البخاري (٢٨٠٤)، ومسلم (١٧٧٣).

(٩) أخرجه البخاري (٢٩٤١) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣)، وأحمد (١/ ٢٦٢).

أعلم أنه منكم»(١)، «وإن يَكُ ما قُلتَ حقاً؛ فيوشك أن يَملك موضع قدميَّ هاتين، ولوْ أرجو أن أخْلُصَ إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنتُ عنده، لغسلتُ قَدَمَيْهِ»، «فإنْ كان ما تقولُ حقاً فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ»(٢).

ثم أُخرج أبو سفيان وقومه، فقال لهم أبوسفيان حين خرج: «لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّه لَيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ»(٣)؛ قوله: (أَمِرَ) يعني عظم شأنه، و(ابن أبي كبشة): نسبة إلى أحد أجداده الغامضين من جهة الرضاع، وكانت العرب إذا كرهت الإنسان نسبته إلى جد غامض، قال أبو سفيان: «والله ما زلتُ ذليلاً مستيقناً بأن أمره سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ قَلبي الإِسْلَامَ وَأَنَا كَارِهٌ»(٤).

فهذا هرقل استدل على نبوة النبي ﷺ بهذه الأدلة من غير المعجزات وخوارق العادات.

وكذلك النجاشي - رحمه الله ورضي عنه - لما جاءه الصحابة وهاجروا إليه سألهم، واستخبرهم خبر النبي ﷺ واستقرأهم القرآن فقرءوا عليه، فقال لهم: «إِنَّ هَذَا وَالَّذِي أَتَى بِهِ مُوسَى مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ»(٥).

وبهذا يتبين أن الأدلة على نبوة الأنبياء كثيرة، ليست خاصة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤١) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣)، وأحمد (١/ ٢٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) واللفظ له، وأحمد (١/ ٢٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٥٣)، ومسلم (١٧٧٣) واللفظ لهما، وأحمد (١/ ٢٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٤١) بهذا اللفظ، ورواه مسلم (١٧٧٣) بنحوه.

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٢٠١- ٢٠٢) و (٥/ ٢٩٠- ٢٩١) من حديث أم سلمة ﵂، وكذا ابن خزيمة (٢٢٦٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/ ١١٥- ١١٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٧): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع».

بالمعجزات وخوارق العادات، كما يزعمه بعض أهل الكلام والنظر من الأشاعرة وغيرهم، حتى إن المعتزلة أنكروا خوارق العادات التي تجري على أيدي المؤمنين، وخوارقَ العادات التي تجري على أيدي السحرة، مع أنها واقعة، وقالوا: حتى لا يلتبس النبي بغيره، وهذا من جهلهم، وهو من أبطل الباطل.

ومن دلائل النبوة أيضاً: ما أبقاه الله تعالى من آثار الأمم المهلَكة؛ فإن الله تعالى ينصر المؤمنين، ويؤيدهم على القوم الكافرين، ويهلك الكفارَ ويعاقبهم، فبقيَّةُ آثارهم في العالم موجودةٌ، وأخبارهم متواترة؛ يعرفها الناسُ جميعًا؛ كتواتر الطوفان الذي أغرق الله به قوم نوح، وكغرق فرعون، وكآثار قوم لوط، وقوم هود، وقوم صالح.

ولهذا في سورة «الشعراء»؛ لما ذكر قصة موسى، ثم قصة إبراهيم، ثم قصة نوح، ثم قصة هود، ثم قصة صالح، ثم قصة لوط، ثم قصة شعيب قال الله - تعالى - بعد كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٨-٩].

ومن دلائل النبوة كذلك: ما اشتملت عليه الشرائع التي جاء بها الأنبياء من العلوم والأعمال والأحوال العظيمة، وما اشتملت عليه من الرحمة للخلق، ودعوتهم إلى ما فيه خلاصهم ونجاتهم، ودعوتهم إلى ترك ما فيه هلاكهم، فهي مشتملة على علوم وأحوال وصفات إذا تخلق بها الناس، وعملوا بها حصلت لهم السعادة، وهي مشتملة كذلك على التحذير من أسباب الهلاك والأخلاق السيئة.

مراتب الأنبياء والرسل والفرق بين الأنبياء والرسل:

والأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - على مراتب ودرجات، فالرسل أفضل من الأنبياء.

وهناك فرق بين النبي والرسول:

فمن العلماء من قال: إن الفرق بين النبي والرسول أن كلًا من النبي والرسول يوحى إليه، لكن الرسول يوحى إليه بشرع ويؤمر بتبليغه، والنبي يوحى إليه ولا يؤمر بتبليغه، فإذا أوحي إليه وأمر بتبليغه كان رسولًا، وإن لم يؤمر بتبليغه كان نبيًا، ولكن هذا قول مرجوح، والصواب أن الرسول هو الذي يُرسَل إلى أمة كافرة فيؤمن به بعضهم ويكفر به بعضهم، كنوح - عليه الصلاة والسلام - أُرسل إلى الكفار، فآمن به بعضهم، وكفر به بعضهم، ومثل نوح أيضاً: هودٌ، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونبينا محمد ﷺ.

أما النبي: فهو الذي يرسل إلى قوم مؤمنين، ويكلَّفُ بالعمل بشريعة سابقة[1]، فمثلًا آدم - عليه الصلاة والسلام - نبي؛ لكنه نبي إلى بنيه، ولم يقع الشرك في زمانه، والأمرُ كذلك بالنسبة لنبيِّ الله شيت، وأمَّا نوح عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله بعد وقوع الشرك أول ما وقع في الأرض؛ فأرسله إلى بنيه وإلى غير بنيه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، ثم وقع الشرك[2]، هذا معنى قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ

---

(١) انظر: «النبوات» لشيخ الإسلام (٢/ ٦٨٧- ٦٩٠، ٧١٤).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٨٠، ٥٩٦)، وابن أبي حاتم في =

اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وبالمثل: داود وسليمان أنبياء؛ لأنهم كلفوا بالعمل بالتوراة جميعًا التي أُنزلت على موسى - عليه الصلاة والسلام - وأُرْسِلا إلى بني إسرائيل الذين كانوا بعد موسى، حتى جاء عيسى - عليه الصلاة والسلام - بشريعةٍ مستقلة؛ وهو تابع أيضًا لما جاء في التوراة، ولكنه خفف بعض الأحكام، وقال: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

فالصواب الذي أقره وحكم به أهل العلم: أنَّ الرسول هو الذي بُعث إلى أمة من أهل الشرائع الكبيرة؛ أي: إلى أمة كافرة؛ فيؤمن به بعضهم ويكفر بعضهم، والأنبياء هم الذين يوحى إليهم، ويرسلون إلى المؤمنين خاصة، وَيُكَلَّفُون بالعمل بشريعة سابقة.

= «التفسير» (١٥١٨٤)، وابن جرير في «التفسير» (٢/ ٣٣٤)، كلهم من طريق أبي داود الطيالسي، عن همام، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه».

ختم النبوة بمحمد ﷺ

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَإِنَّهُ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ):

الشرح

نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - خاتم الأنبياء، وقوله: (وإنه خاتم الأنبياء) معطوف على قوله: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ المُصْطَفَى وَنَبِيُّه المُجْتَبَى وَرَسُولُه المُرْتَضَى).

فلا بد في صحة الإيمان برسالة محمد ﷺ: أن يعتقد المسلم ويؤمن بأنه خاتم الأنبياء؛ ليس بعده نبي، فمن زعم أن بعده نبيًّا؛ فهو كافر بعد أن تقوم عليه الحجة، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وثبت في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسَ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟! قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**»[1].

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٥) واللفظ له، ومسلم (٢٢٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي البخاري (٣٥٣٤)، ومسلم (٢٢٨٧) بنحوه: من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، وعند مسلم (٢٢٨٦) وحده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وجاء بنحوه أيضاً من حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه، عند الترمذي (٣٦١٣) وقال: «حسن صحيح غريب»، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد (٥/ ١٣٦، ١٣٧).

أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِيّ، وَأَنَا العَاقِبُ. لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ»[١]، والعاقب: الذي ليس بعده شيء.

وفي حديث ثوبان يقول النبي ﷺ: «وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[٢].

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «فُضِّلْتُ عَلى الأنبياء بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ المَغَانِمُ، وَجُعِلَتْ لي الأرضُ طَهُوراً ومسْجداً، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»[٣] أو كما قال - عليه الصلاة والسلام -.

والشاهد من الحديث أنه قال: «وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»[٤]؛ فهذه الأدلة تدل على أنه خاتم النبيين، وأنه ليس بعده نبي، فمن اعتقد أن بعده نبيًّا فهو كافر، ولا يصح إيمانه؛ ولهذا فإن من ادعى النبوة بعده فهو كافر[٥]،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤)، واللفظ له، من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، وَقِفْ على ما أفاده الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٥٧) من احتمال إدراج ما ورد في بعض طُرق هذا الحديث من تفسير لقوله ﷺ: «وأنا العاقب».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢١٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، والحاكم (٤/ ٤٩٦ -تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين...»، وأحمد (٥/ ٢٧٨) من طريق عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان به، وهو حديث صحيح؛ أصله في مسلم (٢٨٨٩)، وفي الباب أحاديث أُخر. انظر: «البخاري» (٧١٢١)، ومسلم (٢٩٢٣)، وانظر: «عمدة القاري» (٢٤/ ٢١٥).

(٣) أخرجه مسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٥٢٣)، وغيره.

(٥) انظر: «الجواب الصحيح» (١/

كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي؛ ومنهم في هذا العصر: «ميرزا غلام أحمد القادياني» الذي ادعى النبوة، والقاديانية[1] الذين يتبعونه في الهند ويعظمون بلدة «قاديان» ويحجون إليها؛ هؤلاء فرقة كافرة، خارجة عن الإسلام وعن المسلمين، كما أقر بذلك أهل العلم، وأجمعوا على ذلك في العصر الحاضر.

(١) «القاديانية» نسبة إلى: مرزا غلام أحمد القادياني الهالك سنة ١٣٢٥هـ. ادعى النبوة، وكان يزعم أنه يتلقى الوحي من السماء، كما زعم أن الله -عز وجل- أخبره بأنه سيعيش ثمانين سنة، وقد صار له أتباع وأعوان؛ فانبرى له كثير من العلماء وردوا عليه وبينوا أنه دجال من الدجالين، وكان منهم العالم الكبير ثناء الله الأمر تسري الذي كان من أشد العلماء عليه حتى إنه في عام ١٣٢٦هـ تحدى القادياني الشيخ ثناء الله هذا، بأن الكاذب المفتري من الرجلين سيموت، ودعا الله أن يقبض المبطل في حياة صاحبه، ويسلط عليه داء مثل الهيضة والطاعون يكون فيه حتفه، وبعد ثلاثة عشر شهرا وعشرة أيام تقريبا أصيب القادياني بدعوته. وقد ذكر أبو زوجته نهايته بقوله: ولما اشتد مرضه أيقظني فذهبت إلى حضرته ورأيت ما يعانيه من الألم فخاطبني قائلا: أصبت بالكوليرا، ثم لم ينطق بعد هذا بكلمة صريحة؛ حتى مات. وانظر: «القاديانية» لإحسان إلهي ظهير (١٥٥ - ١٥٩).

محمد ﷺ إمام الأتقياء

◆ قَالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ (وَإِمَامُ الأَتْقِيَاءِ):

الشرح

أي أن محمدًا - عليه الصلاة والسلام - إمام الأتقياء، والأتقياء جمع تقي؛ وهو الذي يخشى الله ويتقيه، ويعبده مخلصًا له الدين، ويؤدي ما فرضه عليه، وينتهي عما حرَّمه عليه.

فهو - عليه الصلاة والسلام - إمام الأتقياء، يُقتدى به ويُتَّبعُ؛ كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، وهو - عليه الصلاة والسلام - له النصيب الأوفر من صفات المتقين؛ فهو مقدمهم وإمامهم. والله تعالى وصف المتقين بصفات كقوله سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦]، هذه هي صفات المتقين، وهو - عليه الصلاة والسلام - أسبق الناس إلى هذه الصفات إلى يوم القيامة.

محمد ﷺ سيد المرسلين

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: **(وَسَيِّدُ المُرْسَلِينَ):**

الشرح

هذا وَصْفُهُ - عليه الصلاة والسلام - أنه سيد المرسلين جميعًا، وهو سيد الناس؛ كما ثبت في الأحاديث الصحيحة أنه - عليه الصلاة والسلام - أفضل الناس، وإذا كان سيد المرسلين - والمرسلون أفضل الناس - فهو ﷺ سيد العالمين كما ثبت من الحديث الصحيح قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»(١)، فقد اختاره الله - سبحانه وتعالى -، واصطفاه على خلقه؛ كما في الحديث: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»(٢)، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**»(٣)، فهو أفضل الناس على الإطلاق.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وفي الباب بنحوه عن أبي سعيد الخدري عند أهل السنن، وفي الباب أيضاً عن عبدالله بن سلام، وأنس بن مالك، وجابر بن عبدالله وغيرهم. وانظر: «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥٤) و(٩/ ١١٦) و(١٠/ ٣٧٥- ٣٧٦)، وكتاب «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في كتاب الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٦٨- ١٧٢) فقد توسع تخريجه واستقصاء طُرقه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٤٨) و (٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد (٣/ ٢) من طريق علي بن زيد -وفيه ضَعْفٌ-، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، وله شواهد من حديث أبي بكر، وابن عباس، وأنس رضي الله عنه، ولذا صححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٧١).

وأما ما جاء في بعض الأحاديث من النهي عن تفضيله؛ كحديث: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى»[١]، ورواية: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأُصْعَقُ مَعَهُم فَأَكُونُ أَوَّل مَنْ يفيقُ فإذا موسى باطشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَى اللهُ؟»[٢].

وفي لفظ: «لَا تُخَيِّروني من بين الأنبياء؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أنا بمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ»[٣].

وهذا الحديث له سبب، وهو أن يهوديًّا قال: والذي اصطفى موسى على العالمين، فسمعه مسلم فلطمه، قال: أتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟ فجاء اليهودي واشتكى المسلم للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى»[٤]، فيكون النهي محمولًا على ما إذا كان التفضيل على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس، أو يكون التفضيل على وجه الفخر؛ أو على وجه الانتقاص للمفضول؛ فهذا منهي عنه، أو أن النهي محمول على ما إذا كان خاصًّا بمعنى: أن يُفَضِّلَ نبياً بعينه على آخرٍ، بخلاف قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»؛ فإنه تفضيل عام؛ فلا بأس.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤١١، ٣٤٠٨) و (٦٥١٧، ٧٤٧٢)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١١) واللفظ له، ومسلم (٢٣٧٣)، والترمذي «تفسير القرآن» (٣٢٤٥)، وأبو داود «السنة» (٤٦٧١)، وأحمد (٢/ ٢٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٩١٧) بهذا السياق، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) سبق تخريجه.

فإن الجهاد - وهو أفضل الأعمال - إذا كان على وجه الحمية والعصبية؛ فإنه لا يكون جهادًا في سبيل الله؛ كما ثبت في الحديث: أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل عصبية أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»[(١)].

ومثله الحديث الآخر: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ»[(٢)] فيجاب عنه بأجوبة وهو تفصيلٌ لما سبق ذكره:

الجواب الأول: أن النهي محمول على ما إذا كان التفضيل على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس.

الجواب الثاني: أنه محمول على ما إذا كان على وجه الفخر؛ لأن الفخر منهي عنه كما قال النبي ﷺ: «وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»[(٣)].

الجواب الثالث: أن النهي محمول على ما إذا كان على وجه

---

(١) أخرجه بهذا السياق البخاري (٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤)، وابن ماجه (٢٧٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ورواه بنحوه أبو داود (٢٥١٧) من حديث أبي موسى أيضاً.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١٥)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الطيالسي (٢٣٦٦) بلفظ: «لا تفضلوا بين أنبياء الله، أو بينَ الأنبياء ﷺ»، وعند أحمد (٣/ ٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري، بلفظ: «... لا تفضلوا بعضَ الأنبياء على بعض...».

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه، وفي الباب عن أنس عند ابن ماجه (٤٢١٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ١٥٣)، وأبي هريرة عند إسحاق بن راهويه في «المسند» (٤٠٥)، وحديث أنس حسَّنه الحافظ ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص ٩٣).

الانتقاص للمفضول.

الجواب الرابع: أن النهي محمول على ما إذا كان خاصًا، أما إذا كان عامًّا فلا بأس بتفضيله على عموم الناس، أما تفضيله خاصة كتفضيله على موسى، فيكون منهيًّا عنه .

وأما الحديث الذي يروى: «**لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى**»، وأن بعض الشيوخ امتنع عن تفسيره حتى أُعطي مالًا جزيلًا، فلما أعطي مالًا جزيلًا فسّره، وقال: يعني: أن قرب يونس بن متى وهو في بطن الحوت وفي قعر البحار، كقربي من الله ليلة المعراج. وهذا الحديث باطل محرف لفظًا ومعنى[1]، وهذا يدل على جهل هؤلاء بألفاظ الحديث ومعانيه، وهذا التفسير ذكره بعضهم، وأظنه أبو المعالي الجويني[2]، وهو يتمشى مع القول بنفي العلو عن الله، وأن من كان فوق السبع الطباق، ومن كان في بطن الحوت في قعر البحار فَقُربهم مِنْهُ سواء .

وقد عُلم بكثير من الأدلة قطعًا أن الله تعالى في العلو؛ فوق العرش، ومحمد - عليه الصلاة والسلام - عُرج به إلى الله في العلو، ويونس إنما

---

(١) قال الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ١٧٢ -ط: السابعة): «لا أعرف له أصلاً بهذا اللفظ...».

(٢) نقله عنه أبو بكر ابن العربي في كتابه «أحكام القرآن ٦/ ٤٩٢» وأبو المعالي هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، إمام الحرمين، ولد سنة ٤١٩هـ في «جوين» من نواحي نيسابور. من كتبه «الشامل في أصول الدين»، و«الإرشاد»، و«الورقات في أصول الفقه»، وهو من أئمة الأشاعرة، وتتلمذ عليه أبو حامد الغزالي. توفي سنة ٤٧٨هـ في قرية «بشتغال» من أعمال نيسابور. انظر: «شذرات الذهب» لابن العماد (٣/٣٥٨- ٣٦٢)، و«تبيين كذب المفتري» لابن عساكر (٢٧٨-٢٨٥)، و«الأعلام» للزركلي (٤/ ١٦٠).

كان في قعر البحار، فأين هذا من هذا؟

وصواب الحديث: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»[(١)]، وفي لفظ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»[(٢)]، وفي لفظ: «مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ»[(٣)]، فليس في الحديث نهي عن تفضيل النبي ﷺ على يونس ﷺ، فالصواب أن الأنبياء يتفاضلون؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وكيف يقال: إن يونس يفضل على محمد ﷺ ومحمد - عليه الصلاة والسلام - قد عُرج به إلى السماء، فهو مقرب معظَّم مُبجل، ويونس ممتحن مؤدب مسجون في قعر البحار، فأين المعظَّم، المقرَّب، المبجَّل، من الممتحَن المؤدَّب؟!

---

(١) رواه البخاري (٤٦٠٣) من حديث ابن مسعود بلفظ: «ما ينبغي لأحدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متى»، وأخرجه النسائي في «الكبرى» (١١١٦٧)، بلفظ: «لا ينبغي» والباقي مثله، وكذا أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٥٢٧٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٥٧)، (٧/ ١٢٨).

وجَاءَ مِنْ حَديث أبي هريرة عند مسلم (٢٣٧٣) بلفظ: «ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن مَتيَّ...»، وكذا أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٩٠)، (١/ ٤٤٠، ٤٤٣)، والشاشي في «المسند» (٢/ ٥٧)، وغيرهم، وجاء من حديث ابن عباس بلفظ: «لا ينبغي لأحدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن مَتيَّ...»، عند أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٢، ٣٤٨)، وفي (١/ ٢٩١) لكن بلفظ: «وما ينبغي...». وكذا رواه بهذا اللفظ أبو يعلى في «المسند» (٢٥٤٤).

وورد أيضاً من حديث عبدالله بن جعفر ﷺ، عند أبي يعلى في «المسند» (٦٧٩٣)، بلفظ: «لا يقولن أحدٌ إني خيرٌ من يونس مَتيَّ».

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١٢) من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٠٤، ٤٨٠٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ومع ذلك فإنه لا ينبغي لإنسان أن يفضِّل نفسه على يونس، حتى لو كان فاضلًا، فكيف إذا كان مفضولًا؟! فمن قال إنه خير من يونس بن متى - حتى ولو كان فاضلًا -: فكفى بقوله هذا سببًا للحطِّ من مرتبته، فلو قال بهذا أحد: فهو كاذب. وهذا من باب الشرط المقدر؛ كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥].

وسبب ذلك أن يونس - عليه الصلاة والسلام - لما ذهب مغاضبًا والتقمه الحوت وهو مليم فسبّح وقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ وقد يظن بعض الناس: أنه خير من يونس بن متى، وأنه لا يحتاج إلى هذا الندم والاستغفار والتسبيح، وهذا باطل؛ لأن كل أحد يحتاج إلى أن يستغفر من ذنبه، وكل أحد ظالم لنفسه.

وكذلك نبينا ﷺ نهاه الله عن التشبه بيونس قال: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، وأمره بالتشبه بأولي العزم: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقد أخبر الله عن الأنبياء كلهم أنهم يستغفرون، وأولهم آدم وآخرهم نبينا محمد ﷺ؛ فأخبر الله عن آدم أنه قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وموسى أخبر الله عنه قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، وقال نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - وهو أشرف الخلق كما في حديث الاستفتاح: «**وَجَّهْتُ وَجْهِي**»(١)، وقال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبي جَمِيعاً، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ**

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

إِلَّا أَنْتَ»[١].

فكل أحد - حتى الأنبياء - يحتاج إلى ما احتاج إليه يونس. فمن وقع في نفسه أنه خير من يونس بن متى فهو كاذب .

(١) هو من تتمة الحديث السابق

ثبوت الخلة لنبينا ﷺ

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَحِبيبُ رَبِّ العَالَمِينَ):

الشرح

● قوله: (وَحِبيبُ رَبِّ العَالَمِينَ).

يعني: نبينا ﷺ حبيب رب العالمين، بل هو ﷺ، خليلُ رب العالمين، ولو قال الشيخ الطحاوي: (وخليل رب العالمين) لكان أولى؛ لأن الخُلَّة أكمل من المحبة، وقد ثبتت له - عليه الصلاة والسلام - الخلة؛ كما ثبتت لإبراهيم، قال - عليه الصلاة والسلام -: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**»[1]، وفي الحديث الآخر: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أهل الأَرضِ خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ ابْنَ أبي قُحَافَةَ خَلِيلًا وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»[2]، إذن: فالخلة ثابتة لنبينا ﷺ. والخلة أعلى مقامات المحبة؛ والمحبة ثابتة لغير الخليل؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فهذه المحبة ثابتة لهم، لكن الخلة فوق ذلك. والخلة لم تكن إلا لاثنين: لإبراهيم، ومحمد - عليهما السلام -، فهما الخليلان، وأما

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢) من حديث جندب بن جنادة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بهذا السياق مسلم (٢٣٨٣) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وله عند مسلم أيضاً عن ابن مسعود ألفاظ أخرى، وأخرجه البخاري (٣٦٥٦) من حديث ابن عباس بلفظ: «لو كنتُ متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي». والحديث له في الصحيح، وفي السنن، والمسانيد، والمعاجم روايات وألفاظ أخرى.

ما يقوله بعض الناس ويزعمه من أن الخلة لإبراهيم، والمحبة لمحمد؛ ويقول: إبراهيم خليل الله، ومحمد حبيب الله؛ فهذا باطل، بل إن محمدًا أيضًا خليل الله، ويُروى في ذلك حديث رواه الترمذي؛ فيه: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللهِ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللهِ وَلَا فَخْرَ**»(١)، وهذا حديث ضعيف لا يصح؛ في سنده راويان ضعيفان: زَمْعَة بن صالح، وسلمة بن وَهْرَام.

والصواب: أن محمدًا خليل الله كما أن إبراهيم خليل الله؛ فقول الشيخ: (وَحِبيبُ رَبِّ العَالَمِينَ) يوهم أنه لا يُثبت الخلّةَ لمحمد ﷺ ولو قال: (وخَلِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ) لكان أحسن؛ حتى يُدْفَعَ عنه توهّم عدم إثبات الخلّة لمحمدٍ ﷺ(٢).

والخلة هي نهاية المحبة؛ وذلك: لأن المحبة لها درجات ومراتب(٣):

فأوّلُ مراتب المحبة: العلاقة؛ وهي: تعلق القلب بالمحبوب.

المرتبة الثانية: الإرادة؛ وهي: إرادة المحب للمحبوب، وَمَيْلُ قلبه إليه، وطلبه له .

المرتبة الثالثة: الصبابة؛ وهي: انصباب القلب إلى المحبوب؛ بحيث لا يملكه؛ كانصباب الماء في الحدور .

المرتبة الرابعة: الغرام؛ وهو: الحب الملازم للقلب، سمي غرامًا لملازمته له، ومنه الغريم، وسمي غريمًا لملازمته لغريمه صاحب الدَّين،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦١٦)، والدارمي (١/ ٣٩) من حديث ابن عباس ﷺ، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب»، وضعفه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ١٧٥ -ط: السابعة).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٦٧)، (١٠/ ٦٧)، و«مدارج السالكين» (٣/ ٢٧).

(٣) انظر: «روضة المحبين» (ص ١٦).

ومنه قوله تعالى في جهنم: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] يعني: ملازمًا.

المرتبة الخامسة: المودة والود؛ وهو: صَفْوُ المحبة، وخلوصها، وَلُبُّها، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦].

المرتبة السادسة: الشَّغَفُ؛ وهو: الحُبُّ الذي وصل إلى شَغَافِ القلب، وهو غلافه، وهي: جلدةٌ دونه؛ كالحجاب.

المرتبة السابعة: العشق، وهو: الحُبُّ المفرط الذي يُخْشى على صاحبه مِنْهُ، وهذه المرتبة لا يوصف بها الرب، ولا يوصف العبد بها في محبته لربه؛ لأنه لم يرد، ولعل الحكمة في ذلك: أنها محبة مع شهوة.

المرتبة الثامنة: التتيم؛ وهو: التعّبد، ومنه تيم الله أي: عبد الله، يقال: تَيَّمَهُ الحب؛ أي: عبَّده وذلله.

المرتبة التاسعة: التّعبد؛ وهو غاية الذل مع غاية المحبة، يقال: طريق مُعَبَّدٌ إذا وَطِئَتْهُ الأقدامُ، ومحبة العبودية خاصة بالله، ولا تكون إلا لله؛ فإذا صُرفت لغير الله: كانت شركًا.

المرتبة العاشرة: الخلة وسميت خلة لأنها تتخلل القلب والروح حتى تصل إلى سويدائك، كما قال الشاعر[1]:

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي ... وَلِذَا سُمِّيَ الخَلِيلُ خَلِيلا

والخلة: هي نهاية المحبة وكمالها، ولا يتسع القلب لأكثر من خليل

---

(١) انظر: «محاضرات الأدباء» (١/ ٣٣٤)، و«المنتحل» (١/ ٦)

واحد؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ»[١] يعني نفسه - عليه الصلاة والسلام -؛ يعني: لو كان في قلبي متسع؛ لكان لأبي بكر، ولكن قلبي امتلأ بخلة الله؛ فليس فيه متسع لأكثر من واحدٍ.

أما المحبة: فيتسع ﷺ لكثير؛ كما كان يحب عائشة، ويحب أبا بكر، وكان أسامةُ حِبَّه وابنَ حِبِّه زيد؛ فالقلب يتّسع لأكثر من واحد؛ هذا بالنسبة للمخلوق، أما وَصْفُ اللهِ بالخلة والمحبة، فهو كما يليق بجلاله وعظمته. والله - تعالى - يوصف من هذه المراتب: بالإرادة، والمحبة، والمودة، والخلة، أما بقية المراتب فلم يَرِدْ بها النَّصُّ. فاتصافه بالخلة هو كسائر صفاته كما يليق بجلاله وعظمته؛ لا تشبه صفاتُه صفاتِ المخلوقين.

(١) ذكره الشارحُ حفظه الله - أول الباب والحديثُ سبق تخريجه هناك.

كل من ادعى النبوة بعده ﷺ كاذب

◆ قَالَ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوَى)

الشرح

كل من ادعى النبوة بعد النبي ﷺ فهو غاوٍ؛ والغاوي هو المنحرف عن علم وهوى؛ أي: اتبع هوى نفسه قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩]، فالغيُّ: هو ترك العمل مع العلم، أما الضلال: فَعَمَلٌ مَعْ جَهْلٍ، وقد برأ الله نبيه الكريم من هذين الوصفين؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: ١-٢]، أي: ليس ضالًا؛ فيكون جاهلًا، بل هو على علم من ربه، وليس هو كذلك: غاويًا لا يعمل؛ بل هو راشدٌ. والراشد: هو الذي يعلم ويعمل.

عموم بعثته ﷺ للإنس والجن

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وهُوَ المَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الجِنِّ وَكَافَّةِ الوَرَى):

الشرح

أي: أنه رسول الله إلى خلقه، يعني: الجن والإنس. والأدلة في كونه مبعوثاً إلى الجنّ واضحة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٠]، ثم قالوا بعد ذلك: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١]؛ فهذا دليل على أنه مرسل إليهم، وكذلك في سورة «الجن» كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ [الجن: ١]، وقوله في سورة «الرحمن»: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الرَّحمٰن: ٣٣] إلى قوله: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرَّحمٰن: ١٣]؛ قرأها النبي ﷺ عليهم وقرأها على الإنس، فقال النبيُّ ﷺ: **«لَلْجِنُّ أَحْسَنُ رَدًّا مِنْكُمْ مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرَّحمٰن: ١٣] مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا قَالُوا: وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ يَا رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الحَمْدُ»**[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩١)، والحاكم (٢/ ٥١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٨٩)، و(٤/ ١٠١)، وفي «دلائل النبوة» (٢/ ٢٣٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٦٦)، كلهم من حديث جابر بن عبدالله. وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، وأورده الذهبيُّ في «تاريخ الإسلام» (١/ ٢٠١) وقال: «زهير ضعيف». وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد. قال ابن حنبل: كأنَّ زهيرَ بن محمدٍ الذي وقع بالشام؛ ليس هو الذي يُروَى عنه بالعراق؛ كأنه رجلٌ آخر، قلبوا اسمه،.=

وثبت أيضًا أنهم جاءوا للنبي ﷺ وسألوه الزاد؛ فقال: «**لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ في أيديكم، أَوْفَرَ ما يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لدَوابكم**...»[1]، وقال النبي ﷺ: «**لَا تَسْتَنْجُوا بِالعَظْمِ وَالرَّوْثِ؛ فَإِنَّهُ زَادُ**

= يعني: لما يروون عنه من المناكير. وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: «أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير، وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة».

فرواية أهل الشام عنه، غير مستقيمة، قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٩/ ١٢٧): «حديث جابر هذا رواه الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، وهو من أهل الشام؛ ففي الحديث ضعف، لكن له شاهد من حديث ابن عمر، أخرجه ابن جرير، والبزار، والدارقطني في «الأفراد» وغيرهم. وصحح السيوطي إسناده، كما في (فتح البيان»).

تنبيهات: قول الإمام الترمذي: «لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم» أورده عنه الإمام ابن كثير في «التفسير» (٤/ ١٧١)، ثم قال: «كذا قال!! وقد رواه البيهقي من حديث مروان بن محمد الطاطري، عن زهير بن محمد به مثله».

الشاهد الذي أشار إليه المباركفوري، من حديث ابن عمر، أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢٧/ ١٢٣- ١٢٤)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٣/ ٧٤)، والخطيب في «التاريخ» (٤/ ٣٠١)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٠) نسبته إلى ابن المنذر، وابن مردويه، والدارقطني في «الأفراد». وصحح السيوطي إسناده، لكن ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧) من رواية البزار، وقال: «رواه البزار، عن شيخه عمرو بن مالك الرَّاسبي، وثّقه ابن حبان، وضعّفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح».

لكن لم يتفرَّدْ به عمرو بن مالك، بل هو مقرون في رواية ابن جرير بمحمد بن عبَّاد ابن موسى العُكْلي، المُلّقب (سَنْد ولا)؛ صدوق يخطئ، كما في «التقريب» (٥٩٩٥)، لكن في إسناديْهما يحيى بن سُليْم الطائفي، وهو مع كونه صدوقاً إلا أنه سيىء الحفظ، كما في «التقريب» (٧٥٦٣).

(١) أخرجه مسلم (٤٥٠) من حديث ابن مسعود ﷺ.

إِخْوَانِكُمْ مِنَ الجِنِّ»[1].

وثبت في قصة ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**لا تبرح مكانك**»، وسمع حركة الجن، ولغطهم، وأصواتهم[2]؛ فأراد أن يذهب لكنه ذكر قول النبي ﷺ: «**لَا تَبْرَحْ مَكَانَكَ**»؛ فلما جاء النبي ﷺ أخبره وقال: يا رسول الله! سمعتُ كذا وكذا، وخشيتُ عليك، فتذكرتُ قولك: «**لَا تَبْرَحْ...**» قال: «**هل سمعتَ؟**» قال: نعم، فجاءه، فأراه النبي ﷺ مكان نيرانهم، وأخبره أنهم سألوه كذا وكذا»[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٥٠) بلفظ: «فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم»، وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٣٩) بلفظ: «لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فإنها زاد إخوانكم من الجن»، وكذا الترمذي في «السنن» (١٨)، وأبو عوانة في «المسند» (٥٨٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠١٠)، لكن وقع عند الترمذي ومَنْ بعده بلفظ: «فإنه...».
وعند البخاري (٣٨٦٠) من حديث أبي هريرة: «... فقلتُ: مَا بال العظم والرَّوثة؟ قال: هما من طعام الجن...».
قال في «البدر المنير» (٢/ ٣٤٨): «أما النهي عن الاستنجاء بالعظم؛ فصحيح رواه جماعاتٌ من الصحابة...»، ثم ذكرهم ﷺ.

(٢) انظر: ما أخرجه أحمد (١/ ٤٥٥)، والدارقطني (١/ ٧٧)، والبيهقي (١/ ٩)، بمعناه، وفي سنده علي بن زيد ابن جدعان وهو ضعيف.

(٣) انظر ما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٦٧) من حديث ابن مسعود، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٥٥٢)، وقال: «رواه الطبراني وفيه يحيى بن يعلى الأسلمي وهو ضعيف».
والذي في «صحيح مسلم» (٤٥٠) من حديث ابن مسعود المتقدم قريباً: «أتاني داعي الجن فذهبتُ معه فقرأت عليهم القرآن» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وميزانهم، وسألوه عن الزاد...الحديث». وقد توسَّع الحافظ الزيلعيُّ في «نصب الراية» (١/ ١٣٩- ١٤٧) في الكلام على طرق حديث ابن مسعود، فلينظره من شاء.

فهذه أدلة تدل على أنه - عليه الصلاة والسلام - مُرْسَلٌ إلى الجن .

قال ابن القاسم: إنه لم يُرسَل نبي إلى الإنس والجن إلا محمد ﷺ، لكن هذا بعيد؛ لأن ظاهر قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] ظاهره أن موسى مُرْسَلٌ إليهم، وكذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، دليل على أنه أُرْسِل إليهم رُسُلٌ.

مسألة:

هل يكون من الجن رسول ونبي؟[1].

قاله بعضهم؛ وروي هذا عن الضحاك بن مزاحم، ومجاهد وغيره، والذي رُوي عن ابن عباس: أن الرسل تكون من الإنس خاصة، وأما الجن فيكون فيهم نُذُرٌ؛ يُنْذِرُونَ، كما في الآية: ﴿فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]؛ ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١].

فالنبوة والرسالة تكون في الإنس، والجنُّ إنما يكون فيهم نُذُرٌ؛ وأما قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فلا يلزم من ذلك أن يكون منهم رسل، وإنما من أحدهما وهم الإنس؛ كقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠]، ثم قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرج اللؤلؤ من أحدهما، وهو المالح دون العذب .

وقال آخرون: لا مانع من ذلك؛ فقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ظاهره أن يكون من الجن رسل، وقالوا: إن القول في ﴿يَخْرُجُ

---

(١) انظر: «النبوات» لشيخ الإسلام (٢/ ١٠٠٤)

﴿مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝﴾ [الرحمن: ٢٢] ليس بصحيح؛ بل قد يخرج من العذب، والله أعلم بالصواب.

وأما كون النبي ﷺ مرسلًا إلى عموم الناس إلى يوم القيامة - العرب والعجم - ففي ذلك أدلة واضحة لا شك فيها كما سيأتي، فمن أنكر رسالة محمد ﷺ إلى عموم الناس أو قال: إنه رسولٌ إلى العرب خاصَّه؛ فهو كافر؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ١]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] أي: وأنذر من بلغه إلى يوم القيامة، وقال سبحانه: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، وقال سبحانه: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [يونس: ٢] أي: جميعًا وعمومًا، وقال ﷺ في حديث صحيح: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَموتُ وَلَمْ يُؤمن بالذي أُرسلتُ به، إلّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١)، فهذه الأدلة تدل على عموم الرسالة .

وأما قول بعض النصارى: إن النبوة خاصة بالعرب فيقال لهم: إذا أثبتم أنه رسول إلى العرب فيلزمكم أن تثبتوا أنه رسول الله إلى الناس عامة؛ ما دام أثبتم أنه رسول؛ فالرسول لا يكذب، وقد أخبر أنه رسول الله إلى الناس كافة؛ فيلزمكم تصديقه وإلا فاكفروا؛ فالرسول لا يكذب؛ كما قال ﷺ: «**قال فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِم، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُوراً وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»[١].

فيلزمكم أن تؤمنوا كذلك بالقرآن؛ الذي نزل عليه؛ ما دام أنه رسول؛ وفيه نصوصٌ واضحة في عموم رسالته إلى الناس كافةً؛ فإذا لم تؤمنوا بالقرآن، ولم تصدقوه: كفرتم، وإن صدقتموه في أنه رسول؛ فصدقوا في إخباره بأنه رسول الله إلى الناس كافة.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الرسول هو المبعوث لعامة الجن والإنس بالحق والهدى

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ ﷺ: (وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى بِالْحَقِّ وَالْهُدَى وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ):

الشرح

● قوله: (وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى)

أي: بُعِثَ كافةً للناس، وكافةً للجنّ بالحق والهدى، والنور والضياء .

هذا وصْف الشرع له ﷺ أنه جاء بالحق والهدى، والنور والضياء، والعلم النافع؛ فالله تعالى أرسله بالحق: الذي هو المطابق للواقع، والهدى: أي: العلم النافع الذي يثمر العمل الصالح، والنور: الذي يستضاء به ويوصل إلى الله وجنته ودار الكرامة، والضياء: الذي هو أبلغ من النور؛ كما قال -سبحانه تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، فإن الضياء نور فيه حرارة، والقمر فيه نور بدون حرارة، والشمس فيها نور بحرارة.

وذلك أن هذا الشرع فيه نور وضياء، وحرارة الشرع الذي به جاء محمد ﷺ نور فيه بيان وإيضاح ودعوة وتعليم وبيان حق الله، وفيه حرارة أيضًا: قوةٌ وقمعُ المجرمين، وجهاد الكافرين، وإقامة الحدو.؛ فهو نور وضياء.

القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ؛ مِنْهُ بَدَأَ بِلا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِه وَحْيًا، وَصَدَّقَه الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا عَلَى أَنَّهُ كَلامُ اللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلامِ البَرِيَّةِ. فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلامُ البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٦]. فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٥] عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ وَلا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ):

الشرح

● قوله: (وَإِنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ):

بالكسر؛ معطوف على قوله: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ المُصْطَفَى... وَإِنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ) فالكلُّ معمول قول: «نقول في توحيد الله: إن الله واحد لا شريك له»، ونقول: «إن محمدًا عبده المصطفى ورسوله»، ونقول: «إن القرآن كلام الله».

فالقرآن كلام الله عز وجل، وصفةٌ من صفاته، تكلَّم به، وأنزله على نبيه وحيًا، وليس بمخلوق كما يقول أهل البدع، وليس معنًى قائمًا بالنفس؛ بل هو كلام الله تكلم به بحرفٍ وصوتٍ يُسْمَعُ؛ سمعه جبرائيلُ، وكلَّم اللهُ محمدًا ﷺ ليلة المعراج، وسمع موسى كلامَ الله؛ هذا هو الحق الذي عليه

أتباع الرسل من أهل السنة والجماعة والصحابة والتابعين وأتباعهم[١].

ومسألة الكلام مسألة عظيمة، وهي من الصفات العظيمة المشهورة التي اشتد النـزاع فيها بين أهل السنة والحق من ناحية، وبين المخالفين لهم من ناحية أخرى. ففي معنى كلام الله وحقيقة كلام الله: مذاهبُ للناس.

ولما كان النـزاع فيها شديدًا بين أهل السنة وأهل البدع؛ ولما كان الحق قد يلتبس بالباطل لكثرة من خاض في هذه المسألة؛ فلا بد من استعراض المذاهب فيها[٢]، وبيان القول الحق الذي تشهد له الأدلة والنصوص، وتشهد له العقول السليمة والفطر المستقيمة، فالناسُ قد تنازعوا في كلام الله على مذاهب، لكن أبرز المذاهب في هذه المسألة: ثمانية مذاهب لأهل الأرض جميعًا؛ سبعة مذاهب باطلة، والمذهب الثامن هو القول الحق.

ومع كون هذه المذاهب الباطلة سبعةً يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: هذه المذاهب السبعة هي الذائعة بين الناس وبين فضلاء العالم، لا يعرفون غيرها مع بطلانها، وهذه المذاهب بعضها كفريّة وبعضها مبتدعة.

المذهب الأول: مذهب الاتحادية.

المذهب الثاني: مذهب الفلاسفة.

المذهب الثالث: مذهب السالمية.

---

(١) انظر تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه الصفة الجليلة في «التسعينية» لشيخ الإسلام - طبعة دار المعارف، و«مجموع الفتاوى» - المجلد (١٢)، و(٥/ ٥٢-٥٥٨).

(٢) انظر تلك المذاهب مبسوطة ومرتبة في «منهاج السنة» (٢/ ٣٥٨- ٣٦٣).

المذهب الرابع: الكرَّامية.

المذهب الخامس: مذهب الكُلَّابية[١].

المذهب السادس: مذهب الأشعرية.

المذهب السابع: مذهب الجهمية والمعتزلة.

المذهب الثامن: مذهب أهل السنة والجماعة.

هذه أبرز مذاهب أهل الأرض جميعًا في مسمى كلام الله، وهناك مذاهب أخرى لكنها ليست مشهورة.

المذهب الأول: مذهب الاتحادية:

وهم الذين يقولون بوحدة الوجود، وأن الوجود واحد، ومذهبهم في كلام الله: أنَّه كلّ ما يُسمع في الوجود، سواء أكان حقًّا وصدقًا، أو باطلاً وكذبًا، وزوراً وبهتاناً، وسواء أكان نظمًا أو نثرًا، وسواء أكان كلام الأعجميين، أو أصوات الطيور أو الحيوانات؛ فكله كلام الله، نعوذ بالله من ذلك.

كما قال زعيمهم ابن عربي الطائي رئيس وحدة الوجود[٢] في كتابه

---

(١) هم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، وهم يزعمون أن صفاته -تعالى- لا هي هو ولا غيره، ويقولون بأن الصفات لا تتغاير، وأن العلم لا هو القدرة ولا غيرها، وكذلك سائر الصفات، كما يقولون: إن أسماء الله هي صفاته، ولم يفرقوا بين صفات الذات وصفات الأفعال. انظر: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٥٠، ٢٥٣) و(٢٢٥، ٢٢٧)، و«نهاية الإقدام» للشهرستاني (١٨١)، و«أصول الدين» لعبد القاهر البغدادي (٩٠).

(٢) هو أبو بكر أو أبو عبدالله محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي =

«الفتوحات المكية»[١]:

وكل كلام في الوجود كلامه   سواء علينا نثره ونظامه

وهذا المذهب مبني على مذهبهم في القول بوحدة الوجود؛ فإن مذهبهم أن الوجود واحد؛ فليست هناك موجودات، بل ليس هناك رب وعبد، ولا خالق ولا مخلوق؛ بل الوجود كله واحد؛ الرب هو العبد، والعبد هو الرب، والخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق؛ لا فرق بينهم؛ ولهذا يقول ابن عربي الطائي[٢]:

الرب حق والعبد حق   يا ليت شعري مَن المكلف
إن قلتَ عبد فذاك ميت   أو قلتَ رب أنَّى يُكلف

فالعبد هو الرب، والرب هو العبد فأيهما المكلف، إن قلت: عبد فذاك ميت وذاك نفي، وإن قلت رب أنَّى يُكَلَّف؟

= الأندلسي، المعروف بابن عربي، ولد سنة ٥٦٠هـ، من القائلين بوحدة الوجود، والملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر وغير ذلك. له كتب: منها «الفتوحات المكية»، و«فصوص الحكم»، و«ديوان الشعر»، و«التعريفات». توفي بدمشق سنة٦٣٨هـ. انظر: «ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٥٩، ٦٦٠)، و«الأعلام» (٦/ ٢٨١، ٢٨٢). وانظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٦/ ٦٢٩).

(١) ذكره في كتابه «الفتوحات المكية» (٤/ ١٤١)، وورد البيتُ في المصدر المذكور هكذا:

ألا كل قولٍ في الوجود كلامُه   سواء علينا نثره ونظامه

(٢) ذكره في كتابه «الفتوحات المكية» (١/ ٢)، وفي «كتاب الجلالة» (ص١٢) المطبوع ضمن رسائله، وقال في الكتاب المذكور في الصفحة نفسها:

تعجبتُ من تكليف ما هو خالق   له وأنا لا فعل لي فأراه
فيا ليت شعري من يكون مكلفاً   وما ثم إلا الله ليس سواه

وقال أيضًا:

(رب مالكٌ وعبد هالكٌ، وأنتم ذلك)

وهؤلاء الاتحادية أكفر خلق الله، وهم منافقون زنادقة يُظْهِرون الإسلام ويبطنون الكفر، فهم في الدرك الأسفل من النار -نعوذ بالله من النفاق والمنافقين - والله - تعالى - يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] - نسأل الله السلامة والعافية - وليس بعد هذا كفر؛ لأنه إنكار كامل لوجود الله؛ وأصل هذا المذهب نشأ من إنكار مسألة المباينة والعلو؛ أي: إنكار علو الله على الخلق، وإنكار مباينته للمخلوقات، لَـمَّا قالوا: ليس منفصلًا عنها ولا مبينًا لها، ولا فوقها، وقرروا هذه القاعدة الفاسدة التي هي أصل من أصولهم. والمقصودُ: أنهم منافقون زنادقة؛ يُظْهِرون الإسلام، ويخفون الكفر، ولهم مؤلفات تُحقق وتُنشر، ككتاب «الدرة» وغيره، توجد في كثير من الأقطار العربية، وتُطبع بورق صَقيل، وخط واضح، ومن زعماء القائلين بوحدة الوجود: ابنُ عربي الذي له مؤلفات وكتب مشهورة منها: «الفتوحات المكية»، و«فصوص الحِكَم»، وله مؤلفات في الفقه أيضًا.

وهذا المذهب لم ينقرض؛ بل هو موجود ومنتشر؛ فهناك من يدافع عن ابن عربي إلى يومنا هذا ويقول: إنه معذور، بل إن هناك رجلًا في السودان على عهد النميري - أحد الحكّام السابقين - يقال له «محمود محمد طه» ادعى أن الله قد حَلَّ فيه، وقال: إنه هو الله - والعياذ بالله -، فهم من أكفر خلق الله، بل أكفر خلق الله. والعجيب أنهم - مع ذلك - يدعون أنهم أولياء الله وخاصته من خَلْقِه.

فلا بد إذن من بيان مذهبهم حتى لا ينطلي على بعض الناس. فهؤلاء

لَـمَّا أنكروا مباينة الله لخلقه وعلوه؛ صاروا بين واحد من ثلاثة أمور:

الأمر الأول:

أن يقولوا: بأن الله معدوم؛ لا وجود له صراحةً، وهذا لم يستسيغوه؛ لأن الناس سيكشفون كفرهم.

الأمر الثاني:

أن يقولوا: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا مغاير له، ولا محايث له، ولا متصل به، ولا منفصل عنه، كما قال بهذا الجهميةُ الذين نفوا عن الله النقيضين، وهذا أيضًا لم يستسيغوه؛ قالوا: لأن هذا غير متصوَّر.

القول الثالث:

- وهو الذي اختاروه -، أن الله عين المخلوقات، فالخالق هو المخلوق، وكل ما تروه هو الرب. قال ابن عربي (سِرْ حيث شئت فإن الله ثَمَّ، وقُل ما شئتَ به فالواسع الله، فكل شيء تراه هو الله، والله هو عين هذه المخلوقات، وهو عين هذه الموجودات، والشيء لا يحايد نفسه ولا ينافيها)، فلما ثبت عندهم أن الله عين هذه المخلوقات، قالوا: إن كل كلام في الوجود هو كلامه، سواء أكان حسنًا أو قبيحًا، وسواء أكان كفرًا أو إيمانًا، وكل اسم فهو له؛ حَسَنًا كان أو قبيحًا، وكل صفة -سواء أكانت صفة نقص، أو كمال- فهي له؛ وهذا مذهب كفري شديد؛ بل هم أعظم الناس كفرًا، كفى بهم كفراً أن يقال: كيف يجرؤ عاقل أن يقول: كل كلام يُسمع في هذا الوجود، كلامُ الله مع مافي بَعْض هذا الكلام من الكفر والسب والشتم والغناء والباطل، إلى غير ذلك؟!

فهؤلاء كفرة؛ لا يؤمنون بالله، ولا بملائكته، ولا بكتبه، ولا برسله، ولا باليوم الآخر، ولا بالقدر خيره وشره؛ فهم أكثر الناس كفرًا.

ومن فروع هذا المذهب أنهم يقولون: إن فرعون مصيب حينما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وكذلك: عُبَّادُ الأصنام والأوثان، يكونون على الحق والصواب، وكل من عَبَدَ شيئًا فهو مصيب؛ فمن عبدَ النار فهو مصيب، ومن عبدَ الصنم فهو مصيب، ومن عبدَ العجل فهو مصيب، وإنما الكفر عندهم التخصيص؛ فلا تنهَ أحدًا عن عبادة شيء؛ فإذا خصصت شيئًا، وقلت: لا يجوز عبادة إلا هذا الشيء؛ فهذا هو الكفر عندهم[١].

وابن عربي يقول في إحدى مؤلفاته: إن فرعون مصيب حينما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وإنه لما أَغْرَقه الله فهذا الإغراق تطهير له؛ لأنه ظن أنه الرب وحده، وهذا غلط، ويقول معارضًا لكتاب الله: إن موسى - عليه الصلاة والسلام - لما أخذ برأس هارون ولحيته حينما عبدوا العجل يقول إنما كان مقصوده: لماذا تنهاهم عن العجل وهم على الصواب؟[٢].

ومن فروع هذا المذهب أنه لا فرق بين الزنا والنكاح، ولا بين الخمر والماء، ولا بين الأم والأخت والأجنبية؛ الكل واحد، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) يقول ابن عربي في «فصوص الحكم» (ص ١٩٥): «والعارف المكمَّل من رأى كل معبود مجلى للحق يُعبد فيه، ولذلك سمّوه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص: بحجر، أو شجر، أو حيوان، أو إنسان، أو كوكب، أو مَلك...».

(٢) انظر تصحيح ابن عربي لعبادة من عبد العجل من قوم موسى في «الفصوص» (١/ ٦٢ وما بعدها)، وتصويبه لدعوى فرعون بالربوبية في «الفصوص» (١/ ١٩١-١٩٤)، وانظر أيضاً «الفصوص (١/ ٢١٠- ٢١١).

فلا بد أن يكون طالب العلم على حذر، وعلى إلمام بهذا المذهب الخبيث الذي هو أكفر مذهب في الأرض؛ وبهذا القدر نكتفي لئلا نسترسل في الكلام.

المذهب الثاني: مذهب الفلاسفة وأتباعهم:

الفلاسفة المَشَّاءون ومن تبعهم من متكلم ومن متصوف كابن سينا[١]، والفارابي[٢]، وابن عربي، وغيرهم، هؤلاء الفلاسفة مذهبهم في كلام الله عز وجل: أنه فيضٌ فَاضَ من العقل الفَعَّال على النفس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها فحصل لها تصورات وتصديقات بحسب ما قبلت منه، فكلام الله ليس حرفًا ولا صوتًا، ولكنه معانٍ تفيض على النفوس الفاضلة الزكية، ويحصل لها تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته من هذا الفيض.

وهذا المذهب في الكلام مبني على مذهبهم في القول بقِدَم العالم، وأن العالم لازم لله أزلًا وأبدًا؛ كلزوم الضوء للسراج. فلا يقولون: إن

---

(١) هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي شرف الملك الفيلسوف الرئيس، ولد سنة ٣٧٠هـ في إحدى قرى بخارى، كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين. من كتبه: «الشفاء»، و«الإشارات». توفي سنة ٤٢٨هـ. انظر: «لسان الميزان» (٢/ ٢٩١-٢٩٣)، و«الأعلام» (٢/ ٢٤١-٢٤٤)، و«الموسوعة العربية الميسرة» (١٩).

(٢) هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، أصله تركي، ولد سنة ٢٦٠هـ في «فاراب» على نهر جيحون، وانتقل إلى بغداد ونشأ فيها، سمي المعلم الثاني؛ لشرحه كتب أرسطو المعلم الأول. من كتبه: «مبادئ الموجودات»، و«إبطال أحكام النجوم»، وغيرها. قال ابن كثير: ولم أرَ الحافظ ابن عساكر ذكره في «تاريخه»؛ لنتنه وقباحته. توفي سنة ٣٣٩هـ. انظر: «أخبار الحكماء» لابن القفطي (١٨٢-١٨٤)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٢٥١)، و«الأعلام» (٧/ ٢٠).

العالم حادث بل يقولون: إن العالم قديم كَقِدَم الله؛ وهذا المعنى إنكار لوجود الله، وأنه واجب الوجود بذاته، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء؛ فَبَنَوْا على هذا الأصل، وهو القول بقِدَم العالم؛ أن الكلام معنى يفيض على النفس الفاضلة الزكية فيحصل لها تصورات وتصديقات بحسب ما قبلت منه .

وأصل هذا: أنهم لم يؤمنوا بالرب الذي أخبر عن نفسه أنه الأول، وليس قبله شيء، والذي عرف اسمه الرسلُ، الفعال لما يريد، المتصف بالصفات، القادر على كل شيء، المتكلم بقدرته ومشيئته؛ فلما لم يؤمنوا بالرب الذي وصف نفسه، وسماها بأسماء وصفات؛ قالوا: إن العالم قديم، ثم إن الكلام فيضٌ فاض من العقل الفعَّال.

وحقيقة هذا المذهب: الكفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره وبالبعث والنشور، وبالجنة والنار؛ فهم كفرة ملاحدة لم يؤمنوا برسله؛ لأنهم لم يؤمنوا بالله ربًا وإلهًا ومعبودًا بالحق، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء، وأنه الغني بذاته، الذي لا يحتاج إلى أحد، وأن له الكمال في أسمائه وصفاته.

وهم يلتقون مع الاتحادية الذين يقولون: الوجود واحد؛ والعبد هو الرب، والرب هو العبد، وهؤلاء الفلاسفةُ يقولون: إن العالم قديم ولازم للرب، ولم يثبتوا ربًا غنيًا خالقًا قادرًا بمشيئته، وقالوا: إن الرب هو أول هذا العالم، وهو المحرك له، وهو العلة الغائية لحركته، فهم بهذا يلتقون مع الاتحادية في الكفر والزندقة، نسأل الله السلامة والعافية .

ولكن العلماء يذكرون هذه المذاهب؛ لأن الملاحدة تستروا باسم الإسلام، وهم في حقيقة الأمر يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر والإلحاد،

وكذلك الفلاسفة. فهناك من يظن من الناس أنهم على حق وصواب، وأنهم أهل علم، وأهل قواعد وأصول؛ فاغتر بهم كثير من الناس من أهل البدع، وظنوا أنهم على حق وصواب .

المذهب الثالث: مذهب السالمية[1]:

وهم أتباع محمد بن أحمد بن سالم، أبي عبد الله، وتبعهم بعض أتباع الأئمة الأربعة أو بعض من ينتسب للحديث، وذهبوا إلى أن كلام الله ألفاظ ومعاني وحروف وأصوات قديمة في الأزل لم تزل ولا تزال، ولا يقولون إن الكلام متعلق بقدرة الله ومشيئته، وما دامت الألفاظ قديمة؛ فالحروف التي تؤلِّف هذه الأصوات قديمة، وما دامت المعاني قديمة؛ فالحروف التي تتألف من هذه الألفاظ قديمة .

وهم يقولون: إن كلام الله نوعان:

- نوع يُسْمَعُ بواسطة .
- ونوع يُسْمَعُ بغير واسطة .

كما سَمِع محمدٌ ﷺ كلام الله بواسطة جبرائيل، لكن الكلام وإن كان لفظًا ومعنى، وإن كان بحرف وصوت، إلا أنه قديم لم يزل ولا يزال، ولا

---

(١) هم أتباع محمد بن أحمد بن سالم، أبي عبد الله المتوفى سنة ٢٩٧هـ، وابنه الحسن أحمد بن محمد بن سالم المتوفى سنة ٣٥٠هـ، وقد تتلمذ الابن على سهل بن عبد الله التستري. ومن أشهر رجال السالمية أبو طالب المكي صاحب كتاب «قوت القلوب» المتوفى سنة ٣٨٦هـ. ويجمع السالمية في مذهبهم بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة مع ميل إلى التشبيه ونزعة صوفية اتحادية. انظر: «شذرات الذهب» (٣/ ٣٦)، و«اللمع» للسراج (٤٧٢-٤٧٦)، و«طبقات الصوفية» لأبي عبدالرحمن السلمي (٤١٤-٤١٦)، و«الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي (١٥٧-٢٠٢).

يزال الرب يتكلم في القدم والأزل، وكلمات الرب مقترنة لا يسبق بعضها بعضًا؛ فالباء مع السين مع الميم كلها يتكلم بها الرب دفعة واحدة؛ هكذا يقولون.

وقالوا: إن الحروف إنما تُسمع متعاقبة بالنسبة لسمع الإنسان؛ وإلا فالحروف مقترنة، وشبهتهم في ذلك مبنية على أن الكلام -عندهم-لا بد أن يقوم بمتكلم، وأن الرب ليس محلًا للحوادث؛ قالوا: فلو قلنا: إن كلام الرب متعلق بقدرته ومشيئته؛ لصار محلًّا للحوادث؛ بل يقولون: إن الكلام قديم في الأزل لم يزل ولا يزال، فمتى شاء الله تكلم بالحروف مقترنة.

ولهذا يسمونهم بـ«الاقترانية»؛ نسبة إلى الاقتران الذي ذكروا في الحروف، وأن الرب يتكلم بها دفعة واحدة، فقالوا لو قلنا: إن الحروف متعاقبة؛ للزم من ذلك: أن يحدث الحرف الثاني في ذات الرب، فيكون ذلك محلاً للحوادث، وهذا مذهب باطل.

وقولهم: إن الكلام ألفاظ ومعان وحروف وأصوات قائمة بذات الرب؛ فهذا حق، لكن قولهم: إنه لا يتعلق بقدرته ومشيئته؛ فهذا باطل، فالرب لم يزل يتكلم، وكلامه قديم لكن ألفاظه لم تزل حادثة متعلقة بمشيئته؛ فهو يكلم جبريل، ويكلم الملائكة، ويكلم الأنبياء، ويكلم الناس يوم القيامة، فالقول بأنه لا يتعلق بقدرته ومشيئته، تعطيل للرب من الكمال وتنقص له - سبحانه -.

وكذلك قولهم: إن الحروف مقترنة، وأنه لا يسبق بعضها بعضًا، وأنها غير متعاقبة؛ هوتخليط وهذيان غير متصور، ومخالفٌ للحِسِّ، وليس معلومًا بالفطرة؛ لأن الكلمة اذا كانت مكونة من حرفين؛ فلا يمكن

للمتكلم أن يتكلم بالحرف الثاني إلا بعد الأول، ولا وجود للكلمة إلا بالتعاقب، وقولهم: إنه يلزم من ذلك أن تحدث الحروف في ذات الرب، فهذا باطل؛ لأن هذا يلزم بالنسبة للمخلوق، أما الخالق فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين؛ لأن الرب لا يشابه المخلوقين لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله - سبحانه -.

المذهب الرابع: مذهب الكُلَّابِيَّة:

وهم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، ويرون أن كلام الرب معنى قائم بنفس الرب ليس بحرف ولا صوت، ولا يمكن أن يُسمع، وهو لازم لذاته كلزوم السمع والبصر والعلم والحياة، وهو أربعة معانٍ في نفسه: الأمر والنهى والخبر والاستفهام.

وأما الحروف والأصوات؛ فهذه حكاية دالة على كلام الله وليست كلام الله، فليس في المصحف كلام بزعمهم، بل ما فيه إنما هو حروف وكلمات دالة على كلام الله، ليست هي كلام الله، فكلامه في نفسه لا يُسمع، والحروف والأصوات حكاية دالة عليه، وهذا المذهب مبني على أن الكلام لا بد من أن يقوم بالمتكلم، وعلى هذا: فإن الله ليس محلًا للحوادث؛ لأنه لو كان حرفًا وصوتًا؛ لكان محلًّا للحوادث، كما قالوا: ليس بحرف ولا صوت، وإنما هي حكاية دالة عليه .

ولمناقشة هؤلاء الكلابية نقول:

أولا: أنتم تقولون: إن الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله؛ فحكاية الشيء إنما تكون بالإتيان بمثل الشيء؛ من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير؛ تقولُ: حكيتَ الحديثَ بعينه؛ تريد أن الرواية مطابقة للحديث من غير زيادة ولا نقص، والحروف والأصوات ليست مطابقة

للمعنى القائم بنفس الرب فكيف يقال: إنها حكاية لكلام الله؟!

ثانيًا: لو كانت الحروف والأصوات حكاية عن كلام الرب كما تزعمون؛ فلزم من ذلك أن تكون صفات الله محكية، وله مثل وشبيه، والله ليس له مثل ولا شبيه.

ثالثًا: لو كانت الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله؛ لأتى الناس بكلام مثل كلام الله، وحينئذ أين عجزهم عن الإتيان بمثله؟ وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال أيضًا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

ورابعًا: لو كانت الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله؛ للزم عليه أن يُحكى بحرف وصوت ما ليس بحرف ولا صوت.

وعلى هذا يتبين بطلان هذا المذهب.

المذهب الخامس: مذهب الأشاعرة[1].

وهم أتباع أبي الحسن الأشعري يقولون: إن الكلام معنى قائم بنفس

---

(١) وينسبون إلى أبي الحسن الأشعري، ويقولون بإثبات سبع صفات فقط؛ لأن العقل دل على إثباتها، وهي السمع، والبصر، والعلم، والكلام، والقدرة، والإرادة، والحياة، وقالوا بأن كلام الله هو المعنى القائم، وهو قائم بالذات يستحيل أن يفارقه، والعبارات والحروف دلالات على الكلام الأزلي، وعندهم أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والعمل والإقرار من فروع الإيمان لا من أصله، وقد رجع أبو الحسن الأشعري عن قوله في الأسماء والصفات. انظر: «الملل والنحل» (١/ ١١٩)، و«رسالة في الرد على الرافضة» (١٦٦).

الرب وهو بمعنى واحد؛ ليس بحرف ولا صوت، وهو لا يُسمع، لكنه معنى واحد وشيء واحد، وهو لا يتنوع لأربعة أشياء كما يقول الكلابية .

فهم يقولون بأن الكلام معنى واحد؛ لا يتعدد ولا يتبعض، ولا يتجزأ، ولا يتكثّر، بل هو معنى واحد، والحروف والأصوات عبارة دالة عليه؛ فهذا يقول حكاية، وهذا يقول عبارة، وكونه أمرًا ونهيًا وخبرًا واستفهامًا فهذه الصفات إضافية لهذا المعنى الواحد، ولكنها ليست أنواعًا بل صفات إضافية لذلك النوع الواحد؛ فيكون الخطاب أمرًا بالإضافة، ونهيًا بالإضافة، وخبرًا بالإضافة، واستفهامًا بالإضافة؛ فهي صفة إضافية كما أن الإنسان له صفات إضافية، فأنت شخص واحد توصف بأنك أب بالإضافة إلى أبنائك، وتوصف بأنك ابن بالإضافة إلى آبائك، وتوصف بأنك خال بالنسبة لأولاد الأخت .

وقوله: توراة وإنجيل وقرآن وزبور، قالوا: هذا تقسيم للعبارة؛ للدلالات لا للمدلول، فالمدلول واحد، وهو المعنى القائم بنْفس الرب؛ بحسب العبارة؛ لكن إن عبّرتَ عنه بالعربية؛ فهو القرآن، وإن عبّرت بالعبرانية؛ فهو التوراة، وإن عبرت عنه بالسريانية؛ فهو الإنجيل، وإن عبرت عنه بالداودية؛ فهو الزبور، وهو شيء واحد، ومعنى واحد فقالوا: إن الحروف تفسير بالنسبة للدلالات والعبارات؛ فالحروف والأصوات عبارة دالة عليه.

وبعضهم يرى أنه لا فرق بين مذهب الكلابية والأشاعرة، فبعض الأشاعرة يقول: إن المذهب واحد؛ لأن كُلًّا من المذهبين يتفق على أن الكلام معنى قائم بنفس الرب، واتفقوا على أن الحروف والأصوات دالة على كلام الرب؛ فتكون الكلابية قالوا: «حكاية»، والأشاعرة قالوا:

«عبارة»، فمذهبا الأشاعرة والكلابية متقاربان، ومذهب الأشاعرة -بزعم أصحابه- هو المذهب الذي يكاد يقنع العقل، وهم يسمون أنفسهم بأهل السنة والجماعة!!

وفي بعض الأزمنة عَمَّتْ هذه التسميةُ عليهم، ولمْ ينجُ إلى الحقّ والهدي إلّا طائفةٌ قليلة، ولذا: كان من المُهمّ أن نَعْرِفَ مذهبَ الأشاعرة، ونبيّن بطلانه للناس .

المذهب السادس: مذهب الكَرَّامِيَّة[1].

وكان الترتيب أن يكون قبل مذهب الكلابية والأشاعرة. وهم أتباع محمد بن كرَّام، وهم يقولون: إن كلام الله حروف وأصوات وألفاظ ومعان قائمة بذات الرب، متعلق بمشيئته وقدرته، فهو يتكلم متى شاء إن شاء، إلا أن الكلام حادث في ذاته؛ فكان الكلام ممتنعًا عن الرب؛ لا يقدر عليه، ثم انقلب فجأةً فصار ممكنًا.

فقولهم: إن كلام الرب ألفاظ ومعان وحروف وأصوات قائم بذاته، ومتعلق بقدرته ومشيئته؛ فهذا حق، وهو موافق لأهل السنة والجماعة، لكن

---

(١) وهي إحدى فرق المرجئة، وسموا بذلك نسبة إلى محمد بن كَرَّام من أهل سجستان، وهم يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ مؤمنين على الحقيقة، وزعموا أن الكفر بالله هو جحوده وإنكاره باللسان، وهم فرق: الطريقة، والإسحاقية، والعابدية، والهيصمية، وغيرها، وكانوا يثبتون الصفات إلا أنهم ينتهون فيها إلى التجسيم والتشبيه. انظر: «مذاهب الإسلاميين» للدكتور عبد الرحمن بدوي: (١/ ٢٢٣)، و«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (١٠١)، و«الملل والنحل» (١/ ١٤٤)، و«رسالة في الرد على الرافضة» (١٦٣-١٦٥).

قولهم: إن كلام الرب حادث في ذاته؛ فهذا باطل، وقولهم: إن الكلام كان ممتنعًا عن الله، ثم انقلب فجأة فصار ممكنًا، فكانت هناك فترة لا يقدر أن يتكلم فيها؛ فهذا مَبْنِيٌّ على أن القول بأن الكلام قديم يوجب أن تتسلسل الحوادث والموجودات .

قالوا: لو قلنا بأن كلام الرب قديم ليس حادثًا للزم التسلسل في الحوادث والموجودات، ولو أردنا إثبات أوليّة الربّ، فلا نستطيع أن نثبت أن الله هو الأول وليس قبله شيء، ولا انسدَّ علينا هذا الباب؛ ففرارًا من ذلك قالوا: إن الكلام كان ممتنعًا على الرب، ثم انقلب فجأة فصار ممكنًا؛ وهذا باطل من وجوه:

أولًا: أن الرب موصوف بالكمال؛ والكلام صفة الرب؛ فالكلام صفةُ كمال؛ فكيف يخلو الرب من هذا الكمال في وقت من الأوقات؟! فإذا خلا من الكمال: صار ذلك نقصًا، والله منزه عن كل نقص.

وكيف يكون كلامه ممتنعًا ثم يصير ممكنًا؟! فإذا كانت حال الرب سواء، ولم تتجدد له صفة الكلام؛ فكيف يكون الكلام ممتنعًا كما قالوا؟! وما الذي جعله ينقلب من الامتناع إلى الإمكان؟!

ثانيا: القول بأن الطريق ينسد بإثبات الأولية، نقول: لا ينسد فالله هو الأول، وليس قبله شيء، وهو فَعَّال - سبحانه وتعالى -، ويتكلم ويخلق بالكلام؛ إنما أمره إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كن فيكون، وكل فرد من أفراد المخلوقات مسبوق بالعدم، خلقه الله بقدرته ومشيئته بعد أن كان معدومًا، وإذا وُصِفَ كل فرد من المخلوقات بهذا؛ فلا يلزم من ذلك أن تكون هناك فترة يُعَطَّلُ فيها الرب.

المذهب السابع: وهو مذهب الجهمية:

وتلقته منهم المعتزلة فنُسب إليهم، ومن أجل ذلك يقال «مذهب الجهمية، ومذهب المعتزلة»، وهو القول: بأن كلام الرب ألفاظ ومعان وحروف وأصوات، وهو متعلق بقدرته ومشيئته، إلا أنه مخلوق، خارجٌ عن ذاته، فصار به متكلمًا.

فقولهم: إن كلام الرب ألفاظ ومعان وحروف وأصوات متعلق بقدرته ومشيئته؛ فهذا حق ولكن قولهم: إنه مخلوق فهذا باطل؛ قالوا: إن الله - تعالى - لما نادى موسى من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة قالوا: إن الله خلق الكلام في الشجرة فهي التي قالت: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، فالكلام -قالوا- مخلوق خارج ذاته، وإن كان ألفاظًا ومعاني وحروفًا وأصواتًا بمشيئته. وهذا المذهب مبني على نفي الصفات عن الرب لما يقتضيه إثبات الصفات عندهم من التشبيه والتجسيم، ومشابهة المخلوقات؛ ففرارًا من ذلك نفوا الصفات.

فهذه سبعة مذاهب، وكلها باطلة وهي التي تدور في العالم. لكن هذه المذاهب ليست منتشرة انتشارًا كبيرًا، وقد رددنا عليها، وأكثر المذاهب انتشارًا هو مذهب الأشاعرة والكلابية؛ ويكادان يكونان مذهبًا واحدًا، حتى إن كثيرًا من الفقهاء وغيرهم ينتحلون مذهبَ الأشاعرة؛ فالفقهاءُ من الحنابلة وغيرهم، وكثير من الأحناف مذهبهم أشعري، حتى صاحب «الروض المُربع» قال أول ما بدأ في الشرح: «بسم الله الرحمن»؛ ففسر الرحمة بالإنعام، على طريقة الأشاعرة، والإنعام ليس الرحمة، وقد يوافقهم بعض الـمُحَدِّثين في بعض الأمور كالحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فبعض الصفات أَوَّلَها على طريقة الأشاعرة: كالغضب والرضا والكلام، وكذلك

النووي رحمه الله في شرح «صحيح مسلم» يؤوّل الصفات على طريقة الأشاعرة.

والسبب في هذا: أن هؤلاء العلماء الفطاحل المحدِّثين، لم يُوَفَّقوا لمن يُنَشِّؤُهُم على معتقد أهل السنة والجماعة في سن الطلب؛ فظنوا أن ما هم عليه هو الحق.

فالخلاصة: أن لهم أعمالًا عظيمة في خدمة الإسلام، لكن هذه الأخطاء صدرت منهم عن اجتهاد لم يتعمدوها، فإذا كان هؤلاء العلماء الفطاحل الكبار وقعوا في الخطأ ولم يهتدوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة؛ فلذلك: كان لا بُدَّ من توضيح المحجة، وإقامة الحُجة، فطالبُ العلم يُخْشَى عليه أن يزل، ولكنَّ مذهب أهل السنة والجماعة اليوم هو أكثر المذاهب انتشارًا والحمد لله.

المذهب الثامن: مذهب أهل السنة والجماعة:

وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، والأئمة وأتباعهم، فهم أتباع الرسل، ومذهبهم في كلام الرب: أن الله موصوف بالكلام، وأن الكلام من صفاته الذاتية؛ لاتصافه به في الأزل؛ فالله تعالى موصوف بالكلام أزلًا وأبدًا، وكذلك هو من صفاته الفعلية لكون الكلام بمشيئة الرب واختياره؛ ولأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت الـمُعَيَّنُ قديمًا، ومن صفاته الفعلية؛ لأن الله يتكلم بقدرته ومشيئته، ويتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء سبحانه.

وأن كلام الله ألفاظ ومعانٍ بحرف وصوت يُسْمَع، وأن كلام الرب - سبحانه وتعالى - ليس حالًا في المخلوقات ولا متحدًا بهم، بل الرب بائن بذاته وصفاته من خلقه منفصل عنهم، والقرآن كلام الله لفظه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، وأمَّا ألفاظُ

العِبَادِ وأصواتُهم وحركاتُهم وأداؤُهم وأفعالهم؛ فكل ذلك مخلوقٌ بأمر الله عز وجل.

هذه المذاهب الثمانية هي أبرز المذاهب في كلام الرب، وهذه المذاهب تدور على أصلين:

الأصل الأول: هل كلام الرب واقع بمشيئته واختياره وقدرته أو بغير مشيئته واختياره؟!

اختلفوا في ذلك:

فقال بعضهم: إن كلام الرب واقع بغير مشيئته واختياره، وهم أربع طوائف:

الأولى: قالت: إن كلام الرب واقع بغير مشيئته واختياره، وهو معنى يفيض منه على نفس شريفة تتكلم به؛ وهم الفلاسفة.

الثانية: قالت: إن كلام الرب معنى قائم به، وهو ألفاظ ومعان وحروف وأصوات قديمة في الأزل لم تزل ولا تزال؛ وهم السالمية.

الثالثة: قالت: إن كلام الرب واقع بغير مشيئته واختياره، وهو معنى قائم بنفسه، جامع لأربعة معان: هي الأمر والنهي والخبر والاستفهام؛ وهم الكلابية.

الرابعة: قالت: إن كلام الرب معنى قائم بنفسه، وهو واحد لا يتبعض ولا يتعدد ولا يتكثّر؛ وهم الأشعرية.

وقال بعضهم: إن كلام الرب واقع بمشيئته واختياره، وهم أربع طوائف:

الأولى: قالت: إن كلام الرب واقع بمشيئته واختياره؛ وهو الذي

يتكلم به الناس كلهم، وهو يُسمع من جميع الناس؛ وهم الاتحادية.

الثانية: قالت: إن كلام الرب واقع بمشيئته واختياره، وهو ألفاظ ومعان وحروف وأصوات، إلا أنه حادث في ذاته، كائن بعد أن لم يكن؛ وهم الكرّامية.

والثالثة: قالت: إن كلام الرب واقع بمشيئته واختياره، وهو ألفاظ وحروف ومعان وأصوات، إلا أنها مخلوقة خارجة عن ذاته؛ وهم الجهمية والمعتزلة.

والرابعة: قالت: إن كلام الرب قائم بذاته، واقع بمشيئته واختياره، وهو قديم النوع حادث الآحاد، بحرفٍ وصوت يُسْمَع؛ وهم أهل السنة والجماعة.

أما الأصل الثاني: هل كلام الرب قائم بذاته ومتصف به أو هو خارج عن ذاته ومنفصل عنه؟! واختلفوا فيه كالتالي:

فقال بعضهم: إن كلام الرب خارج عن ذاته ومنفصل عنه، وهم ثلاث طوائف:

قالت طائفة: إن كلام الرب خارج عن ذاته ومنفصل عنه، وهو معانٍ تفيض على النفوس الفاضلة الزكيّة؛ وهم الفلاسفة.

وقالت طائفة: إن كلام الرب خارج عن ذاته ومنفصل عنه، وهو الذي يتكلم به الناس كلهم؛ حقّه وباطله؛ وهم الاتحادية.

وقالت طائفة: إن كلام الرب خارج عن ذاته ومنفصل عنه، وهو هذه الحروف والأصوات خلقها خارجة عن ذاته فصار بها متكلمًا؛ وهم الجهمية والمعتزلة .

وقال بعضهم: واقع بذاته متصف به؛ وهم خمس طوائف:

قالت طائفة: إن كلام الرب قائم بذاته متصف به، وهو ألفاظ ومعان وحروف، والأصوات لم تزل ولا تزال؛ وهم السالمية.

وقالت طائفة: إن كلام الرب قائم بذاته ومتصف به؛ وهو ألفاظ ومعانٍ وحروف وأصوات، إلا أنه حادث في ذاته، كائن بعد أن لم يكن؛ وهم الكرامية.

وقالت طائفة: إن كلام الرب قائم بذاته ومتصف به، وهو معنى جامع لا معانٍ لها هي؛ الأمر والنهي والخبر والاستفهام؛ وهم الكلابية.

وقالت طائفة: إن كلام الرب قائم بذاته ومتصف به وهو معنى واحد لا يتعدد ولا يتبعض ولا يتجزأ ولا يتكثّر؛ وهم الأشاعرة.

وقالت طائفة: إن كلام الله قائم بذاته ومتصف به وهو قديم النوع حادث الآحاد؛ وهم أهل السنة والجماعة.

فتبين بهذا أن هذه المذاهب ترجع لهذين الأصلين.

والذين أثبتوا الصوت في كلام الله؛ خمس طوائف:

الأولى: قالت: إن كلام الله بصوت وهو الذي يتكلم به للناس كلهم؛ وهم الاتحادية.

الثانية: قالت: إن كلام الله بالصوت، وهذه الحروف والأصوات خلقها خارجة عن ذاته فصار بها متكلمًا؛ وهم الجهمية والمعتزلة.

الثالثة: قالت: إن كلام الله بالصوت حادث في ذاته كائن بعد أن لم يكن، وهم الكرامية.

الرابعة: قالت: إن كلام الله بصوت، وهو ألفاظ ومعانٍ لم تزل ولا تزل في الأزل؛ وهم السالمية.

الخامسة: قالت: إن كلام الله بالصوت قديم النوع وحادث الآحاد؛ وهم أهل السنة والجماعة.

والذين لم يثبتوا الصوت ثلاث طوائف:

الأولى: قالت: إن كلام الله ليس بصوت، وهو معنى يفيض على النفس الشريفة فتتكلم بها؛ وهم الفلاسفة .

الثانية: قالت: إن كلام الله ليس بحرف ولا صوت، لكنه معنى جامع لأربعةِ معان: الأمر والنهى والخبر والاستفهام؛ وهم الكلابية.

الثالثة: قالت: إن كلام اللهِ ليس بصوت، وهو معنى واحد لا يتجزأ ولايتعدد ولا يتبعض ولا يتكثّر؛ وهم الأشاعرة.

مسألة:

الصوت المسموع من كلام الله - تعالى -هل يقال: إنه مخلوق أو غير مخلوق؟

الجواب:

هذا فيه تفصيل؛ إن أُرِيدَ به الصوت المسموع عن الله، فهذا كلام غير مخلوق، وإذا أريد به الصوت المسموع عن الـمُبَلِّغ فهذا مخلوق .

مسألة:

ومُسَمَّى الكلام هل هو اللفظ أو المعنى؟

الجواب:

اختلفوا فيه:

فقال بعضهم: إن مُسَمَّى الكلام حقيقة في المعنى، مجاز في اللفظ؛ وهم الأشاعرة.

وقيل: إن الكلام حقيقة في اللفظ، مجاز في المعنى، وهذا مذهب المعتزلة.

وقيل: إن الكلام حقيقة في كُلٍّ من اللفظ والمعنى، فإطلاقه على المعنى وحده حقيقة، وإطلاقه على اللفظ حقيقة، فهو مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات[1]، وهذا مذهب أبي المعالي الجويني.

وقيل إن الكلام حقيقة في اللفظ والمعنى على سبيل الجواز؛ فإطلاقه على أحدهما إطلاقه على جزء معناه، وإطلاقه عليهما على سبيل الجمع؛ إطلاق على كل معناه .

وهذا هو الذي عليه أكثر العقلاء وهو الصواب في مُسَمَّى الكلام.

حقيقة مذهب أهل السُّنة والجماعة في كلام الرب عز وجل:

---

(١) انظر: «منهاج السنة» (٢/٣٦٣)، و«مجموع الفتاوى» (١٢/١٦٧). قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «درء التعارض» (٢/٣٢٩): «والناس لهم في مسمّى الكلام أربعة أقوال: أحدها: أنه اللفظ الدال على المعنى، والثاني: أنه المعنى المدلول عليه باللفظ، والثالث: أنه مقول بالاشتراك على كل منهما، والرابع: أنه اسم لمجموعهما، وإن كان مع القرينة يراد به أحدهما؛ وهذا قول الأئمة وجمور الناس».

أن كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسن، مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، معلوم في القلوب، مقروء مسموع بالآذان، وهو في هذه المواضع كلها حقيقة.

فإذا قيل: في المصحف كلام الله؛ فُهم منه معنى حقيقي، وإذا قيل: فيه مداد كتب به، فُهِمَ منه معنى حقيقي، وإذا قيل: في المصحف خط فلان الكاتب؛ فُهِمَ منه معنى الحقيقية .

وإذا قيل: المداد في المصحف؛ فالظرفية فيه غير الظرفية المفهومة من قولك: فيه السموات والأرض، وفيه محمد وعيسى؛ وهي غير الظرفية المفهومة من قولك: فيه خط فلان الكاتب، وهي غير الظرفية المفهومة من قولك: فيه مداد كُتب به، وهي غير الظرفية المفهومة من قولك: في المصحف كلام الله.

هذه كلها حقائق؛ فالمصحف فيه كلام الله، وفيه خط فلان، وفيه مداد كُتب به، وفيه محمد وعيسى؛ يعني: ذكْر محمد وعيسى، وفيه السموات والأرض أي: ذكْر السموات والأرض.

ومن لم يتنبه لهذه الفروق ضل ولن يهتدي إلى الصواب، وكذلك لا بد من الانتباه للفرق بين القراءة والمقروء؛ فالقراءة فعل القارئ، والمقروء كلام الرب .

وقد استدل الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «الصحيح» على أن أفعال العباد مخلوقة، واستدل بنصوص التبليغ كقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] ، وقوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾ [الشورى: ٤٨]، وهذا من رسوخه في العلم، فإن ذلك يتضمن أصلين عظيمين ضل فيها أهل الزيغ:

الأصل الأول: أن المبلغ ليس له من الكلام إلا مجرد التبليغ فليس مُنْشِئًا ولا مُحْدِثًا للكلام؛ إذ لو كان الكلام من عنده لكان مُنْشئًا مُحْدِثًا للكلام ولم يكن مبلغًا؛ فالمبلِّغ إنما يبلغ كلامَ غيره؛ فإذا قرأت: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[1] تقولُ هذا كلام الرسول، ولا تقول إنه كلامك، وإذا قرأتَ قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

تقول: هذا كلام امرئ القيس؛ لأنك أنت المبلغ عنه، فالمبلِّغ إنما يبلغ كلام غيره.

الأصل الثاني: أن التبليغ فعل المبلغ؛ وحقيقته أن يورد إلى الموصل إليه ما حمله إليه غيره، فله مجرد التبليغ، وقد ترجم الإمام البخاري رحمه الله في «الصحيح» في كتاب التوحيد باب قراءة الفاجر والمنافق لا تجاوز حناجرهم، أراد من ذلك أن أفعال العباد وقراءتهم وأصواتهم مخلوقة، وأنهم يقرءون كلام الله بأصواتهم، فأصواتهم وقراءتهم هي أفعالهم، والمقروء كلام الله.

وحقيقة كلام الله الخارجية هي ما يسمع منه أو من المبلِّغ عنه، كما سمعه جبرائيل، وكما سمعه نبينا محمد ﷺ، وكما سمعه موسى، وكما يسمعون نص كلام الله يوم القيامة،، فإذا سمعه السامع فكلام الله له مسموع، وإذا علمه وحفظه فكلام الله له محفوظ، وإذا قرأه فكلام الله له مقروء، وإذا كتبه فكلام الله له مكتوب، وهو حقيقة في هذه المواضع كلها؛ لا يصح نفيها، ولو كان مجازًا لصح نفيه .

---

(١) أخرجه البخاري (١) واللفظ له، ومسلم (١٩٠٧)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولو كان مجازًا لقيل: ما قرأ القارئ كلام الله، وما كتب الكاتب كلام الله، وما سمع السامع كلام الله، أو ما حفظ الحافظ كلام الله، وهذا حق؛ لأن هذا فيه خطأ، فهو حقيقة في هذه المواضع كلها.

والفرق بين كون القرآن في زبر الأولين - أي: في كتب الأولين -، وبين كون القرآن في لوح محفوظ، وفي كتاب مكنون، وفي رق منشور واضح؛ فإن معنى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٦]؛ أي: ذكره ووصفه والإخبار عنه، فالقرآن في الإنجيل والتوراة؛ أي: ذكره وخبره، وليس المراد أن القرآن نزل في التوراة والإنجيل؛ لأن القرآن إنما أنزله الله على محمد ﷺ كما أن فيه خبر النبي ﷺ.

وأما ما ترى من قوله - تعالى -: ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الطُّور: ٣]، و﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البُرُوج: ٢٢]، و﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقِعَة: ٧٨]؛ أي: مكتوب فيه؛ ولهذا قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالة سماها «الفقه الأكبر»[(١)] قال ما معناه: وكلام الله في المصاحف مكتوب، وعلى الألسن مقروء، وفي القلوب محفوظ، وعلى النبي ﷺ منزل، ولفظنا في القرآن مخلوق، والقرآن غير مخلوق، وما ذكر الله في القرآن عن موسى - عليه الصلاة والسلام - وعن إبليس وفرعون فهذا إخبار عنهم، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق.

وكلام الله ليس ككلام المخلوقيْن، يَعْلَمُ لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا، أو كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ.

والأدلة على ثبوت كلام الرب عز وجل، وأن الله يتكلم بحرف

---

(١) انظر: «الفقه الأكبر» للإمام أبي حنيفة، مع شرحه؛ للملا علي القاري (٤٧- ٥٨).

وصوت، وأن الله موصوف بالكلام؛ كثيرة منها: تكليم الله - سبحانه وتعالى - لأنبيائه ورسله، وكلام الله مع أهل الجنة؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨].

ومن السنة: ما ثبت في الحديث الذي رواه ابن ماجه: **«بَيْنَا أَهْلُ الجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُم نُورٌ فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، قَالَ: وَذَلِكَ قَولُ الله: (سَلام قولاً مِنْ رَب رَحيم). قَالَ: فَيَنْظُرُ إليهم، وينظرون إليه، ولا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يَحْتَجب عنهم، ويبقى نورُهُ وبركتُه عليهم في ديارهم»**[1]، أو كما جاء في الحديث، والحديث وإن كان فيه ضعف، إلا أن له شواهد.

ومن الأدلة على أن الله يتكلم، وأن الكلام قائم به: قول الله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٤) واللفظ له، والبزار كما في «مجمع الزوائد» (٦/ ٤٧٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٠٨- ٢٠٩)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٣)، من حديث جابر بن عبدالله ﷺ، والحديث ضعفه غير واحد من أهل العلم؛ قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٢٦): «هذا إسناد ضعيف؛ لضعف الفضل بن عيسى بن أَبَان الرَّقاشي». وبالفضل هذا أعلَّ الهيثمي الحديث، كما في «مجمع الزوائد» (٦/ ٤٧٨)، و(٧/ ٩٨). وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع كما في كتاب «الموضوعات» (٢/ ٤٣٢)، لكن قال ابن عرَّاق في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٨٤) -بعد أن أورده-: «... وأورده الشيخ تقي الدين ابن تيمية في رسالته أن النساء يرين الله تعالى في الدار الآخرة، وأعلَّه بالفضل الرقاشي ثم قال: (وقد رويناه من طريق أخرى) فذكرهما، ثم قال: (وهذه الطريق تنفي أن يكون الفضل قد تفرد به. والله تعالى أعلم»). وانظر كلام ابن تيمية في «مجمع الفتاوى» (٦/ ٤٤٩).

ﭐلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عِمرَان: ٧٧]، ونفى التكليمَ عن أعدائه؛ فقال: (لا يكلمهم) أي: لا يكلمهم الله تكليم الرضا؛ بل يكلمهم كلام السخط والغضب، كما أخبر الله أنه يكلم أهل النار ويقول: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

ونَفْيُ الكلامِ عن أعداء الله؛ يدل على أن الله يكلم عباده، ولو كان لا يكلمهم لتساووا هم وأعداؤه في عدم الكلام، أي لو كان لا يكلم أعداءه لسخطه عليهم؛ فهو يكلم أولياءه لرضاه عنهم.

ومن الأدلة: قول النبي في الحديث الصحيح: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»[١]، «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ»[٢]، **فالنبي ﷺ استعاذ بكلمات الله؛ فدل على أن كلام الله غير مخلوق - كما تقول المعتزل -؛ لأن النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوق.**

فالبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بَوَّبَ في «صحيحه»: باب كلام الرب مع أهل الجنة وغيرهم، وذكر فيه عدة أحاديث[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت حكيم السلمية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، و (٢٧٠٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٤١٩)، وأبو يعلى (٦٨٤٤)، وابن السني في «اليوم والليلة» (٦٣٧) وغيرهم من طرق عن جعفر بن سليمان، عن أبي التياح، عن عبدالرحمن بن خنبش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وجعفر لا يحتمل تفرُّده، لكن جوَّد العراقيّ إسناده كما في تخريج «إحياء علوم الدين» (١/٣٣)، وقد ورد هذا الحرف أيضاً من حديث قَيْلة بنت مَخْرمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، عند الطبراني في «الكبير» (٢٥/١٢)، بإسنادٍ حَسَّنه الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٢٥). وفي الباب أيضاً عن خالد بن الوليد، وابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) انظر: «فتح الباري» (١٣/٤٨٨) وما بعدها.

ومن الأدلة العقلية على أن الرب يتكلم والكلام قائم به: أن الكلام صفة كمال، والرب - سبحانه وتعالى - لا يخلو من الكمال فلا بد أن يتصف الرب بالكلام، فالكلام صفة كمال، فلا يخلو الرب من هذا الكمال، وعدم الكلام نقص ينزه عنه الرب؛ كما قال الله - تعالى - عن العجل وعُبّاده: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وقال في الآية الأخرى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه: ٨٩].

فعُلم أن عدم الكلام نقص يُستدل به على عدم ألوهية العجل؛ فالعجل لم يتكلم، كما قال الله - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٩]، وقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

فنفيُ رجوع القول؛ يدلُّ على عدم ألوهية العجل، وبنو إسرائيل سكتوا ولم يقولوا: إن الله لا يتكلم، فهم في هذه الخصلة، أحسن من المعتزلة الذين قالوا: إن الله لا يتكلم، وإن الكلام مخلوق.

ومن الأدلة على أن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد:

قول الله - تعالى -: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ [الشعراء: ٥]، فقوله: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ صريح في حدوث آحاد كلام الله، ولا يُفهم من ذلك أن تحل الحوادث في ذات الرب؛ لأن كلام الله لا يماثل كلام المخلوقين، إنما كلام المخلوقين هو الذي يلزم منه الحدوث في ذواتهم، أما كلام الرب فلا يماثل كلام المخلوقين.

ومن الأدلة أيضًا على أن كلام الله آحاده حادثة: قول الله - تعالى -:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: ١]، فالله - تعالى - أخبر عن سماعه لكلام المجادلة بلفظ الماضي ﴿سَمِعَ﴾ وهذا يدل على أن المجادلة والجدال الذي حصل كان قبل نزول الآية، ثم نزلت الآية بعدُ، فدل هذا على أن الرب تكلم في هذه الآية، بعد حصول الحادثة.

فالمرأة التي جاءت تجادل النبي ﷺ في زوجها هي خولة بنت حكيم لما ظاهر منها زوجها؛ قالت: أشكو إلى الله صِبْيَةً - تعني: أولادها الصغار - إن ضممتهم إليّ ضاعوا أو إليه جاعوا، وجعلتْ تجادلُ النبيَّ ﷺ فيقول: «مَا أَرَاكِ إِلَّا حَرُمْتِ عَلَيْهِ»، فجاءت تشتكي إلى الله فقالت: أشكو إلى الله صبية إن ضممتهم إلي ضاعوا، أو إليه جاعوا، قالت عائشة رضي الله عنها: «إِنَّهُ يَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُ الكَلَامِ مِنَ المَرْأَةِ سُبْحَانَ مَنْ وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتِ»، لكن الله سمع كلامها من فوق سبع سموات وأنزل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١].

فهذا دليل على حدوث آحاد كلام الله، وأن كلام الله وإن كان قديم النوع لكن أفراده حادثة، ومثله قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٢١﴾ [آل عمران: ١٢١]؛ فالله أخبر عن خروج نبيه ﷺ أول النهار بلفظ الماضي ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾، وهذا يدل على سبق الغدوِّ للخبر أي: أن النبي خرج أول النهار وبوأ المؤمنين مقاعد للقتال، ثم أنزل الله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ﴾ [آل عمران: ١٢١]؛ فالغدوُّ والخروج سابق لنزول الآية.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، فـ﴿ثُمَّ﴾ تفيد الترتيب والتراخي، فخلْق آدم وتصويره

سابق، ثم تكلم الله بعد ذلك فقال للملائكة: اسجدوا لآدم، والأدلة في هذا كثيرة.

والمعتزلة لهم شُبَهٌ في قولهم: إن كلام الله مخلوق، وهي موجودة الآن ومنتشرة في بعض البلدان، ومذهب الأشاعرة والمعتزلة يدرَّس الآن في بعض البلدان العربية ولهم مؤلفات موجودة، حتى إن كثيرًا من المفسرين الآن غلطوا في هذا؛ فالزمخشري كتابه «الكشاف» مبني على هذا، حتى قال البلقيني: استخرجت من «الكشاف» اعتزالًا بالمناقيش؛ منها أنه قال في قوله عز وجل: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥] قال: أيُّ فوزٍ أعظم من الجنة؟! قَصْدُه بذلك عدمُ إمكان رؤية الله يوم القيامة.

فإذا كانت كتبُ التفسير - الآن - موجوداً فيها مذهب المعتزلة؛ فقد يقرأها طالب العلم، وينطلي عليه ما فيها من الضلالات فلا بد لطالب العلم أن يكون على إلمام ببعض الشبه، وطرق الرّد عليها، ولذلك: نستعرض شيئًا من شبههم؛ ونعرِّفُ طلاب العلمَ العلم بطرائق الرّد عليها .

ومن شبه المعتزلة العقلية أنهم يقولون: إنه يلزم من إثبات الكلام لله التشبيه؛ فلو قلنا: إن الله يتكلم والمخلوق يتكلم؛ لزم من ذلك صوتٌ يخرج من الرئة، ويلزم من الكلام أضراس وأسنان ولسان ولثة وشفتان، والله منزه عن ذلك؛ فلا نقول: إن الله يتكلم حتى لا يشابه المخلوقين، فيما ذُكر؛ والله ليس كمثله شيء .

والجواب عن هذه الشبهة أن نقول: إننا إذا قلنا: إن الله يتكلم ليس ككلام المخلوق، ولا نعلم كيف يتكلم؛ زالت هذه الشبهة، فليس له مثيل لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أسمائه، ولا في أفعاله.

ونحن نعلم أن بعض المخلوقات تتكلم ولا نرى كيف تتكلم، فهذه الجلود تنطق يوم القيامة والأرجل والأيدي تشهد؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١][(١)].

كذلك ثبت تسبيح الحصا[(٢)] والطعام بين يدي النبي ﷺ[(٣)]، وقال: «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَراً بمكة كان يُسَلِّمُ عليَّ قبل أنْ أبْعَث...»[(٤)] وكذلك الجذع حنَّ وصاح وبكى مثل بكاء الصبي، وجعل يهدئه؛ فجعل يهدأ شيئًا فشيئًا كما يهدأ الصبي[(٥)]، فكلام هذه الأشياء قد ثبت بالدليل لكننا لانستطيع أن نكيفه.

فإذا كانت بعض المخلوقات تتكلم، ولا نعلم كيف تتكلم؛ فمن باب أولى أن الله يتكلم ولا نعلم كيف يتكلم، وعلى هذا تبطل هذه الشبهة.

ومن شبههم أنَّ بعضهم يقول: إن الله خلق الكلام لا في محل، وعند بعضهم أنه: خلقه في محل، لكنه مخلوق؛ أُضيف إلى الله.

نقول لهم: أي الذين يقولون: كيف يكون الكلام مخلوقًا لا في محل؟! أنَّ الكلام معنى من المعاني؛ لا بد أن يقوم بغيره، ومحال أن

---

(١) وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].
(٢) انظر: «ظلال الجنة» للألباني (١١٤٦).
(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٩) عن ابن مسعود قال: «ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل».
(٤) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.
(٥) انظر ما أخرجه البخاري (٩١٨)، و(٣٥٨٣)، و(٣٥٨٤)، و(٣٥٨٥).

يكون الكلام مخلوقًا لا في محل.

ونقول للطائفة الثانية: الكلام لا بد أن يكون بمتكلم؛ فكيف يقولون: إن الكلام مخلوق خارج عن ذات الله؛ فصار الله به متكلمًا؟! ولو صح أن يوصف الله بصفات لم تقم به؛ لصح أن يوصف بما خلقه في غيره من المخلوقات من الصفات؛ من الروائح، والألوان، والطعوم، والطول، والقصر!!! فلو صح أن يتكلم الله بكلام قام بغيره؛ للزم أن يكون ما خلقه في غيره من الحيوانات، وما أحدثه من الجمادات: كلامًا له، كما فرض ذلك الاتحاديةُ. وهذا باطل .

وكيف يوصف الله بصفة قامت بغيره؟! لو صح أن يوصف الله بصفة قامت بغيره لصح أن يوصف الشخص بصفة قامت بغيره؛ كأن يقال للأعمى بصير، أو للبصير أعمى؛ لأن الأعمى قام وصف البصر بغيره، والبصير قام وصف العمى بغيره، وهذا باطل، ولو كان كذلك لكان قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] صدقًا، وهذا باطل أيضاً، كما لا يخفى .

ومن شُبَهِهم يقولون: إن كلام الله مخلوق لكنه أضيف إلى الله إضافةَ تشريف وتكريم، كما أن الكعبة أضيفت إلى الله لتشريف بيت الله، والناقة أضيفت إلى الله في قوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣] للتشريف، والعبد في قوله: ﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] أضيف إلى الله للتشريف، والروح أضيف إليه سبحانه إضافة تشريف في قوله: ﴿رُّوحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، فكذلك الكلام أضيف إلى الله -وإن كان مخلوقًا كغيره- للتشريف والتكريم.

والجواب: أن هذه الشبهة باطلة؛ وذلك أن المضاف نوعان:

النوع الأول: أعيان قائمة بذاتها كالبيت والعبد والرسول والروح، كما قال الله: ﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، و﴿روح الله وكلمته﴾، و﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾؛ هذه إضافة

مخلوق إلى خالقه؛ لأنها أعيان قائمة؛ فالبيت عين قائم بنفسه، والناقة عين قائمة بنفسها، والعبد عين قائم بنفسه، والروح عين قائمة بنفسها، فإذا أضيفت إلى الله فهي إضافة مخلوق إلى خالقه؛ وتقتضي هذه الإضافة التشريف والتكريم لما امتاز به ذلك المضاف من الصفات.

النوع الثاني: إضافة معاني وأوصاف لا تقوم بنفسها؛ كالعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام.

هذه إضافة صفات إلى الموصوف؛ وتقتضي هذه الإضافة اتصاف الموصوف بهذه الصفات وقيامها به، وهذا فرق بديهي لا ينكره إلا من أنكر المحسوسات.

هذه من أبرز الشبه العقلية التي يقول بها المعتزلة، وهي في نظرهم القاصر أدلة؛ ولكنها أوهى من بيت العنكبوت، ولهم شبه شرعية؛ وهي نصوص من الكتاب والسنة.

الشبه الشرعية:

من الشبه الشرعية التي استدلوا به على أن القرآن مخلوق: قول الله -عز وجل-: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، ووجهُ الاستدلال: أنهم قالوا: إن «كل» من صيغ العموم فتعم كل شيء، ويدخل في هذا العموم: صفةُ الكلام؛ فيكون القرآن مخلوقًا.

وقد أجاب أهل السنة والجماعة عن هذه الشبهة بأجوبة؛ منها:

الجواب الأول: أن اسم الخالق يشمل الذات والصفات؛ فصفاته ليست خارجة عن مسمى ذاته، فالله - سبحانه وتعالى - بذاته وصفاته؛ هو الخالق، وكلامُه صفة من صفاته ليست خارجة عن مسمى اسمه، فالله هو

الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق .

وعلى ما سبق فيقال للمعتزلة: كيف أدخلتم كلامَ الله الذي هو صفة من صفاته في هذا العموم، وأخرجتم أفعالَ العباد؛ فقلتم: إن الله لم يخلقها؟! هذا يدل على أنكم أهل هوى، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرّعد: ١٦]؛ فهو خالق الذوات والصفات والأفعال، وأفعال العباد داخلة في هذا العموم؛ فتكون مخلوقة، فكيف أخرجتموها عن عموم «كل» وأدخلتم في هذا العموم الكلام الذي هو صفة من صفاته؟!!

الجواب الثاني: أن الكلام صفة من صفات الله، به تكون المخلوقات، فالله تعالى يخلق بالكلام؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢]، وقد فرَّق الله - سبحانه وتعالى - بين الخلق والأمر فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالخلْق شيء، والأمر شيء آخر، فلو كان الكلام مخلوقًا، ولو كان الأمر مخلوقًا: للزم أن يكون مخلوقًا بأمرٍ آخر، والآخرَ بآخر إلى ما لا نهاية، فيلزم التسلسل؛ وهو باطل.

ويتبين بهذا: أن الكلام صفة من صفات الله؛ به تكون المخلوقات؛ لأن الله يخلق كل شيء.

والجواب الثالث: أن عموم «كل» في كل موضع بحسبه؛ يبيّن هذا قولُ الله - عز وجل - في الريح التي أهلك بها عادًا: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، فهي لم تدمر المساكن، ولم تدمر السماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، فالمعنى - والله أعلم - ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ [الأحقاف: ٢٥] يصلح للتدمير، أو يستحق التدمير عادة؛ فالعموم في كل موضعٍ بحسبه .

وَمِثْلُ قولِ الله - عز وجل - عن ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، فهناك أشياء ما أُوتِيَتْهَا، والمعنى - والله أعلم -: وأوتيت من كل شيء يصلح للملوك؛ فكذلك عموم «كل» في هذه الآية الكريمة هو بحسبه؛ فالمراد من قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] أي: الله خالق كل شيء مخلوق، ولا يدخل في ذلك صفات الله، ولا يدخل في ذلك الكلام؛ لأنه صفة من صفاته؛ داخل في مسمى اسمه.

الجواب الرابع: على مذهب المعتزلة أنه يلزم أن تكون جميعُ الصفات: من العلم، والقدرة، والحياة، مخلوقة، وهذا صريح الكفر.

الشبهة الشرعية الثانية:

ومن شبههم الشرعية التي استدلوا بها قول الله - تعالى -: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف: ٣]، فقالوا: (جعل) بمعنى خلق، والمعنى: إنا خلقناه قرآنًا عربيًّا؛ وهذا يدل على أن القرآن مخلوق.

أجاب أهل السنة:

بأنه استدلال باطل؛ لأن (جعل) إنما تكون بمعنى خلق إذا تعدت إلى مفعول واحد لا إلى مفعولين؛ فإذا تعدت إلى مفعول واحد؛ كانت بمعنى (خلق) كقوله - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وكقوله - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وكقوله - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وكقوله - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وكقوله - تعالى -: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

أما إذا تعدت إلى مفعولين؛ فلا تكون بمعنى خلق، كما في هذه الآية التي احتجوا بها؛ وكما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾

[النحل: ٩١]، فلو فُسّرتْ (جعل) بمعنى خلق؛ لفسد المعنى، فهل يستطيع معتزليٌّ أن يقول: المعنى: وقد خلقتم الله كفيلًا؟! وكقوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩١]؛ هل يقول المعتزلي: الذين خلقوا القرآن عضين؟! وكقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، هل يمكن أن تُفَسَّر (جعل) بمعنى خلق؛ وكذلك في هذه الآية التي احتجوا بها: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] لا تكون بمعنى (خلق)، وبهذا يبطل استدلال المعتزلة بهذه الآية.

الشبهة الشرعية الثالثة:

استدلوا بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة: ٤٠]؛ قالوا: وجه الدلالة: أن الله أخبر أن القرآن قولُ رسول؛ فدل على أن القرآن مخلوق، وليس كلام الله؛ لأن الله نسبه إلى الرسول، والله خلق الرسول، وخلق كلامه؛ فيكون القرآن مخلوقًا.

أجاب أهل السنة عن هذه الشبهة بأجوبة منها:

الجواب الأول: أن الله تعالى قال: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ [الحاقة: ٤٠]، والرسولُ إنما يبلِّغ عن المُرْسِل، فلم يقل: إنه قول نبي، بل قال: قول رسول؛ والرسول لا ينشئ الكلام، وإنما يبلغ كلام غيره، فدل على أن الكلام كلامُ الله.

الجواب الثاني: أن الرسول جاء في موضعين من كتاب الله عز وجل: في سورة «التكوير» في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]، والمراد به هنا: الرسول الملكي؛ وهو جبريل، وجاء في سورة «الحاقة» في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة: ٤٠-

٤٢]، والمراد به هنا: الرسول البشري؛ وهو محمد - عليه الصلاة والسلام -، فأيُّ الرسولين - على زعمكم أيها المعتزلة - أحدَثَ نَظْمَ القرآن؟! إنْ أحدثه محمدٌ؛ امتنع أنْ يُحْدِثَهُ جبريلُ، وإنْ أحدثَهُ جبريلُ امتنع أنْ يُحْدِثَهُ محمد؛ وهذا يدل على بطلان قولكم، ويدلُّ على أن المراد: أن الرسول مبلِّغ، والله تعالى تكلم بالقرآن، وسمعه جبرائيل وبلَّغه محمدًا، ثم قرأه محمد - عليه الصلاة والسلام - وبلَّغه الأمةَ.

رابعًا: أنه قال في وصفه: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ٢١] كما في سورة «التكوير»؛ وَوَصْفُهُ بالأمانة يدل على أنه يبلغ ما أُرسل به، كما أُنزل، لا يزيد، ولا ينقص، فجبريل يبلِّغه كما سمعه من الله عز وجل، على ما أُرْسِلَ به؛ لا يزيد فيه، ولا ينقص منه .

خامسًا: أن قولكم: إن محمدًا أحدث نظمَ القرآن؛ هذا القول يجعله داخلًا في الوعيد الذي توعد الله به الوليدَ بنَ المغيرة، الذين قال الله عنه: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ١٨-٢٦]، فالله توعد من قال: (إنْ هذا القرآن إلا قول البشر) بأن يصليه سقر، فمن قال: إن القرآن قول محمد، ومحمد بشر - عليه الصلاة والسلام - فهو داخل في هذا الوعيد، فيكون المعتزلة داخلين في هذا الوعيدأيضًا.

أدلة أهل السنة على أنّ القرآن كلام الله:

من أدلة أهل السنة والجماعة على أن القرآن كلام الله: أن الله أخبر بأنه منزل؛ قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ [غافر: ٢] [سورة غافر آية: ٢]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فصلت:

٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢].

فهذه النصوص صريحة في أن القرآن منـزل.

واعترض المعتزلة على هذه النصوص التي فيها أن القرآن منـزل؛ قالوا: إن الإخبار عن القرآن أنه منـزل لا يمنع أن يكون مخلوقًا؛ لأننا نجد أن بعض المخلوقات أخبر الله عنها بأنها منـزلة وهي مخلوقة، وقد اتفقتم معنا يا أهل السنة على أنها مخلوقة، فالله تعالى قال عن الحديد: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]، فالله أخبر عن الحديد أنه منـزل؛ ومع ذلك فهو مخلوق؛ وأنتم توافقوننا على هذا، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦]، فأخبر الله عن الأنعام بأنها منـزلة؛ وهي مخلوقة، وأنتم توافقوننا على هذا، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [المؤمنون: ١٨]، فأخبر الله أنه أنـزل من السماء ماءً، والمطرُ مخلوق، وأنتم توافقوننا على هذا؛ فكذلك القرآن مخلوق؛ ولو أخبر الله بأنه منـزل، فلا يمنع أن يكون مخلوقًا.

أجاب أهل السنة على هذا الاعتراض:

أن هناك فرقًا بين إنـزال القرآن وإنـزال الحديد والأنعام والمطر؛ فإنـزال القرآن صريح في الآيات أنه منـزل من عند الله لا من غيره؛ قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزمر: ١]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، فهو صريح بأنه منزل من عند الله.

أما الحديد فإن إنـزاله مطلق فلم يخبر الله أن الحديد منـزل من عنده، وذلك: أن الحديد إنما يؤخذ من الجبال، والجبال عالية على وجه

الأرض؛ وكلما كان أَخْذُ الحديدِ من أعلى الجبل؛ كان حديده أجود؛ فالمقصود الإنـزال من الجبال.

والأنعام أخبر الله أنها منـزلة: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزُّمَر: ٦]، وذلك أن الأنعام إنما تخلق بالتوالد، والتوالد يستلزم إنـزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث، ثم الأجنة تنـزل من بطون الأمهات على وجه الأرض؛ فهذا إنـزال .

وأما إنـزال المطر؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المؤمنون: ١٨] هو مقيد بأنه من السماء، والسماء من جهة العلو، وفي الآية الأخرى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [النبأ: ١٤]، والمعصرات السحاب، والآية الأخرى: ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ [الواقعة: ٦٩]، والمزن هو السحاب، فتبين بهذا؛ الفرقُ بين إنـزال القرآن، وإنـزال الحديد والأنعام والمطر .

هذه أمثلة لشُبَهِ المعتزلة، وهذه الشبه موجودة ومُدَوَّنَة في الكتب وفي التفاسير؛ فإنك لو طالعتَ «الكشاف» للزمخشري أو غيره، تجد فيها هذه التأويلات، وقد ذكرناها ليكون طالب العلم على بصيرة من أمره، فإذا عرف بعض الأمثلة، قاس عليها بقية الأمثلة .

مناقشة أدلة الأشاعرة في كلام الله عز وجل والقرآن:

ننتقل بعد هذا إلى شبه الأشاعرة، والأدلة التي استدلوا بها على تقرير مذهبهم في كلام الله، وهم طائفة كبيرة يسمون أنفسهم «أهل السنة»، وتأويلاتهم موجودة ومنتشرة في كتب الفقه وكتب الأصول والتفاسير التي يتداولها الناس، ويتدارسونها في كثيرٍ من المؤسسات العلمية وغيرها، وهم

ينافسون أهل السنة في كثير من الأزمان؛ فلا بد لطالب العلم أن يكون على إلمام بحقيقة مذهب الأشاعرة، وبيان بعض الشبه التي يركزون عليها.

حقيقة مذهب الأشاعرة:

يقولون: إن كلام الله معنى قائم بالنفس؛ ليس بحرف ولا صوت، والله تعالى لا يُسْمَع منه الكلامُ، بل الكلام معنى قائم بنفسه؛ لا يُسْمَعُ.

وأما الموجود في المصاحف فهذا عبارة عن كلام الله، عبَّر به جبريل، أو عبَّر به محمد ﷺ، ويُسمَّى ما في المصحف كلام الله مجازًا، ولهذا إذا قلتَ لبعض الأشاعرة - عند التسامح -: المصحف فيه كلام الله، يقولون: المصحف كلام الله، لكن عند المناظرة وبيان حقيقة المذهب يقولون: لا ليس في المصحف كلام الله، لكن نسميه كلامَ الله مجازًا؛ لأنه تأدَّى به كلامُ الله؛ ولأنه دليل على كلام الله؛ أما كلام الله فهو معنى قائم بنفسه - ولهذا - والعياذ بالله - فبعضهم قد يجعل المصحف تحت قدميه، ويقول: ليس فيه كلام الله، نسأل الله السلامة والعافية -. وأما النظم المسموعُ المقروءُ في المصاحف فهو دليل على أن القرآن مخلوق؛ فعلى هذا: يكون القرآن من شيئين أو كلام الله من شيئين: شيء له نصفان: نصف غير مخلوق؛ وهو المعنى القائم بنفس الرب، ونصفه الآخر مخلوق: وهو الحروف والكلمات التي يقرؤها القارئ؛ وأمَّا كيف عرف جبريل ما في نفس الله؟ فلهم أقوال في ذلك، وبعضهم يقول: إن الله اضطر جبريل ففهم المعنى القائم بنفسه اضطرارًا فعبَّر عنه، فالقرآن عبارة عبَّر بها جبريل، مثال ذلك: أن يكون عندك أخرس؛ لا يتكلم، فيشير إليك بالإشارة، ثم تفهم إشارته وتكتبها، فهؤلاء - والعياذ بالله - جعلوا الله كالأخرس - نسأل الله

العافية -، وبعضهم يقول: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ.

وحقيقة مذهب الأشاعرة يوافق نصف مذهب المعتزلة؛ فالمعتزلة يقولون: القرآن مخلوق لفظًا ومعنًى، والأشاعرة يقولون: معناه غير مخلوق، ولفظه مخلوق.

كما أن الأشاعرة يشابهون النصارى في مسألة اعتقادهم في عيسى؛ فالنصارى يعتقدون أن عيسى مكون من شيئين: جزء من الإله، وجزء من الناس؛ اتحدا وامتزجا فصارا شيئًا واحدًا يقال له: المسيح عيسى ابن مريم.

والأشاعرة لهم شُبَهٌ وأدلة حول مذهبهم، إلا أنها أوهى من بيت العنكبوت مثلهم في ذلك كمثل إخوانهم من الفرق الأخرى؛ فإن الأشاعرة يقولون: إن كلام الله معنى قائم بنفسه، وأما الألفاظ والحروف والكلمات فدليل يُفهم بها المعنى القائم بنفس الرب؛ فإفهام المعنى القديم الذي هو في نفس الرب بواسطة الألفاظ والحروف والكلمات؛ يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى، كما أوضحناه.

من أدلة الأشاعرة على أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يُسْمَع؛ ليس بحرف، ولا صوت، ولا لفظ:

استدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨]، قالوا: وجه الدلالة أن الله قال: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [المجادلة: ٨]، فدل على أن القول إنما يكون في النفس، وأما الألفاظ والحروف والأصوات فليست من القول؛ فدل على أن كلام الله معنى قائم بنفسه.

أجاب أهل السنة عن هذا بجوابين:

الجواب الأول: جواب بالمنع: وهو أن نقول: نمنع أن يكون المراد في الآية في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [المجادلة: ٨] المعنى القائم بالنفس، وإنما المراد القول سرًّا؛ أي: يقولون سرًّا ويتكلمون بألسنتهم سرًّا، كما قاله أكثر المفسرين؛ وذلك أن اليهود كانوا يأتون النبي ﷺ ويقولون: «السام عليك»[(١)]؛ والسام الموت، وهم يُظْهِرون أنهم يلقون السلام، ثم إذا خرجوا من عند النبي ﷺ قال بعضهم لبعض سرًّا: لو كان نبيًّا لعُذِّبنا بقولنا له الذي نقول، فأنزل الله: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ [المجادلة: ٨]، وهذا هو الذي عليه أكثر المفسرين، ويؤيده ما ثبت في «الصحيحين» في الحديث القدسي أن النبي ﷺ قال: «**فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»[(٢)]، معناه: ذكر الله سرًّا؛ بدليل قوله: «**وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ** ...».

الجواب الثاني: جواب بالتسليم؛ وهو أن نقول: سلمنا جدلًا أن قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [المجادلة: ٨] قولٌ في النفس، وأنه ليس فيه حروف ولا كلمات؛ لكن الآية مقيدة بأنه قول في النفس، وإذا قيد القول

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٥)، ومسلم (٢١٦٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي الباب أيضاً من حديث ابن عمر عند البخاري (٦٢٥٧)، ومسلم (٢١٦٤)، ومن حديث أنس عند البخاري (٦٩٢٦)، ومن حديث جابر بن عبدالله عند مسلم (٢١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) والسياقُ له، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب أيضاً عن أنس؛ أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٨)، وعبد بن حُميد في «المنتخب من المسند» (١١٦٩). وقد قال الهيثمي عن رواية أحمد كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٨) -: «ورجاله رجال الصحيح».

بأنه في النفس تَقَيَّدَ، ونظيره الحديث الصحيح: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلَ أَوْ تَتَكَلَّمْ**»[١]، فإذا قيد القول بأنه في النفس تقيد، فهل قيد كلام الله أنه في النفس في قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] هل قال الله: وكلم الله موسى في نفسه، فإذا لم يتقيد فلا يكون القول في النفس، وإنما يكون قولًا يتكلم به المتكلم؛ حروفًا وألفاظًا وكلمات.

ومن أدلتهم:

الاستدلال ببيت من الشعر منسوب إلى الأخطل؛ وهو:

إنَّ الكلامَ لفي الفؤاد وإنما ... جُعِلَ اللسانُ على الفؤاد دليلا

وجه الدلالة:

قالوا: إن هذا بيت عربي، والقرآن نزل بلغة العرب، وأثبت الشاعر العربي أن الكلام إنما يكون في الفؤاد، أي: في النفس، وأما ما يكون في اللسان فالحروفُ والكلماتُ واللفظ.

أجاب أهل الحق عن هذا الاستدلال بأجوبة:

الجواب الأول: أنا لا نسلم أن هذا البيت للأخطل، فهذا البيت مصنوع مختَلق لا يوجد في ديوان الأخطل، وكثير من النحويين ينكرون نسبته إليه؛ فكيف تستدلون ببيت مصنوع مختلق لا أساس له من الصحة؟! وبهذا يبطل استدلالاتكم، كيف تصنعون بيتًا ثم تستدلون به على كلام الله وكلام رسوله؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦٩) واللفظ له، ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الجواب الثاني: ولو سلمنا بصحة البيت جدلًا، وأن الأخطل قاله؛ لكنه قول واحد من أهل اللغة، فلا يُقبل حتى يوافقه أهل اللغة، فإذا كان حديث رسول الله ﷺ لا يقبل حتى يصح سنده وتُعَدَّل رواتُه، ولا يكون شاذًا ولا معللًا؛ فكيف ببيت من الشعر لا يدرى من صاحبه؛ قاله واحدٌ ولم يوافقه أهل اللغة: فيكون شاذًا.

الجواب الثالث: سلمنا صحةَ البيت، وسلمنا نسبته إلى الأخطل، وسلمنا قبول أهل اللغة له، لكن ليس مقصود الشاعر بقوله: إن الكلام لفي الفؤاد: الكلام العاري عن الألفاظ والحروف والكلمات؛ بل مقصود الشاعر أن الكلام الحقيقي هو الذي يهيئه الإنسان في نفسه، ويزنه بعقله قبل أن ينطق به ويتروى فيه؛ أما الكلام الذي يجري على اللسان من دون تَرَوٍّ، ومن دون نظر؛ فهذا يشبه كلام النائم والهاذي؛ الذي لا قيمة له، ولهذا روي البيت برواية أخرى، وهي أقرب إلى الصحة:

إن البيان لفي الفؤاد وإنما ... جُعل اللسانُ على الفؤاد دليلا

رابعًا: سلمنا صحة البيت، وأنه للأخطل، وسلمنا موافقة أهل اللغة له، وسلمنا أن المراد بالبيت الكلام النفسي العاري عن الحروف والألفاظ؛ لكنه قول نصراني؛ لأن الأخطل نصراني، ومعلوم أن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام؛ فإن النصارى زعموا أن المسيح هو كلمة الله؛ أي كلمة «كن».

وأهل السنة يقولون: ليس نفس الكلمة، إنما هو مخلوق بالكلمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩]، فكيف تستدلون بقول نصراني قد ضل في

معنى الكلام على معنى الكلام، وَيُترك ما يُعرِّفُ بمعنى الكلام من النصوص واللغة؟!

خامسا: سلمنا جدلًا الاستدلال بقول النصارى؛ لكن البيت يلزم عليه معنى فاسد؛ وهو أن يسمى الأخرس متكلمًا؛ لقيام الكلام بنفسه، وإن لم يتكلم به؛ والأخرس لا يسمى متكلمًا لا شرعًا، ولا عقلًا، ولا لغةً، ولا حسًّا، وبهذا يبطل استدلال الأشاعرة بهذا البيت .

مناقشة أهل السنة للأشاعرة في أن كلام الله معنى واحد لا يتجزأ:

ومما ناقش به أهلُ الحقِّ الأشاعرةَ القائلين: إن الكلام معنى واحد؛ لا يتعدد، ولا يتجزأ، ولا يتكثّر، والتعدد والتجزؤ والتكثر إنما هو في الدلالات والعبارات .

ناقشوهم وأجابوهم عن قولهم هذا بأنَّ الله تعالى أخبر أن موسى سمع كلام الله، فهل سمع موسى جميع المعنى أو بعض المعنى؟

إن قلتم: سمع جميع المعنى؛ فقد زعمتم أن موسى سمع جميع كلام الله؛ وهذا باطل. وإن قلتم: سمع بعض كلام الله فقد قلتم بالتبعض وأبطلتم مذهبكم بأنفسكم؛ فلا محيد لكم عن هذيْن الإلزاميْن.

ثانيًا: أن يقال: لو كان الكلام معنى قائمًا بالنفس، كما تزعمون أيها الأشاعرة، وأن الدلالات والعبارات هي التي تختلف؛ للزم على ذلك لوازم فاسدة منها:

أولًا: أنْ يلزم على قولكم: إن الكلام معنى قائم بالنفس وأنه لا يتعدد ولا يتبعض، أن يكون معنى قو . : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النور: ٥٦] هو معنى قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وأن يكون معنى آية الدين هو معنى

آية الربا، وأن يكون معنى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، هو معنى ﴿تَبَّتْ يَدَآ﴾ [المسد: ١]، وهذا باطل.

ثانياً: لو كان الكلام معنى قائمًا بالنفس، وأن المصحف ليس فيه شيء من كلام الله؛ لجاز للمُحْدِث مس المصحف، وهذا خلاف ما أجمع عليه الأئمة الأربعة: أنه يجب على المحدث أن يتوضأ لِمَسِّ المصحف، كما جاء في الحديث الذي كتبه النبي ﷺ لعمرو بن حزم: «**أَلَّا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ**»(١).

ولو كان القارئ لا يقرأ كلام الله؛ لجاز للجُنُب أن يقرأه وهو لم يغتسل، وكذلك الحائض عند كثير من الفقهاء على الخلاف في المسألة.

---

(١) أخرجه النسائي (٨/ ٥٧)، وأبو داود في «المراسيل» (٢٥٩)، والدارمي (١٦٢١- ١٦٢٨- ١٦٣٥...)، والدارقطني (١/ ١٢٢، ٢/ ٢٨٥)، وابن حبان (٦٥٥٩)، والحاكم (١/ ٥٥٢)، والبيهقي (١/ ٨٧- ٣٠٩، ٤/ ٨٩- ٩٠، ٨/ ٧٣)، والطحاوي (٢/ ٣٤، ٤/ ٣٧٤)، وغيرهم من طرق، وقد اختُلف في وصله وإرساله، والصواب المرسل والمرسل من قسم الضعيف، لكنه هنا يرتقي إلى الصحة بأمرين:
الأول: تلقي العلماء له القبول: قال الحافظ في «التلخيص» (٤/ ١٨): (وقد صح الحديث بالكتاب المذكور جماعة من الأئمة، لا من حيث الإسناد؛ بل من حيث الشهرة: فقال الشافعي في «رسالته» (٤٢٢): لم يقبلوا هذا الحديث حتى ثبت عندهم أنه كتاب رسول الله ﷺ).
وقال ابن عبدالبر (١٧/ ٣٨٨): هذا كتاب مشهور عند أهل السير، معروف ما فيه عند أهل العلم معرفةً يستغنى بشهرتها عن الإسناد؛ لأنه أشبه التوارت في مجيئه، لتلقِّي الناس له بالقبول والمعرفة).
وقال شيخ الإسلام (٢١/ ٢٦٦): (قال أحمد: لا شكَّ أن النبي ﷺ كتبه) اهـ.
الأمر الثاني: أن للحديث شواهد كثيرة: من حديث حكيم بن حزام، وعثمان بن أبي العاص، وابن عمر، وثوبان، وغيرهم، وأسانيدها ضعيفة. وانظر: «الإرواء» (١٢٢).

ويقال للأشاعرة: إن النصوص الكثيرة تبطل قولكم منها:

قول الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]؛ هل الإشارة تعود إلى ما في نفس الله، أو تعود إلى القرآن المتلو المسموع المكتوب في المصاحف؟! لا شك أن الإشارة تعود إلى القرآن المتلو بالألسن، المكتوب في المصاحف؛ لأن ما في نفس الله غير مشار إليه ولا متلو ولا مسموع.

وكذلك قوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨] هل الضمير يعود إلى ما في نفس الله، أو إلى ما في هذا القرآن المتلو المكتوب في المصاحف؟! لا شك أنه يعود إلى ما في المصحف؛ لأن ما في نفس الله لا حيلة إلى الوصول إليه؛ فهو غير متلو، وغير مسموع، كذلك أيضًا قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]؛ صريح في أن الذي يسمعه المشرك كلام الله، ولم يقل: حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله كما تقولون.

ومن الأدلة أيضًا ما ثبت في الأحاديث الصحيحة أنه ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ أَلَّا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ**»[1]، وحديث: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ؛ إِنَّمَا هُوَ**

(١) علَّقه البخاري بهذا اللفظ (١٣/٤٩٦ - فتح)، عن ابن مسعود مرفوعاً، لكن رواه موصولاً بغير هذا السياق.
وأخرجه أبو داود (٩٢٤) من حديث ابن مسعود بلفظ: «... إنَّ الله عز وجل يُحْدِث مِنْ أَمْرِهِ مَا يشاءُ، وإنَّ اللهَ تَعَالى قَدْ أَحْدَثَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْ لا تَكَلَّمُوا =

التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ القُرْآنِ»[١].

وقد أجمع العلماء على أن الإنسان المصلي لو تكلم في الصلاة عامدًا في غير مصلحتها؛ بطلت صلاته، وقد أجمعوا أيضًا على أن حديث النفس الذي يكون في القلب من تصديق بأمور دنيوية، وطلب؛ لا يبطل الصلاة، فدل على أن الكلام إنما هو لفظ ومعنى، والكلام الذي يتكلم به الإنسان بلسانه هو اللفظ والمعنى، وهو حروف وأصوات، فكلام الله لفظ ومعنى، وهو بحرف وصوت يُسْمَعُ. فهذا هو حَدُّ الكلام عند أهل اللغة .

ومن الأدلة أيضًا: ما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ**»[٢]؛ ففرَّق النبيُّ ﷺ بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أن الله عفا عن حديث النفس، وأن ما تكلم به الإنسان بلسانه لا يعفى عنه؛ فدل على أن الكلام لفظ ومعنى، حروف وأصوات .

ومن الأدلة أيضًا: ما ثبت في «السنن» من حديث معاذ الطويل لما سئل النبيَّ ﷺ عن عمل يدخله الجنة ويبعده عن النار قال: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا،**

= في الصَّلاةِ»، وأخرجه أيضاً النسائي في «السنن الكبرى» (٥٥٩، ١١٤٤)، وفي «الصغرى» (١٢٢٢)، والحميدي في «المسند» (٩٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠١٢٠- ١٠١٢٣) وغيرهم.

والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٨٨) وحَسَّنه النووي في «المجموع» (٤/ ١١٥)، وصححه ابن الملقن في «البدر المنير» (٤/ ١٧٣).

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ.

(٢) سبق تخريجه قريباً.

وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصومُ رمضانَ، وَتَحج البيت... ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلتُ: بَلى يَا رسول الله. قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسانه. قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟! فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّار عَلَى وُجُوهِهِمْ - أو عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[1].

فأخبر النبي ﷺ أن الإنسان إنما يؤاخذ بما يتكلم به بلسانه، فدل على أن الكلام ألفاظ ومعان؛ حروف وأصوات، وكذلك كلام الله عز وجل تكلم به، فكلامُ الله اسم للمعنى واللفظ جميعًا، والله تكلم به، وبهذا يتبين أن مسمى كلام الله: المعنى واللفظ جميعًا، وأن كلام الله بحرف وصوت يُسمع. والحق: أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن كلهم من كلام الله، وكلام الله لا يتناهى، ولو مُدَّ البحر بسبعة أبحر، وجُعل ما في الأرض من الأشجار كله أقلام وجُعلتْ البحارُ مداداً يُكتبُ بها؛ لتكسرتْ الأقلامُ، ونفدت مياه البحر، وما نفدت كلمات الله:

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩]، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧].

فهذه المسألة - مسألة الكلام - مسألة عظيمة اشتد النزاع فيها بين

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) والسياق له، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٩٤)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٣١، ٢٣٧)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وانظر ما علّقه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٦٩ - ٢٧٠) عن طُرق حديث معاذٍ هذا.

أهل السنة وبين المخالفين لهم، والتبس الأمر على كثير من الناس، ولا سيما مذهب الأشاعرة، ثم مذهب المعتزلة فينبغي لطالب العلم أن يعتني بهذا الأمر، وأن يعتني بالنصوص، وأن يتأمل حينما يقرأ في الكتب حتى لا يلتبس عليه معتقد أهل السنة والجماعة المأخوذ من نصوص الكتاب والسنة، بخلاف مذهب المعتزلة والأشاعرة المبني على الأراء والأهواء والشبهات.

◆ **قَالَ المؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَإِنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ مِنْهُ بَدَا بِلا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا):**

الشرح

● **قوله: (وَإِنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ مِنْهُ بَدَا بِلا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا)**

الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ يقرر مذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله؛ أي: لفظه ومعناه، هذا هو الأصل، فالكلامُ لفظةٌ تشمل اللفظَ والمعنى، فالقرآن كلام الله، لفظاً ومعنى.

وقوله: (منه بدا) هذا فيه الرد على المعتزلة والأشاعرة؛ فإن المعتزلة لا يقولون: منه بدا؛ وإنما يقولون: بدا من شيء آخر؛ بدأ من الشجرة، أو بدأ من الهواء، أو بدأ من اللوح المحفوظ يعني: خلقه الله في اللوح المحفوظ، فأضافه إليه إضافةَ تشريف وتكريم؛ وكذلك الأشاعرة لا يقولون: منه بدا، بل يقولون: لم يبد منه شيء، لأنَّ الكلام معنى قائم بنفسه تعالى، فلم يَبْدُ منه ما من شأنه أن يُسْمَعَ؛ فما سمع جبريلُ منه كلامًا ولا لفظًا ولا حرفًا ولا صوتًا، وإنما جبريلُ هو الذي أحدث لفظ القرآن، أو أحدثه محمد؛ لأنه فهم المعنى القائم بنفس الرب، إمَّا لأنَّ الله اضطره لذلك؛ ففهم المعنى، أو أنَّ الله خلقه في الهواء، وأخذه من الهواء.

وأهل السُّنة يقولون: القرآن منـزل غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود؛ فالقرآن كلام الله منزل، نَزَّله الله كما قال سبحانه: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فُصِّلَت: ٢]، وغير مخلوق لا كما تقوله المعتزلة. ومعنى قوله: (منه بدا)، أي: بدا من الله، وظهر منه، وأكدَّ هذا المعنى بقوله: (قولاً)، فأتى بالمصدر المعرّف للحقيقة، كما أكد الله تعالى التكليم بالمصدر المثبت النافي للمجاز في قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ [النِّساء: ١٦٤]، ومعنى قول أهل السنة: (وإليه يعود)، أي: في آخر الزمان؛ فمن أشراط الساعة الكبرى

التي تعقبها الساعة مباشرة ما يلي:

أولها: خروج المهدي في آخر الزمان فَيُبايَعُ له، واسمه كاسم النبي ﷺ وكنيته: أبو عبدالله: محمد المهدي؛ يملأ الأرض عدلًا، كما مُلئت جورًا، يُبَايَعُ له في وقت ليس للناس فيه إمام. وفيه أحاديث كثيرة بعضها صحيح، وبعضها ضعيف، وبعضها موضوع، والاعتمادُ على ما ثبت من أخباره.

ثم يخرج الدجال في زمنه؛ يدّعي الصلاحَ، ثم يدّعي النبوة، ثم يدّعي الربوبية، ثم ينزل عيسى ابن مريم فيقتله، ثم يخرج يأجوج ومأجوج، ثم بعدها تتتابع أشراط الساعة، فتُهدم الكعبةُ - والعياذ بالله -، ثم يصلي الناس إلى جهتها، ثم ينسون الجهة، وَيُنْزَعُ القرآنُ من الصدور ومن السطور في آخر الزمان؛ فإذا ترك الناس العمل به؛ نُزع من صدورهم؛ أي: من صدور الرجال، ونُزع من المصاحف؛ فيصبح الناس لا يجدون في صدورهم آيةً، ولا في المصاحف آية -نعوذ بالله - إذا ترك الناس العمل به. هذه هي أبرز أشراط الساعة.

ومنها أيضاً: الدخان الذي يملأ الأرض، ومنها: طلوع الشمس من مغربها، ومنها: الدابة، ثم يعقب ذلك نار تخرج من قعر عدن؛ تسوق الناس إلى المحشر. فهو شرط من أشراط الساعة. وقوله: (وإليه يعود) يعني: يعود إلى الله في آخر الزمان؛ فالقرآن منزل غير مخلوق، بدا من الله، وإليه يعود في آخر الزمان؛ يعود إلى الله حينما يترك الناس العمل به، فيُنزعُ من صدور الناس، ومن المصاحف - نسأل الله السلامة والعافية -.

القرآن أنزل على الرسول وحيًا

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ (مِنْهُ بَدَا بِلا كَيْفِيةٍ قَوْلًا وَأَنْـزَلَه عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا):

الشرح

● **قوله:** (مِنْهُ بَدَا بِلا كَيْفِيةٍ قَوْلًا وَأَنْـزَلَه عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا).

أي: أن القرآن أنـزله على رسوله وحيًا؛ هذا ردٌّ على قول المعتزلة والأشاعرة؛ فإن المعتزلة لا يقولون: أنـزله بل يقولون: خلقه. وقولُه: (وأنـزله على رسوله وحيًا)؛ معناه: أن الله تكلم به، وسمعه منه جبرائيل؛ سمع كلام الله، بحرف وصوت. ثم أوصله جبرائيل إلى محمد - عليه الصلاة والسلام - وفي قوله: (وَأَنْـزَلَه عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا) ردٌّ أيضاً لقول المعتزلة، وردٌّ لقول الأشاعرة؛ لأن الأشاعرة لا يقولون: أنزله بل يقولون: إن القرآن معنى قائم بالنفس، أما ما في المصاحف فليس فيه شيء منـزل؛ إنما الموجود في المصاحف هذا شيءٌ أحدثه جبريل أو محمد؛ فهو عبارة عن كلام الله، عبارة عما في نفْس الله.

إيمان وتصديق المؤمنين بأن القرآن كلام الله

◆ **قَالَ المُؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا):

الشرح

● **قوله**: (وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا).

أي: المؤمنون صدّقوا واعترفوا، واعتقدوا أن هذا القرآنَ كلامُ الله حقًّا، لا مرية فيه ولا شك، فهكذا أهل السنة والجماعة، وهكذا أهل الحق؛ يصدقون ويؤمنون ويوقنون - من قلوبهم -: بأن القرآن كلام الله حقًّا، وأنه كلام الله؛ ألفاظُه ومعانيه.

تيقن المؤمنين بأن القرآن كلام الله بالحقيقة

◆ **قَالَ المُؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللهُ: (**وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلامُ اللهِ -تَعَالى- بِالحَقِيقَةِ**):

الشرح

● قوله: (**وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلامُ اللهِ - تَعَالى - بِالحَقِيقَةِ**).

وأيقنوا: أي: تيقنوا بذلك؛ ليس عندهم شك ولا ريب، أن القرآن المكتوب في المصاحف، المقروء بالألسن؛ أنه كلام الله بالحقيقة.

وهذا فيه رد أيضًا على المعتزلة والأشاعرة؛ فإنهم لا يقولون: هذا كلام الله بالحقيقة، بل المعتزلة يقولون: كلام الله مخلوق، والأشاعرة لا يقولون: إنه كلام الله بالحقيقة، بل يقولون: كلام الله بالحقيقة؛ معنى قائم بنفسه، أما هذا الموجود في المصاحف، فليس كلام الله بالحقيقة، وإنما يُسَمَّى كلام الله مجازًا، فلماذا قالوا: يسمى ما في المصحف كلام الله مجازًا؟ لأن كلام الله تأدَّى به؛ فهو مجاز عن كلام الله؛ لأنَّ كلام الله عندهم لا يُسمع؛ ليس بحرف ولا صوت، وإنما قائم بنفسه؛ فيُسمَّى كلام الله مجازًا -أي: من باب المجاز لا الحقيقة- لأنه دليل على كلام الله؛ ولأنه فُهِمَ به كلامُ الله الذي هو المعنى القائم بنفسه؛ وإلا فكلام الله قائم بنفسه؛ لا يُسمع، ولازم لذات الرب؛ كلزوم الحياة، والعلم، والسمع، والبصر.

القرآن كلام الله ليس بمخلوق ككلام البرية

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلامُ اللهِ بِالحَقِيقَةِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلامِ البَرِيَّةِ):

الشرح

هذا رد على المعتزلة فإنهم يقولون: كلام الله مخلوق؛ بل يقولون: هو معناه ككلام الناس، والأشاعرة يقولون: نصفه مخلوق، - وهو الألفاظ المقروءة، المتلوة، المسموعة، المكتوبة في المصاحف - ونصفه غير مخلوق - وهو المعنى القائم بالنفس -.

كُفْرُ من قال: القرآنُ كلام البشر، صراحةً من دون شبهة

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلامُ البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ):

الشرح

هذا تصريح بأن من قال: إن القرآن كلام بشر: فقد كفر؛ هذا إذا قاله من دون تأويل؛ فهذا كافر بالإجماع، لكن إذا قاله متأولًا؛ لشبهةٍ حصلتْ له؛ كالأشعري؛ فهذا يُدْرأُ عنه التكفير؛ لأن له شبهة؛ فهو لم يقل صراحة: إنه كلام البشر، بل يقول: أعترفُ أن القرآن كلام الله، لكن كلام الله معنى قائم بنفسه، أما ما في المصاحف والألفاظ فهذا يتأدّى به كلامُ الله؛ فهذا قاله عن شبهة. مثال ذلك أيضاً: قولُ الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] من قال فيه: إن الله لم يستو على العرش حقيقة، بدون شبهة؛ فهو كافر بالإجماع، لأنه رد كلام الله، لكن إذا قال شخص: أنا أؤمن أن هذه آية في كتاب الله، لكن معنى استوى: استولى؛ وكان قوله هذا لشبهة حصلت له؛ فهذا لا يكفر؛ لأنه قول عن شبهة وتأويل، فكذلك من قال: إن القرآن كلام البشر بدون شبهة أو تأويل؛ فهو كافر، كما قال الله عن الوليد بن المغيرة: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر: ٢٥]، ثم قال الله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [المدثر: ٢٦].

ذم الله من قال: إن القرآن كلام البشر وتوعده

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرٍ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٦]:

الشرح

هذا ذم من الله لمن قال: إن القرآن كلام البشر، وتوعده الله بأنه سيصليه سقر؛ وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة كما قال الله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر: ١٨-٢٩]؛ فمن قال: إن القرآن ككلام البشر، من دون تأويل؛ فهو كافر، وله هذا الوعيد؛ أما من قال عن تأويل؛ فهو على خطر عظيم، ولكن الشبهة التي حصلت له، والتأويل الذي حصل له يَدْرأُ بها عن نفسه التكفير، فلا يكفر كما سبق إيضاحه.

كلام الله ليس ككلام البشر

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٥]، عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ البَشَرِ، وَلا يُشْبِهُ قَوْلَ البَشَرِ):

الشرح

لما توعد الله الوليدَ بنَ المغيرة حينما قال: ﴿قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]؛ عَلِمْنَا أن كلام الله ليس ككلام البشر، بل الله - تعالى - ليس له مثيل؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ولا يشابه أحدًا من خلقه، ولا يماثل أحدًا من خلقه؛ لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه - سبحانه وتعالى -؛ لأن الله لما توعد من قال: إن هذا إلا قول البشر أيقنا من قلوبنا - ولم نشك - أن كلام الله ليس ككلام البشر؛ لأن الله ليس له مثيل، وقد نفى عن نفسه مماثلة شيء من خلقه كما قال - سبحانه -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال - سبحانه -: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال - سبحانه -: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال - سبحانه -: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]، وقال - سبحانه -: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤].

كفر من وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ):

الشرح

أي: ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر - كالصفات - وقال: إن الله مثل المخلوقات -كما تقول المشبهة؛ وهم من غلاة الشيعة فإنهم يقولون: علم الله كعلم المخلوقين، وصفاته كصفاتهم، وقد قالوا: إن الله مثل الإنسان -: من قال ذلك؛ فهو كافر إن لم يكن ذلك عن تأويل؛ لأنه تنقّص الربَّ؛ ولأنه صادم النصوص؛ فالله - تعالى - يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وهو يقول: الله مثل الأشياء - تعالى سبحانه عن ذلك - والله تعالى يقول: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وهو يقول: له شيء مماثل؛ وهي: المخلوقات، والله يقول: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] وهو يجعل لله أندادًا، وأمثالًا، ونظراء؛ فهذا كافر بالاتفاق، ولكن من قال ذلك عن تأويل: تَدْرأُ عنه الشبهةُ وَصْفَ الكفر.

من أبصر وقرأ النصوص تبين له أن الله سبحانه لا يماثل شيئًا من مخلوقاته

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ (وَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَر، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الكُفَّارِ انْـزَجَرَ):

الشرح

أي: من أبصر هذا وقرأ النصوص وتدبّرها: تبينَ له أن الله - سبحانه وتعالى - لا يماثل شيئًا من مخلوقاته، وأنه كامل في ذاته وصفاته وأفعاله، وأنه لا شبيه له، ولا مثيل له ولا سمي له، ولا كفو له؛ فمن أبصر هذا ونظر بعين بصيرته فيما قاله من إثبات صفات الله على الوجه اللائق، ونفي المماثلة والتشبيه، وما توعد الله به المشبهةَ: اعتبرَ، واتضحتْ له الحقيقة، وحينئذ ينزجر عن مِثْلِ قولِ الكفّار؛ فإن الكفار هم الذين يمثلون الله بخلقه، ويتنقصونه؛ كاليهود وأشباههم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وكذلك المشبهة الذين يقولون: إن الله مثل المخلوقات، وإن سمعه كسمعهم، وهكذا.

فمن أبصر هذا: اعتبر، وانزجر، عن أن يقول قولًا يماثل قول الكفار.

الله تعالى بصفاته ليس كالبشر

◆ قَالَ المؤلف رحمه الله: (وَعَلِمَ أَنَّهُ بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالبَشَرِ):

الشرح

أي: علم أن الرب بصفاته ليس كالبشر؛ لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فالله لا سميَّ له، ولا مثل له، ولا نِدَّ له، ولا كفو له - سبحانه وتعالى -؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أسمائه، ولا في أفعاله.

رؤية المؤمنين لربهم

أقوال أهل العلم في رؤية المؤمنين لربهم

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلا كَيْفِيَّةٍ):

الشرح

بين المؤلف -رحمه- الله هنا اعتقاد أهل السنة والجماعة في أن الرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، ولم يذكر الرؤية قبل دخول الجنة. والرؤيةُ قبل دخول الجنة، فيها ثلاثة أقوال لأهل العلم:

القول الأول: أن المؤمنين يرون ربهم في المحشر؛ في الموقف قبل دخول الجنة؛ لا يراه إلا المؤمنون خاصة.

القول الثاني: أنه يراه أهل الموقف جميعًا؛ مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفرة، فلا يرونه بعد ذلك.

القول الثالث: أنه يراه المؤمنون والمنافقون؛ لما ثبت في «الصحيحين» من أن الكفرة يساقون إلى النار، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، وأن الله يتجلى لهم(١).

هذه ثلاثة أقوال لأهل العلم؛ أما رؤية المؤمن لربه في الجنة بعد الموقف؛ فهذه لا شك فيها، ومسألة رؤية المؤمنين لربهم في الجنة من أشرف مسائل أصول الدين، وهي التي لأجلها شمَّر المشمرون، وتنافس المتنافسون، ولأجلها حُرم الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهي من المسائل التي اشتد النـزاع فيها بين أهل السنة وبين المخالفين لهم من أهل البدع؛ كمسألة الكلام، وكذلك أيضًا: مسألة العلو؛ علو الله فوق سمواته، وفوق عرشه. فهذه المسائل الثلاث، وهذه الصفات الثلاثة هي العلامة الفارقة بين أهل السنة وبين أهل البدع، فهذه قاعدة: فمن أثبت رؤية الله في الآخرة، وأثبت كلام الله، وأن الله يتكلم بحرف وصوت، وأن كلام الله لفظ ومعنى، فهو من أهل السنة، ومن أنكرها أو نفاها: فهو من أهل البدعة.

ومسألة الرؤية: مسألة أيضًا اشتد النـزاع فيها بين أهل السنة وبين أهل البدع؛ مثل مسألة الكلام، فأهل البدع لهم مصنفات ومؤلفات يستعرضون أدلة أهل السنة ويردون عليها، كما أننا نستعرض أدلة الخوارج[1] والمعتزلة، وأدلة الأشاعرة ونرد عليها، وقد وَزَّعتْ بَعْضَ الرسائلِ من سنتين بعضُ الطوائف، منها: رسالة في المسجد الحرام، فيها نفي الرؤية، ونفي الكلام، ونفي العلو والفوقية، ويقولون فيها: إن هذا هو الحق؛ فيردون على أهل السنة، ويسمون أنفسهم: أهل الحق والاستقامة، فلا يَظُنَنَّ ظانٌّ أن بحثَ مثل هذه المسائل بعيدٌ عَنَّا؛ قد انقضى دهره وفاتَ آوانُه؛ بل الذين يتبنون نفي الرؤية من المعتزلة والخوارجِ الإباضيةِ؛ هم موجودون الآن، وكذلك الكلابية والأشعرية، ولهم مؤلفات في هذا

---

(١) سموا بهذا؛ لخروجهم على علي ﷺ، ونزلوا بأرض حروراء فسموا بالحرورية، وهم الذين يكفّرون أصحاب الكبائر ويقولون بأنهم مخلدون في النار، كما يقولون بالخروج على أئمة الجور، وأن الإمامة جائزة في غير قريش، وهم يكفرون عثمان، وعليًا، وطلحة، والزبير، وعائشة ﷺ، ويعظمون أبا بكر وعمر ﷺ. انظر: «الفصل في الملل والنحل» (٢/ ١١٣)، و«الملل والنحل» (١/ ١٥٤)، و«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (١٥٠).

الباب، ولذلك ينبغي على طالب العلم اتباع السنة، ومنهج السلف الصالح، وأهل السنة والجماعة.

أقوال المذاهب في رؤية الله في الآخرة:

والواجب على الإنسان أن يلزم الحق، وأن يبحث عن ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيعمل به، ويعمل بما قرره أهل السنة والجماعة من الحق المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فرؤية الله في الآخرة مسألة عظيمة من أشرف مسائل أصول الدين، وقد اختلف الناس في رؤية الله في الآخرة على ثلاثة مذاهب مشهورة:

المذهب الأول: مذهب أهل السنة والجماعة: وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ومن تبعهم من الأئمة؛ أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار عيانًا؛ مواجهةً لهم، وهذا مذهب الصحابة والتابعين والأئمة وتابعيهم، وأئمة الدين كالأئمة الأربعة - أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد- وسفيان الثوري، وأبي عمرو الأوزاعي، والليث بن سعد، وأبي يوسف، وغيرهم من الأئمة والعلماء، وكذلك أيضًا سائر الفقهاء، وأهل الحديث: كلُّهم على هذا الاعتقاد، وكذلك بعض الطوائف التي تنتسب إلى الحديث: كالكّرامية، والسالمية: كلهم يثبتون أن الله يرى في الآخرة بالأبصار عيانًا؛ مواجهةً؛ فهم يثبتون رؤية الله بالإبصار، ويثبتون الفوقية أيضًا؛ وأنهم يرون ربهم من فوقهم، فهم يثبتون الأمرين: يثبتون الفوقية والعلو، ويثبتون الرؤية[1].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/٤٨٩)، (١٢/١١٧، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٩٧)، و«منهاج السنة النبوية» (٢/٢٥٥)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٧/٤-١٩١)، و«حادي الأرواح» (ص٢٠٤).

المذهب الثاني: نفاةُ رؤيةِ الله في الآخرة؛ وهم القائلون بأنَّ الله لا يُرى في الآخرة، ولا يُرى بالأبصار، وليس له جهة، وليس له مكان؛ فهؤلاء نفوا الرؤية، ونفوا الفوقية، وهذا مذهب الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والإمامية[1]؛ فإن الإمامية لهم قولان: القدماء من الإمامية وهم الرافضة؛ يثبتون الرؤية، وجمهور المتأخرين؛ ينفون الرؤية؛ فيكون نفي الرؤية هو مذهب الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، وجمهور المتأخرين من الإمامية، ويسمون الإمامية؛ لأنهم يقولون: بإمامة اثني عشر إمامًا، فهؤلاء ينفون الأمرين؛ ينفون الرؤية، وينفون الفوقية والعلو، ويقولون: إن الله ليس له مكان؛ فليس فوق المخلوقات؛ بل هو في كل مكان - نسأل الله السلامة والعافية -.

المذهب الثالث: مذهبٌ بين مذهب أهل السنة، وبين مذهب الجهمية، وهم القائلون: إن الله يُرى لكن ليس في جهة؛ فأثبتوا الرؤية ونفوا الفوقية والعلو، فقالوا: يُرى لا في جهة، وهذا مذهب طائفة من الكلابية والأشاعرة، فهم مذبذبون بين هؤلاء وبين هؤلاء؛ حيث أثبتوا الرؤية؛ فكانوا مع أهل السنة، ونفوا العلو والفوقية؛ فكانوا مع المعتزلة، وتجد في الغالب أن مذهب الأشاعرة مذبذب بين هؤلاء وبين هؤلاء، ولهذا يسميهم بعض العلماء «خناثى» أي: لا أنثى ولا ذكر.

أدلة أهل السنة في مسألة إثبات الرؤية

وأهل السنة اعتصموا بالكتاب والسنة، واستدلوا بالنصوص الكثيرة من

---

(١) من فرق الرافضة سموا بالإمامية؛ لأنهم يقولون بإمامة الاثني عشر. ويُسَمَّوْنَ الرافضة؛ لرفضهم زيد بن علي، حينما عَدَّ أبا بكر وعمر، فترحَّمَ عليهما، وقال: هما وزيرا جدي رسول الله ﷺ؛ فرفضوه. فقال: رفضتموني. رفضتموني.

كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على إثبات الرؤية، واستدلوا أيضًا بالإجماع والعقل الصريح وأدلتهم كثيرة في هذا الباب منها:

أدلتهم من القرآن الكريم:

الدليل الأول: قول الله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥]، والمعنى: أن المؤمنين (لهم ما يشاءون) أي: في الجنة (ولدينا مزيد) أي: رؤية الله في الآخرة، فقد فسر العلماء المزيد بأنه: رؤية الله في الآخرة.

الدليل الثاني: قول الله - تعالى -: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والحسنى المراد بها: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم؛ كما جاء تفسير ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم بأن «**الزِّيَادَةُ هِيَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ**»(١).

الدليل الثالث: قول الله - تعالى -: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، ناضرة - بالضاد - من النضرة والبهاء والحسن، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣] - بالظاء - من النظر بالعين، ووجه الدلالة من الآية على أن الله يرى في الآخرة: أن الله - سبحانه وتعالى - أضاف النظر إلى الوجه الذي هو محله، وعدَّاه بأداة (إلى) الصريحة في نظر العين، وأخلى الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقة موضوعه؛ فدلَّ على أن المرادَ: النظرُ بالعين التي في الوجه، إلى الرب - جل جلاله - وذلك: أن النظر له عدة استعمالات، بحسب صِلاته وتعْدِيَتِهِ:

فالنظر إذا عُدّي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار؛ كقوله تعالى:

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١) من حديث صهيب، وسيأتي لفظه.

﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]؛ أي: توقفوا وانتظروا.

وإذا عُدّي بـ«في» فمعناه: التفكر والاعتبار؛ كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وإذا عُدّي بـ«إلى» فمعناه: المعاينة بالأبصار؛ كقوله: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩].

فقوله هنا: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]: معناه: النظر بالعين.

الدليل الرابع: قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] وجه الدلالة: أن الله - سبحانه وتعالى - أخبر أن الكفار محجوبون عن الله فلا يرونه؛ فدلَّ على أن أولياءه يرونه، وإلا فلو كان المؤمنون لا يرونه؛ لتساووا هم والكفار في الحَجْب، فلمَّا أن حجب الكفار؛ دلَّ على أن المؤمنين لا يُحجبون؛ وبهذا استدل الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: لما أن حجب هؤلاء في السخط دل أن أولياءه يرونه في الرضا.

هذه أمثلة من الكتاب العزيز على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

وأما السنة: فالأحاديث فيها متواترة رواها من الصحابة نحو ثلاثين صحابيًّا؛ فهي في «الصحاح» و«السنن» و«المسانيد»، و«المعاجيم»، ساقها العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»(١)، ومن المعلوم أن المتواتر يفيد العلم القطعي؛ فلا تجوز مخالفته، ومع ذلك خالف الجهمية والمعتزلة هذه النصوص؛ وهي متواترة؛ ومِنْ أمثلتها:

---

(١) انظر الباب الخامس والستين من الكتاب (ص ١٩٦).

الدليل الأول: ما ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ: «أَنَّ النَّاس قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ - رسول الله ﷺ -: هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ»(١).

الدليل الثاني: ما ثبت في «الصحيحين» من حديث جرير بن عبدالله البجلي ﷺ قال: «كُنَّا مع النبي ﷺ فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ يعني: البَدْرِ - فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»(٢).

الدليل الثالث: حديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلى رَبِّهِم إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»(٣) رواه الشيخان.

الدليل الرابع: حديث عدي بن حاتم ﷺ وفيه: «ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدي الله، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ ثُمَّ ليقولنَّ له: ألم أُوتِك مَالاً؟ فليقولَنَّ: بَلى، ثُمَّ ليقولَنَّ: ألمْ أُرْسِلْ إليكَ رَسُولاً؟ فَليقولَنَّ: بَلَى...»(٤)؛ والشاهد في الحديث قوله: «لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ»، وهذا صريح في الرؤية.

الدليل الخامس: ما ثبت في «صحيح مسلم» من حديث صهيب

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٨) والسياق له، ومسلم (١٨٢)
(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤) والسياق له، ومسلم (٦٣٣).
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠)، بهذا السياق
(٤) أخرجه البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦).

الرومي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ قال: يقولُ اللهُ تَبَارك وَتَعَالى: تُريدونَ شيئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوْا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهم عَزَّ وَجَلَّ»[١] رواه الإمام مسلم في «صحيحه».

هذه أمثلة من النصوص المتواترة، وهي كثيرة كما سبق، ولما ساق العلامة ابن القيم رحمه الله هذه النصوص قال بعد ذلك: فكأنك تشاهد رسول الله ﷺ وهو يقول ذلك ويبلغه للأمة، ولا شيء أقر لأعينهم منه.

وشهدت الجهمية والفرعونية[٢]، والرافضة، والقرامطة[٣]، والباطنية[٤]،

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١)، هكذا من طريق عبدالرحمن بن مهدي، ثم أخرجه من طريق يزيد بن هارون، وفيه زيادة، وهي: «ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]».

(٢) لقب يطلق على نفاة العلو.

(٣) هم أتباع حمدان القرمطي، وكان رجلًا متواريًا صار إليه أحد دعاة الباطنية، ودعوه إلى معتقدهم فقبل الدعوة، ثم صار يدعو الناس إليها، وضل بسببه خلق كثير، وكان ظهورهم في عام ٢٨١هـ في خلافة المعتضد، ودخلوا مكة سنة ٣١٧هـ، واقتلعوا الحجر الأسود، وقتلوا المسلمين في الحرم، وقد أعيد الحجر الأسود إلى مكة سنة ٣٣٩هـ على يد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي النيسابوري رحمه الله. انظر: «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (١٢٢).

(٤) سموا بذلك؛ لأنهم يقولون: إن للنصوص ظاهرًا وباطنًا، ولكل تنزيل تأويلًا. ولهم ألقاب كثيرة: منها: القرامطة، والخرمية، والإسماعيلية، والمزدكية، والتعليمية، والبابكية، والسبعية، والملحدة. ومنهم: النصيرية، والدروز، وهم يعتقدون أن الإله لا يوصف بوجود ولا عدم، ولا هو معلوم ولا مجهول، ومذهبهم في النبوات قريب من مذهب الفلاسفة، ويقولون: إنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق، يُرجع إليه في تأويل الظواهر، واتفقوا على إنكار القيامة، والمنقول =

وفرق الصابئة[1] ، ....

= عنهم الإباحة المطلقة، ورفع الحجاب، واستباحة المحظورات، وإنكار الشرائع، وهم ينكرون ذلك إذا نُسب إليهم. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (٢/ ٢٩، ٣٢)، و«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (١١٩)، و«فضائح الباطنية» للغزالي (١١، ٤٠، ٤٦).

(١) الصابئة: في «الملل والنحل» للشهرستاني (٢/ ٧٠)، و«الفِرَقُ في زمان إبراهيم الخليل» راجعه إلى صنفين: الصابئة والحنفاء، ويذكر أن كلا الصنفين قال: إنا نحتاج في معرفة الله وطاعته إلى متوسط، لكن قالت الصابئة: يجب أن يكون ذلك المتوسط روحانيًا لا جسمانيًا، وقالت الحنفاء: بل يكون من جنس البشر، وتكون له العصمة والتأييد.
يقول الشهرستاني (٢/ ٧١): «ثم لما يتطرق للصابئة الاقتصار على الروحانيات البحتة، فزعت جماعة إلى هياكلها وهي السيارات السبع وبعض الثوابت».
وفي (٢/ ٩٥) يرجع لقب «الصابئة» إلى اللغة فيقول: «قد ذكرنا أن الصبوة في مقابلة الحنيفية، وفي اللغة: صبا الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة».
ويقول ابن تيمية «الرد على المنطقيين» (ص ٢٨٨): «إن الصابئة نوعان: صابئة حنفاء موحدون، وصابئة مشركون.
فالأولون هم الذين أثنى الله عليهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢].
ويقول البيروني «الآثار الباقية عن القرون الخالية» (ص٢٠٥) عن صابئة حران: «ونحن لا نعلم منهم إلا أنهم أناس يوحدون الله، وينزهونه عن القبائح، ويصفونه بالسلب لا الإيجاب، كقولهم: لا يُحدّ، ولا يُرى، ولا يَظلم، ولا يجور، ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازًا إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه، ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبصرها، ويعظمون الأنوار».
وابن تيمية يصف بعض النفاة من فلاسفة ومعتزلة وغيرهم بالصابئة إما لتشابه تصور هذه الفرق لذات الله سبحانه وتعالى، أو أنه يلحظ المعنى اللغوي لـ«الصابئة». =

والمجوس[(١)]، واليونان بكفر من اعتقد ذلك وأنه من أهل التشبيه والتجسيد، وساعدهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها، والله ناصرٌ كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون[(٢)].

الرد على شبه نفاة الرؤية:

يقول ابن القيم: إن هؤلاء الجهمية والفرعونية والرافضة وغيرهم شهدوا بكفر من أثبت الرؤية؛ وقالوا: إنه من أهل التشبيه والتجسيم؛ لأنه شبه الله بخلقه؛ لأن الذي يُرى هو الجسم الذي يكون محدودًا ومجسَّمًا؛ أما الرب فلا يُرى؛ لأنه ليس بجسم وليس محدودًا، وليس له مكان يحصره، هكذا يقولون! من أثبت العلو وأن الله له مكان، وأثبت الرؤية: فهو كافر؛ لأنه مشبه ومجسم؛ ولهذا: فأهلُ البدع من هذه الأصناف

= وانظر لزيادة التفصيل عن الصابئة: «الآثار الباقية» (ص ٢٠٤- ٢٠٧)، و«الملل والنحل» (٢/ ٧٠- ٧٢)، (٩٥ وما بعدها)، و«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» للرازي (ص ٩٠)، و«الخطط» للمقريزي (٢/ ٣٤٤)، و«الرد على المنطقيين» (ص٢٨٧- ٢٨٩)، و(٤٥٤- ٤٥٥)، و«تفسير الطبري» ط - دار المعارف (٢/ ١٤٥- ١٤٧)، و «تفسير ابن كثير» (١/ ١٨٩- ١٩١).

(١) هم الذين يعبدون النار؛ فهم يعتقدون أنها أعظم شيء في الدنيا، ويسجدون للشمس إذا طلعت، وينكرون نبوة آدم ونوح عليهما السلام، وقالوا: لم يرسل الله -عز وجل- إلا رسولًا واحدًا، لا ندري من هو، ويقولون بإثبات أصلين: النور والظلمة، وفي باب الشريعة يستحلون نكاح الأمهات، والبنات، والأخوات، وسائر المحرمات، ويتطهرون بأبوال البقر تدينًا، ولذا قيل: إن أصل الكلمة النجوس، وقد نشأت المجوسية في بلاد الفرس. انظر: «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (١٣٤)، و«البرهان في عقائد أهل الأديان» (٥٧)، و«الملل والنحل» (٧٣).

(٢) انظر: «حادي الأرواح» (ص ٢١١).

يكفرون أهل السنة والجماعة.

وقد أجابوا عن هذه النصوص من الكتاب والسنة، بالتأويل والتحريف، وقالوا على لسان بشر المريسي الجهمي المعتزلي: إن المراد بالرؤية في هذه الأحاديث: الرؤية القلبية، وهي: العلم، فمعنى قول النبي ﷺ: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ»[1]، والمراد: تعلمون ربكم؛ لا تعتريكم فيه الشكوك والريب؛ كما تعلمون في القمر أنه قمر، وليس المراد الرؤية بالأبصار.

قالوا: وأنتم أيها المشبهة - يعنون أهل السنة - توهمتم أن المراد بالرؤية؛ الرؤية بالأبصار، وهذا تشبيه منكم للربِّ وتنقص له، فليس المرادُ: الرؤيةَ بالبصر؛ لأن هذا تشبيه وتجسيم، وإنما المراد: الرؤية بالقلب.

وقالوا: اللغة العربية تدل على ما قلنا؛ فالعرب تقول للأعمى: ما أبصره! يعني: ما أعلمه، فالمراد: العلم، وتقول العرب: نظرت في المسألة، وليس للمسألة جرم ينظر إليه، وليس المراد: الرؤيةَ - كما توهمون - بالأبصار؛ لأن الله نفى ذلك عن نفسه بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قالوا: والدليل على ما قلنا: أن الرؤية بمعنى العلم؛ نصوصٌ كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل: ١]؛ أي: ألم تعلم؛ فدل على أن الرؤية في هذه النصوص المراد بها: العلم.

هذا هو جواب نفاة الرؤية عن هذه النصوص.

---

(١) متفق عليه، وسبق تخريجه قريباً

وأجاب أهل السنة عن هذا الاعتراض بأجوبة:

الجواب الأول: أن النبي ﷺ فسر الرؤية في هذه الأحاديث برؤية البصر، فالنبي ﷺ قرن التفسير بالحديث فلم يدع لمتأول مقالًا؛ فقال: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ»[1]، وهذا صريح في رؤية العين؛ أي: الرؤية بالبصر.

الثاني: أن تفسير الرؤية با تفسير مخالف لتفسير النبي ﷺ، مع كونه لم يُؤْثر عن عالم أنه فسر الرؤية في هذه الأحاديث بالعلم، إلا جاهل ظالم، فكيف يترك تفسير رسول الله ﷺ المقرون بحديثه، إلى تفسير جاهل ضال، ليس له مستند، ولا يؤثر عن عالم؟!

الجواب الثالث: أن أهل اللغة أجمعوا على أن اللقاء إنما يكون معاينة بالأبصار، فنقل أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بـ«ثعلب»؛ إجماعَ أهل اللغة أن المراد باللقاء في قول الله عز وجل: ﴿...وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٣-٤٤] أن اللقاء هو: المعاينة بالأبصار؛ نقله عنهم بسندٍ صحيح؛ فإجماعُ أهل اللغة على أن اللقاء هو: المعاينة بالأبصار.

رابعًا: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ»[2]؛ فأدخل كاف التشبيه على ما المصدرية الموصولة بـ«ترون» التي تُؤَوَّلُ مع صلتها بالمصدر، وهي الرؤية، فيكون المعنى: إنكم ترون ربكم كرؤية الشمس والقمر، ومعلوم أننا نرى الشمس والقمر بأبصارنا؛ من فوقنا، فيجب أن تكون رؤية الله كذلك بالأبصار من فوق.

---

(١) متفق عليه، وسبق تخريجه قبل قليل، دون ذكر الشمس فيه

(٢) سبق قريباً.

الخامس: أننا لا ننكر أن الرؤية لها معان متعددة؛ فتكون بالبصر، وتكون بالقلب، وتكون رؤية رؤيا منام؛ كقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ**»[١]؛ أي: في النوم، ولكن لا بد من قرينة تبين المعنى المراد، وأي قرينة فوق هذه القرينة في قوله ﷺ: «**فَهَلْ تُمَارُونَ في رُؤية الشمسِ لَيْس دونها سَحابٌ؟ قالوا: لا، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ** ....»[٢]؛ فهل هذا مما يتعلق برؤية البصر أو مما يتعلق برؤية القلب؟! وهل يخفى هذا على ذي البصيرة؟!

السادس: أن تفسير الرؤية بالعلم تفسير مخالف لتفسير النبي ﷺ، ومخالف للغة، ويترتب عليه فساد المعنى، مع ما فيه من المعاندة لرسول الله ﷺ؛ فإن تفسيركم أيها النفاة للرؤية بالعلم وقولكم: معنى إنكم ترون ربكم كما ترون القمر أي: تعلمون أن لكم ربًا؛ لا تشكون في ربوبيته، كما لا تشكون في القمر أنه قمر، نقولُ جواباً عليه: هذا الشك زائل عن المؤمنين وعن الكفار يوم القيامة؛ لأنه في موقف القيامة كُلٌّ يعلم ربه؛ حتى الكفرة، وحتى النفاة، وحتى من أنكروا وجود الله؛ إذا كان يوم القيامة علموا بربهم وتيقنوا ربهم، فالشك في الربوبية زائل عن جميع أهل الموقف؛ مؤمنهم وكافرهم، والنبي ﷺ خص المؤمنين بالرؤية وبشرهم هذه

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٧٨)، والدارمي (٢١٤٩)، واللفظ له، من حديث عبدالرحمن بن عائش رضي الله عنه، وقال الهيثمي (٧/ ٣٦٨): «وقد سئل الإمام أحمد عن حديث عبدالرحمن بن عائش، عن النبي ﷺ بهذا الحديث فذكر أنه صواب هذا معناه». وله شواهد من حديث ابن عباس، ومعاذ بن جبل، وجابر بن سمرة، وأبي أمامة، وثوبان، وأم الطفيل. وانظر بتوسع للكلام على طرق هذه الأحاديث وتصحيحها؛ «ظلال الجنة» للألباني (٣٣٨، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٨٠٦)واللفظ له، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

البشرى؛ فما قيمة هذه البشرى، وما فائدة تخصيص المؤمنين بالرؤية إذا كان المراد بها مجرد العلم؟! فتفسير الرؤية بالعلم في هذه الأحاديث -مع كونه مخالفًا للغة- يُفْسِدُ المعنى ولا يكون للحديث معنًى سليم، مع ما فيه من المعاندة للرسول ﷺ.

لكن النفاة للرؤية - لما أجيبوا بهذه الأجوبة - قالوا: ألجأنا إلى نفي رؤية الله في الآخرة، حُكْمُ العقل بأن رؤيته - تعالى - محال؛ لا يُتصوَّر إمكانها؛ فهم يرون - كما سيأتي في أدلتهم - أن الله ليس بجسم، ولا داخل العالم، ولا خارجه، وما كان كذلك لا تمكن رؤيته، ولا يتصور إمكانها.

وأجاب أهل السنة: فقالوا: قولكم: إن العقل يحكم بأن الرؤية محالة؛ فهذه دعوى خالفكم فيها أكثر العقلاء، بل لو عُرِض على العقل السليم موجودٌ قائمٌ بنفسه لا يمكن رؤيته لحكم بأن هذا محال.

دليل الإجماع:

أجمع الصحابة والتابعون ومن بعدهم من الأئمة قبل مجيء الجهمية، والرافضة، والمعتزلة، والخوارج، على أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم عيانًا في الآخرة، وما زال العلماء والأئمة وأهل السنة يتناقلون هذا الإجماع؛ يرويه المتأخر عن المتقدم، والمتقدم يورثه للمتأخر؛ يقرِّرُون ذلك، ويفتون بذلك، ويقولون، ويتجملون به، ويتوارثونه جيلًا عن جيل، وقرنًا بعد قرن؛ بل كان من أكثر رجائهم، وأجزل ثوابهم عند الله؛ أنهم يرونه في الآخرة، فأنتم أيها النفاة نفيتم أعظم نعيم يعطاه أهل الجنة، وهو: الرؤية! وقد نقل البيهقي رحمه الله إجماع الصحابة على إثبات الرؤية[١]،

---

(١) انظر: «حادي الأرواح» (ص ٢٣٣).

ولا زال أهل السنة والجماعة والأئمة والعلماء يؤلفون في تقرير ذلك وإثباته المؤلفات، ويعدون من أنكر الرؤية معطلًا؛ من شَرِّ أهل التعطيل.

ومن تراجمهم في تلك الكتب والمؤلفات: باب إثبات الرؤية والرد على الجهمية، باب الوعيد لمنكر الرؤية، كما فعل شيخ الإسلام وغيره رَحِمَهُ اللَّهُ.

أما دليلهم من العقل فقالوا: إن الرؤية أمر وجودي لا يتعلق إلا بموجود، ومَنْ كان أكمل وجودًا؛ كان أحق بالرؤية من غيره، والله - تعالى - أكمل وجودًا من غيره؛ فهو أحق أن يرى من غيره، يوضح ذلك: أن تعذّر الرؤية إما لخفاء المرئي وإما لضعفٍ وآفةٍ في الرائي، والله - تعالى - ليس به خفاء؛ فهو أظهر من كل موجود، وإنما تعذرتْ رؤيتُه في الدنيا؛ لضعف القوة الباصرة؛ فإذا كان يوم القيامة نُشِّئ المؤمنون تنشئة قوية؛ بجوارح وأبصار قوية؛ يتحمّلون بها رؤية الله في الآخرة؛ أما في الدنيا: فلا يستطيعون أن يروا الله؛ لضعف بشريتهم؛ ولهذا لما سأل موسى ربه الرؤية قال الله: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلما تجلى الله للجبل تدكدك الجبل وخر موسى صعقًا. وإذا كان الإنسان في الدنيا لا يستطيع أن يرى الشمس وَيُحِدَّ النظرَ إليها؛ وهي مخلوقة؛ فكيف يستطيع أن يرى الله؟! بل إن الإنسان لا يستطيع أن يرى المَلَكَ على صورته إلا إذا قوَّاه الله؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨]، يعني: لمات، فلا يستطيع الإنسان أن يرى الملك على صورته، والنبي ﷺ لما رأى المَلَكَ على صورته رعب رعبًا شديدًا وذهب إلى زوجته، وقال: «دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي»، لكن قوَّاه الله. فإذا كان الإنسان لا يستطيع رؤية المَلَك ورؤية الشمس؛ فكيف يستطيع أن يرى

الله في الدنيا؟! لكن في الآخرة ينشئهم الله تنشئة قوية يتحملون فيها رؤية الله عز وجل.

هذه أدلة أهل السنة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

أما الكلابية والأشاعرة فقد أثبتوا الرؤية، ونفوا الجهة والفوقية؛ وأرادوا بذلك: أن يجمعوا بين الاعتقادين: بين اعتقاد نفي الجسمية عن الله، وبين إثبات الرؤية لما ليس بجسم بالحس، فأرادوا أن يثبتوا الرؤية؛ لأنهم لم يجرؤوا على إنكارها، ولم يستطيعوا ذلك؛ لأن النصوص وردتْ بها، لكن أرادوا أن يوافقوا المعتزلة في نفي الجهة والفوقية؛ فهم لا يريدون أن يفارقوا المعتزلة في هذا الاعتقاد؛ أي: في نفي الفوقية عن الله والعلو؛ لأن كلاهما ينفيان أن يكون الله جسماً؛ ولا يكون المكان إلا للأجسام؛ فما دام أنَّ الله ليس بجسم: فلا يكون له مكان، فأراد الأشاعرة أن يكونوا مع أهل السنة في إثبات الرؤية، وأن يكونوا مع المعتزلة في نفي الجهة والفوقية، فعجزوا عن ذلك؛ فلجؤوا إلى حجج السفسطائية؛ وهي الحجج المموهة، التي توهم أنها حجة وليست بحجة؛ لأن الحجج أقسام:

فهناك حجج يقينية؛ تفيد اليقينَ، وهناك حجج دون اليقين، وهناك حجج موهمة مرائية؛ وهي: التي توهم أنها حجة وليست بحجة، وهذه كحجة الأشاعرة هنا، كما أن الناس أقسام؛ فمن الناس من هو فاضل تام الفضيلة، ومن الناس من هو دون ذلك في الفضل، ومن الناس من هو مراءٍ يوهم أنه فاضل وليس بفاضل، فلما عجزوا عن ذلك قالوا: نثبت الرؤية، وننفي الجهة والفوقية فقالوا: إن الله يُرى لا في جهة؛ لا فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال.

ناقشهم أهل السنة بجوابين:

الجواب الأول: وهو أن يقال: إنكم أيها الكلابية والأشاعرة انفردتم بهذا القول عن طوائف بني آدم، وخرجتم به عن ضرورات العقل، فإنه في بداءة العقول أن كل مرئي لا بد أن يكون مواجهًا للرائي؛ مباينًا له، لا يمكن أن يكون هناك مرئي قائم بنفسه إلا بجهةٍ للرائي، أما أن يوجد مرئي ليس في جهة فهذا لا يُعقل.

ولهذا ضحك جمهور العقلاء من الكلابية والأشعرية حينما أثبتوا الرؤية ونفوا الجهة، قالوا: هذا لا يمكن ولا يُتصور؛ ولهذا أنكر على الكلابية والأشاعرة جميع طوائف بني آدم وضحكوا من إثباتهم الرؤية وإنكارهم الجهة والفوقية؛ ولهذا تسلط عليهم المعتزلة وقالوا: أنتم الآن وقعتم في الفخ؛ كيف تثبتون الرؤية ولا تثبون الجهة؟! لا بد أن تثبتوا الجهة والفوقية؛ فتكونوا أعداءً لنا مع المشبهة، أو تنفوا الرؤية؛ فتكونوا معنا، أما أن تبقوا مذبذبين؛ تثبتون الرؤية، وتنكرون الجهة والفوقية؛ فهذا غير معقول، ولا يمكن .

الجواب الثاني: ما جاء في الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ الصريحة في أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة؛ كما في الحديث : أن النبي ﷺ سئل هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ؟ قَالُوا: لَا قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**»(١)، وفي الحديث الثاني يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بالظهيرة صَحْواً لَيْسَ مَعَها سحاب؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ القَمَر لَيلَةِ البَدْرِ صَحْواً لَيْسَ فيها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: ما تُضَارُّون في رُؤْيَةِ الله تبارك**

---

(١) سبق تخريجه.

وتعالى يوم القيامة إلا كما تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ أحدهما...»[1]، وفي الحديث الآخر: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا»[2]، يعني: مواجهةً، فهذه النصوص صريحة في أننا نرى ربنا كما نرى الشمس والقمر، ونحن نرى الشمس والقمر من فوقنا عيانًا. فالأحاديث صريحة في هذا، وليس المراد من الأحاديث: تشبيه الله بالقمر والشمس - تعالى الله عن ذلك - بل المراد: تشبيه الرؤية بالرؤية؛ والمعنى: أننا نرى ربنا يوم القيامة رؤيةً واضحة؛ لا لبس فيها؛ كما أننا نرى الشمس والقمر رؤية واضحة؛ لا لبس فيها؛ من فوقنا، فالله ليس له مثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، سبحانه ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وبطل بهذا دعوى الكلابية والأشاعرة من أنه يمكن أن تكون هنالك رؤية بلا جهة؛ لكنهم لـمَّا ألزموا بذلك وضُيِّق عليهم الخناق؛ قالوا: عندنا دليل عقلي على أن الرؤية ممكنة بدون جهة؛ وهو أن الإنسان يرى صورته في المرآة وليس في جهة منها؛ فهذه رؤية بدون جهة؛ فكذلك الله يُرى لا في جهة.

أجاب أهل الحق: بأن هذا تلبيس منكم أيها الكلابية والأشاعرة؛ فإن الإنسان لا يرى صورته الحقيقية في المرآة، وإنما يرى خيال صورته التي تنطبع في الجسم الصقيل، وهو أيضًا في جهة منها؛ فتبين بهذا أن هذا الدليل العقلي الذي زعموه: لا قيمة له، وبطل بهذا مذهبُ الأشاعرة والكلابية.

ومع أنه يلزم الكلابية والأشاعرة أن يثبتوا الجهة والعلو، حتى يكونوا

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) هذا لفظ البخاري (٧٤٣٥) من حديث جرير بن عبدالله ﷺ، وسبق بألفاظ

من أهل السنة، أو ينفوا الرؤية فيكونوا كالمعتزلة، وأنه لا يمكن لهم البقاء على هذا المذهب، ومع ذلك: فهم أقرب إلى الحق من المعتزلة -نفاة الرؤية-؛ لأن من أثبت شيئًا من الحق؛ فهو أقرب؛ ولو كان متناقضًا؛ لأنهم أثبتوا الرؤية وهي حق، وإن كان يلزمهم أن يثبتوا الفوقية والعلو .

وأما النفاة الذين ينفون رؤية الله في الآخرة مثل: الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، فلهم شبه عقلية، وشبه شرعية، والمراد بالشبه الأدلة، لكن إذا كان المستدِل غير محق سمي ما لديه من الأدله شبهًا.

والأصل الذي قادهم إلى هذا هو اعتمادهم على العقل، وهو الأساس عند المعتزلة النُّفاة، فبلاؤهم إنما جاءهم من تقديم العقل على النقل، وَجَعْلِ العقل أساس فهمهم، وَتَرْكِهم كتاب الله وراءهم ظهريًا؛ فلما اعتمدوا على العقل: أوَّلوا النصوص التي تدل على إثبات الرؤية؛ فلما كان العقل هو الأصل والأساس عند النفاة، حرّفوا لأجله النصوص من كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ حتى يوافق عقولهم.

فمن الشُّبه العقلية لنفاة الرؤية:

أولا : هو أنهم قالوا : يلزم من إثبات رؤية الله؛ أن يكون الله ذا جهة، ويلزم من كونه ذا جهة أن يكون جسمًا، أو أن يكون محدودًا ومتحيزًا، والله ليس في جهة، وليس جسمًا، وليس محدودًا، ولا متحيزًا؛ فالرؤية منتفية؛ لانتفاء لازمها، وهو الجهة، ولو أثبتنا الجهة فإن هذا تنقصٌ للرب .

وقد يصوغون هذا الدليل بصياغة منطقية، فيصوغون الدليل مركبًا من مقدمتين ونتيجة كما هو معروف عند أهل المنطق؛ فيقولون في صياغة الدليل: الله ليس في جهة؛ وكل ما ليس في جهة لا يرى، فالنتيجة: اللهُ لا

يرى. هذا الدليل المنطقي، مكون من مقدمتين ونتيجة، والنتيجة مستخلصة من المقدمتين: الله ليس في جهة، هذه المقدمة الأولى مكونة من مبتدأ، أو خبر.

المقدمة الثانية: كل ما ليس في جهة لا يرى، النتيجة تؤخذ من المقدمتين، وهو أنك تحذف مبتدأ الجملة الأولى، وخبر الجملة الثانية، فتأخذ النتيجة وهي السابقة: الله لا يُرى، وأنت إذا سلمتَ لهم المقدمتين. ألزموك بالنتيجة، لكن الطريقة في هذا: أنك تعارض المقدمة الأولى؛ فلا تسلم بها، أو تعارض المقدمة الثانية: فلا تسلم بها، أو تعارض كلا المقدمتين، حتى تُبْطِلَ النتيجة.

والجواب عن هذه الشبهة:

أولًا: أن يقال: ما قولكم في الجهة؟ تقولون: إنه يلزم من إثبات رؤية الله أن يكون في جهة، هل مرادكم بالجهة أمراً وجودياً؟ أو أمراً عدميا؟ هل مرادكم بالجهة أمراً مخلوقاً؟ أو أمراً عدمياً؟ ومن المعلوم أنه ليس هناك في هذا العالم إلا الخالق والمخلوق، فإن أردتم بالجهة أمراً وجوديًا؛ أي: أمرًا مخلوقًا؛ فالله منزه عن أن يكون في جهة بهذا المعنى، أو في شيء من مخلوقاته؛ فهو سبحانه لم يدخل في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته؛ فهو بائن عنهم - سبحانه وتعالى -، فإن أردتم بالجهة جهة وجودية مخلوقه؛ تحويه وتحصره، وتحيط به إحاطة الظرف بالمظروف؛ فالله منزه عن الجهة بهذا المعنى؛ لأن الله ليس في جهة من خلقه، وليس في شيء من خلقه، ولا يحويه، ولا يحصره شيءٌ من خلقه - سبحانه وتعالى -؛ فهو أعظم، وأعلى، وأجل من ذلك، وهو متميز عن خلقه، منفصل بائن عنهم - سبحانه وتعالى -.

فالله ليس في جهة بهذا المعنى. وإن أردتم بالجهة أمرًا عدميًّا غير مخلوق، وهو ما فوق العرش؛ فإن نفيكم الجهة بهذا المعنى باطل، فالله في جهة العلو بعد أن تنتهي المخلوقات إلى سقف عرش الرحمن؛ فإذًا لا بد من التفصيل والاستفصال، فإن أردتم بالجهة أمرًا مخلوقًا؛ فالله ليس في جهة، وإن أردتم بالجهة أمرًا عدميًّا، وهو ما فوق العرش، فالله في جهة بهذا الاعتبار. وعلى هذا نقول:

المقدمة الأولى باطلة؛ قولكم: الله ليس في جهة، إن أريد به أمرًا عدميًّا؛ نقول: هذه المقدمة باطلة، ولا دليل على إثباتها، بل نقول: الله في جهة بهذا المعنى؛ لأن الجهة أمر عدمي، والمعنى: أن الله في العلو؛ فوق العرش، وإن أردتم بالجهة أمرًا وجوديًّا: بطلت المقدمةُ الثانية، وهو قولكم: كل ما ليس في جهة؛ لا يرى؛ لأنه لا يلزم أن يكون كل مرئي في جهة مخلوقة، فإن سطح العالم يمكن أن يُرى، وليس العالم في عالم آخر، وإلا لزم التسلسل فيكون العالَمَ في عالَم، والعالم في عالم، إلى ما لا نهاية، وإذا بطلت المقدمتان، أو بطلت إحداهما: بطلت النتيجةُ، وهي قولكم: الله لا يُرى.

هذا هو الدليل الأول؛ العقلي .

الدليل العقلي الثاني لنفاة الرؤية لله عز وجل قالوا: الله ليس بجسم، ولا هو داخل العالم ولا خارجه، وما كان كذلك: لا تمكن رؤيتُه.

وأجيب عن هذا الدليل العقلي بأجوبة:

الجواب الأول: أن إثبات ما لا يكون داخل العالم ولا خارجه، أمرٌ لا يمكن الإحساس به، والحكم الفطري يحيل إثبات شيء، أو أمر لا يمكن الإحساس به.

الجواب الثاني: سلَّمنا وجود أمر، أو شيء لا يمكن الإحساس به، فوجود ما يمكن الإحساس به أولى - ولو سلمنا بهذا جدلًا، فقد سلمنا به من جهةٍ لنردّ من جهة أخرى -: فمن أثبت موجودًا فوق العالم ليس بجسم؛ يمكن الإحساس به، كان قوله أقرب إلى العقل ممن أثبت موجودًا لا يمكن الإحساس به، وليس داخل العالم، ولا خارجه.

الجواب الثالث: أن رؤية ما ليس بجسم ولا في جهة إمّا أن يُجَوِّزه العقلُ، وإما أن يمنعه؛ فإن جوّزه: فلا كلام، وإن منعه: كان مَنْعُ العقلِ لإثباتِ موجودٍ لا داخل العالم، ولا خارجه؛ أشدَّ وأشدَّ.

الجواب الرابع: أن رؤية الباري - تعالى - إما أن تكون ممكنة، وإما أن لا تكون ممكنة؛ فإن كانت ممكنة، بطل قولكم بإثبات موجود لا يمكن الإحساس به، وهو ما لا يكون لا داخل العالم ولا خارجه، وإن قلتم: رؤيته غير ممكنة، قيل لكم: فحينئذ هو غير محسوس، فلا يقبل فيه حكم الوهم.

فثبت أنَّ رؤية الله - سبحانه وتعالى - مناسبة له، وليست كالرؤية المعهودة للأجسام، هذه الأدلة العقلية يصارع فيها الخصم بالأدلة التي يعتقدها، دليلًا بدليل؛ دليل عقلي يُرَدُّ عليه برد عقلي.

أما أدلتهم الشرعية وشبههم الشرعية فاستدلوا بأدلة منها:

الدليل الأول: قول الله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ووجه الاستدلال؛ قالوا: إن الله نفى رؤية موسى له بـ«لن» فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾

[الأعراف: ١٤٣] و «لن» تقتضي النفي المؤبد؛ فدلّ على أن الله لا يُرى في الآخرة.

أجاب أهل الحق عن استدلالهم بأجوبةٍ:

أولًا: نحن لا نوافق أن «لن» تقتضي النفي المؤبد، بل نقول بأن القول بأن لن تقتضي النفي المؤبد قول ضعيف مرجوح عند النحاة وأهل اللغة(١)؛ بدليل تحديد الفعل بعدها كما في قول الله - تعالى -: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠]، فلو كانت للنفي المؤبد لَمَا حُدد الفعل بعدها.

ولهذا قال ابن مالك(٢) رحمه الله تعالى- في «ألفيته»:

ومَنْ رأى النفيَ بلن مؤبَدًا ... فقولَه اردُدْ وسواهُ فاعضدا

يعني: من رأى هذا القول؛ فقوله ضعيفٌ مردودٌ.

---

(١) انظر: «مغني اللبيب» لابن هشام (١/ ٣٧٤).

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي المعروف بابن مالك النحوي المالكي ولد سنة ٦٠٠هـ. نشأ راغبًا في طلب العلوم والفنون، وصرف همته في إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية، تصدر بحلب لإقراء العربية، وأربى على المتقدمين وكان إمامًا في القراآت وعللها صنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية، وأما اللغة فكان إليه المنتهى فيها. توفى سنة ٦٧٢هـ في دمشق الشام بعد أن قدم إليها من القاهرة.

من كتبه: الأفعال وتصريفها، ألفية في النحو منظومة، بغية الأريب وغنية الأديب في الأصول، الضرب في معرفة لسان العرب، الفوائد في النحو، قصيدة دالية في القراءات، لامية الأفعال، النظم الأوجز فيما يهمز وما لا يهمز، وغيرها كثير.

وهذا البيت في «الكافية الشافية» بشرح ابن مالك (٣/ ١٥١٥). انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٦٧)، و«غاية النهاية» لابن الجزري (ص ٣٥٦)، و«الوافي بالوفيات» (١/ ٤٤٣).

الجواب الثاني: أن (لَنْ) لا تفيد النفي المؤبد، ولا تفيد دوام النفي في الآخرة حتى ولو قيدت بالتأبيد؛ فحتى ولو جاء التأبيد بعدها؛ فهي لا تفيد دوام النفي المطلق؛ على التأبيد، والدليل على ذلك قول الله - تعالى - عن اليهود: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [البقرة: ٩٥]، فأخبر الله عن الكفار أنهم لن يتمنوا الموت بسبب ما قدمت أيديهم من الكفر، و «لن يتمنوه» قيدت «لن» بالتأبيد، ثم أخبر الله عن أهل النَّار أنهم سيتمنّوْنَ الموت في الآخرة؛ كما في قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فإخبارُه عن تمنيهم الموتَ مع قوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] دليلٌ على أن (لن) لا تفيد دوام النفي في المستقبل، حتى ولو قُيدّتْ بالتأبيد، فكيف إذا لم تقيد بالتأبيد؟!

الجواب الثالث: أن نقول: إن الآية الكريمة وهي قول الله - تعالى - لموسى: ﴿لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ تدل على ثبوت الرؤية في الآخرة من وجوه متعددة:

الوجه الأول: أن موسى - عليه الصلاة والسلام - سأل ربه الرؤية، ولو كانت الرؤية مستحيلة، وغير ممكنة؛ لما سألها موسى - عليه الصلاة والسلام - وهو كليم الرحمن، وأعلم الناس بربه في وقته، ومِثْلُه لا يجهل الجائز في حق الله - تعالى -؛ فلَّما سألها موسى؛ دلَّ على أن الرؤية ممكنة؛ ليست مستحيلة.

الوجه الثاني: أنه لو كانت الرؤية مستحيلة وغير ممكنة؛ لأنكر الله على موسى سؤاله رؤيته، كما أنكر الله على نوح سؤاله نجاة ابنه، فإن نوحًا - عليه الصلاة والسلام - لما أُغرِق ابنُه الكافرُ نادى ربه؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ

أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود: ٤٥] [سورة هود آية: ٤٥]، فأنكر الله عليه فقال: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦]، فلو كانت الرؤية غير جائزة؛ لأنكر الله على موسى سؤاله، كما أنكر على نوح سؤاله نجاة ابنه، لكن الله لم ينكر على موسى سؤاله؛ فدَلَّ على جوازها.

الوجه الثالث: أن الله - تعالى - أجاب موسى بما يدل على جواز الرؤية، ولم يجبه بما يدل على نفيها، ولو كانت الرؤية غير جائزة لأجاب الله موسى بما يدل على نفي الرؤية واستحالتها، فقال له: «إني لا أرى» أو: «لا تمكن رؤيتي»، أو: «لست بمرئي»، وإنما أجابه فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، والفرق بين الجوابين ظاهر.

الوجه الرابع: أن الله لم يعلق الرؤيةَ بشيء مستحيل؛ كالأكل، والشرب، والنوم؛ لأن الأكل، والشرب، والنوم؛ مستحيل على الله، وإنما علّقه بشيء ممكن، وهو استقرار الجبل فقال: الله لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فالله قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا، فلم يعلقه بشيء مستحيل، كالأكل، والشرب، والنوم، وإنما علقه بشيء ممكن، وهو استقرار الجبل، فلو كانت محالاً، لكان نظير أن يقول: إن استقرَّ الجبلُ؛ فسوف آكل، وأشرب، وأنام.

الخامس: أن موسى - عليه الصلاة والسلام - لم يستطيع رؤية الله - تعالى - في الدنيا؛ لضعف القوة البشرية عن تحمّل ذلك، فإذا كان يوم القيامة نشَّأ اللهُ المؤمنين تنشئةً قوية يستطيعون بها الثبوت لرؤيته - سبحانه وتعالى -.

السادس: أن الله تجلى للجبل وهو جماد، ولا ثواب له ولا عقاب عليه، فلئن يتجلى الله لرسله وأوليائه وعباده المؤمنين في دار كرامته؛ من باب أولى .

السابع: أن الله نادى موسى وناجاه، وكلمه، ومن جاز عليه التكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه؛ جاز عليه رؤيته في الآخرة من باب أولى .

الثامن: أن رؤية الله نعيم، وهو أعظم نعيم كما جاء في الحديث، والنعيم يكون لأهل الجنة ولا يكون لأهل الدنيا؛ فلذلك مُنع موسى من رؤية الله؛ فإذا كشف الله - سبحانه وتعالى - الحجاب ورآه المؤمنون، نسوا ما هم فيه من لذة، فلذلك نفى الله رؤية موسى له في الدنيا.

وبهذا يبطل استدلال نفاة الرؤية بهذه الآية الكريمة .

الدليل الثاني: استدلوا بقول الله - تعالى -: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وجه الاستدلال:

قالوا: إن الله نفى إدراك الأبصار له؛ فدل على أن الله لا يُرى في الآخرة، وهذا نفي للرؤية، وأُجيبَ بجوابين:

الجواب الأول: أن الله نفى الإدراك، ولم ينف الرؤية؛ والإدراك قَدْرٌ زائد على الرؤية وهو أخص من الرؤية، فالرؤية أعم، ونفيُ الأخصِّ لا يدل على نفي الأعم، فالله نفى الإدراك ولمْ ينف الرؤية؛ فَفَرْقٌ بين الرؤيةِ وبين الإدراك؛ فالرؤية أعم من الإدراك، والإدراك أخص، ونفي الأخص لا يدل على نفي الأعم - كما سبق -، فأنت ترى السماء لكن لا تحيط بها رؤيةً، وترى البستان الواسع لكن لا تحيط به رؤية، وترى الجبل ولا

تحيط به رؤية، وترى المدينة ولا تحيط بها

فإذا كان الإنسان يرى بعض المخلوقات ولا يحيط بها رؤية، فكيف يحيط بالله - سبحانه وتعالى -؟ فالله - تعالى - يُرى ولا يحاط به رؤيةً، كما أنه يُعلم ولا يحاط به علمًا - سبحانه وتعالى -؛ لكمال عظمته، وكونه أكبر من كل شيء.

والدليل على أن نفي الرؤية غير نفي الإدراك، ما أخبر الله - سبحانه وتعالى - عن موسى - عليه الصلاة والسلام - حينما سار بالجيش وتبعه فرعونُ وقومه كما في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٥٢]، فسرى موسى بالجيش وتبعه فرعون بجيشه، فلما تراءى الجمعان قال الله: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١-٦٢]، فالرؤية ثابتة بقوله: «فلما تراءى الجمعان»؛ والجمعان هما: الجيشان: الجمع الذي يقوده موسى؛ والجمع الذي يقوده فرعون: تراءيا، أي: رأى بعضهم الآخر؛ فهذا ثبوت الرؤية وقوله: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١]؛ أي: لمحاطٌ بنا، فنفى موسى الإدراك فقال: كلا لستم بمدركين: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٢].

يعني: يقولِ قوم موسى - عليه الصلاة والسلام لموسى-: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١]، وسوف يحيط بنا فرعونُ فماذا نفعل؟! البحر أمامنا؛ فإن خضناه: غرقنا، وفرعون وجيشه خلفنا؛ فإن وقفنا: أدركنا، فماذا نفعل؟ ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١]، فقال موسى «كلا» لستم بمدركين: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٢]، فَأَمَرَ اللهُ موسى فضرب البحرَ بعصاه، فصار يبسًا في الحال؛ اثني عشر طريقًا، فسلكه موسى

وقومه، وتبعه فرعون وقومه، فلما خرج موسى من الجهة الثانية وتكامل جيش فرعون، أمر الله البحر أن ينطبق عليهم، وأن يعود إلى حالته، والقصة معروفة. إذًا: فالرؤية ثابتة؛ لأنَّ الجمعيْن قد تراءيا، مع أن موسى نفى الإدراك؛ فدلَّ على أن الإدراك قدر زائد على الرؤية، وهو الإحاطة، فالله - تعالى - يُرى ولكن لا يحاط به رؤيةً؛ لكمال عظمته؛ وكونه أكبر من كل شيء.

الجواب الثاني: أن الآية سيقت مساق المدح، والمدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، أو بالنفي الذي يتضمن إثبات ضده من الكمال؛ لا بالنفي المحض، فالله أثنى على نفسه بأنه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ فالآية سيقت مساق المدح، والمدح إنما يكون بشيئين:

الأول: الصفات الثبوتية؛ كما يمدح نفسه بأنه على كل شيء قدير، وأنه قد أحاط بكل شيء علمًا.

والثاني: النفي الذي يتضمن إثبات ضده من الكمال؛ كنفي السِّنة والنوم؛ لكمال قيوميته؛ قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ فهذا نفي، لكنه يتضمن إثبات ضده من كمالِ حياته وقيوميته؛ وقوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] فلا يعجزه شيء لكمال قوته، واقتداره، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨])، فنفى الموتَ لكمال حياته، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، فنفى الظلم عن نفسه لكمال عدله، ونفى الولد والشريك والصاحبة؛ لكمال ربوبيته، وقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، أي: لكمال علمه، فكذلك قوله في هذه الآية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ فلكمال عظمته، وكونه أكبر من كل شيء.

فالكمال إنما يكون بالنفي الذي يتضمن إثبات ضده من الكمال، كما في هذه الآيات، أو يكون بالصفات الثبوتية.

أما النفي المحض؛ الصرف: فهذا لا يكون كمالًا؛ لأن المعدوم يوصف بالنفي الصرف المحض، والمعدوم لا يُمدح، فلو كان المراد من الآية نفي الرؤية فقط؛ لما كان ذلك كمالًا، ولَـمَا كان مدحًا؛ فلو قيل: معنى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ لا تراه العيون؛ لم يكن في هذا مدح؛ لأن المعدوم لا يُرى، فما فائدة هذا النفي؟! ولكن إنما يكون كمالًا إذا تضمن إثبات ضده من الكمال؛ وهو إثبات الرؤية ونفي الإدراك، والمعنى: تراه الأبصار ولكن لا تحيط به، ولا تدركه؛ لكمال عظمته، ولكونه أكبر من كل شيء - سبحانه وتعالى -، فتبين أن الآية تدل على إثبات الرؤية، ولكن المنفي هو الإدراك.

الدليل الثالث: استدلوا بقول الله - تعالى -: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾ [البقرة: ٥٥]، وبقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ﴾ [النساء: ١٥٣].

واستدلوا أيضاً بقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ۝٢١﴾ [الفرقان: ٢١].

قالوا: وجه الدلالة من هذه الآيات: أن الله - تعالى - أنكر على هؤلاء حينما سألوا رؤيةَ الله وذمَّهم وعاقبهم بالصاعقة والصيحة؛ لظلمهم؛ فدلَّ على أن الله لا يُرى في الآخرة، فلو كان الله يرى؛ لما أنكر على

هؤلاء الذين طلبوا رؤيته، وَلَـمَا ذمهم وعاقبهم بالصاعقة، كما في الآيات السابقة، فدلَّ على أن الله لا يُرى في الآخرة؛ هذا وجه استدلالهم بهذه الآيات .

والجواب: أن يقال: إن هؤلاء القوم، إنما ذمهم الله وعاقبهم وأنكر عليهم؛ لأنهم سألوا شيئًا ممنوعًا؛ سألوا رؤية الله في الدنيا؛ إلحافًا في السؤال، فذمهم الله وأنكر عليهم، وعاقبهم بالصاعقة .

لكن لو سألوا رؤية الله في الآخرة لَـمَا ذمهم الله، فإن الصحابة - رضوان الله عليهم - سألوا النبي ﷺ رؤية الله في الآخرة فقالوا: **«هَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»**[1]، فلما سألوا رؤية الله في الآخرة أثبت الرؤية، وبشرهم بذلك بُشرى حسنة، وهي أنهم يرون الله في الآخرة، لكن أولئك الذين أنكر الله عليهم وذمهم وعاقبهم بالصاعقة؛ فلأنهم سألوا شيئًا ممنوعًا في الدنيا .

نتنقل بعد ذلك إلى حكم رؤية الله في الدنيا: هل رؤية الله في الدنيا ممكنة؟ أو غير ممكنة؟ وهل هي واقعة؟ أو غير واقعة؟ هذا التحرير محل النـزاع:

أولًا: اتفقت جميع الطوائف على أن الله يُرى في المنام كما نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[2]، إلا الجهمية فإنهم أنكروا ذلك لشدة إنكارهم للرؤية، لكن رؤيته في المنام جائزة عند جميع الطوائف، ولا يلزم من ذلك أن يراه الإنسان على صفته التي هو عليها، بل إن رؤية الإنسان لله في

---

(١) متفق عليه، وسبق تخريجه.

(٢) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» ابن قاسم (١/ ٧٢- ٧٣).

المنام على حسب اعتقاده، فإن كان اعتقاده صحيحًا رأى ربه في صورة حسنة، وإن كان اعتقاده فيه خلل رأى ربه في صورة مناسبة لاعتقاده. كما قال ذلك أبو العباس ابن تيمية رحمه الله.

أما رؤية الله في الدنيا في اليقظة فهذا محل نزاع:

فذهبت المشبهة إلى أن الله يُرى في الدنيا، وأنه يُحاضَر ويُسامَر ويُصافَح ويعانَق وينزل عشيةَ عرفة على جَمَلٍ -قبحهم الله وأخزاهم-، فهؤلاء المشبهة من غلاة الشيعة، وهم كفرة يقولون: إن الله على صورة الإنسان، وإن الله يشبه الإنسان في ذاته وصفاته - قبحهم الله - .

كذلك بعض الصوفية[1] قالوا: يمكن أن يكون الله في الخضرة، فإذا رأيت شيئًا أخضر، قالوا: لا ندري لعل ربنا يكون في هذه الخضرة - قبحهم الله -.

أما ما عدا المشبهة فأجمعت الأمة على أن الله - تعالى - لا يراه أحد في الدنيا، ولم يختلفوا في ذلك، إلا في نبينا محمد ﷺ؛ فاختلفوا في رؤيته لربه ليلة المعراج هل رأى ربه؟ أو لم ير ربه؟

واتفقوا على أن النبي ﷺ لم ير ربه في الأرض؛ هذا بالإجماع، واتفقوا على أن النبي ﷺ رأى ربه بعين قلبه لا بعين رأسه، والمراد بالرؤية

---

(١) سموا بذلك نسبة إلى اللبسة الظاهرة وهي الصوف غالبًا. ولقد مرّ التصوف بعدة مراحل، فقد كان في أوله زهدًا في الدنيا وانقطاعًا لعبادة الله -عز وجل-، ثم صار حركات ومظاهر خالية من الروح والعبادة، ثم صار إلحادًا وخروجًا عن دين الله؛ فقالوا بالحلول، ووحدة الوجود، وإباحة المحرمات، وتركَ الواجبات، وعلم الباطن. انظر: «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (٨٧، ١١٥)، و«المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» وهو في الهامش (١١٢، ١٣٠).

بعين القلب: العلم الزائد عن العلم العادي.

والخلاف بين العلماء في رؤية النبي لربه بعيني رأسه ليلة المعراج في السماء، هل رآه؟ أو لم يره؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن النبي ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة المعراج خاصة.

وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما[١] وأصحابه، وهي رواية عن الإمام أحمد[٢] رحمه الله، واختار هذا القول النووي في «شرح صحيح مسلم»[٣]، وأبو الحسن الأشعري وأتباعه[٤]، واختاره الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد[٥]، واختاره أبو إسماعيل الهروي[٦]، وكل هؤلاء رأوا

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٥٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٣٣)، و(٢/ ٥٠٩- تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٩٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٧٢)، وصححه الحافظ في «الفتح» (٨/ ٦٠٨)، والحاكم في «المستدرك» -كما في المواضع المشار إليها-، والألباني، ولكنه ليس صريحًا في رؤية العين. وجاء مثله عن أنسٍ عند ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦٠١٤)، لكن في سنده رشدين بن سعد، وهو سيء الحفظ.
ورُوي بلفظٍ آخر عند الترمذي (٣٢٧٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٣٧)، وقال: «وفيه كلام». وضعفه الألباني، وليس صريحاً أيضاً.

(٢) انظر: الروايتين والوجهين للقاضي أبي يعلى «مسائل في أصول الديانات» (ص٦٣-٦٤).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٩).

(٤) انظر: «شرح جوهرة التوحيد» (ص١١٨).

(٥) «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (٢/ ٤٧٧-٥٦٢).

(٦) هو عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري، أبو إسماعيل. كان يُدعى شيخ الإسلام، وكان إمام أهل السنة بهراة، ويسمى خطيب العجم؛ لتبحر علمه وفصاحته ونبله. توفي سنة ٤٨١هـ. انظر: «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٤٧، ٢٤٨)، و«الذيل» لابن رجب (١/ ٥٠-٦٨)، و«الأعلام» (٤/ ٢٦٧). وانظر اختياره بأن محمدًا ﷺ رأى ربه بعيني رأسه في كتابه «الأربعين في دلائل التوحيد» (٨١).

أن النبي ﷺ رأى ربه بعيني رأسه[(١)] ليلة المعراج.

واستدلوا بقول الله - تعالى -: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها رؤية عين أُريها النبي ﷺ ليلة أسري به[(٢)]، ذكر ذلك الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد، وغيرُه.

القول الثاني: أن النبي ﷺ لم يرَ ربه بعيني رأسه ليلة المعراج وإنما رآه بعين قلبه، وهذا مروي عن عائشة رضي الله عنها فإنها قالت لمسروق لما سألها: هل رأى محمدٌ ﷺ ربَّه؟ قالت: لقد قفَّ شَعْري مما قلت، ثم قالت: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ»[(٣)].

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٨)، و(٤٧١٦)، و(٦٦١٣)، وعبدالرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٨٠)، والطبري في «التفسير» (١٥/ ١١٠)، والترمذي في «السنن» (٣١٣٤)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٩٤ -تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، وابن حبان في «الصحيح» (٥٦)، وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (٢/ ٤٩٣- ٤٩٤)، والهروي في «الأربعين» (ص ٨١- ٨٣) من طريق ابن خزيمة.

فائدة: قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٣٩٨- ٣٩٩): «واستدّل به على إطلاق لفظ الرؤيا على ما يُرى بالعين في اليقظة. وقد أنكره الحريري تبعاً لغيره وقالوا: إنما يقال: رؤيا في المنام، وأمَّا التي في اليقظة، فيقال: رؤية. وممن استعمل الرؤيا في اليقظة المُتنبيّ في قوله: ورؤياك أحلى في العيون من الغمض.
وهذا التفسيرُ يردُّ على مَنْ خطَّأهُ».

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧) واللفظ له.

وفي رواية أنها قالت: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهَ الفِرْيَةَ»[(١)].

وهذا مروي أيضًا عن ابن مسعود[(٢)] وعن أبي هريرة[(٣)]، واختلف فيه جماعة من الصحابة والتابعين، وهو قول كثير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، بل هو قول جمهور العلماء، وهو الصواب[(٤)] كما سيأتي.

واستدلوا على أن النبي ﷺ لم ير ربه بعين رأسه بأدلة:

الدليل الأول: قول الله - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾ [الشورى: ٥١]، فهذه الآية فيها بيان أنواع الوحي، وأن الله - تعالى - إذا كلم الرسولَ فإما أن يكون ذلك وحيًا يُلقى في روعه، أو يرسل رسولًا، أو يكون التكليم من وراء حجاب؛ كما كلَّم اللهُ موسى من وراء حجاب، وكما كلم محمدًا ﷺ من وراء حجاب أيضاً؛ قال تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الشورى: ٥١]، فقول الله - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ [الشورى: ٥١] لفظٌ عام؛ يدخل في ذلك محمد ﷺ؛

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٤) إلى قوله: «فقد أعظم»، وأخرجه بنحوه في مواضع متفرقة من الصحيح، لكن السياق بتمامه عند مسلم في الصحيح (١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٢، ٤٨٥٦، ٤٨٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٥).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٣٥، ٣٣٦)، (٦/ ٥٠٧-٥١٠)، و«منهاج السنة» (٥/ ٣٨٤-٣٨٧)، و«التبيان في أقسام القرآن» لابن القيم (١٦٠، ١٦١)، و«درء التعارض» (٨/ ٤١-٤٢)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٢٣)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ٢٢٢، ٢٧٥)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٧٤)، و«لوامع الأنوار» (٢/ ٢٥٠-٢٥٦).

لأنه بشر، فيشمله قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، فيكون محجوباً عن رؤية الله؛ كلّمه الله بدون واسطة؛ فسمع كلام الله، وفرض الله عليه الصلوات خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم خففها الله إلى خمس صلوات.

فالله تعالى إذن: كلَّم محمداً ﷺ ليلة المعراج؛ من وراء حجاب، ولم يكشف له الحجاب حتى يراه، وإنما كلمه من وراء حجاب.

الدليل الثاني: ما ثبت في «صحيح مسلم» عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ فقال: «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: **نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟**»[1]؛ و«أَنَّى» اسم استفهام بمعنى «كيف». والمعنى: نورٌ! كيف أراه؟ وهذا يعني: أن النور حجاب منعني من رؤية الله.

الدليل الثالث: ما ثبت في «صحيح مسلم» من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ**»[2]، وفي رواية: «النَّار»، والمعنى واحد؛ فالنار بمعنى النور، قال: «**لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْه بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»؛ ومحمدٌ ﷺ من خلقه.

فهذ أدلة على أن النبي ﷺ لم ير ربه بعيني رأسه في ليلة المعراج؛ لأن الحجاب منعه من رؤية الله؛ لأنه احتجب عن جميع خلقه بالنور، ولأنه لو كشف الحجاب، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، وهذا يشمل النبي ﷺ، وغيره.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨).
(٢) أخرجه مسلم (١٧٩).

وأما أهل القول الثالث: الذين توقفوا فقالوا: لا نقول: إن النبي ﷺ رأى ربه بعيني رأسه، ولا نقول: إنه لم يره، وهذا رأي القرطبي[(١)] رحمه الله والقاضي عياض[(٢)] وغيرهما، قالوا: **لأن الأدلة متكافئة**، فليس في المسألة دليل قاطع، فما استدل به هؤلاء وما استد به هؤلاء ظواهر قابلة للتأويل؛ فلذلك توقفوا في المسألة.

والصواب في المسألة: مع أصحاب القول الثاني وهم القائلون: بأن النبي ﷺ لم ير ربه بعيني رأسه؛ لأن الأدلة التي استدلوا بها صريحة واضحة، وكون القاضي عياض والقرطبي لم تتبين لهم هذه الأدلة، فهذا يدل على تفاوت الناس في الأفهام، ولكن هذا قد يتبين لغيرهم فقول الله - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] صريح في أن النبي ﷺ إنما كلمه الله من وراء حجاب.

وكذلك حديث أبي موسى الأشعري: «**حِجَابُهُ النُّورُ**»[(٣)]، أو «**النَّارُ**»، وحديث أبي ذر: «**رَأَيْتُ نُورًا**»[(٤)]؛ صريح الدلالة في أن النبي ﷺ محجوب عن ربه بالنور، وأن الله احتجب عن جميع خلقه، ومنهم محمد ﷺ، وأن أي مخلوق لا يثبت لرؤية الله في الدنيا، وذلك لأن الرؤية نعيم فلا تكون إلا لأهل الجنة؛ فلا تكون للأنبياء، ولا لغيرهم، فالإنسان لا يستطيع أن يثبت لرؤية الشمس وهي مخلوقة؛ فكيف يستطيع البشر أن يرى الله؟!

---

(١) انظر توقفه عن القول بأن محمدًا ﷺ رأى ربه بعيني رأسه في «تفسيره» (٧/ ٥٥، ٥٦).

(٢) انظر توقفه عن القول بأن محمدًا ﷺ رأى ربه بعيني رأسه في كتابه «الشفا» (ص١٩٥- ٢٠٢).

(٣) سبق قبل قليل، وهو من حديث أبي موسى الأشعري.

(٤) سبق تخريجه قبل قليل.

ولهذا لما اقترح المشركون أن يكون الرسول من الملائكة أخبر الله أن هذا لا يكون، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨]، يعني: لماتوا، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]، فيمكن لكم مقارنته والأخذ عنه. فإذا كان البشر لا يستطيعون أن يروا المَلَك على الصورة التي خُلق عليها، فكيف يستطيعون أن يروا الله؟ لكن النبي ﷺ ثبّته اللهُ حينما رأى جبريل في أول بعثه على الصورة التي خُلق عليها، وجاء يرجف فؤاده إلى زوجه وقال: «خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فإذا كان البشر لا يستطيعون أن يروا الملك، وهو مخلوق، فكيف يستطيعون أن يروا الله؟!

ومن الأدلة على أن النبي ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج بعيني رأسه قول الله - تعالى-: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وقوله: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [النجم: ١٢]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣]، فالله أخبر أنه رأى الآيات ورأى جبريل، ولو كان الله أراه نفسه لكان ذكر ذلك أهم وأولى من ذكر الآيات، فالله - تعالى - أخبر أنه ﴿الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١]؛ فهذه رؤية الآيات، وقال: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [النجم: ١٢]؛ أي: من الآيات، وقال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣]، أي: جبريل. فلما نوّه اللهُ على رؤيته للآيات ورؤيته لجبريل؛ دل على أنه لم يُره نفسَه.

أما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وما روي عن الإمام أحمد رحمه الله في هذا الباب فإن الروايات التي رويت عن ابن عباس بعضها مطلق وبعضها مقيد، فما روي عن ابن عباس أنه قال: «رآه»، وفي رواية: أنه قال: «رآه بفؤاده»، فيحمل المطلق على المقيد، وكذلك ما روي عن الإمام أحمد

رحمه الله فإنه تارة يطلق الرواية بـ«رآه»، وتارة يقول: «رآه بفؤاده»، فيحمل المطلق على المقيد، وليس هناك رواية عن ابن عباس، وعن الإمام أحمد صريحة بأن النبي ﷺ رأى ربه بعيني رأسه، وإنما الروايات إما مطلقة برآه، أو مقيدة برؤية الفؤاد، ففي رواية: «رآه بفؤاده» .

وكذلك ما ورد عن السلف وعن العلماء من الروايات بأن النبي ﷺ رآه: فهي محمولة على رؤية القلب والفؤاد، وما ورد عن الصحابة وعن السلف والعلماء والأئمة من الروايات بأن النبي ﷺ لم ير ربه، فهي محمولة على أنه لم ير ربه بعين رأسه، وهذا هو الصواب، وهو الذي عليه المحققون، وبذلك تجتمع الأدلة والآثار ولا تختلف، كما بيّن ذلك أهل التحقيق: كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى- والله الموفق للصواب(١) .

مسألة: ورد الحديث: «**فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ**»(٢)، **وورد في الحديث الآخر** «**لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ**»(٣)، فهل يوصف الله بالحياء والغيرة أم لا؟

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٣٥، ٣٣٦)، (٦/ ٥٠٧-٥١٠)، و«منهاج السنة» (٥/ ٣٨٤-٣٨٧)، و«التبيان في أقسام القرآن» لابن القيم (١٦٠، ١٦١).
قال شيخ الإسلام في «جامع المسائل» (١/ ١٠٥): «أما رؤية النبي ﷺ ربه بعين رأسه في الدنيا فهذا لم يثبت عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة، ولا عن أحد من الأئمة المشهورين، لا أحمد بن حنبل ولا غيره...»، وينظر بقية كلامه إلى (ص ١٠٧) فإنه مهم جدًا.
وقال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٣/ ١٠١): «التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع: أنه ﷺ لم يره بعين راسه. وما جاء عن بعض السلف من أنه رآه؛ فالمراد به الرؤية بالقلب. كما في صحيح مسلم: «أنه رآه بفؤاده مرتين» لا بعين الرأس».
(٢) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦)، من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

الجواب: نعم يوصف الله بالحياء قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]، وفي الحديث: «**فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ**»[١]، وهو من الصفات التي تليق بالله - عز وجل - ولا يماثل فيها أحدًا من صفاته كسائر الصفات، ولا يلزم منه ما يلزم من حياء المخلوق، وكذلك الغيرة من الأوصاف الفعلية؛ قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟! لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي**»[٢]، وفي الحديث الآخر: «**لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَتِهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»[٣]، فهذا فيه إثبات الغيرة لله كما يليق بجلاله وعظمته، فالله تعالى يوصف بالغيرة كسائر الصفات الفعلية؛ مثل الغضب، والرضا، والسخط، والمحبة، والكراهية، والحياء؛ كلها صفات تليق بجلال الله وعظمته، وهي صفات كاملة ليس فيها نقص، ولا يماثل فيها أحدًا من خلقه - سبحانه وتعالى - .

مسألة: هل يصح التسمي بـ(عبد المنعم، وعبد المحسن، وعبد الناصر؟).

الجواب: إذا ثبت أنه اسم من أسماء الله فيجوز، فـ«عبد المحسن» ثابت ولا يزال الأئمة والعلماء يعبِّدون له، وكذلك «المنعم» يغلب على الظن أنه ثابت، أما «الناصر» فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦)، من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٦٨٤٦)، واللفظ له. ومسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه
(٣) هو بعض ألفاظ الحديث الذي تقدم تخريجه.

ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٠]، ولكنه يحتاج إلى تأمل؛ هل هو من أسماء الله أو لا.

مسألة: ما الفرق بين الاعتقاد واليقين؟ وهل لو عبر أهل السنة بقولهم: «اليقين» لكان أولى؛ لأن الاعتقاد فيه شيء من عدم التثبت؟

الجواب: الاعتقاد يفيد اليقين، والاعتقاد من العقد والربط، ومنه عقْد البيع، ويطلق على التصديق الجازم، لكن إذا كان هذا الاعتقاد موافقًا للحق؛ فهو اعتقاد صحيح، وإذا كان باطلًا؛ فهو اعتقاد باطل؛ مثل يقين اليهود والنصارى على ما هم عليه، ويقين أهل البدع على ما هم عليه أنه يقين، أما اعتقاد أهل الحق فهو اعتقاد صحيح، والاعتقاد ليس ظنًّا إنما هو يقين.

مسألة: هل يُري الملائكة يوم القيامة؟

الجواب: إذا كان الله تعالى -وهو أعظم- يُرى، فالملائكة من باب أولى؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرّعد: ٢٣-٢٤]، فكيف يدخلون عليهم وهم لا يرونهم؟! فظاهر الأدلة أنهم يرونهم، ورؤية الله أعظم نعيم يرضاه أهل الجنة، أما رؤية الملك فدون ذلك بكثير.

مسألة: ما رأيكم في وصف الله بالحمية فيقال: إن لله حمية على عباده المؤمنين؟

الجواب: القاعدة عند أهل السنة والجماعة أن الأسماء الصفات توقيفية؛ فليس لنا أن نسمي الله بأسماء مخترعة من عند أنفسنا وكذلك الصفات، فلا يقال: إن من صفات الله الحمية إلا بدليل، ولا أذكر أن الله وصف نفسه أو وصفه رسوله ﷺ بالحمية.

مسألة: قد يقول قائل بالنسبة لرؤية الرب - سبحانه - دفاعًا عن الزمخشري في كتاب «الكشاف»: إن دخول الجنة يتضمن رؤية الرب، وبذلك فإن أقصى ما يتمناه العبد دخول الجنة؛ لأن بحصوله يرى الرب؟

الجواب: معروف عن الزمخشري أنهُ معتزلي وأنَّه ينفي الرؤية ويدافع عن ذلك بشدة؛ ولهذا قال البلقيني: استخرجت منه اعتزالًا بالمناقيش؛ لأنها أشياء خفية؛ فمنها أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] قال: أيُّ فوز أعظم من الجنة؟ وقصده بذلك: إنكار الرؤية، وهو معروف عنه فإذا ضُمَّ كلامُه بعضه إلى بعض ويتبيّن أنه من نفاة الرؤية .

مسألة: سبق أن الصفات لها نظران؛ النظر إلى المعنى: وهذا يثبته أهل السنة والجماعة، والنظر الثاني: الكيفية: وهذه يفوضونها، وبناء على ذلك فكيف يحمل قول الإمام الطحاوي: «فَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ»؟

الجواب: هو يعني: أن من وصف الله بصفات البشر، التي هي من خصائصهم بأن قال: إن صفات الله كصفات البشر، أو قال: إن الله كالبشر، أو قال: إن الله كالبشر في الحاجة، أو في غير ذلك -فمن خصائص البشر الفقر، والحاجة، والنقص في صفاتهم وأعمالهم- فمن قال ذلك: كفر؛ لأن الله كامل في ذاته وصفاته، ولا يوصف بنقائص البشر .

مسألة: أليس ما قررناه سابقًا: أن الله بصفات ثابتة ولو كانت صفات للمخلوقين كالعلم والقدرة، ن المحذور هو عدم تفويض الكيفية؟ فكيف التوفيق بين ما قررناه سابقًا وبين قول الإمام الطحاوي؟

الجواب: إن الصفات المشتركة مثل العلم ثابتة للخالق والمخلوق لكن

من دون مشابهة أو مماثلة، فمقصود الطحاوي: من قال إن علم الله مثل علم المخلوق، وأما من قال: إن الله يوصف بالعلم والمخلوق يوصف بالعلم، فللخالق علمه يخصه وللمخلوق علمه يخصه؛ فلا إشكال في ذلك.

مسألة: ما الضابط للتأويل الذي يدرأ به التكفير عن المبتدعة؛ لاسيما وأن أكثرهم يكون معتمدًا على أدلة أو شُبَه؟

الجواب: المقصود أن يكون عنده شبهة؛ فلا يكون جاحدًا، أما من جحد الصفات: فهذا يكفر، وأما من كانت له شبهة فإنه يدرأ عنه التكفير بالشبهة، وقد يكفر لكن بالعموم مثلما كفّر السلفُ القائلين بخلق القرآن، على جهة العموم فقالوا: من قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر -والمعتزلة يقولون: إن القرآن مخلوق- أما الشخص المُعَّين فهذا لا يكفر حتى تقام عليه الحجة؛ فيُبيَّن ويوضَّح له الحق، فإن أصر يحكم بكفره بعد ذلك .

مسألة: سبق أن أجبتم عن سؤال من قال للميت: ادع الله لي فقلتم: إن فيه قولًا قويًا أنه شرك أكبر؛ فلِمَ لَمْ تجزموا بأنه شرك أكبر؟

الجواب: هذا؛ لأنه ما دعا الميت وطلب منه المدد، أو طلب منه الاستغاثة، إنما طلب منه شيئًا يخصه، وهذا فيه كلام لشيخ الإسلام وفيه كلام لبعضهم، والأقرب أنه شرك أكبر؛ إذا كان يدعو الميت وهو عظام رميم مثل لو قال: يا فلان اشفع لي عند ربك، كذلك إذا قال: أعطني كذا أو كذا، فالأقرب عندي أن الحكم واحد، لكن المسألة بحاجةٍ إلى تحرير أكثر حتى يمكن أن نجزم بأحد الحُكْمَيْن .

مسألة: ما المقصود بالإمامية المتقدمين والإمامية المتأخرين مع التمثيل - أثابكم الله -؟

الجواب: الإمامية هم الرافضة، ولهم أسماء غير ذلك؛ فيقال لهم

«الرافضة»؛ لأنهم رفضوا زيد بن عليٍّ حينما سألوه عن أبي بكر وعمر فقال: هما وزيرا جدي رسول الله، فرفضوه فسموا بالرافضة، وسموا «الإمامية»؛ لأنهم يقولون: بإمامة اثني عشر إمامًا منصوص عليهم؛ معصومين؛ من سلالة علي بن أبي طالب، وهم:

- علي بن أبي طالب.
- ثم الحسن بن علي.
- ثم الحسين بن علي.
- ثم علي بن الحسين زين العابدين.
- ثم محمد بن علي الباقر.
- ثم جعفر بن محمد الصادق.
- ثم موسى بن جعفر الكاظم.
- ثم علي بن موسى الرضا.
- ثم محمد بن علي الجواد.
- ثم علي بن محمد الهادي.
- ثم الحسن بن علي العسكري.
- ثم محمد بن الحسن المهدي المنتظر الذي دخل سرداب سامراء بالعراق سنة ستين ومائتين ولم يخرج إلى الآن، وهي شخصية وهمية؛ لا وجود لها إلا في خيال الشيعة .

قال شيخ الإسلام: مضى عليه أربع مائة سنة، ونحن نقول: مضى عليه في زماننا الآن ألف ومائتا سنة، ولم يخرج.

فالمتقدمون من الإمامية - جمهورُهم - يثبتون الرؤية، والمتأخرون

ينفوها .

مسألة: هلا أوضحتم الفرق بين ابن عربي وابن العربي الأشبيلي لما في ذلك من اللبس؟

الجواب: ابن عربي محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي المتوفى سنة ٦٣٨هـ، صاحب «الفصوص»، و«الفتوحات المكية»، - بدون «أل» - هذا رئيس وحدة الوجود، وقُدْوَتُهُم؛ زَنْدَقَةُ علماءُ عصره، وعملوا على إراقة دمه، وأخباره معروفة .

أما أبو بكر: محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي: ابن العربي - المُعرَّف بـ: «أل»- فمتقدم الوفاة عن الأول؛ توفي سنة ٥٤٣هـ، وولادته بإشبيلية، وهو من حفاظ الحديث، وقد ولي القضاء، وله مصنفات مشهورة، منها: «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي»، و«أحكام القرآن» و«العواصم من القواصم» وغيرها وكان رحمه الله أشعريًا، وقد نقل علمًا كثيرًا من علماء المشرق إلى المغرب.

مسألة: هل ثبت عن أحد من السلف أنه رأى الله في المنام كما ذكرتْ ذلك بعضُ الكتب؟ وما مدى صحة ذلك؟

الجواب: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن رؤية الله في المنام ثابتة، وأن جميع الطوائف أثبتوا الرؤية في المنام إلا الجهمية؛ من شدة إنكارهم لرؤية الله، ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: إن جميع الطوائف يثبتون الرؤية في المنام ولا شيء في ذلك، لكن لا يلزم من ذلك أن يكون ما رآه الإنسان مشابهًا لله، بل يقول: إن رؤية الله على حسب اعتقاد الرائي، فإذا كان اعتقاده صحيحًا رأى الله برؤية حسنة، وإذا كان اعتقاده غير صحيح رأى الله رؤية مناسبة لاعتقاده، ولما كان النبي | أصح الناس اعتقادًا، وأكمل

الناس عبودية؛ فقد رأى الله في أحسن صورة كما في حديث اختصام الملأ الأعلى: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَوَضَعَ كَفَّيْهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ النَّاسُ؟ فَقُلْتُ: لَا يَا رَبِّ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ فَعَلِمْتُ مَا بَعْدَ ذَلِكَ»(١).

مسألة: ما الضابط الذي يفرق به بين الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة؟

الجواب: ما ورد إطلاقه على الله فهو اسم؛ مثل: العليم، الحكيم، السميع، البصير، أما الصفة فهي ما ورد على نص الصفة مثل قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، فما ورد على نص الصفة هكذا؛ نقول: إنه صفة، وما ورد إطلاقه على الله فهو اسم؛ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، ومثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦]، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨]، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]؛ فهذه كلها أسماء أطلقت على الله، والأسماء ليست أسماء جامدة، وإنما هي مشتقة متضمنة للصفات؛ فكل اسم يتضمن صفةً؛ فالعليم يتضمن: صفة العلم، والقدير يتضمن: صفة القدرة، والحليم يتضمن: صفة الحلم، والرحيم يتضمن: صفة الرحمة، واللهُ يتضمن: صفة الألوهية، وهكذا؛ كل اسم يتضمن صفة.

---

(١) الحديث مضى تخريجه (ص ٢٢٨)

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ):**

الشرح

سبق أن المؤمنين يرون ربهم أيضًا في موقف القيامة قبل دخولهم الجنة، وهذا متفق عليه، واختلف في غير المؤمنين هل يرون ربهم أم لا يرونه؟ على أقوال ثلاثة سبقت.

والأحاديث ثابتة في رؤية المؤمنين لربهم في موقف يوم القيامة، وأنهم يرونه أربع مرات، كما ثبت في بعض الأحاديث: يرونه في المرة الأولى، ثم في المرة الثانية يتحول في غير الصورة التي يعرفونه، فيكبرون ويقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا، فيأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه، ثم في المرة الثالثة يتحول في الصورة التي يعرفونه؛ فيسجدون له، حينما يجعل بينه وبينهم علامة، وهي كشف الساق، فإذا وقفوا رأوه في الصورة التي رأوه فيها أول مرة، فيرونه أربع مرات - سبحانه وتعالى - قبل أن يدخلوا الجنة.

وأما بعد دخولهم الجنة، فهناك أحاديث متواترة سبقت في هذا .

الخلاصة في مبحث الرؤية:

أن رؤية الله - سبحانه وتعالى - بالأبصار جائزة عقلًا في الدنيا والآخرة؛ لأن كل موجود يجوز أنه يُرى.

ومن الأدلة على جوازها عقلًا: سؤال موسى ربه أن ينظر إليه؛ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فموسى لا يسأل إلا جائزًا في حق الله - تعالى -.

وأما شرعًا: فهي جائزة وواقعة في الآخرة وممتنعة في الدنيا، ومن

أصلح الأدلة على ذلك ما ثبت في «صحيح مسلم» أنه ﷺ قال: «**تعلْموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربَّه - عز وجل - حتى يموت**»[1]، **وجاء بنحوه أيضاً من حديث عبادة بن الصامت**[2]، **ورواه ابن خزيمة أيضًا في كتاب التوحيد أن النبي ﷺ قال:** «**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا**»[3]، والأحاديث في رؤية المؤمنين لربهم متواترة كما سبق وردِ عن نحو ثلاثين صحابيًّا رضوان الله عليهم.

---

(١) صحيح مسلم (١٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٤)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» (١٠٠٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٧٦٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١١٥٧)، ومن طريقه الضياء في «المختارة» (٨/ ٢٦٤)، و(٨/ ٢٦٥)، وأخرجه أيضاً البزار في «المسند» (١٢٩/٧)، والشاشي في «المسند» (١٢٢٦)، واللالكائي في «السنة» (٨٤٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٢٨)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ١٣١٠- ١٣١١ - بتحقيق: الدميجي)، من حديث عبادة بن الصامت، وأعلّه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٤٨/٧) -بعد ما عزاه للبزار- بعنعنة بقية بن الوليد؛ وهو مدلس، لكن زال ما يخشى من تدليسه؛ حديث صرَّح بالتحديث عند كُلٍّ من: الإمام أحمد، واللالكائي، وابن أبي عاصم، وابن الإمام أحمد، والنسائي.

(٣) أخرجه من حديث أبي أمامة الباهلي ؓ كلٌّ من: ابن ماجه (٤٠٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٨٠)، وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم». وأخرجه أيضاً: ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٢٤٩)، وفي «السنة» (٣٩١)، و(٤٢٩)، وابن الإمام أحمد في «السنة» (١٠٠٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٩ - ٤٦٠)، وقِوام السنة في «الحجة» (٢/ ٤٦٤ - ٤٦٥).

والحديث صححه الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٨٧)، والحاكم -كما تقدم، والله أعلم.

◆ وقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ):

الشرح

يعني أن الله سبحانه يُرى، ولكن لا يحاط به رؤيةً؛ لكمال عظمته، ولكونه أعظم وأكبر من كل شيء، كما قال - سبحانه -: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وإذا كانت بعض المخلوقات ترى ولا يحاط بها رؤية، فكيف بالخالق؟ فأنت ترى البستان، ولا تحيط به رؤيةً، وترى الجبل ولا تحيط به رؤيةً، وترى السماء ولا تحيط بها رؤيةً، وترى المدينة ولا تحيط بها رؤيةً، وهي كلها مخلوقات، فالخالق أولى ألا يحاط به رؤيةً، كما أنه - سبحانه وتعالى - يُعلَم، ولا يحاط به علمًا، كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، وهذا المعنى سبق تقريره.

وقوله: (بلا كيفية): أي لا نكيف الصفات، فلا نقول: يُرى على كيفية كذا، وعلى كيفية كذا.

من أدلة رؤية المؤمنين لربهم

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]:

الشرح

الآية صريحة في النظر في رؤية المؤمنين لربهم؛ لأن الله أضاف النظر إلى الوجه الذي هو محله، وعدَّاه بـ«إلى» الصريحة في نظر العين، وأخلى الكلام عن قرينة تدل على أن المراد بالنظر هنا خلاف حقيقته. وموضوعُهُ صريحٌ في أن المراد: النظر؛ النظر بالعين؛ التي في الوجه؛ إلى الرب - جل جلاله - .

النهي عن الخوض في الصفات

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللهُ -تَعَالَى- وَعَلِمَهُ):

الشرح

يعني: الصفات لا تُكيَّف، وعلمها يُردُّ إلى الله - سبحانه وتعالى -.

ما جاء في أحاديث الرسول مفسر لما أراد الله

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ):

نعم! كل ما جاء من الأحاديث؛ فهو مفسَّر على ما أراده الله، وعلى ما أراده رسوله ﷺ؛ كما جاء عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: «آمنت بالله، وبما جاء عن الله، وعلى مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، وعلى مراد رسول الله»[(١)].

---

(١) أورده شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٥٤) وقال عقبه: «أما ما قاله الشافعي؛ فإنه حق على كل مسلم أن يعتقده، ومن اعتقده ولم يأت بقول يناقضه، فإنه سالكٌ سبيل السلامة في الدنيا والآخرة».

النهي عن الخوض في كيفية الرؤية

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا؛ وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا):

الشرح

يعني: لا ندخل في الكيفية؛ بأن نتوهم بأهوائنا وظنوننا كما توهمت المعتزلةُ بأهوائهم وظنونهم؛ أنه يلزم من رؤية الله أن يكون جسمًا، أو أن يكون متحيزًا، أو أن يكون محدودًا، وقالوا: لو ثبتت رؤية الله بالأبصار للزم من ذلك أن يكون الله في جهة، وأن يكون محدودًا، وأن يكون جسمًا، وأن يكون متحيزًا، فلما توهموا ذلك نفوا الرؤية، وتأولوا بآرائهم؛ فقالوا: معنى الرؤية: العلم.

فالمقصود: ألا ندخل في الكيفية حتى لا نتوهم بأهوائنا وظنوننا كما توهمت المعتزلة، وغيرهم من أهل الضلال.

التسليم لله والرسول ورد المتشابه للعلماء

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ للهِ عز وجل وَلِرَسُولِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ):

الشرح

فالأمر كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: فإنه ما سلم في دينه إلا من سلَّم لله عز وجل بنصوص الشرع - الكتاب والسنة -، فالواجب كمال التسليم لله ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه إلى عالمه، ولا يُعترضُ عليهما - يعني الكتاب والسنة- بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة: كأن يقول مثلًا: العقل يشهد بضد ما دلَّ عليه النقل، أو: العقل أصلُ النقل؛ فإذا عارضه قدمنا العقلَ! وهذا من أبطل الباطل؛ فالواجب التسليم لله ولرسوله ﷺ، والتسليم لنصوص الوحيَيْن.

التسليم والانقياد والإذعان لنصوص الوحيين

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالاسْتِسْلَامِ):

الشرح

أي: لا يثبت إسلام من لم يُسَلِّم بنصوص الوحيين، وينقَدْ إليهما، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه، كما قال الإمام محمد بن شهاب الزُهري فيما رواه البخاري عنه: «مِن الله الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم»[1]، وهذا كلام جامع نافع، ولا نجاة للعبد إلا بتوحيد الله عز وجل، وتوحيد متابعة الرسول، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهذين التوحيدين: توحيد المرسِل، وهو الله - سبحانه وتعالى -، وتوحيد متابعة الرسول، فنوحِّد المُرسِل - وهو الله - بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، ونوحِّد الرسول ﷺ بالتحاكم إليه، فلا نتحاكم إلى غيره، ولا نرضى بحكم غير حكمه، بل ننقاد لأمره - عليه الصلاة والسلام -، ونتلقى خبره بالقبول والتصديق؛ دون معارضةٍ بخيال باطل؛ نسميه معقولًا، أو نحمله شبهة أو شكًّا، أو نقدِّم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، أو نتوقف في تنفيذ أمره وتصديق خبره؛ لعرضِه على قول شيخ أو إمام أو مذهب أو طائفة؛ فإن أذنوا: نُفِّذ وقُبل خبره، وإلا فُوِّض؛ كما يفعل ذلك الذين لم يستسلموا لنصوص الوحيين، بل الواجب: التحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، ولا يمكن أن يكون العقل الصريح مخالفًا نقلًا صحيحًا؛ لأنَّ ما جاءت به الشريعة:

---

(١) البخاري (١٣/٥٠٣ - فتح الباري)

يوافقُ العقولَ الصحيحة، ولا يمكن أن يخالف نقلٌ صحيحٌ عقلًا صريحًا أبدًا، لكن إذا جاء من ينكر ذلك مع كون النقل صحيحًا؛ فذلك الذي يدعي أنه معقول؛ ليس عقلًا صريحًا ولا بُدَّ، بل هو مجهول، ولو حقق النظر لظهر له ذلك، أما إذا كان النقل غير صحيح فإنه لا يصلح للمعارضة أصلاً، وبعض الناس يقول: إذا تعارض العقل والنقل؛ وجب تقديم النقل؛ لأن كلًّا من العقل والنقل مدلول، والجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع؛ لأن العقل قد دل على صحة السمع، ووجوبِ قبول ما أخبر به الرسول ﷺ، فلو أبطلنا النقل أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل، لم يصلح أن يكون معارضًا للنقل؛ لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضته شيء من الأشياء؛ فكان تقديم العقل موجبًا عدم تقديمه.

وأهل الكلام وأهل البدع من معتزلة وغيرهم، إنما أوتوا من تقديمهم العقل على النصوص. وتقديمُ العقل له آثار سيئة في نقصان التوحيد؛ فمن لم يسلِّم للرسول - عليه الصلاة والسلام - نقص توحيده، لأنه يقول برأيه وهواه.

وتقديم العقل على النصوص؛ من أسباب الفساد في العالم؛ وذلك أن الفساد في العالم دخل من ثلاث فِرَق:

- من الملوك الجائرة.
- ومن علماء وأحبار ورهبان السوء.
- ومن عُبَّاد السوء الذين يتعبدون على جهل وضلال.

فالملوك الجائرة: يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله.

وعلماء السوء: هم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم، وأقيستهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرَّم الله ورسوله، أو تحريم ما أباحه الله ورسوله، هؤلاء يخرجون عن الشريعة، ويقدمون آراءهم ومقاصدهم الناقصة الفاسدة على نصوص الوحيين.

ورهبان السوء: وهم جهال المتصوفة الذين يعترضون على حقائق الإيمان والشرع، بالأذواق، والمواجيد، والخيالات، والكشوفات الباطلة الشيطانية.

فالملوك الجورة؛ الجائرون، يقولون: إذا تعارضت السياسة والشرع قدَّمنا السياسة، وعلماء السوء يقولون: إذا تعارض العقل والنقل؛ قدَّمنا العقل، ورُهبان السوء، وعباد السوء يقولون: إذا تعارض الذوق والكشف، وظاهر الشرع؛ قدمنا الذوق والكشف .

ولهذا قال عبد الله بن المبارك الإمام المعروف رحمه الله:

وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ ... وأحبارُ سوء ورهبانها[1]

والعلماء يضربون مثلًا للنقل مع العقل؛ وذلك أن العقل مع النقل كالعاميِّ المقلِّد مع العالم المجتهد، فالعقل كأنه عامي مقلِّد، والنقل كالعالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير، فإن العاميَّ يمكنه أن يصير عالمًا ويتعلم، ولا يمكن للعالم أن يكون نبيًّا أو رسولًا ، فإذا عرف العامي المقلد عالمًا فجاء عامي آخر يريد أن يستفتي فدله هذا العامي على العالم ليستفتي، ثم اختلف المفتي والدال -العامي- الذي دله، فإن المستفتي يجب أن يأخذ بقول العالم المفتي دون الدال، فلو قال العاميُّ الدَّالُّ:

---

(١) انظر: «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (٦/ ٢٤)، و«إعلام الموقعين» (١/ ١٠)

الصواب معي دون المفتي؛ لأني أنا الأصل في علمك بأنه مفتٍ، فإذا قدمت قوله على قولي قدحت في الأصل الذي به عرفت أنه مفتي، فلزم القدح في الفرع دون الأصلِ، فيقول له المستفتى: أنت لما شهدت له بأنه مفتٍ، ودللت عليه، وشهدتَ له بوجوب تقديمه دونك، فموافقتي لك في هذا العلم المعين لا تستلزم موافقتي إياك في كل مسألة، وخطؤك فيما خالفتَ فيه المفتى الذي هو أعلم منك، لا يستلزم خطأك في علمك بأنه مفتٍ، هذا مع علمه بأن ذلك المفتي قد يخطئ، والعقل يعلم أن الرسول ﷺ معصوم في خبره عن الله - تعالى - لا يجوز عليه الخطأ، فيجب عليه التسليم له، والانقياد لأمره.

النهي عن التكلم في أمور الدين بغير علم

◆ **قَالَ المُؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللهُ: (فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ؛ حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ وَصَافِي المَعْرِفَةِ وَصَحِيحِ الإِيمَانِ):

الشرح

«من رام...»: يعني: من أراد وقصد أن يعلم علمًا محظورًا عليه، ممنوعًا منه شرعًا، كأن يريد أن يعلم الكيفية؛ أي: كيفية الصفات، أو يريد أن يعلم حقائق الآخرة أو شيئاً مِمَّا مُنِعَ منه؛ حجبه ذلك عن صافي المعرفة، وصحيح الاعتقاد، وصحة الإيمان، فصار في إيمانه خلل، وفي تحقيقه للتوحيد دخن؛ لأنه طلب شيئًا ممنوعًا منه.

وسبب اختلال كثير من الناس؛ هو الإعراض عن كلام الله وكلام رسولِ الله ﷺ، والاشتغال بكلام اليونان، والآراء المختلفة؛ ولهذا يُسمَّون: أهلَ الكلام، وإنما سُمّوا: أهلَ كلامٍ؛ لأنهم لم يشيدوا علمًا لم يكن معروفًا، وإنما أتوا بزيادة كلام لا يفيد، فهم يضربون من القياس لإيضاح ما عُلم من الحس، وإن كان هذا القياس وأمثاله امتحنوا به في موضع آخر.

انتياب الحيرة من عدل عن الكتاب والسنة إلى غيرهما

◆ **قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالإِقْرَارِ وَالإِنْكَارِ، مُوَسْوِسًا تَائِهًا شَاكًّا، لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا):**

الشرح

يعني هذا الإنسان الذي يريد أن يعلم أو يصل إلى العلم الذي مُنع منه؛ يبقى في حيرة وشك، ويتذبذب ويضطرب بين الإيمان وبين الكفر، وبين التصديق أو التكذيب، وبين الإقرار وبين الإنكار، ويكون موسوسًا تائهًا حائرًا ضالًا، بسبب عدم ثباته، وبسبب تجاوزه لحده؛ فإن الإنسان حده أن يعلم ما أمر الله بمعرفته من العلم النافع، كأن يعلم أسماء الرب وصفاته ومعانيها، ويعلم ما شرعه الله في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ من الحلال والحرام، والأوامر والنواهي، ويعلم ما يكون من الجزاء في يوم المعاد من أمور البرزخ وأمور الآخرة.

أما الحقائق والكيفية والكُنْهَ؛ فهذا لا ينبغي له أن يسعى في طلبها؛ لأنه إذا فعله فقد تجاوز حدَّه وبقي بين الشك واليقين، وبين الإقرار والتكذيب، وبين الإيمان والتكذيب؛ موسوسًا؛ تائهًا؛ حائرًا، - نسأل الله السلامة والعافية -.

الرد على من تأول رؤية الله

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَا يَصِحُّ الإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ):

الشرح

● قوله: (ولا يصح الإيمان بالرؤية).

يعني: برؤية الله يوم القيامة، وقوله: (لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم) يعني: أن من تأولَّ أو توهَّم الرؤيةَ بأنها تشبه رؤية المخلوقين، أو أن الله يشبه أحدًا من خلقه، أو يماثله أحد من خلقه، أو أن الله يُرى على صفة كذا؛ فهذا كله توهُّمٌ يظنه؛ لأنه بعد هذا التوهم إن أثبت ما توهمه من الوصف: كان مشبهًا، وإن نفى الرؤية من أصلها لأجل هذا التوهم: صار جاحدًا معطلًا، فلا يصح الإيمان بالرؤية لمن توهمها بوهم، أو ادعى أن لها فهمًا يخالف ظاهرها، أويخالف ما يفهمه العرب، فحرَّف الرؤية، وسمى تحريفه تأويلًا؛ كما فعلت المعتزلة؛ حيث تأولوا الرؤية بالعلم، وقالوا: إنه يلزم من إثبات رؤية الله في الآخرة أن يكون الله شبيهًا بالمخلوقين، فلذلك تأوّلناها!! فمثل هذا الإيمان لا يصح.

ومن أبى إلا تحريف أدلة الرؤية؛ فإنه يكونُ بهذا قد فتح بابًا للملاحدة الباطنية؛ حيث إنهم أولوا نصوصَ المعاد، والجنة والنار، والحساب؛ فقالوا: إن الجنة والنار، بل والمعاد: خيال، فلما قال لهم المعتزلة وأهل الكلام: نصوص المعاد والجنة والنار صحيحةٌ ثابتة بالأدلة القطعية. ومعناها وضح، قال لهم الباطنية: أنتم أولتم نصوص الرؤية، ونصوص الرؤية أيضاً ثابتة، ومعناها ثابت، فما الذي يبيح لكمِ أن تتأولوا نصوص

الصفات، ويمنعنا من تأويل نصوص المعاد والجنة والنار؟! ففتحوا بذلك باب التأويل للملاحدة.

وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وقد حذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم.

صفات الله

كل صفة تضاف إلى الرب تفسيرها بترك التأويل

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ بِتَرْكِ التَّأْوِيلِ وَلُزُومِ التَّسْلِيمِ، وَعَلَيْهِ دِينُ المُسْلِمِينَ):

الشرح

التأويل في قوله: (تأويل الرؤية) معناه: التفسير، والتأويل الثاني معناه: التحريف.

والمعنى: تفسير الرؤية، وتفسير كل معنى أو صفة تضاف إلى الرب؛ تفسيرها الصحيح: إنما يكون بترك التحريف، وجريان النصوص على ظاهرها، فالمعنى كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - لما سُئل عن الاستواء قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[1].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥- ٣٢٦)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٤- ٣٠٦)، و«الاستذكار» لابن عبدالبر (٨/ ١٥١). وقال الذهبي في «العلو» (ص ١٣٩): «هذا ثابت عن مالك»، وجوَّد إسناده الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٧) من رواية ابن وهب عن مالك. وانظر في هذا الأثر رواية ودراية رسالة الشيخ عبدالرزاق العباد «أثر مالك في الاستواء» فهي نفيسة جدًا.

النفي والتشبيه من أمراض القلوب

◆ **قَالَ الْمُؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ ولَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ):

الشرح

أي: من لم يتوق النفي في الصفات، أو التشبيه؛ زل ولم يصب التنزيه، فلا بد من توقي هذين الأمرين؛ نفي الصفات وتعطيلها كما فعلت الجهمية والمعتزلة والأشاعرة فيما نفوا من الصفات، وكذلك يتوقى التشبيه كما فعلت المشبهة؛ فقالوا: إن صفات الخالق كصفات المخلوق، فلا بد أن تتوقى النفي في باب التنزيه، وتتوقى التشبيه والتمثيل في باب الإثبات.

وهذا هو الذي فعله أهل السنة والجماعة؛ أثبتوا الصفات لله عز وجل، وتوقوا النفي في باب التنزيه؛ فلم يعطلوا ولم ينفوا الصفات، وتوقوا التشبيه في باب الإثبات؛ فلم يقولوا: إنها مماثلة لصفات المخلوقين بل أثبتوا الصفات ونفوا الكيفية.

وهذان النوعان - مرض النفي ومرض التعطيل والتشبيه - مرضان عظيمان؛ المرض الأول: مرض شبهة، والمرض الثاني: مرض شهوة .

وكلاهما - الشهوة والشبهة - مذكوران في القرآن؛ فمن الأدلة على مرض الشهوة قول الله - تعالى -: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، ومن الأدلة على مرض الشبهة قول الله - تعالى -: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٥]، ومرض الشبهة أشد من مرض الشهوة؛ لأن مرض الشهوة

يرجى له الشفاء بقضاء الشهوة، ومرض الشبهة لا شفاء له إلا أن يتداركه الله برحمته، والشبهة تكون في الصفات، وتكون في مسألة القدر، وأشد الشبهتين ما كان في أمر القدر.

تنزيه الرَّبِّ هو: وَصْفُهُ كما وصف نفسه نفيًا وإثباتًا

◆ قَالَ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِنَّ رَبَّنَا - جَلَّ وَعَلَا - مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الفَرْدَانِيَّةِ لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ البَرِيَّةِ):

الشرح

والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أتى بهذه الكلمات وهي من باب السجع، ولو لم يلتزم السجع لكان أحسن.

والمعنى: أن الله - سبحانه وتعالى - موصوف بما وصف به نفسه من النفي والإثبات؛ فهو موصوف بصفات الوحدانية، وهذا مأخوذ من قول الله - تعالى - في سورة «الإخلاص»: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١]، ومنعوت بنعوت الفردانية، كما في قوله - تعالى - في السورة نفسها: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③﴾ [الإخلاص: ٢-٣]، فالله تعالى ليس في معناه أحد من البرية؛ يعني: لا يماثله أحد من خلقه، كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾ [الإخلاص: ٤]، والوصف والنعت: متقاربان، فالوصف يُطلق على الذات، والنعت يطلق على الفعل، وهما إما مترادفان أو متقاربان.

وكذلك الوحدانية والفردانية: متقاربتان، فالوحدانية يُقصد بها الذات، والفردانية للصفات، فهو - سبحانه وتعالى - متوحد في ذاته، متفرد في صفاته، لا يشبه أحدًا من خلقه.

فقوله: (لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ البَرِيَّةِ) هو معنى قول الله - سبحانه -: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾ [الإخلاص. ٤]، وهو أيضًا معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وكان من الأحسن أن يسوق هاتين الآيتين، بدلاً من قوله هذا.

الله تعالى لا يحويه شيء ولا يحيط به شيء

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَتَعَالَى عَنِ الحُدُودِ وَالغَايَاتِ وَالأَرْكَانِ وَالأَعْضَاءِ وَالأَدَوَاتِ لَا تَحْوِيهِ الجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ المُبْتَدَعَاتِ):

الشرح

هذه العبارات التي أطلقها المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فيها إجمال، وفيها احتمال وإيهام، ولهذا: فإن شُرَّاح «الطحاوية» الذين شرحوها قبل ابن أبي العز، فسروها على ما يتأوّلونه من الصفات. فهذه العبارات موهمة، وإن كان رَحِمَهُ اللهُ أراد بها معنًى حسنًا، وهو: نفي التشبيه، وأن الله - تعالى - لا يماثل أحدًا من خلقه، ولا يريد بها نفي العلو الإلهي.

ولكن بعضهم زعم بأن مراد الطحاوي: نفي العلو؛ بدليل قوله: (لا تحويه الجهات الست)؛ وهي: الفوقية، والتحتانية، والأمام، والخلف، واليمين، والشمال؛ فهذا واضح بأنَّ مراده: إنكار علو الله، وهذا ليس بصحيح كما سيأتي النقلُ عنه بذلك.

فهو رَحِمَهُ اللهُ قد أثبت الفوقية؛ فلا بد أن يُفسَّر كلامه المشتبه بكلامه الواضح، فهو لا يقصد رَحِمَهُ اللهُ نفي العلو، وإنما أراد تنزيه الرب - سبحانه وتعالى - عن مشابهة المخلوقات، لكن الأولى في مثل هذا ألا تُطْلَق هذه العبارات، وأن يُلْتَزم بالنصوص.

فالواجب الوقوف في باب أسماء الله وصفاته عند ما جاء في الكتاب والسنة نفيًا وإثباتًا والتقيّد بذلك، وأن يُنظر في هذا الباب: فما أثبته الله ورسوله؛ أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله؛ نفيناه، فالألفاظ التي ورد بها النص، يُعْتَصَمُ بها في الإثبات والنفي، فيثبت ما أثبته الله ورسوله من

الألفاظ والمعاني، وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تُطلق حتى يُنظر في مقصود قائلها، فإن كان أراد معنًى صحيحًا: قُبِلَ، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد، والحاجةُ: مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يُخَاطَبْ بها، مثل هذه الألفاظ الذي ذكرها المصنف، ومثلها أيضاً: ألفاظٌ مثل: المركب، والجسم، والحيز، والجوهر، والجهة، والعرض، والحدود، والغايات، والأركان، والأعضاء، والأدوات، ولا تحويه الجهات الست؛ كل هذه الألفاظ: ألفاظٌ مجملة؛ تحتمل حقًّا وباطلًا.

والناس لهم في إطلاق مثل هذه الألفاظ ثلاثة أقوال:

- طائفة من الناس تنفيها وتقول: ليس مركبًا، ولا جسمًا، ولا حيزًا، ولا جوهرًا، ولا تحويه الجهات.

- وطائفة تثبتها، وتقول: هو جوهر؛ هو عَرَض.

- وطائفة تفصل، وهم المتبعون للسلف الصالح؛ فلا يطلقون نفيها ولا إثباتها إلا إذا تبيَّنَ أنَّ ما أُثبت بها ثابت، وما نُفي بها فهو منفي؛ لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمال وإيهام، كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية؛ وهذه الألفاظ لم يرد بها نص من الكتاب ولا من السنة نفياً ولا إثباتاً، فمثلًا إذا قال: الله ليس مركبًا، نقول: ما مرادك بـ«مركب»؟ فالتركيب له معاني:

أحدها: التركيب من متباينَيْن فأكثر؛ ويسمى: تركيب مزج؛ كتركيب الحيوان من الطبائع الأربع والأعضاء، وهذا المعنى منفي عن الله.

والثاني: تركيب الجوار؛ كمصراعي الباب ونحو ذلك، ولا يلزم من

ثبوت صفاته - تعالى - إثبات هذا النوع من التركيب .

الثالث: التركيب من الأجزاء المتماثلة -ويسمونها الجواهر المفردة-؛ وهذا يكون الجسم فيه مركبًا من الجواهر المفردة، ولكن: هل يمكن التركيب من جزءين أو أكثر؟! كل هذا باطل، فلا يقال: إن صفات الله مركبة بهذا المعنى .

الرابع: التركيب من الهيولى؛ والصورة كالخاتم مثلًا؛ هيولاهُ: الفضة، وصورته: معروفة؛ وهذا التركيب ليس لازماً لثبوت صفات الله تعالى .

الخامس: التركيب من الذات والصفات؛ وهذا يسمونه تركيبًا؛ لأجل أن ينفوا به الصفات، وهم يقولون بصحة ذلك في حق الله؛ فيقولون: الله مركب يعني: له ذات وصفات.

ونحن نقول: هذا صحيح؛ الله له ذات وصفات؛ لكن بتسميةٍ غير تسميتكم؛ وهذا تركيب باطل، لا يُعرف في اللغة، ولا في استعمال الشرع، فلا نوافقكم على هذه التسمية .

السادس: التركيب من الماهية -الجسم- ووجودها، وهذا يفرضه الذهن أنهما غيران؛ واما في الخارج: فمن المُحال أن تكون ذات مجردة عن وجودها، ووجودها مجردٌ عنها، فإذا قالوا: الله ليس بجسم، فنقول: ما مرادكم بالجسم؟ فالجسم يُطلق على ما تركب من جزءين، أو ما تركب من ثلاثة أجزاء فصاعدًا، ويقال أيضاً: الحق أن لفظ الجسم لفظ مجمل، لا يُثبت ولا يُنفى إلا بعد الاستفسار، فإن أردتم بنفي الجسم؛ نفي الصفات: فهذا باطل، وإن أردتم به: أن الله مستغنٍ عن غيره، عالٍ على خلقه، بائن منهم؛ فهذا حق، لكن لا ينبغي التعبير بالجسمية؛ لأن هذه

الألفاظ لم تأت في النصوص بالمعنى الذي يريده أهل الاصطلاح .

وكذلك يعبرون بـ«الجوهر»؛ فيقولون: الله جوهر، أو: ليس بجوهر، فيقال: فما مرادكم بالجوهر؟ الجوهر يطلق على ما يقابل العَرَض، ويطلق عند أهل الكلام على العين التي لا تقبل الانقسام، وكل هذه معانٍ باطلة، فهي كغيرها من الألفاظ المجملة، ومثلها كذلك لفظ «التحيز، والحيز»، ويرادُ بالتحيز: الوجود في محل أو مكان، والحيز المكان والمحل، وبهذا الكلام اصطلحوا على تسمية استواء الله على العرش وعلوه على خلقه: تحيزًا. فنقول: الله مستوٍ على عرشه، وأما تسميته التحيز تحيّزاً بهذا الاصطلاح فهذا باطل .

ومن المعروف أن الموجود شيء ينسب إلى الوجود، فإن كان موجودًا هو أشرف الموجودات؛ فواجب أن ينتسب من الموجود المحسوس إلى الحيز الأشرف، وهي السماوات، ولشرف هذا الحيز قال الله - تعالى -: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧]، أما إذا أردتم بنفي التحيز والحيز أن الله مستغن عن خلقه بائن منهم، عالٍ عليهم؛ فهذا حق، لكن ينبغي التعبير بألفاظ النصوص.

وكذلك القول: بأن الله له حَدٌّ، أو ليس له حد؛ وهو قولٌ مجمل، ولا بد من الاستفصال عن هذا الإطلاق، نفياً وإثباتاً، فالشيخ الطحاوي رحمه الله أراد بلفظ الحد الرد على المشبهة؛ كداود الجواربي، وأمثالهم من القائلين بأن الله جسم، وأنه جثة، وله أعضاء، لكن أهل الكلام جروا الطحاوي وأدخلوا في عباراته معنًى باطلًا، فنقول: ما مرادكم بالحد؟ إن أردتم بالحد: العلم والقول؛ والمعنى: أن العباد يحدون الله، ويعلمون لله

حدًّا؛ فهذا منتفٍ بلا منازعة، لأن العباد لا يعلمون لله حدًّا كما قال سهل بن عبد الله، وقد سئل عن ذات الله فقال[١]: «ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدرَكة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدينا، وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى ظاهرًا في ملكه وقدرته، وقد حجب الخلق عن معرفة كُنْهِ ذاته ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه والعيون لا تدركه، ينظر إليه المؤمن بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية».

فإن أردتم بقولكم: إن لله له حد، وأن العباد قد يعلمون لله حدًّا: فهذا باطل، وإن أردتم بنفي الحد، وقلتم: إن الله ليس له حد -يعني: أن البشر لا يعلمون له حدًّا، ولا يحدون شيئًا من صفاته -: فهذا حق؛ فإن السلف متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حدًّا، وأنهم لا يحدون شيئًا من صفاته .

قال أبو داود الطيالسي: «كان سفيان، وشعبة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وشَريكُ، وأبو عَوانة؛ لا يحدون، ولا يشبهون، ولا يمثلون؛ يروون الحديث ولا يقولون: كيف، وإذا سئلوا، أَجابُوا بالأثر»[٢] .

فمراد الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ - هنا أن الله سبحانه يتعالى عن الحدود، وأنه يتعالى عن أن يحيط أحد من خلْقه بحده؛ وهذا معنى قوله: (وتعالى عن الحدود) أي: أنَّ الله متميز عن خلقه، منفصل عنهم مباين لهم.

سئل عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: «بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص ٢١٨).
(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢).

العرش؛ بائن من خلقه. قيل: بحد؟ قال: بحد»[١].

يعني: أنه متميز عن خلقه، منفصل عنهم، لم يدخل في ذاته شيء من ذواتهم، ولا في صفاته شيء من صفاتهم، ولا في خلقه شيء من ذاته، ومن نفى الحد بهذا المعنى وقال: ليس لله حد، يعني: أن الله منفصل عن مخلوقاته، بائن منهم؛ فقد جعل الله فوق المخلوقات؛ وهذا صحيح.

- وإذا قال: ليس لله حد وأراد بذلك: أن الله خَلْقٌ من المخلوقات؛ فهذا باطل.

- وإذا قال: لله حد يعني: لله حد يعلمه هو؛ تعالى؛ فهذا صحيح.

- وإذا قال: ليس لله حد، يعني: أنَّ العباد لا يعلمون لله حدًّا؛ فهذا صحيح؛ فلا بد من التفسير، والتبيين؛ حتى يتضح المرادُ.

وكذلك قول الطحاوي: (يتعالى عن الحدود والغايات) فيه إجمال وإبهام، فإنَّ نفاةَ الحكمةِ والتعليل من الجبرية والمعتزلة وغيرهم، اصطلحوا على تسمية الحِكم والغايات التي يفعل من أجلها أغراضًا: يسمونها الغاية، فيقولون: إن الله منزه عن الغايات التي يتكلم ويفعل لأجلها ولبَّسُوا على ضعفاء العقول: وقالوا لهم: اعلموا أن ربكم منزه عن الأعراض، والأغراض، والأبعاض، والجهات، والتركيب، والتجسيم، والتشبيه، واستقر ذلك في قلوب المبلغين عنهم، فإذا صرحوا بذلك يبقى السامع متحيرًا بين نفي هذه الحقائق التي أثبتها الله لنفسه، وأثبتها له جميع رسله وسلف الأمة، وبين إثباتهم، فنقول لهم -حينئذٍ-: أنتم قلتم: إن الله منزه عن الغايات، فما مرادكم بالغايات؟ إن أردتم بالغايات أنه سبحانه لا يفعل

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (١/ ٢٦٢، ٢٦٣).

ولا يتكلم لحكمة ومصلحة، ورحمة؛ فهذا باطل، فإن هؤلاء المتكلمين عندهم: أن الله لا يفعل شيئاً؛ لشيء، ولا يأمر بشيء؛ لحكمة، ولا جعل شيئاً من الأشياء سبباً لغيره، وما ثم إلا مشيئة محضة وقدرة ترجِّحُ مثلاً على مثل؛ بلا سبب ولا علّة[1]، ثم يقال لهم: وإن أردتم بنفي الغايات: أن الله لا يحتاج إلى أحد، ولا يفعل لحاجة، ولا يفعل لمؤثر يؤثر فيه، وموجِب يوجِب عليه؛ فهذا حق، لكن ينبغي الاعتصام بألفاظ النصوص؛ لأنها أسلم.

فقولُ الطحاوي: (يَتَعَالَى عَنِ الأَرْكَانِ وَالأَعْضَاءِ وَالأَدَوَاتِ وَالجَوَارِحِ):

فيه عبارات موهمة، وفيه من مصطلحات أهل الكلام الذين؛ يسمون إثبات الصفات لله، تجسيمًا، وتشبيهًا، وتمثيلًا، ويسمون العرش: حيزًا وجهة، ويسمون الصفات؛ أعراضًا، ويسمون الأفعال: حوادث، ويسمون الحِكم والغايات التي يفعل لأجلها: أغراضًا، ويسمون إثبات الوجه، واليدين: أبعاضًا؛ فيقولون: الله منزه عن الأعراض والأغراض، والأبعاض، والجهات، والتركيب، والتجسيم، والتشبيه؛ فيستدلون بهذه الألفاظ كالأركان، والأعضاء، والأدوات، والجوارح على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية: كاليد والوجه، وغيرهما.

ولكن لا يقال لهذه الصفات: إنها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان؛ لأنها تحتمل معاني باطلة؛ لأن الركن جزء الماهية، فيقال: إذا

---

(١) انظر: «شفاء العليل» لابن القيم (ص ١٨٥ -ط: الأولى -الخانجي سنة ١٣٢٣هـ، نشر: مكتبة الرياض الحديثة).

سميتها أركانًا، فالله - تعالى - هو الأحد الصمد؛ لا يتجزأ ولا يتفرق: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١-٢]، وقولكم: «الأعضاء»؛ فيه معنى التفريق والتَّعْضِية أي: التقطيع وجعْل الشيء قطعًا، وهذا المعنى منفي عن الله، ومن هذا المعنى قول الله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: ٩١]، وكذلك: لفظُ الجوارح: فيها معنى الاكتساب والانفتاع، والأدوات هي الآلات التي ينتفع بها في جلب المنفعة ودفع المضرة. فكل هذه المعاني منتفية عن الله - تعالى -، ولهذا: لم يرد ذكرها في صفات الله. والذي ينبغي في هذا المقام التعبير بالألفاظ الشرعية؛ لأن الألفاظ الشرعية صحيحة المعاني، سالمة من الاحتمالات الفاسدة، فلا يجوز العدول عنها نفيًا ولا إثباتًا، لئلا يثبت بها معنًى فاسد أو يُنفى معنًى صحيح.

كذلك قد يستدل بعضُ النفاة بقول الطحاوي المتقدم، على نفي بعض الصفات الثابتة بالنصوص، فيقال: إن أريد بنفي الصفات نفي الصفات الثابتة، كالوجه، واليدين وغيرهما: فهذا باطل؛ لأنها ثابتة، كما قال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفقه الأكبر»[(١)]: «له يد ووجه ونفس كما ذكر الله - تعالى - في القرآن، فله صفة بلا كيف، ولا يقال: إن يده: قدرتُه ونعمتُه؛ لأن فيها إبطال الصفة».

وهذا الذي قاله الإمام أبو حنيفة ثابت بالأدلة القطعية قال الله - تعالى -: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]، وقال - تعالى -: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨]، وقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ

---

(١) انظر: «الفقه الأكبر مع شرحه» للملا علي القاري (ص ٦٦، ٦٧)

رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨]، وقال في حديث الشفاعة: لما يأتي الناس آدم فيقولون له: «**خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ**»[1]، وقال ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[2]، فهذا كله ثابت.

وكذلك لفظ (الجهة) نفيهم لها قولٌ مجمل؛ فلا يجوز إطلاق نفيها، ولا إثباتها إلا مع البيان التفصيلي، كما سبق.

كذلك أيضًا: قول الطحاوي رحمه الله: (وَلَا تَحْوِيهِ الجِهَاتُ السِّتُ كَسَائِرِ المُبْتَدَعَاتِ):

مراده رحمه الله أن الله لا يشبه المخلوقات، لكن أهل الكلام قالوا: مراده نفي العلو؛ لأن العلو من الجهات الست، ولكن هذا ليس بصحيح؛ بل مراده أن الله ليس في جهةٍ مخلوقة، بدليل أنه أثبت العلو فيما بعد، وقال: (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ).

لكن الطحاوي رحمه الله يُنْتَقَدُ؛ لكونه عبر بهذه العبارات التي تشتمل على حق وباطل، وكان الأولى ألَّا يعبر بها، ويكتفي بنصوص الكتاب والسنة[3]، ويعتصم بها.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٦) واللفظ له، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وقد تقدم.
(٣) قال شيخ الإسلام: «التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من التعبير عنها بغيرها، فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حكيم حميد، =

ثم أيضًا في قول الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَا تَحْوِيهِ الجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ المُبْتَدَعَاتِ) إشكالات:

الإشكال الأول: أن إطلاق مثل هذا اللفظ مع ما فيه من الإجمال والاحتمال كان تركه أولى، وإلا تسلط عليه الخصوم، وألزموه بالتناقض في إثبات الإحاطة والفوقية، ونفي جهة العلو، فيقولون: أنت متناقض حيث تقول: (لَا تَحْوِيهِ الجِهَاتُ السِّتُّ) فتنفي العلو، ثم تقول: (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ) وتثبت العلو؛ فألزموه لذلك بالتناقض.

لكن نقول: إن الطحاوي مقصوده أن الله منزه عن الجهات الست المخلوقة؛ فهو يقصد معنًى صحيحًا، لكن مع ذلك نقول: الأولى أن يعتصم الطحاوي وغيره بالألفاظ الشرعية حتى لا يتسلّط عليه الخصوم.

الإشكال الثاني: أن قول الطحاوي: (كَسَائِرِ المُبْتَدَعَاتِ)؛ أي:

= والأمة متفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحِكم والمعاني مالا تنقضي عجائبه. والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع». انظر: «النبوات» (٢/ ٨٧٦).

وقال شيخ الإسلام: «الألفاظ التي تنازع فيها من ابتدعها من المتأخرين، مثل لفظ «الجسم» و«الجوهر» و«المتحيز» و«الجهة» ونحو ذلك، فلا تُطلق نفيًا ولا إثباتًا، حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنى صحيحًا موافقًا لما أخبر به الرسول، صُوِّب المعنى الذي قصده بلفظه، ولكن ينبغي أن يعبر عنه بألفاظ النصوص، لا يُعدل إلى هذه الألفاظ المبتدعة المجملة إلا عند الحاجة، مع قرائن تبيّن المراد بها، والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، وأما إن أريد بها معنى باطل، نُفي ذلك المعنى، وإن جُمع بين حق وباطل، أثبت الحق وأبطل الباطل» انظر: «منهاج السنة» (٢/ ٥٥٤)، و(٢/ ٦١١). وانظر: «الدرء» (١/ ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٤٢)، و«الفتاوى» (٥/ ٢٢٩)، و(٦/ ٣٦)، و(١٦/ ٤٢٦)، و (١٧/ ٣٠٤).

المخلوقات يفهم منه أنه ما من مخلوق إلا وهو محوي، وهذا فيه نظر، فإنه إن أراد أنه محوي بأمر وجودي؛ فممنوع؛ لأن العالَم ليس في عالَم آخر، وإلا لزم التسلسل؛ فإننا نرى العالم ليس محويًّا بعالم آخر، وإن أراد أمرًا عدميًّا؛ فليس كل مبتدع في العدم، بل المبتدعات منها ما هو داخل في غيره كالسموات والأرض مع الكرسي، ومنها ما هو منتهى المخلوقات؛ كالعرش، فسطح العالَم ليس في غيره من المخلوقات قطعًا للتسلسل. ويمكن أن يجاب عن هذا الإشكال بأن قول الطحاوي: (كَسَائِرِ المُبْتَدَعَاتِ) بمعنى (البقية) لا بمعنى (الجميع)، ويؤيد هذا: أن أصل معنى «سائر» البقية، ومنه السُّؤْرُ؛ وهو ما يُبْقيه الشارب في الإناء، فيكون مقصوده: (غالب المخلوقات)، لا جميعها، إذ (السائر) على الغالب؛ أدلّ منه على الجميع، فيكون المعنى: أن الله - تعالى - غير محوي؛ كما يكون أكثر المخلوقات، بل هو غير محوي بشيء -سبحانه تعالى-.

والخلاصة: أن الطحاوي رحمه الله أراد بهذه الألفاظ معاني صحيحة، وأن الله منزه عند الحدود، والغايات، والأركان، والأعضاء، فمراده: إثبات صفات الله - عز وجل -، وأن الله لا يشابه المخلوقين، وأن الله ليس فيه شيء من مخلوقاته؛ ليس مفتقراً إلى شيء منها.

الإسراء والمعراج

ثبوت الإسراء والمعراج للنبيّ ﷺ بشخصه في اليقظة

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَالمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي اليَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ العُلَا، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى، مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى. فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى):

الشرح

هذا البحث في: إثبات الإسراء والمعراج للنبي ﷺ، والإسراء ثابت في كتاب الله عز وجل قال - تعالى -: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، ومن أنكر الإسراء كفر؛ لأنه مكذب لله. والمعراج ثابت بالأحاديث الصحيحة التي تفيد العلم والقطع، فمن أنكره: تقام عليه الحجة ويبين له.

وأصل الإسراء لغة: السير ليلًا، يقال: أسرى يسري إسراءً، ويأتي لازمًا فيقال: سرى الرجلُ، ويأتي متعديًا فيقال: أُسْرِيَ به[١].

وأما الإسراء شرعًا واصطلاحًا: فهو السفر برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ليلًا على البراق، والبراق دابة دون البغل وفوق الحمار، أبيض طويل.

---

(١) انظر: «لسان العرب» (١٤/ ٣٨١، ٣٨٢).

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي: أنهما يشتركان في السير ليلًا؛ لكن المعنى اللغوي أوسع، ثم يأتي المعنى الاصطلاحي بقيود وشروط زائدة على المعنى اللغوي وهو: كونه سفرًا، وبرسول الله ﷺ وعلى البراق، ومن مكة إلى بيت المقدس.

أما المعراج لغة: فهو على وزن «مِفْعَال»، مشتق من العروج وهي آلة العروج التي يُعرج فيها ويُصعد، فيشمل السُّلم، ويشمل الدرجة[1].

والمعراج شرعًا واصطلاحًا: هو العروج برسول الله ﷺ ليلًا من بيت المقدس إلى السماء، والآلة التي عرج عليها - عليه الصلاة والسلام - هي بمنزلة السُّلم، ولا يُعلم كيفية هذه الآلة، وحكمه حكم غيره من المغيبات، نؤمن به، ولا نشتغل بكيفيته.

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي في المعراج؛ أنهما يشتركان في أن كلًّا منهما صعود وعروج من أسفل إلى أعلى، وهذا قدر مشترك، ثم يأتي المعنى الاصطلاحي بقيود وشروط زائدة على المعنى اللغوي؛ وهو أن العروج بآلة خاصة، وغيبية، ومن مكان خاص، وإلى علو خاص؛ من بيت المقدس إلى السماء، فالمعنى اللغوي أوسع دائرة.

والعلماء لهم أقوال في الإسراء والمعراج: هل أُسري به - عليه الصلاة والسلام - وعرج به وهو نائم أم في اليقظة؟ وهل أسري به بروحه، أو بروحه وجسده؟ فللعلماء في ذلك أقوال أربعة:

القول الأول: أن الإسراء كان منامًا، وهذا أضعفها.

القول الثاني: أن الإسراء كان بروحه ﷺ دون جسده، وهذا نقله ابنُ

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الأثر» للجزري (٣/ ٤٣٢)

إسحاق[١] عن عائشة ﵂، ومعاوية، ونقل عن الحسن البصري نحوه.

القول الثالث: أن الإسراء كان مرارًا؛ مرة منامًا ومرة يقظةً، وبعضهم قال: مرة قبل الوحي، ومرة بعد الوحي، وبعضهم قال: الإسراء ثلاث مرات: مرة قبل الوحي، ومرتان بعده، وهذا يقول به ضعفاء الرواة للحديث - كما سيأتي - وهؤلاء كلما اشتبه عليهم لفظٌ زادوا مرةً؛ فيقولون: مرةً في المنام كالتوطئة والتمهيد لِمَرَّةِ اليقظة؛ كما حصل في الوحي، فإن النبي ﷺ في الوحي أول ما ابتدأ به: الرؤيا الصالحة؛ ستة أشهرٍ، فكان لا يرى رؤيا إلا وقعت مثل فلق الصبح، فقالوا: كما أن الوحي كان في المنام ثم في اليقظة، فكذلك الإسراء والمعرج كان مرة منامًا كتوطئة؛ ثم كان يقظةً!!

القول الرابع: أن الإسراء كان بروحه وجسده؛ مرةً واحدة؛ بعد الوحي؛ يقظةً لا منامًا، وهذا أرجح الأقوال وأصحها، بل هذا هو الصواب. وإلى هذا ذهب جمهور العلماء والمحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت على هذا القول ظاهرُ الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك، وليس في العقل ما يحيل ذلك حتى يحتاج إلى تأويل[٢].

الفرق بين القول الأول - من قال: إن الإسراء كان منامًا - والثاني - من قال: إن الإسراء كان بروحه -:

أنَّ من قال: إن الإسراء كان منامًا قال: إن رسول الله ﷺ رأى في نومه أمثالًا مضروبة للمعلوم في الصورة المحسوسة؛ من قبيل الحلم؛ فيرى كأنه قد عُرج به إلى السماء، وذُهب به من مكة؛ وجسدُه باقٍ، وروحه باقية

---

(١) سيأتي تخريجه قريبًا.

(٢) انظر: «بدائع الفوائد» (٤/ ١٣٧٩)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٥- ٣٦).

أيضًا؛ لم تصعد ولم تذهب، وإنما مَلَك الرؤيا ضرب له الأمثال. وهذا معنى الإسراء منامًا.

ومن قال: إن الإسراء كان بروحه يقول: إن الروح ذاتها أُسري بها ففارقت الجسد ثم عادت إليه؛ قالوا: وهذا من خصائص النبي ﷺ إذ أن غيره لا تنال روحه الصعود الكامل إلى السماء، إلا بعد الموت.

والقدر المشترك الذي اتفق فيه القولان: هو: أن الجسد باقٍ، لكن من قال: إن الإسراء كان منامًا قال: الروح أيضًا باقية والملك هو الذي ضرب له الأمثال، ومن قال: الإسراء كان بروحه قال: الجسد باق والروح هي التي صعدتْ، وأُسْرِيَ بها ثم رجعت.

أدلة الفريقين:

استدل أهل القول الأول القائلون بأن الإسراء كان منامًا بدليل شرعي، ودليل عقلي:

أما الدليل الشرعي:

فاستدلوا بحديث الإسراء والمعراج الذي رواه شَريك بن أبي نَمِر فإنه نقل في بعض ألفاظ الحديث: في ختام القصة قَوْلَ الراوي: «واستيقظ وَهُوَ في مَسْجِدِ الحرام»[(١)]، يعني: النبي ﷺ. قالوا: هذا دليل على أن الإسراء

(١) الحديث بطوله أخرجه البخاري (٧٥١٧)، وهو في مسلم (١٦٢) مختصر جداً، وقد قال الإمام مسلم عن رواية شريك هذه: «وقدَّم فيه شيئاً وأخرَّ، وزاد ونقص». وقال الإمام ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤ -دار الفكر): «فإن شريك بن عبدالله بن أبي نَمِر اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه-». فشريك له في هذا الحديث تفردات وأوهام، وقد ذكر ابن حجر مجموع ما خالفت فيه روايته غيره من المشهورين وهي عشرة. انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٤٨٥) و (٧/ ١٩٧، ١٩٨).

كان منامًا .

والجواب: ما أجاب به نقاد الحديث عن هذه اللفظة بأنها غير ثابتة، ولاسيما أن الأحاديث لم ترد بذكرها، وشريك بن عبد الله بن أبي نَمِر له أغلاط، وقد غلّطه الحفاظُ في ألفاظ حديث الإسراء، ولهذا قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ بعدما روى حديث شريك: فقدّم وأخّر، وزاد، ونقص.

وأيضًا: من أدلتهم التي استدلوا بها: **قول عائشة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**مَا فُقِدَ جَسَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَكِنْ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ**»(١).

نقول: وهذا إن صح عن عائشة، فهو اجتهاد منها لا تُعَارَضُ به النصوص.

وأما الدليل العقلي: فقالوا: إن الأجسام الأرضية من طبيعتها الثقل، فلا يعقل أن تصعد إلى السماء، وليست مِنْ الروحانيات؛ كالملائكة؛ فالأجسام ثقيلة بخلاف الروح والملائكة، فإن من طبيعتهما الخفة.

والجواب: أن نقول: العقل لا يعارض النقل، فإذا صح النقل فلا يجوز لنا أن نعارضه، بل الواجب التسليم والخضوع لكلام الله وكلام رسوله، وأن نتلقاه بقبول وتسليم، ولا نعارضه بعقولنا .

وأيضًا نرد عليهم بدليل عقلي؛ من جنس استدلالهم؛ حتى نقارع الحجة بالحجة، فنقول: أنتم تقولون: الأجسام الأرضية من طبيعتها الثقل فلا يعقل أن تصعد إلى السماء، ونحن نقول لكم: الملائكة من طبيعتها

---

(١) رواه ابن إسحاق في «السيرة النبوية» (٥/ ٢٧٥) قال: «حدثني بعضُ آل أبي بكر عن عائشة» ثم ذكره، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الطبري في «التفسير» (١٧/ ٣٥٠)، وفي «تهذيب الآثار» مسند ابن عباس (٧٣٣)، وفي سند الخبر راوٍ مُبهم.

العلو والخفة فلا يعقل أن تنزل إلى الأرض، فلو جاز استبعاد صعود البشر؛ لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة والوحي، وهذا كفر.

ويرد على هذا القول أيضًا: بقول الله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، والعبد يُطلق على مجموع الروح والجسد.

ويُردُّ أيضًا على من قال: إن الإسراء كان منامًا أو كان بالروح: أنه لو كان الإسراء منامًا، وكان جسد النبي ﷺ وروحه باقيين في مكة: لما بادرت كفارُ قريش إلى تكذيب النبي ﷺ، ولما ارتدت جماعةٌ ممن كان قد أسلم كما ثبت ذلك؛ فإنهم أنكروا أن يسافر إلى بيت المقدس مسافة شهر، في ليلة واحدة، ثم يصعد إلى السموات - وبين كل سماء إلى سماء مسافة خمسمائة عام - ويرجع في ليلة واحدة؟! فارتدوا، فلو كان منامًا: لما أنكروه، ولما كان هناك كبير شيء أو شأنٍ في النوم والله - تعالى - قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، والتسبيح إنما يكون في الأمور العظام.

وهذا يدل على أن الإسراء كان بروحه وجسده. وبهذا يبطل قول الذين قالوا: إن الإسراء كان بروحه - عليه الصلاة والسلام -.

أما أهل القول الثالث: الذين قالوا:

- كان الإسراء مرة منامًا ومرة يقظة.
- أو مرتين مرة قبل الوحي ومرة بعده.
- أو مرة قبل الوحي ومرتين بعده .

فقد أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك وقوله حين ختم القصة:

«**واستيقظ وهو في مسجد الحرام**»(١)، وبين سائر راويات الحديث التي لم تذكر هذه الألفاظ، فقالوا: إن الإسراء كان مرارًا مرة منامًا كما يفيده حديث شريك، ومرة يقظة كما تفيد سائر الروايات، وبعضهم قال: مرة قبل الوحي ومرة بعده، وبعضهم قال: ثلاث مرات: مرة قبل الوحي ومرتين بعده؛ جمعًا بين الأدلة في زعمهم، فكلما اشتبه عليهم لفظ زادوا مرة للتوفيق بين الأدلة - في نظرهم - وهذا يفعله ضعفاء رواة الحديث .

والجواب عن شبهتهم: أجاب عنها العلامة ابن القيم ﷺ في «زاد المعاد»(٢) قال: إنه ثبت في حديث الإسراء والمعراج أن الله فرض على نبينا محمد ﷺ الصلاة في أول الأمر خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم جعل النبي ﷺ يتردد بين ربه وبين موسى في السماء السادسة وفي كل مرة يأمره موسى - عليه الصلاة والسلام - بأن يسأل ربه التخفيف لأمته، فيحط الله - تبارك وتعالى - عنه خمسًا؛ وعشرًا حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم قال: «**ناداني مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي**»(٣)، فلو كان الإسراء والمعراج منامًا للزم من ذلك أن يعيد الله فرضية الصلاة مرة ثانية خمسين، ثم يحطها إلى خمس؛ وهذا فاسد. وبهذا يبطل هذا القول.

أما أهل القول الرابع: الذين قالوا: إن الإسراء كان مرةً واحدة؛ بجسده وروحه؛ يقظة لا منامًا؛ في ليلة واحدة؛ قبل البعثة وبعدها وقبل الهجرة، فهذا القول هو الصواب وهو ما تؤيده النصوص من الكتاب والسنة.

---

(١) سبق تخريجها قبل قليل، وهي رواية شريك بن أبي نمر.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٧) من حديث مالك بن صعصعة ﷺ.

ومن أدلة هذا القول:

الدليل الأول: قول الله - تعالى - ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، ووجه الدلالة: أن العبد إذا أُطلق فهو عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح؛ إذا أُطلق، وهذا يدل على أن الإسراء بروحه وجسده، ولهذا قال الطحاوي رحمه الله: (وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي اليَقَظَةِ) والشخص اسم للروح والجسد، فالطحاوي رحمه الله يثبت أن الإسراء بروحه وجسده كما عليه المحققون.

الدليل الثاني: ما ثبت في «الصحيحين» - رحم الله صاحبيهما - بروايات متعددة أنه أُسري برسول الله ﷺ وعُرج بشخصه إلى السماء،، وأنه اجتمع بالأنبياء وصلى بهم إمامًا، وأنه التقى بعدد من الأنبياء في كل سماء، وأن الله فرض عليه الصلاة خمسين، ثم خففها إلى خمس بتردده بين ربه وبين موسى، وأنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى على صورته التي خُلق عليها، وكل هذه الروايات ظاهرها أنه أُسري بروحه وجسده - عليه الصلاة والسلام -. وبهذا يتبين أن الصواب أنه أُسري بروحه وجسده - عليه الصلاة والسلام -، وأنه لا بد للمسلم أن يؤمن بالإسراء والمعراج، ومن أنكر الإسراء كفر؛ لأنه مكذب لله، وللقرآن ومن أنكر المعراج فلا بد من إقامة الحجة عليه.

الفوائد المستنبطة من حديث الإسراء والمعراج:

أولاً: الفوائد الأصولية:

١- جواز النسخ قبل التمكن من الفعل؛ حيث فُرضت الصلاة خمسين أولًا، ثم نسخت بأن خُففتْ إلى خمس، وهذا كان في السماء قبل

تمكن العباد من الفعل .

٢- جواز تأخير البيان إلى وقت الحاجة، حيث أعلم النبي ﷺ الأمةَ بفرضية الصلاة إجمالًا بدون تفصيل لأركانها وشروطها وهيئاتها وأوقاتها، ثم لما جاء وقت الصلاة، نـزل جبريلُ فأخبر النبيَّ ﷺ بذلك، وحدد له الأوقات .

ثانيا: الفوائد العامة:

١- إثبات العلو لله عز وجل؛ من وجوه: حيث إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - عُرج به إلى ربه عز وجل، ثم جاوز السبع الطباق، ثم لما كان يتردد بين ربه وبين موسى في كل مرة؛ يعلو به جبرائيلُ إلى الجبار -تبارك وتعالى-: ففيه الردُّ على من أنكر العلو، من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، وغيرهم .

٢- إثبات الكلام لله عز وجل؛ حيث فرض الله - سبحانه - عليه الصلاة بدون واسطة؛ وفيه الردُّ على من أنكر الكلام.

٣- فضيلة نبينا محمد ﷺ وعظم منـزلته عند الله عز وجل؛ حيث جاوز الأنبياء كلهم، وجاوز السبع الطباق، وصلى بالأنبياء إمامًا، وبعضهم استنبط أن رسول الله رآه بعين رأسه لكن هذا ضعيف كما سبق.

٤- مشاركة نبينا محمد ﷺ لموسى - عليه الصلاة والسلام - في التكليم، وأن التكليم ليس خاصًا بموسى، كما أن الخُلَّة ليست خاصة بإبراهيم، بل يشاركه فيها نبينا أيضًا، فكما أن إبراهيم خليل الله؛ فمحمد خليل الله، وكما أن موسى كليم الله؛ فمحمد كليم الله؛ كلمه اللهُ بدون واسطة؛ ليلة المعراج .

٥- شفقة موسى ورحمته بهذه الأمة؛ حيث أمر نبينا محمد ﷺ أن يسأل ربه التخفيف لأمته في شأن الصلاة .

٦- عظم مخلوقات الله - تعالى - وسعتها، وهذا يدل على عظمة الخالق .

٧- معجزة الرسول - عليه الصلاة والسلام - في الإسراء والمعراج؛ حيث كانا في ليلة واحدة.

٨- استشارة أهل الفضل والصلاح؛ حيث التفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره .

مسألة: ما الحكمة من تقديم الإسراء إلى بيت المقدس على المعراج؟

الجواب: الحكمة - والله أعلم - إظهار صدق دعوى النبي ﷺ المعراجَ، حيث سألته قريش عن نعت بيت المقدس، فَنَعَتَهُ لهم وأخبرهم عن عِيرهم التي مرَّ عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة؛ لما حصل ذلك؛ إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السماء، فلو أخبرهم عنه ما استطاعوا أن يحكموا بصدقه، وقد اطلعوا على بيت المقدس فأخبرهم بنعته.

- وقيل: الحكمة أن يجمع ﷺ في تلك الليلة بين رؤية القبلتين.
- أو: لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله، وحصل له الرحيل إليه في الجملة ليجمع بين أشراف الفضائل.
- أو: لأنه محل الحشر وغالب ما اتفق له في تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية فكان المعراج منه أليق بذلك.
- أو: ليحصل التفاعل بحصول أنواع التقديس له حسًّا ومعنًى.
- أو: ليجتمع بالأنبياء جملة.

وذهب بعض العلماء إلى أن الحكمة هي تحصيل العروج مستويًا بغير تعويج[١]؛ لأن كعب الأحبار روى أن باب السماء الذي يقال له «مصعد الملائكة» يقابل بيت المقدس، لكن هذا فيه نظر لورود أن في كل سماء بيتًا معمورًا، وأن الذي في السماء الدنيا حيال الكعبة[٢]، فكان المناسب أن يصعد من مكة ليصعد إلى البيت المعمور بغير تعويج، وهذا ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[٣].

---

(١) انظر: «روح المعاني» للآلوسي (١٥/ ١٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٢٨)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٤١٧)، وعبدالرزاق (٨٨٧٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤٠١٥) قال ابن كثير - عما رواه ابن أبي حاتم-: «هذا حديث غريب جدًا، تفرد به روح بن جناح هذا وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ منهم الجوزجاني، والعقيلي، والحاكم، وغيرهم.

(٣) انظر: «فتح الباري» (٧/ ١٩٦- ١٩٧).

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَالمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَعُرِجَ بِهِ):

الشرح

● قوله: (المِعْرَاجُ حَقٌّ):

يعني: ثابت، وكذلك قوله: (أُسْرِيَ بِشَخْصِهِ) حق ثابت لا بد من الإيمان به.

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: (ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ العُلَا وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى):

الشرح

لا شك أن الله أكرمه في ذلك العروج، وفي صلاته بالأنبياء ورفعته فوقهم، وأكرمه الله بتكليمه له، وفرضه الصلاة عليه.

وقوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]، قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧]، فلم يزغ بصرهُ، ولم يكذب فؤادُه عليه الصلاة والسلام، بل كل ما رآه فهو حق.

وقوله: (فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى): صلاة الله على عبده أحسن ما قيل فيها كما رواه البخاري عن أبي العالية -رضي الله عنه ورحمه- أنه قال: «صَلَاةُ اللهِ عَلَى عَبْدِهِ ثَنَاؤُهُ فِي المَلَأِ الأَعْلَى»[1].

---

(١) أورده البخاري (٨/ ٥٣٢ - فتح) معلقا بصيغة الجزم عن أبي العالية رضي الله عنه، وعزاه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٥٣٣) لابن أبي حاتم رحمه الله، وساق سنده عنه، وأخرجه أيضاً إسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي» (٩٥).

سوق حديث الإسراء لإجمال ما سبق:

كان من حديث الإسراء أنه ﷺ: «أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ فِي اليَقَظَةِ - عَلَى الصَّحِيح - مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى رَاكِبًا عَلَى البُرَاقِ بِصُحْبَةِ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَنَزَلَ هُنَاكَ، وَصَلَّى بِالأَنْبِيَاءِ إِمَامًا، وَرَبَطَ البُرَاقَ بِحَلْقَةِ بَابِ المَسْجِدِ.

وقد قيل: إنه نزل ببيت لحم فصلى فيه، ولا يصح عنه ذلك البتة، «ثُمَّ عُرِجَ بِهِ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ لَهُ جِبْرِيلُ فَفُتِحَ لَهُ، فَرَأَى هُنَاكَ آدَمَ أَبَا البَشَرِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَحَّبَ بِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ لَهُ، فَرَأَى فِيهَا يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فَلَقِيَهُمَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا فَرَدَّا عَلَيْهِ السَّلَامَ وَرَحَّبَا بِهِ وَأَقَرَّا بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَرَأَى فِيهَا يُوسُفَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَرَحَّبَ بِهِ وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَرَأَى فِيهَا إِدْرِيسَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ فَرَأَى فِيهَا هَارُونَ ابْنَ عِمْرَانَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَلَقِيَ فِيهَا مُوسَى فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ بَكَى مُوسَى فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّهُ غُلَامٌ بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَلَقِيَ فِيهَا إِبْرَاهِيمَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ رُفِعَ إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى ثُمَّ رُفِعَ لَهُ البَيْتُ المَعْمُورُ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى الجَبَّارِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَت أَسْمَاؤُهُ -، فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، وَفُرِضَ عَلَيْهِ خَمْسُونَ صَلَاةً، فَرَجَعَ حَتَّى مَرَّ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قَالَ: بِخَمْسِينَ صَلَاةً، فَقَالَ لَهُ موسى: أنا

أعلم بالناس منك، عالجتُ بني إسرائيل أشدَّ المعالجة، وإن أمتك لا تُطيق، فارجع إلى ربك فَسَلْهُ، فرجع فسأله فجعلها أربعين، ولا زال يراجعه حتى جعلها خمساً. فنودي: إني قد أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي، وأجزي الحسنة عشراً».

هذا معنى ما ذكره البخاري في «صحيحه»[(١)] من حديث مالك بن صعصعة .

وفيه أيضاً لكن من حديث أنسٍ: **«أَنهُ لـمَّا مرَّ عَلى موسى، وسأله: يا محمد، ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إليَّ خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فلْيُخَفِّفْ عنك ربك وعنهم، فالتفت النبيُّ ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل: أنْ نعم إن شئتَ، فعلا به إلى الجبار فقال وهو في مكانه: يا ربّ خففْ عَنَّا فإن أمتي لا تستطيع هذا، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرًا، ثُمَّ نَـزَلَ حَتَّى مَرَّ بِمُوسَى فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ اللهِ -تبَارَكَ وَتَعَالَى- حَتَّى جَعَلَهَا خَمْسًا، فَأَمَرَهُ مُوسَى بِالرُّجُوعِ وَسُؤَالِ التَّخْفِيفِ، فَقَالَ: قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي»**[(٢)].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٣٢٠٧)، و(٣٨٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الحـوض

ثبوت الحـوض

◆ **قَالَ المُؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللهُ: **(وَالحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ -تَعَالَى- بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقٌّ):**

الشرح

الحوض مما تواترت فيه الأحاديث الصحيحة.

وأصل الحوض في اللغة: مجمع الماء، أو ما يكون محلًّا لجمع الماء في الحقل، - مشتق من السيلان - ومنه قولهم: حاض الوادي إذا سال.

وأما الحوض الوارد في الأحاديث فالمراد به شرعًا: الحوض المورود للنبي ﷺ في عرصات القيامة.

وقد أنكر الحوضَ بعضُ طوائف الخوارج، وبعضُ المعتزلة، وأما أهل الحق - أهل السنة -: فإنهم يؤمنون بالحوض، وهو حق يجب اعتقاده والإيمان به، والأدلة على ثبوته كثيرة، تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيًّا؛ منها:

- حديث أنس رضي الله عنه: **«مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كما بَيْنَ صَنْعاء وَالمَدِينَةِ»**[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٣) من حديث مُعْتَمِر، عن أبيه، عن قَتادة، عن أنس مرفوعاً بلفظ: «ما بين ناحيتَيْ حَوْضِي كما بيْن صَنعاء والمدينة»، وساقه أيضاً عن هشام، وأبي عوانة كلاهما عن قتادة، عن أنسٍ مرفوعاً بمثله، لكنَّ مُسْلماً قال: «غير أنهما شَكّا فقالا: أو مِثلَ ما بين المدينة وعَمَّان...». ومن طريق هشام به أخرجه =

وغَمـَّان - بفتح العين وتشديد الميم - هي مدينة معروفة، يقول ابن الأثير في «النهاية»: إنها مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء.

- ومنها: حديث أنس رضي الله عنه: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»[1].

- ومنها: حديث يزيد الرقاشي عن أنس أيضاً: «إِنَّ لِي حَوْضًا عَرْضُه كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الكَعْبَةِ - أَوْ قَالَ: - صَنْعَاءَ»[2].

- ومنها: حديث ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه: «حَوْضِي كَمَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى الْيَمَنِ»[3].

- ومنها: حديث ثوبان: «إِنَّ حَوْضِي مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ»[4].

= ابن ماجه (٤٣٠٤)، باللفظ المزبور، وكذا أخرجه غيره من طريق هشام به. وهو في الصحيحين بلفظ الحديث التالي.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣)، وليس في رواية مسلم قوله: «إنَّ».

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٤٠٩٩) من حديث أنس بن مالك. وفي سنده عكرمة بن عمَّار العجلي، قال الحافظ في «التقريب» (٤٦٧٢): «... صدوق يغلط ..»، وفيه أيضاً: يزيد بن أبان الرقاشي، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٣٥٤)، وقال محمد طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٣/ ١٢٥٠): «رواه عائذ بن نسير العجلي، عن علقمة بن مرثد، عن ابن بريدة، عن أبيه: وهذا يرويه عائذ، وعنه يحيى بن يمان. ويحيى في جملة أهل الصدق إلا أنه يهم ويغلط، وعائذ ضعيف».

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤٤٤)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٠٤ -تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، والطبراني في «الأوسط» (٣٩٦ -تحقيق: طارق عوض الله)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٠٦)، وصححه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٠٤)، والألباني في «ظلال الجنة» (٧٠٦، ٧٠٧)، والحديث له عن ثوبان طرق وألفاظ أخرى، في الصحيح، وفي السنن.

- ومنها: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «حَوْضِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ»(١).
- ومنها: عند ابن ماجه: «حَوْضِي مَا بَيْنَ المَدِينَةِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ»(٢).
- ومنها في رواية الدارقطني: «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ المَدِينَةِ وَجَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»(٣). وهما قريتان بالشام قيل: بينهما مسيرة ثلاثة أيام.

فهذه ثمانية أحاديث، وهي أحاديث مختلفة في تحديد المسافة، واختلف العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث على أقوال؛ منها:

١- أن اختلافها إنما هو على وجه التقريب لا التحديد.
٢- ومنها: أن اختلافها إنما هو بالنسبة للطول والعرض.
٣- ومنها: أن اختلافها بحسب ما يعرفه السائل من حجازي أو يماني أو شامي.
٤- ومنها: أن اختلافها إنما هو بالنسبة للمُجِدِّ في السير والبطيء فيه.
٥- ومنها: أن النبي ﷺ أخبر بالمسافة القريبة أولًا ثم أعلمه الله بالزيادة فضلًا منه ورحمة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) واللفظ له.
(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣٠١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٢٣)، بسند ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه (الكعبة) بدل (المدينة)، وصححه الألباني، رحمه الله في «ظلال الجنة» (٧٢٣).
(٣) هو في الصحيحين وغيرهما من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، نحوه، وليس فيه ذكر المدينة. وانظر: «البخاري» (٦٥٧٧)، و«مسلم» (٢٢٩٩)، ورواية الدارقطني المشار إليها، عزاها إليه الحافظ في «الفتح» (١١/ ٤٧٢).

أما القول الأول من هذا الاختلاف: وهو أنها على وجه التقريب لا التحديد: فالمعنى: أنه يقرّب في كل منها؛ لبُعد أقطار الحوض وسعته بما تسنح له العبارة - عليه الصلاة والسلام -، فهو يقرّب ذلك؛ للعلم ببُعد ما بين البلاد النائية بعضها من بعض، لا على إرادة المسافة من حيث هي.

لكن يجاب عن هذا القول بأن ضرب المثل والتقدير إنما يكون فيما يتقارب، وأما هذا الاختلاف المتباعد الذي يزيد تارة على ثلاثين يومًا وينقص إلى ثلاثة أيام فلا يَتَأَتَّى .

وأما القول الثاني: وهو أن الاختلاف بالنسبة إلى الطول والعرض، فيردّه حديثُ عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : «**حَوْضِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ**»[1].

وبهذا يكون هذان القولان ضعيفين، وأرجحُ هذه الأقوال: الثلاثُ الأخيرة؛ وهي: أن الاختلاف بالنسبة إلى المُجِدّ في السير والبطيء، أو أن النبي ﷺ أخبر بالمسافة القريبة أولًا، ثم أعلمه الله بالزيادة، أو أن الاختلاف بحسب ما يعرفه السائل، لكن أرجحها الرابع؛ وهو أن النبي ﷺ أُخبر بالمسافة القريبة أولًا، ثم الثالث؛ وهو بحسب ما يعرفه السائل، ثم الرابع؛ وهو أن اختلافه بالنسبة إلى المجد في السير[2].

مسألة: هل في العرصات أحواض أخرى غير حوض النبي؟

الجواب: ورد في الأحاديث أن هناك أحواضًا أخرى للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وأن لكل نبيٍّ حوضًا، لكن حوض نبينا محمد ﷺ

---

(١) سبق قبل قليل.

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٤٧١، ٤٧٢)

أعظمها، وأوسعها، وأحلاها، وأكثرها ورودًا -جعلنا الله ممن يرده بمنه وكرمه-.

ومن الأدلة على أن لكل نبي حوضًا:

حديث الحسن عن سمرة الذي أخرجه الترمذي في «جامعه»: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدًا**»(١)، لكن هذا من رواية الحسن عن سمرة، وسماع الحسن من سمرة اختلفوا فيه؛ والأرجح أنه لم يسمع منه إلا حديث العقيقة.

ومنها: حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «**إِنَّ لِي حَوْضًا طُولُهُ مَا بَيْنَ الكَعْبَةِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَكُلُّ نَبِيٍّ يَدْعُو أُمَّتَهُ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الفِئَامُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ العُصْبَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ النَّفَرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الرَّجُلَانِ وَالرَّجُلُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ فَيُقَالُ: لَقَدْ بَلَّغْتُ، وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٤٤)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٢١٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٣٤)، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث، عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلًا، ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح». قال الألباني: «إن الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح». انظر: «السلسلة الصحيحة» (١٥٨٩)، و«فتح الباري» (١١/ ٤٦٧).

(٢) أخرجه مطولاً أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١١٠)، وابن أبي الدنيا في «كتاب الأهوال» كما ذكره ابن كثير في «النهاية» في الفتن والملاحم (١/ ٣٦٣)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢١١٨)، وأخرجه مختصراً بدون ذكر موضع الشاهد ابن ماجه (٢/ ٢٧٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٦٨١)، و(٣٤١٠٤)، وأبو يعلى (١٠٢٨)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٩٠٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٢٣). قال الترمذي: «وقد روى =

مسألة: الحوض قبل الصراط أم بعد الصراط؟

الجواب في هذه المسألة للسلف قولان:

أحدهما: أن الحوض يورد بعد الصراط؛ فيكون المرور على الصراط أولًا ثم يورد الحوض، واختار هذا الحافظ ابن حجر والسيوطي -رحمهما الله-، واحتج هؤلاء بحديث النضر بن أنس؛ فإن ظاهره يقتضي ذلك، وذلك أن أنساً قال: «**سَأَلْتُ النبيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ فَقَالَ: أَنَا فَاعِلٌ، قَالَ: قلتُ: يَا رسول الله! فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي على الصِّرَاطِ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: فَاطلبني عِنْدَ المِيزَانِ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ المِيزَانِ؟ قَالَ: فاطلبني عِنْدَ الحَوْضِ، فإني لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاث المَوَاطِنَ**»[1].

- وكذلك أيضًا من أدلتهم حديث لقيط وافد بني المنتفق فإن فيه أنه قال في آخر الحديث: «**فَتطلِعُونَ عَلَى حَوض الرَسول**»[2]، يعني: **بعد**

= الأشعث بن عبدالملك هذا الحديث، عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلًا». انظر: «السلسلة الصحيحة» (١٥٨٩)، وصحح الرواية المرسلةَ وضعّفَ الموصولةَ الحافظُ في «الفتح» (١١/ ٤٦٧)، والروايةُ المختصرة مع أن في سندها عطية العَوْفي، فقد صحح الحديثَ الألبانيُّ في «ظلال الجنة» (٧٢٣) لشواهده الكثيرة، وأشار إلى أن أصل الحديث من رواية أبي سعيد في الصحيحين وغيرهما؛ من طرق عنه.

(١) أخرجه الترمذي: (٢٤٣٣) والسياق له، وأحمد: (٣/ ١٧٨)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٢٢٠)، وابن عساكر في «تاريخه» (٩/ ٣٦٠- ٣٦١)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وصححه الألباني. انظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٦٣٠).

(٢) الحديث بطوله أخرجه ابن الإمام أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ١٣)، وفي «السنة» (١١١٢٠)، والحاكم (٤/ ٦٠٥- ٦٠٧)، والطبراني في «الكبير» (٤٧٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٦٠- ٤٧٠)، =

المرور على الصراط .

القول الثاني: أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط وهذا هو الصواب؛ لما يأتي من الأدلة الشرعية والعقلية.

فمن الأدلة الشرعية:

الأحاديث التي تدل على منع المرتدين على أعقابهم وأنهم يُذادون عن الحوض:

- كحديث أنس ﷺ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فيقول: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[1] .

- ومنها حديث سهل بن سعد الأنصاري ﷺ «**إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ** - وزاد أبو سعيد الخدري: ﷺ - **فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي**»[2].

فهذه الأحاديث تدل على أن الحوض يورد قبل الصراط من وجهين:

= والحديث قوّاهُ الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ٦٧٧- ٦٧٨)، وفي «حادي الأرواح» (ص ١٧٠)، وصححه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٠٧). لكن قال الحافظ ابن كثير في «البداية» -بعد أن ساقه من رواية ابن الإمام أحمد- (٥/ ٨٢): «هذا حديث غريب جداً وألفاظه في بعضها نكارة...».

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٣)، و(٦٥٨٤) واللفظ له، ومسلم (٢٢٩٠)، و(٢٢٩١)، وفي الصحيح عن غيرهم من الصحابة ﷺ.

الأول: لو كان الورود على الصراط قبل الحوض لكان مثل هؤلاء المذادين الذين يذادون عن الحوض ويطردون لا يجاوزون الصراط؛ لأنهم إن كانوا كفارًا فالكافر لا يجاوز الصراط بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه، وإن كانوا عصاة وهم من المسلمين فجازوا الصراط لم يشفع لهم في دخول النار أو عفا الله عنهم بدون شفاعة، وإن لم يكن شفاعة ولا عفو دخلوا النار ولبثوا فيها بقدر عصيانهم، وحينئذ يلزم حجبهم عن الحوض مع أنهم من المسلمين، وهذا لاسيما أن عليهم سيما الوضوء كما جاء في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَرِدُ عَلَيَّ أُمتي الحوضَ وأنا أذودُ الناس عنه كما يذودُ الرجلُ إبلَ الرَّجلِ عن إبله. قالوا: يا نبي الله! أتعرفنا؟ قال: نعم لكم سيما ليست لأحدٍ غيركم؛ تَرِدُونَ عليَّ غرًّا مُحجلين من آثار الوضوء...**»[1].

الثاني: لو كان الورود على الصراط قبل الحوض، للزم ألا يُحجب عن الحوض أحد؛ لأن من جاوز الصراط؛ لا يكون إلا ناجيًا مسلمًا؛ ومثل هذا لا يُحجب عن الحوض.

ومن الأدلة العقلية:

- أن الناس يردون الموقف عطاشى، فمن المناسب ورود المؤمنين الحوض قبل مرورهم على الصراط.
- وأما حديث النضر بن أنس الذي استدل به أهل القول الأول على أن الصراط يكون قبل الحوض؛ فيجاب عنه بأجوبة؛ منها:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه أيضاً (٢٤٩) عن أبي هريرة بسياق آخر، وفيه موضع الشاهد بلفظ مقارب. وأخرجه أيضاً (٢٤٨) من حديث حذيفة وفيه موضع الشاهد بسياق مقارب أيضاً.

أولًا: أن المراد بالحوض في الحديث؛ حوض آخر يكون بعد الجواز على الصراط، لا يذاد عنه أحد، كما جاء في بعض الأحاديث؛ كحديث لقيط بن عامر وفيه: «ثُمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيُّكُمْ وَيَنْصَرِفُ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ، فَيَسْلُكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ، فَيَطَؤُ أَحَدُكُمُ الجَمْرَ فَيَقُولُ: حَسْ. يَقُولُ رَبُّكَ عز وجل: أَوَ أَنَّهُ أَلَا فَتَطَّلِعُونَ عَلَى حَوْضِ نَبِيِّكُمْ عَلَى أَظْمَأَ -وَاللهِ- نَاهِلَةٌ عَلَيهَا قَطُّ مَا رَأَيْتُهَا، فَلَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا يَبْسُطُ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَدَهُ إِلَّا وُضِعَ عَلَيْهَا قَدَحٌ يُطَهِّرُهُ مِنَ الطَّوْفِ وِالبَوْلِ وَالأَذَى»(١).

ثانيًا: أن الحوض نفسه يمتد إلى ما وراء الجسر كما يفيده حديث لقيط هذا، وأن المؤمنين إذا جاوزوا الصراط وقطعوه دنا لهم الحوض فشربوا منه، فإنه ورد أن طوله شهر وعرضه شهر، فإذا كان بهذا الطول والسعة فما الذي يحيل امتداده إلى ما وراء الجسر؟ وعلى هذا: فَيَرِدُهُ المؤمنون مرتين؛ مرةً قبل الصراط، ومرةً بعده؛ جمعًا بين الأدلة، وهذا ما في حيز الإمكان، ووقوعُه موقوفٌ على خبر الصادق.

وهذا كلام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «زاد المعاد» يقول»(٢): إذا كان الحوض بهذه السعة مسافته شهر، فهذا يدل على أنه يمتد، وأنه طويل، وأنه يكون ما وراء الجسر، وأن الناس يردونه مرةً قبل الصراط، ومرةً بعد المرور على الصراط.

وسلك بعض أهل العلم طريقاً للجمع آخر، فقالوا: إن للنبي ﷺ حوضين: أحدهما في الموقف قبل الصراط، والآخر داخل الجنة وهو

(١) الحديث سبق تخريجه.
(٢) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٥٨٨)

الكوثر، وكل منهما يسمى كوثرًا[١]. ولكن هذا لا يصلح جوابًا عن حديث النضر؛ لأنه صرح أنه يوم القيامة. وأجاب الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ عن هذا فقال: وفيه نظر؛ لأن الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثرًا؛ لكونه يُمَدُّ من نهر الكوثر[٢].

وقال الحافظ أيضًا: ظاهر الأحاديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها، وهذا يدل على أن الحوض بعد الصراط؛ إذ لو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر فيه.

وأجاب الحافظ عن الأحاديث التي تدل على منع المرتدين على أعقابهم من الشرب من الحوض، فقال ما مفادُه: وأما ما أُورد عليه من أن جماعة يُدفعون عن الحوض بعد أن يروه ويُذهب بهم إلى النار، فجوابه أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون الجنة، فيُدفعون في النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط .

قُلت: وهذا تأويل بعيد.

وأجاب السيوطي عن إشكال يَرِدُ على القول بأن الحوض يورد بعد الصراط؛ قال: فإذا قيل: إذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة فلا يحتاجون إلى الشرب من الحوض، فالجواب: بل هم محتاجون إلى ذلك؛ لأنهم محبوسون هناك لأجل المظالم؛ فكان الشرب في موقف القصاص، - يعني: يكون الشرب على ما ذكر السيوطي بعد المرور على الصراط؛ لأنه ثبت أن المؤمنين إذا تجاوزوا الصراط حُبسوا على قنطرة بين الجنة

(١) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص ٣٤٧)
(٢) (١١/ ٤٦٦).

والنار قيل: إنها طرف الصراط، وقيل: إن الصراط خاص بالمؤمنين حتى يقتص بعضهم من بعض المظالمَ التي بينهم، فإذا هُذِّبُوا ونُقُّوا دخلوا الجنة.

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: يكون الحوض في هذا المكان.

قلت: ولكن هذا أيضًا بعيد؛ لأن هذا التأويل تَردُّه الأحاديث الكثيرة التي صرحت بأنه يُزاد عن الحوض أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، وهذا يدل على أن الحوض في موقف الحساب لا في موقف قصاص المؤمنين بعضهم من بعض.

وجمع بعض العلماء بين الأحاديث، بجمع آخر وهو: أنه يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم ويتأخر الشرب بعد الصراط لآخرين؛ بحسب ما عليهم من الذنوب والأوزار حتى يُهذَّبوا منها على الصراط. قال بعض أهل العلم: وهو جمع حسن القول، وعلى هذا الجمع؛ يكون هناك حوضان: أحدهما: حوض قبل الصراط، والآخر: حوض بعده، أو أن الحوض نفسه يمتد إلى ما وراء الجسر، كما سبق هذا في الجواب عن حديث النضر.

هذه أقوال العلماء في الحوض هل قبل الصراط أو بعد الصراط؟ لكن سماحة شيخنا: الشيخ عبد العزيز بن باز - غفر الله له ورحمه وجمعنا به في الفردوس الأعلى - تنبه لأمر لم يتنبه له هؤلاء العلماء الذين قالوا: إن الحوض قبل الصراط فقال سماحة شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ: إن صحت الأخبار أنهم يَرِدُون بعد الصراط؛ فهذا نهرٌ يردونه في الجنة؛ لأن الصراط ممدود على متن جهنم؛ يصعد الناس عليه إلى الجنة، فمن جاوز الصراط وصل إلى الجنة، والحوضُ في الأرض؛ فلا يرجعون إلى الأرض مرةً ثانية بعد صعودهم إلى الجنة، وهذا هو الذي تدل عليه الأحاديث، ويدل على ذلك

أنه يذاد أقوام قد غيروا وبدلوا، وهذا يكون في موقف القيامة، أما بعد المرور على الصراط؛ يكون الأمر قد انتهى؛ فمن سقط في النار فقد سقط، ومن تجاوز الصراط وصل إلى الجنة .

مسألة: هل الحوض قبل الميزان أو بعده؟

الجواب: في المسألة قولان لأهل العلم:

أحدهما: أن الميزان أسبق من الحوض، وحُجّةُ هذا القول؛ ظاهرُ حديث النضر بن أنس؛ فإنه قَدَّم الميزانَ على الحوض.

الثاني: أن الحوض قبل الميزان، وهذا هو الراجح، وحُجّةُ هذا القول؛ الأحاديثُ التي تدل على أنه يزاد عن الحوض أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، فلو كان ورود الحوض بعد الميزان: لما حُجب عنه أقوام؛ لأن هؤلاء الذين خفت موازينهم، يعرفون أنه لا سبيل لهم إلى الشرب من الحوض، فلا يردونه إطلاقا .

ويدل على ذلك أيضًا العقلُ؛ لأن المعنى يقتضيه؛ فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشى؛ فمن المناسب أن يكون الورود على الحوض قبل الميزان؛ للحاجة الشديدة إلى الشرب، فيُقدم قبل الميزان(١).

---

(١) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص ٣٤٧)، و«فتح الباري» (١١/ ٤٦٦)

صفة الحوض

الشرح

الذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وأنه في غاية الاتساع، وأن عرضه وطوله سواء، وأن كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وكلما شُرب منه؛ فهو في زيادة واتساع، وأنه ينبت في خلاله من المسك، والرضراضُ من اللؤلو، وقضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر، - فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء - .

مكان الحوض

الشرح

بين القرطبي ﷺ في «التذكرة» أن مكان الحوض لا يكون على هذه الأرض، وإنما يكون في الأرض المبدلة التي قال الله فيها: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، والأرض المبدلة تظهر لنزول الجبار - تعالى - لفصل القضاء، قال القرطبي ﷺ: «ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك، إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة على مسامتة هذه الأقطار أو في المواضع التي تكون بدلاً من هذه المواضع في هذه الأرض. وهي أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم، ولم يُظلم على ظهرها أحد، تظهر لنزول الجبار جَلَّ جلاله؛ لفصل القضاء»[1].

---

(١) انظر: «المفهم» (٦/ ٩٠)

شُبَهُ المنكرين للحوض

الشرح

قال القرطبي تبعًا للقاضي عياض[١] - رحمهما الله -: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله قد خص نبيه محمدًا ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي؛ إذ قد روىٰ ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة ما ينيف على الثلاثين، منهم في «الصحيحين» ما ينيف على العشرين، وفي غيرها بقية ذلك مما صح نقله، واشتهرت رواته، ثم رواه من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم، وهلمَّ جرًّا.

وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف، وأنكر ذلك طائفة من المبتدعة وأحالوه على ظاهره، وغلوا في تأويله، من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهره وحقيقته، ولا حاجة إلى تأويله، فَخَرقَ مَنْ حَرَّفه إجماعَ السلف، وفارق مذهب أئمة الخلف.

والذي أنكره: الخوارجُ وبعضُ المعتزلة، وممن كان ينكر الحوض عبيد الله بن زياد - أحد أمراء العراق لمعاوية[٢] -، وولده الذي يطرد من الحوض ويذاد عنه، فقد دلت الأحاديث على أن الذين ارتدوا؛ كالأعراب الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ: يُطردون ويذادون، ولهذا أخبرنا هذا الحديث أنه: «يُذَادُ أَقْوَامٌ فَيَقُولُ النَّبِيُّ: أَصْحَابِي أَصْحَابِي»[٣]، وفي لفظ:

---

(١) انظر: «التذكرة» (ص ٣٥٠ -ط: دار الريان).

(٢) نقل هذا الإنكار عنه الحافظُ في «الفتح» (١١/ ٤٦٧)، ثم نقل ما يدل على رجوعه عنه.

(٣) انظر البخاري عقب (٦٥٨٥)، ومسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

«يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ... إنَّ هؤلاء إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُم»[(١)].

قال السفاريني[(٢)] رَحِمَهُ اللهُ: إنه يطرد عن الحوض أقوام، أنواع جنس المفترين على الله وعلى رسوله من المُحْدِثين في الدين؛ كالخوارج وسائر أهل الأهواء والبدع المضلة.

وثانيًا: كل من يرتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به، وأشدهم من خالف جماعة المسلمين: كالخوارج، والروافض، والمعتزلة.

وثالثًا: الظلمة المسرفون في الظلم والجور وطمس معالم الحق، وإذلال أهله.

ورابعًا: المتهتكون في ارتكاب المناهي، والمعلنون في اقتراف المعاصي، المستخفون بها.

هذا قول السفاريني رَحِمَهُ اللهُ: يرى أن كل هؤلاء يطردون عن الحوض، لكن ظاهر الأحاديث الصحيحة أن الذين يذادون إنما هم الكفرة المرتدون على أعقابهم عن الديانة؛ هذا هو ظاهر الأحاديث، أما هذه الأنواع التي ذكرها - وهم: المفترون على الله الكذب، وعلى رسوله الكفرة - فلا بأس ولا غبار على هذا القول، أما كون العصاة يذادون، فهذا محل نظر ويحتاج إلى دليل، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: «لوامع الأنوار» للسفاريني (٢/ ١٩٧)، و«التذكرة» للقرطبي (٣٥٢)

الشفاعة

◆ قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ كَمَا رُوِيَ فِي الأَخْبَارِ):

الشرح

الشفاعة في اللغة: قيل: الوسيلة والطلب، والحق أنها مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر، فهي إذًا في اللغة: ضم الشيء إلى الشيء به يصير الشيء زوجًا بعد إذ كان منفردًا؛ فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له.

واصطلاحًا: قيل: سؤال الخير للغير، وقيل: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، وقيل: هي مساعدة ذي الحاجة عند من يملك الحاجة، والمشفِّع والمشفَّع المُشْفِع اسم فاعل من شفع يشفع فهو شافع وشفيع، وهو الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع اسم مفعول من شفع يشفع، وهو الذي تقبل شفاعته .

أقسام الشفاعة:

مُثْبَتَة: وهي لأهل التوحيد: وهي لا تكون إلا للموحدين الذين ماتوا على التوحيد.

ومنفية: وهي لأهل الشرك الأصلي كما قال الله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِر: ٤٨].

أنواع الشفاعة المُثْبَتَة:

النوع الأول: الشفاعة العظمى: وهي التي تكون في موقف القيامة

لإراحة الناس من الموقف، وهي خاصة بنبينا محمد ﷺ، ودليلها حديث الصور الطويل وفيه: «أَنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ آدَمَ، ثُمَّ نُوحًا، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ مُوسَى، ثُمَّ عِيسَى، ثُمَّ يَأْتُونَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَذْهَبُ فَيَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: الفَحْصُ، فَيَقُولُ اللهُ: مَا شَأْنُكَ -وَهُوَ أَعْلَمُ؟- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّي؛ وَعَدْتَنِي الشَّفَاعَةَ فَشَفِّعْنِي فِي خَلْقِكَ، فَاقْضِ بَيْنَهُمْ، فَيَقُولُ الرَّبُّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - شَفَّعْتُكَ، أَنَا آتِيكُمْ فَأَقْضِيَ بَيْنَكُمْ قَالَ: فَأَرْجِعُ فَأَقِفُ مَعَ النَّاسِ»[1] .

ولكن الأئمة حينما يوردون حديث الشفاعة من طرق متعددة لا يذكرون

---

(١) أخرجه اسحاق ابن راهويه في «مسنده» (١٠)، والطبراني في «التفسير» (١٢/ ٥٧٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٢٢- ٨٣٧)، والطبراني في الأحاديث الطوال (ص ٢٦٦- ٢٧٧) كلهم من طريق إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة مرفوعا في حديث طويل، قال ابن كثير في «التفسير» (٢/ ١٩٦) بعد إيراد الحديث من طريق الطبراني: «ثم ذكره بطوله ثم قال: هذا حديث مشهور وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل ابن رافع قاضي أهل المدينة، وقد أُختلف فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يُكتب حديثه في جملة الضعفاء. قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة وأما سياقه فغريب جداً. ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقا واحدا فأُنكر عليه بسبب ذلك، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم»، وأصل حديث الشفاعة في الصحيحين: أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

فيه الشفاعة العظمى، في أن الرب يأتي لفصل القضاء، كما ورد في حديث الصور، مع أن فصل القضاء هو المقصود في هذا المقام، وهو مقتضى سياق أول الحديث؛ فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فمن بعْدَهُ من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه، فإذا وصلوا إلى الجزاء، إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة، وإخراجهم من النار، فما الحكمة من ذلك؟

الجواب: أن مقصود السلف في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث؛ هو الرد على الخوارج، والمعتزلة، والزيدية، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم في بدعتهم هذه المخالفة للأحاديث.

النوع الثاني: الشفاعة لأهل الجنة في الإذن لهم في دخولها: ودليلهم ما في «صحيح مسلم» عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ**»(١).

النوع الثالث: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب: ودليله حديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهو في «الصحيحين»(٢).

ومن الأدلة أيضًا قول الله - تعالى - في جواب قول النبي ﷺ لما قال: «أُمَّتِي أُمَّتِي» قال: «**أَدْخِلِ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ بَابِ الأَيْمَنِ**»(٣)، والذين يدخلون الجنة بغير حساب هم شركاء الناس في

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٦).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٥٧٠٥)، وصحيح مسلم (٢١٨، ٢٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) واللفظ له، من حديث أبي هريرة ﷺ.

بقية الأبواب .

النوع الرابع: الشفاعة في رفع درجات قوم من أهل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثوابهم ومن دليل ذلك حديث أنس: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ**»[(١)] .

فهذه أربعة أنواع لم يخالف فيها أحد، بل إن الخوارج والمعتزلة وافقوا فيها .

النوع الخامس: الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة: ودليلها ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**السَّابِقُ بالخيرات يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، وَالـمُقْتَصِدُ يدخل الجنَّة بِرَحْمَةِ اللهِ، وَالظَّالِمُ نَفْسَهُ وَأَصْحَابُ الأَعْرَافِ يَدْخُلُونَ الجنة بِشَفَاعَةِ محمدٍ ﷺ»[(٢)] .

النوع السادس: الشفاعة في قوم قد أمر بهم إلى النار ألا يدخلونها: ودليلها حديث حذيفة عند مسلم وفيه: «**وَنَبِيُّكُمْ قائمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ**»[(٣)] .

---

(١) سبق قبل حديث قال الحافظ في «الفتح» (١١/٤٢٨) -بعد أن سرد أدلة بعض أنواع الشفاعات-: «ودليل الخامسة: قولُه في حديث أنس عند مسلم: (أنا أول شفيع في الجنة)، كذا قاله بعض من لقيناه؛ وقال: وجه الدلالة منه: أنه جعل الجنة ظرفاً لشفاعته. قلتُ: وفيه نظر؛ لأني سأبين أنها ظرف في شفاعته الأولى المختصة به، والذي يطلب هنا أن يشفع لمن لم يبلغ عمله درجة عالية؛ أن يبلغها بشفاعته. وأشار النووي في «الروضة» إلى أن هذه الشفاعة من خصائصه، مع أنه لم يذكر مستندها».

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٨٩) حديث (١١٤٥٤) قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٦٨٦): «فيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو وضاع»، وبنحوه عن أبي الدرداء مرفوعاً، وانظر كلام الهيثمي حول هذا الحديث في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٥- ٩٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٥).

النوع السابع: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه: وهي خاصة بأبي طالب عم النبي ﷺ، وخاصة بالنبي ﷺ، ودليلها ما ورد من طرق متعددة أن النبي ﷺ قيل له: إن أبا طالب يحميك ويذود عنك ويؤويك فهل نفعته؟ قال: «**نَعَمْ، وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنْ النار فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ**»[1] وفي روايةٍ: «**لعلَّه تنفعُه شفاعتي يوم القيامة فيُجعل في ضَحْضَاحٍ من النار يبلغ كَعْبيه يَغْلي منه دِمَاغُهُ**»[2]، نسأل الله السلامة والعافية.

النوع الثامن: الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ ممن دخلوا النار ليخرجوا منها: وهذا أدلته متواترة؛ فمن ذلك حديث أنس رضي الله عنه: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[3]، وهذه شفاعة تتكرر من النبي ﷺ أربع مرات كما ثبت في حديث أنس، وأنه في المرة الأولى يقال: «**انطلقْ فأخرجْ منها من كان في قلبه مثقالُ شعيرة من إيمان**»، وفي الثانية يقال له: «**انطلقْ فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان**»، وفي الثالثة يقال له: «**انطلقْ فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩) واللفظ له من حديث العباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠)؛ من حديث أبي سعيد الخدري إلا أنَّ مسلماً قال في روايته: «من نارٍ».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٣٥)، وأبو داود (٤٧٣٩) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه»، وصححه ابن حبان (٦٤٦٨)، وقال الحافظ ابن كثير في «التفسير» (١/ ٤٨٨): «وقد روى ابن مردويه من طرق عن أنس، وعن جابر مرفوعاً: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)، ولكن في إسناده من جميع طرقه ضعف، إلا ما رواه عبدالرزاق أخبرنا معمر، عن ثابت، عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»؛ فإنه إسناد صحيح على شرط الشيخيْن، وقد رواه أبو عيسى الترمذي منفرداً به من هذا الوجه، عن عباس العنبري، عن عبدالرزاق».

من خردل من إيمان»، وفي الرابعة يقول: «**لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[(١)].

فهذه ثمانية أنواع للشفاعة المثبتة، المتفق عليها من الأمة، الأربعة الأولى، وهذه الأربعة الأخيرة مختلف فيها: خالف فيها الخوارج والمعتزلة، وأنكروها جهلًا منهم بصحة الأحاديث، وعنادًا ممن علم ذلك، واستمر على بدعته الوعيدية.

والفائدة والحكمة من الشفاعة هي: إكرام الشفيع في قبول شفاعته كما في الحديث: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**»[(٢)]، والحكمة في إلهام الناس التردد إلى غير النبي ﷺ في موقف القيامة؛ يسألون الأنبياء أن يشفعوا لهم، ولم يلهموا لمجيء النبي ﷺ من أول وهلة؛ هو لإظهار فضله وشرفه ﷺ.

أقسام الناس في الشفاعة:

القسم الأول: وهم الذين غلوا في إثباتها، فأثبتوها مطلقة؛ وهم المشركون والنصارى، والمبتدعون من الغلاة في المشايخ، وبعض الصوفية؛ فأثبتوا شفاعة الأصنام والأوثان، ويجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا.

القسم الثاني: وهم الذين غلوا في نفيها، فنفوا شفاعة نبينا محمد ﷺ وغيره في أهل الكبائر، وهم الخوارج والمعتزلة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠) واللفظُ له، ومسلم (١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣٢) وهذا سياقُه، ومسلم (٢٦٢٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

القسم الثالث: وهم الذين توسطوا، وهم أهل السنة والجماعة، فيقرون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر، وبشفاعة غيره، ويشترطون لها شرطين أخذوهما من النصوص:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع، ودليله قول الله -تعالى -: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والشرط الثاني: رضا الله عن المشفوع له، ودليله قول الله - تعالى -: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وهذا القِسْم أيضاً: ينفون الشفاعة عن المشركين؛ عملًا بقول الله - تعالى -: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

الأعمال الموعود عليها الشفاعة:

قال السفاريني رحمه الله إن الأعمال الموعود عليها الشفاعة خمسة[(١)]:

الأول: إخلاص التوحيد، فمن قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه؛ استحقها، ودليله حديث أبي هريرة أنه سأل النبي ﷺ فقال: «**مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ** يوم القيامة؟ **قَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أو نَفْسِه**»[(٢)].

الثاني: الدعاء بما ورد بعد سماع النداء - يعني: إجابة المؤذن - والدعاء بالدعاء الوارد في ذلك، ودليله حديث جابر: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ؛ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ**

---

(١) لوامع الأنوار (٢/ ٢١٥).
(٢) أخرجه البخاري (٩٩).

القِيَامَةِ»[١].

الثالث: الصبر على لأواء المدينة وجدبها، ودليله حديث سعد بن أبي وقاص: «وَلَا يَثبت أَحَدٌ عَلَى لَأْوائِها وَجَهْدِها إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ القِيَامَةِ»[٢].

الرابع: الموت في أحد الحرمين، ودليله حديث سلمان: «مَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الحَرَمَيْنِ اسْتَوْجَبَ شَفَاعَتِي وَكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الآمِنِينَ»[٣].

الخامس: الصلاة على الرسول ﷺ عشرًا في الصباح وعشرًا في المساء، ودليله حديث أبي الدرداء: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمْسِي عَشْرًا أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»[٤].

هذا هو الذي ذكره السفاريني رحمه الله لكن هذه الأنواع فيها نظر.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٦٣) بهذا السياق، وأخرجه بنحوه (١٣٧٨) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦١٠٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤١٨٠)، وقال الزيلعي في كتاب «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف» (١/ ١٩٧): «رُوي من حديث جابر، وأنس، وسلمان، وعمر، وحاطب؛ وكلها ضعيفة». ثم عَزَاها إلى مُخرِّجيها، وبيَّن عللها؛ حديثاً حديثاً. وانظر: «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٨)، وانظر: للأهمية «الفوائد المجموعة» للشوكاني (١/ ١١٤).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» -كما في «جلاء الأفهام» (١٤٣، ٤٤٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٢٠): «رواه الطبراني بإسنادين وإسناد أحدهما جيد ورجاله وُثِّقُوا».
لكن أشار العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣١٤) إلى انقطاعه، وكذا السخاوي في «القول البديع» (ص ١٧٩)، وضعَّفَه الألبانيُّ في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٣٩٦ - الطبعة الجديدة).

أما النوع الأول: وهو إخلاص التوحيد: فهذا لا شك فيه أن من أخلص التوحيد لله فهو من أهل الشفاعة، وهذا في الحديث في «الصحيحين» قال: «**مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[(١)].

أما النوع الثاني: إجابة نداء المؤذن: فهذا مقيد بإخلاص التوحيد.

وأما الثالث: الصبر على لأواء المدينة وجدبها: فالحديث فيه محمول على الموحد الذي اجتنب الكبائر؛ جمعًا بين الأحاديث؛ لأن النبي ﷺ قال: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتُ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**»[(٢)]، **فلا بد من اجتناب الكبائر، قال - تعالى -**: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

وأما النوع الرابع: الموت في أحد الحرمين: وهو في حديث سلمان: «**مَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الحَرَمَيْنِ اسْتَوْجَبَ شَفَاعَتِي وَكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الآمِنِينَ**»[(٣)]، فلا أظن الحديث يصح، فالموت في أحد الحرمين ليس باختيار الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، ولكن الحديث لو صح فهو محمول على المؤمن الموحد، والمؤمن الموحد لا شك أنه من أهل الشفاعة.

النوع الخامس: الصلاة على الرسول عشرًا في الصباح وعشرًا في

---

(١) سبق قبل قليل.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب عن ابن مسعود، وأنس، وأبي بكرة، لكن بأسانيد واهية. انظر: «مجمع الزوائد» (١/ ٢٩٨- ٣٠٠).

(٣) سبق قبل قليل، وأنه لم يصح عن سلمان ولا عن غيره.

المساء: إن صح الحديث؛ فهو محمول على مَنْ فعل ذلك وكان من المؤمنين الموحدين .

شُبهُ المنكرين للشفاعة:

وهم المعتزلة والخوارج الذين أنكروا الشفاعة، وأنكروا أن يخرج أحد من النار بعد دخولها، واستدلوا:

أولًا: بقول الله - تعالى -: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، وقول الله - تعالى -: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقول الله - تعالى -: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨]؛ قالوا: دلت هذه الآيات على أن من دخل جهنم من أهل الكبائر يُخلَّد فيها، ولا تُقبل فيه الشفاعة.

والجواب: أن هذه الآيات مخصوصة بالكفار، ويؤيد هذا سياق الخطاب في الآية الأولى والثالثة، فإن الآية نزلت ردًا على اليهود في زعمهم أن آباءهم يشفعون لهم.

الدليل الثاني: استدلوا بقول الله - تعالى -: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]، ووجه الدلالة أنها دلت على أن صاحب الكبيرة لا تنفعه الشفاعة.

والجواب: أن الآية في الكفار، بدليل وصفهم في الآيات السابقة لها في قوله - تعالى -: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدثر: ٤٢]، إلى قوله: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر: ٤٦].

الدليل الثالث: استدلوا بقول الله - تعالى -: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ

وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، ووجه الدلالة أن الآية دلت على أن الظالم ليس له شفيع يطاع، والعاصي ظالم

والجواب: أن المراد بالظالمين الكفار؛ لأن الظلم إذا أُطلق انصرف إلى الكفر؛ إذ الكفر أعظم الظلم؛ بدليل قول الله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

الدليل الرابع: استدلوا بقول الله - تعالى -: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، ووجه الدلالة: أن الآية دلت على أن من دخل النار فهو هالك لا تنفعه الشفاعة، بل هو مُبْعَدٌ؛ ممقوتٌ؛ غير مرضي عنه: فلا يدخل في قول الله - تعالى -: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]؛ لأن من أخزاه الله: لا يُرتضى.

الجواب: أن المراد بقوله: ﴿تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ [آل عمران: ١٩٢] يعني: تُخلِّد، والمخلَّد في النار: هالك، لا تنفعه الشفاعة؛ إذ الخلود في النار خاص بمن مات على الكفر.

ويجاب عن الشبه الثلاث الأولى: بجواب آخر؛ وهو أن الشفاعة المنفية هي الشفاعة المعروفة عند الناس على الإطلاق؛ وهي أن يشفع الشفيع إلى غيره ابتداءً بدون إذن فيقبل شفاعته، أما إذا أذن له في أن يشفع فشفع؛ لم يكن مستقلًا بالشفاعة، بل يكون مطيعًا له؛ تابعًا له في الشفاعة، وتكون شفاعته مقبولة، ويكون الأمر كله للآمر المسئول، كما قال الله - تعالى -: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

والذي يبين أن هذه هي الشفاعة المنفية قول الله - تعالى -: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١]، وقوله - سبحانه -: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾

[السَّجدَة: ٤]، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقَرَة: ٢٥٥].

والخلاصة: أن المنفيَّ: الشفاعةُ التي يثبتها أهلُ الشرك ومن شابههم من أهل البدع، من أهل الكتاب، والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض، فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع لحاجته إليه رغبةً ورهبةً، وكما يعامل المخلوقُ المخلوقَ بالمعاوضة، فالكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين في الآخرة، ولكن قد يُخَفّف العذابُ عن بعضهم؛ بسبب نُصرته ومعونته، فإنه تنفعه الشفاعة في تخفيف العذاب، لا في إسقاط العذاب بالكلية، وهذا خاص بأبي طالب. وبهذا يتبين أن أدلة الخوارج والمعتزلة التي يستدلون بها في نفي بعض أنواع الشفاعات؛ إنما هي الأدلة التي يُستدل بها كلها في الكفرة.

مسألة: التوسل طلب الشفاعة، والاستشفاع طلب الشفاعة؛ وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يطلبه ويرجوه، والاستشفاع بالنبي ﷺ وغيره في الدنيا إلى الله في الدعاء -بمعنى التوسل به- فإذا قال إنسان: أنا أتوسل بالنبي ﷺ، أو أنا أستشفع بالنبي ﷺ في الدنيا، فما المراد بالتوسل والاستشفاع؟ وهل هو جائز أو غير جائز؟

الجواب: أن هذا مجمل فيه تفصيل؛ لأن التوسل والاستشفاع بالنبي ﷺ يراد به ثلاثة أمور؛ أمران متفق عليهما بين المسلمين، والثالث مختلف فيه.

أما الأمران المتفق عليهما:

فالأول: التوسل بالرسول ﷺ؛ بمعنى: التوسل بالإيمان به وطاعته؛

فهذا فَرْضٌ لا يتم الإيمان إلا به، وهو أصل الإيمان والإسلام .

والثاني: التوسل بالنبي ﷺ؛ بمعنى: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا أيضًا جائز ونافع، وهذا كان في حياة النبي ﷺ، ويكون يوم القيامة حيث يتوسلون بشفاعته. فمن أنكر التوسل بالرسول ﷺ بأحد هذين المعنيين: فهو كافر مرتد يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل مرتدًا، وإن كان الثاني أخفى من الأول .

الثالث: التوسل بمعنى الإقسام على الله بذاته ﷺ والسؤال بذاته؛ فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه لا في الاستسقاء ولا في غيره؛ لا في حياته ولا بعد مماته؛ لا عند قبره ولا غير ذلك، ولا يُعْرف هذا في شيء من الأدعية .

وأما حديث الأعمى الذي فيه قل: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إني توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه لتُقْضى لي، اللهم فشفِعهُ فِيَّ**»[1]؛ فالصواب أن الأعمى توسل بدعاء النبي ﷺ فكان النبي ﷺ يدعو، وهو يؤمِّن.

إذاً: فالتوسل بالذات ممنوع، وكذلك التوسل بالجاه؛ كأن يقول: أتوسل بجاه فلان، أو بحق فلان، أو بحُرمة فلان؛ فهذا ممنوع ومبتَدع[2].

ولكن التوسل الشرعي يكون: إما بدعاء الحي الحاضر؛ كأن يدعو

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٨) واللفظ له، وابن ماجه (١٣٨٥) من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب»، وصححه ابن خزيمة (١٢١٩)، والحاكم (١١٨٠)، وانظر رسالة: «التوسل: أنواعه، وأحكامه» للألباني.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٢٣) وما بعدها.

وأنت تُؤَمِّنُ، أو تتوسل بإيمانك بالله ورسوله وتوحيده، أو تتوسل بعملك الصالح، كما توسل الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة، فتوسل أحدهم ببره لوالديه، والثاني توسل بعفّته عن الزنا، والثالث توسل بأمانته؛ فهذا لا بأس به ومنه قول موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، فلك أن تتوسل بفقرك وحاجتك إلى الله، أو تتوسل بأسماء الله وصفاته.

وفي «الصحيحين» وغيرهما عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم في حديث الشفاعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِلَحْم، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ثُمَّ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَاسَ: الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ .

فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟

فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عليكم بآدم، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ له: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إلى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي؛ اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نَوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ؛ إنكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إلى مَا

نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي -عز وجل قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُها عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي؛ اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ؛ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشفع لنا إلى ربك، أَلَا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لهم: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإني قَدْ كنتُ كذبتُ ثلاث كذبات...، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذهبوا إلى غيري، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى.

فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يا موسى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ برسالته وبكلامه عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى.

فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى؛ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا، أَلَا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا -، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَيَأْتُونَ محمداً ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقد غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَانطلقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي -عز وجل-، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عليه شيئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ

قَبْلِي، ثم يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرفعُ رأسي فَأَقُولُ: أُمَّتِي، يَا رَبِّ؛ أُمَّتِي، يَا رَبِّ؛ فَيُقَالُ يا محمد: أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِم مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذلك مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْير، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1]، أخرجاه في «الصحيحين»، ومسند أحمد، واللفظ للبخاري.

وقد جاء في حديث الصور التصريح بالشفاعة العظمى، ومن مضمونه أنهم يأتون آدم، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم يأتون رسول الله محمد ﷺ، فيذهب فيسجد تحت العرش في مكان يقال له: «الفحص» فيقول الله: «مَا شَأْنُكَ؟» -وهو أعلم- قال رسول الله ﷺ: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، وَعَدْتَنِي الشَّفَاعَةَ فَشَفِّعْنِي فِي خَلْقِكَ فَاقْضِ بَيْنَهُمْ، فَيَقُولُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: شَفَّعْتُكَ، أَنَا آتِيكُمْ فَأَقْضِي بَيْنَكُمْ، قَالَ: فَأَرْجِعُ فَأَقِفُ مَعَ النَّاس»، ثم ذكر انشقاق السموات، وتنزُّل الملائكة في الغمام، ثم يجيء الرب - سبحانه وتعالى - لفصل القضاء، والكروبيون والملائكة المقربون يسبحونه بأنواع التسبيح قال: «فَيَضَعُ اللهُ كُرْسِيَّهُ حَيْثُ شَاءَ مِنْ أَرْضِهِ ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي أَنْصَتُّ لَكُمْ مُنْذُ خَلَقْتُكُمْ إِلَى يَوْمِكُمْ هَذَا أَسْمَعُ أَقْوَالَكُمْ وَأَرَى أَعْمَالَكُمْ، فَأَنْصِتُوا لِي؛ فَإِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ وَصُحُفُكُمْ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

إلى أن قال: «فَإِذَا أَفْضَى أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ قَالُوا: مَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَنَدْخُلَ الجَنَّةَ؟ فَيَقُولُونَ: مَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْ أَبِيكُمْ؟ إِنَّهُ خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢) وهذا سياقهُ، ومسلم (١٩٤)، وأحمد (٢/ ٤٣٥)، ووقع عند مسلم وأحمد: «كما بين مكة وَهَجَر».

وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَكَلَّمَهُ قُبُلًا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَطْلُبُ ذَلِكَ إِلَيْهِ»، وذكر نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمدًا ﷺ إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ: «فَآتِي الجَنَّةَ فَآخُذُ بِحَلْقَةِ البَابِ ثُمَّ أَسْتَفْتِحُ فَيُفْتَحُ لِي فَأُحْيَا وَيُرَحَّبُ بِي، فَإِذَا دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَنَظَرْتُ إِلَى رَبِّي -عز وجل- فَخَرَرْتُ لَهُ سَاجِدًا فَيَأْذَنُ لِي مِنْ حَمْدِهِ وَتَمْجِيدِهِ بِشَيْءٍ مَا أَذِنَ بِهِ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ثُمَّ يَقُولُ اللهُ -تَعَالَى- لِيَ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ؛ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهُ، فَإِذَا رَفَعْتُ رَأْسِي قَالَ اللهُ -وَهُوَ أَعْلَمُ-: مَا شَأْنُكَ؟ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ؛ وَعَدْتَنِي الشَّفَاعَةَ فَشَفِّعْنِي فِي أَهْلِ الجَنَّةِ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فَيَقُولُ اللهُ - عز وجل -: قَدْ شَفَّعْتُكَ وَأَذِنْتُ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ[1]، الحديث رواه الأئمة ابن جرير في «تفسيره»، والطبراني، وأبو يعلى الموصلي، والبيهقي وغيرهما - والله أعلم -.

---

(١) سبق تخريجه تحت القسم الأول من أقسام الشفاعة

الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته[1]

◆ **قَالَ المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ):

الشرح

الميثاق لغة: العهد. والميثاق شرعًا واصطلاحًا: هو العهد الذي أخذه الله - تعالى - من آدم وذريته، والأصل في ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

[الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

فما هو هذا العهد؟

اختلف العلماء في هذا العهد؛ ما هو؟ على قولين مشهورين:

القول الأول: أن الله - تعالى - استخرج ذرية آدم من صلبه؛ من ظهره، وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال؛ بأن الله ربهم، ثم عاهدهم ثم إنَّ الله ميَّزهم إلى أصحاب اليمين؛ وإلى أصحاب الشمال؛ فيكون المقصود بالعهد: أنَّ الله سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمتْ به ما خاطبها ربُّها؛ فشهدت، ونطقت.

القول الثاني: أن الله استخرج ذرية بني آدم بعضهم من بعض من أصلابهم بعد الولادة؛ شاهدين على أنفسهم: أن الله ربهم ومليكهم، وأنه

(١) انظر: «معارج القبول» (١/ ١٨)

لا إله إلا هو؛ فالإخراجُ: من ظهور بني آدم؛ بعضهم من بعض، ومعنى أشهدهم على أنفسهم أي: بلسان الحال لا بلسان المقال؛ أي: دلَّهم على توحيده، وفطرهم عليه؛ بأن بسط لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدتْ بها عقولُهم وبصائرهم التي ركبها الله فيهم، فكل بالغ يعلم ضرورةً أن له ربًّا واحدًا.

فالمراد بالإشهاد: فَطْرهم على التوحيد؛ فكل مولود يولد على الفطرة، فقام ذلك مقام الإشهاد.

والأدلة التي استدل بها أهل القول الأول؛ -بأن الميثاق هو استخراجُه ذريةَ آدم من ظهره - أي: أرواحهم - وإنطاقها، حتى نطقتْ، وشَهِدتْ، ثم أعادها -: كالآتي:

أولًا: حديث عمر بن الخطاب ﷺ الذي رواه الإمام أحمد: أن النبي ﷺ سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، فقال: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ واسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ فَفِيمَ العَمَلُ؟ فَقَالَ رسولُ ﷺ: إِنَّ اللهَ - عز وجل - إِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ الجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٤)، والترمذي (٣٠٧٥) وقال: «هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عُمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار، =

الدليل الثاني: ما رواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّي؛ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَقَالَ: أي: رَبِّ؛ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ، فَقَالَ: رَبِّ؛ كَمْ جَعَلْتَ عُمُرَهُ؟ قَالَ: سِتينَ سَنَةً، قَالَ: أَيْ رَبِّ؛ زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ، فلمَّا قَضَى عُمُرُ آدم المُدَّةُ جَاءَهُ مَلَكُ المَوْتِ فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعُونَ؟ قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ؟ قَالَ: فجحد آدمُ فجحدتْ ذريته، وَنَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ»(١).

هكذا جاء في الحديث. والذي فيه الإشهاد على الصفة التي قالها أهل

= وبين عمر، رجلاً مجهولاً».

والحديث أخرجه أيضاً: مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٨ -تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي)، ومن طريقه أخرجه كُلٌّ من: النسائي في «الكبرى» (١١١٩٠)، وأبي داود (٤٧٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٠ -بتحقيق: مصطفى عبدالقادر)، و(٢/ ٣٥٤، ٥٩٤)، وصححه!! وابن حبان (٦١٦٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ١٣٨- ١٣٩)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٨٨٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٩٦). والحديث ضعّفه الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٨٧)، وفي «السلسلة الضعيفة» (٣٠٧٣). بهذا الإسناد، لكنه صححه لغيره في تخريج «شرح الطحاوية» (٢٦٦) فقال: «صحيح لغيره إلا مسح الظهر؛ فلم أجد له شاهداً». وانظر أيضاً: «السلسلة الصحيحة» (٤/ ١٥٩).

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٧٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. وانظر: «ظلال الجنة» للألباني (١/ ٩٠-٩١).

هذا القول، وردت في أحاديث عن ابن عباس، وابن عمر وتكلم فيها بعضهم، ومن الأدلة حديث ابن عباس الذي رواه الإمام أحمد عن النبي ﷺ قال: «**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم - عليه الصلاة والسلام - بنعمان وهو واد إلى جنب عرفة - يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قُبُلا قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾** [الأعراف: ١٧٢]»[١] إلى آخر الآية ...» وحديث عبد الله بن عمرو الذي

---

(١) (صحيح): أخرجه أحمد (١ / ٢٧٢)، وابن جرير في «التفسير» (٩/ ١١٠- ١١١، دار الفكر)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٠٢)، والحاكم (٢/ ٥٩٣ -تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، والبيهقي في «الأسماء و الصفات» (ص ٣٢٦ - ٣٢٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٩١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار (٣٨٨٩)، وابن منده «في الرد على الجهمية» (ص٢٨- ٢٩). كلهم من طريق الحسين بن محمد المروذي، حدثنا جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:... فذكره.

قال الحاكم: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي. وقد تابع الحسينَ، وهبُ بنُ جرير عن أبيه، به، كما عند الحاكم (١/ ٨٠ -تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، فلم يتفرد به حسين كما قال الحافظ ابن منده في «الرد على الجهمية» ص (٢٩). وقال الألباني -رحمه الله-: و حقهما أن يقيداه بأنه على شرط مسلم، فإن كلثوم بن جبر من رجاله، و سائرهم من رجال الشيخين، لكن قال النسائي عقب إخراجه هذه الرواية (٦/ ٣٤٧): «وكلثوم هذا ليس بالقوي وحديثه ليس بالمحفوظ»، ورجح الحافظ ابن كثير في «التفسير» (٣/ ٥٠١) وقفه على ابن عباس، وتعقبه الألباني بأن هذا الموقوف في حكم المرفوع، لسببين:

الأول: أنه في تفسير القرآن، وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع، ولذلك اشترط الحاكم في كتابه «المستدرك» أن يخرج فيه التفاسير عن الصحابة كما ذكرذلك فيه (١ / ٥٥).

الآخر: أن له شواهد مرفوعة عن النبي ﷺ عن جمع من الصحابة، وهم: عمر بن الخطاب، وعبدالله بن عمرو، وأبو هريرة، وأبو أمامة، وهشام بن حكيم أو =

يرويه مجاهد عنه قال: قال رسول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. قال: أُخذوا من ظهره كما يؤخذ المشط من الرأس فقال لهم: ألست بربكم قالوا: بلى قالت الملائكة: شهدنا ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]»(١).

وأقوى ما يشهد لصحة هذا القول حديثُ أنس المخرَّج في الصحيحين عن النبي أنَّ الله تعالى يقولُ لأهونِ أهل النار عَذاباً: «**لو أنَّ لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم. قال: فقد سألتُك ما هو أهون**

= عبد الرحمن بن قتادة السلمي على خلاف عنهما - ومعاوية بن أبي سفيان، وأبو الدرداء، وأبو موسى، و هي إن كان غالبها لا تخلوا أسانيدها من مقال، فإن بعضها يقوي بعضا. بل قال الشيخ صالح المقبلي في «الأبحاث المسددة» - كما نقله الألباني عن «فتح البيان» (٣/٤٠٦) لصديق حسن خان-: «ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات في ذلك». ثم قال الألباني: ولاسيما وقد تلقاها أو تلقى ما اتفقت عليه من إخراج الذرية من ظهر آدم وإشهادهم على أنفسهم، السلف الصالح من الصحابة والتابعين دون اختلاف بينهم، منهم عبد الله ابن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وناس من الصحابة، وأبي بن كعب، وسلمان الفارسي، ومحمد بن كعب، والضحاك بن مزاحم، والحسن البصري، وقتادة، وفاطمة بنت الحسين، وأبو جعفر الباقر، وغيرهم. وقد أخرج هذه الآثار الموقوفة، وتلك الأحاديث المرفوعة الحافظ السيوطي في «الدر المنثور» (٣ / ١٤١ - ١٤٥)، وأخرج بعضها الشوكاني في «فتح القدير» (٢/ ٢١٥ - ٢٥٢»). انتهى كلام الألباني. وانظر: «الصحيحة» (١٦٢٣)، و«شرح الطحاوية» (ص٢٦٦).

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٩/١١٣ - دار الفكر)، وذكره السيوطي مرفوعاً في الدر المنثور (١: ١٤٢)، وعزاه لابن منده في كتاب الرد على الجهمية، ولكن في المطبوع (ص٦٣ -بتحقيق: الفقهي)، ذكره ابن منده من رواية مجاهد عن ابن عمر ولم يسنده. وكذا وقع تسمية الصحابي عنده، وأخشى أن يكون تصحيفاً، أو خطئاً طباعياً. وقد رواه موقوفاً على عبدالله بن عمرو ابن جرير في «التفسير» (٩/ ١١٢ - دار الفكر)، ورجح ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٢٦٣) الرواية الموقوفة.

من هذا وأنت في صُلب آدم ألا تشرك بي فأبيتَ إلا الشرك»(١)، **وقد روي من طريق أخرى «قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فَيُرَدُّ إلى النار»**(٢)، وليس فيه قوله: «في ظهر آدم».

أدلة القول الثاني الذين يقولون: إن الله - تعالى - نصب الأدلة على ربوبيته، ووحدانيته، وأن الإشهاد كان بلسان الحال، قالوا: آيةُ سورة الأعراف تدل على هذا القول من وجوه:

أحدها: أنه قال في الآية: (من بني آدم) ولم يقل: من آدم.

الثاني: أنه قال: (من ظهورهم) ولم يقل: من ظهره، وهو بَدل بعضٍ، أو بَدل اشتمالٍ؛ وهو أحسن.

الثالث: أنه قال: (ذريتهم) ولم يقل: ذريته.

الرابع: أنه قال: (وأشهدهم على أنفسهم)، ولا بد أن يكون الشاهد ذاكراً لِمَا شهد به، وهو لا يذكر شهادته إلا بعد خروجه إلى هذه الدار؛ لا يذكر شهادته قبل ذلك.

الخامس: أنه سبحانه أخبر أنَّ حِكْمَتَه بهذا الإشهاد؛ إقامة الحجة عليهم؛ لئلا يقولوا يوم القيامة: (إنَّا كنا عن هذا غافلين)؛ والحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة، التي فُطروا عليها بدليل قول الله - تعالى -: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

---

(١) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٣٣٤) واللفظ له، ومسلم: صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٠٥)، وأحمد (٣/١٢٧، ١٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢٠٧).

سادسا: تذكيرُهم بذلك؛ لئلا يقولوا يوم القيامة: (إنا كنا عن هذا غافلين)؛ ولا شك أنهم غافلون عن ذلك الإخراج لهم من صلب آدم؛ كلهم غافلٌ عن هذا، وغافلون أيضاً عن إشهادهم جميعا ذلك الوقت إذْ هذا لا يذكره أحد منهم.

سابعا: أن هناك حكمتين في هذا الإشهاد؛ وهما: لئلا يَدَّعُوا الغفلةَ؛ أو يَدَّعُوا التقليد كما في قوله: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ﴾ [الأعراف: ١٧٣ ذ الغافلُ لا شعور له والمقلد متبع في تقليده لغيره، ولا تترتب هاتان الحكمتان إلا على ما قامت به الحجة من الرسل والفطرة.

الثامن: أن الله توعدهم بجحودهم وشركهم في ادعائهم التقليد في قوله: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، والله - سبحانه - إنما يهلكهم بمخالفة رسلهم وتكذيبهم بعد الإعذار والإنذار بإرسال الرسل؛ إذْ أخبرَ أنه لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون.

التاسع: أنه سبحانه أخبر أنه أشهد كُلَّ واحدٍ على نفسه، واحتج عليه بهذا في غير موضع من كتابه كقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ٢٥]، وإنما ذلك بالفطرة؛ وهي الحجة التي أشهدهم على أنفسهم بمضمونها، وذكرتهم بها رسلُه بقولهم: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ [إبراهيم: ١٠].

العاشر: أنه جعل الإشهاد آية وهي الدلالة الواضحة المبينة المستلزمة لمدلولها وإنما يتضح ذلك بالفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، وهذا شأن آيات الرب تكون واضحة بينة مستلزمة لمدلولها قال - تعالى -: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف: ١٧٤].

ويؤيد هذا القول: أحاديثُ منها: روايةُ الحسن، عن الأسود بن سريع - من بني سعد -: قال: «**غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات قال: فتناول قومٌ الذريّة بعدما قتلوا المُقَاتِلة فبلغ ذلك رسولَ الله** فقال: ألا ما بال أقوام قتلوا المقاتِلة حتى تناولوا الذرية قال: فقال رجل يا رسول الله أوليس أبناء المشركين؟ قال: فقال رسول الله إن خياركم أبناء المشركين إنها ليست نسمةٌ تُولَدُ إلا وُلدتْ على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها»[١].

قال الحسن: ولقد قال الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين قال: قال رسول الله : «**مَا مِنْ مولودٍ يُولَدُ إلّا على الفطرة**»[٢] وفي رواية لمُسلمٍ: «**على هذه الملة**»[٣]. وفي رواية له أيضاً: «إلّا على

---

(١) (صحيح): أخرجه أحمد (٤/ ٢٤) وهذا لفظه، وأخرجه أيضاً في (٣/ ٤٣٥) بنحوه، وقال الهيثمي (٥/ ٣١٦): «رواه أحمد بأسانيد وبعضها رجاله رجال الصحيح». وأخرجه أيضًا: النسائى فى الكبرى (٥/ ١٨٤، رقم ٨٦١٦)، والدارمي (٢/ ٢٩٤، رقم ٢٤٦٣)، وابن جرير (٩/ ١١٢- ١١٣)، والبيهقى (٩/ ٧٧، رقم ١٧٨٦٨)، و (٩/ ١٣٠، رقم ١٨١١٤). وصححه ابن حبان (١/ ٣٤١، رقم ١٣٢)، والحاكم (٢/ ١٣٣- ١٣٤، رقم ٢٥٦٦، ٢٥٦٧)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، وقال أبو نعيم فى الحلية (٨/ ٢٦٣) «حديث الأسود مشهور ثابت». وقال ابن عبدالبر في «التمهيد» (١٨/ ٦٨: «... وهو حديث بصريٌّ صحيح». وانظر «الصحيحة» (٤٠٢)، و«صحيح الجامع» (٥٥٧١).

(٢) أخرجه البخاري الجنائز (١٣٨٥)، ومسلم: القدر (٢٦٥٨)، وأبو داود: السنة (٤٧١٤)، وأحمد (٢/ ٢٣٣)، وفي مواضع أخرى من مسنده، ومالك: الجنائز (١/ ٢٤١ -تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم: القدر (٢٦٥٨).

هذه الملة، حتى يُبَيِّنَ عنه لسانُه»[١].

ومنها حديث عياض بن حمار في صحيح مسلم قال رسول الله «**إني خلقت عبادي حنفاء كُلَّهُمْ، وإنهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم**»[٢].

قالوا: والقول الأول يضعفه أمران؛ إذ هو متضمن لها:

أحدهما: كون الناس تكلموا حينئذ وأقروا بالإيمان وأنه بهذا تقوم عليهم الحجة يوم القيامة. الثاني: أن الآية دلت على هذا، والآية لا تدل عليه بالوجوه العشرة السابقة.

أما الآثار التي استدل بها أهل القول الأول، فأجاب عنها أهل القول الثاني بأنها تدل على أن الله - سبحانه - صور النسمة وقدَّر خلقها وأجلها وعملها، واستخرج تلك الصور من مادتها ثم أعادها إليها وقدر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له، ولا تدل على أنها خُلقت خلقا مستقراً، واستمرت موجودةً ناطقةً كلها في موضع واحد، ثم يوصل منها إلى الأبدان جملة بعد جملة كما قاله ابن حزم. فهذا لا تدل الآثار عليه كما أنها لا تدل على سبق الأرواح الأجساد سبقا مستقرا ثابتا، كما قال من قال: إن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد بل الرب يخلق منها جملة بعد جملة على الوجه الذي سبق به التقدير أولا فيجيء الخلق الخارجي مطابقا للتقدير السابق كشأنه - سبحانه - في جميع مخلوقاته؛ فإنه قدَّر لها أقدارا وآجالا، وصفات، وهيئات، ثم أخرجها إلى الوجود مطابقة لذلك التقدير

---

(١) أخرجه مسلم: (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه مسلم: (الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا) (٢٨٦٥) واللفظ له، وأحمد (٤/ ١٦٢).

السابق.

فالآثار المروية إنما تدل على هذا المقدار، وبعضها يدل على أن الله استخرج أمثالهم وصورهم، وميز أهل السعادة من أهل الشقاوة عليهم هناك، وأما الآثار التي في بعضها الأخذ والقضاء بأن بعضهم إلى الجنة، وبعضهم إلى النار، كما في حديث عمر[١]، وفي بعضها الأخذ وإراء آدم إياهم من غير قضاء ولا إشهاد كما في حديث أبي هريرة السابق[٢]، والذي فيه الإشهاد على الصفة التي قالها أهل الأول قالوا: إنه موقوف على ابن عباس وعمر، وتكلم فيه أهل الحديث، ولم يخرجه أحد من أهل الصحيح غير الحاكم في المستدرك على الصحيحين وهو معروف بتساهله رَحِمَهُ اللهُ لكن قال المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر حديث ابن عباس وعمر صحيحان

---

(١) يشير إلى ما رواه مسلم بن يسار، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذُرِّيَّةً فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون». فقال رجل: يا رسول الله فَفِيمَ العمل؟ قال: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فَيُدْخِلَهُ به الجنة، وإذا خلق العبد للنار اسْتَعْمَلَهُ بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أهل النار فَيُدْخِلَهُ به النار» أخرجه مالك (٢/ ٨٩٨، رقم ١٥٩٣)، وأحمد (١/ ٤٤، رقم ٣١١)، والبخارى فى التاريخ الكبير (٨/ ٩٧)، وأبو داود (٤٧٠٣)، والترمذى (٣٠٧٥)، وقال: حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً». وقال ابن كثير: مسلم بن يسار لم يسمع عمر كذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة. وانظر «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص ٣٢٥)، «والضعيفة» للألباني (٣٠٧١)، وقد تقدّم أنه صححه لشواهده، إلا مسح الظهر؛ فلم يجد له شاهداً.

(٢) تقدم ذكره قريبًا.

مرفوعان وتعليلهما بالوقف على ابن عباس وعمر غير سديد كما بين ذلك عند شرحه لهما في المسند[١].

بعد هذا: هل بين هذين القولين تناف؟ أو هل يمكن الجمع بين هذين القولين؟ قال شيخنا سماحة الشيخ عبد العزيز رحمه الله: لا تنافي بين القولين؛ فإن الأخذ للذرية من ظهر آدم والإشهاد عليهم: كان تقدمةً لبعثة الرسل، والحجةُ إنما قامت ببعثة الرسل؛ فهم الذين ذكَّروهم بتلك الشهادة؛ فقامت للرسل الحجة على الناس، كما لو كان عند الإنسان شهادة ثم نسيها ثم ذكَّره أحدٌ إياها، وقال له: يا فلان اذكر أن عندك شهادة في وقت كذا على كذا. وأيضاً: فإن الأخذ من ظهور بني آدم أخذٌ من ظهر آدم؛ فإن ظهورهم ظهر له؛ وعلى هذا: فلا منافاة بين الأقوال وظاهر هذه الأحاديث، فهذه الأحاديث ظاهرة في أن الله - تعالى - استخرج ذرية آدم أمثال الذّر - الأرواح - وأشهدهم ثم أعادهم - سبحانه وتعالى - وَكَوْنُ الانسانِ لا يذْكُر الشهادةَ؛ لا يستلزم أن يكون ذلك لم يقع؛ فقد جاءت الرسل بعد ذلك، وذكَّرتهم بالشهادة، والحجة إنما قامت ببعثة الرسل، وعلى ذلك فلا منافاة بين القولين.

(١) انظر: «المسند» (١/١٥٧ رقم ٣١١) بتعليق الشيخ أحمد شاكر.

القدر
منزلته، وحقيقةُ الإيمان بالقدر

◆ **قَالَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: (وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، جملة واحدة، فلا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص منه).**

هذا المبحث في القدر، وأن الله - سبحانه وتعالى - عَلِمَ كل شيء، ولا يخفى عليه - سبحانه - شيء.

والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ بحث القدر في مواضع من هذا المتن. والقَدَر بالفتح، والسكون؛ لغةٌ: وهو مصدر قدرتُ الشيءَ؛ إذا أحطت بمقداره[(١)]، واصطلاحا: تعلُّق عِلْمِ الله وإرادته أزلاً بالكائنات قبل وجودها، فلا أمر إلا وقدَّره الله أزلًا، أي: سَبَقَ به علمُ الله، وتعلقت به إرادتُه.

منزلةُ الإيمان بالقدر من الدين: الإيمانُ بالقدر أحد أصول الإيمان الستة، ودليله حديث جبريل، وفيه لما سأل النبيَّ ﷺ عن الإيمان قال له: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[(٢)] فجعله سادس أصول الإيمان، فمن لم يؤمن بالقدر؛ فقد ترك أصلا من أصول الإيمان، وجحده، فيشبه من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ

---

(١) انظر: «لسان العرب» (٥/ ٧٤)، و«الصحاح» (٢/ ٧٤) مادة (قدر).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٨)، والترمذي: الإيمان (٢٦١٠)، والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠)، وأبو داود: السنة (٤٦٩٥)، وابن ماجه: المقدمة (٦٣)، وأحمد (١/ ٥١)، والسياقُ لمسلمٍ وأبي داود.

بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥].

فإذًا: من أنكر القدر؛ فليس بمؤمن، بل ولا مسلم، فلا يُقبَل عملُه. قال العلامة ابن القيم ﷺ بعد ذكر آثار الإيمان بالقدر: «وهذه الآثار كلها تحقق هذا المقام، وتبين أن من لم يؤمن بالقدر؛ فقد انسلخ من التوحيد، ولبس جلباب الشرك، بل لم يؤمن بالله ولم يعرفه، وهذا في كل كتاب أنـزله على رسله». انتهى كلامه ﷺ وهو كلام عظيم للإمام ابن القيم يقول ﷺ: هذه الآثار كلها تحقق هذا المقام، وتبين أن من لم يؤمن بالقدر؛ فقد انسلخ من التوحيد، ولبس جلباب الشرك، بل لم يؤمن بالله، ولم يعرفه، وهذا في كل كتاب أنـزله على رسله؛ فهو يوضّح أن مثل هذا لم يؤمن بالقدر ولم يؤمن بالله بل إنه ليس مؤمنًا، ولم يصح إيمانه.

فالإيمانُ: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، ومن أنكر أو جحد أصلا من هذه الأصول: فقد خرج عن دائرة الإسلام، وصار من الكافرين -نسأل الله السلامة والعافية-؛ لأن هذه الأصول نـزلت بها الكتب، وجاءت بها الرسل، وأجمع عليها المسلمون؛ فمن جحد واحداً منها؛ فقد خرج عن دائرة المسلمين، ودخل في دائرة الكافرين. وهناك آثار وأحاديث جاءت في مقت القدرية[1] لكنها ضعيفة عند أهل العلم، وبعضها موقوف على الصحابة، والموقوف أصح؛

(١) قال البيهقي في «الاعتقاد» (ص٣١٦): «وإنما سموا قدرية؛ لأنهم أثبتوا القدر لأنفسهم ونفوه عن الله سبحانه وتعالى، ونفوا عنه خلق أفعالهم، وأثبتوه لأنفسهم».

ومن ذلك: ما ورد عن ابن عمر ﵄، عن النبي ، أنه قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»[1]، وقال ابن عمر ﵄: «**والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم - يعني: القدرية الذين ينكرون القدر - لو كان لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر**».

ثم استدل بالحديث السابق؛ حديثِ ابن عمر: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**» إلى آخره[2].

---

(١) أخرجه أبو داود: السنة (٤٦٩١) ومن طريقه الحاكم (١/ ١٥٩، رقم ٢٨٦)، والبيهقي (١٠/ ٢٠٣، رقم ٢٠٦٥٨)، كلهم من طريق عبدالعزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال... فذكره، وهذا إسناد منقطع، فأبو حازم وهو سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر -﵄-.
وأخرجه أحمد: (٢/ ٨٦) من طريق أنس بن عياض، ثنا عمر بن عبدالله مولى غفرة، عن عبدالله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال:... فذكره بنحوه. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف عمر بن عبدالله، ضعفه النسائي، ويحيى بن معين، وقال يحيى بن معين: لم يسمع من أحد من أصحاب النبي ﷺ.
ورواه الطبراني في «الأوسط» (٢٤٩٤)، والآجري في «الشريعة» (٤١٩)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢١٢)، والفريابي في «القدر» (٢١٦) كلهم من طريق زكريا بن منظور عن أبي حازم به، بإسناده ضعيف منكر.
ورواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٢٥)، وقال: هذا حديث لا يصح، لكن حسَّنه الألباني في «ظلال الجنة» (٣٣٨)، و (٣٣٩). وورد بمعناه أيضاً من حديث أبي هريرة عند ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٤٢)، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (٣٤٢)، وورد بمعناه أيضاً من حديث جابر بن عبدالله عند ابن ماجه (٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٨)، وغيرهما. وحسَّنه الألباني في «ظلال الجنة» (٣٢٨).

(٢) سبق تخريجه.

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**» يا بني سمعت رسول الله يقول: «**من مات على غير هذا ليس مني**»[(١)] وفي رواية لابن وهب قال رسول الله «**من لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله عز وجل بالنار**»[(٢)] وهذا ذكره الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد.

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: لقيتُ أُبيَّ بنَ كعبٍ فقلت: يا أبا المنذر، إنه قد وَقَعَ في نفسي شيء من هذا القدر فحدثني بشيء - لعلَّه يذهبُ من قلبي - قال: «**لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه؛ لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم، ولو أنفقت جَبَل أُحدٍ ذهباً في سبيل الله عز وجل ما قبله الله منك**

---

(١) (صحيح): أخرجه: أحمد (٥/ ٣١٧، رقم ٢٢٧٥٧)، وابن أبى شيبة (٧/ ٢٦٤، رقم ٣٥٩٢٢)، والطيالسي (٥٧٧)، والبزار في «مسنده» (٢٦٨٧)، وابن جرير فى تفسيره (٢٩/ ١٧)، والترمذي: (٢١٥٥) باب إعظام أمر الإيمان بالقدر، وفي تفسير القرآن (٣٣١٩)، وأبو داود: السنة (٤٧٠٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٢) و(١٠٣) و (١٠٤) و (١٠٥)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٨) و(٥٩) و(١٩٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٤٨)، والبيهقي (١٠/ ٢٠٤). وصححه الألباني في «الطحاوية» (٢٣٢، ٢٧١)، وفي «المشكاة» (٩٤)، وفي «ظلال الجنة» (١٠٢ - ١٠٧).

(٢) أخرجه ابن وهب في القدر (٢٦)، وفيه انقطاع، بين سليمان بن مهران (الأعمش)، وعبادة بن الصامت، فإنه لم يدركه، ويغني عنه مما وقع في بعض روايات الحديث السابق: «فإنَ مت على غير هذا دخلتَ النار».

حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلتَ النارَ. فأتيتُ حذيفةَ فقال لي مثلَ ذلك، وأتيتُ ابنَ مسعود فقال لي مثل ذلك، وأتيتُ زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك»[1] حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه، قد ذكر هذا الحديثَ، الإمامُ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد.

فحقيقةُ الإيمان بالقدر: أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. والقدرُ - كما سيأتي -: سُنّةُ الله في خلقه؛ وهو: أنَّ الله - سبحانه - أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وهدى وأضل، فالقدرُ شاملٌ لكل شيء في هذا الكون؛ للذوات، والصفات، والحركات، والأفعال، ولكن من أهم ما يجب الإيمان به: أن يعلم المسلمُ أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ولكن متى خرجت القدريةُ؟ وما زمن خروجهم؟ ومن أول من تكلم بالقدر؟ خرجتْ القدريةُ في أواخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وأول

---

(١) (صحيح): أخرجه أحمد (٥/ ١٨٢، رقم ٢١٦٢٩) والسياق لَهُ، وابن حبان (٢/ ٥٠٥- ٥٠٦)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، والطبراني في «الكبير» (٤٩٤٠)، والخطيب في «الموضح» (١/ ١٧٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٤٥)، والبيهقي «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٤)، وفي «شعب الإيمان» (١/ ٢٠٣، رقم ١٨٢) كلهم من طريق أبي سنان، عن وهب بن خالد الحميري، عن ابن الديلمي...به، وتابعه سفيان عن أبي سنان. وصححه ابن حبان (٢/ ٥٠٥، ٧٢٧)، والألباني في «الظلال» (٢٤٥)، وفي «المشكاة» (١١٥)، وفي «شرح الطحاوية» (٦٢٩)، ووقع في بعض طرق هذا الحديث من رواية سفيان، عن أبي سنان، عن وهب بن خالد الحميري، عن ابن الديلمي، عن أبي ابن كعب، وفي بعض الطرق من رواية إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي سنان، عن وهب بن خالد عن ابن الديلمي، عن زيد بن ثابت.

من تكلم في القدر شخص يقال له: معبد الجهني بالبصرة(١).

مراتبُ الإيمان بالقدر: مراتبُ الإيمان أربع:

الأولى: مرتبةُ العِلْم، وصفة العلم من الصفات الذاتية لله - تعالى -، وهي تتناول الموجودَ والمعدوم، والواجب، والممكن، والمبتَدَع؛ وذلك: أن عِلْمَ الله محيطٌ بالأشياء؛ على ما هي عليه لا محو فيه، ولا تغيير، ولا زيادة، ولا نقص؛ فإن الله يعلمُ ما كان وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف يكون؛ إذاً فَعِلْمُ الله يتناولُ الموجودَ، والمعدوم، والواجب، والممكن، والمبتَدع، والأدلة على القدر من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى، واتفق على إثبات القدر الصحابةُ والتابعون، ولم يخالف فيها إلا مجوس هذه الأمة، وهم القدرية من المعتزلة ومن وافقهم.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة: وهي أن الله كتب مقادير الخلائق وما هو كائن إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ، والأدلة على إثباتها قول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحديد: ٢٢]، وفي الحديث: «**أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»(٢)، ومن الأدلة على المرتبتين الأوليين قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحج: ٧٠].

---

(١) قال ابن تيمية رحمه الله: «أما فتنة القدر فأول من تكلم بها معبد الجهني رجل من البصرة، وكان عنده حظ من العلم يقال له: معبد بن خالد، ويقال: معبد بن عبدالله ابن عويمر مات بعد الهزيمة، وكان يومئذ مع الأشعث وأصابته جراحة وهو أول من تكلم بالقدر وهو الذي تبرأ منه عبدالله بن عمر بن الخطاب». وانظر: «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٢٧٤)، و«مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٨٤).

(٢) (صحيح): وتقدم تخريجه قريبًا.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة: وهي إثبات مشيئة الله النافذة الماضية وإثبات نفوذ قدرته ومشيئته، وشمول قدرته، ومن الأدلة على إثباتها قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقول الله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣].

الرابعة: مرتبة الخلق والإيجاد: وهي إثبات خلق الله وإيجاده لكل شيء. ومن الأدلة على إثباتها قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١].

فهذه مراتب القدر: العلم، والكتاب، والإرادة، والخلق، وقد نظمها بعضهم فقال:

علم كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو إيجاد وتقدير

مذاهبُ الناس في القدر ثلاثة:

المذهب الأول: مذهب أهل السنة؛ أن كل شيء بقضاء الله وقدره؛ حتى العجز والكيس يعني: حتى العجز والجد والنشاط كلّه بقدر؛ فكل شيء بقضاء الله وقدره، ويدخل في ذلك عندهم: خَلْقُ أفعال العباد، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ومن ذلك: إقرارهم بأن الله - تعالى - يريد الكفر من الكافر، ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه؛ فيشاؤه: كونًا ولا يرضاه: دينًا، وأنه لا حادث إلا وقد قدره الله أزلًا؛ أي: سبق به علمه.

ويعتقد أهل السنة: أن الإرادة قسمان: كونيةٌ قَدَرِيةٌ خلقية؛ ترادفُ المشيئةَ، ودينيةٌ شرعيةٌ أمريةٌ؛ ترادف المحبةَ، ويثبتون أن العبد فاعلٌ حقيقةً، ولكنه مخلوق لله، ومفعول له، ولا يقولون: هو نفس فعل الله؛

فيفرقون بين الخالق والمخلوق، والفعل والمفعول، ويعتقدون أنَّ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله؛ في كل شيء؛ مما يوافق ما شرعه، وما يخالفه؛ من أفعال العبد وأقواله، فالكل بمشيئة الله، فما وافق ما شرعه: رَضِيَه وأحبَّه، وما خالفه: كَرِهَهُ؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزُّمَر: ٧].

المذهب الثاني: مذهب القدرية؛ ومن أصولهم: نفي خلق الفعل مطلقاً فيقولون: أفعال العباد ليست مخلوقة لله يعنون: أفعالهم من خير وشر وطاعة ومعصية؛ لم يقدرها الله ولم يشأها ولم يخلقها[(١)]، وغلاة القدرية والرافضة أنكروا أن الله عالم بالأزل، فالقدرية قسمان: غلاة ومتوسطون، فالغلاة أنكروا المرتبتين الأوليين؛ علم الله وكتابته، والمتوسطون أنكروا عموم المرتبتين الأخريين فآمنوا بالعلم والكتابة، واعترفوا وصدقوا بالمرتبتين الأوليين، ولكن جحدوا عموم المرتبتين الأخريين كما سيأتي؛ فغلاة القدرية القدامى: كمعبد الجهني - الذي سأل ابن عمر عن مقالته - وكعمرو بن عبيد؛ فإنهم ينكرون علم الله المتقدم، وكتابته السابقة، ويزعمون أن الله أمر ونهى وهو لا يعلم مَنْ يطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أُنف أي: مُستأنف، وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين، وكان أول من أظهر ذلك بالبصرة، معبد الجهني، وأخذ عنه هذا المذهب غيلان الدمشقي، فردّ عليه بقية الصحابة كعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وواثلة بن الأسقع، وغيرهم.

فالقدرية ينقسمون إلى فرقتين:

---

(١) قال ابن تيمية رحمه الله: «وقد نص الأئمة كمالك، والشافعي، وأحمد على تكفير قائل هذه المقالة». وانظر «تحقيق مسألة علم الله» (ص ١٧٦-١٧٨).

الأولى: تنكر أن الله سبق علمه بالأشياء مطلقا، وتزعم أن الله لم يقدّر الأمور أزلا، ولم يتقدم علمه بها، وإنما يعلمها إذا وقعت، وهؤلاء هم الغلاة. قال العلماء: وهؤلاء الطائفة انقرضوا، وهم الذين كفَّرهم الأئمة؛ مالك، والشافعي، وأحمد، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي رحمه الله: ناظِروا القدريةَ بالعلم؛ فإن أقروا به: خُصموا، وإن أنكروه: كفروا.

الفرقة الثانية: المتوسطون أو عامة القدرية؛ الذين أقروا بالعلم والكتاب المقرون بالعلم، وإنما خالفوا السلف في زعمهم أن أفعال العباد مقدورة لهم، وواقعة منهم على جهة الاستقلال يعني: يقولون: أفعالُ الله لم يشأها الله، ولا خلقها؛ فيقولون: إن مشيئة الله عامة إلا أفعال العباد، وخلق الله عامٌّ لكل شيء إلا أفعال العباد، وهذا المذهب مع كونه مذهبا باطلا؛ أخفّ من المذهب الأول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهؤلاء مبتدعة ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك. وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد» يعني: يوجد من العلماء من اعتنق هذا المذهب، ومنهم من أخرج له البخاري ومسلم في صحيحهما[١]، لكن من كان داعية إلى بدعته لم يخرجوا له، وهذا مذهب فقهاء الحديث كأحمد وغيره، أنَّ من كان داعية إلى بدعته فإنه يستحق التعزير لدفع ضرره عن الناس، وإن كان في الباطن مجتهدا، فأقل عقوبته أن يهجر فلا يكون له مرتبة في الدين، فلا يُستقضى ولا تُقبل شهادته.

---

(١) قلت: ممن أخرج له الشيخان ممن رمي بالقدر: قتادة بن دعامة السدوسي، وتلميذه سعيد بن أبي عروبة، وشريك بن عبدالله بن أبي نمر، وعبدالله بن أبي نجيح المكي، والحسن بن ذكوان، وغيرهم. وانظر «هدي الساري» (٤٥٩-٤٦٠). وانظر في حكم رواية المبتدع «التقييد والإيضاح» (ص١٤٨-١٥٠).

انتهى كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ.

فالقدرية والمعتزلة؛ نفاةُ القدر: يثبتون للعبد مشيئة تخالف مشيئة الله، أي: تخالف ما أراده الله من العبد وشاءه، ويزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه استقلالاً، بدون مشيئة الله وإرادته وشبهتهم أنهم قالوا: لئلا يلزم على ذلك أن يخلق المعاصي ويعذب عليها وذلك بناءً على أصلهم وهو: أنه يجب على الله فعل الأصلح للعبد، وفعل الأصلح للعبد هو في أن يقدّر لهم الطاعة لا المعصية؛ فلو قدَّر المعصيةَ وعذَّب عليها؛ للزم عليه أن يخلق المعاصي ويعذب عليها.

وللردِّ عليهم نقول: أنتم في قولكم هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار فإنهم هربوا من شيء فوقعوا في شر منه، فإنه يلزم على قولهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله، فإن الله قد شاء الإيمانَ منه -على قولهم- والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئةُ الكافر دون مشيئة الله! وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه بل هو مخالف للدليل النقلي والعقلي، وهل أضل ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر، والكافر شاء الكفر، فغلبت مشيئةُ الكافر مشيئةَ الله؟!.

ثانيا: أنه يلزم على قولهم أنه يقع في ملك الله ما لا يريد.

ثالثا: يلزم على قولهم: الإشراك في الربوبية، وأن الله ليس ربا لأفعال الحيوانات؛ ولأفعال العباد؛ فإن مذهب هؤلاء القدرية: أن الله - سبحانه - ليس على كل شيء قدير، وأن العباد يقدرون على ما لا يقدر عليه، وأن الله - سبحانه - لا يقدر أن يهدي ضالا، ولا يضل مهتديا، وهذا كما قال بعض العلماء: شرك في الربوبية مختصر؛ ولهذا ورد: أن القدرية مجوس هذه الأمة؛ لمشابهة قولهم لقول المجوس، فالقدريةُ يثبتون مع الله خالِقين

للأفعال فليست أفعالهم مقدورة لله، بل هي واقعة بغير مشيئة الله وإرادته، ولا قدرة له عليها أصلاً، بل العباد خالقون لأفعالهم بدون مشيئة الله، فالله -تعالى عن زعمهم- لم يخلق أفعالهم ولم يقدر ذلك عليهم، ولم يكتبه، ولا شاءه؛ فشابهوا المجوس في كونهم أثبتوا خالقاً مع الله؛ ولهذا سُمُّوا: مجوس هذه الأمة، وسُمُّوا قدرية: لإنكارهم القدر(١).

والرد عليهم: بأن ربوبية الله - سبحانه - الكاملة المطلقة تبطل قولَ هؤلاء؛ لأن مقتضى ربوبية الله شاملة لجميع ما في هذا الكون من الذوات، والصفات، والحركات، والأفعال، وحقيقة قول هؤلاء: أن الله ليس رباً لأفعال الحيوانات، ولا تناولتها ربوبيته، وكيف تتناول ما لا يدخل تحت قدرة الله ومشيئة وخلقه؟ وهذا قول عامتهم ومتصوفتهم، وهذا القول شائع في القدرية، يعني: هذا المذهب إنما هو مذهب عامة القدرية.

المذهب الثالث: مذهب الجبرية(٢) هم يقولون: إنَّ العبد ليس بفاعل أصلاً، بل هو مجبور على أفعاله، وأفعاله واقعة بغير اختياره، وأن الفاعل منه سِوَاهُ، والمحرِّكَ له غيرُهُ؛ فهو آلةٌ محضة، وحركاتُه بمنزلة هبوب

---

(١) قال الخطابي رحمه الله: «إنما جعلهم مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذاهبَ المجوس في قولهم بالأصلين وهما: النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره، والله سبحانه خالق الخير والشر لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته. وخلقه الشرَّ شرًّا في الحكمة كخلقه الخير خيرًا». وانظر: «القضاء والقدر» للبيهقي (ص٢٨٣-٢٨٤).

(٢) الجبرية: هم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي، وسموا جبرية؛ لأن مذهبهم: أن العبد مجبور على فعله وحركاته، وأفعاله اضطرارية، فالجبرية يزعمون أن العباد لا يفعلون شيئاً ألبتة، وأن الفاعل عندهم هو الله حقيقة، وإضافة أفعال العباد إليهم عند الجبرية مجاز. وانظر «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٢٧٧)، و«الواسطية» (ص١٠).

الرياح، وحركات المرتعش؛ هذا قولُ عامة الجبرية، وأما متصوفتهم -ممن يزعمون الترقي في مقام الشهود للحقيقة الكونية والربوبية الشاملة-: فيرون أن كل ما يصدر من العبد؛ من ظلم، وكفر، وفسوق: هو طاعة محضة؛ لأنها إنما تجري وفق ما قضاه الله وقدَّره؛ فهو محبوبٌ لديه، مرضي عنه، فإنه وإنْ خالف أمرَ الشرع؛ فقد أطاع إرادته ونفذ مشيئته، وهؤلاء شر من القدرية النفاة وأشد عداوة لله، ومناقضة لكتابه، ورسله ودينه. وتُسمَّى الجبرية قدرية؛ لاحتجاجهم بالقدر وخوضهم فيه، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب. والجبرية والقدرية في طرفي نقيض؛ فالقدرية غلوا في نفي القدر، حتى أخرجوا أفعال العباد عن خلق الله ومشيئته، والجبرية غلوا في الإثبات حتى سلبوا العباد قدرتهم واختيارهم، وزعموا أنهم لا يفعلون شيئا البتة، وإنما الله هو فاعل تلك الأفعال حقيقةً، فهي نفس فعله، لأفعالهم والعبيد ليس لهم قدرة ولا إرادة ولا فعل البتة وأن أفعالهم بمنزلة حركات الجماد لا قدرة لهم عليها، وإمامهم في هذا المذهب، هو: الجهم بن صفوان[1].

والردُّ عليهم: أن هذا المذهب باطل ضرورة؛ لأننا نفرق - بالضرورة

---

(١) هو جهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، مولاهم، السمرقندي، الكاتب المتكلم، أسّ الضلالة، ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، كتب للأمير حارث بن سريج التميمي. وكان ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن، ويقول: إن الله في الأمكنة كلها. وقُتل سنة ١٢٨ هـ مع الحارث بن شريح ضد بني أمية.

وانظر: «تاريخ الطبري» (٧ / ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٦، ٢٣٧)، و«تاريخ الجهمية والمعتزلة» (ص ١٠) وما بعدها للقاسمي، و«ميزان الاعتدال» (١/ ٤٢٦)، و«الملل والنحل» (١ /١٩٩ - ٢٠٠)، والفِصَل(٤ / ٢٠٤)، و«الكامل» لابن الأثير (٥ / ٣٤٢ - ٣٤٤).

- بين حركة البطش، وحركة المرتعش، ونعلم أن الأول باختياره، دون الثاني.

ثانيا: ولأنه لو لم يكن للعبد فعل أصلاً؛ لما صَحَّ التكليفُ، ولا ترتَّب استحقاق الثواب والعقاب على أفعاله، ولا إسناد الأفعال التي تقضي سابقة قصد إلى العبد على سبيل الحقيقة، مثل: صلى، وصام، وكتب، بخلاف مثل: طال، واسودّ لونُه، وجرى النهر، وذهبت الريح.

ثالثا: النصوص القطعية تنفي ذلك وتنسب الأفعال إلى العباد؛ كما قال الله - تعالى -: ﴿...جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السَّجدَة: ١٧]، وقال - سبحانه -: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال - سبحانه -: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النور: ٥٦]، وقال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥]؛ فالعبد هو المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، والمصلي، والصائم؛ حقيقةً، ولا يصح وصف الله بأفعال عباده، فالعبد هو الفاعل حقيقةً؛ بجعل الله له فاعلا، ومنشأ ضلال الجبرية، وشبهتهم: أنهم يقولون: إن العبد لا فعل له؛ لئلا يقع في ملك الله ما لا يريد؛ ولئلا يوجد خالق غير الله؛ يعني: عكس شبهات القدرية.

ومنشأ ضلال كلٍّ منهما هو بالتسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا، منشأ ضلالهم يعني: أنَّ كُلّاً من القدرية والجبرية سووا بين إرادة الله ومحبته.

فإذاً: منشأ ضلال كل منهما: التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا، فالإرادة عند الجبرية واحدة وهي: الكونية، فقالوا: الكون كله بقضاء الله وقدره، فيكون محبوبا مرضيا؛ حتى المعاصي والكفر، والإرادة عند القدرية واحدة،

وهي: الشرعية، فقالوا: ما شرعه الله فقد قدَّره وأمر به، وأحبَّهُ؛ وليست المعاصي محبوبة لله، ولا مرضية له؛ فليست مقدَّرة ولا مقضية، بل هي خارجة عن مشيئته وخلقه.

الرد عليهم: أن نقول: قد دلَّ على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتابُ والسنةُ، والفطرةُ الصحيحة، أمَّا المشيئة فمن الكتاب: قولُ الله - تعالى-: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السَّجدَة: ١٣] وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ [البَقَرَة: ٢٥٣]، وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسَان: ٣٠] وقال: ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ [الأنعَام: ٣٩]، وقال: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعَام: ١٢٥]، وأما نصوص المحبة والرضا فقال - سبحانه -: ﴿...وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٠٥]، وقال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزُّمَر: ٧]، وقال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسرَاء: ٣٨] عقب ما نهى عنه الشرك والظلم والفواحش والكبر، وفي الحديث: «**إن الله كره لكم ثلاثاً قيلَ وقالَ وكثرة السؤال وإضاعة المال**»[1]، وفي المسند «**إن الله يحب أن تُؤتَى رُخَصه كما يكره أن تؤتى معصيتُه**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري: الزكاة (١٤٧٧)، ومسلم: الأقضية (٥٩٣)، وأحمد (٤/ ٢٤٩)، واللفظ له من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ، وفي الباب أيضاً: عن أبي هريرة، وابن مسعود، ومعقل بن يسار، وانظر: «مجمع الزوائد» (١/ ١٥٧- ١٥٨).

(٢) (صحيح): أخرجه أحمد (٢/ ١٠٨، رقم ٥٨٦٦)، وابن حبان (٢٧٤٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٥٢٠١)، والبزار كما فى «كشف الأستار» (١/ ٤٦٩، رقم ٩٨٨)، والطبرانى فى «الأوسط» (٥/ ٢٧٥، رقم ٥٣٠٢)، وقال الهيثمى (٣/ ١٦٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، والبزار والطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن»، وصححه الألباني في «الإرواء» (٥٦٤)، وفي «صحيح الجامع» (١٨٨٥).

ومذهب أهل السنة أن المشيئة والمحبة ليس مدلولهما واحدا، ولا هما متلازمان، بل قد يشاء الله ما لا يحبه، ويحب ما لا يشاء كونه، فالأول: كمشيئته لوجود إبليس وجنوده، ومشيئته العامة لجميع ما في الكون مع بُغْضِهِ لبعضه، والثاني: كمحبته لإيمان الكفار، وطاعات الفجار، ولو شاء ذلك لوُجد ذلك كله؛ فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

ويُردُّ على الطائفتين بقول الله - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: ٩٦] أي: خلقكم والذي تعملون[١]؛ فدلت على أن أفعال العباد مخلوقة لله، وعلى أنها أفعالهم حقيقةً، ففيها الرد على الجبرية الذين يقولون: إن العبد لا فعل له، وفيها الرد على القدرية الذين يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه استقلالاً. ويَردُّ عليهم كذلك بحديث حذيفة: «**إن الله يَصْنَعُ كُلَّ صانع وصنعته**»[٢]، فالله سبحانه خلق الإنسان بجميع أغراضه

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» (٧/ ٢٦): «يحتمل أن تكون «ما» مصدرية، فيكون تقدير الكلام: والله خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى «الذي» تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه. وكلا القولين متلازم، والأول أظهر؛ لما رواه البخاري في كتاب «أفعال العباد»، عن علي بن المديني، عن مروان بن معاوية، عن أبي مالك، عن ربْعِيّ بن حراش، عن حذيفة مرفوعا قال: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته».

(٢) (صحيح): أخرجه البخارى فى «خلق أفعال العباد» (١/ ٤٦)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (١/ ١٥٨ رقم ٣٥٧) ورقم (٣٥٨) وصححه، والبزار في «مسنده» (٢٨٣٧)، والبيهقى فى «شعب الإيمان» (١/ ٢٠٩، رقم ١٩٠)، وفي «الأسماء و الصفات» (ص ٢٦ و ٣٨٨) من طرق عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة مرفوعا به. ووقع في بعض روايات هذا الحديث: «إن الله خالق» بدل «يَصْنَعُ»، وفي بعضهما: «صانع». والحديث صححه الحاكم (١/ ٨٥، رقم ٨٥، ٨٦) وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وقال الألباني رحمه الله: وهو كما قالا، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٧): «رواه البزار ورجاله رجال =

وحركاته.

وهؤلاء الجبرية والجهمية يُخرِجُون عن أفعال الله وأحكامه؛ حِكَمَها ومصالحها؛ فيزعمون أن الله - تعالى - يفعلُ لا لعلةٍ ولا لحكمةٍ، وإنما هو محض مشيئة، وصِرْفُ إرادةٍ، وكان شيخهم الجهم بن صفوان -قبحه الله- يقف على الجَذمى - يعني: المصاب بالجذام فيقول -: أرحم الراحمين يفعل هذا! إنكاراً للرحمة والحكمة(١).

ولهذا الأصل الذي أَصَّلوه لوازم وفروع كثيرة فاسدة ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ من تسعين وجهاً. والذي عليه أهل السنة والجماعة هو: إثبات العلة والحكمة في أفعال الله وشرعه وقدره، فما خلق شيئاً ولا قضاه ولا شرعه، إلا لحكمة بالغة وإن قصرت عنها عقول البشر.

والأدلة الدالة على إثبات هذا الأصل كثيرة، وأنه سبحانه حكيمٌ شَرَعَ الأحكامَ لحكمةٍ ومصلحةٍ؛ فما خلق شيئا عبثاً، ولا خلق شيئاً سدى؛ فمن ذلك قولُ الله - تعالى - ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، **وأمَّا أهل السنة فقد توسطوا**؛ فأثبتوا أن العباد فاعلون حقيقةً، ولهم قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة ومشيئة، وأن الله

= الصحيح غير أحمد بن عبدالله أبو الحسين بن الكردي، وهو ثقة». وصححه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٩٨).
وانظر: «الصحيحة» (١٦٣٧)، و«صحيح الجامع» (١٧٧٧).

(١) انظر: «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٧٧).

خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم؛ فأفعال العبد تضاف إليه على جهة الحقيقة، والله خلقه وخلق فعله كما قال - سبحانه -: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: ٩٦] فأخبر أن العباد يعملون ويصنعون، ويؤمنون ويكفرون، ويفسقون ويكذبون، فللعبد مشيئة ولا تكون إلا بمشيئة الله كما قال - سبحانه -: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، والله أعلم.

◆ **قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: (وقد علم الله - تعالى - فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة).**

هذه الإرادة التي أشار إليها الشيخ، هي المرتبة الأولى من مراتب القدر، وهي: أن الله علم ما يعمله العباد، وأنه يعلم كل شيء سبحانه كما ثبت ذلك في النصوص، ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فهو يعلم أفعال عباده، وحركاتهم، وسكناتهم، وأفعالهم؛ علم ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ قبل خلقه، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً «**كتب اللهُ مقادير الخلائقِ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء**»[١]. فالله علم أفعال العباد وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وخلق ذلك قبل أن تُخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص منه).

---

(١) مسلم: القدر (٢٦٥٣) واللفظ له، والترمذي: القدر (٢١٥٦)، وأحمد (٢/١٦٩).

قولُه: (لا يزداد ولا ينقص منه) لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ كما قال - سبحانه -: ﴿...وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢] والإمام المبين هو اللوح المحفوظ وقال - سبحانه -: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ [الحج: ٧٠] والكتاب هو: اللوح المحفوظ، وقال - سبحانه -: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢] فقوله سبحانه ﴿فِي كِتَابٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] يعني: اللوح المحفوظ.

- **وقول الطحاوي: (وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه).**

معناه: أنَّ أفعالهم وغير أفعالهم؛ فحركاتهم وسكناتهم: كلها مكتوبة.

- **وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكل ميسر لما خلق له).**

معناهُ: أنه تعالى ييسر أهلَ السعادة للسعادة، وييسرُ أهلَ الجنة للسعادة؛ فيعملون بعمل أهل الجنة ويموتون على التوحيد والإيمان ويعملون بعملهم، وييسر الكفرةَ للكفر فيعملون بعمل أهل النار فيموتون على الكفر؛ فيدخلون النار. فالمؤمنون ييسرّهم للإيمان والتوحيد والعمل الصالح، فيموتون على التوحيد؛ فيدخلون الجنة، والكفار ييسرهم للكفر وللمعاصي؛ فيموتون على الكفر؛ فيدخلون النار - نسأل الله السلامة والعافية -.

- **وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ -: (والأعمال بالخواتيم).**

معناهُ: أنَّ من خُتم له بالتوحيد والإيمان؛ صار من أهل الجنة، ومن خُتم له بالكفر؛ صار من أهل النار، كما في الأحاديث الصحيحة كحديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً - وهو من أحاديث الأربعين النووية - «إن **أحدكم يُجْمَعُ خلقُه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم**

يكونُ مضغةً مثلَ ذلك، ثمَّ يبعث الله ملَكاً، ويؤمَرْ بأربع كلمات ويقال له: أكتب عمله، ورزقه، وأجله وشقي أو سعيد، ثم يُنْفَخُ فيه الروحُ، فإن الرجل منكم ليعملُ حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابُهُ فيعملُ بعمل أهل النار، ويعملُ حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعملُ بعمل أهل الجنة»(١).

فهذا الحديثُ يدل على أن الأعمال بالخواتيم ومثل ذلك أيضاً: قولُ الرسول ﷺ: **«ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتب مقعده من النار ومقعده من الجنة»** قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكلّ على كتابنا وندعُ العمل؟ قال: **«اعملوا فكل ميسر لما خلق له»**(٢).

أمَّا مَنْ كان مِنْ أهل السعادة فيُيَسّرُ لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فيُيسّر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ قول الله - تعالى -: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الليل: ٥-٦].

فالسعادة والشقاوة مكتوبة في اللوح المحفوظ.

ثم قال الشيخ: (والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله).

والمعنى: لأن السعادة مكتوبة والشقاوة مكتوبة؛ في اللوح المحفوظ - كما سبق - وكذلك أيضا: فإنَّ كُلَّ شخصٍ - كما في حديث ابن مسعود

---

(١) أخرجه البخاري: بدء الخلق (٣٢٠٨) واللفظ له، ومسلم: القدر (٢٦٤٣)، والترمذي: القدر (٢١٣٧)، وأبو داود: السنة (٤٧٠٨)، وابن ماجه: المقدمة (٧٦)، وأحمد (١/ ٣٨٢).

(٢) أخرجه البخارى (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧)، وأبو داود (٤٦٩٤)، والترمذى (٣٣٤٤)، وأحمد (١/ ١٢٩، رقم ١٠٦٧) من حديث علي ﷺ.

المتقدم - وهو في بطن أمه يُنفخ فيه الروح وتُكتب سعادتُه وشقاوته، وهذه الأمور توافق ما هو مسطورٌ في اللوح المحفوظ؛ لأنَّ الأصل هو ما دُوِّنَ وَكُتِبَ في اللوح المحفوظ؛ فالسعادة والشقاوة كله مكتوب في اللوح المحفوظ؛ هذا في التقدير العام الذي في اللوح المحفوظ والذي هو مكتوبٌ فيه كل شيء ﴿...وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢].

ثم هناك تقدير عمري: لكل شخص وهو في بطن أمه؛ تُكتبُ له السعادةُ والشقاوةُ، والعملُ، والرزقُ، والأجلُ، ثم هناك تقدير سنوي: يكونُ في ليلة القدر؛ يكتب الله فيها ما يكون في تلك السنة من موت وحياة، وإذلالٍ وإعزازٍ، وإشقاء وإسعاد، ثم هناك تقدير يومي: وهو أن الله سبحانه و- تعالى - يُقدِّر ما يكون في كل يوم كما قال - سبحانه -: ﴿...كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرَّحمـٰن: ٢٩]؛ فيُعزُّ، ويُذل، ويخلق، ويحيي ويميت، ويُسعد ويُشقي، ويُفقر ويُغني[1] - سبحانه وتعالى -.

---

(١) ورُوي حديث حسن في هذا الباب رواه ابن ماجه برقم (٢٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره -كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٤)-، وابن حبان في «الصحيح» (٦٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٢-٢٥٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠١) كلّهم: عن هشام بن عمار، ثنا الوزير بن صبيح، حدثنا يونس بن ميسرة بن حلبس، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرَّحمـٰن: ٢٩] قال: «في شأنه أن يغفر ذنبا ويكشف كربا ويجيب داعيا ويرفع قوما ويضع آخرين». قال البوصيري في الزوائد (١/ ٨٨): «هذا إسناد حسن لتقاصر الوزير عن درجة الحفظ والإتقان». وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (٣٠١)، وجاء بمعنى حديث الباب عن عبدالله بن منيب، وابن عمر، لكن بأسانيد واهية. وانظر: «تغليق التعليق» (٤/ ٣٣٢- ٣٣٣)، و «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٣٩٧- ٣٩٨)، وراجع الدارقطني في «العلل» (٦/ ٢٢٩) وقفه.

◆ **ثم قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه)[(١)].**

أصلُ القدر؛ سِرُّ الله في خلقه؛ وهو كونُه أَفْقَر وأغنى، وأوجد وأفنى، وأمات وأحيا، وهدى وأضل، فهذا سِرُّ الله في خلقه لم يَطَّلِعْ عليه أحدٌ من خَلْقه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل؛ فكما تَقَرَّرَ؛ القدرُ سر الله في خلقه يعني: ما أطلَّع عليه أحدٌ منهم؛ فلا يعرفون لماذا أفقر هذا؟ ولماذا أغنى هذا؟ ولماذا أضل هذا؟ ولماذا هدى هذا؟ ولماذا أحيا هذا؟ ولماذا أمات هذا؟ ولماذا أوجد هذا؟ ولماذا أفنى هذا؟ هذا سر الله؛ وله الحكمة البالغة في ذلك، وهو مبنيٌّ على علمه وحكمته، وَلَيْسَ للعبد أن يسأل، ولا أن يعترض، بل يُسَلِّم الأمر لله؛ كما قيل: القَدَرُ سِرُّ الله؛ فلا نكشفه .

◆ **ثم قال الطحاوي: (والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان).**

يعني: أنَّ ذاتَّ التعمق والغوص والبحث في هذا وفي حكمته، والاعتراض على الله: وسيلةٌ إلى الحرمان ووسيلة إلى الطغيان. والذريعة،

---

(١) جاء هذا المعنى في حديث ضعيف أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٨٢) من طريق الهيثم بن جماز، عن أبي بكر عمران القصير، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكلموا في القدر فإنه سر الله، فلا تفشوا لله سره. وهو حديث ضعيف جدًا آفته الهيثم بن جماز وهو متروك. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤١٣١). وجاء نحوه من حديث عائشة عند ابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٩٠)، وضعّفه وحديث ابن عمر معاً، الحافظُ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ١١٦١). وضعف حديث عائشة ابنُ الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٥٥)، وجاء بمعناه أيضاً من حديث أنس، كما عند الخطيب في «التاريخ» (٢/ ٣٨٨)، وفي سنده محمد بن عبد بن عامر، وهو وضاع.

والوسيلة، والدرجة؛ متقاربة؛ لكن الطغيان يكون في مقابلة الاستقامة.

والحرمان في مقابلة الظفر، والخذلان في مقابلة النصر فالحرمان يكونُ في مقابلة الحصول على الظفر، والطغيان في مقابلة الاستقامة، فالخذلان هو الهزيمة في مقابلة النصر؛ فهذه معاني متقاربة، وحاصلُ المعنى: أن التعمق والبحث والغوص والسؤال عن سر الله في خلقه؛ وسيلة إلى حرمان الشخص، وخذلانه ومجاوزة الحد، أي: هو وسيلة إلى حرمانه من التوحيد والإيمان الخالص، ووسيلة إلى طغيانه وتجاوزه الحد؛ فأنت عبد مأمور بأن تسلّم ولا تعترض، فإذا اعترضتَ وتعمقت؛ صار ذلك وسيلة إلى طغيانك ومجاوزتك لحد العبودية، فَتَذَكَّرْ أَنَّكَ عبدٌ مأمور؛ فلا تتجاوز حدك، ولا تسأل، ولا تَقُلْ في قدر الله: لماذا فعل كذا؟ فلا يقال: لماذا؟ ولا يُعترض على أفعال الله ولا على حِكْمته، فلا يقال: كيف؟ فإيَّاك أنْ تعترض على الله بـ (لماذا؟) ولا بكيف؟ لأنَّ مَنْ اعترض على حكمة الله وقدر الله وقال: لماذا فعل كذا؟ أو قال: كيف فعل كذا؟ فقد تجاوز حدَّه ولم يكن موحدًا، ويخشى عليه الانحرافُ والهلاكُ.

ولهذا قال المؤلف: «التعمق في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان الحرمان».

◆ **ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا، ووسوسةً).**

والمعنى: أنه ينبغي للإنسان أن يحذر كل الحذر؛ بالتفكير، والنظر، والوسوسة، والاعتراض على الله، فلا يَقُلْ لماذا خلق هذا؟ ولماذا أوجد هذا؟ ولماذا هدى هذا؟ ولماذا أضل هذا؟ ولماذا أفقر هذا؟ ولماذا أغنى ذاك؟، فلا تعترض عليه تعالى؛ فإذا أفقر أحدًا فلا تقل مثل ما يقوله بعضُ

العامة: (هذا ما يستحق؛ فلان ما يستحق، فلان ليس كفئا لذلك)؛ لأنَّ هذا نوعُ اعتراضٍ على الله! والله حكيم عليم وهو الذي قَدَّرَ أن يكون هذا غنيا أو فقيراً فلا تعترض على الله؛ فله الحكمةُ في ذلك؛ فهو الذي قَدَّرَ أن يكون هذا فقيراً، وأن يكون هذا مؤمناً، وهذا كافراً أو يكون هذا مطيعاً وهذا عاصياً، فلا تعترض، فهذا سر الله في خلقه له الحكمة البالغة وسلِّمْ الأمرَ لَهُ فإن لم تفعل: كان هذا سبباً وذريعةً، ووسيلةً إلى حرمانك من التوحيد الخالص، وسبباً في طغيانك ومجاوزتك الحد.

● **ثم قال الطحاوي: (فإن الله - تعالى - طوى علم القدر عن أنامه).**

أي: طوى علم القدر عن أنامه. والأنامُ هم الناس أي: الخلق، والمعنى أنه تعالى: طوى عِلْمَ القدر عنهم يعني: أخفاه - سبحانه وتعالى - عن الناس؛ لأنه مما اختص به - سبحانه - نَفْسَهُ؛ فلا يعلم ذلك لا ملك مقرَّب، ولا نبي مرسَل، كما لا يعلمون الحكمةَ في خلق هذا، وإيجاد هذا، وإغناء هذا، وإفقار هذا، وإضلال هذا وإماتة هذا؟ ولماذا هذا يعيش لمدة طويلة، ربّما مائة وعشرين، وهذا يموت وهو ابن أربعين، أو دون ذلك، وهذا يموت طفلاً، وآخرُ يموت في بطن أمه؛ فليس لك أن تعترض وتقول: لم؟ ولماذا؟ وكيف؟ لأنه سِرٌّ قد طواه الله عنك، وأخفاه عن الأنام، والناس؛ فله الحكمة البالغة - سبحانه - يحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد.

● **ثم قال ﷺ: (ونهاهم عن مرامه).**

ومُرادُه بقوله: ونهاهم عن مرامه: أي: طلبه، وعن السؤال عنه والبحث عنه.

◆ **وقول المؤلف: (كما قال - تعالى - في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾** [الأنبياء: ٢٣].

معناه: أنه سبحانه لا يُسألُ عما يفعل؛ لحكمته البالغة ورحمته وَعَدْلِهِ لا لمجرّد قهره وقدرته، كما يقول الجبريةُ، فهو - سبحانه - لا يُسأل عَمَّا يفعل لكمال حكمته؛ لأنه حكيم وأمَّا العِباد فإنهم يسألون؛ لأنهم مأمورون؛ منهيون؛ مكلَّفون؛ فالله - سبحانه وتعالى - هو: الكامل في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو الحكيم فيما يقدِّره، وفيما يشرعه فلا يُسأل عما يفعل - سبحانه -، وأما العباد فهم يسألون.

● **وقول الطحاوي: (فمن سأل لم فعل؟ فقد ردَّ حكم الكتاب، ومن رد حُكم الكتاب: كان من الكافرين).**

معناه: أنَّ من سأل فقال: لم فعل كذا؟ ولماذا؟ فقال: لم أغنى هذا؟ ولم أفقر هذا؟ ولم هدى هذا؟ ولم أضَلَّ هذا؟ فقد رد حكم الكتاب؛ يعني: عارض قول الله في قوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]؛ فالله - تعالى - يقول هذا، وأنت تقول: لماذا فعل؟! فلا شك أنه ردٌّ لحكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

● **ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فهذا جملة من يحتاج إليه من هو مُنَوَّر قلبُه من أولياء الله - تعالى -).**

أي: أنَّ هذه الأمور التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القدر، وهي: عدم الاعتراض على الله، والتسليم له، وعدم التعمق؛ هذا الذي يحتاجه من نوَّر الله قلبه من أوليائه، يعني: من أحبابه المؤمنين؛ فأولياء الله هم المؤمنون، كما قال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

• وقوله: (وهي درجة الراسخين في العلم).

لأن الراسخين في العلم، هم الذين يسلمون لقضاء الله وقدره، ويعلمون أن الله - تعالى - حكيم في شرعه، وقدره، وفي أمره ونهيه.

• ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود).

أي أنَّ: العلم علمان: علم في الخلق موجود وهو علم الشريعة وتفاصيلها، وعلم في خلقه مفقود، وهو علم الغيب وعلم القدر الذي غاب وطواه الله عن أنامه؛ فلا تسأل عن العلم المفقود، فعلم الغيب لا يعلمه إلا الله؛ قال - سبحانه -: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن: ٢٦] وقال ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] فلا يعلم الأنبياء شيئا من الغيب إلا ما أعلمهم الله وأطلعهم عليه؛ فالعلمُ المفقود لا تسأله ولا تطلبه؛ وهو علم الغيب، ومن ذلك علم القدر والعلم الموجود علم الشريعة وتفاصيلها، كما تقدَّم.

• وقوله: (فإنكار العلم الموجود كفر وادعاء العلم المفقود كفر).

معناه: أنَّ من أنكر العلم الموجود، وهو علم الشريعة: فقد كفر، وَعِلْمُ الشريعة هو ما جاء في كتاب الله، وسنة رسول الله، فمن أنكرها كفر، ومن ادعى العلم المفقود، وهو علم الغيب: كفر أيضاً[1].

• وقوله: (ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود).

معناه: أنه لا يثبت الإيمان إلا بأن تطلب العلم الشرعي، والمقصود به: الكتاب والسنة، وتترك طلب العلم المفقود، وهو: علم الغيب.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٣٠-٢٤٨)، و«مدارج السالكين» (٢/ ٤٧٥-٤٧٧).

اللوح والقلم

تعريف اللوح والقلم وآراء العلماء فيهما

● قال الإمام الطحاوي - رحمه الله تعالى -: (ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رُقم).

هذا مبحثٌ فيما يتعلق باللوح والقلم. وقوله: (ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رُقم) يعني: نؤمن بجميع ما كَتَبَ به القلمُ، وللمقادير أقلام؛ سيأتي تفصيل القول فيها. والقلم في اللغة: ما يُكتب به، والمراد به هنا شرعًا: القلم الذي خلقه الله، وكتب به المقادير في اللوح المحفوظ، واللوح في اللغة: ما يُكتب عليه، والمراد به شرعًا: اللوح الذي كتب الله مقادير الخلائق فيه، والأدلة على ثبوت اللوح والقلم كثيرة، منها: قول الله - تعالى -: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البُرُوج: ٢١-٢٢]، وفي الحديث الذي رواه الطبراني بسنده أن النبي أنه قال: **«إن الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء كفّتاه ياقوتة حمراء قلمه النور وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر الله فيه كل يوم ستين وثلاثمائة نظرة يخلق في كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء»**[1] الحديث

---

(١) هذا الحديث روي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا وموقوفًا:

أماحديث ابن عباس المرفوع: فأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٦٠، رقم ١٠٦٠٥)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٠٥)، من طريق زياد بن عبد الله، عن ليث، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس، أن نبي الله ﷺ فَذَكَرَهُ.

وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث وهو ابن أبي سليم، قال يحيى بن معين: ليث بن أبي سليم ضعيف إلا أنه يكتب حديثه، وقال أحمد بن حنبل: ليث بن أبي سليم =

رواه الطبراني بسند ضعيف.

ولكن قول الله - تعالى -: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البُرُوج: ٢١-٢٢] يُغني عن ذلك الحديث - على القول بضعْفِه - وكذلك: قول الله - تعالى -: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾ [الحديد: ٢٢] وقوله - سبحانه -: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج: ٧٠] وهذا الكتاب هو اللوح المحفوظ. ومن الأدلة من السنة: حديثُ عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. قال: يا رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»[1]

= مضطرب الحديث، ولكن حدث عنه الناس.

وأما حديث ابن عباس الموقوف: فأخرجه أ الشيخ في العظمة (٢/ ٤٩٢، رقم ٤٢)، والحاكم (٢/ ٥١٦، رقم ٣٧٧١ و (٢/ ٥٦٥، رقم ٣٩١٧)، والطبري في «التفسير» (٢٧/ ١٣٥)، واللالكائي في «الاعتقاد» (١٢٢٥) كلهم من طريق أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به موقو

وهذا إسناد ضعيف فأبو حمزة الثمالي، رافضي ضعفه أحمد ويحيى بن معين، وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: واهي الحديث، وتابعه عن سعيد بن جُبير به، بُكيّر بن شهاب، عند الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٦٠، رقم ١٠٦٠٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩١): «رواه الطبراني من طريقيْن، ورجال هذه ثقات». وبكير هذا قال عنه الذهبي في «المغني» (٩٩٥): «... فعراقيّ صدوق»، وكذا في «الميزان» (٢/ ٦٧)، أما ابن حجر فقال: «مقبول». انظر: «التقريب» (٧٥٧)، وقال الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص٩٣ -ط: السابعة): «وإسناده يحتمل التحسين».

(١) سبق تخريجه.

والحديث صحيح ثابت.

واختلف العلماء في القلم والعرش أيهما أسبق في الوجود؟ على قولين ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمداني[١] أصحهما: أن العرش كان قبل القلم.

والدليل على ذلك: ما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»[٢]. ووجه الدلالة: أن الحديث صريح أن التقدير إنما وقع بعد خلق العرش؛ فدل على أن العرش مخلوق قبل القلم، والتقدير وقع عند أول خلق القلم بلا مهلة، يعني: أن الله أول ما خلق القلم كتب به المقادير؛ لما رواه أبو داود عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب**»[٣] الحديث. يعني: أنه عند أول خلقه القلم

---

(١) هو الإمام الحافظ المقرئ العلامة شيخ الاسلام: أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد الهمذاني العطار، شيخ همذان. مولده في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربع مئة.
وله التصانيف في الحديث، وفي الزهد والرقائق، وقد صنف كتاب «زاد المسافر» في خمسين مجلدا، وكان إماما في الحديث وعلومه. وكان عالما إماما في القراءات، والنحو، واللغة.
وتوفي رحمه الله في جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمس مئة، وله نيف وثمانون سنة.
وانظر: «المنتظم» (١٠ / ٢٤٨)، و«الكامل»: (١١ / ١٦٧) لابن الأثير، و«العبر» (٤ / ٢٠٦)، و«البداية والنهاية» (٢ / ٢٨)، و«الشذرات»: (٤ / ١٣١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) (صحيح): وتقدم تخريجه.

قال له اكتب بدليل الرواية الأخرى «**أولَّ ما خلق الله القلمَ قال له: اكتب**»[1] بنصب (أولّ) على الظرفية، ونصْب (القلمَ) على المفعولية؛ فيكون قوله: «**إن أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب**» جملة واحدة؛ وأما على رواية رفع (أولُ) و(القلمُ) فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم المحسوس المشاهَد، ويكون قولهُ: «**أول ما خلق الله القلم وقال له: اكتب**» جملتيْن ليتفق الحديثان.

إذًا: حديث عبد الله بن عمرو؛ أفاد أن العرش سابق على التقدير، وحديث عبادة بن الصامت أفاد أن التقدير مقارن لخلق القلم؛ يوضحه اللفظُ الآخر: (لما خلق الله القلم قال له اكتب فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة) فهو يوضّح أن الأولية بالنسبة للكتابة. وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية الخلافَ في العرش والقلم؛ أيهما خُلق أولاً؟ واختار أن العرش مخلوق أولاً، فقال رحمه الله:

والناس مختلفون في القلم الذي كُتب القضاءُ به من الدَّيان

هل كان قبل العرش أو هو بعده؟ قولان عند أبي العلا الهمداني

والحق أن العرش قبل؛ لأنه قبل الكتابة كان ذا أركان

فرجَّح أن العرش مخلوق قبل القلم؛ لأنه قبل الكتابة.

وقولُه: والعرش كان ذا أركان؛ يعني: كان موجوداً.

(١) تقدم تخريجه

وأقلام المقادير التي وردت في السنة

أولا: القلم العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذي كتب به في اللوح المحفوظ المقادير هذا القلم العام الشامل لجميع المخلوقات، وما بعده من الأقلام كلها مأخوذة منه وتوافقه(١).

القلم الثاني: خبر خلق آدم، وهو قلم عام أيضا، لكن لبني آدم، وورد فيه آثار تدل على أن الله قدَّر أعمال بني آدم، وأرزاقهم، وآجالهم، وسعادتهم عقيب أبيهم(٢).

القلم الثالث: حين يُرسل المَلَكُ إلى الجنين في بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة(٣).

---

(١) كما في حديث عبادة بن الصامت السابق.

(٢) منها ما رواه مسلم بن يسار، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذُرِّيَّةً فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون».
فقال رجل: يا رسول الله فَفِيمَ العمل؟ قال: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فَيُدْخِلَهُ به الجنة، وإذا خلق العبد للنار اسْتَعْمَلَهُ بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أهل النار فَيُدْخِلَهُ به النار». وقد سبق تخريجه.

(٣) منها حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا ويؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح؛ فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون =

القلم الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه، الذي بأيدي الكرام الكاتبين، الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم، كما ورد ذلك في الكتاب والسنة.

فحاصلُ معنى قوله: (ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رُقم)؛ أنه: لا بد من الإيمان باللوح المحفوظ؛ المذكور في الكتاب العظيم، وأن الله كتب فيه مقادير كل شيء، وما هو مكتوبٌ فيه شامل؛ عامٌ. لا يخرج عنه أي شيء، والمقادير الأخرى كلها مأخوذة منه؛ راجعة إليه كما تقدمت الأدلة على ذلك. وكذلك: الإيمانُ بالقلم؛ قال بعض العلماء إنه هو القلم الذي أقسم الله به في قوله - سبحانه -: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القَلَم: ١].

● **قال الطحاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله - تعالى - فيه أنه كائن، ليجعلوه غير كائن: لم يقدروا عليه. ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله - تعالى - فيه ليجعلوه كائنا: لم يقدروا عليه).**

يعني: أنَّ ما قدَّره اللهُ وكتبه؛ لا يُغيَّر ولا يبدَّل، ولا يستطيع أحد أن يغيره أو يبدله؛ كما قال الله ﷻ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فَاطِر: ٢].

وثبت في حديث ابن عباس حين ما علمه وقال له: «**يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك - إلى أن قال -: واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا**

= بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة». وقد تقدم تخريجه.

بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رُفعتْ الأقلامُ، وجفتْ الصحفُ»[(١)] أي: أقلامُ المقادير؛ قد رُفعتْ وجفت الصحف فلا تُغَيَّرُ، ولا تُبَدَّلُ، ولو اجتمع الكون كلهم على أن يغيروا شيئا مما كتبه الله: ما استطاعوا أن يغيروا ما كتب ليجعلوه غير مكتوب، وَلَماَ استطاعوا أن يزيدوا فيه شيئاً لم يكتب فيه.

● **ثم قال** رَحِمَهُ اللهُ: **(جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة).**

وهذا قَدْ دَلَّ عليه حديث ابن عباس السابق، في قوله عليه الصلاة والسلام: (رفعت الأقلام وجفت الصحف).

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: **(وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه).**

وهذا لأنَّ المقدور كائن لا محالة فلا بُدَّ من الإيمان بهذا؟؛ وأن تعلم أنَّ الذي أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك؛ لأن كل شيء قد كُتبَ في اللوح المحفوظ؛ حتى العجز والكيس؛ فحركاتُ العبد، وسكناتُه، وأقواله، وأفْعاله، وتصرفاته كلها مكتوبة؛ كما في حديث

---

(١) (صحيح): أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣، رقم ٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦) والسياقُ له وقال: «حسن صحيح»، وصححه الحاكم (٣/ ٦٢٣- ٦٢٤، ٦٣٠٣- ٦٣٠٤)، والألباني في «المشكاة» (٥٣٠٢)، وفي «ظلال الجنة» (٣١٦ - ٣١٨)، وله عن ابن عباس طرق، قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص١٨٥): «وقد رُويَ هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة؛ من رواية ابنه علي، ومولاه عكرمة، وعطاء بن أبي رياح، وعبيدالله بن عبدالله، وعمر مولى غُفرة، وابن أبي ملكية وغيرهم، وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي، كذا قال ابن منده وغيره...».

ابن عباس السابق أن النبي قال له: «**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك**»[(١)].

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: **(وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمهُ في كل كائن من خلقه).**

هذا بناءً على ما سبق، والأدلة على هذا واضحة، فعلى العبد أن يعلم أن كل شيء قد سبق به علم الله الشامل لكل شيء، والسابق لكل شيء؛ فالله تعالى يعلم ما كان في الماضي وما يكون في المستقبل وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما قال - سبحانه -: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٧٠]، ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ۝٧٥﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿...وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]. والكتاب المبين: هو اللوح المحفوظ - كما تقدَّم -.

فمن لم يؤمن بعلم الله الشامل؛ فليس بمسلم؛ ولهذا لما أنكر القدرية الأُولى؛ الغلاة علمَ الله الشامل كَفَّرهم العلماءُ، كمالك، والشافعي، وأحمد[(٢)].

وقال فيهم الإمام الشافعي رحمه الله ناظِروا القدرية بالعلْم؛ فإن أقرُّوا به:

---

(١) انظر: التخريج السابق.

(٢) انظر: «تحقيق مسألة علم الله» (ص ١٧٦-١٧٨)، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٧/ ٢٤١).

خُصِمُوا، وإن أنكروه كفروا[١].

فمن أنكر العلم؛ نسبَ الله للجهل، ومن نسب الله إلى الجهل؛ كفر؛ فلا بد من الإيمان بعلم الله الشامل.

◆ **قال المؤلف رحمه الله: (فقدَّر ذلك تقديراً مُحْكَماً، مُبْرَماً).**

قوله: (قدَّر ذلك تقديرا محكما مبرما).

يعني: لا يُغَيرُ، ولا يُبَدَّلُ ذلك التقديرُ المبرمُ المحْكَمُ؛ الذي لا خلل فيه، فلا يمكن أن يُنقض.

● **ثم قال رحمه الله: (ليس فيه ناقض ولا معقب).**

قوله: "ليس فيه ناقض؛ من (الانتقاض)"؛ يعني: لا يستطيع أحد أن ينقض حكم الله، وما قدَّره، وما كتبه في اللوح المحفوظ، ولا يستطيع أحد أن يغيره بزيادة أو نقصان، أو يؤخره أو يقدّمه، فلا معقب لحُكمه، ولا رادّ لقضائه.

● **وقوله رحمه الله: (ولا مزيل ولا مغير).**

يعني: لا أحد يزيل، ولا ينقض، ولا يغيّر، بالزيادة أو النقصان، شيئاً مما كُتِبَ في اللوح المحفوظ أو يَمْحُوَهُ.

● **ثم قال رحمه الله: (ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه).**

ومُرادُهُ: لا يستطيع أحد أن ينقص، ولا أن يزيد مما قضاه وقدر في خلقه السماوات والأرض - سبحانه وتعالى -.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٣/ ٣٤٩).

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: **(وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة).**

● **قوله: (من عَقْد الإيمان).**

يعني أن هذا: من اعتقاد الإيمان وأصل المعرفة، فعلى المسلم أن يعتقد أن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء، وأنه لا يستطيع أحد أن يغير ما كتبه الله، ولا أن ينقضه، ولا أن يقدمه أو يؤخره، ولا أن يزيد فيه ولا أن ينقص منه. كما سبق تفصيله قريباً.

● **وقوله** رحمه الله: **(وذلك من عقد الإيمان، وأصول المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته).**

تقدّم شرحُ بعضِه. ومرادُهُ هنا: الإشارة إلى أنه لا يتم الإيمان بربوبية الله، وأن الله رب الخلائق، ومالكهم، ومتصرف فيهم: إلا بأن تؤمن بأن قضاء الله وقدره، وما كتبه في اللوح المحفوظ: نافذ، ولا يستطيع أحد أن يغيره ولا أن يبدله، ولا أن يزيد منه، ولا أن ينقص منه، ولا أن يمحوه، وإلا فمن لم يؤمن بذلك. لم يؤمن بربوبية الله، ومن لم يؤمن بربوبية الله: لم يوحد الله؛ فيكون كافرا .

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: **(كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾** [الفُرقان: ٢].

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفُرقان: ٢]؛ كل من صيغ العموم ؛ فكل شيء في هذا الكون مخلوق لله، فمعنى: (فقدره تقديرا) أنه سبحانه وتعالى خلقه بتقدير وبإحكام؛ لأنّه - سبحانه - هو الحكيم فيما يخلقه، وفيما يقدره وفيما يشرعه فَخَلْقُهُ، مبني على الحكمة وكذا: شرعه، وأمره، ونهيه، فمن صفاته: الحكمة، ومن أسمائه: الحكيم، خلافًا

للجبرية تعاة الحكمة عن الله، القائلين: إن الرب يخبط خبط عشواء؛ فيجمع بين المختلفين، ويفرق بين المتماثلين - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا -، بل الله حكيم؛ خَلَقَ كل شيء فقدّره تقديرًا.

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿...وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ [الأحزاب: ٣٨].

أي: أنَّ أَمْرَ الله الديني الشرعي، مُقَدَّرٌ تقديرًا؛ فهو مبني على الحكمة؛ فكما أنَّ الآيةَ الأولى أفادت أن خلق الله مبني على الحكمة؛ فكذلك الآيةُ الثانية أفادت أن أمر الله وشرعه ودينه مبني على الحكمة؛ فهو حكيم - سبحانه وتعالى -. وتقدَّم معنا أنَّ الجبرية - قبحهم الله - من الجهمية وغيرهم، يقولون: الإرادةُ الإلهية تخبط خبط عشواء؛ من دون تقدير ومن دون حكمة، فتجمعُ بين المتفرقات والمختلفات، وتفرِّقُ بين المتماثلات، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وهذه الآيات ردٌّ عليهم فقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]؛ هذا في المخلوقات، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] هذا في الشرعيات في الأوامر والنواهي؛ أي فيما يأمره الله ويشرعه.

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيما).**

الويل: شدة العذاب والهلاك، وقيل: وادٍ في جهنم(١)، فهذا الوعيد

---

(١) جاءت هذه التسمية في حديث ضعيف يروى عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره».
أخرجه الترمذي (٣١٦٤) وأحمد (٣ / ٧٥)، والحاكم (٢/ ٥٥١، ٥٨٣)، و (٤/ ٦٣٩)، وصححه، وأبو يعلى (٣/ ١٣٨)، وَعَبْدُ بن حُميد في «المسند» (٩٢٤)، وابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٩٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٧٩٨)، =

بـ«الويل» لمن صار لله في القدر خصيمًا، وخصيم: فعيل بمعنى مخاصم، فهذا المُخاصمُ لله في قضائه وقدره؛ الذي لا يؤمن بهما، ويعترض على الله، ويقول: لماذا فعل كذا؟، وكيف فعل كذا؟، لماذا أغنى هذا؟، ولماذا أفقر هذا؟، ولماذا أشقى هذا؟، ولماذا أسعد هذا؟، ولماذا هدى هذا؟، ولماذا أضل هذا؟، ولماذا خلق الله كذا؟؛ لماذا خلق الله الحيات والعقارب؟، ولماذا خلق الله السباع والهوام؟، ولماذا جعل الله الحر والبرد؟ فيعترض على الله في خلقه وشرعه ودينه؛ هذا خصيم لله؛ مخاصمٌ له، ويل له؛ ويل لمن كان لله في القدر خصيمًا، الذي هو سر الله في خلقه.

◆ **ثم قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما)**.

سَبْبُ وصْف قلبه بالسقم؛ الذي هو المرض؛ فلاعتراضه على الله، وشكّه في حكمته، وظنّه بربه ظن السوء كظن المنافقين والكفرة. قال سبحانه: ﴿...وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠﴾ [الأحزاب: ١٠] وقال سبحانه فيه وفي

= وابن جرير في «التفسير» (١/٣٧٨)، وابن حبان (٧٤٦٧)، عن دراج عن أبي الهيثم عنه به، وقال الترمذي: «حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة». وأورد هذا عن الترمذي الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/١١٨)، ثم تعقبه قائلاً: «لم ينفرد به ابن لهيعة كما ترى، ولكن الآفة ممن بعده. وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعاً؛ منكر، والله أعلم». يعني: أنه تابع ابنَ لهيعة عن دارج به، عمُرو بن الحارث كما في رواية الحاكم، وابن المبارك، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهم. وهذا إسناد ضعيف فدراج هو ابن سمعان أبو السمح القرشي ضعيف صاحب مناكير، قال أبو حاتم: في حديثه ضعف. وقال الدارقطني: ضعيف، و قال في موضع آخر: متروك، وقال أحمد بن حنبل: أحاديث دراج، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد فيها ضعف. وانظر «ضعيف الجامع» (٦١٤٨). وثمّة آثار أخرى أوردها السيوطي في «الدرر المنثور» (١/٢٠٢)، (٥/٤٠٥)، عن الصحابة وغيرهم.

أمثاله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح: ٦].

فالمنافقون ظنوا أن الله لا يتم هذا الدين ويقضي عليه، وأنه يخذل رسوله، ويقضى عليه وعلى صحابته، وهذا من ظنّ السّوء، وكذلك من اتهم ربه، وظن به ظنا سيئا، وأنه ليس حكيما في شرعه، أو ليس حكيما فيما يقدره ويخلقه؛ فهذا قد أحضر للنظر فيه قلبًا سقيمًا مريضًا.

والمرض نوعان: مرض شبهة، ومرض شهوة. فمرضُ الشبهة: مرض الشكوك؛ كمرض النفاق؛ كما في قوله سبحانه: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة: ١٠] ومرضُ الشهوة: شهواتُ المعاصي؛ كقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وأسوأ الشبهة ما كانت الشبهة فيه في الصفات، فالشبهة إمّا أن تكون في الصفات، أو تكون في القدر أو فيهما، وهذا الذي أشار إليه الشيخ، داؤهُ ومرضه من جهة القدر، وأيضا: القلب قد يموت، كما قال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]؛ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] بالكفر، ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] بالإيمان. ومن علامة مرض القلب أنْ لا يشعر بالمعاصي والمنكرات، فضلاً عن أنْ يُنْكِر المنُكر، ولا يؤلمه كونه مقيماً على الجهل، وأعظَمهُ: الجهل بالله وبأسمائه وصفاته، وكونه جاهلا بحقائق الإيمان، وبما يجب عليه تجاه ربه، من القيام بوظائف العبودية؛ فلا يتعلم العلم الذي يدفع به عن قلبه معرَّة الجهل؛ وهذا دليل استحكام داء الجهل من قلبه، لكن من الناس مَنْ يشعر بمرضه، لكن لا يستطيع تحمل مرارة الدواء، مع معرفته أن دواءه في طلب

العلم وسؤال العلماء ومزاحمة الطلبة بالرُّكب على مرارة الدواء، فيبقى قلبه مريضا - نسأل الله السلامة والعافية -.

فالحاصل: أن خصماء الله في القدر، وأصحاب الشُّبه في هذا الباب، هم مرضى القلوب؛ كهؤلاء الذين يعترضون على الله، وينفون حكمته من الجبرية وغيرهم.

◆ **ثم قال المؤلف** رحمه الله: **(لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرًّا كتيما).**

التمس يعني: طلب بوهمه وبتوهمه وظنونه وشكوكه في الفحص والبحث عن الغيب؛ لأنَّ القدر سر الله؛ غيَّبَهُ عن المخلوقين، لا يعلمه إلا هو - سبحانه - فلا تعترض أيها العبد المأمور على ربك، فلا تقل: لم؟ وكيف؟ لأنك إنْ كنت تريد أن تبحث عن هذا السر، فإنك ببحثك هذا سرا كتيما، وكتيم؛ فعيل بمعنى مفعول يعني: مكتوما؛ فقدرُ الله سر لم يُطْلِعْ عليه أحدًا، فكيف تريد أن تلتمس بظنونك وشكوكك وشبهاتك وقلبك المريض البحث عن هذا السر الكتيم؟!

إثم من تكلم في الغيب

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا):

الشرح

● قوله: (وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ):

أي: في القدر؛ يعني: بظنونه وتوهمه، فأصبح كذابًا أثيمًا، هذه هي النتيجة؛ لأنه لما تعدى حدوده، وطغى وتجاوز الحد، وطلب معرفة الغيب، وسر الله في خلقه بوهمه وظنونه، عاد بما قال أفاكًا كذابًا أثيمًا، وقد يكون كافرًا بسبب تجاوزه الحد وطغيانه، كما سبق أن قال المؤلف: (هَذِهِ ذَرِيعَةُ الخُذْلَانِ وَسُلَّمُ الحِرْمَانِ وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ).

العرش والكرسي

الله سبحانه غني عن العالمين محيط بكل شيء

◆ قَالَ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ حَقٌّ، وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ العَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلْقَهُ):

الشرح

في هذا بيان أن الله - سبحانه وتعالى - غني عن العالمين، وأنه - سبحانه وتعالى - محيط بكل شيء فهو - سبحانه - متصف بالغنى، فلا يحتاج إلى أحد، لا إلى العرش، ولا إلى الكرسي، ولا إلى السماوات، ولا إلى الخلائق أجمعين؛ لأنه - سبحانه وتعالى - له وصف الغنى، فهو غني بالذات، كما قال - سبحانه -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦]، وهو - سبحانه وتعالى - محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠﴾ [البروج: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦﴾ [النساء: ١٢٦]، وليس المراد من إحاطته بخلقه - سبحانه - أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا - وهذا معنى فاسد قد يفهمه البعض، كبعض الملاحدة الحلولية الذين يقولون: إن الله حالٌّ في المخلوقات، فيُفسِّرُون: معنى إحاطة الله بخلقه؛ أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخله، وهذا باطل كما مضى.

والصحيح أن المراد بالإحاطة: عظمته، وسعة علمه وقدرته، وأن

المخلوقات بالنسبة إلى عظمته حبة صغيرة؛ كالخردلة، كما ثبت عن ابن عباس ﵄ أنه قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيها في يد الله - عز وجل - إلا كخردلة في يد أحدكم»[1]، ومعلوم - ولله المثل الأعلى- أن الواحد منا إذا كانت عنده خردلة؛ إن شاء قبضها وأحاط قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالينْ مباين لها؛ عالٍ عليها؛ فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وَصْفُ واصفٍ؛ لو شاء سبحانه لقبض السماوات والأرض اليوم، وفعل بها كما يفعل بها يوم القيامة، فهو سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء، وهو محيط بكل شيء .

والعرش والكرسي مخلوقان عظيمان من مخلوقات الله ﷻ وفي الأثر عن ابن عباس ﵄: أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يقدر قدره إلا الذي خلقه»[2]، وأصل العرش في اللغة: السرير الذي

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» بهذا السياق (٤٧٦/٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤- ٢٥)، وابن أبي حاتم في التفسير، ونقله عنه بسنده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٨٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (ح١٣٥) جميعًا من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس ﵄ قال: فذكره.
وفي إسناده عنعنة أبي الجوزاء، وهو ثقة، لكنه يرسل كثيرا. ويشهد لمعنى هذا الأثر الآية القرآنية: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

(٢) قال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه «تفسير الطبري» (٥ /٤٠١): الصحيح عن ابن عباس ما رواه عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يقدر قدره إلا الذي خلقه».
قال: وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها. اهـ، والأثر في «العظمة» لأبي الشيخ (ح/ ٧)، و«السنة» لعبدالله بن الإمام أحمد (٥٩٠)، وانظره في «فتح الباري» (١٩٩/٨)، وصححه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (ح/ ٤).

للمَلِك كما قال تعالى عن بلقيس مَلِكَة سبأ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النَّمل: ٢٣]، وسُمِّيَ عرشًا؛ لارتفاعه عليه، -: والاشتقاق يشهد لذلك، كقول الله تعالى: ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، المعروشاتُ: الشجر المعروش الذي قام على ساق؛ وغيرُ المعروش: المنبطح على الأرض؛ فالعينُ والراء والشين؛ تدل على الارتفاع؛ قال الله تعالى عن بلقيس: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النَّمل: ٢٣]، وقال عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يُوسُف: ١٠٠].

والمراد بالعرش في النصوص: العرش الذي أضافه الله لنفسه - سبحانه وتعالى - في مثل قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هُود: ٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقَّة: ١٧]، وهو سريرٌ عظيمٌ؛ ذو قوائم؛ تحمله الملائكة؛ وهو كالقبة على العالَم، وهو سقف هذه المخلوقات، وهذا العرش وصفه الله بالعظمة؛ كما في قوله سبحانه: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦]، ووصفه بأنه كريم، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وكما تمدح - سبحانه - نَفْسَهُ بأنه ذو العرش، كما في قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢]، وقال سبحانه: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥] [سورة غافر آية: ١٥]، كما أخبر - سبحانه - أن للعرش حملة؛ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧]، وقال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقَّة: ١٧]، فأخبر أن للعرش حملةً؛ اليومَ ويوم القيامة، وأن حملته ومن حوله يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون

للمؤمنين كما أخبر - سبحانه - أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض، فقال - سبحانه -: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، وأخبر النبيُّ أن للعرش قوائم؛ ففي «الصحيحين» عنه أنه قال: «**لَا تُخَيِّرُوني من بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يومَ القِيامةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**»[(١)]، كما أخبر النبي أن العرش فوق الفردوس، الذي هو أوسط الجنة وأعلاها، وأن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها، وفوقه عرش الرحمن، ففي الحديث: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ وَسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**»[(٢)]، كما أخبر النبي ﷺ أن العرش مقبب على هذا العالم كما في حديث الأعرابي: «**أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٨) والسياق له، ورواه في مواضع أخرى من الصحيح، ومسلم مختصرًا (٢٣٧٤/ ١٦٢، ١٦٣) من حديث أبي سعيد، وأخرجه البخاري بنحوه (٢٤١١، ٣٤٠٨، ٣٤١٤، ٤٨١٣، ٦٥١٧، ٦٥١٨، ٧٤٢٨، ٧٤٧٢)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠، ٧٤٢٣) من حديث أبي هريرة، ولفظه -كما في الموضع الأول- قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أُراه قال: وفوقه عرشُ الرحمن ومنه تَفَجَّر أنهارُ الجنة» قال محمد بن فُليح عن أبيه: «وفوقه عرش الرحمن».

بِيَدِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ»(١).

كما أخبر النبي ﷺ أن التقدير بعد وجود العرش، وقبل خلق السماوات والأرض، ففي حديث عبدالله بن عمرو ﷺ عن النبي أنه قال: «إِنَّ اللهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) فقال: حدثنا عبدالأعلى بن حماد، ومحمد بن المثنى، ومحمد بن بشار، وأحمد ابن سعيد الرباطي، قالوا حدثنا وهب بن جرير، قال أحمد: كتبناه من نسخته، وهذا لفظه. قال: حدثنا أبي قال سمعت محمد بن إسحق يحدث عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه عن جده قال: «أتى رسولَ الله ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وضاعت العيال، ونهكت الأموال وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: ويحك أتدري ما تقول؟ وَسَبَّحَ رسولُ الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه؛ شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إن عرشه على سماواته لهكذا. وقال بأصابعه مثل القبة عليه وإنه ليئط به أطيط الرَّحْل بالراكب».
قال ابن بشار في حديثه: «إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته». وساق الحديث. وقال عبدالأعلى وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عتبة، وجبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده. قال أبو داود: والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح، وافقه عليه جماعةٌ منهم يحيى بن معين وعلي بن المديني، ورواه جماعة عن ابن إسحق كما قال أحمد أيضا وكان سماعُ عبدالأعلى وابن المثنى وابن بشار من نسخة واحدة فيما بلغني». اهـ
وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢/ ٣٦٥): حديث ابن إسحاق في «المسند» وغيره، وفي آخره: «إن عرشه لعلى سماواته وأرضه هكذا مثل القبة، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب». وابن إسحاق مدلس، ولم يصرح بالسماع في شيء من الطرق عنه، ولذلك قال الذهبي في «العلو» (ص ٢٣): «هذا حديث غريب جدًا فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم.
وعلقه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١/ ١٧): قال: وقال جبير بن مطعم، عن النبي ﷺ: «إن الله على عرشه فوق سماواته، وسماواته فوق أراضيه مثل القبة».

أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[(١)].

فتلخص من مجموع هذه النصوص في أوصاف العرش ما يأتي:

أولاً: أن الله مدح نفسه بأنه رب العرش وذو العرش، مما يدل على أهمية العرش وميزته على المخلوقات.

ثانياً: وُصِفَ العرشُ بأنه عظيم، وأنه كريم، وأنه مجيد.

ثالثاً: وُصِفَ العرشُ بأن له حَمَلَةً، وأن الملائكة تحفّ به؛ من حوله.

رابعاً: أن العرش هو أعلى المخلوقات وسقفها، فهو فوق الفردوس؛ الذي هو وسط الجنة، وأعلى الجنة.

خامساً: أن للعرش قوائم.

سادساً: أن العرش مُقَبَّبٌ على العالَم.

سابعاً: أن العرش سابقٌ وجوده على تقدير المقادير، وأن تقدير المقادير سابقٌ خلق السماوات والأرض؛ هذا هو الصواب، وذهب بعض أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه، محيط بالعالم من كل جهة، وربما سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس.

فقولُ بعض أهل الكلام: إن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه، محيط بالعالم من كل جهة، يعني: أن العرش مُغَلِّفٌ لجميع العالم، فالعالم كله - السموات، والأرض كلها - في جوف العرش، هذا قاله بعض أهل الكلام كما سبق، لكن هذا ليس بصحيح؛ لأنه قد ثبت في النصوص أن له قوائم، كما سبق في حديث «الصحيحين»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١٢) من حديث أبي سعيد، وقد تقدم تخريجه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)(٢)] رحمه الله: العرش مقبب، ولم يثبت أنه مستدير مطلقًا، بل ثبت أنه فوق الأفلاك، وأن له قوائم، وصح في علوه - أي: العرش - قوله : «إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ وَسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَاهَا، وَفَوْقَهُ عُرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ[(٣)]»، **وعلى كل تقدير، فالعرش فوق المخلوقات؛ سواء أكان محيطًا بالأفلاك أو غير ذلك، وهو فوق الكرسي، والكرسي فوق الأفلاك كلها، ونسبة الأفلاك وما فيها إلى الكرسي، كحلقةٍ في فلاة**، قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، إذًا: العرش أعظم المخلوقات، ثم يليه في العِظَم؛ الكرسي، وقد نقل بعضهم أن الكرسي هو عِلْمُ الله، لكن هذا قول ضعيف، ونسبتُه إلى ابن عباس لم تثبت[(٤)]، فإن علم الله وسع كل شيء؛

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٠، ١٥١) (٦/ ٥٥٦).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٤٦).

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٩)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٢١)، من طريق: جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال ابن منده، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٦٧٩): «ولم يتابع عليه جعفر، وليس هو بالقوي في سعيد بن جبير». وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٠٩). وعلقه البخاري لكن من قول سعيد بن جبير، وقال الحافظ في «فتح الباري» (٨/ ١٩٩): وصله سفيان الثوري في تفسيره في رواية أبي حذيفة عنه بإسناد صحيح.
وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من وجه آخر عن سعيد بن جبير فزاد فيه عن ابن عباس.
وأخرجه العقيلي من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ، وهو عند الطبراني في كتاب السنة من هذا الوجه مرفوعا، وكذا رويناه في فوائد أبي الحسن علي بن عمر الحربي مرفوعا، والموقوف أشبه. =

= وقال العقيلي إن رفعه خطأ ثم هذا التفسير غريب.
وقد روى ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس أن الكرسي موضع القدمين.
وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى مثله.
وأخرجا عن السدي «أن الكرسي بين يدي العرش وليس ذلك مغايرا لما قبله والله أعلم». اهـ. كلام الحافظ ابن حجر، وانظر: «تغليق التعليق» (٤/ ١٨٥- ١٨٦).
قال ابن جرير الطبري في «تفسيره» تفسير الطبري (٥ / ٤٠١): أما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عنه أنه قال: «هو علمه». اهـ.
وتعقبه الشيخ محمود محمد شاكر في تحقيقه فقال: «العجب لأبي جعفر، كيف تناقض قوله في هذا الموضع! فإنه بدأ فقال: إن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله ﷺ، من الحديث في صفة الكرسي، ثم عاد في هذا الموضع يقول: وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن، فقول ابن عباس أنه علم الله سبحانه. فإما هذا وإما هذا، وغير ممكن أن يكون أولى التأويلات في معنى «الكرسي» هو الذي جاء في الحديث الأول، ويكون معناه أيضًا «العلم»، كما زعم أنه دل على صحته ظاهر القرآن. وكيف يجمع في تأويل واحد، معنيان مختلفان في الصفة والجوهر!! وإذا كان خبر جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، صحيح الإسناد، فإن الخبر الآخر الذي رواه مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، صحيح الإسناد على شرط الشيخين، كما قال الحاكم، وكما في «مجمع الزوائد» (٦/٣٢٣) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح»، كما بينته في التعليق على الأثر (٥٧٩٢). ومهما قيل فيها، فلن يكون أحدهما أرجح من الآخر إلا بمرجح يجب التسليم له. وأما أبو منصور الأزهري فقد قال في ذكر الكرسي: «والصحيح عن ابن عباس ما رواه عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يقدر قدره. قال: وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها. قال: ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم، فقد أبطل»، وهذا هو قول أهل الحق إن شاء الله.
وقد أراد الطبري أن يستدل بعد بأن الكرسي هو«العلم»، بقوله تعالى: «ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما»، فلم لم يجعل «الكرسي» هو «الرحمة»، وهما في =

كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، والله يعلم نفْسه، ويعلم ما كان وما لم يكن، ولو فُسِّر الكرسي بالعلم في الآية؛ لقيل: وسع علمُه السماوات والأرض، وهذا المعنى لا يكون مناسبًا، لاسيما وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ أي: لا يثقله، وهذا يناسب القدرة، لا العلم. وقال بعضهم: إن الكرسي هو العرش، لكن الأكثرون أنهما شيئان، إذًا فالأقوال ثلاثة.

والصواب: أن الكرسي مخلوقٌ آخر غير العرش، وهو موضع قدمْي الرحمن - جل جلاله -.

قال الإمام عثمان بن سعيد الدرامي[1] ....

= آية واحدة؟ ولم يجعلها كذلك لقوله تعالى في [سورة الأعراف: ١٥٦]: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]؟ واستخراج معنى الكرسي من هذه الآية كما فعل الطبري، ضعيف جدا، يجل عنه من كان مثله حذرا ولطفا ودقة.

وأما ما ساقه بعد من الشواهد في معنى«الكرسي»، فإن أكثره لا يقوم على شيء، وبعضه منكر التأويل، كما سأبينه بعد إن شاء الله. وكان يحسبه شاهدا ودليلا أنه لم يأت في القرآن في غير هذا الموضع، بالمعنى الذي قالوه، وأنه جاء في الآية الأخرى بما ثبت في صحيح اللغة من معنى«الكرسي»، وذلك قوله تعالى في «سورة ص»: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤﴾ [ص: ٣٤] اهـ. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٨٤): «وقد نقل عن بعضهم أن كرسيه علمُه، وهو قول ضعيف».

(١) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣١٩): عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد: الامام، العلامة، الحافظ، الناقد، شيخ تلك الديار، أبو سعيد، التميمي، الدارمي، السجستاني، صاحب «المسند» الكبير والتصانيف. ولد قبل المئتين بيسير، وطوف الأقاليم في طلب الحديث. وسمع: أبا اليمان، ويحيى بن صالح الوُحَاظي، وسعيد بن أبي مريم... وخلقاً كثيراً؛ بالحرمين، والشام، ومصر، والعراق، =

(١) كَلَلهُ: هذا الذي عرفناه عن ابن عباس، صحيحًا مشهورًا، فالكرسي مخلوق عظيم، وهو موضع القدمين لله - سبحانه - كما روى ابن أبي شيبة والحاكم وقال: على شرط الشيخين، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله»[٢]، وذكر ابن جرير عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

= والجزيرة، وبلاد العجم. وصنف كتابا في «الرد على بشر المريسي»، وكتابا في «الرد على الجهمية»، رويناهما. وأخذ علم الحديث وعلله عن علي، ويحيى، وأحمد، وفاق أهل زمانه، وكان لهجا بالسنة، بصيرا بالمناظرة.

حدث عنه: أبو عمرو: أحمد بن محمد الحيري، ومحمد بن إبراهيم الصرام، ومؤمل بن الحسين...، وخلق كثير. قال الحاكم: سمعت محمد بن العباس الضبي، سمعت أبا الفضل يعقوب بن إسحاق القراب يقول: ما رأينا مثل عثمان بن سعيد، ولا رأى عثمان مثل نفسه، أخذ الادب عن ابن الأعرابي، والفقه عن أبي يعقوب البويطي، والحديث عن ابن معين وابن المديني، وتقدم في هذه العلوم كَلَلهُ.

قلت: كان عثمان الدارمي جذعا في أعين المبتدعة، وهو الذي قام على محمد بن كرام، وطرده عن هراة، فيما قيل. وقال محمد بن المنذر: شكر: سمعت أبا زرعة الرازي، وسألته عن عثمان بن سعيد، فقال: ذاك رُزِقَ حسن التصنيف. وقال أبو الفضل الجارودي: كان عثمان بن سعيد إماما يُقتدى به في حياته وبعد مماته.

قال محمد بن إبراهيم الصرام: سمعت عثمان بن سعيد يقول: لا نكيف هذه الصفات، ولا نكذب بها، ولا نفسرها. ومن كلام عثمان كَلَلهُ في كتاب «النقض» له: «اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه، فوق سماواته». اهـ مختصر.

(١) انظر: «الرد على بشر المريسي» (١/ ٤١٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب «العرش» (٦١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢٦٤٥)، وعبدالرزاق في «التفسير» (٣/ ٢٥١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٢٥١)، والهروي في «الأربعين» (ص ٥٦- ٥٧)، والدارمي في «الرد على =

سمعت رسول الله يقول: «مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ فِي ظَهْرِ سَلَاسِلَ مِنَ الأَرْضِ»[1].

= المريسي» (١/ ٣٩٩- ٤٠٠) و (١/ ٤١٢) و (١/ ٤٢٣)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» (٥٨٦، ١٠٢٠، ١٠٢١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٧، ٢٨)، والدارقطني في «الصفات» (٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي في «العلو» (ص ٧٦): «رواته ثقات»، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص: ٧٥)، وقال الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٩٩): «وروى ابنُ المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى مثله»، وأخرجه عن أبي موسى أيضاً، ابن جرير في «التفسير» (٣/ ٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٦)، وابن أبي شيبة في «العرش» (٦٠)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص ٤٦)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» (٥٨٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥٩- تحقيق الحاشدي).

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٥/ ٣٩٩) تعليقًا، وأسنده ابن أبي شيبة في «العرش» (٥٨)، وابن بطة الإبانة الكبرى (٢٥٤٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٤٨/ ٧٠) من طريق المختار بن غسان العبدي، عن إسماعيل بن مسلم، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري مرفوعًا بلفظ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة». وفيه المختار وهو مجهول. ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٧٠)، وذكره في «العلو للعلي الغفار» (٣٠٧) من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر ﷺ، نحوه مرفوعًا بلفظ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة» قال الذهبي في العلو ص١١٥: «والخبر منكر».اهـ.

وأسنده أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٨٧/ ٣١)، وابن جرير في «التفسير» (٣/ ١٠) كلاهما من طريق عبدالرحمن بن زيد بن أسلم يقول عن أبيه «إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس قال ابن زيد فقال أبو ذر ﷺ عن النبي ﷺ ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الارض والكرسي موضع القدمين». =

والله - سبحانه وتعالى - استوى على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، وجاء ذكر استواء الله - سبحانه - على عرشه في سبعة مواضع من القرآن:

الموضع الأول: في سورة «الأعراف»؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الموضع الثاني: في سورة «يونس»؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣].

الموضع الثالث: في سورة «الرعد»، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢].

= وقال الشيخ الحاشدي في التعليق على «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٣٠١): «وهذا مرسل، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف جداً».

وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٢)، وابن حبان - (٣٦١) مطولا، وذكره الذهبي في «العلو للعلي الغفار» (٣٣٣)، عن يحيى بن يحيى الغساني، وقال: «إبراهيم ليس بشيء، وقد وُثِّق».

وأخرجه ابن ماجه (٤٢١٨) عن القاسم بن محمد، مختصرًا وليس فيه محل الشاهد، وابن مردويه (١/ ٦٨١- تفسير ابن كثير) عن القاسم بن محمد لكن ذكر فيه محل الشاهد.

كلاهما (يحيى بن يحيى الغساني، والقاسم بن محمد) عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر مرفوعًا، وفيه «ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة». وقد استوفى الشيخ الحاشديُّ الكلام على طرق هذا الحديث في «تعليقه على كتاب الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٢٩٩- ٣٠١)، ثم قال: «وبالجملة: فطرقُ هذا الحديث كلها واهية، لا تصلح للاعتضاد...».

الموضع الرابع: في سورة «طه»؛ قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

الموضع الخامس: في سورة «الفرقان»؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩].

الموضع السادس: في سورة «آلم السجدة»؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [السجدة: ٤].

الموضع السابع: في سورة «الحديد»؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الحديد: ٤].

والعلو صفة من صفات الله، والاستواء صفة من صفات الله، لكن ما الفرق بين الصفتين؟ يتبين الفَرْقُ واضحًا بين هاتين الصفتين من وجهين:

الوجه الأول: أن العلو من صفات الذات، فهو ملازم للرب؛ فالرب لا يكون إلا عاليًا، والاستواء من صفات الأفعال، وكان بعد خلق السماوات والأرض، كما أخبر الله بذلك في كتابه؛ فدلَّ على أنه - سبحانه - تارة كان مستويًا على العرش، وتارة لم يكن مستويًا عليه، فاستواؤه على العرش كان بعد خلق السماوات والأرض، فالاستواء - على هذا - عُلُوٌّ خاص؛ فكل مستوٍ على شيء عالٍ عليه، وليس كل عالٍ على شيء مستويًا عليه.

فالأصل: أن علوه سبحانه على المخلوقات؛ وصْفٌ لازم له، كما أن عظمته وكبرياءه وقدرته؛ كذلك، وأما الاستواء: فهو فِعْلٌ يفعله سبحانه؛ بمشيئته وقدرته، ولهذا قال: «ثم استوى».

الوجه الثاني: أن العلو من الصفات المعلومة بالسمع والعقل، أما

الاستواء على العرش: فهو من الصفات المعلومة بالسمع لا بالعقل؛ فكل الناس يثبتون ويدركون أن الله في العلو؛ حتى البهائم، أما الاستواء على العرش: فهذا ما عُرف إلا من جهة الشرع.

والعلو من الصفات التي اشتد فيها النـزاع بين أهل السنة وبين المخالفين لهم من أهل البدع، فهي من الصفات العظيمة التي نفاها أهل الكلام والبدع.

وسبق أن هناك ثلاث صفات مَنْ أثبتها؛ فهو من أهل السنة، ومن نفاها؛ فهو من أهل البدعة: الكلام، والرؤية، والعلو، فهذه الصفات هي العلامات الفارقة بين أهل السنة وبين أهل البدعة، كالأشعرية والجهمية والمعتزلة الذين نفوا العلو، ونفوا الكلام؛ فالكلام عند الأشاعرة: معنى قائم بالنفس، لكنهم أثبتوا الرؤية ولمَّا كانوا من نُفاة العلو والفوقية، قالوا: يرى لا في مكان وبلا مقابلة؛ فأضحكوا منهم العُقلاء.

والعلو في اللغة معناه الارتفاع، والمراد به شرعًا: وَصْفٌ ذاتيٌّ لله - سبحانه -، وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: علو الذات.

النوع الثاني: علو القدْر.

النوع الثالث: علو القهر والغلبة والسلطان.

وله - سبحانه - العلو المطلق بأنواعه الثلاثة، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «الكافية الشافية»[١]:

---

(١) انظر: «الكافية الشافية» (١/ ٥١).

والـفـوق أنـواع ثـلاث كـلـهـا لله ثـابـتـة بـلا نـكـران

ومذاهب الناس في العلو أربعة:

المذهب الأول: مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء، وهو: أن الله فوق سمواته، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه[١].

المذهب الثاني: مذهب معطلة الجهمية ونفاتهم، وهو: أن الله ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا محايث له، ولا فوقه ولا تحته؛ فينفون عنه الوصفين المتقابلين اللذَيْن لا يخلو موجود عن أحدهما، وهذا يقوله أكثر المعتزلة ومن وافقهم من متأخري الأشاعرة[٢]، وهذا الذي وصفوه، ليس سوى العدم - نعوذ بالله - .

المذهب الثالث: مذهب حلولية الجهمية الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان كما يقوله النجارية[٣].

فعلى هذا يكون الجهمية لهم مذهبان: مذهب النفاة: وهم الذين ينفون الوصفين، والحلولية الذين يقولون: إنه -تعالى عن قولهم- حال في كل

---

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» المجلد السادس بأكمله والسابع حتى (ص/ ١٤٠)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٦٠-١١٠٠) ط. أضواء السلف.

(٢) انظر: «شرح الأصول الخمسة» (ص/ ٢١٩-٢٢١)، و«شرح جوهرة التوحيد» (ص/ ١٦٣-١٦٥)، و«مجموع الفتاوى» (٥/ ١٢٢-١٢٣)، (٥/ ٢٧٢-٢٧٣)، و«درء التعارض» (٥/ ١٦٩).

(٣) هم أصحاب الحسين بن محمد النجار، ذهبوا إلى القول بخلق أفعال العباد، ووافقوا القدرية الغلاة في نفي العلم، وقالوا بحدوث الكلام له تعالى، وهم فرق منهم: البرغوثية، والزعفرانية. انظر: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٣٤٠-٣٤٢)، و«الملل والنحل» (١/ ٨٨-٩٠).

مكان[١].

المذهب الرابع: مذهب طوائف من أهل الكلام والتصوف، القائلين بأنَّ الله فوق العرش، وهو في كل مكان، فهم يقولون: هو بذاته فوق العرش، وهو بذاته في كل مكان[٢].

أدلة السلف والأئمة وأهل السنة على علو الله على خلقه بذاته:

استدلوا بالنقل الصحيح، والعقل الصريح، والفطرة السليمة. يقول العلماء: أدلة العلو تزيد على ثلاثة آلاف دليل، فالأدلة على عُلوِّ الله تعالى، أنواعٌ وهي كالقواعد في هذا الباب؛ يندرج تحتها أفراد كثيرة وهي:

(النقل الصحيح): حيث ورد في سبعة مواضع من كتاب الله، بلفظ (على)؛ وهي تدل على العلو والارتفاع، وهذا نص لا يقبل الاحتمال، ولا الاشتباه في المعنى.

(أما التصريح بلفظ العلو): فقد تكرر في الكتاب وصْفُ الله بالعلي والأعلى، كقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكقوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]، وهذا يدل على ثبوت العلو لله بجميع أنواعه.

(أما التصريح بالفوقية): لله تعالى فتارةً يكون مقروناً بأداة: مِنْ، كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وتارة غير مقرون، كقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]؛ فالمقرون بمن نَصٌّ في معناه؛ لا

---

(١) انظر: «التوحيد» لابن خزيمة (٢/ ٨٩٢-٨٩٣)، و«بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٥٥٦- الطبعة القديمة).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣١٨).

يقبل التأويل. وغير المقرون: ظاهرٌ في المراد، ولا يقبل تأويله ممن ادعاه؛ لأن الأصل الحقيقة، ودعوى المجاز لا تقبل بغير دليل، ولا دليل هنا .

(أما التصريح بالصعود إليه): فكقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]؛ والصعود إنما يكون إلى أعلى .

(أما التصريح برفع بعض المخلوقات إليه): فكقوله في المسيح - عليه الصلاة والسلام -: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله في العمل الصالح: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وثبت في الأحاديث والآثار ارتفاع دعوات المضطرين والمظلومين إلى الله، وذلك كله صريح في علو الله وفوقيته.

(أما التصريح بتنزيل الكتاب منه): فكقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزمر: ١]، وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فصلت: ٢]، وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقوله: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، والنزول إنما يكون ممن هو فوق، وممن هو عالٍ، وهذا يدل على علو الله وارتفاعه.

(أما التصريح بأنه في السماء): فكقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦-١٧][سورة الملك آية: ١٦ - ١٧]، وقول النبي في دعائه: «**رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ ...**»

الحديث[١]، وَ«في»: قوله «في السما » إذا فُسِّرتْ «السماءُ» بمعنى العلو؛

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٧٦)، والطبراني في «الأوسط» (٨٦٣٦ - تحقيق: طارق عوض الله)، والحاكم (١/ ٤٩٤)، (٤/ ٢٤٣)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٩٧)، واللالكائي في «السنة» (٦٤٨)، وغيرهم. من طريق الليث بن سعد، عن زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القُرَظي عن فَضَالة بن عُبَيْدٍ، عن أبي الدرداء قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ: «يقول: مَنْ اشتكى منكم شيئا، أو اشتكاه أخٌ له، فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدسَ اسمُك أمرُك في السماء والأرض، كما رحمتُك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حُوبَنَا وخطايانا أنت رب الطيبين، أنزل رَحمةً من رحمتك وشِفاءً من شفائك على هذا الوجع فيبرأ».

وزيادة بن محمد قال عنه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٤٤٦): «منكر الحديث»، وكذا قال النسائي في كتاب «الضعفاء» (٢٢١). وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢١١٣): «منكر الحديث». وقال الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/ ٢٨٠): «تفرد به الليث بن سعد». وقال الذهبي -بعد أن عزاه إلى أبي داود- في «العلو» (ص ٢٩): «وزيادة ليِّنُ الحديث». اهـ

ورواه أحمد في مسنده (٦/ ٢٠) من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن الأشياخ عن عبيد بن عمير. وأبو بكر ضعيف كما في ترجمته في التهذيبين، وفيه الأشياخ «مبهمون». فالحديث ضعيف.

وأخرجه النسائي في الكبرى (١٠٨٧٤) من طريق مخلد قال حدثنا سفيان عن منصور عن طلق عن أبيه: «أنه كان به الأسر فانطلق إلى المدينة والشام يطلب من يداويه فلقي رجلا فقال ألا أعلمك كلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ». والحديث فيه مخلد بن يزيد، قال عنه الحافظ في «التقريب» (٦٥٤٠): «صدوق له أوهام». وطلْق هو ابن حبيب قال عنه الحافظ في «التقريب» (٣٠٤٠): «صدوق عابد رمى بالإرجاء»، وأبوه حبيب العنزي قال عنه في «التقريب» (١١١٤): «مجهول»، وإن كانت جهالة =

فهي للظرفية، وإذا فُسِّرتْ بالطباق المبنية؛ فهي بمعنى (على)، كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١]، لأن الله سبحانه لا يحصره ولا يحيط به شيء من خلقه.

(أما الإخبار عن رفعته وعظمته بأنه رفيع الدرجات): فكقوله: تعالى في سورة «غافر»: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥]، فقوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر: ١٥] فعيل بمعنى: مفعول، أي مرفوعة درجاته برفعته وارتفاعه وعلو شأنه، وليس (رفيع) هنا بمعنى رافع درجات المؤمنين، فيكون فعيل بمعنى فاعل، كما يقوله المعطلة؛ لأن السياق يأبى هذا القول؛ وذلك أن الله - سبحانه - وصف نفسه قبل هذا بالعلو في قوله: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، ثم وصف نفسه بأنه رفيع الدرجات ذو العرش، فالأوصاف كلها راجعة إلى رفعته هو، وارتفاعه على الخلق، لا إلى رَفْعِهِ بعضَ خَلْقه، ونظير هذا: قولُ الله - تعالى - في سورة «المعارج»: ﴿مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ [المعارج: ٣]؛ أي: المصاعد التي تصعد فيها الملائكة إليه - جل سلطانه -، وهي الدرجات الرفيعة، والقرآن يفسر بعضه بعضًا.

(أما التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده): فكقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: ١٩]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقوله: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: ٣٨].

= الذي حدثه لا تفيد؛ لأنه يظن به الصحبة، والصحابة كلهم عدول، لكن الإسناد لا يقوم هكذا لما بيَّناه؛ فالحديث ضعيف أيضا من هذا الطريق والله أعلم.

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي : «**لَما قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابه فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غلبَتْ غَضَبِي**»(١)، واختصاص هذه المخلوقات بأنها عنده؛ دليل على علو الله على خلقه، وإلا لم يكن لتخصيص هذه الأشياء بأنها عنده: فائدة؛ ولكان أشرف المخلوقات وأدناها في القرب منه والعندية؛ سواءً.

(أما الإخبار بأن من أسمائه «الظاهر»، وتفسير أعلم الخلق به له بنفي فوقية شيء عليه): فكقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] مع قوله في دعائه واستفتاحه: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**».(٢) فتفسير الصادق المصدوق لـ«الظاهر» بنفي ضده؛ تقريرٌ لإثبات العلو؛ إذْ الظهورُ والعلوُّ: متلازمان؛ فكل ما علا الشيءَ: ظَهَرَ وَبَانَ، كما أنه كلما سفل الشيء: خَفِيَ واستتر.

(أما إشارة النبي بأصبعه إلى السماء): فذلك حين خطب الناس يوم عرفة، مخاطبًا ربه بقوله: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -**»(٣) فذلك يدل على علو الله على خلقه، وإلا لم يكن لتخصيص السماء بالإشارة فائدة .

(ما ثبت في القرآن والسنة المتواترة من رؤية أهل الجنة لربهم عز وجل): كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقوله : «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذا القَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(٤)،

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٤) واللفظ له، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) »أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبدالله، رضي الله عنه في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبدالله، رضي الله عنه.

فالرؤية قطعية الثبوت بالأدلة المتواترة، والرؤية المعقولة عند جميع بني آدم تقتضي مقابلة الرائي للمرئى ومواجهته له.

(سؤال النبي عن الله بأين): كقوله للجارية: «**أَيْنَ اللهُ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»، وهذا الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه[(١)].

والسؤال عن الله بأين، وإقرار الجارية على أن الله في السماء؛ يدل دلالة قطعية على إثبات علو الله على خلقه. والرسول منزه عن أن يسأل سؤالًا فاسدًا، ومنزه - أيضًا - عن أن يقر الجاريةَ على جواب فاسد، ويلزم مِنْ قول مَنْ يقول: إن الرسول خاطب الجارية بما تعرف - وإن كان على خلاف الحقيقة -: أن يكون النبي لم يبين الحق في هذه المسألة، وأن يكون قد أقر الجارية على الخطأ، وحاشاه من ذلك.

وعند الجهمي والمعتزلي، لو أنك رفعت إصبعك إلى السماء؛ لقطع أصبعك وقال: لا تشر إليه هكذا؛ لأنه في كل مكان، فقيل لهم: الرسول قال: أين الله؟ و«أين» يُسأل عنها في المكان؛ قالوا: الرسول سأل سؤالًا فاسدًا، وإنما كان قصده أن يخاطبها بقدر عقلها، ومقصوده أيضًا أن يقول لها: مَن الله؟ ولما قالت: في السماء، قال الرسول: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[(٢)] فقالوا: أقرها على جواب فاسد موافقة لعقلها!!

هذه أربعة عشر نوعًا من الأدلة، وكل نوع منها تحته أفراد، وقد اعترض المبتدعة على هذه الأدلة، وأجاب أهل السنة على اعتراضهم،

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

(٢) هو الحديث السابق.

وهناك أدلة عقلية لأهل السنة واعتراضات للنفاة وأجوبة لأهل السنة عليها، وهناك أيضًا أدلة من الفطرة لأهل السنة، واعتراضات من النفاة وجواب عليها لأهل السنة، وهناك أدلة أيضًا عقلية لأهل البدع النفاة، وأجوبة لأهل السنة عليها، وجواب عليهم.

وقد اعترض نفاة العلو على الأدلة التي استدل بها أهل السنة والجماعة على علو الله على خلقه، وتأولوها: بأن المراد بها: علو وفوقية القَدْر والعظمة والشأن، وعلو وفوقية القهر والغلبة والسلطان؛ لأن النفاة يثبتون هذين النوعين من العلو، وهو علو القهر وعلو القدر، والخلاف بينهم وبين أهل السنة في إثبات علو الذات؛ ولذلك قالوا: قوله سبحانه: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]: يعني: خير من عباده وأفضل، ومعنى كونه فوق العرش: أنه خير من العرش وأفضل؛ قالوا: ونظير ذلك قول العرب: الأمير فوق الوزير، والدينار فوق الدرهم، والذهب فوق الفضة، فهذا يدل على أن المرادَ بالفوقية: الخيريةُ.

فأجاب أهل الحق هذا الاعتراض بأجوبة[(١)]:

الجواب الأول: أن صرف الفوقية إلى فوقية الرتبة، أو إلى فوقية القهر، حَمْلٌ للفظ على مجازه؛ وهذا خلاف الأصل، إذ الأصل: الحقيقةُ، وحقيقةُ الفوقية: عُلُوُّ ذاتِ الشيء على غيره، والمجازُ على خلاف الأصل؛ لأنه خلاف الظاهر، فلا يُقبل إلا بدليل يخْرجُه عن حقيقته، كما في قوله تعالى حكايةً عن فرعون، أنه قال: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، فهذه فوقيةُ قهرٍ وغلبة؛ لأنه قد عُلم أنهم جميعًا مستقرون على الأرض، ولا يلزم مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ

(١) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/ ١٠٦٢-١٠٦٥).

﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]؛ إذ قد عُلم بالضرورة أنه وعباده ليسوا مستوين في مكان واحد، حتى تكون فوقية قهر وغلبة.

الجواب الثاني: أن تفضيل الله - سبحانه - على أحد من خلقه لم يذكر في القرآن ابتداء، وإنما ورد ذلك في سياق الرد على من اتخذ ذلك الشيء ندًا لله - تعالى -، وعبده معه، وأشركه في إلهيته، فبين الله - سبحانه - أنه خير من تلك الآلهة، وذلك الند كقوله - تعالى -: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، وقوله سبحانه: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وقوله حكاية عن سحرة فرعون: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه: ٧٣]، وقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧]، وذلك لأنه يَحْسُن في الاحتجاج على المنكر وإلزامه من الخطاب الداحض لحجته ما لا يحسن في سياق غيره، وهذا أمر واضح لا ينكره إلا غبي.

الجواب الثالث: أن تأويل الفوقية بالخيرية والأفضلية، تأويلٌ باطل تنفر منه العقول الصحيحة، وتشمئز منه القلوب السليمة، إذ ليس في ذلك تمجيد ولا تعظيم ولا مدح، والرب - سبحانه - لم يتمدح في كتابه ولا على لسان رسوله بأنه أفضل من العرش، وأن رتبته فوق رتبة العرش، وأنه خير من السماوات والعرش والكرسي، ولو تكلم أحد بمثل هذا الكلام في حق المخلوق؛ لكان مستهجنًا جدًا، فلو قال شخص: الشمس أضوء من السراج، والسماء أكبر من الرغيف، أو أعلى من سقف الدار، والجبل أثقل من الحصى، ورسول الله أفضل من اليهود؛ لَعُدَّ ذلك من ساقط القول، بل هو من أرذل الكلام وأسمجه وأهجنه؛ لما فيه من التنقص، كما قيل في المثل السائر:

ألـم تـر أن الـسيـف ينـقـص قَدْرُهُ   إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وإنما يصح أن يقال هذا المعنى، في حق المتقاربيْن في المنزلة، وأحدهما أفضل من الآخر، وإذا كان يقبح كل القبح أن تقول: الجوهر فوق قشر البصل، ويضحك من ذلك العقلاء للتفاوت العظيم الذي بينهما، فالتفاوت بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم.

الجواب الثالث: أن الله أثبت لنفسه الفوقية المطلقة، وهي تشمل فوقية الذات وفوقية القدر وفوقية القهر، فمن أثبت البعض ونفى البعض، فقد جحد ما أثبته الله لـ ، وتنقصه ولا يلزم من إثبات فوقية الله بذاته على السماء، وعلى العرش - وعلى كل شيء -، أن يكون هناك شيء يحويه أو يحصره، أو يكون محلًّا له، أو وعاءً أو ظرفًا، تعالى الله عن ذلك، بل هو - سبحانه - فوق كلِ شيء، وهو عال على كل شيء، وهو غني عن العرش وعن كلُّ مخلوق، وكل شيء مفتقر إليه، وهو الحامل بقوته وقدرته للعرش ولحملة العرش، وهو القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

(أما أدلة السلف والأئمة وأهل السنة على إثبات العلو من العقل فكما يلي):

الدليل الأول: دليل العقل؛ بطريقة السبر والتقسيم، وطريقة السبر والتقسيم عند المناطقة وأهل الأصول؛ هو: أن يحصر المستدلُّ الأقسامَ التي يتصورها العقلُ، ثم يبطلها واحدًا بعد واحد، ويُبقِي ما قام عليه الدليل. وصياغة الدليل هكذا: أن يقال: إن الله لما خلق الخلق لا يخلو إمَّا أن يكون خَلَقَهُم داخلَ ذاته، أو خلقهم خارجَ ذاته، أو خلقهم لا

داخلها ولا خارجها؛ هذه هي الأقسام التي يتصورها العقل.

أما الأول: وهو كونه خلقهم داخل ذاته؛ فباطل بالاتفاق بيننا وبين خصومنا؛ لأنه يلزم عليه: أن يكون الرب محلًّا للحوادث، والخسائس، والقاذورات، وهذا قول الحلولية، وهو كفرٌ، تعالى الله عن ذلك.

وأما الثالث: وهو كونه خلقهم لا داخل ذاته ولا خارجه، فهو ممتنع عقلًا؛ لأنه يلزم عليه نفيه تعالى وعدم وجوده بالكلية؛ لأنه وَصْفٌ له بارتفاع النقيضين، وهو وصف له بالعدم، وهو قول معطلة الجهمية ونفاتهم، وهو كفر أيضًا.

فتعيَّن الثاني؛ وهو: كونه خلقهم خارج ذاته الكريمة، فلزمتْ المباينةُ، ويلزم حينئذ أن يكون عاليًا على خلقه، مستويًا على عرشه؛ **لأنه لا يخلو** إما أن يكون مباينًا لهم من فوقهم، أو من تحتهم، أو أمامهم، أو خلفهم، أو عن إيمانهم، أو عن شمائلهم، وأليقُها بالله: صفةُ العلو؛ لأنها من صفات المدح والكمال.

واعترض نفاةُ العلو المعطلةُ على هذا الدليل، فقالوا: نحن ننكر بداهته، لأنه أنكره جمهور العقلاء، فلو كان بديهيًّا لما كان مَختَلَفًا فيه بين العقلاء، بل هو قضية وهمية خيالية.

والجواب عن هذا الاعتراض أن يقال: **إن العقل إن قبل قولكم فهو لقولنا أعظم قبولًا، وإن رد العقل قولنا، فلقولكم أعظم ردًّا، فإن كان قولنا باطلًا في العقل، فقولكم أشد بطلانًا، وإن كان قولكم حقًّا مقبولًا في العقل، فقولنا أولى بأن يكون مقبولًا في العقل، فإن دعوى الضرورة** مشتركة، فإنا نقول: نعلم بالضرورة بطلان قولكم، وأنتم تقولون كذلك، فإذا قلتم: تلك الضرورة التي تحكم ببطلان قولنا: هي من حكم الوهم لا

من حكم العقل؛ قابلناكم بنظير قولكم، وعامة فطر الناس -ليسوا منا ولا منكم- موافقون لنا على هذا.

فإن كان حكم فطر بني آدم مقبولًا؛ ترجحنا عليكم، وإن كان مردودًا غير مقبول؛ بطل قولكم بالكلية، فإنكم إنما بنيتم قولكم على ما تدعون أنه مقدمات معلومة بالفطرة الآدمية، وبطلتْ عقلياتنا أيضًا، وكان السمع الذي جاءت به الأنبياء معنا لا معكم، فنحن مختصون بالسمع دونكم، والعقل مشترك بيننا وبينكم، والمراد بالسمع: الأدلة الشرعية، أي: الكتاب والسنة. وقولكم: إن أكثر العقلاء يقولون بقولنا، وينكرون بداهة دليلكم؛ يقال: ليس الأمر كذلك، فإن الذين يصرحون بأن صانع العالم شيء موجود، ليس هو فوق العالم، وأنه لا مباين له ولا حال في العالم، طائفةٌ من النُّظْار، وهم قلة، وأول مَنْ عُرف عنه ذلك في الإسلام: الجهم بن صفوان وأتباعُه.

الدليل الثاني من الأدلة العقلية لأهل السنة على علو الله على خلقه: يسمى دليل بطريق الملازمة والاستثنائية، وهو أن نقول: لو كان كذا؛ لكان كذا، لكنه لا يكون كذا؛ فيكون كذا، وصياغة الدليل هكذا: لو لم يتصف الرب بفوقية الذات، مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم؛ لكان متصفًا بضدها؛ لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده، وضد الفوقية: السفول، وهو مذموم على الإطلاق، وهو مستقَر إبليس وجنوده؛ فدلَّ على أنه متصف بالفوقية.

واعترض نفاة العلو على هذا الدليل العقلي، فقالوا: لا نسلم أنه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها.

وأجيب على هذا الاعتراض بجوابين:

الجواب الأول: لو لم يكن قابلًا للفوقية والعلو لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها، فمتى أقررتم بأنه ذات قائم بنفسه، غير مخالط للعالم، وأنه موجود في الخارج ليس وجوده ذهنيًا فقط؛ لزم إثبات علوه وفوقيته.

الجواب الثاني: لو لم يقبل الرب العلو والفوقية، لكان كل عال على غيره أسفل منه، وما يقبل العلو أكمل مما لا يقبله، والعلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه، ولا يستلزم نقصًا، ولا يوجب محذورًا، ولا يخالف كتابًا ولا سنة ولا إجماعًا، فنفي حقيقته؛ عينُ الباطل.

أدلة السلف والأئمة وأهل السنة على إثبات العلو من الفطرة:

الدليل الفطري أن يقال: إن الخلق جميعًا بطباعهم وقلوبهم السليمة، يرفعون أيديهم عند الدعاء إلى السماء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى، وهذا أمر فطر الله عليه عباده، فهم من غير أن يتلقوه من الرسل، يجدون في قلوبهم طلبًا ضروريًا لطلبه في العلو، فالجارية الأعجمية التي قال لها النبي : **«أَيْنَ اللهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ»**[(١)]؛ إنما أخبرت عن الفطرة التي فطرها الله عليها، وأقرها النبي على ذلك، وشهد لها بالإيمان.

واعترض نفاة العلو على هذا الدليل باعتراضين:

الاعتراض الأول: قالوا: إن رفع الإنسان يديه عند الدعاء؛ إنما كان لكون السماء قبلة للدعاء، كما أن الكعبة قبلة للصلاة، لا لأن الله في العلو.

---

(١) سبق تخريجه قبل قليل.

وأجيب عنه بأجوبة[١]:

الجواب الأول: أن ادعاءكم أن السماء قبلة للدعاء، لم يَرِدْ بذلك كتاب ولا سنة، ولم يقله أحد من سلف الأمة، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفى على سلف الأمة وعلمائها.

ثانيا: أن قبلة الدعاء؛ هي قبلة الصلاة بدليل أن النبي كان يستقبل القبلة في دعائه في مواطن كثيرة[٢]، فمن ادَّعى أن للدعاء قبلةً غير قبلة الصلاة؛ فهو مبتدع في الدين، ومخالف لجماعة المسلمين

ثالثها: أن القبلة هي ما يستقبلها العابد بوجهه كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء والذكر والذبح، أما الموضع الذي ترفع الأيدي إليه فلا يسمى قبلة؛ لا حقيقةً ولا مجازًا.

رابعها: لو كانت السماء قبلة للدعاء، لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، وهذا لم يشرع.

خامسًا: أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كما تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وأمر التوحيد في الدعاء إلى الجهة العلوية مركوزٌ في الفطر، لا يقبل التحويل.

سادسها: أن المستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك، بخلاف الداعي فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه ويرجو الرحمة أن تنـزل من عنده.

الاعتراض الثاني للنفاة: قالوا: إن دليلكم منقوض بوضع المصلي جبهته على الأرض، مع أن الله ليس في جهة الأرض، فكما أن المصلي

(١) انظر: «بيان تلبيس الجهمية -الطبعةُ القديمة» (٢/ ٤٣١-٥٠٢).

(٢) انظر على سبيل المثال البخاري (١٠١٢) بأطرافه، ومسلم (٨٩٤).

يضع جبهته على الأرض، والله ليس في جهة الأرض، فكذلك يرفع يديه في الدعاء، والله ليس في العلو.

وأجيب عنه بأن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه، بالذل له والخشوع، وليس قصده بأن يميل إليه لأنه تحته، فهذا لا يخطر في قلب ساجد، إلا ما حُكي عن بشر المريسي -قبحه الله- أنه سُمع وهو يقول في سجوده: سبحان ربي الأسفل، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

شبهة نفاة العلو: نفاة العلو لهم شبه عقلية، وليس عندهم أدلة شرعية:

الشبهة الأولى: قالوا: إن إثبات العلو يلزم منه أن يكون الله في جهة، وإذا كان في جهة؛ كان محتاجًا إلى تلك الجهة، وكان محدودًا ومتحيزًا، والله منزه عن الجهة، ومنزه عن أن يحتاج إلى شيء، ومنزه عن كونه محدودًا متحيزًا.

وأجاب أهل الحق عن هذه الشبه بجوابين؛ جواب إجمالي، وجواب تفصيلي:

الجواب الإجمالي: أن يقال: تنزيهكم الله عن الجهة، إن أردتم أنه منزه عن جهة وجودية تحيط به وتحويه وتحصره؛ إحاطةَ الظرف بالمظروف. فنعم؛ هو أعظم من ذلك وأكبر وأعلى، فليس هو داخل المخلوقات، وإن أردتم بالجهة: ما وراء العالم؛ فلا ريب أن الله فوق العالم، مباين للمخلوقات.

الجواب التفصيلي:

أولًا: إن لفظ الجهة يراد به أمرٌ موجود، ويراد به أمرٌ معدوم، فإن أريد بالجهة جهةٌ وجودية، وأن الله داخل السماوات، أو داخل العرش،

فهذا باطل؛ لأن الله لا يدخل في ذاته شيء من مخلوقاته، ولم يدخل في مخلوقاته شيء من ذاته، بل هو مباين للمخلوقات، منفصل عنها، وإن أردتم بالجهة: أمرًا عدميًا، أو بكونه في السماء، أي: على السماء، وهو ما فوق العالم، فذاك ليس بشيء، ولا هو أمر وجودي حتى يقال: إنه محتاج إليه، أو غير محتاج إليه .

ثانيًا: أن يقال: إنما يكون محتاجًا إلى الجهة لو كان في جهة مخلوقة؛ تحويه وتحصره وتحيط به، أما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم: لم يلزم ذلك، بل لا يلزم من كون المخلوق فوق مخلوق آخر؛ أن يكون محتاجًا إليه، فإن الله خلق هذا العالم بعضه فوق بعض، ولم يجعل عاليه محتاجًا إلى سافله؛ فالهواءُ فوق الأرض وليس محتاجًا إليها؛ والسحاب فوقها، وليس محتاجًا إليها؛ والسماواتُ فوق السحاب والهواء والأرض؛ وليست محتاجة إلى ذلك، والعرش فوق السماوات والأرض؛ وليس محتاجًا إليها، فكيف يكون العلي الأعلى خالق كل شيء - سبحانه وتعالى - محتاجًا إلى مخلوقاته، لكونه فوقها، عاليًا عليها؟!

وثالثا: أن لفظ الجهة، والحيز، والحد، والجسم، والجوهر، والعرض؛ ألفاظٌ اصطلاحية؛ فيها إجمال وإبهام، قد يراد بها: معانٍ متعددة، ولم تَرِدْ هذه الألفاظُ في الكتاب والسنة؛ بنفيٍ ولا إثبات، ولا جاء عن أحد من سلف الأمة وأئمتها فيها، نفيٌ ولا إثبات، فالمعارضةُ بها ليست معارضةً بدلالة شرعية[1]، بل الأئمة الكبار أنكروا على المتكلمين،

---

(١) قال شيخ الإسلام: (التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من التعبير عنها بغيرها، فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حكيم حميد، والأمة متفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحكم والمعاني =

وجعلوهم من أهل الكلام الباطل المبتدع، ومعروف موقف الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وحكمه على أهل الكلام؛ من أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب، والسنة وأقبل على الكلام.

وصح عن إمام الأئمة في زمانه محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه قال: من لم يؤمن بأن الله فوق سمواته، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وطرح على مزبلة.

الشبهة الثانية لنفاة العلو: هذه الشبهة جاءت على لسان أبي عبدالله الرازي[1]؛ يقول أبو عبدالله الرازي: هذا الدليل مكون من مقدمتين

= ما لا تنقضي عجائبه، والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع). انظر: «النبوات» (٢/ ٨٧٦).

وقال: (إن معرفة ما جاء به الرسول وما أراده بألفاظ القرآن والحديث، هو أصل العلم والإيمان والسعادة والنجاة، ثم معرفة ما قال الناس في هذا الباب؛ لينظر المعاني الموافقة للرسول، والمعاني المخالفة لها.

والألفاظ نوعان: نوع يوجد في كلام الله ورسوله، ونوع لا يوجد في كلام الله ورسوله، فيعرف المعنى الأول، ويجعل ذلك المعنى هو الأصل، ويعرف ما يعنيه الناس بالثاني، ويردُّ إلى الأول، هذا طريق أهل الهدى والسنة، وطريقُ أهل الضلال والبدع بالعكس، ويجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل، ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعًا لهم).. انظر: «تفسير سورة الإخلاص»، و«مجموع الفتاوى» (١٧ / ٣٥٥)، وانظر: «الفرقان بين الحق والباطل»، و«مجموع الفتاوى» (١٣/ ١٤٥).

(١) هو فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري الرازي المفسر صاحب تفسير «مفاتيح الغيب»، وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له ابن خطيب الرّي، رحل إلى خوارزم، وما وراء النهر، =

ونتيجة؛ يقول: لو كان الله تعالى في جهةِ فوق؛ لكان سماء، ولو كان سماء؛ لكان مخلوقًا لنفسه؛ وذلك محال.

المقدمة الأولى: (لو كان الله تعالى في جهة فوق؛ لكان سماء) أثبت الرازي هذه المقدمة بدليلين أو بأمرين:

الأمر الأول: أن الاشتقاق اللغوي للسماء من السمو، وكل شيء سَمَاكَ؛ فهو: سماء، فهذا هو الاشتقاق الأصلي اللغوي، وعُرف القرآن متقرر عليه[1].

الثاني: لو كان الله فوق العرش؛ لكان من جلس في العرش ونظر إلى فوق، لم يرَ إلا نهاية ذات الله تعالى، فكانت نسبة نهاية السطح الأخير من ذات الله، إلى سكان العرش؛ كنسبة السطح الأخير من السماوات إلى سكان الأرض، وذلك يقتضي - بالقطع - بأنه لو كان فوق العرش لكان ذاته كالسماء لسكان العرش، فثبت أنه تعالى لو كان مختصاً بجهة فوق لكان ذاته سماء، وإنما قلنا: أنه لو كان سماء لكان ذاته مخلوقاً؛ لقوله

= وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية.

من أشهر تصانيفه: «مفاتيح الغيب»، ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و«لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات»، و«معالم أصول الدين»، و«محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين»، و«المطالب العالية» في علم الكلام، و«المحصول في علم الاصول». وله شعر بالعربية والفارسية، وكان واعظا بارعا باللغتين ... توفي سنة ٦٠٦ هـ، تكلموا في اعتقاده، انظر «الأعلام» للزركلي - (جـ ٦ / ص ٣١٣)، و «طبقات النسابين» للشيخ بكر أبي زيد (١/ ٢٢).

(١) انظر: «أساس التقديس» للرازي (ص ٣١ - طبع مؤسسة الكتب الثقافية، الأولى: ١٤١٤هـ).

تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾ [طه: ٤]، وكذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فلو كان سماء لكان مخلوقًا لنفسه، وذلك محال، فوجب أن لا يكون مختصاً بجهة فوق[١].

أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه الشبهة بقوله[٢]: لما كان قد استقر في نفوس المخاطبين أن الله هو العلي الأعلى، وأنه فوق كل شيء؛ كان مفهومًا من قوله: إنه في السماء، أنه في العلو، وأنه فوق كل شيء، وكذلك الجارية لما قال لها: «أَيْنَ اللهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ»[٣] إنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها، وإذا قيل العلو، فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها، فما فوقها كلها هو في السماء، ولا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به؛ إذ ليس فوق العالم شيء موجود إلا الله، كما لو قيل: العرش في السماء؛ فإنه لا يقتضي أن يكون العرش في شيء آخر؛ موجود؛ مخلوق، وإن قدّر أن السماء المراد بها الأفلاك؛ كان المراد: أنه عليها، كما قال تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وكما قال: ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وكما قال: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]، ويقال: فلان في الجبل وفي السطح، وإن كان على أعلى شيء منه.

ثانيًا: من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به، فهو كاذب إنْ نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه، وما سمعنا أحدًا

---

(١) انظر: «أساس التقديس» (ص٣١- ٣٢).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٥٩).

(٣) سبق تخريجه.

يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحدًا نقله عن واحد، ولو سُئل سائر المسلمين: هل يفهمون من قوله - سبحانه - ومن قول رسوله : إن الله في السماء أن السماء تحويه؟ لبادر كل أحد منهم أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا، وإذا كان الأمر هكذا، فمن التكلف أن يُجعل ظاهر اللفظ شيئًا محالًا لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله، بل عند المسلمين: أن الله في السماء، وهو على العرش: واحدٌ؛ إذ السماءُ إنما يراد به العلو، بمعنى: أن الله في العلو، لا في السفل، وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وسع السماوات والأرض، وأن الكرسي في العرش، كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خَلْق من مخلوقات الله، لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يُتوهم بعد هذا أن خلقًا يحصره ويحويه؟!

ثالثًا: ما في الكتاب والسنة كقوله سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] ونحو ذلك؛ قد يفهم منه بعضهم أن السماء هي نفس المخلوق العالي؛ العرش فما دونه، فيقولون: قوله: «في السماء»؛ يعني على السماء، كما قال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١]؛ أي: على جذوع النخل، وكما قال: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧]؛ أي: على وجه الأرض، ولا حاجة إلى هذا، بل السماء اسم جنس للعالي، لا يخص شيئًا، فقوله: في السماء، أي في العلو دون السفل، وهو العلي الأعلى، فله أعلى العلو، وهو ما فوق العرش، وليس هناك غيره سبحانه وتعالى.

❁❁❁❁❁

الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلم موسى تكليمًا

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: (**وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا**):

الشرح

في هذا ثبوت الخُلَّة لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، والدليل على إثبات صفة الخلة من الكتاب: قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وليست الخلة خاصة بإبراهيم كما قد يوهم البعضَ كلامُ المؤلف، فالصواب أنها ثابتة لنبينا ﷺ أيضاً، كما في الحديث: «**إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**»(١)، فالخلة ثابتة لإبراهيم ولمحمد - عليهما الصلاة والسلام -. والخلة بالنسبة للرب صفة تليق بجلاله وعظمته(٢)، كسائر صفاته.

كما أن التكليم ثابت لموسى - عليه الصلاة والسلام -، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، فهو أيضًا ليس خاصًا بموسى، بل شارك نبيُّنا ﷺ موسى في صفة التكليم؛ فإن الله كلَّم نبينا محمداً ليلة المعراج من دون واسطة كما ثبت هذا في الإسراء. ومن الأدلة على ثبوت الخلّة لنبينا محمدٍ ﷺ حديث: «لو كنتُ متخذاً من أهل الأرض خليلاً؛ لاتخذت ابن أبي قُحافة خليلاً، ولكنَّ صاحبكم خليل الله»(٣)،

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢) من حديث جندب بن جنادة رضي الله عنه. في الباب عن عبدالله بن مسعود عند مسلم (٢٣٨٣).

(٢) انظر: «منهاج السنة» (٥/ ٣٥١-٣٥٢)، و«زاد المعاد» (١/ ٧٠)، و«مدارج السالكين» (٣/ ٣٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٨٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وفي الحديث السابق: «إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»(١)، فهذان الحديثان يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم، والمحبة لمحمد - عليهما الصلاة والسلام -، ويثبتان لنبينا ﷺ أعلى مراتب المحبة؛ وهي الخُلَّة، بل الخلة خاصة بالخليلين؛ محمد وإبراهيم - عليهما الصلاة والسلام -.

أما المحبة فهي عامة كحُبِّه - تعالى - للمتَّقين، كما في قوله - سبحانه -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، وكحبه للمحسنين، كما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. والخلة هي كمال المحبة المستغرقة للمحب، ومن كمالها: أنها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة، وسميت خلة لتخللها شغاف القلب كما قيل:-

قد تخللت مسلك الروح مني ... ولذا سُمي الخليل خليلا

والنسبة بين الخلة والمحبة: العمومُ والخصوص؛ فالخلة أخص من مطلق المحبة، والمحبوب بها لكمالها يكون محبوبًا لذاته لا لشيء آخر؛ إذ المحبوب لغيره هو مؤخَّر في الحب عن ذلك الغير، ففيها كمال التوحيد، وكمال الحب، فنبينا له كمال التوحيد، وكمال الحب، وكذلك إبراهيم.

والمحبة والخلة بالنسبة للرب - سبحانه وتعالى - كسائر صفات الله الثابتة له كما يليق بجلال الله وعظمته، والجهمية أنكروا حقيقة المحبة، والخلة من الجانبين؛ من جانب الله ومن جانب العبد، وشبهتهم في ذلك أنهم قالوا: المحبة لا تكون إلا لمشاكلة ومناسبة بين المحب والمحبوب، ولا مناسبة بين القديم والمُحْدَث توجب المحبة؛ فلا مناسبة بين الخالق

---

(١) سبق تخريجه في الذي قبله.

والمخلوق، وهذا باطل؛ فالرب - سبحانه وتعالى - مربي خلقه بنعمه، والعبد يعبد الله لذاته؛ وهذه مناسبة، فقولهم: لا مناسبة: قولٌ فاسد.

والجهمية يقولون: ليس معنى الخليل المحبَّ، بل معنى الخليل: الفقير المحتاج، ولا شك في فساد هذا التأويل؛ إذ لا يكون حينئذ لتخصيص إبراهيم بالخلة معنًى، فإن الفقر والاحتياج؛ وصف لازم لجميع الخلق؛ لزومًا ذاتيًا؛ لا يمكن الانفكاك عنه، ولو كان معنى الخلة: الفقر؛ كان كل الناس فقراء إلى الله، وبذلك يكون وصف الخلة متناولًا لجميع الناس، حتى عبدة الأوثان الذين هم ألدُّ أعداء الرحمن؛ فقراء إلى الله!!

وكذلك مما أنكرت الجهمية حقيقة تكليم الله لبعض عباده من وراء حجاب؛ كما ثبت لموسى - عليه الصلاة والسلام -، وكما ثبت لنبينا محمد ليلة الإسراء، وزعموا أن تكليم الله لموسى، إنما هو تكليم خلقه في الشجر أو في الهواء، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا .



أصول الإيمان

أصول الإيمان عند أهل السنة

◆ **قال المؤلف رحمه الله: (وَنُؤْمِنُ بِالمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالكُتُبِ المُنَزَّلَةِ عَلَى المُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الحَقِّ المُبِينِ):**

الشرح

هذه هي أصول الإيمان، وهي: الإيمان بالله، وبالملائكة، وبالكتب، وبالرسل، والإيمان باليوم الآخر، وبالقدر؛ هذه أصول الدين، وأركان الإيمان، فهي داخلة في حقيقة الإيمان وماهيته، فمن لم يؤمن بهذه الأركان الستة؛ فليس بمؤمن، والأدلة على هذه الأصول من كتاب الله، كثيرة؛ منها: قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فسمى الله من آمن بهذه الجملة: مؤمنًا، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فجعل الإيمان هو: الإيمان بهذه الجملة، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]؛ فجعل الكافرين: من كفر بهذه الجملة.

ومن السنة: حديثُ جبرائيل حينما سأل النبي عن الإيمان فقال: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].

أما الإيمان بالملائكة:

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فنؤمن بهم جملةً وتفصيلًا، فنؤمن بمن سمَّى اللهُ في كتابه منهم؛ كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ورضوان، ومالك: خازن النار، ونؤمن إجمالًا بأن لله ملائكةً سِواهم، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]؛ لأنه لم يأت في عددهم نص، فنؤمن بهم جملة(١).

وأما الأنبياء والمرسلون:

فنؤمن بهم جملة وتفصيلًا، فنؤمن بمن سمى الله في كتابه من رسله، وهم خمسة وعشرون رسولاً، ذُكروا في آية «النساء» في قوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]، وفي آية «الأنعام» في قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾ [الأنعام: ٨٤] إلى آخر الآيات.

ونؤمن بأن الله تعالى أرسل رسلًا سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم إلا الله. وورد في حديث أبي ذر أن عدد الأنبياء مائة ألف، وعدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر(٢)، لكن الحديث الوارد بذلك، لا يخلو من مقال،

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٤٠٥-٤٢٣).

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٦١)، والحاكم (٤١٦٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦-١٦٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٢٧٣- ٢٧٧)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٧٤٦)، نسبته إلى عبد بن حُميد، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وثم ساقه، ثم -قال: «أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، وابن الجوزي في «الموضوعات»، وهما في طرفي نقيض، والصواب أنه ضعيف لا صحيح، ولا موضوع، كما بينته في مختصر الموضوعات». اهـ. وحديث أبي ذرٍ تقدم تخريجه قريباً، وفي هذا الباب أيضاً عن أبي أمامة، وأنس بن مالك، بأسانيد ضعيفة. انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٨٧).

وعلى كل حال؛ فلا بد من أن نؤمن بهم جملة، قال الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

وأما أولو العزم من الرسل، فأحسن الأقوال فيهم: أنهم المذكورون في آية «الأحزاب» في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ⑦﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي قوله سبحانه في سورة «الشورى»: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وأما الإيمان بمحمد ﷺ: فلا بد من الإيمان به تفصيلًا؛ زائدًا على الإيمان بتلك الرسل؛ من تصديقه، واتباع ما جاء به من الشرائع، إجمالًا وتفصيلًا[1].

وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين:

فنؤمن بها جملة وتفصيلًا؛ فنؤمن تفصيلا بما سمى الله منها في كتابه، من التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وصحف إبراهيم، وصحف موسى، ونؤمن بأن لله تعالى - سوى ذلك - كتبًا أنزلها على أنبيائه ورسله، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله؛ لأنه لم يأت في عددها نص، فنؤمن بها جملة، وأنها حق وهدى ونور وشفاء.

وأما الإيمان بالقرآن؛ فالإقرار به واتباع ما فيه وتحكيمه في كل شيء؛ في المنشط والمكره، واليسر والعسر، مع اعتقاد بأنه أفضل الكتب، وأنه

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٤٢٤).

ناسخ لها، ومهيمن عليها، وذلك أمر زائد على غيره من الكتب(١).

كذلك أيضًا نؤمن باليوم الآخر:

وبما يكون قبل ذلك في البرزخ من سؤال منكر ونكير، ومن نعيم القبر وعذابه، وكذلك نؤمن ببعث الأجساد وإعادة الأرواح إليها، والحشر والنشر، والوقوف بين يدي الله، وتطاير الصحف، ووزن الأعمال، والحوض والصراط، والجنة والنار، كل هذا نؤمن به، ويؤمن به أهل الحق(٢).

أما أعداء الله من الفلاسفة وغيرهم، فلهم تفصيلات في هذه الأصول الستة، وحقيقتهم: أنهم لم يؤمنوا بالله ولا بالملائكة ولا بالكتب ولا بالرسل ولا باليوم الآخر ولا بالقدر خيره وشره، وسيأتي الكلامُ لاحِقًا على معتقدهم في ذلك وتفصيلاته.

وأصول الإيمان هذه جاءت بها الرسلُ، والكتبُ المنزلة، وأجمع عليها المسلمون، فمن أنكر شيئًا؛ منها فهو خارج عن ملة الإسلام؛ وليس في عداد المسلمين بإجماع المسلمين، أما الفلاسفة المتأخرون؛ أرسطو وأتباعه وابن سينا(٣)؛ فملاحدةٌ زنادقةٌ، ينتسبون إلى الإسلام وهو منهم

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٤٢٣).

(٢) للتوسع في مباحث أشراط الساعة راجع: «لوامع الأنوار» للسفاريني (٢/ ٧٠-١٥١).

(٣) الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي أبو علي الرئيس المشهور بابن سينا، صاحب التصانيف الكثيرة، في الفلسفة والطب، ومن له الذكاء الخارق، والذهن الثاقب، أصله بلخيّ، ومولده بخارى، وكان أبوه من دعاة الإسماعيلية، فأشغله في الصغر، وحصَّل عدة علوم قبل أن يحتلم، وتنقل في مدائن خراسان والجبال وجرجان، ونال حشمة وجاهاً.

=

= وفي «لسان الميزان» قال: ما أعلمه روى شيئاً من العلم ولو روى لما حلت الرواية عنه لأنه فلسفي النحلة ضال لا ﷺ انتهى.
واسم جده الحسن بن علي بن سيناء، حكى عن نفسه قال: كان أبي من أهل بلخ فسكن بخارى وتولى التصرف فلما أكملت عشر سنين أتيت على القرآن وكثير من الأدب، وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين وكان يعد من الإسماعيلية، فكانوا ربما أجروا ذكر ذلك فلا تقبله نفسي ووجهني إلى من يعلمني الحساب، وترددت في الفقه إلى الشيخ إسماعيل الزاهد ثم قدم أبو عبد الله الناتلي الفيلسوف فبدأت عليه بكتاب ايساغوجي حتى قرأت عليه ظواهر المنطق، فأما ديانته فلم يكن عنده منها خبر، ثم أخذت أقرأ على نفسي حتى أحكمت المنطق وإقليدس والمجسطي، ثم سافر الشيخ وأخذت في الطبيعي والإلهي ورغبت في الطب وبرزت فيه في مديدة حتى بدأ الأطباء يقرأون علي وتعاهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات النفيسة من التجربة ما لا يوصف وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه وأناظر فيه، ولازمت العلم سنة ونصفاً ما نمت ليلة واحدة بطولها، وكنت كلما تحيرت في مسألة ترددت إلى الجامع وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى فتح لي المغلق منه، وكنت أرجع بالليل إلى داري فمهما غلبني النوم عدلت إلى شرب قدح من الشراب ريثما تعود إلي قوتي إلى أن قال: سألني جارنا أبو الحسن العروضي أن أصنف له جامعاً في هذا العلم فصنفت له «المجموع» وسميته به وأتيت فيه على سائر العلوم سوى الرياضي ولي إذ ذاك إحدى وعشرون سنة. وصنفت «الحاصل والمحصول» في عشرين مجلدة و«البر والإثم»، ثم مات الوالد وتقلدت شيئاً من الأعمال، وذكر من تصانيفه شيئاً كثيراً منها «لسان العرب» عشر مجلدات، وكتاب «المبدأ والمعاد» وغير ذلك، وهي تنيف على مائة مجلد، ثم ولي الوزارة مرتين لشمس الدولة بهمدان، ثم حبس في ولاية ابنه تاج الملك بالقلعة، ثم قصد علاء الدولة همدان وأخذها، ثم أطلق ابن سيناء، ورحل إلى علاء الدولة فبالغ في إكرامه، قال تلميذه أبو عبيد الجوزجاني: وكان سبب تصنيفه كتاب «لسان العرب» أنه كان في حضرة الأمير وقد امتلأ المجلس من أكابر العلماء فتكلم الشيخ فناظرهم وقطعهم إلى أن جاءت مسألة في اللغة فتكلم فيها فقال له الشيخ أبو منصور اللغوي: أنت حكيم ولو قرأت في اللغة ما نرضى من كلامك فيها =

. . . .

= فوجم وعكف بعد هذا على كتب اللغة مدة إلى أن صنف ثلاث رسائل وضمنها من الألفاظ الحوشية ما لا عهد به وعتقها وأرسلها مع رسول من الأمير إلى الشيخ أبي منصور بأنه وجدها في الفلاة ملقاة لما كان في الصيد فنظر فيها فوقف عليه بها أشياء وذلك بحضرة الشيخ فكان كلما وقف في كلمة قال له: هي مذكورة في الباب الفلاني من الكتاب الفلاني فلما فطن لذلك اعتذر إليه انتهى.
وذكره تاج الدين محمد بن عبدالكريم الشهرستاني في كتاب «الملل والنحل» لما سرد أسامي فلاسفة الإسلام فقال: وعلامة القوم أبو علي بن سيناء كان طريقته أدق ونظره في الحقائق أغوص وكل الصيد في جوف الفرا.
[سبب تكفير العلماء لابن سينا]
وقال ابن أبي الدم الحموي الفقيه الشافعي شارح الوسيط في كتابه «الملل والنحل»: لم يقم أحد من هؤلاء يعني فلاسفة الإسلام مقام أبي نصر الفارابي، وأبي علي بن سيناء، وكان أبو علي أقوم الرجلين وأعلمهم.
إلى أن قال: وقد اتفق العلماء على أن ابن سيناء كان يقول بقدم العالم، ونفي المعاد الجسماني، ولا ينكر المعاد النفساني.
ونقل عنه أنه قال: إن الله لا يعلم الجزئيات بعلم جزئي، بل بعلم كلي فقطع علماء زمانه ومن بعدهم من الأئمة ممن يعتبر قولهم أصولاً وفروعاً بكفره، وبكفر أبي نصر الفارابي من أجل اعتقاد هذه المسائل، وأنها خلاف اعتقاد المسلمين.
وقد أطلق الغزالي وغيره القول بتكفير ابن سيناء وقال ابن سيناء في الكلام على بعض الأدوية وهو كما قال صاحب شريعتنا صلى الله عليه وسلم.
[توبة ابن سينا قبل وفاته وكيف توفي]
قال أبو عبيد الجوزجاني في آخر الجزء الذي جمعه في أخبار ابن سيناء: وكان يعتمد على قوة مزاجه، حتى صار أمره إلى أن أخذه القولنج، حتى حقن نفسه في يوم ثمان مرات، فظهر به سحج ثم صرع، فنقل إلى أصبهان واشتد ضعفه، ثم اغتسل وتاب وتصدق ورد كثيراً من المظالم، ولازم التلاوة، ومات بهمدان في يوم الجمعة في رمضان سنة (٤٢٨) هـ، وله (٥٨) سنة ومن شعره:

نعوذ بك اللهم من شر فتنة ... تطوق من حلت به عيشه ضنكا
رجعنا إليك الآن فاقبل رجوعنا ... وقلب قلوبًا طال إعراضها عنكا
فإن أنت لم تبرئ عليل نفوسنا ... وتبغي عماياها إذاً فلمن يشكا

انظر: «لسان الميزان» (١/ ٣٢٦)، و«العبر في خبر من غبر» (١/ ١٩٦).

براء، وتأثر بهم كثير من أهل الكلام، من المبتدعة وغيرهم، حتى إن ابن سينا يقدسه ويعظمه كثير من الناس، ويسمونه الفيلسوف الإسلامي، وهو كما قال - كما نقل عنه شيخ الإسلام(١)(٢) رحمه الله في غزل الأحوال أنه قال: أنا وأبي من دعوة الحاكم العبيدي. والحاكم العبيدي رافضي خبيث، لا يؤمن بالله ولا ملائكته ولا كتبه، ولا رسله، ولا اليوم الآخر، ولا القدر.

والفلاسفة لم يجرءوا على إنكار أصول الدين والإيمان صراحة؛ لأنهم لو أنكروا أصول الإيمان؛ لعرف الناس كفرهم ولوضح ذلك للناس، لكنهم سلكوا سبيل التلبيس؛ لأنهم منافقون زنادقة يتسترون بالإسلام، فهم يثبتون هذه الأصول باللفظ فقط، لكنهم في الحقيقة لا يثبتونها؛ فهم لم يؤمنوا في الحقيقة بالله ولا ملائكته، ولا كتبه، ولا رسله، ولا باليوم الآخر.

أما إيمانهم بالله؛ وهو أصل الدين، فمذهبهم: أن الله - سبحانه - موجود وجودًا مطلقًا؛ يعني: أنه موجود في الذهن؛ لا ماهية له، ولا حقيقة؛ فلا يَعْلَمُ جزيئاتٍ بأعيانها؛ إذ لو عَلِمَ جزيئاتٍ، لَلَحِقَهُ الكللُ والتعبُ من تصوّر تلك المعلومات؛ ولكان كاملًا بنفسه، لا بغيره، بل يعلم الكليات؛ والكليات أمر ذهني، ولا يفعل عندهم بقدرته ومشيئته، وليس له عندهم صفة البتة؛ فلا يثبتون له السمع ولا البصر ولا العلم ولا القدرة، وليس العالم مخلوقًا لله بمشيئته وقدرته، بل العالم عندهم لازم لله أزلًا وأبدًا، لا يستطيع انفكاكًا عنه؛ صَدَرَ عنه صدوراً ضرورياً، بل هو مقارنٌ لله، ليس متقدمًا عليه، والله هو العلة المحرك لهذا العالم، وهو أول هذا

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٨٦)، و«الفتاوى الكبرى» (١/ ٥٦) (٣/ ٤٥٩)، و «درء التعارض» (١/ ١٥٧).

(٢) انظر: «الرد على المنطقيين» (١/ ١٤٤).

العالم، والعالم ملازم لله أزلًا وأبدًا؛ فهو لازم له كلزوم النور للسراج. هذا مذهبهم في الإيمان بالله[(١)]. هذا رب الفلاسفة؛ رَبٌّ معدومٌ لا وجود له على التحقيق؛ لأن الموجود لا بد أن يتصف بصفة، ولا بد أن يكون له اسم، وهؤلاء يسلبون عنه جميع الأسماء والصفات؛ فتبيّن بهذا: أنه لا وجود له إلا في الذهن، وفي اللفظ.

وأما الملائكة، فإنهم لا يثبتونها على أنهم أشخاص محسوسة؛ تنزل، وتذهب، وترى، وتجيء، وتخاطب الرسول، وتَصُفّ عند ربها، وتكتب أعمال العباد، ولها وظائف؛ كما جاء في الكتاب والسنة، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان، بل يقولون: إنها هي العقول، وهي مجردَات ليست داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، وإذا تقرب بعضهم إلى أهل الإسلام قالوا: الملائكة هي القوى الخيّرة الفاضلة التي في العبد، والشياطين هي القوى الشريرة الرديئة، هذا إذا تقربوا إلى أهل الإسلام، وإلا فإنهم يقررون أن الملائكة عبارة عن أشكال نورانية، يتصورها النبي، وإذا تقربوا إلى أهل الإسلام قالوا: هي أمور عقلية، فالأمور العقلية تبعث على الخير وعلى الإحسان وعلى الشجاعة وعلى الإيثار، والشياطين هي القوى الشريرة الرديئة، التي تبعث على الإيذاء، وعلى الظلم، وعلى الطغيان، وعلى العدوان[(٢)].

وأما الإيمان بالكتب فإنهم لا يثبتون الكلام لله ﷻ، ولا يثبتون أن الله تكلم بكلام أنـزله على أنبيائه ورسله، ولا يصفون الله بالكلام؛ فلا يكلِّم

---

(١) انظر: «الملل والنحل» (٢/ ١٨١).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٤٦)، (١٩/ ١٠)، و«الإشارات والتنبيهات» لابن سينا (٣/ ٧).

ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر، زاكٍ، طاهرٍ متميّزٍ عن النوع الإنساني بخصائص؛ وهذا هو الرسول عِندهم.

ولا يؤمنون بأن الله تعالى اصطفى أنبياءه ورسله، بل يقولون: إن الرسالة ليست هبة من الله وليست منحة، بل هي صنعة من الصناعات، وكسب يكسبه الإنسان، وسياسة من السياسات، ولها ثلاث خصائص من توافرت فيه فهو نبي، فالنبي رجل عبقري متميز عن غيره بهذه الخصائص:

الخصيصة الأولى: قوة الإدراك وسرعته؛ لينال من العلم أعظم مما يناله غيره.

الخصيصة الثانية: قوة النفس أو قوة التأثير، ليؤثر بها في سيول العلم بقلب صورة إلى صورة، فهو يشبه الساحر بحيث يقلب ما ارتسم في ذهنك من صورة إلى صورة وأنت لا .

الخصيصة الثالثة: قوة التخيل، حتى يتخيل الملائكة - الذين هم العقول - في صورة شيء محسوس أمامه، كأن أمامه رجل يخاطبه، فيتخيل أن الملائكة أشخاص، وقد يقوى الوهم فيسمع أصواتًا تخاطبه.

فإذا وجدت هذه الخصائص، فهو نبي[1]

وقالوا: إن النبوة لكل أحد يستطيع أن يدركها بالمراس والكسب والخبرة، وقالوا: إن النبوة ليست بالدرجة العالية، بل هناك ما هو أعلى منها؛ لأن النبوة سياسة العامة، والفلسفةُ أعلى منها؛ لأنها سياسة الخاصة، ولهذا فإن بعض الفلاسفة لا يرضون بالنبوة، ويقولون: هي مرتبة

---

(١) انظر: «النبوات» (١/١٩٦)، (٢/٨٣٧-٨٣٩).

أذونُ من الفلسفة، ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب ابن هود وابن سبعين وغيرهما، هذا هو إيمانهم بالرسل.

وأما الإيمان باليوم الآخر، فهم من أشد الناس تكذيبًا وإنكارًا له في الأعيان وفي الخارج، فعندهم أن هذا العالم لا يخرب، ولا تنشق السماوات، ولا تنفطر، ولا تنكدر النجوم، ولا تكور الشمس والقمر، ولا يقوم الناس من قبورهم، ولا يبعثون إلى جنة أو نار، فكل هذا عندهم لا حقيقة له، بل هي أمثال مضروبة لتفهيم العوام، لا حقيقة لها في الخارج[1]؛ كما يفهم منها أتباع الرسل، بل هذه من تخييلات هذا العبقري وسياسته، فيسوس الناس ويخبرهم أن هناك بعثًا وجزاءً، وجنة ونارًا؛ حتى يتعايش الناس بسلام، وحتى لا يعتدي أحد على أحد، فهو يكذب، لكن يكذب لهم لا عليهم، قالوا: ولا بأس في ذلك.

هذا مذهب الفلاسفة في أصول الإيمان، وبهذا يتبين أنهم ملاحدة زنادقة، ينتسبون إلى الإسلام نفاقًا، فهم في الدرك الأسفل من النار إذا ماتوا على ذلك، نسأل الله السلامة والعافية.



---

(١) انظر: «درء التعارض» (١/ ٨-١١).

أهل القبلة مسلمون مؤمنون

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: (وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ):

الشرح

نؤمن بأن أهل القبلة من أهل الإسلام، ولا نخرجهم منه، وأهل القبلة هم كل من يدعي الإسلام، ويستقبل القبلة في الصلاة وفي الذبح وفي الدعاء وإن كان من أهل البدع أو من أهل المعاصي؛ ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول ؛ فنسميهم مسلمين، ونسميهم مؤمنين، إلا من فعل ناقضًا من نواقض الإسلام فارتد، كمن أنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة، أو سب الله أو سب الرسول ، أو استهزأ بالله - كما سيأتي -، أما إذا لم يفعل شيئًا من ذلك؛ فنسميه مسلمًا مؤمنًا ولا نكفره، والدليل على هذا قول النبي : «**مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا؛ فذلك المسلمُ الذي له ذمة الله، وذمة رسوله...**»[١].

(١) أخرجه البخاري (٣٩١) من حديث أنس رضي الله عنه.

الكف عن كلام المتكلمين الباطل وذم علمهم

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ، وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ):

الشرح

أي: لا نخوض في ذات الله، أو في كيفية ذاته؛ لأنها من الأمور التي لا يعلمها إلا هو، قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فلا نخوض في كنه الصفات؛ فنقول: ما كيفية الاستواء؟ ما كيفية العلو؟ ما كيفية العلم؟ ما كيفية السمع؟ ما كيفية البصر؟ ما كيفية المحبة؟ وهكذا، ولهذا لما قيل للإمام مالك في الاستواء، قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فهذه قاعدة عامة، تقال في جميع الصفات.

كذلك لا نجادل ولا نخاصم، ولا نورد الشبه في دين الله وشرعه، ولا نعترض على الله في تشريعه ولا في أوامره ولا في نواهيه، بل نسلم الأمر لله، فنحن عبيد مأمورون، نعلم أن الله حكيم، وأنه ما شرع ذلك إلا لما فيه من الحكمة والمصلحة والرحمة للعباد.

النهي عن الجدال في القرآن

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ):

الشرح

هذا يحتمل معنيين:

المعنى الأول: يحتمل أنه أراد: أنَّا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ: إن القرآن مخلوق، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، بل نقول: إن القرآن كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين محمد.

المعنى الثاني: يحتمل أنه أراد: أنَّا لا نجادل في القراءة الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثبت وصح. وكل من المعنيين المذكورَيْن حق، ويشهد لصحة المعنى الثاني حديثُ عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النبيَّ يَقْرَأُ بِخِلَافِهَا، فجئتُ به النبيَّ ﷺ فأخبرتُه، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهَةَ، وَقَالَ: كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ، فَلَا تَخْتَلِفُوا؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**»[1].

وللفائدة نقول: هناك فرق بين ترتيب سور القرآن وترتيب آياته؛ فترتيب سور القرآن لم يكن واجبًا منصوصًا عليه؛ على الصحيح، بل كان بالاجتهاد من الصحابة، ولهذا: كان ترتيب مصحف ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، على غير ترتيب المصحف العثماني، وأما ترتيب الآيات، فهو ترتيب منصوص عليه؛ فليس لأحدٍ أن يقدّم آيةً علي آية، وجمع عثمانُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الناس

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٦) من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

على حرف واحد اجتماعًا سائغًا جائزًا، وقيل واجبًا.

واختلف العلماء في الأحرف السبعة ما هي؟ فقال جمهور السلف من العلماء والقراء: إن قراءة القرآن على سبعة أحرف جائزة لا واجبة رخصة من الله، وقد جعل الاختيار إليه في أي حرف اختاره، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إن لم تجتمع على حرف واحد؛ جمعهم الصحابة وعثمان على حرف واحد اجتماعًا سائغًا لا واجبًا، فهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة، ولم يكن في جمعهم له ترك لواجب ولا فعل لمحظور.

والقول الثاني: أن الترخص في الأحرف السبعة صار منسوخًا؛ إذ أن الترخص كان في أول الإسلام لما في المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولًا، فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة، وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيرًا عليهم، وهو أوفق لهم وأرفق بهم؛ أجمعوا على الحرف الذي كان في العرضة الأخيرة -عَرْضة جبريل القرآن-، وترك ما سواه، فكان اجتماعهم واجبًا.

وذهب طوائف من الفقهاء وأهل الكلام إلى أن المصحف مشتمل على الأحرف السبعة، وذهب الجمهور على أن المصحف مشتمل على حرف واحد، وأما ما روي عن ابن مسعود أنه يجوز القراءة بالمعنى فغير صحيح؛ لأنه إنما قال: قد نظرت إلى القَرَأَةِ، فرأيت قراءتهم متقاربة، وإنما هو كقول أحدكم: هلم وأقبل وتعال واقرأ[1].

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١٩/٢٧) وما بعدها. ويقولُ شيخُ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَه الله-: (ولا نِزَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْحُرُوفَ السَّبْعَةَ الَّتِي أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا لا تَتَضَمَّنُ تَنَاقُضَ الْمَعْنَى وَتَضَادَّهُ؛ بَلْ قَدْ يَكُونُ مَعْنَاهَا مُتَّفِقًا أَوْ مُتَقَارِبًا كَمَا قَالَ =

القرآن كلام الله

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ المُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-):

الشرح

سبق أن القرآن كلام الله، وأن الله تكلم به، وسمعه جبرائيل وألقاه إلى محمد، كما قال - تعالى -: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]، والروح الأمين هو جبريل-عليه السلام-.

= عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-: (إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ أَقْبِلْ وَهَلُمَّ وَتَعَالَ). وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى أَحَدِهِمَا لَيْسَ هُوَ مَعْنَى الآخر، لَكِنْ كلا الْمَعْنَيَيْنِ حَقٌّ وَهَذَا اختلاف تَنَوُّعٍ وَتَغَايُرٍ لا اخْتِلَافُ تَضَادٍّ وَتَنَاقُضٍ، وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»، إنْ قُلْتَ: غَفُورًا رَحِيمًا أَوْ قُلْت: عَزِيزًا حَكِيمًا؛ فَاَللَّهُ كَذَلِكَ مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ). اهـ، مِن كلامه مِن «مَجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٨٩).

القرآن كلام الله لا يساويه شيء من البشر

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ المَخْلُوقِينَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ):

الشرح

هذا هو الحق، وهو معتقد الصحابة والتابعين وأهل السنة؛ أن القرآن كلام الله، وأنه لا يساويه شيء من كلام البشر، وقد رُوي في الحديث: «فَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ»[1].

ولا نقول: إنه مخلوق؛ لَفْظُه ومعناه؛ كما تقوله المعتزلة. والأشاعرةُ يقولون: الكلامُ هو المعنى القائم بالنفس، وأما الحروف والألفاظ فهي مخلوقة، والعلماء يقولون: من قال: القرآن مخلوق؛ فهو كافر؛ على العموم، أما الشخص المعيَّن إذا قال: القرآن مخلوق؛ فلا نكفّره حتى تقوم عليه الحجة؛ لأنه قد يَكون له شبهةٌ، فإذا كُشِفَتْ

(١) الترمذي: فضائل القرآن (٢٩٢٦)، والدارمي (٣٣٥٦) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ورواه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١/ ١٤٩، ١٥٠)، ومحمد بن نصر في «قيام الليل» (ص ١٢٢)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ١٠١)، وفي «الأسماء والصفات» (٥٠٧، ٥٠٨)، وضعّفه الشيخ الحاشدي في تعليقه على «الأسماء والصفات» للبيهقي (١/ ٥٨١-٥٨٢)، وقد روي من حديث عثمان، وأبي هريرة، ولا يصح عنهما. انظر: تعليق الشيخ الحاشدي على «الأسماء والصفات» للبيهقي (١/ ٥٧٨- ٥٨٠)، و(١/ ٥٨٣).

الشبهةُ، وأصرَّ بعد البيان، فإنه يكفُرُ، هكذا قال أهل العلم، كالإمام أحمد وغيره[١].

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٠٧-٥٠٨): (أحمد لم يكفر أعيان الجهمية ولا كل من قال: إنه جهمي كفره ولا كل من وافق الجهمية فى بعض بدعهم بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة، لم يكفرهم أحمد وأمثاله، بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم، ويرى الائتمام بهم فى الصلوات خلفهم، والحج والغزو معهم، والمنع من الخروج عليهم ما يراه لأمثالهم من الأئمة، وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم، وإن لم يعلموا هم أنه كفر، وكان ينكره ويجاهدهم على رده بحسب الإمكان، فيجمع بين طاعة الله ورسوله فى إظهار السنة والدين، وإنكار بدع الجهمية الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمة، وإن كانوا جهالًا مبتدعين، وظلمة فاسقين).

مخالفة من قال بخلق القرآن جماعةَ المسلمين

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ):

الشرح

من قال: إن القرآن مخلوق، فقد خالف جماعة المسلمين، والجماعة هم: الصحابة، والتابعون، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لا يجوز تكفير المسلم بذنب ما لم يستحله

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ):

الشرح

هذا معتقد أهل السنة والجماعة؛ أنه لا يُكفَّر أحدٌ من أهل القبلة، ما لم يفعلوا شيئًا من نواقض الإسلام، ولو زنا، أو سرق، أو عق والديه، أو قطع الرحم؛ نقول: هذا عاصٍ مرتكب لكبيرة، ناقص الإيمان، ضعيفه، إلا إذا استحلَّ شيئًا من ذلك؛ فإنه يكفر؛ لأنه مكذب لله في تحريم الزنا، وفي تحريم عقوق الوالدين، وهكذا.

ولا بد أن يكون ما استحله أمرًا قطعيًّا ليس فيه خلاف بين أهل العلم؛ إما واجبًا أنكره، أو حرامًا استحله، كمن أنكر وجوب الصلاة، أو وجوب الزكاة، أو وجوب الحج، أو استحل الزنا، أو شُرْبَ الخمر، أو الربا، أو عقوق الوالدين؛ فمن فعل شيئًا من ذلك مستحلًّا له: كفر، أما إذا فعله مقرًّا بوجوبه أو تحريمه -إذا كان محرَّمًا-، فهو عاص ضعيف الإيمان، مرتكب لكبيرة، هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

والناس لهم في هذه المسألة أربعة مذاهب:

المذهب الأول: مذهب أهل السنة والجماعة؛ وهو الذي سبق.

المذهب الثاني: مذهب المرجئة الغلاة، وهم ينفون التكفير نفيًا عامًّا، فيعممون النفي والسلب، فيقولون: لا نكفِّر من أهل القبلة أحدًا، بل الزاني

والسارق وشارب الخمر؛ إيمانه كامل، ويدخل الجنة من أول وهلة[١].

المذهب الثالث: مذهب الخوارج؛ وهو عكس مذهب المرجئة؛ يقولون: يكفر المسلم بكل ذنب كبير، ويرون اتباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب - بزعمهم -، وإن كانت متواترة، ويكفِّرون من خالفهم، ويستحلون منه ما لا يستحلونه من الكافر الأصلي، فيقولون: الزاني كافر، وشارب الخمر كافر، والمرابي كافر، والعاق لوالديه كافر، ومن تكلم بكلمة الكفر أو فعل كبيرةً من الكبائر: كفر[٢].

المذهب الرابع: مذهب طوائف من أهل الكلام والفقه، يقولون: نفرق بين العمل وبين القول والابتداع، فيقولون: إن مرتكب الكبيرة لا يكفر، كما يقول أهل السنة، فيوافقونهم على هذا القول، لكن المبتدع الذي ابتدع وتكلم بكلام كفري فإنَّا نكفره.

ودليلهم: يقولون: إن البدع مظنة الردة، فتعطَى حكمها، وهم يفرقون بين الأعمال وبين الاعتقادات البدعية، فلا يكفرون الذين يعملون الكبائر، ويكفرون أصحاب الاعتقادات البدعية، وإن كان صاحبها متأولًا، وحملوا النصوص على هذا.

---

(١) قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (١٦/ ١٩٦): (و القول بأن أحدًا لا يدخلها من أهل التوحيد ما أعلمه ثابتا عن شخص معين فأحكيه عنه لكن حكي عن مقاتل بن سليمان).

وقال في «منهاج السنة»(٥/ ٢٨٦): (وقد حكي عن بعض غلاة المرجئة أن أحدًا من أهل التوحيد لا يدخل النار ولكن هذا لا أعرف به قائلًا معينًا فأحكيه عنه، ومن الناس من يحكيه عن مقاتل بن سليمان والظاهر: أنه غلط عليه).

(٢) انظر: «مقالات الإسلاميين»(١/ ١٧٠)، و«مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٩٧)، (٧/ ٤٨١-٤٨٤، ٤٨٣)، و«الاستقامة» (١/ ٤٣١).

أما أهل السنة والجماعة: فقد خالفوا هذه الطوائف كلها، قالوا: من ارتكب الكبيرة - سواء كانت الكبيرة عملية، أو بدعية أو قولية - فهذا لا يكفر إلا إذا استحلها، ولكن نصفه بأنه ضعيف الإيمان، وناقص الإيمان، فلا يسلبون عنه اسم الإيمان مطلقًا، ولا يعطونه اسم الإيمان مطلقًا، فهو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، أما الأدلة والمناقشات والردود، فسيأتي الكلام عليها فيما بعد - إن شاء الله -.

حكم أهل الكبائر والفساق والعصاة وأهل البدع من أهل القبلة ومذاهب الناس فيهم:

قلنا: إن للناس في هذا مذاهب وقد سبق استعراض هذه المذاهب.

ونعود إلى المذهب الأول: مذهب المرجئة التي تنفي التكفير نفيًا عامًّا، فتعمم النفي والسلب، فمن شبههم وأدلتهم عمومًا نصوص الوعد؛ مثل قول النبي : «**ما مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله ثم مات على ذلك، إلّا دَخَلَ الجَنَّةَ قلت: وإن زنا وإن سَرق؟ قال: وَإِنْ زَنَا وَإِنْ سَرَقَ**»[1]، ومثل حديث: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحمدًا رَسُولُ اللهِ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإسلام، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»[2].

ومثل حديث البطاقة، وفيه: «**يُؤْتَى بِرَجُلٍ فَيُخْرَجُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ البَصَرِ سَيِّئًا، ثُمَّ يُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥) واللفظ له، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الصحيحين أيضًا بنحو حديث ابن عمر، عن أنس، وأبي هريرة، وجابر بن عبدالله.

فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ[(١)]، ومنها أحاديث الشفاعة كحديث: «أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ»[(٢)]، وحديث أبي هريرة: «أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ: مِنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَومَ القِيامَةِ؟ .... قَالَ رسول الله

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢١٣)، واللالكائي في «السنة» (٢٢٠٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٧٢٥)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٩)، و (١٩٣٧) -وصححه-: جميعًا من طريق الليث بن سعد، عن عامر بن يحيى المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ مرفوعًا.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وقال الحاكم: المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٤٦ -بتحقيق: مصطفى عبدالقادر): «هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم فقد احتج بأبي عبدالرحمن الحبلي، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وعامر بن يحيى مصري ثقة، والليث بن سعد؛ إمامٌ، ويونس المؤدب: ثقة، متفق على إخراجه في الصحيحين».
وقال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد، تفرد به: عامر بن يحيى».
قال ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود (١٣/ ٧٠ -دار الكتب العلمية، ط ثانية): قال حمزة الكناني: لا أعلم روى هذا الحديث غير الليث بن سعد، وهو من أحسن الحديث.اهـ. كذا قالوا!! مع أنه رُوي نحوه مختصراً من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، رواه عنه عبدالله بن يزيد، وهو أبو عبدالرحمن الحُبلي، وعنه عبدالرحمن بن زياد بن أنعم، وأخرجه من هذا الوجه: عبْدُ بن حُميد في «المنتخب من المسند» (٣٣٩)، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٠٣- ٢٠٤)، والآجري في «الشريعة» (٩٠٢ -بتحقيق: الدميجي).
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ نحوه. وقد تقدم تخريجه.

ﷺ: أسعدَ الناس بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أو نَفْسِهِ»(١) .

ويناقش المرجئة في قولهم: لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب، فنقول: قولكم هذا يُرد عليه بأمرين:

الأمر الأول: أن في أهل القبلة منافقين يتظاهرون بالشهادتين، ويتجهون إلى القبلة في الصلاة والذبح، ويتظاهرون ببعض ما يمكنهم إظهاره من شعائر الإسلام، وفيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، فقولكم: لا نكفر من أهل القبلة أحدًا بذنب؛ يلزمكم أن لا تكفروا المنافقين، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، وهم من أهل القبلة.

ثانيًا: أنه لا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، أو المحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك؛ فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافرًا؛ لأنه أنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة.

وَيُرَدُّ أيضًا عليهم بنصوص الوعيد، فإن نصوص الوعد تدل على بقاء الإيمان معهم، ونصوص الوعيد تدل على أن الإيمان يضعف وينقص، فقولكم: لا يتأثر إيمانه وأنه هو كامل الإيمان، باطل تردُّه نصوصُ الوعيد.

أما المذهب الثاني: مذهب الخوارج والمعتزلة الذين يطلقون التكفير، فيكفرون بالذنب، فإنهم يقولون: يكفر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

كبير، ويرون اتباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب، وإن كانت متواترة، ويكفِّرون من خالفهم، ويستحلون منه ما لا يستحلونه من الكافر الأصلي، كما قال النبي ﷺ: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ**»(١) ولهذا كفَّروا عثمان وعليًّا وشيعتهم، وكفروا أهل صفين -مِن الطائفتين-، في نحو ذلك من المقالات الخبيثة لهم، ومستندهم وشبهتهم في هذا التكفير نصوصُ الوعيد، مثل حديث: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(٢).

ويرد عليهم أولًا: بنصوص الوعد التي استدل بها المرجئة؛ فإنها تدل على بقاء الإيمان، كما أنه يُرَدُّ على المرجئة القائلين بأنه: مؤمن كامل الإيمان، بنصوص الوعيد التي استدل بها الخوارج؛ وهي تدل على أن الإيمان يضعف وينقص، وكذلك نقول: إن الله أمر بقطع يد السارق دون قتله، ولو كان كافرًا مرتدًّا؛ لوجب قتله، ولا يقام عليه الحد؛ لأن النبي ﷺ قال: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(٣) وقال: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: كُفْرٍ بَعْدَ إِسْلَامٍ، وَزِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أو قَتْلُ نَفْسٍ بغير نَفْسٍ**»(٤)، وأمر الله بجلد الزانيين وجلد القاذف، وكان النبي ﷺ يجلد شارب الخمر ولم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الترمذي (٢١٥٨)، والنسائي (٤٠١٩) و (٤٠٥٧)، وأبو داود (٤٥٠٢) واللفظ له، وابن ماجه (٢٥٣٣)، وأحمد (١/ ٦١) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وألفاظهم متقاربة. وأخرج نحوه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وفي الباب عن غيرهما، وانظر: «نصب الراية» (٣/ ٣١٧-٣١٨).

يقتله، فلو كان من ارتكب الكبيرة كافرًا؛ لوجب قتله، ولا تقام عليه الحدود.

ويُرَدُّ عليهم أيضًا بالإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر، إذا صلوا إلى القبلة، وانتحلوا دعوة الإسلام؛ من قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الأحوال، فلو كان الزاني والسارق وشارب الخمر كافرًا؛ لما ورث من أقاربهم المستقيمين، فكونهم يرثون، يدل على أنهم ليسوا كفارًا.

ويُرَدُّ عليهم أيضًا: أنه ثبت أن النبي نهى عن لعن رجل يشرب الخمر، وكان اسمه حمارًا، وكان النبي يضحك منه، وكان كلما أُتي به إليه: جلده، فأُتي به إليه مرة فأمر به فَجُلِدَ، فلعنه رجل، فقال النبي: **«لَا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ»**[1] فنهى عن لعنه بعينه، وشهد له بحب الله ورسوله، مع أنه قد لعن شارب الخمر عمومًا بقوله: **«لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَعَاصِرَهَا»**[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، ولفظه: «أن رجلا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يُضْحِكُ رسولَ الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا فأمر به فجُلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه! فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله».

(٢) أبو داود (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠) من حديث ابن عمر ﷺ.
قال الحافظ في «التلخيص الحبير» (٥ / ١٩٣): «رواه أبو داود، وفيه عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي، وصححه ابن السكن، ورواه ابن ماجه وزاد: (وآكل ثمنها). وفي الباب عن أنس بن مالك به وزاد: (وعاصرها، والمشتري لها، والمُشْترى له). رواه الترمذي وابن ماجه ورواته ثقات». اهـ. وانظر: «البدر المنير» (٨/ ٦٩٧-٧٠١). فقد ذكر له رواة آخرين من الصحابة، بمعنى حديث السابق. والله أعلم.

ويُردُّ عليهم أيضًا: بأن الله - تعالى - قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، فقد وصفهم الله بالإيمان والإخوة، وأمر بالإصلاح بينهم؛ مع أنهم يقتتلون؛ والقتالُ من الكبائر؛ فدلَّ على أن الكبيرة لا تخرجه من الإسلام.

المذهب الثالث: الذي يفرق أصحابه بين البدعة في الأقوال والاعتقادات وبين الأعمال التي هي من كبائر الذنوب، فيفرقون بينهما ويقولون: إذا ارتكب بدعة، أو قال قولًا مبتدعًا، فإنه يكفر، أما إذا فعل كبيرة من كبائر الذنوب فإنه: لا يكفر، وهذا يُنسب إلى طوائف من أهل الكلام والفقه والحديث، كما مضى .

فهم لا يكفرون الذين يعملون الكبائر، ويكفرون أصحاب الاعتقادات البدعية، وإن كان صاحبها متأولًا، فيقولون: من قال هذا القول: يكفر، ولا يفرقون بين مجتهد مخطئ وغيره، أو يقولون: كل مبتدع يكفر، وشبهتهم؛ قالوا: إن البدعة مظنتها النفاق والردة؛ وهي أصل البدع.

ويرد عليهم:

أولًا: أن البدع الاعتقادية من جنس الأعمال، لا فرق بينهما، فإن الرجل يكون مؤمنًا باطنًا وظاهرًا، لكن تأول تأويلًا أخطأ فيه، إما مجتهدًا وإما مفرطًا مذنبًا، فلا يقال: إن إيمانه يحبط بمجرد ذلك الاعتقاد أو العمل، بغير دليل شرعي، بل هذا يوافق قول الخوارج والمعتزلة، ولا يقال: لا يكفر، بل يُفَرَّقُ بين المقالة والقائل.

ثانيًا: أن نصوصًا كثيرة قد دلت على أنه يخرج من النار من كان في

قلبه مثقال ذرة من إيمان، وهذا يشمل الاعتقادات والأعمال، ولهذا: فإن مذهب أهل السنة: ألا يقال لا نكفر أحدًا بذنب، ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول: بأنا لا نكفر أحدًا بذنب، بل يقال: لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بكل ذنب، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب، ويعممون السلب، فيقولون: يكفر بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير.

ثالثًا: سلك أهل السنة مسلكًا عدلًا هو الوسط، وهو التفريق بين الأقوال، والقائل المعيّن؛ فالأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الله، أو نفي ما أثبته الرسول ﷺ، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به: يُقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، ويقال: من قالها فهو كافر، وهذا عام لا يعين شخصًا بعينه؛ كالقول بخلق القرآن، والوعيد في الظلم في النفس والأموال، فيقال: من قال بخلق القرآن فهو كافر، وأما الشخص المعين، فلا نشهد عليه أنه من أهل الوعيد وأنه كافر إلا بأمر تجوز معه الشهادة، كأن يُعلم بأنه منافق، أو يُنْكِر ما هو معلوم من الدين بالضرورة، ويُستتاب فلا يتوب؛ لأن الحكم عليه بالكفر بدون دليل؛ من أعظم البغي، لأن هذا حكم الكافر بعد الموت، كما بوب أبو داود في «سننه»: باب النهي عن البغي[1]، وذكر فيه قصة الرجلين المتواخيين من بني إسرائيل أحدهما مذنب والآخر مجتهد في العبادة...، وأن المجتهد كان يأتي المذنب، ويقول: «**أَقْصِرُ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ: لَا يُدْخِلُكَ الجَنَّةَ، فَقُبِضَ أَرْوَاحُهما فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ، فَقَالَ: لهذا المُجْتَهِد:**

---

(١) سنن أبي داود (٢/ ٦٩٢).

أَكُنتَ بي عَالمًا، أو كنتَ على ما في يدي قادِرًا؟ وقَالَ للمُذْنِبِ: اذهبْ فادخل الجنة بِرَحمَتي، وقَالَ للآخر: اذهبوا به إلى النار. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: والذي نَفْسي بيده لتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»[١].

فالشهادة على المعين بالكفر من البغي.

ثانيًا: أن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدًا مخطئًا مغفورًا له.

ثالثًا: يمكن أن يكون لم يبلغه ما وراء ذلك القول من النصوص، فيكون معذورًا لجهله.

رابعًا: يمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر الله للذي قال: «لبنيه: إذا أَنَا متُّ فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذَرُّني في الرّيح؛ فوالله لئن قَدَرَ الله عَليَّ ليعذِبَنيِّ عَذابًا ما عذَّبه أحدًا»[٢]، فغفر الله له من خشيته، وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شَكَّ في ذلك، وهذا الحديث في «الصحيحين».

وفي بعض ألفاظ الحديث أنهم سحقوه وأحرقوه: «واذْرُوا نِصْفَهُ في البَرِّ، ونِصْفَه في البَحْرَ، فَأَمَرَ اللهُ البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وأمر البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثم قال: لِمَ فعلتَ؟ قال: مِنْ خشيتك، وأنتَ أعلم، فَغَفَرَ لَهُ»[٣]،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠١) واللفظ له، وأحمد (٢/ ٣٢٣)، وابن حبان (٥٧١٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦٦٨٩). من حديث أبي هريرة ﵁، وحَسَّنَهُ الألباني ﵀ في «تخريج الطحاوية» ص (٣٥٨ -ط السابعة).

وأخرجه مسلم (٢٦٢١) عن جندب أن رسول الله ﷺ: «احدث أن رجلا قال والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك».

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨١) واللفظُ له، ومسلم (٢٧٥٦) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٣) هي رواية البخاري (٧٥٠٦).

وقال في حديث أبي سعيد في قصة أخرى، لكنها بنحو القصة الأولى: «فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ عِندها» أو: «فما تلافاهُ غيرُها»[1]، قال العلماء: إن هذا الرجل إنما فعل ذلك عن جهل ليس معاندًا ولا مكذبًا ولا متعنتًا، ولكن فعله عن جهل، وإلا فهو معترف ومصدق بأنه لو تُرك على حاله لبعثه الله.

لكن هذه المسألة دقيقة فخفيت عليه، ولهذا قال العلماء: من أنكر أمرًا دقيقًا مثلُه يجهله؛ يكون معذورًا فلا يكفر في هذه الحالة، أما لو أنكر البعث متعمدًا؛ عن عنادٍ وعن تكذيب، فهذا لا شك في كفره، فلهذا: لا يحكم على الشخص المعين بالكفر إلا بعد التثبت ومعرفة حاله.

وخامسًا: أنه قد يكون حديث عهد بالإسلام، أو قد يكون نشأ في بادية بعيدة عن الإسلام.

ولكن التوقف في أمر الآخرة؛ في أهل البدع: لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا، لمنع بدعته، وأن نستتيبه، فإن تاب وإلا قتلناه، إذا كان مستحقًّا للقتل، ثم إذا كان القول في نفسه كفرًا، قيل: إنه كفر، والقائلُ له يَكْفُر إذا وُجدت الشروط وانتفت الموانع[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٨) باللفظين المذكورين، وأخرجه مسلم (٢٧٥٧) باللفظ الثاني.

(٢) قال شيخ الإسلام: (والتكفير هو من الوعيد فإنه وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرسول، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أوعارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئًا). «الفتاوى» (٣/ ٢٣١). =

ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ):

الشرح

لا نقول ذلك، لأن هذا قول المرجئة الجهمية؛ يقولون: لو ارتكب جميع الكبائر والمنكرات فلا يضرّه ذلك، ولا يُنقِص من إيمانه؛ فإيمانه كامل، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فإذا قال الإنسان: أشهد أن لا إله إلا الله وآمن، فلا يضره أي ذنب ولو ارتكب جميع الجرائم والكبائر، حتى قالوا: لو هدم المساجد، وقتل الأنبياء والرسل، وداس المصحف بقدميه فلا يكون كافرًا حتى يكذِّب بقلبه، أمَّا ما دام قلبه مصدقًا: فلا وهذا من أبطل الباطل. والمقصودُ: أنَّا لا نقول كما تقول المرجئة، ولا نقول بقول الخوارج فنكفر بالذنب.

وقال: (بل يضل عن الحق من قصد الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يُعَاقَب، وقد يفعل بعض ما أمر به فيكون له أجر على اجتهاده، وخطؤه الذي ضل فيه عن حقيقة الأمر مغفور له، وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم) (١٩/ ١٩١)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (١/ ١٢، ١١٣)، (٤/ ٥٠١)، (٥/ ٣٠٦)، و«جامع المسائل» (٣/ ١٥١)، و«الدرر السنية» (١٠/ ٩٣-٩٥).

ما ينبغي على المؤمن اعتقاده في حق نفسه وحق غيره

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ (نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ):

الشرح

هذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ يرجون للمحسنين أن يعفو الله عنهم، ويتجاوز عن سيئاتهم.

يرجون من الله أن يدخل المحسنين الجنة

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ):

الشرح

هكذا نرجو للمؤمن، فإذا رأينا الشخص مستقيمًا محافظًا على ما أوجب الله عليه؛ نرجو له المغفرة، ونرجو أن يدخله الله الجنة، لكن لا نشهد بالجنة إلا لمن شهدت له النصوص؛ كالعشرة المبشرين، والحسن والحسين، وغيرهم، لكن نشهد بالجنة للعموم، فنقول: كل مؤمن في الجنة، وإذا رأيت رجلًا منحرفًا فلا تشهد له بالنار، لكن نشهد بالنار للكفرة على العموم، فنقول: كل كافر في النار، إلا إذا علمتَ أنه مات على الكفر، وعلى الردة، وقامت عليه الحجة، فهذا لا بأس أن نقول: هو في النار.

فنحن نرجو الخير للشخص المستقيم، ونخاف على المنحرف؛ فالرجاء للمحسنين، والخوف على المسيئين من معتقد أهل السنة، ولهذا روي عن الإمام أحمد أنه سُمع وهو يقول عند الموت: بَعْدُ بَعْدُ، ثم أفاق فُسئل فقيل له: يا إمام، تقول: بعد بعد؟! فقال: إن الشيطان جاء إليَّ، وقال: فُتَّنِي يا أحمد، فتني يا أحمد، فقلت: بعد بعد، أي: ما دام أنَّ الروح ما خرجت، فما فتّك بعد. فإذا كان هذا الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ فكيف بغيره؟ فالحي ما تؤمَن عليه الفتنة حتى تخرج روحه، وأما المسيئون؛ فأهل السنة يستغفرون لهم، ويخافون عليهم النار، ولا يقنِّطُونه من رحمة الله، قال أبو علي الروزباري رَحِمَهُ اللَّهُ: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه

النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حَدِّ الموت.

وقالوا: ينبغي للعبد أن يكون رجاؤه في مرضه أرجح من خوفه؛ حتى لا يموت الإنسان إلا وهو حَسَنُ الظنِّ بالله، بخلافه في زمن الصحة؛ فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه؛ حتى يحمله الخوف على العمل الصالحُ والبُعد عن السيئات؛ عملًا بالأحاديث، ومنها الحديث القدسي، وهو في «الصحيح» عن النبي : «**يَقُولُ اللهُ ﷻ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**»[(١)]، وما ثبت في «صحيح مسلم» عن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله يقول قبل موته بثلاث: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ**»[(٢)].

وقال بعض السلف: مَن عبد الله بالحب وحده؛ فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده؛ فهو خارجي، ومن عبده بالرجاء وحده؛ فهو مرجئي، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء؛ فهو مؤمن موحد[(٣)].

والله - سبحانه وتعالى - قد أثنى على المؤمنين الذين يعبدونه بالخوف والرجاء، فقال - سبحانه و تعالى-: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقد تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٠٧).

[الأنبياء: ٩٠].

وقد دلت الأدلة على مدح أهل الخوف والخشية والرهبة، والثناء عليهم، فقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١]، وقال: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقد مدح الله - سبحانه وتعالى - أهل الإحسان مع الخشية والخوف، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

ومن السنة ما في المسند والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]؛ أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الخَمْرَ؟ قَالَ: لَا يَا بنت أبي بكر، أو يا بنت الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَيُصَلِّي وَهو يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ»[1].

---

(1) أخرجه الحميدي (٢٧٥)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨) واللفظ له، وأحمد (٦/١٥٩، ٢٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/٤٢٧)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، والطبري في «التفسير» (١٨/ ٣٣- ٣٤)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٧/٥٧٨)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (١٦٤٣).

جميعًا من طريق مالك بن مغول، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني عن عائشة -رضي الله عنها به.- ورجاله ثقات، لكن قيل: لم يدرك عبدالرحمن عائشة، =

قال الحسن رحمه الله: عملوا والله بالطاعة واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانًا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنًا[1].

= ونقل في «جامع التحصيل» (ص٢٢٢)، عن أبي حاتم أن عبدالرحمن لَمْ يَلْقَ عائشةَ، وأخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٨/ ٣٤)، عن جرير، عن ليث بن أبي سليم، وهشيم، عن العوام بن حوشب جميعاً عن عائشة بنحوه، وأخرجه أيضاً ابن جرير (١٨/ ٣٤)، وأبو يعلى (٤٩١٧) من طريق ليث، عن رجل، عن عائشة، وأخرجه الطبري كذلك (١٨/ ٣٣)، والطبراني في «الأوسط» (٣٩٦٥)، كلاهما من طريق الحكم بن بشير بن سليمان، عن عمرو بن قيس الملائي، عن عبدالرحمن بن سعيد بن وهب، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن عائشة، بنحوه.

(١) عزاه في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٢) لابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة ثم تلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧﴾ [المؤمنون: ٥٧] إلى قوله: ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وقال المنافق: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨]، وهو في تفسير الطبري (١٨/ ٣٢).

الأسباب التي تسقط بها عقوبة جهنم عن فاعل السيئات

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: (وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ وَلَا نُقَنِّطُهُمْ):

الشرح

هناك أحد عشر سببًا تسقط به عقوبة جهنم عن فاعل السيئات، عُرِفتْ بالاستقراء من الكتاب والسنة(١):

الأول: التوبة: والتوبة النصوح هي: الخالصة التي لا يختص بها ذنب دون ذنب، وكون التوبة سببًا لغفران الذنوب وعدم المؤاخذة بها فهذا لا خلاف فيه بين الأمة، وليس شيء يكون سببًا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، وقد أجمع العلماء على أن هذه الآية نزلت في التائبين، ولهذا قال بعدها: ﴿لَا تَقْنَطُواْ﴾ [الزُّمَر: ٥٣] ثم قال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزُّمَر: ٥٤].

الثاني: الاستغفار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣]، لكن الاستغفار تارة يُذكر وحدَه، وتارة يُقرن بالتوبة، فإن ذُكر وحده؛ دخلتْ معه التوبةُ، كما إذا ذُكرت التوبةُ وحدها؛ شملت الاستغفارَ. فالتوبةُ تتضمن الاستغفار، والاستغفار يتضمن التوبة، فكل واحد منهما يدخل في مسمى

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٨٧-٥٠١)، و«منهاج السنة» (٤/ ٣٢٥)، (٦/ ٢٠٦-٢٣٨)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٤٥١-٤٥٥).

الآخر عند الإطلاق، أما عند الاقتران، فيفسَّر الاستغفارُ؛ بطلب وقاية شرٍّ ما مضى، والتوبة تفسَّر بالرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، فهما إذا اجتمعا: افترقا، وإذا افترقا: اجتمعا.

ونظير هذا: الفقيرُ والمسكين، والإثم والعدوان، والبر والتقوى، والفسوق والعصيان، والكفر والنفاق، والإيمان والإسلام، كل هذه الأمور إذا أُطلق أحدهما؛ دخل فيه الآخر، وإذا اجتمعا: صار لكل واحد منهما معنى يَخَصُّهُ.

الثالث: الحسنات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وقال: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، والدارمي (٢٧٩١)، وأحمد (٥/ ١٥٣، ١٥٨، ١٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢١ -تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٣٢٤)، والبزار في «المسند» (٤٠٢٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٥٢)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٤/ ٨٤)، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وقال الحاكم -بعد أن أسنده-: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخَيْن ولم يخرجاه»، وقال الحافظ ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص١٣١): «هذا حديث حسن»، وحَسَّنه أيضاً الألباني في «صحيح الجامع» (٩٦)، وكل مَنْ سبقوا أخرجوه من حديث أبي ذرٍّ، لكن أخرجه من حديث معاذ بن جبل، الترمذي (١٩٨٧)، ولم يسق لفظه، وإنما ساق إسناده وأحال بلفظه على حديث أبي ذر، وأسنده أيضاً عن معاذٍ، الطبرانيُ في «الكبير» (٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨)، وفي «الصغير - الروض الداني» (٥٣٠)، والشاشي في «المسند» (١٣٦٧)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٤/ ٣٠٠- ٣٠١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ١٨)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٢٣، ٨٠٢٤، ٨٠٢٥)، وقد أشار الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (ص١٥٧)، إلى الانقطاع الواقع في هذا الحديث؛ بأن ميمون بن شبيب -راويهِ عن أبي ذرٍ، ومعاذ- لم يصح له سماع عن أحدٍ من الصحابة، ونَبَّه على =

رابعًا: المصائب الدنيوية، وفي الحديث: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ، ولا أذى ولا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[1].

خامسًا: عذاب القبر، فقد يُعذب الإنسانُ في قبره، ثم تسقط عنه عقوبة جهنم.

سادسًا: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات.

سابعًا: ما يُهدى إليه بعد الموت؛ من ثواب صدقة، أو قراءة، أو حج، أو نحو ذلك.

ثامنا: أهوال يوم القيامة وشدائده، قد تُسقِط عنه عقوبة جهنم.

تاسعًا: اقتصاص المؤمنين بعضهم من بعض، حينما يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار[2] بعد عبور الصراط، فإذا كان لأحدهم مظلمة على

= هذا الانقطاع أيضاً الحافظُ ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص١٣١)، وساق له من حديث معاذ شواهد يتقوى بها. انظر: «الأمالي المطلقة» (ص١٣٢- ١٣٣)، وانظر تفاصيل أوفى متعلقة بهذا الحديث في كتاب «جامع العلوم والحكم» للحافظ ابن رجب (ص١٥٧- ١٥٨)، وقد ساق له شواهد من حديث أبي ذرٍّ أيضاً. والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة -رضي الله عنهما-، وفيهما بنحوه من حديث عائشة، وغيرها.

(٢) أخرج البخاري (٦٥٣٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا».

شخص، ثم أخذها قبل دخول الجنة؛ سقطت عنه عقوبةُ جهنم.

عاشرًا: شفاعة الشافعين، فقد يشفع له فلا يدخل جهنم.

الحادي عشر: عفو أرحم الراحمين، فقد يعفو الله عن بعض الناس من غير شفاعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فيُعفى لصاحب الإحسان العظيم ما لا يُعفى لغيره.

فالخلاصةُ: أن مذهب أهل السنة والجماعة أنهم يرجون للمحسنين أن يعفو الله عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا يؤمّنونه من مكر الله، ولا يشهدون لمعيّن بالجنة إلا من شهد له النصُّ، ونخافُ على المسيُ، ونستغفر له، ولا نقنّطُهُ من رحمة الله.

مسألة: يكثر السؤال عن رؤية الملائكة ربهم في الدنيا، فهل هذا صحيح؟

الجواب: لا يرى اللهَ أحدٌ في الدنيا لا الملائكة ولا غيرهم، كما مر في حديث أبي ذر: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[1]، فالملائكة خلق من خلقه، فلو كشف الحجاب لأحرقت سبحاتُ وجهه الملائكةَ وغيرهم، فلا يراه أحد في الدنيا في اليقظة، أما في النوم فيمكن، فلا يستطيع أحد أن يثبت لرؤية الله؛ فالله تعالى لمَّا تجلى للجبل تدكدك وهو صخر، فكيف بالمخلوق الضعيف؟!

مسألة: هل ثبت في الكرسي حديث صحيح؛ لأن بعض العلماء يقول: إن أثر ابن عباس أخذه عن بني إسرائيل؟

(١) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

الجواب: قوله في الحديث: «الْكُرْسِيُّ هُوَ عِلْمُهُ» ليس في الصحيح[١]، أما قوله: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ»[٢] فيحتمل نقله ولكنه ليس بصحيح، والعلماء قد اعتمدوه، ولكن سماحة شيخنا الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله كان يرى أنه يحتمل أن يكون أخذه من بني إسرائيل، وعلى هذا نقول: العرش مخلوق والكرسي مخلوق، والكرسي دون العرش، أما العلماء كالدارمي وغيره، فهم اعتمدوا ما ثبت عن ابن عباس أنه قال: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالعَرْشُ لَا يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ»[٣].

مسألة: التفكر في عِظَمِ خلْقِ العرش والكرسي يورث الخشية لله تعالى، فهل يصح أن يجعل الإنسان في ذهنه صورة تخيلية لهما؟

الجواب: ما دام الكرسي والعرش مخلوقين؛ فلا يضر ذلك، أما التفكُّر في كنه ذات الرب أو كنه صفاته: فهذا ممنوع.

مسألة: هل محبة الرسول لذاته أم لله تعالى؟

الجواب: الذي يُحَبُّ لذاته هو الله سبحانه وتعالى، أما محبة الرسول ﷺ فهي تابعة لمحبة الله، ومحبة المؤمنين كذلك، لكن محبة الرسول ﷺ ينبغي أن تكون فوق محبة الأولاد وفوق محبة النفس التي بين جنبيك، هذا هو الأكمل، وهو الأفضل، أما إذا قدم محبة غير الرسول على محبة الرسول ﷺ، فهذا يكون نقصًا وضعفًا في الإيمان، وقد توعد الله من قدم شيئًا من ذلك على محبته ومحبة رسوله فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ

---

(١) تقدم تخريجه وكلام الحافظ ابن حجر، وكلام الطبرى وتعقيب الشيخ محمود شاكر عليه فانظره للفائدة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [التوبة: ٢٤]، فمن قدم محبة الأبناء أو الآباء أو التجارة أو المساكن على محبة الله ورسوله؛ فهو فاسق ضعيف الإيمان، فالكمال أن تقدم محبة الله ورسوله على كل شيء.

مسألة: العلو يختلف في الاتجاه بحسب كل إنسان على سطح الأرض، فتكون جهة العلو في كل اتجاه، فما هو توجيهكم لهذا القول؟

الجواب: العلو ما كان فوق السماوات والأرضين، بل الأفلاك كلها ما لها إلا جهتان مثل الأرض، فالأرض كروية الشكل، فجهة العلو لها من جميع الجهات، فإذا كنت في مكان وشخص في مكان آخر؛ فهو يتصور أنك تحته، وأنت تتصور أنك تحته، وكلكم في العلو على وجه الأرض، أما السفل فهو المركز في وسط الأرض، بحيث لو انخرق من هنا خرق وانخرق من هنا خرق، ونـزل من هنا شخصٌ ونـزل من هنا آخَرُ، لالتقتْ رجلاهما في المركزْ، ثم لو فرضنا أنهما استمرا في خرق الأرض، وتجاوزا المركز، فإنهما يكونان صاعدَيْن والحالة هذه. إذًا: الأرض والسماء ما لهما إلا جهتان؛ جهة العلو والسفل، أما أنا وأنت والمخلوقات المتحركة فلها ست جهات، أمام، وخلف، ويمين، وشمال، وفوق، وتحت.

أما المخلوقات الثابتة كالسماوات والأراضين والأفلاك كلها: فما لها إلا جهتان؛ العلو والسفل، فالعلو ما كان على سطحها، والسفل: مَحَطُّ الأثقال.

الجمع بين الخوف والرجاء

◆ قال الإمام الطحاوي - رحمه الله تعالى-: (وَالأَمْنُ وَالإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنِ المِلَّةِ وَسَبِيلِ الحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ القِبْلَةِ):

الشرح

المراد بالأمن: الأمن من مكر الله، والمراد بالإياس: اليأس من رَوْح الله، والمراد بالملة: ملة الإسلام، والمقصود: أن الأمن من مكر الله واليأس من روح الله كل منهما كفر ينقل عن الملة، وأما سبيل الحق فبين الأمن والإياس؛ وهو: الخوفُ والرجاء.

وكما رُويَ في الحديث عن النبي أنه قال: **«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ الإِشْرَاكُ بِاللهِ وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وِاليَأْسُ مِن رُوحِ اللهِ»**[(١)]، **وقد قال تعالى**

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥٢٠١)، والبزار -كما في تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٥)-، عن ابن عباس مرفوعاً، وحسن إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٥٠٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٤): «ورجاله موثقون»، لكن قال الحافظ ابن كثير في «التفسير» (١/ ٤٨٥): «وفي إسناده نظر، والأشبه أن يكونَ موقوفاً»، والموقوف هذا أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٠٢٣)، والبيهقي (١/ ٣٢٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٦): «رواه الطبراني، وإسناده حسن».

وورد بنحوه عن ابن مسعود موقوفاً عليه؛ وأخرجه: عبدالرزاق في «المصنف» (١٩٧٠١)، وابن جرير في «التفسير» (٥/ ٤٠)، و (٥/ ٤١)، من طُرقٍ، والطبراني في «الكبير» (٨٧٨٣، ٨٧٨٤، ٨٧٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٠)، وصحح إسناده الحافظ ابن كثير في «التفسير» (١/ ٤٨٥)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٤).

في الأمن من مكر الله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٦،٩٩]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف: ٩٦] يعني: أهل القرى الكافرة، والمرادُ بالخُسران في قوله: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩]. خسرانُ كفرٍ؛ لأن هذه الآيات في بيان القرى الكافرة، وقد جاء فيها التعبير بـ(الخاسرون)، و (أل) لاستغراق أنواع الخسران، فالآمن من مكر الله؛ هو الذي لا يخاف الله؛ ليس عنده شيء من الخوف، فيأمن مكر الله لذلك، ويسترسل في المعاصي ولا يبالي، وأما اليائس من رَوْح الله؛ فقد قال الله تعالى إخبارًا عن يعقوب أنه قال لبنيه: ﴿يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧]، فبين أن اليائس من رحمة الله كافر، لأنه ليس عنده رجاء ولا عمل لرحمة الله، بل هو متشائم، قانط، مسيء الظن بالله.

والكفر هنا جاء بـ(أل) التي تفيد الاستغراق، والمعنى: أن اليائس كافر كفرًا أكبر، فأخبر الله ذلك عن يعقوب عليه الصلاة والسلام، وجاء شرعنا بإقراره، ولم يقل النبي أن اليائس دون ذلك، أو ليس كذلك.

وفي سورة «الحِجْر» أخبر الله تعالى عن إبراهيم فقال: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، والقانط هو اليائس، فهو ضال ضلالَ كُفْرٍ؛ لأن (أل) أيضًا للاستغراق، وما ذاك إلا لأن اليائس من رحمة الله متشائم قانط، ليس عنده شيء من الرجاء ولا الأمل في رحمة الله وعفوه، يرى أنه هالك، مسيء للظن بالله.

وكذلك الآمن من مكر الله، لا يفيده التصديق بالقلب وحده؛ لأنه لا بد لهذا التصديق من عمل يتحقق به، وإلا صار كإيمان إبليس وفرعون، فإبليس مصدق: كما قال تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي...﴾ [الحجر: ٣٦]، وفرعون مصدق كما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، لكن إبليس لم يعمل بل امتنع عن السجود، وفرعون ليس عنده عمل، ، فكونه يعرف ربه بقلبه ولا يعمل، فهذا لا يكون إيمانًا ؛ لأن الإيمان والتصديق بالقلب، لا بد له من انقياد بالجوارح حتى يتحقق هذا الإيمان، كما أن الذي يعمل؛ كَمَنْ يصلي ويصوم ويحج، لا بد لهذا العمل من تصديق في الباطن؛ يصحح هذه الأعمال، وإلا صار كإسلام المنافقين.

ولذلك صار اليائس من روح الله لا يعمل؛ لأنه يرى أنه هالك، ولهذا أثنى الله - سبحانه وتعالى - على عباده؛ لأنهم يعبدونه بالخوف والرجاء، قال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال سبحانه: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]، وقال سبحانه لما ذكر الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل واليسع وهود، قال بعد ذلك: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]. الرغب هو: الرجاء، والرهب هو: الخوف، فإذا فُقد الخوف، وفُقد الرجاء؛ لم يكن هناك إيمان، ولا يكون هناك توحيد، فالتوحيدُ لا بد فيه من ثلاثة أركان:

الركن الأول: المحبة في القلب، والمحبة لا تكون إلا عن تصديق.

الركن الثاني: الخوف الذي يحجب الإنسان عن محارم الله، وعن الشرك.

الركن الثالث: الرجاء الذي يحمل الإنسان على الطمع في ثواب الله وفي رحمته.

ولهذا قال العلماء: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، -وهذه طريقة الصوفية-، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، -يعني: أنه خارجي-، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء؛ فهو مؤمن موحد.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في «الكافية الشافية»[1]:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى دارت القطبان

فعبادة الرحمن هي: غاية الحب، مع غاية الذل، يعني: أن يتعبد الله بغاية الذل، مع غاية الحب، فالذليل هو: الخائف، الخاضع لله، والآمن من مكر الله ليس عنده ذل، كما أن اليائس من رحمة الله أيضًا؛ ليس عنده طمع في ثواب الله، فكيف يكون مؤمنًا؟

(١) انظر «الكافية الشافية» (١/ ٢٩).

الإيمان: ما يخرج العبد من الإيمان

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَلَا يَخْرُجُ العَبْدُ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ):

الشرح

المؤلف أتى بصيغة الحصر، والمعنى: أنه لا يخرج العبد من الإيمان إلا إذا جحد الأمر الذي أدخله في الإيمان، وهو التصديق! هكذا قال المؤلف، وهذا غلط عظيم مخالف لقول أهل السنة والجماعة؛ لأن معنى ذلك: أن الإنسان لا يكفر إلا بالجحود، كما أنه لا يكون مؤمنًا إلا بالتصديق، وعلى ذلك يكون الإيمان هو التصديق في القلب، والكفر هو: الجحود في القلب، فإذا صَدَّق؛ صار مؤمنًا، وإذا جحد: صار كافرًا.

وهذا خطأ؛ لأن الكفر يكون أيضًا بالنطق باللسان، ويكون الكفر أيضًا بالعمل؛ أي بالجوارح، ويكون الكفر أيضًا بالشك، ويكون أيضًا بالترك والإعراض، ولهذا بوب العلماء -في كل مذهب؛ من الحنابلة والمالكية والشافعية والأحناف-، بوبوا بابًا في كتب الفقه يسمونه «باب حكم المرتد»، قالوا: والمرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه نطقًا أو اعتقادًا أو شكًّا أو فعلًا، أو تركًا.

إذًا فالكفر خمسة أنواع:

النوع الأول: يكون باعتقاد القلب وجحوده، كما ذكر المؤلف، كما لو اعتقد أن لله صاحبة أو ولدًا، وكما لو جحد ربوبية الله، أو جحد أسماء الله، أو صفاته، أو أولوهيته وعبادته واستحقاقه للعبادة، أو أمرًا معلومًا وجوبه من الدين بالضرورة؛ كأن جحد وجوب الصلاة، أو وجوب الزكاة،

أو وجوب الصوم، أو وجوب الحج، أو جحد أمرًا معلومًا تحريمه من الدين بالضرورة؛ كأن يجحد تحريم الزنا، أو تحريم الربا، أو تحريم شرب الخمر، أو تحريم عقوق الوالدين، أو تحريم قطيعة الرحم، فإذا أنكر شيئًا من ذلك فإنه يكون كافرًا؛ لأنه جحد بقلبه.

النوع الثاني: يكون بالقول؛ مثل: لو سب الله، أو سب الرسول ، أو سب دين الإسلام؛ فإنه يكفر بهذا النطق والقول، ولو لم يجحد بقلبه، ولو استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه: كفر بهذا الاستهزاء، والاستهزاء يكون باللسان، ولو لم يجحد بقلبه، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن قومًا كفروا بعد إيمانهم؛ بالاستهزاء، قال الله ﷻ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]؛ فأثبت لهم الكفر بعد الإيمان بهذا الاستهزاء الذي هو قولٌ.

النوع الثالث: يكون بالفعل؛ فلو سجد للصنم كفر بهذا السجود، أو داس مصحفًا بقدميه، أو لطخه بالنجاسة؛ فإنه يكفر بهذا العمل، ولو لم يجحد، ولو لم يعتقد بقلبه، كذلك يكون كافرًا: إذا دعا غير الله، أو ذبح لغير الله أو نذر لغير الله، أو دعا الأموات وطلب منهم المدد، أو ركع لغير الله، أو سجد لغير الله، أو طاف بغير بيت الله تقربًا للغير، فإنه يكفر بهذه الأعمال ولو لم يجحد.

النوع الرابع: يكون الكفر بالشك، كما لو شك في ربوبية الله، أو شك في اسم من أسماء الله، أو في صفة من صفاته، أو شك في الملائكة، أو في الكتب المنزلة، أو في الرسل، أو في الجنة، أو في النار، أو شك في البعث، أو شك في الصراط، أو في الميزان، أو في

الحوض؛ فإنه يكفر بهذا الشك.

النوع الخامس: يكون بالترك والإعراض؛ كما لو أعرض عن دين الله، لا يتعلمه، أو أعرض عن عبادة الله؛ فإنه يكفر بهذا الإعراض، ولو لم يجحد قال الله -تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

فهذه خمسة أنواع يكفر الإنسان بأحدها، لكن بشرط أن يفعلها الإنسان؛ لا بجهلٍ يُعذر فيه؛ فلو فعل شيئًا منها وهو جاهل؛ لا يكفر حتى يُعَرَّفَ، وتقومَ عليه الحجة، فإذا قامت عليه الحجة: كفر بعد التعريف، أما إذا كان مثله لا يجهل؛ فلا يُقبل منه الاعتذار.

وكذلك: إذا جرى على لسانه الكلامُ الكفري من غير ما قصد؛ فإنه لا يكفر، كقصة الرجل الذي فقد راحلته وعليها طعامه وشرابه، فلما وجدها قال من شدة الدهشة والفرحة: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ**»[1]؛ يخاطب ربه؛ أخطأ من شدة الفرح، فلم يُؤاخذ بقوله هذا. ولو جاء إنسان، ووضع رأسه أمام صنم؛ ليستريح من وجعٍ برأسه، ولم يعلم أنه صنم، فلا يكفر؛ لعدم عِلْمِهِ بذلك، لكن إذا قصد السجود للصنم: كفر بهذا العمل؛ ولو لم يجحد بقلبه.

وكثيرٌ من الناس اليوم - ومنهم علماء -: يقررون مذهب المرجئة؛ يقولون: لا يكون الكفر إلا بالقلب، ولا يكون الإيمان إلا بالقلب، ويرجئون الجهل، ويرجئون النطق؛ يقولون: إذا سجد للصنم؛ لا يكون كافرًا، لكن هذا السجود يكون دليلًا على ما في القلب، فإذا كان قلبه مكذبًا؛ صار كافرًا، وإذا سب الله وسب الرسول ؛ يقولون: هذا ليس

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ، لكن هو عند البخاري أيضاً (٦٣٠٩) من حديث أنس، دون قوله: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك».

بكفر، لكنَّه دليلٌ على ما في قلبه من الكفر؛ وهذا قول المرجئة .

فالكفر -كما سبق- يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بالعمل، ويكون بالشك، ويكون بالترك والإعراض، وهذه مسألة مهمة، ينبغي لطالب العلم أن يكون على بينة منها، وهذا الذي تقرّر هو قول الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء وجماهير أهل العلم، أما القول بأن الكفر لا يكون إلا بالجحود، والإيمان لا يكون إلا بالقلب فهذا غلطٌ، وغلطٌ عظيم[١] .

---

(١) راجع: «التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول والعمل والاعتقاد» للشيخ علوي السقاف. راجعه وأقرَّه الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله. وقد علق الشيخ ابن باز على عبارة الطحاوي قائلًا: (هذا الحصر فيه نظر، فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين إذا كان لا ينطق بهما، فإن كان ينطق بهما دخل في الإسلام بالتوبة مما أوجب كفره، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود لأسباب كثيرة بيَّنها أهل العلم في [باب حكم المرتد]، من ذلك: طعنه في الإسلام، أو في النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو استهزاؤه بالله ورسوله أو بكتابه، أو بشيء من شرعه سبحانه؛ لقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، ومن ذلك: عبادته للأصنام أو الأوثان أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم وطلبه منهم المدد والعون ونحو ذلك؛ لأن هذا يناقض قول: لا إله إلا الله؛ لأنها تدل على أن العبادة حق لله وحده، ومنها: الدعاء والاستغاثة والركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك، فمن صرف منها شيئًا لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة والجن وأصحاب القبور وغيرهم والمخلوقين؛ فقد أشرك بالله ولم يحقق قول: (لا إله إلا الله)، وهذ المسائل كلها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم، وهي ليست من مسائل الجحود، وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة، وهناك مسائل أخرى كثيرة يكفر بها المسلم، وهي لا تسمى جحودًا، وقد ذكرها العلماء في [باب حكم المرتد]، فراجعها إن شئت، وبالله التوفيق).

الاختلاف فيما يقع عليه اسم الإيمان

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَالإِيمَانُ هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَالتَّصْدِيقُ بِالجَنَانِ):

الشرح

قول الطحاوي هذا؛ يُقَرِّرُ مذهبَ المرجئة؛ فالمرجئة يقولون: الإيمان لا يكون إلا بالتصديق بالجنان والإقرار باللسان، أما أعمال القلوب وأعمال الجوارح فلا تدخل في الإيمان، وهذا هو المشهور عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وأول من قال بالإرجاء؛ شيخُ أبي حنيفة: حمادُ بنُ أبي سليمان[1] من أهل الكوفة؛ ولهذا: كان هذا الاعتقاد يسمَّى بقول مرجئة الفقهاء.

---

(١) حماد بن أبي سليمان العلامة الإمام فقيه العراق، أبو إسماعيل بن مسلم الكوفي مولى الأشعريين، أصله من أصبهان. كان أحد العلماء الأذكياء، والكرام الأسخياء، له ثروة وحشمة وتجمل.
قال الذهبي في السير: قال معمر: كنا نأتي أبا إسحاق فيقول: من أين جئتم؟ فنقول: من عند حماد، فيقول: ما قال لكم أخو المرجئة؟ فكنا إذا دخلنا على حماد، قال: من أين جئتم؟ قلنا: من عند أبي إسحاق، قال: الزموا الشيخ فإنه يوشك أن يطفى. قال: فمات حماد قبله.
قال معمر: قلت لحماد: كنت رأسا، وكنت إماما في أصحابك، فخالفتهم فصرت تابعا، قال: إني أن أكون تابعا في الحق خير من أن أكون رأسا في الباطل.
قال الذهبي: يشير معمر إلى أنه تحول مرجئا إرجاء الفقهاء، وهو أنهم لا يعدون الصلاة والزكاة من الإيمان، ويقولون: الإيمان إقرار باللسان، ويقين في القلب، والنزاع على هذا لفظي إن شاء الله، وإنما غلو الإرجاء مَنْ قال: «لا يضر مع التوحيد ترك الفرائض». نسأل الله العافية. اهـ
=

والرواية الثانية عن الإمام أبي حنيفة: أن الإيمان شيء واحد وهو التصديق بالقلب، أما الإقرار باللسان؛ فركن زائد لا يستلزمه مُسَّمى الإيمان.

والناس اختلفوا في مسمى الإيمان اختلافًا كثيرًا، وخلاصة الأقوال والمذاهب في هذه المسألة كما يلي[(١)]:

المذهب الأول: ذهب الأئمة الثلاثة؛ مالك، والشافعي، وأحمد، وجمهور أهل السنة، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة، وأهل الظاهر، وجماعة من المتكلمين، وهو قول الصحابة، والتابعين، والأئمة، والعلماء: إلى أن الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح؛ أربعة أشياء: ولذلك فأحيانًا ما يقولون:

الإيمان: قولٌ وعملٌ؛ فالقول قسمان: قول القلب؛ وهو التصديق، وقول اللسان؛ وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله. والعمل قسمان: عمل القلب؛ وهو النية والإخلاص، وعمل الجوارح.

وعملُ بالجوارح؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ولهذا يقول العلماء: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. هذا هو الحق الذي تدل عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله ، وهو الذي أجمع

= انظر ترجمته: في «طبقات ابن سعد» (٦/ ٣٣٢) و«طبقات خليفة» (١٦٢) و«التاريخ الكبير» (١٨/٣) و«الضعفاء للعقيلي» (١٠٧ - ١١٠) و«الجرح والتعديل» (٣ / ١٤٦) و«تهذيب الكمال» (٣٣١) و«تذهيب التهذيب» (١/ ١٧٤/ ٢) و«تاريخ الإسلام» (٥/ ٢٤٣) و«العبر» (١/ ١٥١) و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٣١) و«تهذيب التهذيب» (٣/ ١٦) و«طبقات الحفاظ» (٤٨) و«خلاصة تذهيب الكمال» (٩٢).

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٩٥-١٩٧)، (٧/ ٥٠٤) وما بعدها.

عليه الصحابة، والتابعون، والأئمة.

المذهب الثاني: مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله وكثير من أصحابه، وحماد بن أبي سليمان: شيخ أبي حنيفة؛ وقد ذهبوا إلى ما ذكره الطحاوي من أن الإيمان شيئان: الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، وهذه الرواية عليها جمهور أصحاب الإمام أبي حنيفة .

المذهب الثالث: مذهب بعض أصحاب أبي حنيفة، وهي رواية عن الإمام أبي حنيفة أيضًا، وإليها ذهب أبو منصور الماتريدي: أن الإيمان تصديق بالقلب فقط، والإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، بل هو شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا، ولو لم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله، وهذا مذهب باطل.

المذهب الرابع: مذهب الكَرَّامية -أتباع محمد بن كرام- وهو أن الإيمان هو: الإقرار باللسان فقط، قالوا: ولو لم يصدق بقلبه فهو مؤمن، لكن إذا لم يصدق بقلبه، فإنه يكون منافقًا، فالمنافقون عند الكرامية مؤمنون كاملو الإيمان، لكن يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله، فعلى مذهب الكرامية؛ إذا نطق بالشهادتين وهو مكذب في الباطن؛ يكون مؤمنًا ويخلد في النار، وهذا من أبطل الباطل، وهو ظاهر الفساد؛ لأنه يلزم منه تخليد المؤمن الكامل الإيمان في النار .

المذهب الخامس: مذهب الجهم بن صفوان وأبي الحسين الصالحي أحد رؤساء القدرية؛ ذهبوا إلى أن الإيمان هو: معرفة الرب بالقلب، والكفرُ هو: الجهل بالرب بالقلب، فإذا عرف ربه بقلبه؛ فهو مسلم، وإذا جهل ربه بقلبه؛ فهو كافر، وهذا القول أظهر فسادًا مما قبله، بل هو أظهرُ ما قيل في الفساد في مسمى الإيمان، ويلزم على مذهب الجهم هذا: أن

فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا ربهم بقلوبهم، وعرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] [سورة الإسراء آية: ١٠٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤]، فيكون إذًا فرعون على مذهب الجهم مؤمنًا؛ لأنه عرف ربه بقلبه!!

وأهل الكتاب اليهود والنصارى مؤمنون على مذهب الجهم؛ لأنهم يعرفون النبي كما يعرفون أبناءهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

كذلك أبو طالب عم النبي يكون مؤمنًا عند الجهم؛ لأنه عرف ربه حيث قال في قصيدته المشهورة:

ولقد علمتُ بأنَّ دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينًا

بل إن إبليس يكون عند الجهم مؤمنًا كامل الإيمان، فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف بربه، قال الله تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحجر: ٣٦]، وقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩]، وقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: ٨٢].

والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب بالقلب، يقول العلماء:

ولا أحد أجهل منه في الجهل بربه؛ فإنه جعل ربه الوجود المطلق، ومعنى الوجود المطلق الذي لم يُقيِّد باسم ولا صفة، فلم يُثبت الجهم وجودًا لله إلا في الذهن؛ لأنه سلب عن الله جميع الاسماء والصفات، ولا

جهل أكبر من هذا، فيكون الجهم كافرًا بشهادته على نفسه، فنحن نأخذ من تعريفه: أنه كافر؛ لأنه عرف الكفر بأنه هو الجهل بالرب، ولا أحد أجهل منه بربه .

المذهب السادس: مذهب الخوارج يقولون: الإيمان جماع الطاعات كلها، فجميع الطاعات إيمان، لكن من قَصَّر في واحد منها كفر، فإذا عق والديه: كفر، وإذا شهد الزور: كفر، وإذا ترك طاعة من الطاعات. خرج من الإيمان، ودخل في الكفر.

المذهب السابع: مذهب المعتزلة؛ قالوا: الإيمان جماع الطاعات كلها - كما قال الخوارج -، لكن قالوا: من قَصَّر في شيء منها: فهو فاسق؛ لا مؤمن ولا كافر.

المذهب الثامن: روى ابن القاسم عن مالك أن الإيمان يزيد، وتوقف في نقصانه، ولكن روى عنه عبدالرازق بن نافع أنه يزيد وينقص، وعلى هذا فمذهبه يوافق مذهب الجماعة من أهل الحديث، والحمد لله. فهذه خلاصة المذاهب في مسمّى الإيمان.

وفي هذا الزمن اشتبه الحق على كثير من طلبة العلم حتى صاروا يفتون بمذهب الجهم، أو بمذهب أبي حنيفة - مذهب المرجئة - ويقول: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، والكفر لا يكون إلا في القلب.

فلا بد لطالب العلم أن يكون على إلمام وبصيرة بشُبه هؤلاء، فمن شُبه الإمام أبي حنيفة ومن وافقه التي استدلوا بها:

الدليل الأول: أن الإيمان في اللغة هو التصديق، ومنهم من ادعى إجماع أهل اللغة على ذلك؛ قال الله تعالى إخبارًا عن إخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]؛ أي: بمصدق لنا. إذًا لا يكون الإيمان إلا

بالقلب، أما قول اللسان وأعمال الجوارح، فلا تدخل في مسمى الإيمان.

وأجاب الجمهور عن هذا الدليل بجوابين[١]: أحدهما بالمنع، والثاني بالتسليم.

الجواب الأول: بالمنع، قالوا: نمنع الترادف بين التصديق والإيمان، ولو صح الترادف في موضع، فلا يوجب ذلك الترادف مطلقًا، إذ أن هناك فرقًا بين الإيمان والتصديق من وجوه:

أولًا: التَّعْدِية؛ فيقال للمخبر إذا صدق في خبره: صدقه، وصدق به، ولا يقال: آمنه ولا آمن به، بل يقال آمن له، كما في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

ثانيًا: العموم والخصوص بين الإيمان والتصديق، فإن التصديق أعم من الإيمان، والإيمان أخص منه، فالتصديق يستعمل لغة في الخبر عن الشاهد والغائب، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب.

ثالثًا: أن لفظ التصديق يقابله التكذيب، وأما لفظ الإيمان فيقابله الكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب، بل هو أعم من ذلك، فيشمل الكفر عن تكذيب، وعن جهالة، وعن عناد.

الجواب الثاني: جوابٌ بالتسليم؛ قال أهل السنة: نسلّم أن التصديق والإيمان مترادفان، لكن نقول:

أولًا: التصديق يكون بالأفعال كما يكون بالأقوال، ودليل ذلك ما ثبت في «الصحيح» عن النبي أنه قال: «**فَالعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ**

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ١١٧، ٢٩٠، ٥٣٠).

زِنَاهُمَا الاسْتماع، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الكلامُ، وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطا، وَالقَلْبُ يهوى ويتمَّنى، ويَصَدِّقُ ذَلِكَ الفرجُ وَيُكَذِّبُهُ»[١].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلب وصدقتهُ الأعمال)[٢].

ثانيًا: سلمنا أن الإيمان والتصديق مترادفان لكن الإيمان تصديق مخصوص، كما أن الصلاة وإن كانت دعاء، فهي دعاء مخصوص.

ثالثًا: سلمنا أن الإيمان التصديق، لكن التصديق التام بالقلب يكون مستلزما لأعمال القلب والجوارح.

رابعًا: سلمنا أن الإيمان التصديق، لكن لفظ الإيمان باقٍ على معنى التصديق لغةً، لكن الشارع زاد في أحكامه.

خامسًا: سلمنا أن الإيمان هو التصديق، لكن الشارع استعمل لفظ الإيمان في معناه المجازي، فهو حقيقة شرعية في معناه الشرعي.

سادسًا: سلمنا أن الإيمان التصديق، لكن الشارع نقل لفظ الإيمان عن معناه اللغوي إلى معناه الشرعي.

هذا كل الجواب عن الدليل الأول للأحناف.

الدليل الثاني للأحناف: على أن الإيمان هو التصديق، ولا يكون إلا بالقلب، قالوا: الإيمان ضد الكفر، والكفر هو التكذيب والجحود،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) واللفظُ له من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦٦)، وابن بطة في الإبانة (١٠٩٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٣٥١)، و(٣٥٢١١)، وابن المبارك في «الزهد» (١٥٦٥)، وقد رُوي مرفوعاً، لكن لا يصح. والله أعلم.

والتكذيب والجحود لا يكون إلا بالقلب، فكذلك التصديق لا يكون إلا بالقلب، ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فدلت الآية على أن القلب هو موضع الإيمان.

وأجاب الجمهور فقالوا: قولكم: إن الكفر هو التكذيب والجحود ممنوع؛ فإن الكفر لا يختص بالتكذيب والجحود، بل إن الكفر يكون تكذيبًا ويكون مخالفةً ومعاداةً بلا تكذيب؛ فعُلم أن الإيمان ليس التصديق فقط، ولا الكفر التكذيب والجحود فقط، فلو قال: أنا أعلم أن الرسول صادق ولكن لا أتبعه، بل أعاديه وأبغضه وأخالفه؛ لكان كافرًا أعظم الكفر، ولو لم يجحد.

الدليل الثالث: وهو دليل عقلي؛ قال الأحناف: لو كان الإيمان مركبًا من قول وعمل -كما تقولون يا جمهور أهل السنة- لزال كله بزوال أجزائه، إذ الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها كالعشرة، فإنه إذا زال بعضها لم تبقَ عشرة، وكذلك المركَّب؛ إذا زال أحدُ جزءيه: زال عنه التركيب، فإذا كان الإيمان مركبًا من قول وعمل وتصديق وأعمال ظاهرة وباطنة؛ لزم زواله بزوال بعضها.

وأجاب الجمهور فقالوا: إن أردتم أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت: فَمُسَلَّم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها؛ زوال سائر الأجزاء، بل يلزم زوال الكمال، كما أن بدن الإنسان إذا ذهب منه إصبع أو يد أو رِجْل؛ لم يكن ليخرج عن كونه إنسانًا بالاتفاق، وإنما يقال إنسان ناقص، فكذلك الإيمان: يبقى بعضُه، ويزول بعضُه[1].

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥١٤-٥٢٢).

الدليل الرابع للأحناف: قالوا: إن الله تعالى فرق في كتابه بين الإيمان والعمل الصالح، فعطف العمل على الإيمان، والعطف يقتضي المغايرة، فقال تعالى في غير موضع: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف: ٣٠]، فدل على أن العمل لا يكون داخلًا في مسمى الإيمان.

وأجاب الجمهور: بأن اسم الإيمان ورد في النصوص على ثلاث حالات: تارة يُذكر مطلقًا عن العمل وعن الإسلام، وتارة يُقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام، فإذا ذُكر الإيمان مطلقًا: دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة، كما في حديث شُعب الإيمان، وإذا قُرن الإيمان بالعمل الصالح، وعُطف عليه، فإن عطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، مع اشتراكهما في الحكم، والمغايرة على مراتب: أعلاها: أن يكونا متباينين، الثاني: أن يكون بينهما تلازم، الثالث: عطف بعض الشيء عليه، الرابع: عطف الشيء على الشيء باختلاف الصفتين، فهذا كله إذا قُرن الإيمان بالعمل الصالح[1].

الدليل الخامس للأحناف: استدلوا بحديث أبي هريرة قال: «**جَاءَ وَفْدُ ثَقِيفٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ فَقَالَ: لَا؛ الإِيمَانُ مَكَمَّلٌ فِي القَلْبِ، زِيَادَتُهُ كُفْرٌ وَنُقْصَانُهُ شِرْكٌ**»[2]، ووجه الدلالة قالوا: هذا يدل على أن إيمان أهل السماوات والأرض سواء، وأن الإيمان

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٧٢)، (٧/ ١٩٨-٢٠٢).

(٢) أخرجه السمرقندي في تفسيره (٢/ ٢٧٨)، و (٢/ ٩٩ -تحقيق: محمود مطرجي)، وذكره ابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٨٥)، وقال الألباني ﷺ في تحقيقه: (موضوع).

الذي في القلوب، لا يتفاضل، وإنما التفاضل بينهم يكون بالعمل فقط.

وأجاب الجمهور بأن هذا الحديث لو صح لكان فاصلًا في النزاع، لكن هذا الحديث كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله من رواية أبي الليث السمرقندي، إلى أبي المطيع، إلى أبي المهزم، وقد سئل عنه الشيخ عماد الدين ابن كثير فأجاب بأن الإسناد من أبي الليث إلى أبي المطيع مجهولون لا يعرفون، وأبو المطيع هو الحكم بن عبد الله بن مسلمة البلخي[1]؛ ضعفه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وأبو حاتم الرازي، وأبو حاتم محمد بن حبان البستي، والعقيلي، وابن عدي، والدارقطني، وعمرو بن علي الفلاس، وأما أبو المهزم فقد ضعفه غير واحد، وتركه شعبة بن الحجاج، وقال النسائي: متروك، واتهمه شعبة بالوضع، حيث قال: لو أعطي فلسين لحدثهم سبعين حديثًا[2]، فهذا الحديث باطل، بل هو موضوع.

وأهل السنة استدلوا بأدلة كثيرة تدل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، منها:

* قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤]؛ فجعلهم مؤمنين بهذه الأعمال.

* ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟

---

(١) هو الحكم بن عبدالله بن مسلم أبو مطيع البلخي الخراساني الفقيه صاحب أبي حنيفة رحمه الله تعالى. انظر «لسان الميزان» (٢/ ٣٣٤).

(٢) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ٣٨٥- ٣٨٦).

وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

* ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

* ومنها قوله ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً؛ أو بضع وستونَ شُعبة، فأفضلها قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ»(١)، فكل هذه الشعب إيمان.

* ومنها حديث وفد عبد القيس لما جاءوا إلى النبي ﷺ وسألوه عن الإيمان وأنه أمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع: «أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ: وَحْدَهُ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟ قَالوا: الله ورسوله أعلم، قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ محمداً رسول الله، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تعطوا من المغنم الخُمُسَ»(٢)، فجعل هذا كله من الإيمان.

* حديث جبريل كذلك ذُكر فيه الإيمان والإسلام.

كذلك من الأدلة الكثيرة التي تدل على أن الإيمان يزيد وينقص: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ

---

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣) واللفظُ له، ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

من السنة قوله عليه الصلاة والسلام: «ما رأيتُ مِنْ نَاقِصَاتُ عَقْلٍ ودِينٍ»(١). الحديث يعني: النساء؛ والدين إذا أُطلق؛ كالإيمان: يشمل الإسلامَ كلَّه - الأعمال كلها -.

وكذلك أيضًا الأحاديث الأخرى والآثار عن الصحابة؛ منها: - قول أبي الدرداء: «إنَّ من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه»(٢).

- ومنها: ومِنْ فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أم منتقص(٣).

- ومنها: قول عمر لأصحابه: «هلموا نـزدد إيمانًا، فيذكرون الله تعالى»(٤).

- وكان ابن مسعود يقول في دعائه: اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد ﷺ، وأخرجه مسلم (٧٩)، من حديث ابن عمر، وَحْدَهُ.

(٢) أخرجه اللالكائي في «السنة» (١٧١٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ١٢٩).

(٣) انظر: «الإبانة» لابن بطة (١١٣٤)، واللالكائي في «السنة» (١٧١٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ١٢٩).

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ١١٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٣٦٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧)، واللالكائي في «السنّة» (١٧٠٠).

(٥) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة (٧٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٦)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٤٨).

- وكان معاذ بن جبل يقول لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة»[1].
- وكذلك روي مثله عن عبد الله بن رواحة[2].
- وصحَّ عن عمار بن ياسر أنه قال: **«ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فِيهِ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإنصافُ مِنْ نَفْسك، وبَذْلُ السلام للعَالِمِ وَالإِنْفَاقُ مِنْ الإِقتار»**. ذكره البخاري في «صحيحه» معلقًا[3]،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان قبل حديث (٨) معلقا بصيغة الجزم، ووصله ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٦٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٣٥)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٢/ ٢٠- ٢١)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٤٨).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٤١٤٨)، عن عبدالصمد حدثنا عمارة عن زياد النميرى عن أنس بن مالك قال كان عبد الله بن رواحة إذا لقى الرجل من أصحابه يقول: «تعال نؤمن بربنا ساعة. فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة. فقال النبى ﷺ: «يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة عليهم السلام». قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٧): «إسناده حسن». ا هـ.
وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨/ ١١١)، وعزاه الألوسي في تفسيره (٢/ ٤٣١) للحكيم الترمذي، عن أبي الدرداء قال: «كان ابنُ رواحةَ يأخذ بيدي فيقول: تعال نؤمن ساعة».
وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٥٠) من طريق عطاء بن يسار أن عبدالله بن رواحة قال لصاحب له: «تعال حتى نؤمن ساعة». قال: أولسنا بمؤمنين؟ قال: «بلى، ولكنا نذكر الله فنزداد إيمانا»، مرسلًا، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٢٦) من طريق ابن سابط قال؛ فذكره، ورواه اللالكائي في «السنة» (١٧٠٨) من طريق شريح بن عبيد، عن عبدالله بن رواحة، وقد قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٢٥٨)، عن أثر ابن رواحة من طريق عطاء، وشريح بن عبيد: «وهذا مرسلٌ من هذين الوجهين...». ا هـ.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان قبل حديث (٢٨) معلقا بصيغة الجزم، =

هذه كلها تدل على أن الإيمان يزيد وينقص.

فالصواب أن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، وهذا هو الذي عليه الصحابة والتابعون وأهل السنة والجماعة.

= ووصله ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٧٢) ووصله غيره أيضاً. قال ابن حجر «فتح الباري» (١/ ٤٦): أخرجه أحمد بن حنبل في كتاب الإيمان من طريق سفيان الثوري، ورواه يعقوب بن شيبة في مسنده من طريق شعبة وزهير بن معاوية وغيرهما كلهم عن أبي إسحاق السبيعي عن صلة بن زفر عن عمار، ولفظ شعبة «ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان» وهو بالمعنى، وهكذا رويناه في جامع معمر عن أبي إسحاق. وكذا حدث به عبد الرزاق في مصنفه عن معمر، وحدث به عبد الرزاق بآخرة فرفعه إلى النبي ﷺ، كذا أخرجه البزار في مسنده وابن أبي حاتم في العلل كلاهما عن الحسن بن عبدالله الكوفي، وكذا رواه البغوي في شرح السنة من طريق أحمد بن كعب الواسطي، وكذا أخرجه ابن الأعرابي في معجمه عن محمد بن الصباح الصنعاني ثلاثتهم عن عبد الرزاق مرفوعا. واستغربه البزار، وقال أبو زرعة: هو خطأ. قلت: وهو معلول من حيث صناعة الإسناد؛ لأن عبدالرزاق تغير بآخرة، وسماع هؤلاء منه في حال تغيره، إلا أن مثله لا يقال بالرأي فهو في حكم المرفوع، وقد رويناه مرفوعا من وجه آخر عن عمار أخرجه الطبراني في الكبير وفي إسناده ضعف، وله شواهد أخرى بينتها في «تغليق التعليق». ا هـ. وانظر: «تغليق التعليق» (١/ ٣١)، وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢/ ١١٤): «صح عن عمار». ا هـ. وقد استغنينا بكلام الحافظ ابن حجر عن عزوه إلى المصادر التي أخرجته، والله الموفق.

ما صح عن الرسول ﷺ من الشرع والبيان: كلُّه حق

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الشَّرْعِ وَالبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ):

الشرح

جميع ما صح من الرسول من الشرع والبيان: كُلُّه حَقٌّ، نؤمن به، ونصدق به، ونقبلُه؛ كتحريم كل ذي ناب من السباع، وتحريم كل ذي مخلب من الطير، وتحريم بيع الولاء وهبته، إلي غير ذلك مما بينه النبي .

والناس لهم في تلقي النصوص طريقتان :

- طريقة أهل السنة.

- وطريقة أهل البدع.

فمنهج أهل البدع: - من الجهمية والمعتزلة والرافضة - يقسمون الأخبار قسمين: متواترة، وآحاد؛ فيقولون: إن المتواتر وإن كان قطعي السند، فهو غير قطعي الدلالة؛ لأن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين والعلم، ولهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات.

وأما الآحاد فقالوا: إنها لا تفيد العلم واليقين، فلا يحتج بها من جهة متنها، كما لا يحتج بها من جهة السند، فسّدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم أحالوا الناس على قضايا وهمية، ومقدمات خيالية سموها «قواطع عقلية، وبراهين يقينية»[١].

(١) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (٤/ ١٤٠١- ١٦٤٩).

وأما أهل السنة: فإنهم يتلقون النصوص ويقبلونها، ولا يعدلون عن النص الصحيح، ولا يعارضونه بمعقول من المعقولات ولا بقول فلان؛ عملًا بقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وخبر الواحد يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة إذا تلقته الأمة بالقبول؛ عملًا به وتصديقًا، وليس بين سلف الأمة في ذلك نزاع، وهو أحد قسمي المتواتر؛ إذ المتواتر قسمان:

- ما رواه جماعة كثيرون يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب إلى أن ينتهي للمخبر عنه، وأسندوه إلى شيء محسوس -كسماعٍ أو مشاهدةٍ، لا اجتهاد-.

- والثاني خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول.

والتفصيل في هذا يأتي إن شاء الله فيما بعد.

تفاوت الناس في الإيمان

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَالإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ):

الشرح

● قوله: (وَالإِيمَانُ وَاحِدٌ):

هذا باطل؛ فالإيمان ليس واحدًا، وليس الناس فيه سواء كما قال الشيخُ، يقول الأحناف فالقولُ بأنَّ الإيمان سواء، أنَّ إيمان أهل السماء وأهل الأرض سواء: هذا من أبطل الباطل؛ فمن يقول: إن إيمان جبريل مثل إيماننا؟! أو إيمان أبي بكر مثل إيمان بعض الناس؟! فقد قال النبي في أبي بكر: «لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَهْلِ الأَرْضِ بِإِيمَانِ أَبِي بَكْرٍ لَرَجَحَ»[1]، فكيف يكون إيمان أهل الأرض سواء؟! بل قال بعض الفسقة: إيماني كإيمان جبريل وميكائيل، وإيماني كإيمان أبي بكر، وعمر!! وهذا من أبطل الباطل.

والصواب أن الناس يتفاوتون تفاوتًا عظيمًا في الإيمان، فليس إيمان الأنبياء والمرسلين مثل إيمان سائر الناس، وليس إيمان الملائكة مثل إيمان سائر الناس، وليس إيمان الفاسق السكّير العربيد، مثل إيمان الصِّدِّيق[2].

---

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٦٥٣)، وعبدالله ابن الإمام أحمد في السنة (٨٢١)، وابن راهويه في المسند (٣/٦٦٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦) من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصححه العراقي في «تخريج الإحياء» (١/٥١ - دار القلم)، والسخاوي في «المقاصد الحسنة» (٩٠٨ -دار الكتاب العربي. طبعة أولى)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص ٣٣٥)، وقد رُوي عن النبي ﷺ، ولا يصح.

(٢) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/٤٥٩). وعلق الشيخ ابن باز على عبارة الطحاوي قائلًا: (هذا فيه نظر، بل هو باطل، فليس أهل الإيمان فيه سواء؛ بل هم =

التفاضل بالإيمان وأعمال القلوب

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالخَشْيَةِ وَالتُّقَى، وَمُخَالَفَةِ الهَوَى، وَمُلَازَمَةِ الأَوْلَى):

الشرح

يقول الطحاوي: التفاضل بين الناس ليس في الإيمان؛ لأن الإيمان هم متساوون فيه، بل التفاضل بين المؤمنين بأعمال القلوب، وأما التصديق فلا تفاوت فيه، وفي بعض النسخ: (وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالحَقِيقَةِ، وَمُخَالَفَةِ الهَوَى، وَمُلَازَمَةِ الأَوْلَى)، يشير إلى أن الكل مشتركون في أصل التصديق، ولكنهم في التصديق يكون بعضهم أفضل من بعض وأثبت، وهذه العبارة في النسخة الثانية.

وهنا قال: (وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالخَشْيَةِ وَالتُّقَى)، يعني: لا تفاضل بين الناس في الإيمان، وإنما التفاضل يكون بينهم بأعمال القلوب، وهذا باطلٌ؛ فليس التفاضل بأعمال القلوب فقط، بل التفاضل يكون في نفس التصديق، وفي أعمال القلوب، وفي أعمال الجوارح.

وعلى هذا؛ فهل لهذا الخلاف بين الجمهور وبين الأحناف ثمرة؟

يقول الشارح ابن أبي العز: الخلاف لفظي؛ ليس له ثمرة، قال: لأن جمهور أهل السنة والأحناف اتفقوا على أن الأعمال واجبة، والواجبات

= متفاوتون تفاوتًا عظيمًا، فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة رضي الله عنهم مثل إيمان غيرهم، وهذا التفاوت بحسب ما في القلب من العلم بالله وأسمائه وصفاته وما شرعه لعباده، وهو قول أهل السنة والجماعة؛ خلافًا للمرجئة ومن قال بقولهم، والله المستعان).

واجبات، والمحرمات محرمات، وأن من فعل الواجبات، فقد أدى ما أوجب الله عليه، وهو مثاب ممدوح، ومن فعل المحرمات، فإنه يستحق الوعيد، ويقام عليه الحد إذا كان ارتكب حدًّا، وهو مذموم، لكن الخلاف هل هذه الواجبات من الإيمان؟

قال الجمهور: هي من الإيمان، وقال الأحناف: ليست من الإيمان، فالخلاف لفظي؛ هكذا قال شارح الطحاوية، يعني: أنه لا يترتب علي هذا الخلاف فساد في العقيدة.

ونحن نقول: صحيح أن الخلاف لا يترتب عليه فساد في العقيدة، لكن الصواب أن له آثارًا غير لفظية تترتب عليه؛ من هذه الآثار:

أولًا: أن جمهور أهل السنة والجماعة وافقوا الكتاب والسنة في اللفظ والمعنى، فإن نصوصًا كثيرة أَدخلت الأعمالَ في مسمى الإيمان، أما الأحناف ومرجئة الفقهاء فوافقوا الكتاب والسنة في المعنى وخالفوهما في اللفظ، وينبغي ألا يخالف الإنسان النصوص حتى في اللفظ، بل يجب على المسلم أن يتأدب مع كتاب الله وسنة رسول الله، فلا يخالف النصوص لا لفظاً ولا معنًى؛ فهذه ثمرة مُعْتبرة .

ثانيًا: أن هذا يفتح الباب للمرجئة المحضة -وهم الجهمية-؛ حيث يقولون: الإيمان هو المعرفة بالقلب، والأعمال ليست واجبة، والمحرمات ليست محرمات، وهذا إذا صدَّق بقلبه؛ فلا يضره تركُ الواجبات، وفعل المحرمات، وهو مع ذلك مؤمنٌ كامل الإيمان.

الثمرة الثالثة: من آثار الخلاف بين الجمهور والأحناف أن الأحناف والمرجئة المحضة فتحوا بابًا للفسقة والعصاة، فدخلوا معهم؛ فلما قال الأحناف: الأعمال ليست من الإيمان؛ قالوا: إن إيمان أهل السماء وأهل

الأرض واحد، وإيمان الأنبياء وإيمان الفساق واحد، فيأتي السكّير العربيد، الذي يفعل الفواحش والمنكرات، ويقول: إيماني كإيمان جبريل وميكائيل، وكإيمان أبي بكر وعمر، فإذا قلتَ له، أبو بكر يعمل الصالحات ويجتنب المحرمات وأنت تفعل ذلك!! قال: الأعمال ليست محلًّا للخلاف، فأنا مصدق وأبو بكر مصدق، فإيماننا واحد، أما كوني أفعل المحرمات، وأترك الواجبات، هذا شيء آخر، لا ارتباط له بالإيمان أصلاً!! فالذين فتحوا هذا الباب لهؤلاء الفسقة الفجرة هم مرجئة الفقهاء.

الثمرة الرابعة: - وهي مهمة -: مسألة الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، فمرجئة الفقهاء من الأحناف يقولون: لا يجوز لك أن تستثني؛ لأنَّ استثناءك يعني أنك تشك في إيمانك، وعلى هذا: فمن قال: أنا مؤمن إن شاء الله: فهو شاك في إيمانه؛ وهم من أجل ذلك يسمون أهل السنة «الشكّاكة».

أما أهل السنة والجماعة فقالوا: المسألة فيها تفصيل، فيجوز الاستثناء في الإيمان في بعض الأحوال دون بعض، فإذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله، وقصده الشك في أصل إيمانه - وهو التصديق -؛ فهذا ممنوع، أما إذا قال: إن شاء الله، وقصده أن الاستثناء راجع إلى الأعمال لا الإيمان، فهو لا يجزم بأنه أدى كل ما عليه وترك كل ما حرم الله عليه، بل هو محل للتقصير والنقص، إن قصد ذلك المعنى فلا بأس أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

كذلك إذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله، وقصده تعليق الأمر بمشيئة الله؛ للتبرك باسم الله؛ فلا حرج.

وكذلك إذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله، وأراد عدم علمه بالعاقبة، فلا بأس.

وبهذا يتبن أن الخلاف بين الأحناف والجمهور له ثمرة[١].

كذلك أيضًا مما يتعلق بالإيمان مسألة الإسلام والخلاف في مسماه،

(١) ما ذكره ابن أبي العز ﷺ: من كون الخلاف بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة صوريًا، هو ما قرره شيخ الإسلام ﷺ في مواضع، واتفق كلامهما في تصوير هذا الخلاف الصوري اللفظي، وأنه مع من يقر بأن أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، وأن انتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم، لا مع كل مرجئ يخرج العمل عن الإيمان ويراه ثمرة، يبقى إيمان القلب بدونها.

وإليك طرفًا من كلام شيخ الإسلام ﷺ:

١- قال ﷺ (٧/ ٢٠٢): (وللجهمية هنا سؤال ذكره أبو الحسن في كتاب «الموجز»؛ وهو أن القرآن نفى الإيمان عن غير هؤلاء كقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] ولم يقل: إن هذه الأعمال من الإيمان. قالوا: فنحن نقول: من لم يعمل هذه الأعمال لم يكن مؤمنًا؛ لأن انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قلبه. والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أنكم سلمتم أن هذه الأعمال لازمة لإيمان القلب، فإذا انتفت لم يبق في القلب إيمان وهذا هو المطلوب؛ وبعد هذا فكونها لازمة أو جزءًا نزاع لفظي.

الثاني: أن نصوصًا صرَّحت بأنها جزء كقوله...إلخ).

٢- وقال شيخ الإسلام (٧/ ٥٧٧): (وقيل لمن قال: دخول الأعمال الظاهرة في اسم الإيمان مجاز: نزاعك لفظي؛ فإنك إذا سلمت أن هذه لوازم الإيمان الواجب، الذي في القلب وموجباته، كان عدم اللازم موجبًا لعدم الملزوم؛ فيلزم من عدم هذا الظاهر عدم الباطن، فإذا اعترفتَ بهذا كان النزاع لفظيًّا. وإن قلت: ما هو حقيقة قول جهم وأتباعه: أنه يستقر الإيمان التام الواجب في القلب مع إظهار ما هو كفر وترك جميع الواجبات الظاهرة، قيل لك: فهذا يناقض قولك: إن الظاهر لازم له وموجب له بل قيل: حقيقة قولك إن الظاهر يقارن الباطن تارة ويفارقه أخرى فليس بلازم له ولا موجب ومعلول له ولكنه دليل إذا وجد دلَّ على وجود الباطن وإذا عدم لم يدل عدمه على العدم وهذا حقيقة قولك).

فالناس اختلفوا في مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال[١]:

القول الأول: أن الإسلام هو الكلمة، أي الشهادتان، وهذا مروي عن الزهري وبعض أهل السنة.

واحتج هؤلاء بقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر: ٣٢]، قالوا: فالمسلم الذي لم يقم بواجب الإيمان هو الظالم لنفسه، والمقتصد: هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم، والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه.

ووجهة نظر الزهري هي: أن من أتى بالشهادتين صار مسلمًا، فيتميز عن اليهود والنصارى، وتجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين، والزهري لم يرد أن الإسلام الواجب هو الكلمة وحدها؛ فإنه أجلُّ من أن يخضع لذلك، ولهذا فإن أحمد رَحِمَهُ اللهُ في أحد أجوبته لم يجب بهذا؛ خوفًا من أن يظن أن الإسلام ليس هو إلا الكلمة.

وقد رد محمد بن نصر على من قال بهذا القول، فقال: من زعم أن الإسلام هو الإقرار، وأن العمل ليس منه، فقد خالف الكتاب والسنة، فإن النصوص كلها تدل على أن الأعمال من الإسلام كحديث: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلِى خَمْسٍ...»[٢]، وَذَكَرَ الأعمالَ الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج. وأما الاستدلال بالآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ﴾

---

(١) انظر: «تعظيم قدر الصلاة» لمحمد بن نصر (٢/ ٥٢٩) وما بعدها، و«التمهيد» لابن عبد البر (٩/ ٢٤٧)، و«مجموع الفتاوى» (٧/ ٥-١٢)، و«فتح الباري» (١/ ٥٥، ٧٩، ١١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

[فاطر: ٣٢]؛ فليس فيها ما يدل على أن الإسلام هو مجرد الشهادة، وإنما فيها تقسيم الناس إلى مسلم، ومؤمن، ومحسن، وهذا موافق لحديث جبريل.

القول الثاني: أن الإسلام والإيمان مترادفان، وهذا مروي عن بعض أهل السنة، ويتزعمهم البخاري، وهو أيضًا مذهب الخوارج والمعتزلة.

احتج هؤلاء بقول الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦]، وجه الدلالة أن الله وصفهم بالإيمان والإسلام، وهم أهل بيت واحد، فدل على أنهما مترادفان.

وأجيب بأن الآية لا حجة فيها؛ لأن البيت المخرج كانوا متصفين بالإسلام والإيمان، ولا يلزم من الاتصاف بهما ترادفهما.

وقالوا: إن حديث جبريل لما سأله النبي عن الإسلام قال: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[1]، قالوا: معنى: أن تشهد أن لا إله إلا الله، قالوا: تقدير الكلام: أن تشهد أن شعائر الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، لا مسمّاه.

لكن يجاب: بأن الأصل عدم التقدير.

ومن أدلته أنهم قالوا: الإسلام والإيمان مترادفان، ثم قالوا: إن لإيمان هو التصديق بالقلب؛ فيكون الإسلام هو التصديق، وهذا لم يقله حد من أهل اللغة.

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٤٩٩٠)، وأبو داود (٤٦٩٥)، وابن ماجه (٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومن شبههم أنهم قالوا: إن الله سمى الإيمان بما سمى به الإسلام، وسمى الإسلام بما سمى به الإيمان؛ كما في حديث جبريل وحديث وفد عبد القيس، فحديث جبريل فسر الإسلام بالأعمال، وفي حديث عبد القيس فسّر الإيمان بالأعمال، فإنه سأل ما الإيمان؟ فقال: «**الإِيمَانُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ**»[1].

وأجيب بأن الإسلام إذا أُطلق وحده؛ دخل فيه الأعمال، والإيمان إذا أطلق وحده؛ دخل فيه الأعمال، أما إذا اجتمعا فيفرق بينهما.

ومما يدل على الفرق بين الإسلام والإيمان قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] فنفى عنهم الإيمان، وأثبت لهم الإسلام، وأيضا يشهد للفرق بينهما حديث جبريل؛ فإنه فَرَّقَ بينهما.

وأما اعتراضهم على الاستدلال بآية «الحجرات» فنقول: معنى أسلمنا: أي: انقدنا ظاهرًا؛ فهم منافقون في الحقيقة؛ لأن الله نفى عنهم الإيمان، هذا أحد قولي المفسرين في هذه الآية، وهو جواب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لكن أجاب الجمهور بأن القول الآخر في الآية هو أرجح من هذا القول، فهم ليسوا منافقين، بل هم ضعفاء الإيمان، وإنما نفى عنهم الإيمان، كما نفاه عن القاتل والزاني والسارق، ومن لا أمانة له.

ويؤيد هذا القول سياق الآية من وجوه:

---

(١) تقدم تخريجه.

فإن سورة «الحجرات» من أولها إلى هنا في النهي عن المعاصي وأحكام بعض العصاة ونحو ذلك، وليس فيها ذكر المنافقين.

وكذلك أيضًا ما قبل الآية وما بعدها؛ حيث إن الله - سبحانه وتعالى - أثبت لهم الإيمان والطاعة وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ [الحجرات: ١٤]؛ والمنافقون ليس لهم طاعة، وليس لهم عمل حتى ينقص ثوابهم، ثم قال في آخر الآيات: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: ١٧]؛ فأثبت لهم الإسلام، ولو كانوا منافقين لما أثبت لهم الإسلام .

القول الثالث: أن الإسلام هو العمل، والإيمان هو التصديق والإقرار، فالإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان الأعمال الباطنة.

واستدلوا بحديث جبريل[1] حينما أجاب النبي حين سئل عن الإسلام والإيمان؛ حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأصول الخمسة.

وأجيب بأن هذا عند اقتران الإسلام بالإيمان .

والصواب في المسألة: أن الإيمان والإسلام تختلف دلالتهما بحسب الإفراد والاقتران، فإذا أُطلق الإسلام وحده؛ دخل فيه الأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة، وإذا أطلق الإيمان وحده دخل فيه الأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة، وإذا اجتمعا فُسِّر الإسلام بالأعمال الظاهرة، وفُسِّر الإيمان بالأعمال الباطنة؛ كما في حديث جبريل، فإن جبريل لما سأل النبي عن الإسلام، فسَّره بالأعمال الظاهرة، ولما سأله عن الإيمان، فَسَّره

---

(١) سبق تخريجه.

بالأعمال الباطنة ، هذا هو التحقيق والصواب، وهو الراجح، ومن فهم هذا انجلت عنه إشكالات كثيرة في كثير من المواضع التي حاد عنها كثير من الطوائف عن الحق.

المؤمنون كلهم أولياء الرحمن

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ):

الشرح

هذه المسألة هي مسألة: الولاية، وقولُ الشيخ: فالمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، هذا تقرير مذهب المرجئة؛ لأن الناس عند المرجئة قسمان: مؤمنون؛ وكلهم أولياء الرحمن، وكفار؛ وهم أعداء الله.

وأما جمهور أهل السنة فيقسمون الناس ثلاثةَ أقسام:

عدو لله كامل العداوة؛ وهو الكافر.

ثانيًا: مؤمن ولي لله كامل الولاية؛ وهو المؤمن المطيع، الذي أدى الواجبات، وانتهى عن المحرمات.

ثالثًا: وليٌّ لله بوجهٍ، وعدو لله بوجه؛ وهو المؤمن العاصي، فهو ولي لله بحسب ما فيه من الإيمان والطاعات، وعدو لله بحسب ما فيه من المعاصي والتقصير في الواجبات .

والذي عليه أهل السنة والجماعة هو الصواب.

(وهل تجتمع الولاية والعداوة في الشخص الواحد؟)

الجواب: نعم، وهذا أصل عظيم عند أهل السنة، وهو اجتماع الولاية والعداوة في الشخص الواحد، فيكون المؤمن وليًّا لله من وجه، وعدوًّا لله من وجه.

وهذه المسألة فيها نـزاع لفظي بين أهل السنة وبين الجمهور، وفيها نـزاع معنوي بين أهل السنة وأهل البدع.

فالنـزاع اللفظي بين الجمهور والأحناف: الجمهور يقولون: العاصي عدو لله من وجه، وولي لله من وجه.

والأحناف يقولون: هو ولي لله، لكن المعاصي يعاقب عليها ويذم عليها.

أما النـزاع المعنوي بينهم وبين أهل البدع؛ فإنه يترتب عليه فساد في الاعتقاد، فأهل السنة يقولون: العاصي وإن كان عدوًّا لله من وجه إلا أنه لا يخرج من الإيمان، أما الخوارج فإنهم يقولون: العاصي يخرج من الإيمان، ويدخل في الكفر، والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر؛ فيكون في منـزلة بين المنـزلتين، والمرجئة المحضة يقولون: العاصي كامل الإيمان والولاية، حتى لو فعل الكبائر ونواقض الإسلام، إلا إذا جهل ربه بقلبه، والتفصيل في هذا يأتي إن شاء الله.

وقول الطحاوي رحمه الله هنا هو مذهب مرجئة الفقهاء، ولكن خالفهم جمهور أهل السنة في هذا الأصل كما سبق.

فالناس يتفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، والولاية لم يتساو الناس في أصلها، فهي نظير الإيمان في أصله، بل الولاية تزيد وتنقص، وتكون كاملة وناقصة، فالمطيع تزيد ولايته وتقواه، والعاصي تنقص ولايته وتقواه، كما أن الإيمان يزيد وينقص، فالمطيع يزيد إيمانه ويقوى، والعاصي ينقص إيمانه ويضعف، كما أن الناس يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق؛ لأن الإيمان على مراتب؛ إيمان دون إيمان، والكفر على مراتب؛ كفر دون كفر، وأولياء الله هم المؤمنون المتقون، وبحسب إيمان العبد وتقواه، تكون ولايته لله، فمن كان أكمل إيمانًا وتقوى: كان أكمل ولاية لله.

والأعمال داخلة في مسمى الإيمان، والأعمال داخلة في مسمى الكفر أيضاً، واستدل جمهور أهل السنة على هذا بأدلة كثيرة؛ منها:

قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]؛ فأثبت لهم إيمانًا مع الشرك، والمراد بالشرك: الذي لا يُخرج من الملة؛ وهو الأصغر، فدل على اجتماعهما في المؤمن.

ومنها قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، فأثبت لهم إسلامًا وطاعة لله ورسوله مع نفي الإيمان عنهم، فدل على اجتماعهما، والمراد بالإيمان المنفي عنهم الإيمان المطلق، الذي هو الكامل الذي يستحقون به الوعد الكريم؛ من دخول الجنة، والنجاة من النار، وإن كان معهم أصل الإيمان الذي يخرجهم من الكفر.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ﴾ [التوبة: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ [الفتح: ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ﴾ [المدثر: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾ [البقرة: ١٠].

فهذه الأدلة تدل على تفاضل الناس في الإيمان، وفي الكفر، والنفاق،

الذي هو مبنيٌّ على تفاضلهم في ولاية الله، وفي تفاضلهم في عداوة الله، وأن الشخص الواحد قد يكون فيه قسط من ولاية الله بحسب إيمانه وتقواه، وقسط من عداوة الله بحسب كفره ونفاقه.

ومن الأدلة ما في «الصحيحين» عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي أنه قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[1]، فدل على أن من الناس من يكون معه إيمان، وفيه شعبةٌ من النفاق.

ومنها: قولُهُ ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[2]، فدلَّ على أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لا يخلد في النار. وإن كان معه الكثير من النفاق؛ فهو يعذب في النار على قدر ما معه من النفاق، أو الشرك، أو الكفر، ثم يخرج من النار، والمراد من الكفر، والنفاق، والشرك؛ الأصغر، أما الأكبر من هذه الأنواع؛ فإنه ينافي الإيمان.

ومنها: ما ثبت في «الصحيحين» أنه قال لأبي ذر: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَعَلَى كِبَرِ سِنِّي؟ قَالَ: نَعَمْ**»[3]، وأبو ذر من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤) واللفظ له، ومسلم (٥٨) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أصله عند البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري. وأما هذا اللفظ فقد أخرجه الترمذي (٢٥٩٨) من طريق عبدالرزاق، عن معمر، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وهو عند عبدالرزاق في «التفسير» (١/ ١٦٠)، وقد أخرجه عن عبدالرزاق به ابن الإمام أحمد في «السنة» (٧٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١)، عن أبي ذر رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «إنك امرؤ فيك جاهلية قلت على حين ساعتي هذه، مِنْ كِبَرِ السِّن؟».

خيار المؤمنين، ومع ذلك صار فيه شيء من الجاهلية.

- ومنها: ما ثبت في «الصحيح» عنه أنه قال: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ**»[١]، فدل على وجود هذه الخصال في المؤمنين من هذه الأمة.

- ومنها: ما ذكره البخاري عن ابن أبي مليكة أنه قال: «**أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النبي كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ**»[٢].

- ومنها ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي أنه قال: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[٣]، وفي «صحيح مسلم»: «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**»[٤]؛ فدل على أنه يكون في المؤمن نفاق، وأنهما قد يجتمعان في المؤمن؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧] فجعل هؤلاء إلى الكفر أقرب منهم للإيمان، وهم مخلطون، وكفرهم أقوى؛ وغيرهم

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري معلقا تحت باب: (خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر) قبل حديث (٤٨) بصيغة الجزم، ووصله الخلال في السنة (١٠٨١)، والحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق» (٢/ ٥٢- ٥٣)، وعزاهُ أيضاً إلى ابن أبي خيثمة في تاريخه، وإلى محمد بن نصر المروزي، وكذا عزاه إليهما العيني في «عمدة القاري» (١/ ٢٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٤) هي رواية لمسلم (٥٩) للحديث الذي قبله.

يكون مخلطًا، وإيمانه أقوى.

فهذه الأدلة كلها تدل على أنه يجتمع في الشخص الواحد شيء من شُعب الإيمان، ومن شُعب الكفر، ومن شُعب النفاق، فيكون عدوًّا لله بحسب ما فيه من الشعب، ويكون وليًّا لله بحسب ما فيه من الإيمان.

أما النـزاع بين أهل السنة -جمهورهم وأحنافهم- مع أهل البدع فنـزاع معنوي، لكن أهل البدع اختلفوا:

فذهب الخوارج والمعتزلة إلى أن من ارتكب كبيرة أو قامت فيه شُعبة من شعب الكفر؛ حبط إيمانُه كله، ويخلد في النار، لكن قال الخوارج: يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر، وقالت المعتزلة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، بل هو في منـزلة بينهما؛ يسمى فاسقًا، لا مؤمنًا ولا كافرًا.

وذهبت المرجئة الغلاة إلى أن الكبائر وشُعب الكفر لا تضر مع الإيمان ولا تؤثر فيه، بل المؤمن كامل الإيمان والتوحيد، فهو كامل الولاية، ولا يضره ارتكابه للكبائر وشعب الكفر شيئًا، بل الناس قسمان مؤمن كامل الإيمان والولاية، أو كافر كامل الكفر والعداوة.

وأصل شبهة أهل البدع عمومًا[1]: أن الإيمان شيء واحد، فلا يزول

---

(١) قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٤/٥٤٣-٥٤٤): (ومن سلك طريق الاعتدال؛ عظَّم من يستحق التعظيم، وأحبه ووالاه، وأعطى الحقَّ حقه؛ فيعظِّم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيُحمد ويُذم، ويُثاب ويُعاقب، ويُحَب من وجه، ويُبْغَضُ من وجه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم، وقد بُسط هذا في موضعه).انتهى. وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٠٩).

بعضه ويبقى بعضه، ولا يزيد ولا ينقص، بل إذا زال؛ زال جميعه، وإذا ثبت؛ ثبت جميعه؛ لأنه حقيقة مركّبة المركبة، والحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها. لكن الخوارج والمعتزلة يقولون: الإيمان يتبعض ويتعدد، لكنه شيء واحد إذا زال بعضه؛ زال جميعهُ، وهو جماع الطاعات كلها .

وقالت المرجئة المحضة الكرامية والجهمية والماتريدية: الإيمان لا يتبعض ولا يتعدد، بل هو شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، ولا يذهب بعضه ويبقى بعضه؛ لأنه في القلب فقط.

وذهب مرجئة الفقهاء إلى أن الإيمان متعدد ومتبعض، لأنه تصديق وقول، لكنه شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص؛ إذ هو في القلب واللسان، وإذا ذهب بعضه ذهب جميعه، وذهب جمهور أهل السنة والسلف: إلى أن الإيمان متعدد، وليس شيئًا واحدًا؛ لأنه قول وتصديق وعمل بالجوارح؛ يزيد وينقص، ويزول بعضه ويبقى بعضه، ويجتمع في القلب إيمان وكفر، وطاعة ومعصية. وبهذا انفصلوا عن جميع الطوائف، وبهذا يتبين أن نزاع أهل البدع عمومًا مع أهل السنة؛ نزاع معنوي، يترتب عليه فساد في الاعتقاد والله أعلم .

فالصواب أن المؤمنين قسمان: قسم ولي لله كامل الولاية، وهو المطيع، وقسم عدو لله من وجه، وولي لله من وجه، وهو المؤمن العاصي، خلافاً لما قاله الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

أكرم المؤمنين عند الله

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ):

الشرح

أكرم المؤمنين أطوعهم وأتبعهم للقرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣]، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤١١)، وابن عساكر في «معجمه» (١٠٤٥)، والطبراني في «الأوسط» (٤٧٤٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٣٧) وقال: «في إسناده بعض من يجهل»، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٠٠). من طريق سعيد الجريري عن أبي نضرة حدثني من سمع: خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله ﷺ، ثم قال أيّ يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، ثم قال: أي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام. قال ثم قال: أي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: فإن الله قد حَرَّم بينكم دماءكم وأموالكم -قال ولا أدري قال: أو أعراضكم أم - لا كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله ﷺ، قال: ليبلغ الشاهد الغائب». وهذا سياق أحمد. وقد سمَّى الصحابيَّ في رواية أبي نعيم، والبيهقي: جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن الجريري، إلا أبو المنذر الوراق، لا يروى عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد». ا هـ.
وقال أبو نعيم: «غريب من حديث أبي نضرة عن جابر لم نكتبه إلا من حديث أبي قلابة عن الجريري عنه». اهـ.
وقال الهيثمي في «المجمع» (٣ / ٣٤٣): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». اهـ.
وقال البوصيري في «اتحاف الخيرة» (٢٦١٤): «رواه مسدد، ورجاله =

وفي لفظ: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ وَلَا لِأَبْيَضَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»[١]، أو كما جاء في الحديث، فلا شك أن أكرم الناس عند الله أتقاهم وأكثرهم إيمانًا واتِّباعًا للقرآن وللسنة.

= ثقات، وأحمد بن حنبل، والحارث». اهـ.

وقال الهيثمي (٧/ ٤٠١): وعن أبي سعيد قال: «قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم واحد وأباكم واحد، فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى». اهـ.

رواه الطبراني في «الأوسط»، والبزار بنحوه إلا أنه قال: «إن أباكم واحد وإن دينكم واحد، أبوكم آدم، وآدم خلق من تراب». ورجال البزار رجال الصحيح. اهـ.

وصححه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٤٤). وكذا الألباني ؒ، في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٠٠).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ١٢)، وضعف إسناده الهيثمي في المجمع (٣/ ٥٩٥).

أركان الإيمان

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَالإِيمَانُ هُوَ الإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى)**:

الشرح

هذه أركان وأصول الإيمان، كما جاء في حديث جبرائيل لما سأل النبي عن الإيمان، قال: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ**»[1]، فمن لم يؤمن بهذه

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٥٨١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤١) بعد أن عزاه للطبراني في «الكبير»: «... ورجاله موثقون»، وأخرجه ابن حبان في «الصحيح» (١٦٨)، عن الحسن بن سفيان، عن محمد بن المنهال الضرير، حدثنا يزيد بن زُريع، حدثنا كهمس بنُ الحسن، عن عبدالله بن بريده، عن يحيى بن يَعْمَرَ، قال: خرجتُ أنا وحميد بن عبدالرحمن الحِمْيَرِي، فذكر قصة لقيهما ابنَ عمر، وفيه موضع الشاهد. وهذا إسناد صحيح. وقد أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٧٠)، عن الحسين بن عيسى البسطامي، ومحمد بن يحيى، كلاهما عن يزيد بن هارون، عن شريك، عن الركين بن الربيع، عن يحيى بن يعمر، وعن عطاء بن السائب، عن ابن بريدة، عن يحيى بن يعمر، فذكر القصة. ورواه بحشل في «تاريخ واسط» (ص ١٢٣- ١٢٤)، ثنا زكريا بن يحيى قال ثنا شريكٌ، عن حسين، عن حسن الكندي، عن ابن بريدة قال حججت أنا ويحيى بن يعمر، فذكرهُ.

وأخرجه اللالكائي في «السنة» (١٠٣٨)، من طريق محمد بن هارون الروياني، ثنا أبو سعيد الأشج قال ثنا محمد بن فُضيل، عن عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، عن ابن بريدة قال: «قدمنا المدينة فأتينا عبدالله بن عمر» فذكر القصة، وفيها موضع الشاهد. =

الأصول، أو ترك واحدًا منها، أو من جحد واحدًا منها؛ خرج من دائرة الإيمان، ودخل في دائرة الكافرين. ويتبع هذه الأصول جميع شرائع الإسلام، فكل ما جاء به الكتاب والسنة، لا بد من العمل.

= وأخرجه ابن منده في «الإيمان» (٧)، عن محمد بن محمد بن يونس، ثنا أحمد بن مهدي، ثنا محمد بن المنهال الضرير، ثنا يزيد بن زُريع، ثنا كهمس بن الحسن، عن عبدالله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر.
ورواه أيضاً عن أحمد بن إسحاق بن أيوب، ثنا أبو المثنى معاذ بن المثنى، ثنا محمد بن المنهال به.
وأخرجه الآجري في «الشريعة» (٢٠٨) من طريق الحسن الزعفراني، ثنا يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر.
وأخرجه السبكي في «طبقات الشافعية» (١/١٠٣- ١٠٤)، من طريق محمد بن مسلمة الواسطي، عن يزيد بن هارون، أخبرنا شريك، عن الركين بن الربيع، عن يحيى بن يعمر، وعن عطاء بن السائب، عن ابن بريدة قالا: «حَجَجْنَا...» فذكره، وفيه موضع الشاهد.
والحديث أصله في «مسلم» (٨)، وقد أسنده عن أبي خيثمة: زهير بن حرب، عن وكيع، عن كهمس، عن عبدالله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر، وأسنده أيضاً عن عبيدالله بن معاذ العنبري، عن أبيه، عن كهمس، بالإسناد السابق، وساق الرواية من هذا الوجه، لكن قال: «وتؤمن بالقدر خيره وشره». وساقه عن يحيى بن يعمر بأسانيد أخرى، ولم يسق ألفاظها.

وجوب الإيمان بجميع الرسل

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ):

الشرح

هكذا شأن المؤمن؛ يؤمن بجميع ما جاء في الشرع، وبجميع الرسل، وبجميع الكتب، وبجميع الملائكة: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥].

ويؤمن أن البعث والنشور حق، والجنة والنار حق، وأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة حق، ومحمد حق.

التصديق بكل ما جاءت به الرسل

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاءُوا بِهِ):

الشرح

الإيمان يدعو صاحبه إلى أن يصدق ما جاء به الرسل، فلا بد من الإيمان بذلك كله.

أهل الكبائر إذا ماتوا على التوحيد لا يخلدون في النار

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَهْلُ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - فِي النَّارِ لَا يُخَلَّدُونَ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ):

الشرح

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة؛ أن أهل الكبائر إذا ماتوا لا يخلدون في النار، بل هم تحت مشيئة الله كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن الشرك غير مغفور، وما دون الشرك فهو تحت المشيئة، ومحل النزاع في هذا هو الكبيرة التي مات عليها صاحبها من غير توبة، أما الكبيرة التي تاب منها فليست محل نزاع؛ فمن تاب: تاب الله عليه، والتوبة تَجبّ ما قبلها، فمن تاب قبل الموت توبة صدوقًا نصوحًا قَبِلَ اللهُ توبته عامة. ولا بد في التوبة من أداء حقوق الناس.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]؛ أجمع العلماء على أن هذه الآية في التائبين، أما قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فهذه في غير التائبين، لأن الله - سبحانه وتعالى - خص الشرك بعدم المغفرة، وعلّق ما دونه بالمشيئة، أما الآية السابقة في سورة «الزمر»، فإن الله أطلق وعمم؛ فدل على أنها في التائبين.

والمسلم إذا اجتنب الكبائر، وأدى الفرائض: كَفَّر اللهُ عنه الصغائر؛ فضلًا منه وإحسانًا، قال سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ

عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] يعني: الصغائر، ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، أما الكبيرة فإذا مات عليها من غير توبة، فهو تحت مشيئة الله، قد يغفر له وقد لا يغفر.

(لكن ما هي الكبيرة التي إذا مات الإنسان عليها من غير توبة صار مُتَوَعَّدًا بالنار؟)

اختلف العلماء في تحديد الكبيرة، فقال بعض العلماء: الكبائر سبع، وقال بعضهم: سبعة عشر، وقال بعضهم: الكبائر سبعون، وقيل: سبعمائة، وقيل: لا تُعلم الكبيرة أصلًا، وقيل: إنها أُخفيت كليلة القدر، وقيل: سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها، وقيل: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، وقيل: الكبيرة ما اتفقت الشرائع على تحريمه، وقيل: الكبيرة هي ما يسد باب المعرفة بالله، وقيل: الكبيرة ما فيه ذهاب الأموال والأبدان، وقيل - وهذا هو الصواب -: الكبيرة هي ما يترتب عليها حَدٌّ في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو اللعنة، أو الغضب، وألحق بعضُهم نَفْيَ الإيمان، أو ما قيل فيه: ليس منا[1]، أو برئ منه النبيُّ.

وأما الصغيرة، فقيل: ما دون حدّ الدنيا وحدّ الآخرة، وقيل: الصغيرة كل ذنب لم يُختم بلعنة، أو غضب، أو نار، وقيل: الصغيرة ما ليس فيه حَدٌّ في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة، وهذا أرجح الأقوال.

الدليل على أنه هو الراجح:

أولًا: أن هذا التعريف هو المأثور عن السلف؛ كابن عباس[2]، وابن

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥١١).

(٢) أخرج ابن أبي حاتم (٥٢١٥)، عن ابن عباس قال: «كل ما وعد الله عليه =

عيينة، وأحمد بن حنبل، وغيرهم.

ثانيًا: أن الله تعالى قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]، ولا يستحق هذا الوعد الكريم من أُوعد بغضب الله، ولعنته، وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد؛ لم تكن سيئاتُه مُكَفَّرَةً باجتناب الكبائر.

ثالثاً: أن هذا التعريف متلقًى من خطاب الشارع، فهو ضابط مرده إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب.

رابعًا: أن هذا الضابط يمكن التفريق به بين الكبائر والصغائر.

خامسا: أن هذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره، فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص[1] أنه كبيرة؛ كالشرك، والقتل، والزنا، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات؛ مما فيه حد في الدنيا،

= النار كبيرة».

وأخرج ابن جرير (٥/ ٤١)، عن ابن عباس قال: «الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب». وذكر الحافظ في «الفتح» (١٢/ ١٨٤) أن إسماعيل القاضي روى عن أبي سعيد مرفوعاً: «الكبائر كل ذنب أدخل صاحبه النار»، لكن في سنده ابن لهيعة. وأشار إلى أن إسماعيل القاضي أخرجه عن الحسن البصري بسند صحيح أنه قال: «كل ذنب نسبه الله تعالى إلى النار؛ فهو كبيرة».

(١) من أدلة ذلك: ما رواه البخاري (٢٧٦٧)، ومسلم (٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

وأخرج البخاري (٢٦٥٣) واللفظ له، ومسلم (٨٨) عن أنس رضي الله عنه قال سئل النبي ﷺ عن الكبائر قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور».

ونحو ذلك، كالفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وغير ذلك مما فيه وعيد في الآخرة .

أما التعريفات السابقة، فكلها مُنْتَقَدة:

- فمن قال: إن الكبائر سبع، أو سبعة عشر، أو سبعمائة، أو سبعون، نقول: هذا مجرد دعوى وتحكّم لا دليلَ عليه.

- ومن قال: إن الكبيرة لا تُعلم أصلًا، أو إنها مبهمة، أو إنها أُخفيت كليلة القدر، نقول: إنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها، فلا يمنع أن يكون قد علمها غيرُه.

- ومن قال: إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، فإنه يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر، وهذا فاسد؛ لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

- ومن قال: الكبيرة هي ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت، يقتضي أن شرب الخمر، والفرار من الزحف، والتزوج ببعض المحارم، والمُحَرَّم بالرضاعة والصهرية، ونحو ذلك؛ ليس من الكبائر، مع أنها من الكبائر؛ لأن الشرائع لم تتفق على تحريمها، وأن سرقة الحبَّة من مال اليتيم، والكذبة الواحدة الخفيفة ونحو ذلك من الكبائر باتفاق الشرائع على تحريمها؛ مع أنها من الصغائر، وهذا فاسد .

- ومن قال: الكبيرة ما سد باب المعرفة بالله، أو قال: الكبيرة ذهاب الأموال والأبدان، فإنه يقتضي أن شرب الخمر، وأكل الخنزير والميتة، والدم، وقذف المحصنات؛ ليس من الكبائر مع أنها من الكبائر.

وقد يقترن بالكبيرة من الحياء والخوف والاستعظام لها، ما يُلْحِقُها بالصغيرة، وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء، وعدم المبالاة، وترك الخوف، والاستهانة بها، ما يُلْحِقُها بالكبيرة، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل، والإنسان يعرف ذلك من نفسه.

• **وقول الطحاوي: (وَأَهْلُ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ فِي النَّارِ لَا يُخَلَّدُونَ):**

ناقشه ابن أبي العز[1] فقال: قوله: (مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ) يدل على أن أهل الكبائر قبل أمة محمد يعذبون في النار، وهذا ليس عليه دليل، بل النصوص دلت على أن أهل الكبائر من هذه الأمة، وغير هذه الأمة؛ لا يخلدون في النار.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٥٠-٦٥٥)، و«فتح الباري» (١٠/ ٤١٠)، (١٢/ ١٨٢)، و«شرح الطحاوية» (٢/ ٥٢٥).

الموت على التوحيد شرط لعدم خلود أهل الكبائر في النار

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ):

الشرح

هذا قيد لا بد منه؛ فلا بد أن يكون صاحب الكبيرة قد مات على التوحيد، أما من مات على الشرك، فهذا قد سُدَّ في وجهه باب الرحمة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، والجنة عليه حرام كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢].

لكن من مات على التوحيد؛ غير مشرك، لكن مات على كبيرة من غير توبة؛ كمن مات على الزنا ولم يتب، أو مات على السرقة ولم يتب، أو مات وهو يتعامل بالربا ولم يتب، أو مات على عقوق الوالدين، أو مات على قطيعة الرحم، أو مات على الغيبة والنميمة ولم يتب من كل ذلك؛ فهذا هو الذي تحت المشيئة، بشرط ألا يستحلّ شيئاً من تلك المحرَّمات، يعني يعلم أن الزنا حرام، لكن غلبته الشهوة، ويعلم أن الربا حرام لكنه فعل الربا حبا للمال، أما من استحل الربا، أو الزنا، أو عقوق الوالدين؛ فهذا كافر؛ لأنه مكذب لله ولرسوله في تحريم هذه الأشياء.

المعرفة الكاملة لله المستلزمة للاهتداء

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ):

الشرح

كلمة «مؤمنين» الصواب أنها ليست موجودة في قول الطحاوي، وقوله: «بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ»، انتقد فيها ابنُ أبي العز[1] الطحاويَّ، قال: لأن معناه أنَّ المعرفة تكفي في هذا المقام، ولكن المعرفة لا تكفي وحدها، لأن من عرف الله ولم يؤمن به؛ فهو كافر. وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها؛ الجهم. فالصواب أنه: لا بد من المعرفة مع الإيمان، ولو قال الماتن: (بعد أن لقوا الله مؤمنين) لكان أصح.

ولكن أجاب الشارح عن هذا الاعتراض؛ قال: لعله يريد المعرفة التامة التي تستلزم الهداية.

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٥٢٤).

أهل الكبائر من أهل الإيمان والتوحيد تحت مشيئة الله

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: (وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ كَمَا ذَكَرَ عز وجل فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]:

الشرح

لا شك أن من مات على كبيرة من غير توبة وكان من أهل الإيمان والتوحيد؛ فهو تحت مشيئة الله؛ إن شاء الله غفر له بتوحيده وإيمانه وإسلامه، وأدخله الجنة، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وإن شاء ربنا سبحانه عذَّبه في النار على قدْر جرائمه. وقد تواترت النصوص بأنه يدخل النار جملة من أهل الكبائر يعذبون فيها، وهم من أهل الصلاة، وأن النار لا تأكل موضع السجود من جباههم، ويمكثوا فيها ما شاء الله، وبعضهم يطول مكثه بسبب شدة جرائمه وكثرتها، ويخرجون منها بشفاعة الشافعين.

وقد ثبت أن نبينا يشفع أربع مرات، في كل مرة يحد الله له حدًّا فيخرجهم من النار، وثبت أن بقية الأنبياء يشفعون، والملائكة يشفعون، والشهداء يشفعون، وسائر المؤمنين يشفعون، والأفراد يشفعون، وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة، فيخرجهم رب العالمين برحمته، يقول الرب تعالى: «**شَفَعَتِ المَلائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيونَ، وشَفَعَ المُؤْمِنونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فيقبضُ قبضةً من النَّار فَيُخْرِجُ مِنْها قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**»[1]؛

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل.

يعني: زيادة عن التوحيد والإيمان، ولا يبقى في النار أحد من المؤمنين، لكن بعضهم قد يطول مكثه، مثل القاتل، فقد أخبر الله أنه مخلد؛ فخلود العصاة له نهاية، أما خلود الكفرة فلا نهاية له، فإذا تكامل خروجُ عصاة الموحدين من النار؛ أطبقت النارُ على الكفرة بجميع أصنافهم، فلا يُخْرَجُون منها أبد الآباد؛ بجميع أصنافهم؛ اليهود، والنصاري، والوثنيون، والملاحدة، والزنادقة، والمنافقون؛ كلهم في الدركات السلفى من النار، ولا يخرجون منها أبد الآباد، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال سبحانه: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبإ: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وأما عصاة الموحدين، فإنهم إذا خرجوا يكونون فحمًا قد امتحشوا، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحِبَّة - يعني البذرة في حميل السيل -، فإذا هُذبوا ونُقوا أذن لهم في دخول الجنة[1]،

---

(١) هذا معنى الحديث الذي أخرجه البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا: لا يا رسول الله. قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب. قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة. فيقول: من كان يعبد شيئا؛ فليتبع؛ فمنهم: من يتبع الشمس ومنهم: من يتبع القمر، ومنهم: من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها؛ فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم. فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا؛ فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم. قال: فإنها مثل شوك السعدان؛ غير أنه =

ويكتب في جباههم «الجهنميون عتقاء الله من النار»[(١)]، ثم بعد مدة تمحى هذه الكتابة.

= لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم؛ فمنهم: من يوبق بعمله، ومنهم: من يخردل، ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله؛ فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود؛ فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا؛ فيصب عليهم ماء الحياة؛ فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها فيقول: هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق؛ فيصرف الله وجهه عن النار؛ فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة؛ فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت؟ فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك، فيقول: فما عسيت إن أُعطيتَ ذلك أن لا تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسأل غير ذلك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب أدخلني الجنة، فيقول الله: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك، أليس قد أعطيتَ العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت، فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله -عز وجل- منه، ثم يأذن له في دخول الجنة، فيقول: تمنَّ، فيتمنى حتى إذا انقطع أمنيته، قال الله -عز وجل- من كذا وكذا أقبل يذكّره ربُه، حتى إذا انتهت به الأماني، قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه، قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ قال: قال الله لك ذلك وعشرة أمثاله، قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله لك ذلك ومثله معه. قال أبو سعيد: إني سمعته يقول ذلك لك وعشرة أمثاله. اهـ

(١) أصله في الصحيحين، ولفظ أحمد (٣/ ١٤٤): «ويكتب بين أعينهم هؤلاء عتقاء الله - عز وجل - فيذهب بهم فيدخلون الجنة فيقول لهم أهل الجنة هؤلاء =

أهل الكبائر بين فضل الله تعالى وعدله

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ):

الشرح

إن شاء الله سبحانه وتعالى غفر لهم بتوحيدهم وإيمانهم؛ فضلًا منه وإحسانًا، وإن شاء عذبهم بعدله وحكمته، ولكن إذا عذبهم وماتوا على التوحيد لا يخلدون، بل لا بد أن يخرجوا ولو طال مكثهم.

= الجهنميون فيقول الجبار بل هؤلاء عتقاء الجبار - عز وجل -». وصحح إسناده الألباني في «ظلال الجنة» (ص ٣٩٣).

خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة وبرحمة الله

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ):

الشرح

الشَّافعون: هم الأنبياء، والملائكة، والشهداء، وسائر المؤمنين، وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة، يُخْرِجُهم ربُّ العالمين برحمته.

دخول أهل الكبائر الجنة

◆ قال المؤلف رحمه الله: (ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ):

الشرح

يبعثهم الله إلى الجنة بعد أن ينبتوا، ويهذبوا، وينقّوا.

الله تولى أهل الإيمان به

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِ):

الشرح

وفي نسخة: (وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى أَهْلِ مَعْرِفَتِهِ)؛ وهذا منتَقَدٌ كما سبق؛ فالجهم هو الذي اكتفى بالمعرفة وَحْدَها ولو قال: (وذلك لأن الله تولى أهل الإيمان به) لكان أحسن؛ لأن إبليس عارف بربه، وفرعون عارفٌ بربه، ومع ذلك كانا كافرِيْن؛ فلا تكفي المعرفة. ولكن قد يجاب على ذلك بأنه لعله يريد المعرفة التامة.

الله تعالى ما جعل المؤمنين كأهل الجهل به

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نَكِرَتِهِ):

الشرح

يعني: ما جعل الله المؤمنين كأهل الجهل به، وكذلك قولُه: (كأهل) - نكرة - منتقدٌ، ولو قال: (كأهل الكفر به) أو: (كأهل الشرك به)؛ لكان أحسن؛ لأن الكفر ليس هو الجهل فقط، كما يقوله الجهم، فالكفر يكون بالجهل، وبغير الجهل، كما سبق تفصيلُه.

أعداء الله خابوا من هدايته

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نَكِرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ):

الشرح

وهؤلاء لم يهدهم سبحانه وتعالى؛ لحكمة بالغة، وهو الحكيم العليم سبحانه.

خذلان أعداء الله بعدم نيل ولايته

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ):

الشرح

أعداء الله ليسوا أولياءه، بل هم أعداؤه، إن أولياؤه إلا المتقون، وأما أولئك فقد خابوا من هدايته، ولم ينالوا ولايته، فخذلهم - سبحانه وتعالى - لحكمة بالغة؛ لما يعلمه فيهم، من أنهم ليسوا أهلًا للاهتداء، وليسوا محلًّا لغرس الكرامة.

الدعاء بالثبات على الإسلام

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَى الإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ):

الشرح

هذا الدعاء قال بعضهم: إنه ثابت، وقال بعضهم: إنه موضوع، ولكن الصواب أن له أصلًا[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٦١ -تحقيق طارق عوض الله»، ومن طريقه الضياء في «المختارة» (٢٢٩٠)، وأخرجه أيضاً أبو يعلى (٢٩٦٥ -المطالب العالية)، وزاد الألباني في «الصحيحة» (١٨٢٣)، نِسْبَتَهُ إلى «الفوائد المنتقاة من أصول سماعات الرئيس أبي عبدالله الثقفي» (٢/ ١٦٥/ ١)، والحديث من رواية أنس، وقد قال الهيثمي بعد أن عزاه إلى «الأوسط»: «ورجاله ثقات» [«مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٦)]، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٢٣).

الصلاة خلف البر والفاجر

قال الإمام الطحاوي رحمه الله (وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ):

الشرح

قبل بيان حكم الصلاة خلف البر والفاجر، ننبِّهُ على مسألة مرت من قبل، وهي تتعلق بمن أتى ناقضًا من نواقض الإسلام؛ وذلك أننا قلنا: إن المرجئة يقولون: لا يكفر إلا الجاحد بالقلب، وقلنا: إن هذا خطأ، وإن الكفر يتنوع، فيكون بالقلب والاعتقاد، ويكون بالقول، ويكون بالفعل، ويكون بالشك، ويكون بالترك، ولكن لا بد من توفر شروط، وانتفاء موانع، لمن يفعل الكفر، حتى يحكم عليه بالكفر وهي كما يلي:

الشرط الأول: العلم أن يكون عالمًا بما يقول، فإن كان جاهلًا أو مثله يجهل، فلا يكفر حتى تقوم عليه الحجة، ولا بد أيضًا أن يكون مختارًا وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن كان مكرهًا فلا يكفر، كما قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

الشرط الثاني: القصد؛ فإن لم يقصد الفعل، فإنه لا يكون كافرًا، فإذا قصد السجود لصنم - مثلاً -، أو قَصَدَ التكلم بكلمة الكفر فإنه يكفر، ولا يُشترط أن يعتقد ذلك بقلبه، لكن لا بد من اعتبار القصد، فإن فعل، أو قال من غير قصد؛ فلا يكفر .

فالمجنون ليس عنده قصد؛ فلو تكلم بكلمة الكفر: لا يكفر، وكذلك السكران، والصغير، فاقد العقل، والذي سبق لسانُه، وهو لم يقصد

الكلمة، كالشخص الذي قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ»(١).

فلا بد من توفر هذه الشروط وانتفاء الموانع حتى يحكم على الإنسان بالكفر.

والمرجئة عمدتُهم في هذا الباب على الآية: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فجعلوا الجاهل، والمتكلم بكلمة الكفر من غير إكراهٍ؛ في هذا الباب؛ كالمُكْره، فاشترطوا اطمئنان وانشراح الصدر والقلب؛ للحكم بكفرهما، وهذا خطأ؛ على التفصيل السابق الذي شرحناه.

أما مسألة الصلاة خلف الفاسق، فهذه المسألة - الصلاة خلف كل بر وفاجر- من أصول أهل السنة والجماعة، خلافًا لأهل البدع؛ فإن أهل البدع لا يَرَوْنَ الصلاة خلف أئمة الجور، ولا خلف الفساق؛ لأن الفاسق كافر عند الخوارج، وعند المعتزلة: خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، والرافضةُ لا يرون إلا الصلاة خلف المعصوم.

أما أهل السنة: فيرون الصلاة خلف الولاة، وإن كانوا فساقًا أو جائرين، فَتُصَلَّى خلفهم الجمعة والجماعة والعيد، خصوصًا إذا لم يكن هناك إمام غيرهم، فإمامة الجمعة في البلد الذي ليس فيه إلا جمعة واحدة، وإمامة العيد، وإمامة الحج بعرفة؛ إذا لم يكن هناك إلا فاسق: صَحَّتْ الصلاة خلفه، بل تجب الصلاة خلفه، ومن صلى وحده وترك الصلاة خلف الفاسق في هذه الحال؛ فهو مبتدع عند أهل السنة والجماعة.

وهذا من أصول أهل السنة والجماعة، التي خالفوا بها أهل البدع، ولذلك أدخلها العلماء في كتب العقائد -وإن كانت هذه مسألة في الأصل

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس ﷺ.

فرعية- وذلك للرد على أهل البدع .

أما إذا لم يكن الإمامُ إمامَ الجمعة، أوإمامَ العيد، بل كان إمامًا مُرَتَّباً من الدولة، أم لم يكن؛ وهو فاسق، فهل تصلى خلفه الصلواتُ؟

الجواب: يصلى خلف الفاسق في حالين:

الحال الأولى: إذا كان إمام المسلمين وليس للناس إمام، ومن صلى وحده وترك الصلاة خلفه؛ فهو مبتدع عند أهل السنة.

الحال الثاني: إذا لم يترتب على ترك الصلاة خلفه مفسدة، كأن يحصل انشقاق بين المسلمين وتَحْصل فتن وإحن.

أما إذا كان هناك إمام غيره، ولم تَحصل مفسدة، وصليتَ خلفه، وتركتَ الصلاةَ خلف العدل؛ فاختلف العلماء في صحة الصلاة وعدمها؛ فالحنابلة والمالكية، يرون أن الصلاة غير صحية، وتجب الإعادة.

وذهب الشافعية والأحناف إلى أن الصلاة صحيحة مع الكراهة، وهذا هو الصواب، والدليل على هذا ما ثبت في «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي قال: «**يُصَلُّونَ لَكُمْ - يعني أئمة لكم - فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ**»[(١)]، فهذا الحديث نص صحيح صريح في أن الإمام إذا أخطأ فخطؤه على نفسه، وأما المأموم فليس عليه شيء من ذلك.

وكذلك أيضا: ثبت عن الصحابة أنهم كانوا يصلون خلف الحجاج بن يوسف، وكان فاسقًا ظالمًا[(٢)]، وصلى الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن

(١) أخرجه البخاري (٦٩٤).
(٢) انظر المصنف لابن أبي شيبة (٧٥٦٥، ٧٥٧٣، ١٣٩٨٣).

أبي معيط وكان أميرًا للكوفة من قِبَلِ عثمان رضي الله عنه، وكان فاسقًا يشرب الخمر، حتى إنه صلى بهم مرة الفجر وهو سكران، فصلى بهم الصلاة أربعًا، ثم التفت إليهم، فقال: هل تريدون أن أزيدكم؟ فقال عبدالله بن مسعود ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة أعاد الصلاة، ورفع أمره إلى الخلفة، فجلده وعزله[1].

وكذلك أيضًا ثبت في «صحيح البخاري»: «أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان محصورًا، وقد أحاط الثوار ببيته لقتله -وهم فساق-، ثم حضرت الصلاة فتقدم رجل من الثوار يريد أن يصلي بالناس، فجاء شخص وسأل أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له: يا خليفة رسول الله؛ إن الصلاة تقام الآن وسيصلي بنا رجل من الثوار، وهو فاسق فهل نصلي خلفه؟ فقال يابن أخي: إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإن أحسنوا فأحسن معهم، وإن أساءوا فاجتنب إساءتهم»[2].

هذه النصوص تدل على أن الصلاة خلف الفاسق صحيحة ولا تعاد، ولكن لا شك أن الصلاة خلف العدل أولى.

وأما الذين قالوا: لا تصح؛ فحجتهم في هذا أنهم قالوا: إن من صلى خلف الفاسق فقد أقره على المنكر الذي هو متلبس به، فتكون صلاته منهيًا

---

(١) انظر ما أخرجه مسلم (١٧٠٧)، لكن قول ابن مسعود له: «ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة» أخرجه عُمَرُ بنُ شبة، عن هارون بن معروف، عن ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب -كما نقله ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٤/ ١٥٥٤)، عن عمر بن شبة-، لكنه منقطع بين ابن شَوْذب: عبدالله بن شوذب الخراساني، وابن مسعود رضي الله عنه؛ لأن ابن شوذب مولده سنة: ٨٦هـ -كما في «تهذيب الكمال» (١٥/ ٩٦)- وابن مسعود وفاته سنة: ٣٢هـ أو ٣٣هـ -كما في «التقريب» (٣٦١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٥) من حديث عبيدالله بن عدي بن الخيار، عن عثمان رضي الله عنه.

عنها؛ فلا تصح.

ولكن هذه المسألة -وهي كونه متلبسًا بمنكر- مسألة مهمة تحتاج إلى تقعيد، وهي قاعدة إذا عرفها طالب العلم استفاد بمعرفتها فائدة عظيمة، وهي: هل النهي متعلق بذات المنهي، أو بشيء خارج عنه؟ فإذا كان النهي متعلقًا بذات المنهي، دل على فساد هذا المنهي عنه، وأما إذا كان النهي متعلقًا بشيء خارج عن المنهي عنه فلا يدلُّ على فساده، وعلى هذا: فإن الصلاة صحيحة؛ هذا هو الحق الذي عليه الجمهور.

ومثالٌ آخر: لو فُرض أن شخصًا دخل في دار مغصوبة، وصلى فيها، فهل تصح الصلاة؟

الجواب: نعم تصح؟

مثال آخر أيضًا: شخص غصب ثوبًا ولبسه وصلى فيه، أو شخص لبس ثَوْبَ حريرٍ وصلى فيه، أو شخص حمل صورةً وصلى فيها، هل تصح أو لا تصح؟

المسألة فيها خلاف بين أهل العلم:

القول الأول: مذهبُ الحنابلة والمالكية يرون بطلان الصلاة؛ لأن الإنسان إذا صلى في ثوب مغصوب، أو في دار مغصوبة، أو في ثوب عليه صورة بطلت صلاته؛ لأنه متلبس بشيء منهي عنه.

يقول صاحب «الروض المربع»[1]: لا تصح الصلاة خلف الفاسق مطلقًا، سواء كان فسقه من جهة الأفعال أو من جهة الاعتقاد إلا في جمعة وعيد تعذرا خلف غيره؛ لقوله - عليه الصلاة والسلام -: «**لَا تَؤُمَّنَّ امْرَأَةٌ**

---

(١) (٣/ ١٨٥) ط. دار الوطن.

رَجُلًا، وَلَا يَؤُمَّ أَعْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا، وَلَا يَؤُمَّ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا، إِلَّا أَنْ يَقْهَرَهُ بِسُلْطَانٍ يَخَافُ سَيْفَهُ وَسَوْطَهُ»(١)، كما لا تصح خلف كافر، سواء علم بكفره في الصلاة أو بعد الفراغ منها، وتصح خلف المخالف في الفروع.

قال صاحب الحاشية - العنقري رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا تصح الصلاة خلف فاسق - أي مطلقًا -، واختار الموفقُ، والمجدُ، اختصاصَ البطلان بظاهر الفسق(٢).

وقال في «الفروع»(٣): لا تصح إمامة فاسق مطلقًا وفاقًا لمالك، وعنه: تُكْرَهُ، وتصح وفاقًا لأبي حنيفة والشافعي، كما تصح مع فسق المأموم. ومنه تعلم اتفاق العلماء على الكراهة، وإنما الخلاف في الصحة.

والقول الثاني: أن الصلاة صحيحة مع الإثم؛ فعليه إثم الغصب؛ فإذا صلى في دار مغصوبة نقول: لك ثواب الصلاة، وعليك إثم الغصب، وإذا صلى في ثوب حرير، فله ثواب الصلاة، وعليه إثم الحرير، وإذا صلى في

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٠٨١) من حديث جابر رضي الله عنه، وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٣٢- ٣٣): «... وفيه عبدالله بن محمد العدوي، عن علي بن زيد بن جُدْعان، والعدويُّ اتهمه وكيع بوضع الحديث، وشيخه ضعيف. ورواه عبدالملك بن حبيب في «الواضحة» من وجه آخر، قال: ثنا أسد بن موسى، وعلي بن معبد قالا: ثنا فضيل بن عياض، عن عليّ بن زيد. وعبدالملك متهم بسرقة الأحاديث، وتخليط الأسانيد. قاله ابنُ الفَرْضي. قال عبدالحق في «الأحكام»: رأيته في كتاب عبدالملك. وقال ابن عبدالبر: أفسد عبدالملك بن حبيب إسناده؛ وإنما رواه أسدُ بن موسى، عن الفُضيل بن مرزوق، عن الوليد بن بُكير، عن عبدالله بن محمد العدوي، عن علي بن زيد؛ فجعل عبدالملك فضيلَ بنَ عياضٍ بدل فُضيلِ بنِ مرزوق، وأسقط من الإسناد رجلين».

(٢) انظر: «المحرر في الفقه» (١/ ١٠٤)، و«المغني» (٣/ ٢٢- ٢٣).

(٣) (٣/ ٢٠) ط. مؤسسة الرسالة.

ثوب فيه صورة فله ثواب الصلاة، وعليه إثم الصورة

لكن لو كان النهي متعلقًا بذات المنهي عنه، كما لو صلى في ثوب نجس؛ فلا تصح الصلاة؛ لأن الصلاة في الثوب النجس منهي عنها؛ ولأنه يشترط لصحة الصلاة أن يكون الثوب طاهرًا، والبقعة طاهرة، والجسم طاهرًا .

أما في مسألتنا هذه وهي: الصلاة خلف الفاسق؛ فالذين قالوا: لا تصح، قالوا؛ لأنه لم ينكر المنكر عليه، وأصحاب القول الثاني: يقولون: صحيح أنه أقره على المنكر لكن إنكار المنكر لا يتعلق بالصلاة، وعلى ذلك: فله ثواب الصلاة، وعليه إثم ترك إنكار المنكر.

وبهذا يتبين أن الصواب في هذه المسألة: صحة الصلاة خلف الفاسق، مع الإثم في ترك إنكار المنكر؛ إذا كنت تستطيع ذلك، أما إذا لم يوجد إلا هذا الإمام؛ فإنك تصلي خلفه، ولا كراهة باتفاق أهل السنة، ومن صلى وحده وترك الصلاة خلف الفاسق في هذه الحالة، فهو مبتدع مخالف لأهل السنة والجماعة، أما إذا وجد جماعة أخرى وأمكنه فعل الصلاة خلف البرّ، ولم يترتب على ترك الصلاة خلف الفاسق مَفْسَدة؛ فصلى خلفه من غير عذر، فهذا هو محل الخلاف بين العلماء، منهم من قال: يُعيد، ومنهم مَنْ قال: لا يُعيد .

والأئمة أقسام:

فمنهم: الإمام مستور الحال:

وهو الذي لا يعلم منه بدعة وفجور، فالصلاة خلفه جائزة باتفاق الأئمة، وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن

يمتحنه فيقول: ماذا تعتقد؟

ومنهم: المبتدع الداعي إلى بدعته، والفاسق ظاهر الفسق:

فمن العلماء من فصّل: فقال: إذا كان يدعو إلى بدعته، فلا يُصلى خلفه، وإذا كان لا يدعو صُلِّيَ خلفه، وكذلك الفاسق، إذا كان ظاهر الفسق، فلا يُصلى خلفه، وإذا لم يكن ظاهر الفسق، يُصلَّى خلفه، والصواب: أن الصلاة خلفه صحيحة، بشرط أن تكون البدعة لا توصله إلى الكفر، وبشرط أن يكون الفسق لا يوصله إلى الكفر أيضًا.

ومنهم: **الإمام الكافر**:

فلا تصح الصلاة خلفه بالاتفاق؛ كالقبوري الذي يدعو غير الله، ويذبح للأولياء، أو يطوف بالقبور، أو ينذر للموتى، فإذا صلى خلفه؛ فإنه يُعيد الصلاة، سواء علمت كفره في حال الصلاة، أو قبلها، أو بعدها، ولو بعد حينٍ، حتى لو طالت المدّة[1].

أما إذا كانت بدعته وفسقه لا يوصلانه إلى الكفر، فهذا محل الخلاف؛ والصواب أن الصلاة خلفه صحيحة لحديث البخاري: «**يُصَلُّونَ لَكُمْ؛ فَإِنْ أَصَابُوا، فَلَكُمْ وَلَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَئُوا، فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ**»[2]، وهناك أحاديث ضعيفة - أيضًا - في هذا الباب؛ كحديث: «**صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ**»[3]، وحديث: «**الصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ مُسلمٍ، برًّا كَانَ أَوْ**

---

(١) انظر: «المغني» (٣/ ٢٠) وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٤)، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يصلون لكم فإن أصابوا فلكم وإن أخطئوا فلكم وعليهم». وقد تقدَّم.

(٣) أخرجه الدارقطني (٢/ ٥٧)، والبيهقي (٤/ ١٩) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال الدارقطني: وليس فيها شيء يثبت. =

فَاجِرًا، وإنْ عَمِلَ بالكَبائر، والجَهاد واجبٌ عليكم مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ؛ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَإِنْ عَمِلَ بِالكَبَائِرِ...»[١]، وحديث: «الجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ؛ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَإِنْ عَمِلَ بِالكَبَائِرِ»[٢]، وحديث: «صَلُّوا خَلْفَ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وحديث: «صَلُّوا عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أهل لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[٣]، هذه أحاديث ضعيفة، لكن العمدة على ما في «صحيح البخاري».

= وقال الحافظ في «التلخيص» (٥٧٨): «رواه أبو داود، والدارقطني واللفظ له، والبيهقي من حديث مكحول، عن أبي هريرة، وزاد: (وجاهدوا مع كل بر وفاجر). وهو منقطع، وله طريق أخرى عند ابن حبان في الضعفاء، من حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة، عن هشام، عن أبي صالح عنه، وعبد الله متروك، ورواه الدارقطني من حديث الحارث، عن علي، ومن حديث علقمة والأسود، عن عبد الله، ومن حديث مكحول أيضا، عن واثلة، ومن حديث أبي الدرداء من طرق كلها واهية جدا، قال العقيلي: ليس في هذا المتن إسناد يثبت.
ونقل ابن الجوزي عن أحمد أنه سئل عنه فقال: ما سمعنا بهذا.
وقال الدارقطني: ليس فيها شيء يثبت.
وللبيهقي في هذا الباب أحاديث كلها ضعيفة غاية الضعف، وأصح ما فيه حديث مكحول، عن أبي هريرة على إرساله، وقال أبو أحمد الحاكم: هذا حديث منكر».اهـ. كلام الحافظ في «التلخيص».

(١) أخرجه الدارقطني في «السنن» (٢/ ٥٦) بهذا السياق، وأخرجه أبو داود (٥٩٤) بلفظ: «الصلاة المكتوبة واجبة خلف كل مسلم برًّا كان أو فاجرًا، وإن عمل الكبائر»، من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه انقطاع. وقال أبو أحمد الحاكم: هذا حديث منكر، وتقدم كلام الحافظ في «التلخيص» والإشارة إلى انقطاعه. ورواية أبي داود هنا، من طريق العلاء بن الحارث، عن محكول، عن أبي هريرة، وقد رواه بالسند نفسه، بأتمَّ من الأول، بنحو رواية الدارقطني. وأما رواية الدارقطني فمن طريق يزيد بن يزيد بن جابر، عن محكول، عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٣٣) من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو منقطع الإسناد بين مكحول وأبي هريرة، وانظر كلام الزيلعي في «نصب الراية» (٢/ ٢٦).

(٣) قال الحافظ في «التلخيص» (٢/ ٣٥): «صلوا خلف من قال: لا إله إلا الله، =

ومن الآثار عن الصحابة في هذا، ما في «صحيح البخاري» أن عبد الله بن عمر كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف[1]، وكذلك أنس بن مالك، والحجاجُ كان فاسقًا ظالمًا، وكذلك عبد الله بن مسعود وغيره كانوا يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وأيضًا: فمن المعلوم أن الفاسق والمبتدع صلاته في نفسها صحيحة، ومن صحت صلاته؛ صحتْ الصلاةُ خلفه؛ ولأن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها؛ بحسب الإمكان، فإذا لم يمكن صرف الإمام الفاسق، أو المبتدع عن الإمامة إلا بشر أعظم من ضرر ما أظهر من منكر، فلا يجوز شرعًا دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمها.

= وصلوا على من قال: لا إله إلا الله».
الدارقطني من طريق عثمان بن عبد الرحمن، عن عطاء، عن ابن عمر. [illegible]ثمان كذبه يحيى بن معين، ومن حديث نافع عنه، وفيه خالد بن إسماعيل، عن العمري به، وخالد متروك، ووقع في الطريق عن أبي الوليد المخزومي، فخفي حاله على الضياء المقدسي، وتابعه أبو البختري وهب وهو كذاب، ومن طريق مجاهد؛ عن ابن عمر، وفيه محمد بن الفضل، وهو متروك، وهو في الطبراني أيضًا، وله طريق أخرى من رواية عثمان بن عبد الله العثماني، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، وعثمان رماه ابن عدي بالوضع». اهـ، وانظر: «تنقيح تحقيق أحاديث التعليق» (٢/ ٢٠- ٢١)، و«البدر المنير» (٤/ ٤٦٣- ٤٦٥).

(١) أخرج البخاري (١٦٦٠) عن سالم قال: «كتب عبد الملك إلى الحَجَّاج أن لا يخالف ابن عمر في الحج، فجاء ابن عمر رضي الله عنه وأنا معه يوم عرفة حين زالت الشمس فصاح عند سرادق الحَجَّاج فخرج وعليه ملحفة معصفرة، فقال: ما لَكَ يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: الرواح إن كنتَ تريد السُّنة، قال: هذه الساعة؟! قال: نعم، قال: فأنظرني حتى أفيض على رأسي ثم أخرج. فنزل حتى خرج الحجاج فسار بيني وبين أبي فقلت: إن كنتَ تريد السُّنة فاقصر الخطبة، وعجل الوقوف. فجعل ينظر إلى عبد الله فلما رأى ذلك عبد الله قال: صدق».

وأما الصلاة على من مات من الفسقة والفجار:

فالصواب أنه يصلى خلفهم، وما جاء من النصوص في ترك الصلاة على بعض الفساق كقاتل نفسه، وقاطع الطريق، والغالّ، ومن عليه دَينْ؛ فهذا إنما يترك الصلاة خلفه الأعيان والوجهاء والعلماء، ردعًا للأحياء حتى لا يفعلوا مثل ذلك، وأما عامة الناس؛ فإنهم يصلون عليه(١).

وكذلك الشهيد الصواب أنه لا يصلى على الشهيد؛ لما ثبت عن النبي أنه دفن شهداء أحد بدمائهم وثيابهم ولم يصل عليهم(٢)؛ لأن الشهيد له أجر عظيم، ولأنه يأمن الفتنة، كما جاء في الحديث: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»(٣)، ويأمن من الفتان(٤)، ويأمن من فتنة القبر، ولا يصلى عليه.

لكن ما عدا ذلك؛ فإنه يصلى على كل مسلم، إلا إذا علم أنه كافر، أو علم أنه منافق نفاقًا أكبر.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢١٧-٢١٨)، و«موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع» (١/ ٤١٩-٤٣٦).

(٢) انظر ما أخرجه البخاري (١٣٤٣) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

(٣) أخرجه النسائي (٢٠٥٣) من طريق ليث بن سعد عن معاوية بن صالح أن صفوان بن عمرو حدثه عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، فذكره. وأخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٣٠)، عن ابن مصطفى، حدثنا بقية، عن صفوان بن عمرو به، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٤٣٥٩)، وحسّنه ابن القطان الفاسي في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ٧٤٣).

(٤) انظر ما أخرجه مسلم (١٩١٣) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

الصلاة خلف البر والفاجر

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ):

الشرح

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، خلافًا لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة والرافضة.

الشهادة للإنسان بالجنة أو بالنار

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَلَا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً، وَلَا نَارًا):

الشرح

هذا معتقد أهل السنة والجماعة: أنه لا يُحكم على الشخص المعين بجنة ولا نار إلا من شهدت له النصوص، مثل الأنبياء، ومثل العشرة المبشرين بالجنة، ومثل الحسن والحسين سيِّدَيْ شباب أهل الجنة، ومثل بلال، ومثل عكاشة بن محصن، وغيرهم ممن ثبت له بالنصوص الشهادة بالجنة؛ فهؤلاء هم الذين نشهد لهم بالجنة.

وكذلك: مَنْ شُهِدَ لهم بالنار؛ كأبي جهل، وأبي لهب، أما ما عداهم؛ فإننا نشهد للمؤمنين بالجنة على العموم، فنقول: كل مؤمن في الجنة، ونشهد للكفار بالنار على العموم، فنقول: كل كافر في النار، وكل يهودي في النار، وكل نصراني، وكل منافق في النار، وكل وثني في النار،

وكذلك الشخص المعيَّنُ الكافر، لا نشهد له بالنار إلا إذا علمنا أنه مات على الكفر وقامت عليه الحجة، وليس له شبهة كمن مات وهو يعبد الأصنام، وقد علم أن هذا وثن فأصر على عبادته؛ فهذا كافر، هذا معتقد أهل السنة في هذه المسألة.

وأهل السنة بهذا يخالفون أهل البدع؛ فإن الخوارج؛ يشهدون بالنار لكل فاسق، وكذلك أيضًا المعتزلة؛ يشهدون لمن مات على الكبيرة أنه في النار؛ لأنه خرج من الإيمان ودخل في الكفر[1]، ولذلك فهذا هو الغرض من إدخال هذه المسألة في كتب العقائد.

فالخلاصة: أنَّ منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب: أنهم يقفون في الشخص المعين، فلا يشهدون له بجنة أونار إلا عن علم -وهم الذين شهدت لهم النصوص-؛ لأن الحقيقة باطنة، وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء.

والقاعدة في هذا: أن كل من رأيناه يعمل الصالحات، ورأيناه مستقيمًا على طاعة الله؛ نرجو له الخير من غير شهادة له بالجنة، ومن رأيناه يعمل السيئات والكبائر نخاف عليه من النار، ولا نشهد له بها، هذا معتقد أهل السنة والجماعة.

وأقوال السلف في الشهادة بالجنة -كما سبق- ثلاثة أقوال[2]:

القول الأول: أنه لا يشهد لأحد بالجنة إلا الأنبياء، وهذا مروي عن

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٧٢)، (٢٨/ ٥٠٠-٥٠١)، و«فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ٤٤، ١٣٩)، (٣/ ٩٠).

(٢) انظر. «منهاج السنة» (٥/ ٢٩٥) وما بعدها.

الأوزاعي، ومحمد بن الحنفية، ودليل هذا القول أن الأنبياء معصومون، وأما المؤمن المشهود له بالجنة من غيرهم، فهو غير معصوم؛ لأنه يمكن ارتداده وكفره، فالشهادة له بالجنة معلقة بعدم ارتداده وكفره.

القول الثاني: أنه يُشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث، وهذا هو الصحيح؛ لأنه ورد عن المعصوم، وأما ما لم يرد، فلا يجوز له الشهادة؛ لأنه غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله.

الثالث: أنه يُشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، ولمن شهد له المؤمنون.

واستدل هؤلاء بما في «الصحيحين»: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **«مُرَّ بِجَنَازَةٌ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْراً، فَقَالَ النَّبِيُّ: وَجَبَتْ، ثُم مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثنوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ فَقَالَ عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ»**[1]، وقال: **«يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَالُوا: بِمَ ذاك، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: بِالثَّنَاءِ الحَسَنِ، وَالثَّنَاءِ السَّيِّءِ...»**[2].

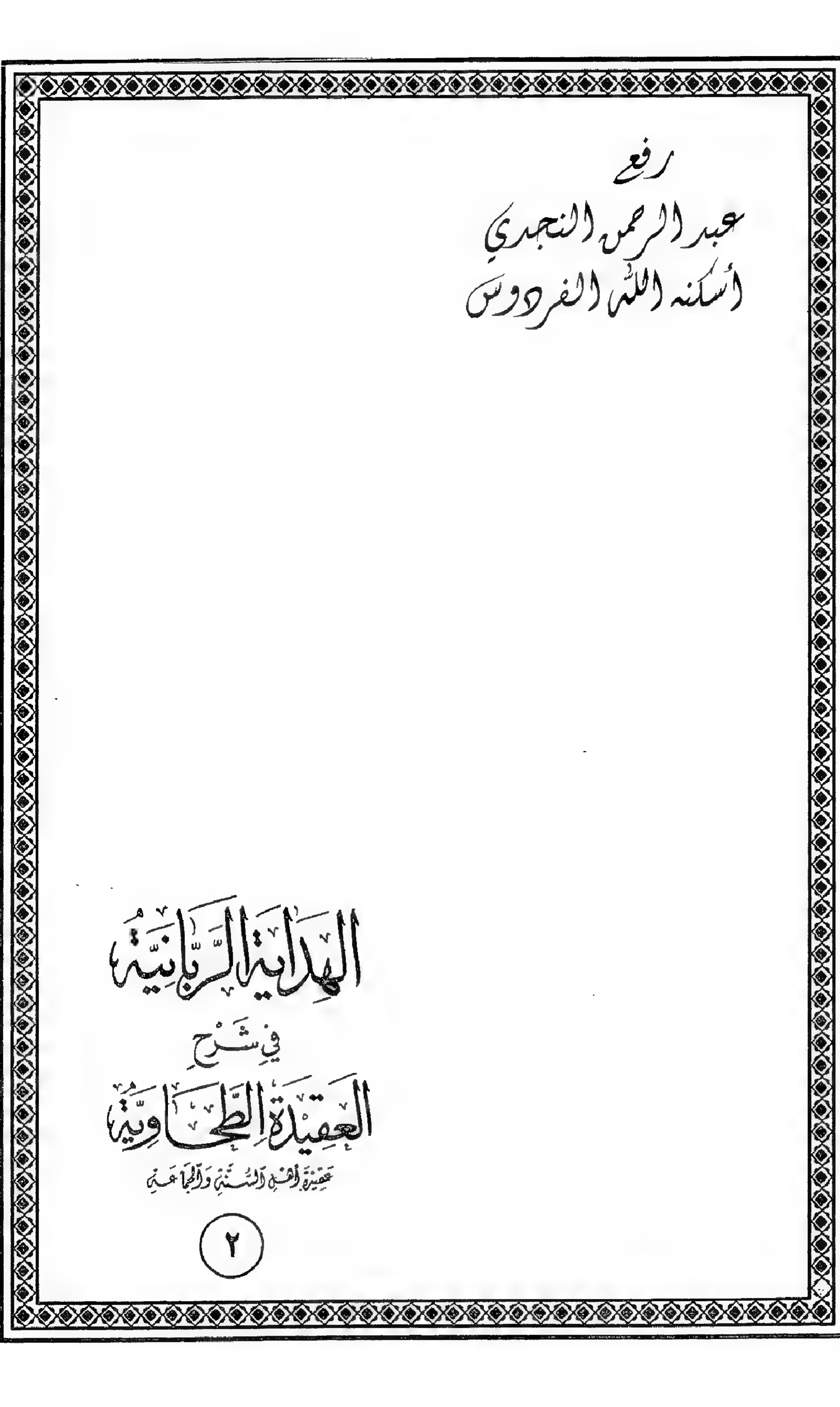
---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٧) واللفظ له، ومسلم (٩٤٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي رواية مسلم أنه كرَّر قوله: (وجبت) ثلاث مَرَّات.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢١) واللفظ له، وأخرجه الحاكم (١/ ٢٠٧ -تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، وصححه، وابن حبان (٧٣٨٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٩٦٠)، والطبراني في «الكبير» (٣٨٢)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٤١٦)، و (٦/ ٤٦٦)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٤٤٢)، وغيرهم، من حديث أبي زهير الثقفي رضي الله عنه وفي «الزوائد» (٤/ ٢٤١): «إسناده صحيح =

فأخبر النبي أن الثناء الحسن والسيئ مما يُعْلَمُ به أهلُ الجنة من أهل النار، وأصحابُ هذا القول قالوا: من شهد له عدلان بالخير، وأنه من أهل الجنة فهذا دليلُ كونه من أهلها، وجواز الشهادة له بها؛ لأن الله ما أنطق أهل الخير والصلاح بالشهادة له بكونه من أهل الجنة إلا؛ لأنه من أهلها، لكن الصواب أنه لا يُشهد إلا لمن شهدت له النصوص، وأن هذا خاص بالصحابة الذين زكاهم النبي ﷺ.

= رجاله ثقات». وحسَّنهُ الألباني كَلَلهُ، وأورده ابن حجر في «الإصابة» (٧/ ١٥٥) في ترجمة أبي زهير الثقفي، وعزاه لأحمد، وابن ماجة، والدارقطني في «الأفراد»، ثم قال: «بسندٍ حسن غريب»، والحديث الذي قبله يشهد لصحة معناه.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
الهداية الربانية
في شرح
العقيدة الطحاوية
عقيدة أهل السنة والجماعة
٢

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله
الهداية الربانية في شرح العقيدة الطحاوية عقيدة أهل السنة والجماعة/
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي ـ الرياض، ١٤٢٩ هـ

.... ص، .... سم

ردمك: ٥ ـ ١٧٢٢ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨ (مجموعة)

١ ـ اعقيدة الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٩/٦٨٦١

رقم الإيداع: ٦٨٦١/ ١٤٢٩

ردمك: ٥ ـ ١٧٢٢ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

دار التوحيد للنشر

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ ـ فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

ص . ب : ١٠٤٦٤ الرمز : ١١٤٣٣
البريد الإلكتروني: e-mail:dar.attawheed.pub.sa@gmail.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٥)

الهداية الربانية

في شرح

العقيدة الطحاوية

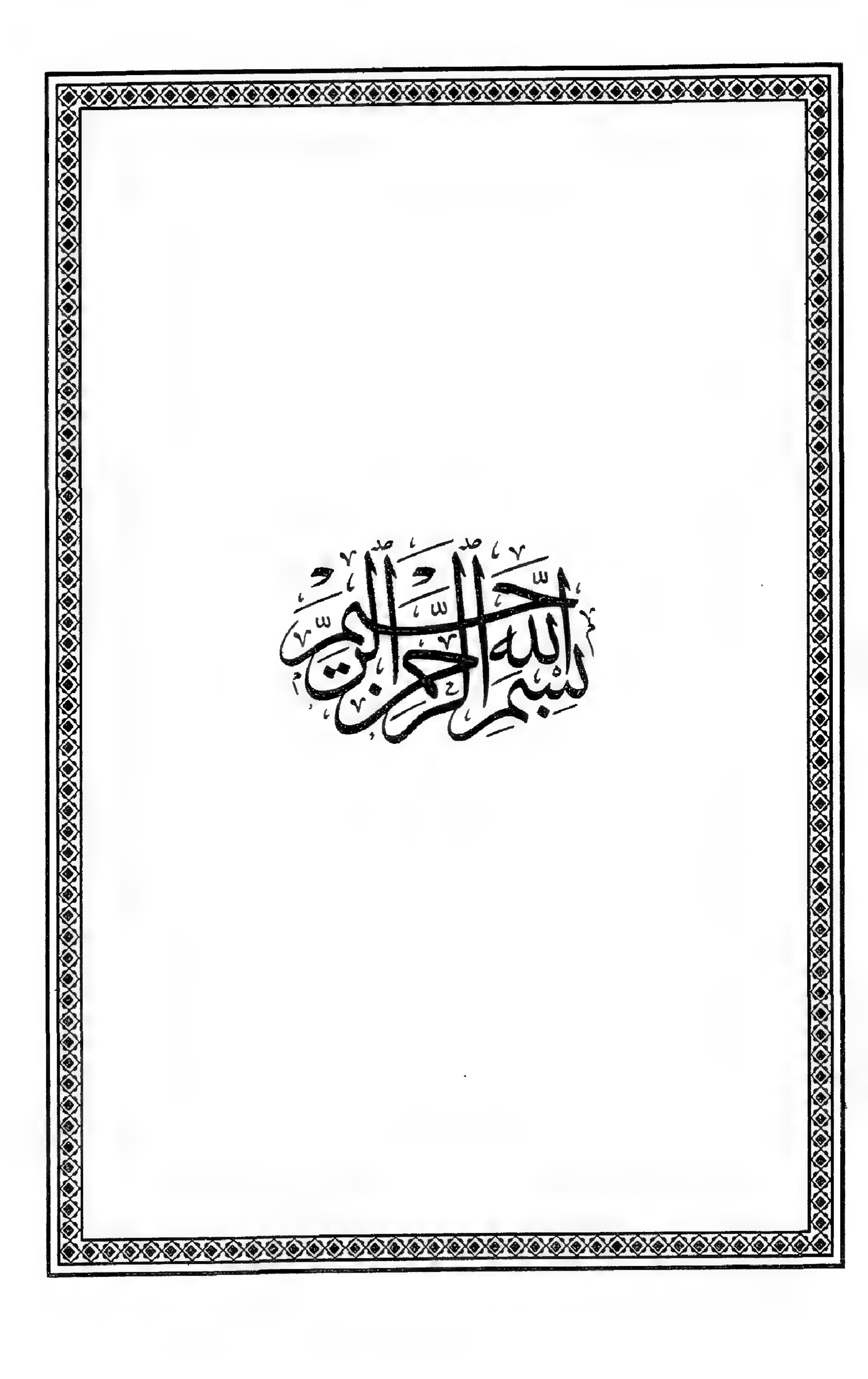
عقيدة أهل السنة والجماعة

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

الجزء الثاني

دار التوحيد
الرياض


بسم الله الرحمن الرحيم

الحكم بالظاهر وترك السرائر إلى الله تعالى

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: (وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ، وَلَا بِشِرْكٍ، وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى):

الشرح

كذلك - أيضًا - المعين من أهل القبلة لا نشهد عليه بالكفر، ونقول: إنه كافر، ولا نشهد عليه بشرك ونقول: إنه مشرك، ولا نشهد عليه بنفاق، أو بفسق، إلا إذا ظهر منه كفر، أو شرك، أو نفاق، أو فسق؛ فنشهد له بذلك؛ لأنَّا قد أُمرنا بالحكم الظاهر، ونُهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم، وهذا من قواعد الشريعة العامة؛ ولذلك نهى الله عن الظن

ومن الأدلة على هذا قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحُجرَات: ١١]، ووجه الدلالة: أنَّ من رمى أحدًا بكفر، أو فسق، أو شرك، أو نفاق بغير دليل، فهو محقر له؛ ساخر منه، ومن الأدلة كذلك: قولُ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجرَات: ١٢]، ووجه الدلالة: أنَّ من رمى إنسانًا بكفر، أو فسق بدون شيء ظاهر منه؛ فهو ظن؛ والظن منهي عنه، ومن الأدلة أيضاً: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسرَاء: ٣٦]، فَمَنْ رمى أحدًا بكفر، أو فسق، أو نفاق، أو شرك، بغير دليل؛ فقد قفا ما ليس له به علم.

ما يحل به دم المسلم

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ):

الشرح

لا نرى السيف على أحد من أمة محمد إلا من وجب عليه السيف، يعني: لا نشهد على أحد بأن دمه هدر، وأن دمه حلال، وأنه مستحق للقتل إلا إذا فعل واحدة من ثلاث:

الأول: إذا زنى، وكان محصنًا، وثبت عليه؛ فإنه يقام عليه الحد من قبل ولاة الأمور، فيُرجم بالحجارة حتى يموت.

والثاني: إذا قتل نفسًا معصومة بغير حق، وثبت عليه الحكم بذلك؛ فإنه يُقتل من قبل ولاة الأمور، ويقام عليه الحد قصاصًا.

والثالث: إذا ارتد عن دينه، وثبتت عليه الردة؛ فإنه يقتل لقول النبي ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(١).

ودليل ما سبق ما في «الصحيح» عنه في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) واللفظ له من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإذا فعل المسلم واحدة من هذه الثلاث، وثبتت عليه؛ فدمه هدر، لكن أمرْ قتْله موكولٌ إلى ولاة الأمور وليس إلى آحاد الرعيّة، وإلا عَمَّتْ الفوضى، وانتشر بسبب ذلك من الفتن، ما الله به عليم.

طاعة ولاة الأمر وعدم الخروج عليهم

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أَمْرِنَا، وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ عز وجل فَرِيضَةً مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ):

الشرح

هذا معتقد أهل السنة والجماعة؛ أنهم لا يرون الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي ولو جاروا أو ظلموا؛ ولا ينزعون يدًا من طاعتهم، ولا يؤلبون الناس على الخروج عليهم، بل يدعون لهم بالصلاح والمعافاة، ولا يدعون عليهم. هذا معتقد أهل السنة والجماعة خلافًا لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة والرافضة؛ ولهذا أدخله المؤلف رحمه الله وغيره في كتب العقائد[١].

فالخوارج يرون الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي؛ فإذا عصى وليُّ الأمر: كَفَّروه، واستحلوا قتله، وأخرجوه من الإمامة، وهذا مذهب بدعيٌّ باطل.

وكذلك المعتزلة: يرون أن ولي الأمر إذا فسق، أو شرب الخمر يجب الخروج عليه؛ لأنه خرج من الإيمان ودخل في الكفر، ويخلدونه في النار.

وكذلك الرافضة: يرون الخروج على ولاة الأمور للمعاصي؛ لأنهم

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٦-١٦).

يرون أن الإمامة بذلك، بل هم لا يرون الإمامة إلا للإمام المعصوم، وما عداه فإمامتهُ باطلة، والإمام المعصوم عند الرافضة - كما يزعمون -: اثنا عشر إمامًا، نصَّ عليهم الرسول - عليه الصلاة والسلام - وقد رتّبوهم كالتالي:

- الأول: الذي نص عليه النبي هو علي بن أبي طالب.
- ثم نص على أن الخليفة بعده الحسن بن علي.
- ثم الحسين بن علي.

ثم الأئمة التسعة كلهم من سلالة الحسين بن علي وهم:

- ابن الحسين زين العابدين.
- محمد بن علي الباقر .
- جعفر بن محمد الصادق.
- موسى بن جعفر الكاظم.
- علي بن موسى الرضا.
- محمد بن علي الجواد.
- علي بن محمد الهادي.
- الحسن بن علي العسكري.
- ثم الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن الخلف الحجة المهدي المنتظر الذي دخل سرداب سامراء بالعراق سنة ستين ومائتين ولم يخرج إلى الآن[1].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» (١/ ١٦٩).

هؤلاء الأئمة منصوص عليهم معصومون، وما عداهم؛ فإمامته باطلة يجب خلعه وإزالته عن الإمامة مع القدرة.

فهم يرون أن إمامة أبي بكر وعمر وعثمان باطلة؛ لأنهم ارتدوا وكفروا وفسقوا بعد وفاة الرسول ؛ لإخفائهم النصوص التي فيها النص على أن الخليفة بعده علي واغتصبوا الخلافة منه، وهو أحق بها منهم، فتكون إمامة أبي بكر، وعمر، وعثمان باطلة؛ لأنهم بفعلهم ذلك، قد جاروا وظلموا .

إذن: فأهل السنة والجماعة لا يرون الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي، خلافًا لأهل البدع من الخوارج، والمعتزلة، والرافضة، والأدلة على هذا كثيرة؛ منها:

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]؛ فأمر الله بطاعة ولي الأمر، والخروج عليه ينافي طاعته.

وفي «الصحيح» عن النبي أنه قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي، فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي، فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ، فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ، فَقَدْ عَصَانِي**»(١)، وهذا فيه النهي عن عصيان ولي الأمر والأمر بطاعته، ولكن هذا عند العلماء مقيد بما إذا لم يأمر بمعصية.

ومن الأدلة حديث أبي ذر أنه قال: «**إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ**»(٢)، وفي لفظ: «**وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٧) واللفظ له، ومسلم (١٨٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٨٣٧)، و (٦٤٨).
(٣) أخرجه البخاري (٦٩٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ومن الأدلة: ما في «الصحيحين» عن النبي أنه قال: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ، وَلَا طَاعَةَ**»[1].

وهذا قيد لكل دليل عام يأمر بطاعة ولي الأمر، فإذا أمر وليُّ الأمر بمعصية؛ كأنْ تُشْرَب الخمرُ، فلا يُطاع، لكن لا يكون هذا مسوِّغاً للخروج عليه، أو تأليب الناس عليه، ولا تُنـزع يَدٌ من طاعته لكنه لا يطاع في معصية الله، كما تقدَّم، وهذا: كما لو أمرك والدك بمعصية؛ فلا تطعه، وكذلك الزوجةُ إذا أمرها زوجها بمعصية؛ فلا تطعه، والعبد إذا أمره سيده بالمعصية؛ لا يطعه، لقول النبي ﷺ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٤) واللفظ له، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بهذا السياق ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٧١٧)، عن الحسن البصري، قال: قال رسول الله ﷺ؛ فَذَكَرَهُ. وهو مُرْسلٌ، لكنه وقع بهذا السياق أيضًا من حديث الحسن البصري، عن عمران بن حصين مرفوعًا، عند الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٨١)، وقد رواه هشام بن حسَّان، عن ابن سيرين، عن عمران بن حصين مرفوعًا بلفظ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الله» كما عن الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٨١، ٣٨٥، ٤٣٧)، وللحديث عن الحسن عن عمران مرفوعًا طرق أخرى، كما هي عند الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٦٧، ٤٠٧، ٤٣٧، ٣١٥٩)، والحاكم (٣/ ٥٠١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٠١٧)، والبزار في «المسند» (٣٥١١)، والأوسط (٤٣٢٢)، و (٣٥٨١)، وقد رواه عن عمران أبو مِراية، كما عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٧١٥)، وأحمد (٤/ ٤٢٦)، والطبراني في «الكبير» (٥٧٠، ٥٧١)، والبزار في «المسند» (٣٥٩٩)، و (٤/ ٤٢٧- ٤٣٦)، والطيالسي في «المسند» (٨٥٠)، والحديث عزاه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١٢٣) إلى البزار من حديث عمران بن حصين، والحكم بن عمرو الغفاري، وقال: =

وعدم إطاعة وليِّ الأمر في معصية الله، ليس معناه جواز التمرُّد والخروج عليه، كما هو الحالُ، بالنسبة للولد مع أبيه، والمرأة مع زوجها، والعبد مع سيده؛ لا يجوز لهم التمرُّد عليهم، بل يطيعونهم فيما عدا المعصية لعموم قول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفَ»(١).

وثبت في «صحيح البخاري»: «أَنَّ النَّبِيَّ بَعَثَ سَرِيَّةً، وَأَمَّرَ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَغْضَبُوهُ، فَقَالَ لُهُمْ: اجْمَعُوا حَطَبًا، فَجَمَعُوا حَطَبًا، ثُمَّ قَالَ: أَجِّجُوهَا نَارًا، فَأَجَّجُوهَا نَارًا، ثُمَّ قَالَ ادْخُلُوا فِيهَا، فَنَظَر بَعْضُهُم إِلَى بَعْضٍ، وَقَالُوا: أَسْلَمْنَا، وَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ خَوْفًا مِنَ النَّارِ، فَكَيْفَ نَدْخُلُ فِي النَّارِ؟ فَلَمْ يَدْخُلُوا فِي النَّارِ، وَتَرَكُوهُ حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى النَّبِيِّ أَخْبَرُوهُ، قَالَ: لَوْ دَخَلُوا فِيهَا، مَا خَرَجُوا مِنْهَا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»(٢).

والسبب في ذلك أن هذا أمرٌ بمعصيةٍ، ولا يجوز لإنسانٍ أن يحرق نفسه.

- ومن الأدلة حديثُ: حذيفةَ الطويل، وفيه أن النبي قال: «تَلْزَمَ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لُهم جَمَاعَةٌ، وَلَا إِمَامٌ؟

= «وسنده قوي». وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٢٥- ٢٢٦)، من رواية أحمد، والطبراني، والبزار، وقال (٥/ ٢٢٦): «ورجال أحمد رجال الصحيح»، وقال عن رواية البزار (٥/ ٢٢٦): «ورجال البزار رجال الصحيح». وفي الباب عن علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وغيرهما. والله أعلم.

(١) هو جزء من الحديث التالي.

(٢) انظر: صحيح البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»(١).

- ومن الأدلة: حديثُ ابن عباس -رضي الله عنهما- مرفوعًا: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ»(٢)، وفي رواية: «فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»(٣)، وهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) واللفظ له، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩) واللفظ له.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، والطيالسي (١١٦١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٠٤، ٥٨٢ -تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٢٧- ٣٤٣١)، واللالكائي في «السنة» (١٥٧)، وابن منده في «الإيمان» (١/ ٣٧٥- ٣٧٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٣٦)، من حديث الحارث الأشعري، وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب»، وصححه الحاكم، والألباني في «ظلال الجنة».
ورد هذا اللفظ أيضًا في حديث أبي ذر. عند أبي داود (٤٧٥٨)، وأحمد (٥/ ١٦٥، ١٨٠)، والحاكم (١/ ٢٠٣ -تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٩٢- ١٠٥٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٤٨)، وصححه ابن الملقن في «البدر المنير» (٨/ ٥٢٧)، والألباني في «ظلال الجنة» (ص ٤٢٠، ٤٨٨)، وورد هذا اللفظ في كذلك في حديث ابن عمر عند الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٥٠، ٢٠٣)، والطبراني في «الكبير» (١٣٦٠٤)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وورد أيضًا من حديث ابن عباس عند الطبراني في «الكبير» (١٠٦٨٧)، وفي «الأوسط» (٣٤٠٥ -تحقيق: طارق عوض الله)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٨٦)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٦٦)، وعزاه الحافظ أيضًا في «الفتح» (١٣/ ٧)، إلى البزار، ثم قال: «وفي سنده خليد بن دعلج؛ وفيه مقال». لكن ورد عن ابن عباس بنحوه من وجه آخر أيضًا عند الطبراني في «الكبير» (١٠٩٢٥)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢١٩)، والسِّلفي في «معجم السفر» (١/ ٢٧٠)، =

الحديث دليل على أن الخروج على ولاة الأمور، من كبائر الذنوب.

- ومنها: حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي قال: «إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا»(١).

ومن أقوى الأدلة على أنه لا يجوز الخروج على ولاة الأمور، ولو فسقُوا وجاروا حديثُ عوف بن مالك الأشجعي في «صحيح مسلم»(٢)؛ يقول فيه النبي ﷺ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ، وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ»، يعني: تدعون لهم، ويدعون لكم، «وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ، وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ، وَيَلْعَنُونَكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ»، ثم قال النبي ﷺ: «أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»، وهذا الحديث دليل صريح على أن ترك الصلاة كفر؛ لأنه قال: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ» فمفهومه أنهم إذا لم يقيموا الصلاة فهم كفار يجوز الخروج عليهم، ثم قال: «أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ» وهو صريح بأنك إذا رأيت من ولاة الأمور شيئًا تكرهه فإنك تكره المعصية التي أتَوْها،

= والخطابي في «غريب الحديث» (١/ ١٤٦)؛ وكلهم رَوَوْهُ من طريق يحيى بن سليم الطائفي، عن إبراهيم بن ميمون، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس مرفوعًا، وجوَّد إسناده العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٥٣٩).

وجاء أيضًا عن أبي الدرداء، ومعاذ بن جبل، وعامر بن ربيعة، مرفوعًا، وعن علي بن أبي طالب، وحذيفة، موقوفًا. والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥) وهو حديث طويل، جزَّأَهُ المصنِّفُ.

ولكن لا تخرج عليهم.

وقد ذكر العلماء الحكمة في المنع من الخروج على ولاة الأمور، وهذه الحكمة استنبطوها من النصوص، وهي داخلة تحت قاعدة اجتماع المفاسد والمصالح وتَزاحُمِهِمَا، وهي: أنه إذا وجد مفسدتان لا يمكن تركهما؛ فإننا نرتكب المفسدة الصغرى لدفع الكبرى، وإذا وجد مصلحتان لا يمكن فعلهما معًا، فنفعل المصلحة الكبرى، وإن فاتت المصلحة الصغرى.

فمثلًا: من الأمور والمفاسد المترتبة على الخروج على ولاة الأمور حصولُ الفوضى، والفرقة، والاختلاف، والتناحر والتطاعن والتطاحن، وإراقة الدماء، وانقسام الناس واختلاف قلوبهم، وفشل المسلمين وذهاب ريح الدولة، ومن ثُمّ يتربص بهم الأعداء الدوائر، ويتدخل الأعداء، وتحصل الفوضى ويختل الأمن، بل وتختل الحياة جميعًا، فتختل الحياة السياسية، والاقتصادية، والتجارية، والتعليمية، وتكون فتن تأتي على الأخضر واليابس، وهذه مفسدة عظيمة جدًا، فإذا كان ولي الأمر قد فعل مفسدة؛ من ظلم بعض الناس، أو سجنهم، أو شَرِبَ الخمرَ، أو استأثر ببعض المال، أو حصل منه فسق ما؛ فهذه مفسدة صغيرة، فينبغي للمسلم أن يتحملها في أي مكان وقعتْ، وفي أي زمان حَصَلت.

فقواعد الشريعة أتت بدرء المفاسد وتقليلها وجلب المصالح وتكميلها، فالواجب أنَّ مَنْ وَقَعَ منه جَورٌ من الأئمة، فلنصبر عليهم، لأن الصبر عليهم فيه حقن لدماء المسلمين ثم - أيضًا - فيه تكفير للسيئات؛ لأن تسليط ولاة الأمور على الناس؛ هو بسبب ظلم الناس بعضهم لبعض، أو

لأنفسهم، وبسبب فساد أعمالهم «وَكَمَا تَكُونُوا يُوَلَّ عَلَيْكُمْ»[(١)]، فإذا أراد الناس أن يُدفع عنهم فساد ولاة أمورهم، وأن يصلحهم الله لهم، فليصلحوا أحوالهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقد قال الله ﷻ لخيار الخلق-وهم الصحابة أفضل الناس بعد الأنبياء- قال الله لهم في غزوة أحد: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، فإذا كان خيار الناس بعد الأنبياء يقال لهم: ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥] فكيف بنا نحنُ الآن؟

وعن مالك بن دينار أنه جاء في بعض كتب الله: (أنا الله مالك الملك قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، لكن توبوا أعطفهم

---

(١) «كما تكونوا يولى عليكم» (الحاكم فى تاريخه عن أبى بكرة). وأخرجه أيضًا: الصيداوى فى «معجم الشيوخ» (١/ ١٤٩). انظر: «جامع الأحاديث» (١٥/ ٤٠٢).
ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٣٩١)، عن الحاكم من كتاب «التاريخ» بلفظ: «كما تكونوا كذلك يؤمر عليكم»، وقال: «هذا منقطع، وراويه يحيى بن هاشم؛ وهو ضعيف»، وقال الشوكاني: «في إسناده وضاع، وفيه انقطاع».
ورواه الطبراني عن الحسن البصري أنه سمع رجلا يدعو على الحجاج فقال له لا تفعل أنكم من أنفسكم أوتيتم إنما نخاف إن عزل الحجاج أو مات أن يتولى عليكم القردة والخنازير فقد روى أن أعمالكم عمالكم وكما تكونوا يولى عليكم، والصحيح أنه من قول الحسن البصري، وقال في «التذكرة في الأحاديث المشتهرة» (ص ٢١٦): «وأخرج الطبراني معناه بطرقٍ، عن عمر بن الخطاب، وكعب الأحبار، والحسن».
انظر: «الفوائد المجموعة» (٢٣)، و«كشف الخفاء» (١/ ١٤٧)، والألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٤٩٠).

عليكم)[١].

فهذا المعنى صحيح، وإن كان إسرائيليًا فبعض الأئمة يقولون: له أصل.

فالخلاصة: أنه لا يجوز الخروج على ولاة الأمور، مهما فعلوا من المعاصي والمنكرات، لكن النصيحة مبذولة من قِبَلِ أهل الحل والعقد وهم العلماء، فهؤلاء يجب أن ينصحوا ولاة الأمور؛ كما قال النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلِعَامَّتِهِمْ»[٢] لكن هذه المعصية، وهذا الجور لا يوجب الخروج بحال على الأئمة؛ لأن الخروج عليهم من فعل أهل البدع؛ من الروافض والخوارج والمعتزلة، فلا يجوز للمسلم أن يوافق الخوارج أو غيرهم في معتقدهم، ولا أن يشابههم في أفعالهم.

---

(١) عَزَاهُ السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٦١٨)، إلى أبي الشيخ، عن مالك بن دينارٍ، قَوْلَهُ، وأسنده عن مالك بن دينارٍ به، أو نعيم في «الحلية» (٦/١٧٢)، فالأشبه بالصوابِ، وَقفه على مالك بن دينار، كما أشار إلى ذلك الإمام الدارقطني في «العلل» (٦/ ٢٠٥)، على أنه قد روي مرفوعًا؛ رواهُ وَهْبُ بن راشدٍ، عن مالك بن دينار، عن خلاس بن عمرو، عن أبي الدراداء، مرفوعًا، كما عند أبي نعيم في «الحلية» (٢/٣٨٨)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٧٥- ٧٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٦٢). وقال الدارقطني في «العلل» (٦/ ٢٠٥): «ووهبُ بنُ راشد هذا؛ ضعيف جدًا؛ متروك. ولا يصح هذا الحديث مرفوعًا». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٤٩) -بعد أن عزاه إلى الطبراني في «الأوسط»-: «وفيه إبراهيم بن راشد؛ وهو متروك». كذا وردت تسميته في المطبوع، وهو في «الأوسط» على الصواب؛ فلعله وهم من الهيثمي رحمه الله أو خطأ من الناسخ أو الطابع!!

(٢) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

قال العلماء: لا يجوز الخروج على ولي الأمر إلا بشرطين:

الشرط الأول: أن يقع منه كفر بواح، ومعنى (كفر بواح) يعني: كفرًا واضحًا، لا لبس فيه؛ كما قال النبي في الحديث الآخر: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[(١)]، فهذا الكفر موصوف بثلاثة أوصاف: أولًا: كفر، ثانيًا: بواح، ثالثًا: عندكم من الله فيه برهان. فإذا كانت المسألة التي يُرادُ من أجْلها الخروج فيها لبس أو شك أو اختلاف، فلا يجوز الخروج والحالةُ هذه، بل لا بد أن يكون كفرًا؛ واضحًا؛ صريحًا، لا لبس فيه؛ عندكم من الله فيه برهان.

الشرط الثاني: أن يوجد البديل؛ بأن يستطيع المسلمون أن يزيلوا ولي الأمر الكافر، ويولوا بدلًا منه مسلمًا صالحًا، أما إذا أُزيل الكافر، وأُتِيَ بدله بكافر؛ فلم يحصل المقصود.

وكذلك -أيضًا- تُشترط القدرةُ على الخروج، أما إذا لم تَكن قدرةٌ، فلا يُشرع الخروجُ.

ولما تكلم الثوار الذين انتقدوا أمير المؤمنين عثمان، فقالوا: إنه قَرَّب أولياءه، وأتم الصلاة في السفر، وخفض صوته في التكبير، وصاروا ينشرون المعايب أمام الناس؛ تجمَّعَ السفهاء في الكوفة وفي البصرة وفي مصر، وجاءوا وأحاطوا ببيته وتألَّبُوا عيه، وقتلوه بسبب الكلام الذي أشاعه أولئك، فالحاصلُ: أنَّه لا يجوز الخروج على الأئمة وإن فسقوا، لا بالقول، ولا بالفعل؛ لا بقتالهم بالسيف، ولا بالكلام، بل ندعو لهم بالصلاح والمعافاة، وبصلاح البطانة. والنصيحةُ مبذولة من قِبَلِ أهل الحل والعقد، ويجب أن يخاطب ولاة الأمور بما يليق بهم من الخطاب؛ هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

الدعاء لولي الأمر بالصلاح والمعافاة

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وَنَدْعُوا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالمُعَافَاةِ):

الشرح

رُوي عن الإمام أحمد أنه قال: لو علمت دعوة صالحة لصرفتها للسلطان؛ لأن بصلاحه تصلح الرعية[١] وهذا فيه الرد على من قال: إنه لا يُدعى لولاة الأمور، وهذا غلط، بل قد ذكر العلماء -كالطحاوي وغيره- أنَّ من صحيح عقائد أهل السنة والجماعة؛ الدعاءُ لولاة الأمور بالصلاح والمعافاة.

ومن الأدلة على ذلك: الحديث الذي في «صحيح مسلم»: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ، وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ، وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ، وَيَلْعَنُونَكُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[٢].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٩١).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥) وسبق تخريجه قبل قليل.

اتباع السنة والجماعة واجتناب الخلاف والفرقة

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالخِلَافَ وَالفُرْقَةَ):

الشرح

هذا من جُملة معتقد أهل السنة والجماعة؛ أن نتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة، والمراد بالسنة: طريقة الرسول التي يسير عليها؛ من قول، أو فعل، أو تقرير. والجماعةُ: هم المسلمون، وهم: الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعُهم: هدى، وخلافُهم: ضلال. والشذوذ: الخروج عن الجماعة، والخلاف: ضد الوفاق، وهو عدم الاتفاق في الرأي والفعل، والفرقة: ضد الوحدة، والوحدة ضد التفرق.

ومن مميزات الجماعة: السير على كتاب الله وسنة رسوله ، والتحاكم إليهما، ورد المتشابه إلى المحكم عند العلم به، وإلا وُكِل إلى عالمه، هذه هي بعض مميزات الفرقة الناجية، وأما غيرها، فمن مميزاتها: اتباعُ المتشابه، وتأويله بما يناسب أهواءها. والأدلةُ على اتباع السنة والجماعة كثيرة؛ منها:

من القرآن:

قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]؛ دلت الآية على أن اتباع الرسول فيما جاء به؛ سبب لمحبة الله.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]؛ دلت الآية على ثبوت الوعيد لمن خرج عن الجماعة، وفيها كذلك تحذيرٌ من الشذوذ.

وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤]؛ ودليل اتّباع السنة؛ في قوله: ﴿أَطِيعُواْ﴾ [النور: ٥٤]، ودليل التحذير من الشذوذ في قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ [النور: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ فدليلُ اتباع السنة؛ في قوله: ﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ودليل التحذير من الشذوذ؛ في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]؛ وهذا أمرٌ بالجماعة واتباع للسنة، ونهيٌ عن الشذوذ والتفرق.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥]؛ **فهذ الآية دلت على ذم التفرق والاختلاف والشذوذ.**

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩]؛ وهذا ذم للتفرق والشذوذ.

وقال تعالى: ﴿...وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ [هود:

١١٨-١١٩] الآية؛ وهذا مدح للجماعة في المستثنى، وذم للاختلاف في المستثنى منه، حيث جعل أهل الرحمة مستثنين من الخلاف.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة: ١٧٦]؛ وهذا ذم للاختلاف والشذوذ.

ومن السنة:

حديث ابن عباس: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ**»[(١)]، وفي رواية: «**فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ**»[(٢)].

وقال : «**إِنَّ أَهْلَ الكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يعني: الأهواء - كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ**»[(٣)] وفي رواية: «**قَالُوا: مَا هِيَ يَا رَسُولَ**

(١) سبق تخريجه قبل قليل.

(٢) سبق تخريجه قبل قليل.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ. انظر: تخريج الألباني ﷺ لـ«كتاب السنة» لابن أبي عاصم (ص ٧، ٣٢-٣٦). فإنه أكثر في ذكر طرق هذا الحديث، وحديث معاوية هذا صححه الشيخ الألباني ﷺ في «ظلال الجنة» (١، ٢، ٦٥)، وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٨٧): «حديث: (تفرّق الأمة) أبو داود، والترمذي، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه عن أبي هريرة رفعه: (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى كذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة، قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي).

وهو عند ابن حبان، والحاكم، في صحيحيهما بنحوه، وقال الحاكم إنه حديث كبير في الأصول، وقد روي عن سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وعوف بن مالك. =

اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(١).

ووجه الدلالة: أن النبي بين أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين إلا أهل السنة والجماعة، وأن الاختلاف واقع لا محالة.

- ومن الأدلة حديث معاذ بن جبل: «إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الإِنْسَانِ كَذِئْبِ الغَنَمْ، يَأْخُذُ الشَّاةَ القَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، فَإِيَّاكُمْ بِالشِّعَابِ، وَعَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَالعَامَّةِ وَالمَسْجِدِ»(٢)؛ فقد نهى عن التفرق، وأمر بلزوم الجماعة والسواد

= قلت: وعن أنس وجابر وأبي أمامة وابن عمرو ابن مسعود، وعلي وعمرو بن عوف وعويمر أبي الدرداء ومعاوية وواثلة، كما بينتها في كتابي في الفِرَق، وأودع الزيلعي في سورة الأنعام من تخريجه من ذلك جملة». ا هـ

(١) هذا لفظ الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبدالله بن عمرو ﷺ، وقال: «هذا حديثٌ حسن غريب، مُفَسَّر لا نعرفه مثل هذا، إلا من هذا الوجه». اهـ، وقد أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١٨ -تحقيق: مصطفى عبدالقادر) من طريق عبدالرحمن بن زياد الأفريقي، وأشار إلى أنَّ إسناد عبدالرحمن بن زيادٍ هذا؛ لا تقوم به الحجة.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٢) من طريق العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل ﷺ، ورجاله ثقات إلا أن العلاء لم يسمع من معاذ بن جبل، قاله المزي في ترجمته في التهذيب. والطبراني في «الكبير» (٣٤٤، ٣٤٥)، ومما يُبيِّن هذا رواية وقعتْ في «المسند» لأحمد (٥/ ٢٤٣)، عن العلاء بن زياد، عن رجل حَدَّثَهُ يَثِقُ به، عن معاذ بن جبل. على أن عبد بن بن حميد، أخرجه في «المنتخب من المسند» (١١٤)، من طريق أبان ابن أبي عياش، عن شهر بن حَوْشب، عن معاذ، مرفوعًا، لكن أبان بن أبي عياش؛ ضعيف، وهو أيضًا منقطعٌ، لأن شهرًا لم يسمع من معاذٍ ﷺ، كما في «تحفة التحصيل» (ص ١٤٩).
لكن أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١٩٩٧)، عن معمر، عن أبان، عن شهر، عن عطاء الخراساني، من قوله، وعطاء الخراساني روايته عن معاذ مُرسلة، كما =

الأعظم، ونهى عن الشعاب، وتسمى «بُنَيَّاتِ الطريق»؛ لأنها مولدة من انفصال الولد عن أمه.

فالواجب على المسلم عند اختلاف الأمة لزوم جماعة المسلمين، والدليل على هذا: حديثُ حذيفة الطويل، وفيه: «تَلْزَمَ جمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، وحديث العرباض بن سارية؛ فإن الرسول نصحه عند اختلاف الأمة، بالتزام سنته وسنة الخلفاء الراشدين، حيث قال العرباض بن سارية ﵁: «**وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ يومًا بعد صَلاةِ الغداةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرِفَتْ مِنْهَا العُيُونَ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رجلٌ: إنَّ هذه مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: أُوصِيكُمْ بتقوى الله، والسَمعِ وَالطَّاعَةِ؛ وإِنَّ عَبْدٌ حَبَشيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وإياكم ومُحْدثات الأمور؛ فإنها ضلالة، فمن أدركَ ذلكَ منكم فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»[1].

فالحديث دليل على وجوب اتباع السنة في قوله: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**»، ودليل على وجوب لزوم الجماعة في قوله: «**أُوصِيكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ**»، وتحذير من الشذوذ في قوله: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ**».

= في «جامع التحصيل» (ص ٢٣٨)، والحديث ضعفه الألباني ﵀ في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢٠٦).

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».
قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢٥٦): قال الحافظ أبو نعيم: «هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين». ا هـ. وأطال في الكلام على الحديث، وصححه أيضًا في «البدر المنير» (٩/ ٥٨٢)، وقال ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٤/ ١٤٠): «وهذا حديث حسن إسناده لا بأس به».

محبة أهل العدل والأمانة وبغض أهل الجور والخيانة

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَنُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ وَالأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الجَوْرِ وَالخِيَانَةِ):

الشرح

محبة أهل العدل والأمانة، وبغض أهل الجور والخيانة، هذا من أصول أهل السنة. ومن أصولهم: اجتماع الحب والبغض للشخص الواحد، خلافًا لأهل البدع ولمرجئة الفقهاء. فمن كمال الإيمان، وتمام العبودية: محبة أهل العدل، وبغض أهل الجور؛ إذ أن أوثق عُرى الإيمان: الحبّ في الله، والبغض في الله، والعبادة لها ركنان: كمال المحبة ونهايتها، وكمال البغض ونهايته.

والمحبة الخاصة بالله تتضمن ركني العبادة: كمال الحب وكمال الذل، ومعنى الحب والبغض في الله هو: أن يحب العبد، أو الفعل، أو الحكم؛ لا يحبُّه إلا لأجل الله؛ كَحُبِّه للشريعة، وللشخص المستقيم، فيحب الحكمَ؛ وهو: وجوب الصلاة، ويحب الفعل، وهو: أفعال الصلاة، والبغض في الله: بغضُ ما يبغضه الله؛ فلا يبغضه إلا لأجل الله؛ كبغضه للشخص الفاسق المنحرف، وكبغضه حلّ الخمر، ويبغض الفعل؛ وهو: شُرْبُ الخمر.

والفرق بين محبة الله، والمحبة مع الله، أن المحبة في الله هي: محبة غير الله لأجل الله، مثال ذلك محبة الشخص المستقيم لحكم الشرع في وجوب الصلاة، وفعل الصلاة، وأما المحبة مع الله أن يحب غير الله كحبه لله، مثل محبة المشركين لأصنامهم، وهي شرك، والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

موقف المسلم من النصوص المتشابهة والمحكمة

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَنَقُولُ: «اللهُ أَعْلَمُ» فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ):

الشرح

هذا مِنْ معتقد أهل السنة والجماعة؛ وموقفهم من النصوص المتشابهة والمحكمة؛ فالمتشابه يفوضون أمره إلى الله، ومثاله: المغيبات: مثل كُنْه ذات الرب، وكُنه الصفات، وكنه نعيم الآخرة، وأما المُحكم؛ فإنه يُفسَّر، ويُعلم، ويُبلَّغ، ويعمل به؛ أي: يعمل بما يعرف منه، مثل: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، والصوم، وأشباه ذلك.

الأدلة من الكتاب على ذم القول في الدين بغير علم:

أولًا: من القرآن:

- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]؛ وجه الدلالة: أن الله ذم من اتبع هواه، ومن تكلم بغير علم؛ فإنما يتبع هواه.

- وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج: ٣-٤]؛ وجه الدلالة: أن الله ذم المجادل بغير علم؛ لأنه قال في الدين بغير علم.

- وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٣٥]؛ وجه الدلالة: أن الله ذم المجادلين في آيات الله بغير علم.

- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾

[الأعراف: ٣٣] إلى قوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]؛ وجه الدلالة: أن الآية دلت على تحريم القول على الله بغير علم.

- وكذلك قول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الكهف: ٢٦]، وقال: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف: ٢٢].

ثانيا: من السنة:

من ذلك قول النبي لما سئل عن أطفال المشركين قال: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(١).

وقال عمر ﷺ: **«اتَّهِمُوا الرَّأْيَ على الدِّينِ، فَلَقد رأيتني يوم أبي جَنْدَلٍ أردُّ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ بِرَأْيِي وما أَلَوْتُ عنِ الحقِّ أَنَّ رسولَ اللهِ** كانَ يكتبُ بَيْنه وبَيْن أهلِ مكةَ، فَقَال اكْتُب: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ فقالوا: لو نرى ذلك صدّقناك بما تقول ولكن اكتب كما نكتب: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، قال: فَرَضِيَ رَسُولُ اللهِ وَأَبَيْتُ، حتى قال لي: يَا عُمَرُ؛ تَرَانِي قَدْ رَضِيتُ وَتَأْبَى أنت؟ قال: فرضيتُ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٤)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ، ومن حديث ابن عباس ﷺ، أخرجه البخاري (١٣٨٣) و(٦٥٩٧)، ومسلم (٢٦٦٠).

(٢) أخرجه البزار (١٤٨) واللفظ له، و «الضياء» في المختارة» (١/ ٣٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٣/ ٣٧)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (١/ ١٩٢)، واللالكائي في «السنة» (٢٠٨)، والهروي في «ذم الكلام» (٢٦٥): كلهم من طريق المبارك بن فضالة، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع ـن ابن عمر، عن عمر، والمبارك بن فضالة يدلس ويسوّي، لكنه صرَّح بالتحديث عند «الضياء» في «المختارة». وقال الهيثمي في «المجمع (٦/ ١٤٥- ١٤٦)»: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح». والحديث أصله في البخاري (٤١٨٩)، ومسلم (١٧٨٥) من حديث سهل بن حنيف ﷺ.

وقال أيضًا: السنة ما سنه الله ورسوله، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأُمَّةِ[١].

وقال أبو بكر رضي الله عنه: أيُّ أرض تُقِلُّنِي وأيُّ سماء تُظِلُّنِي إن قلتُ في آية من كتاب الله برأيي، أو بما لا أعلم[٢]. قال ذلك رضي الله عنه حينما نـزلت به قضية، فلم يجد في كتاب الله فيها أصلًا، ولا في السنة أثرًا، فاجتهد برأيه، ثم قال: هذا رأيي؛ فإن يكن صوابًا؛ يكن من الله، وإن يكن خطًأ؛ فمني، وأستغفر الله[٣].

كل هذه الأدلة تَدُلُّ على أنه ينبغي للمسلم أن يردّ عِلْمَ ما أشْتَبه عليه من النصوص إلى الله وأمَّا المُحكم منها، فإنه يُفَسَّر، ويُعلَم، ويُعمل به؛ على حسب ما جاء في النصوص[٤].

---

(١) أخرجه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٢/ ١٣٦).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠١٠٣، ٣٠١٠٧).
(٣) أخرجه الدارمي (٢٩٧٢).
(٤) انظر: لتقرير هذه القاعدة عند أهل السنة: «الكفاية» للخطيب البغدادي (ص٤٣٣)، و«درء التعارض» (٨/ ٤٠٤)، و«إعلام الموقعين» (٢/ ٢٩٤)، و«الموافقات» (١/ ٢٤٥-٢٤٦).

المسح على الخفين في السفر والحضر

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ):

الشرح

المسح على الخفين من معتقد أهل السنة والجماعة.

والمسح على الخفين مسألة فرعية بسطها العلماءُ في كتب الفقه، ولكن العلماء أدخلوها -من حيث الجملة- في كتب العقائد؛ للرد على بعض أهل البدع، الذين لا يرون المسح على الخفين، فصارت عقيدة من عقائد أهل السنة التي يخالفون فيها أهل البدع؛ ولذلك قال: ونرى؛ أي: ونعتقد.

وأراد المصنف بهذا: الرد على بعض المبتدعة، وهم الرافضة الذين لا يرون المسح على الخفين لا في السفر، ولا في الحضر، وهذه المسألة الخلاف فيها قوي بين أهل السنة والرافضة؛ فأهل السنة يرون وجوب غسل الرجلين في الوضوء إذا كانتا مكشوفتين، ويرون المسح على الخفين إذا كانتا مستورتين بالخف، أو بالجورب بشرط أن يلبسهما على طهارة.

والرافضة لا يرون غسل الرجلين المكشوفتين، ولا يرون المسح على الخفين المستورتين بالخف، بل يوجبون مسح ظهور القدمين، إذا كانت الرجلان مكشوفتين، قالوا: يمسحان كما تمسح الرأس، وإذا كان فيهما خف، وجب نزع الخف وخلعه وخلع الجورب، ومسح ظهور القدمين .

فلهذا جعل أهل السنة من عقيدتهم: المسحَ على الخفين. واستدل أهل

السنة على هذا بالقرآن وبالسنة:

أما القرآن:

فاستدلوا بآية «المائدة»، وهي قول الله: ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة: ٦]؛ استدلوا بقراءة النصب في ﴿أَرۡجُلَكُمۡ﴾، قالوا: والأرجل معطوفة على الأيدي والوجوه؛ والأيدي، والوجوهُ: مغسولة، والعطف على المغسول: مغسول والمعنى: إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم، وامسحوا برءوسكم، لكن الله أدخل الممسوح بين المغسولات؛ للدلالة على الترتيب، وهذا من أدلة العلماء على وجوب الترتيب في الوضوء، ولولا أن الترتيب واجب، لما أدخل الله الممسوح بين المغسولات، ولو كان الترتيب غير واجب لقال الله: اغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برءوسكم، لكن وجه إدخال الممسوح بين المغسولات؛ للدلالة على الترتيب، كما تقدَّم.

وأما السنة:

فالذين نقلوا كيفية الوضوء غسلًا ومسحًا، قولًا وفعلًا، أكثر عددًا من الذين نقلوا لفظ آية «المائدة».

بيان ذلك: أن الذين يتوضئون، والذين نقلوا كيفية الوضوء عن النبي غسلًا للرجلين المكشوفتين، ومسحًا على الخفين؛ حضرًا وسفرًا، أكثر من الذين نقلوا لفظ الآية، وذلك أن كل مسلم يتوضأ، والذي يتوضأ فقد نقل الوضوء؛ فإما أنه رأى النبي عيانًا، وإما أنه نقله عنه، ولكن ليس كل واحد يحفظ الآية، فتبين أن الذين نقلوا كيفية الوضوء غسلًا، ومسحًا، قولًا وفعلًا، أكثر عددًا من الذين نقلوا لفظ الآية، فلو جاز الطعن فيهم، لجاز

الطعن فيمن نقل لفظ الآية، لكن لا يجوز الطعن في نقل لفظ الآية؛ لأن القرآن متواتر، فلا يجوز الطعن في نقل كيفية الوضوء من باب أولى.

هذه أدلة أهل السنة من القرآن والسنة المتواترة.

أما الرافضة فاستدلوا بآية الوضوء وقراءة الجر، قالوا: فإن الآية قرئت: (وأرجلِكم) - مكسورة -، وهي قراءة صحيحة، فهي معطوفة على الرءوس، والرءوس ممسوحة، فتكون الرِّجْلان ممسوحتين، وعلى هذا قال الرافضة: إن أعضاء الوضوء أربعة: الوجه واليدان، والرأس والرجلان؛ عضوان مغسولان: وهما الوجه واليدان، وعضوان ممسوحان: وهما الرأس والرجلان، فيمسحون الرءوس باليدين مبلولتين بالماء، ويمسحون ظهور القدمين كذلك.

وأجاب أهل السنة عن استدلالهم بجوابين:

الجواب الأول: قالوا: نحمل قراءة الجر على المسح على الخفين، ونحمل قراءة النصب على غسل الرجلين مكشوفتين؛ لأن القراءة مع القراءة، كالآية مع الآية .

الجواب الثاني: التوسع في لفظ «امسحوا»؛ فإن لفظ «امسحوا» في اللغة العربية يشمل المسح والغَسل، فيطلق على الغسل - الذي هو: الإسالة والإفاضة وصب الماء -، ويطلق على المسح؛ كما تقول العرب: تمسحت للصلاة؛ أي: توضأت بالماء، فكلمة «امسحوا» في اللغة العربية تشمل الأمرين، فالمعنى: امسحوا برءوسكم إصابةً؛ بإمرار اليدين على العضو مبلولة بالماء، وامسحوا برءوسكم؛ إسالةً وصبًا للماء.

والرافضة أجابوا على قراءة النصب، فقالوا: «أرجلكم» معطوفة على محل «برءوسكم»؛ لأن رءوسكم محلها النصب، إذا نزعتَ الخافضَ،

فالأصل: «وامسحوا رءوسَكم».

فأجاب أهل السنة: بأن العطف على المحل لا يجوز، إلا إذا لم يتغير المعنى، وهنا يتغير المعنى؛ لأن الباء تفيد معنًى زائدًا على المسح، وهو إمرار اليد على العضو مبلولة بالماء؛ لأن الباء للإلصاق، والمعنى: ألصق بيدك شيئًا من الماء ثم امسح به الرأس، فإذا حذفت الباء وقلت: «امسحوا رءوسكم» دلت على أنك تمسح الرأس بدون ماء، وهذا يغير المعنى، ومثال ذلك قول الشاعر:

فلسنا بالجبال ولا الحديدا

فالباء هنا زائدة؛ يجوز أن تعطف على المحل، والمعنى: فلسنا الجبال ولا الحديد، لكن الباء في الآية الكريمة ليست زائدة؛ بل هي تفيد معنى زائدا، وهو الإلصاق، وهو أن تُلصق شيئًا من الماء بيدك، فتمرها على الرأس، فإذا حذفت الباء تغير المعنى، وصار المعنى: إمرار يدك على الرأس بدون ماء، وبهذا يبطل دعوى الرافضة.

والرافضة يستدلون بقوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، على أنه في كل رجْل كعب واحد، وهو العظم الذي هو مجتمع الساق والقدم في ظاهر القدم، عند مقعد الشِّرَاك .

أما أهل السنة فيقولون: في كل رجْل كعبان، وهما العظمان الناتئان من جانب القدم؛ من اليمين ومن الشمال، بدليل القاعدة اللغوية المعروفة: مقابلة الجمع بالجمع؛ تقتضي القسمة آحادًا.

معنى هذه القاعدة: قال الله تعالى: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] فقابل الجمع «أيدي» بالجمع «المرافق»، فالقسمة

تقتضي أن لكل يد مرفقًا.

فلو كان في كل رجل كعب، كما تقول الرافضة؛ لقال الله: وأرجلكم إلى الكعاب؛ لأن مقابلة القسمة بالقسمة تقتضي آحادًا، فلما قابل الله الجمع بالتثنية، دل على أنه في كل رجل كعبان، وفي كل يد مرفق.

وبهذا يبطل مذهب الرافضة في القول بوجوب مسح ظهور القدمين، وعدم وجوب المسح على الخفين، والصواب ما عليه أهل الحق؛ من أن الرجْلين تغسلان إذا كانتا مكشوفتين؛ فإن كانتا مستورتين بجورب أو بخف؛ فإنه يمسح عليهما إذا وُجدتْ الشروط.

الحج والجهاد ماضيان مع ولي الأمر إلى قيام الساعة

◆ قال المؤلف رحمه الله: (**وَالحَجُّ وَالجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الأَمْرِ مِنَ المُسْلِمِينَ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ، وَلَا يَنْقُضُهُمَا**):

الشرح

وهذا من أصول أهل السنة أيضًا ومعتقدهم، وهو مضي الحج والجهاد مع أولي الأمر من المسلمين؛ برًّا كان أو فاجرًا، وهذا خلافًا لأهل البدع من الروافض والخوارج والمعتزلة؛ فإنهم لا يرون الحج ولا الجهاد مع ولي الأمر البر أو الفاجر؛ لأن الخوارج يرون أن الإمام إذا كان فاجرًا؛ وجب قتله وخلعه، وإخراجه من الإمامة؛ لأنه كافر، والمعتزلة كذلك يرون أنه خرج من الإيمان ودخل في الكفر، والرافضة لا يرون الإمامة إلا إمامة المعصوم، وأهل السنة يخالفونهم، ويرون الحج والجهاد مع ولي الأمر برًّا كان أو فاجرًا.

والأدلة في هذا كثيرة، وهي الأدلة التي سبقت، ومن الأدلة أيضًا: حديث أبي هريرة: «**الصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ؛ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَإِنْ عَمِلَ بِالكَبَائِرِ، وَالجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ؛ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَإِنْ عَمِلَ بِالكَبَائِرِ**»[1]، فهذا الدليل مع الأدلة التي سبقت تُبيِّنُ أنه لا يجوز الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي.

والحكمة في هذا: أن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد

(١) سبق تخريجه.

من سائس يسوس فيهما، ويقيم فيهما العدل، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر؛ يحصل بالإمام الفاجر، أما الرافضة فمذهبهم أنه لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضي من آل محمد وهو من نسل الحسين؛ وهو محمد بن الحسن العسكري؛ وهو المهدي المنتظر الثاني عشر الذي دخل سرداب سامراء سنة ستين ومائتين في العراق، وحتى ينادي مناد من السماء: اتبعوه، وذلك أنهم يقولون: إن الله أردف الرسالة بعد موت الرسول بالإمامة، فنصب أولياء معصومين منصوصين؛ ليأمن الناس من سهوهم وخطئهم؛ فينقادون إلى أوامرهم؛ لأن لا يُخلي اللهُ العالَمَ من لطفه ورحمته.

وقالوا: إن الله لما بعث محمدًا قام بثقل الرسالة وأعبائها، ونص على أن الخليفة بعده علي بن أبي طالب، ثم من بعده الحسن بن علي، ثم الحسين بن علي، ثم علي بن محمد، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم الخلف الحجة المهدي المنتظر محمد بن الحسن الذي دخل سرداب سامراء سنة ستين ومائتين ولم يخرج منه إلى الآن.

وشيخ الإسلام يقول: مضى عليه أربعمائة سنة في عهده، ونحن نقول: مضى عليه الآن ألف ومائتا سنة ولم يخرج، فهو شخص موهوم لا حقيقة له؛ لأن أباه الحسن مات عقيمًا ولم يولد له، فاختلقوا له ولدًا وأدخلوه السرداب، وهم في كل سنة -كما يقول العلماء-: من القديم إلى الآن يأتون عند باب السرداب بدابةٍ؛ ببغلة أو غيرها، وينادون بأصوات مرتفعة: اخرج يا مولانا، اخرج يا مولانا، اخرج يا مولانا، ويجعلون أناسًا يقفون

طرفي النهار في أمكنة بعيدة من المشهد، وإذا جاءت الصلاة لا يصلون، فإذا قيل لهم: لماذا لا تصلون؟ قالوا: نخشى أن يخرج المهدي، فننشغل بالصلاة عن خدمته.

فشرط الرافضة في الإمام أن يكون معصومًا، ونحن نقول: إن هذا الشرّط لا دليل عليه، فأين الدليل على العصمة، بل إن في حديث عوف بن مالك الأشجعي ما يدل على أن الإمام لا يكون معصومًا وفيه يقول النبي ﷺ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ، وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ، وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ، وَيَلْعَنُونَكُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[1]، فأين الإمام المعصوم من هذا؟

ثم أيضًا: إذا كان يشترط في الإمام أن يكون معصومًا، فأخسر الناس صفقة في الإمام المعصوم هم الرافضة؛ لأنهم جعلوا الإمام المعصوم، هو الإمام المعدوم، الذي لم ينفعهم لا في دين ولا في دنيا؛ فإنهم يدعون أن الإمام المنتظر الذي دخل السرداب هناك، ومن المعلوم أنه لو كان موجودًا في السرداب، وقد أمره الله بالخروج فإنه يخرج، سواء نادوه أو لم ينادوه، وإذا خرج فإن الله يؤيده ويأتيه بمن يعينه وينصره، وهم على هذا: من الذين قد ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: «عصمة الإمام في الفقه السياسي الشيعي» لحافظ موسى عامر (١/ ٨٨) وما بعدها.

ثم إن الله تعالى قد عاب في كتابه من يدعو، ولا يستجاب له دعاؤه، فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، ومن خاطب معدومًا كانت حالته أسوأ من حال من خاطب موجودًا؛ وإن كان جمادًا، فمن دعا المنتظر الذي لم يخلقه الله، كان ضلاله أعظم من ضلال هولاء الذين يعبدون الأصنام؛ لأن الذين يعبدون الأصنام يشاهدونها أمامهم، كما أن الشياطين تخاطبهم وتجيب بعض مطالبهم فهم منتفعون، لكن الذي يخاطب معدومًا لا ينتفع لا دنيا، ولا دين.

ثم أيضًا هذا المهدي المنتظر الذي يدعون إليه، لا سبيل إلى معرفته، ولا معرفة ما يأمر به، وما ينهى عنه، فإن كان أحدهم لا يصير سعيدًا إلا بطاعة هذا الذي لا يعرف أمره ولا نهيه، لزم ألَّا يتمكن أحد من طريق النجاة والسعادة وطاعة الله، وهذا من تكليف ما لا يطاق، وهم من أعظم الناس إحالة له، وإن قيل: إذا خرج فإنه يأمر بما عليه الإمامية، إذ لا حاجة إلى وجوده ولا شهوده؛ فإن هذا معروف سواء كان حيًّا، أو ميتًا، وسواء كان شاهدًا، أو غائبًا.

وإذا كان معرفة ما أمر الله به الخلق ممكنًا بدون هذا الإمام المنتظر؛ علم أنه لا حاجة إليه، ولا يتوقف عليه طاعة الله، ولا نجاة أحد، ولا سعادته، وحينئذ يمتنع القول بجواز إمامة مثل هذا، فضلًا عن القول بوجوبه، وهذا أمر بين لمن تدبره، ولكن الرافضة من أجهل الناس.

الإيمان بالكرام الكاتبين

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَنُؤْمِنُ بِالكِرَامِ الكَاتِبِينَ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ):

الشرح

الإيمان بالكرام الكاتبين من عقيدة أهل السنة والجماعة؛ فإن الله جعلهم علينا حافظين، والمراد بالكرام الكاتبين: الملائكة الذين كلفهم الله بكتابة أفعال العباد وأقوالهم من خير وشر، وعددهم أربعة: اثنان بالنهار، واثنان بالليل؛ واحد عن اليمين يكتب الحسنات، والآخر عن الشمال يكتب السيئات، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل الشخص حسنة كتبها، وإن عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه لعله يستغفر ربه، أو يتوب.

وهناك أربعة حفظة يحفظانه ويحرسانه: اثنان بالنهار، واثنان بالليل؛ واحد من ورائه، وواحد أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالليل، وأربعة آخرين بالنهار، حافظان وكاتبان.

وأمَّا ما تكتبه الملائكةُ: فالقول، والفعل، والنية، فالملكان يكتبان أفعال العباد من خير أو شر، وغيرهما؛ قولًا كان، أو فعلًا، أو عملًا، أو اعتقادًا؛ هَمًّا كان، أو عزمًا، أو تقريرًا؛ فلا يهملان من أفعال العباد شيئًا في كل حال.

والدليل على هذا:

- قول الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]،

بعد قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧﴾ [ق: ١٧]، والرقيب والعتيد: ملكان موكلان بالعبد.

- وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠﴾ [الزخرف: ٨٠].

- ودليل كتابة الفعل والقول والنية، قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، وتدخل النية في عُموم الفعل؛ لأنها فعل القلب.

- ودليل كتابة النية والعمل: قول الله تعالى في الحديث القدسي: «**قَالَ اللهُ ﷻ إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ؛ فَإِنْ عَمِلَهَا، فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً؛ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْراً**»[1]، وهو في «الصحيحين»، واللفظ لمسلم.

- ودليل كتابة النية وحدها قوله: «**قَالَتِ المَلَائِكَةُ: ربِّ ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً - وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ -، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ؛ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً؛ إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي**»[2].

ووجه الدلالة: أن تَرْكَها من أجل الله؛ هو سبب كتابة الحسنة، أما إذا لم يتركها من أجل الله، بل تركها عجزًا، فتُكتب عليه سيئة؛ لحديث: «**إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

صَاحِبِهِ[1]، فلم يترك المقتول القتل من أجل الله؛ بل لعجزه، فكتب عليه سيئة.

ودليل كتابة نوع من السيئات: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يُونس: ٢١]، وهو يشمل: القول والفعل والنية.

ودليل كتابة الفعل وحده: قول الله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٩].

ومن السنة ما في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائكةٌ بالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفجرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الذين باتوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ - وَهو أَعْلَمُ بِهِمْ -: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكناهُمْ وَهُمْ يَصَلُّونَ وَأتيناهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[2].

وفي الحديث الآخر: «فإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الغَائِطِ، وحِينَ يفضي الرجلُ إلى أهله فَاسْتَحْيُوهم، وَأَكْرِمُوهُمْ»[3]، جاء في التفسير: اثنان عن اليمين، وعن الشمال، يكتبان الأعمال، صاحب اليمين

---

(١) أخرجه البخاري (٣١) واللفظ له، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وزاد مسلم في روايته بعد «فيسألهم» لفظ «رَبُّهُمْ».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٠٠) من طريق ليث، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ. فذكر الحديث، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأبو مُحَيَّاةَ اسمُه: يحيى بن يعلى». ا هـ. وفي إسناده: ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف. انظر: ترجمته في «التهذيبين». وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٣٩)، من طريق ليث بن أبي سليم، عن محمد بن عمرو، عن أبيه، عن زيد ابن ثابت بلفظٍ مقارب، وضعَّفه البيهقي.

يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه، ويحرسانه، واحد من ورائه، وواحد أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلًا، حافظان وكاتبان.

الإيمان بملك الموت

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ المَوْتِ المُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ العَالَمِينَ):

الشرح

الإيمان بملك الموت من معتقد أهل السنة؛ فنؤمن بأنَّ الله وكله بقبض أرواح العالمين؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السَّجدَة: ١١]، وجاء في القرآن إضافة التوفي إلى ملك الموت؛ كما في قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السَّجدَة: ١١]، وجاءتْ إضافته إلى الملائكة رسل الله، -أيضًا- كما في قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعَام: ٦١]، وجاء إضافة التوفي إلى الله كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزُّمَر: ٤٢]، ولا تعارض بين هذه الإضافات؛ لأن الإضافة إلى كلٍّ بحسبه، فأضيف التوفي إلى ملك الموت؛ لأنه تولى قبضها واستخراجها من البدن، وأضيف إلى الرسل؛ لأن ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب تأخذها من ملك الموت، ويتولونها بعده، وأضيف إلى الله؛ لأن كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره وحكمه، وأمره، فصحتْ الإضافة إلى كل بحسبه.

واختلف الناس في الروح ما هي؟ وهل الروح هي الحياة أو غيرها[1]؟

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٧١).

- فقيل: هي جسم.

- وقيل: عرَض.

- وقيل: لا ندري ما الروح أجوهر أم عرض؟ واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]؛ ولم يخبر عنها ما هي؛ أجوهر أم عرض؟.

- وذهب الجبائي من المعتزلة إلى أن الروح جسم، وأنها غير الحياة، والحياة عرض، واستدل بقول أهل اللغة: خرجت روح الإنسان، وزعم أن الروح لا تجوز عليها الأعراض.

- وقيل: ليست الروح شيئًا أكثر من اعتدال الطبائع الأربع التي هي: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ولم يثبتوا في الدنيا شيئًا إلا الطبائع الأربع.

- وقال قائلون: الروح معنى خامس غير الطبائع الأربع، وليس في الدنيا إلا الطبائع الأربع والروح.

- وقيل: الروح الدم الصافي الخالص من الكدرة.

- وقيل: الروح هي الحرارة الغريزية، وهي الحياة.

- وقيل: الروح جوهر بسيط مُنْبَثٌّ في العالم كله من الحيوان، على جهة الإعمال له والتدبير، وهي على ما وصفت من الانبساط في العالم، غير مُنقسمة الذات والبِنية، وأنها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير.

والقول المختار: أن الروح جسم مخالف لماهية هذا الجسم المحسوس، وهي جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون،

وسريان النار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها، من هذا الجسم اللطيف؛ بقي ذلك الجسم ساريًا في هذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار؛ من: الحس، والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار؛ فارقت الروحُ البدن، وانفصلت إلى عالم الأرواح، وهذا القول هو الصواب في المسألة، وعليه دل الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، وعليه أدلة العقل والفطرة، وكل الأقوال سواه باطلة.

واستدل العلامة ابن القيم رحمه الله له بمائة دليل وخمسة عشر دليلًا، وزيف كلام ابن سينا، وابن حزم وأمثالهما[1]، ومن أدلة هذا القول:

أولًا: من الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزُّمَر: ٤٢]، ففي الآية ثلاثة أدلة: الإخبار بتوفيها، وإمساكها، وإرسالها، وهذا شأن الجسم .

- قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وفي الآية أربعة أدلة:

أحدها: بسط الملائكة أيديهم لتناولها.

الثاني: وصفها بالخروج والإخراج.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٩/ ٣٠٢)، و«الروح» (ص٤٦٩) ط. دار المنار.

الثالث: الإخبار عن عذابها في ذلك اليوم.

الرابع: الإخبار عن مجيئها إلى ربها، وهذا شأن الجسم.

- قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠] إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وفيها ثلاثة أدلة:

الأول: الإخبار بتوفي النفس بالليل.

الثاني: بعثها إلى أجسادها بالنهار.

الثالث: توفي الملائكة له عند الموت، فهذه عشرة أدلة.

- ومن الأدلة - أيضا - قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، وفيه ثلاثة أدلة:

أحدها: وصفها بالرجوع.

الثاني: وصفها بالدخول.

الثالث: وصفها بالرضا.

فهذه ثلاثة عشر دليلًا.

ومن السنة:

- قول النبي في الحديث الصحيح: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**»(١)، وفيه دليلان:

---

(١) أخرجه مسلم (٩٢٠) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

أحدهما: وصفه بأنه يقبض.

الثاني: أن البصر يراه، وهذا شأن الجسم.

- قوله ﷺ: «نَسَمَةُ المُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الجَنَّةِ»[1]، وفيه دليلان:

أحدهما: كونه طائرًا.

الثاني: تعلقها بشجر الجنة وأكلها.

- قوله - عليه الصلاة والسلام - في حديث بلال: «قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ، حِينَ شَاءَ وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ شَاءَ»[2]، وفيه دليلان: وصفها بالقبض والرد.

- ومن الأدلة: ما ثبت[3] في عذاب القبر من خطاب ملك الموت

---

(١) أخرجه النسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١)، وأحمد (٣/ ٤٥٥) كلهم من طريق مالك عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك كان يحدث عن رسول الله ﷺ قال فذكره. والحديث صحيح؛ صححه الحافظ ابن كثير في «التفسير» (١/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥).

(٣) ثبت هذا المعنى في حديث طويل أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم (١/ ١١٤)، والطيالسي (٧٥٣)، وغيرهم، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٢٨٧- ٢٨٨) من طريق أبي معاوية قال حدثنا الأعمش عن منهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار... فساق الحديث بطوله، وهو في بعض المصادر مختصر، وأخرجه الحاكم (١/ ٩٧) من طريق يونس بن خباب، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان به. وذكر الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢١) أن أبا خالد الدالاني، وعمرو بن قيس الملائي، والحسن بن عبدالله النخعي، رووه عن، عن المنهال بن عمرو أيضًا، ثم ساق الأسانيد عنهم بذلك.
=

لها، وأنها تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السقاء، وأنها تصعد ويوجد منها من المؤمن كأطيب ريح، ومن الكافر كأنتن ريح.

وأما الإجماع:

فقد عُلم بالضرورة ما جاء به رسول الله وأخبر به الأمة، من أنه تنبت أجسادهم في القبور، فإذا نفخ في الصور، رجعت كُلُّ روح إلى جسدها فدخلت فيه، فانشقت الأرض عنه، فخرج من قبره.

ومن أدلة هذا الإجماع: الأحاديثُ والآثارُ الدالة على عذاب القبر، ونعيمه إلى يوم البعث، فمعلوم أن الجسد يتلاشى، ويضمحل، وأن العذاب والنعيم مستمران إلى يوم القيامة، وإنما هو على الروح.

ومن أدلة العقل:

أن هذا البدن المشاهد محل لجميع صفات النفس، وإدراكاتها الكلية والجزئية، ومحل للقدرة على الحركات الإرادية، فوجب أن يكون الحامل لتلك الإدراكات والصفات هو البدن، وما سكن فيه.

أما دليل الفطرة:

فإن كل عاقل إذا قيل له ما الإنسان؟ فإنه يشير إلى هذه البنية وما قام بها، لا يخطر بباله أمر مغاير لها، مجرد ليس في العالم، ولا خارجه، والعلم بذلك ضروري لا يكون شكًّا.

= والحديث قال عنه الإمام ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٥٨): «وهو صحيح صححه جماعة من الحفاظ»، والحديث في البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١) مختصر، عن البراء بن عازب، من طريق آخر.

ومن مباحث الروح:

هل النفس أو الروح شيء واحد أو شيئان متغايران[١]؟

اختلف الناس في ذلك؛ فمنهم من قال: إنهما اثنان لمسمى واحد، وهذا قول الجمهور. ومن الناس من قال: إنهما متغايران، والتحقيق أن كلًّا من النفس والروح تطلق على أمور، فيتحد مدلولهما تارةً، ويختلف تارةً، فالنفس تُطلق على الروح، ولكن غالبًا ما تسمى نفسًا إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة، فتسمية الروح أغلب عليها، وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده، ولا مع النفس.

والنفس تطلق على أمور:

أولًا: تطلق على الدم، فيقال: سالت نفسه أي دمه وفي الحديث: «مَا لَا نَفْسَ لَهُ سَائِلَةٌ لَا يَنْجَسُ بِالمَوْتِ إِذَا مَاتَ فِيهِ»[٢].

ثانيًا: تطلق على الروح يقال: خرجت نفسه، أي روحه.

ثالثًا: تطلق على الجسد.

قال الشاعر:

نُبِّئْتُ أن بني سُحَيم أدخلوا أبياتهم تامُور نفس المنذر

---

(١) انظر: «الروح» (ص٥٤٤).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولعله إشارة إلى حديث الصحيحين عن أبي هريرة: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، ثم لينزعه فإن في إحدى جناحيه داء، وفي الآخر شفاء». قال الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/ ١١٢): «وأول من حُفظ عنه في الإسلام أنه تكلم بهذه اللفظة فقال: (ما لا نفس له سائلة) إبراهيم النخعي؛ وعنه تلقاه الفقهاء».

والتامور: الدمُ.

رابعًا: تطلق النفس على العين؛ يقال: أصابت فلانًا نفس؛ أي عين.

خامسًا: تطلق النفس على الذات بجملتها؛ كقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقوله: ﴿تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]، وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨].

والروح تطلق على أمور:

أولًا: تطلق الروح على القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

ثانيًا: وتطلق الروح على جبريل؛ كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣].

ثالثًا: وتطلق الروح على الوحي، الذي يوحيه الله إلى أنبيائه ورسله؛ كقوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥].

رابعًا: وتطلق الروح على الهواء المتردد في بدن الإنسان.

خامسًا: وتطلق الروح على أخص من هذا كله، وهو داعي الطاعة وواعظ القلب، وهو قوة المعرفة بالله والإنابة إليه ومحبته، وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته، ونسبة هذه الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن، فالعلم روح، والإحسان روح، والمحبة روح، والتوكل روح، والصدق روح.

والناس متفاوتون في هذه الروح، فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح، فيصير روحيًا، ومنهم من يفقدها، أو أكثرها، فيصير أرضيًا

بهيميًا، وأما ما يؤيد الله به من القوة والثبات والنصر، فهي روح أخرى كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فهذا معنى سادس.

السابع: تطلق الروح على عيسى - عليه الصلاة والسلام -؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٞ مِّنْهُۖ﴾ [النساء: ١٧١].

الثامن: وكذلك القوى التي في البدن؛ فإنها - أيضًا - تسمى أرواحًا، فيقال: الروح الباسط، والروح السامع، والروح الشام.

والفرق بين النفس والروح؛ فرق بالصفات لا فرق بالذات، وإنما سمي الدم نفسًا؛ لأن خروجه الذي يكون معه الموت يلازم خروج النفس، ولأن الحياة لا تتم إلا به كما لا تتم إلا بالنفس، ويقال: فاضت نفسه، وخرجت نفسه، وفارقت نفسه كما يقال: خرجت روحه وفارقت روحه.

ومن مباحث الروح:

هل الروح قديمة، أو محدثة مخلوقة[(١)]؟

في المسألة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها قديمة غير مخلوقة.

الثاني: أنها محدثة مخلوقة.

الثالث: التوقف؛ فلا يقال إنها مخلوقة، ولا غير مخلوقة.

واستدل أهل القول الأول بما يلي:

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/٤١٦)، و«الروح» (ص/ ٤١٠).

أولًا: أن الله تعالى أخبر أن الروح من أمر الله؛ كما في قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، وأمره غير مخلوق.

وأجيب بأنه ليس المراد هنا بالأمر الطلب الذي هو أحد أنواع الكلام، فيكون المراد أن الروح كلامه الذي يأمر به، وإنما المراد بالأمر هنا المأمور، والمصدر يذكر ويراد به اسم المفعول، وهذا معلوم مشهور، وهو عرف مستعمل في لغة العرب، وفي القرآن منه كثير؛ كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]؛ أي: مأموره الذي قدره وقضاه، وقال له: كن فيكون .

الدليل الثاني: أن الله أضاف الروح إليه؛ كقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، كما أضاف إليه علمه وقدرته وسمعه وبصره ويده، فكما أن هذه الصفات ليست مخلوقة، فكذلك الروح .

وأجيب بأن المضاف إلى الله - سبحانه - نوعان:

الأول: صفات لا تقوم بأنفسها: كالعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام، فهذه إضافة الصفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وإرادته وحياته، صفاتٌ له غير مخلوقة.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح، فهذه إضافة المخلوق إلى خالقه، والمصنوع إلى صانعه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصًا وتشريفًا، يتميز به المضاف عن غيره.

أما أهل القول الثاني:

القائلون بأن الروح مخلوقة مُحْدَثَة، فهذا هو الصواب، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة والأثر، وهو الذي ذهب إليه الصحابة والتابعون .

ومن أدلة هذا القول:

الدليل الأول: قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]؛ ووجه الدلالة: أن هذا اللفظ عام لا تخصيص فيه بوجه ما، فيدخل في عمومه الروح، ولا يدخل في ذلك صفات الله؛ فإنها داخلة في مسمى اسمه، فالله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال، بذاته وصفاته.

الدليل الثاني: قوله تعالى لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩]؛ ووجه الدلالة: أن هذا الخطاب لزكريا - عليه الصلاة والسلام - لروحه وبدنه، ليس لبدنه فقط؛ فإن البدن وحده لا يفهم، ولا يخاطب، ولا يعقل، وإنما الذي يفهم ويعقل ويخاطب هو الروح.

الدليل الثالث: قول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: ١]؛ ووجه الدلالة: أن الإنسان اسم لروحه وجسده.

الدليل الرابع: قوله - عليه الصلاة والسلام -: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»[1]؛ ووجه الدلالة: أن الجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة.

---

(١) الحديث علّقه البخاري في الصحيح «فتح الباري» (٦/ ٣٦٩)، من حديث عائشة - ﵂-، وأشار الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٦٩) أن البخاري وصله في كتاب «الأدب المفرد»، وانظر: «تغليق التعليق» (٤/ ٥ - ٧)، والحديث رواهُ مسلم «البر، والصلة، والآداب» (٢٦٣٨)، وأبو داود «الأدب» (٤٨٣٤)، وأحمد (٢/ ٢٩٥، ٥٢٧)، وابن حبان (٦١٦٨)، وغيرهم، عن أبي هريرة ﵁، وأخرجه الحاكم(٤/ ٤٦٦)، والطبراني في «الكبير» (٦١٦٩) (٦١٧٢)، والخطيب في «التاريخ» (٨/ ٢٠٥) من حديث سلمان ﵁، وانظر: «مجمع الزوائد» (٢/ ٣١٤)، (٨/ ٨٨)، (١٠/ ٢٧٣).

الخامس: الإجماع: فقد أجمعت الرسل على أن الروح محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مُدَبَّرَة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم، وأجمع عليه السلف من الصحابة والتابعين قبل قول هذه الفئة النابغة، وممن نقل الإجماع على ذلك محمد بن نصر المروزي وابن قتيبة وغيرهما.

الدليل العقلي: وهو مأخوذ من الشرع، وهو أن الروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث المربوب.

أما أهل القول الثالث: فهؤلاء لم يتبين لهم معاني النصوص، ولم يفهموها، ولو تدبروها لعرفوا معانيها، ولظهر لهم أنها مخلوقة محدثة مربوبة.

ومن مباحث الروح:

هل الروح مخلوقة قبل الجسد، أم بعده[(١)]؟

وهذه مسألة للناس فيها قولان معروفان، حكاهما شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره.

القول الأول: أن الأرواح متقدم خلقها على خلق البدن، وممن ذهب إلى ذلك محمد بن نصر المروزي وأبو محمد ابن حزم، وحكاه ابن حزم إجماعًا.

ومن أدلة هؤلاء:

-قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الأعراف: ١١]؛ ووجه الدلالة: أن «ثم» للترتيب

---

(١) انظر: «الروح» (ص/ ٤٣٣).

والمهلة، ودلت الآية على أن خلقنا مقدم على أمر الله للملائكة بالسجود لآدم، ومعلوم قطعًا أن أبداننا حادثة بعد ذلك؛ فعُلم أنها الأرواح.

- قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢]؛ ووجه الدلالة: أن هذا الاستنطاق والإشهاد، إنما كان لأرواحنا؛ إذ لم تكن الأبدان حينئذ موجودة، كما يؤيد ذلك الأحاديث الكثيرة التي تدل على أخذ الميثاق والإشهاد عليه؛ مما يدل على أن الله جعلهم أرواحا، ثم صورهم واستنطقهم؛ فتكلموا، فأخذ عليهم العهد والميثاق.

القول الثاني: إن الأرواح تأخر خلقها عن الأجساد، واستدل هؤلاء بما يأتي:

- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ ووجه الدلالة: أن هذا الخطاب للإنسان الذي هو روح وبدن، فدل على أن جملته مخلوقة بعد خلق الأبوين.

- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ [النساء: ١]؛ وجه الدلالة: أن الآية صريحة في أن جملة النوع الإنساني -أبدانًا وأرواحًا- بعد خلق أصله، وهذا الدليل أصرح من سابقه.

وهذا القول الثاني هو الصواب، أما أدلة الأولين القائلين بأن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد؛ فالجواب عليها كما يلي:

- أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]؛ فإن الله - سبحانه وتعالى - رتب الأمر بالسجود لآدم على خلقنا وتصويرنا، والمراد خلق أبينا آدم وتصويره، ووجَّه الخطاب لنا؛ لأن آدم -

عليه الصلاة والسلام - هو أصل البشر، ونظيره قول الله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧]، فهو خطاب لليهود في زمن النبي ﷺ، والمظلل عليه آباؤهم؛ لأن الأبناء لهم حكم الآباء.

- وأما استدلالهم بآية الميثاق: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية؛ فيجاب عنه: بأن الآية لا تدل على خلق الأرواح قبل الأجساد خلقًا مستقرًا، وإنما غايتها أن تدل على إخراج صورهم وأمثالهم في صور الذر واستنطاقهم، ثم ردهم إلى أصلهم، والذي صح إنما هو إثبات القدر السابق وتقسيمهم إلى شقي وسعيد.

- وأما الآثار المذكورة، فلا تدل - أيضًا - على سبق الأرواح الأجساد سبقًا مستقرًا ثابتًا، وغايتها أن تدل - بعد صحتها وثبوتها - على أن بارئها وفاطرها - سبحانه وتعالى - صور النسم وقدر خلقها وآجالها وأعمالها، واستخرج تلك الصور من مادتها، ثم أعادها إليها، وقدر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له، ثم استمرت موجودة حية عالمة ناطقة كلها في موضع واحد، ثم ترسل منها إلى الأبدان جملة بعد جملة، كما قال ابن حزم: يجيء جملة بعد جملة على الوجه الذي سبق إليه التقدير أولًا، فيجيء خلق الخارج مطابقًا للتقدير السابق.

ومن مباحث الروح:

هل تموت الروح؟ أم الموت للبدن وحده[1]؟

اختلف الناس في هذا على أقوال:

القول الأول: تموت الروح، وتذوق الموت، واستدلوا بما يأتي:

---

(١) انظر: «الروح» (ص/ ١٩٥).

أولًا: قول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، والروح نفس، فلا بد أن تذوق الموت.

ثانيًا: قول الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨]؛ فقد دلت الآيتان على أنه لا يبقى إلا الله وحده، وهذا يدل على أن الروح تموت.

ثالثًا: قالوا إذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت، وهذا الدليل عقلي.

رابعًا: استدلوا بقول الله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، وقوله - تعالى - عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]؛ وجه الدلالة: أن الموتة الأولى هذه المشهودة، وهي للبدن والأخرى للروح.

خامسًا: قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ٦٨]، وهذا يدل على أن الأرواح تصعق عند النفخ، ويلزم من ذلك موتها.

القول الثاني: أن الأرواح لا تموت، وإنما تموت الأبدان، واستدلوا بما يأتي:

أولًا: أن الأرواح خُلقت للبقاء، فلا تموت.

ثانيًا: الحديث الدال على نعيم الروح وعذابها، بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح؛ لانقطع عنها النعيم والعذاب فمن هذه الأحاديث حديث: «**إِنَّ مَثَلَ رُوحِ الْمُؤْمِنِ الطَّائِرُ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ**

الجَنَّةِ، حَتَّى يُرْجِعَهَا اللهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»[1]، وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه وفيه قصة العبد الكافر، أنها تنتزع روحه نزعًا شديدًا، أو تخرج منها ريح خبيثة، وتطرح روحه إلى أرض الطرحات[2].

والصواب في المسألة أن يقال: موت النفوس هو: مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها، فإن أُريد بموتها هذا القَدْر؛ فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية، وتضمحل وتصير عدمًا محضًا؛ فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم، أو عذاب.

ويرجح هذا ويدل له: أنه - سبحانه - أخبر أن أهل الجنة لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى، وتلك الموتة هي مفارقة الأرواح للأجسام، والنصوص الدالة على بقائها تُحمل على بقائها منفصلة عن الجسد، وبهذا

---

(١) أخرجه النسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١) نحوه من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه. وتقدم تخريج هذا الحديث وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد في مسنده (١٨٠٦٣) من طريق أبي معاوية قال حدثنا الأعمش عن منهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار... فساق الحديث بطوله. والحديث رجاله ثقات.

وأخرجه الحاكم (١/ ١١٤) من طريق محمد بن عبد الله بن نمير، ثنا أبي ثنا الأعمش، ثنا المنهال بن عمرو. (ح) ومن طريق أبي معاوية عن الأعمش ثنا المنهال بن عمرو عن زاذان أبي عمر قال سمعت البراء بن عازب.

وقال: وقد رواه سفيان بن سعيد وشعبة بن الحجاج وزائدة بن قدامة وهم الأئمة الحفاظ عن الأعمش. ا هـ. ثم أسند كل حديث: ثم قال: وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة ولم يخرجاه بطوله، وله شواهد على شرطهما يستدل بها على صحته. ا هـ

وأصله في البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١) مختصرًا من طريق آخر عن البراء بن عازب رضي الله عنه، كما تقدم قريبًا تخريج الحديث.

تجتمع الأدلة، ولا تختلف.

وأما استدلال الأولين على موت الروح بقوله - تعالى - حكاية عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [غافر: ١١]، وقوله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨﴾ [البقرة: ٢٨]؛ فالمراد أنهم كانوا أمواتًا، وهم نطف في أصلاب آبائهم، وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة وإلا كانت ثلاث موتات.

وأما استدلالهم بآية الصعق، وهي قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الزمر: ٦٨] الآية؛ فيجاب عن استدلالهم بأن صعق الأرواح عند النفخ في الصور، لا يلزم منه موتها، وأن الناس يصعقون يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، وليس ذلك بموت، وكذلك صعق موسى - عليه الصلاة والسلام - لم يكن موتًا، والذي تدل عليه الآية أن نفخة الصعق موت، لكل مَن لم يذق الموت قبلها من الخلائق، وأما مَن ذاق الموت، أو لم يكتب عليه الموت من الحور والولدان وغيرهم، فلا تدل الآية على أنه يموت موتة ثانية.

ومن مباحث الروح:

تعلقها بالبدن، فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، تتغاير في الأحكام، أي الخواص والآثار التي للبدن بسبب هذا التعلق:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا، ويتعلق بهذا التعلق أحكام، وهو أنه ينمو الجنين، ويتحرك، ويحس، ولا يتنفس.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض، ومن أحكام هذا

التعلق أنه يرضع، ويسمع الصوت، ويبصر، ويتكلم.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقه من وجه، ومن أحكام هذا التعلق، أنه يكتشف شيئًا لا يراه في وقت اليقظة.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، وهو ما بين الحياتين، حياة الدنيا وحياة الآخرة، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه إلا أنها لم تفارقه فراقا كليًّا، بحيث لا يبقى لها أية التفات البتة، فإنه وإن ورد ردها إليه وقت سلام المسلِّم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، إلا أن هذا الرد إعادة خاصة؛ لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة، فهي حياة خاصة، بين حياتي الدنيا والآخرة.

ومن أحكام هذا التعلق: أنه يتهيأ له سماع خاص، كسماع الملائكة، ويرى شيئًا من الحقائق كان جاهلًا به، ولا يراها الحي؛ كرؤيته لمكانه من الجنة أو النار.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد: وهو أكمل أنواع تعلقاتها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، بل هي ضعيفة، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتًا، ولا نومًا، ولا فسادًا، ومن أحكام هذا التعلق؛ الصلاحية للبقاء الأبدي .

ومن الأحكام التي تتعلق بالروح:

مبحث مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة[1]:

اختُلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة، هل هي في السماء أم في الأرض؟ وهل هي في الجنة أم لا؟ وهل توضع في أجساد

---

(١) انظر: «الروح» (ص/ ٣٠١).

غير أجسادها التي كانت فيها فتنعم، أوتعذب فيها، أم تكون مجردة؟

- فقيل: أرواح المؤمنين في الجنة على تفاوت درجاتهم في عليين، أو أقل، وأرواح الكفار في النار على تفاوت دركاتهم في الدرك الأسفل، أو بعده.

وهذا أرجح الأقوال وأولاها وأصحها، وهو الذي دلت عليه النصوص، قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٤]، فإنه قسم الأرواح إلى ثلاثة أقسام، وهذا ذكره - سبحانه - عقب ذكر خروج الروح من البدن بالموت. وقولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧] الآيات؛ قال غير واحد من الصحابة والتابعين: هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا؛ يبشرها مَلَكٌ بذلك، وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن الملك يقول لها: عند قبضها: «**أَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ**»[1]، وهذا من ريحان الجنة، أو يقول لها: «**اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ**»[2]، وحديث: «**إِنَّ مَثَلَ رُوحِ الْمُؤْمِنِ الطَّائِرُ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يُرْجِعَهَا**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٤)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه ابنُ القيم في «الروح» (ص٤٩، ١٨٤)، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٤٥)، تصحيحه عن أبي نعيم الأصبهاني، وصححه الألباني رحمه الله.

(٢) تقدم تخريجه، وبهذا اللفظ عند أحمد (٤/ ٢٨٧) من حديث البراء بن عازب، وصحح إسناده البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٠): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح...».

اللهُ إِلَى جَسَدِهِ، يَوْمَ يَبْعَثُهُ»[1]، هذا إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة، ولا دين، ويتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة بهم. هذا أصح الأقوال في المسألة.

وهناك أقوال كثيرة أخرى:

- **قيل**: إن أرواحهم بفناء الجنة على بابها.
- : **على أفنية قبورهم.**
- **وقيل**: إن الأرواح مرسلة.
- **وقيل**: إن أرواح المؤمنين عند الله فقط، ولا مزيد.
- **وقيل**: أرواح المؤمنين بالجابية من دمشق، وروح الكافر ببرهوت - بئر بحضرموت - .
- **وقيل**: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة.
- **وقيل**: أرواح المؤمنين ببئر زمزم وأرواح الكفار ببئر برهوت.
- **وقيل**: أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله.
- **وقال ابن حزم**: مُسْتَقَرُّها من حيث كانت قبل خلق أجسادها.
- **وقال أبو عمر بن عبد البر**: أرواح الشهداء في الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم.

وهذه الأقوال كلها تخمين بلا دليل، والصواب القول الأول، وهو أن

---

(١) سبق تخريجه قبل قليل.

أرواح المؤمنين في الجنة على تفاوت فيما بينهم، وأرواح الكفار في النار على تفاوت فيما بينهم، ولها صلة بالجسد.

وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض؛ أي تفنى بفناء الأجسام، وهذا قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن؛ كحياته وإدراكه، وهذا قول فاسد مخالف للكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين؛ وهو أن الأرواح تعدم بموت البدن، كما تعدم سائر الأعراض المشروطة بحياته.

وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أبدانٌ أُخر تُنَاسِبُ أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح، فتصير النفس السبعية إلى أبدان السباع، والكلبية إلى أبدان الكلاب، والبهيمية إلى أبدان البهائم، والدنية والسُّفْلية إلى أبدان الحشرات.

وهذا قول طائفة يسمون «التناسخية» منكري المعاد، وهذا أخبث الأقوال والآراء، وهو كفر والعياذ بالله، وهو قول خارج عن أقوال أهل الإسلام كلهم.

والصواب كما سبق أن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكفار في النار.

والذي تلخص من النصوص: أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم التفاوت، فمنها:

- أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه-، وهم متفاوتون في منازلهم.

- ومنها أرواح بعض الشهداء لا كلهم؛ لأن من الشهداء من تحبس

روحه عن دخول الجنة بِدَيْنٍ عليه، كما في «المسند» عن عبد الله بن جحش: «أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لِي إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: الجَنَّةُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: إِلَّا الدَّيْنَ سَارَّنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا»(١).

- ومن الأرواح من يكون محبوسًا على أبواب الجنة، كما في الحديث الذي قال فيه النبي ﷺ: «رَأَيْتُ صَاحِبَكُمْ مَحْبُوسًا عَلَى بَابِ الجَنَّةِ»(٢).

- ومنهم من يكون محبوسًا في قبره.

- ومنهم من يكون في الأرض.

- ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه تُلقم الحجارة، كل هذا تشهد له السنة، والله أعلم .

ومن المباحث: هل الأمارة واللوامة والمطمئنة نفس واحدة أم هي ثلاثة أنفس(٣)؟

وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاثة أنفس: نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة، وأن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/١٣٩، ٣٥٠) من طريق محمد بن عمرو قال حدثنا أبو كثير مولى الليثيين عن محمد بن عبد الله بن جحش أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ، فذكر الحديث، وأخرجه عن محمد بن عمرو به، أيضًا: ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٠١٩)، وعن ابن أبي شيبة رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٩٣٠)، وهو في مسلم (١٨٨٥) من حديث أبي قتادة ﷺ، نحوه.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٥/١١، ١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/٣٠)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه...»، وقد أخرجاه من حديث سمرة.

(٣) انظر: «الروح» (ص/ ٥٥٠).

تغلب عليه هذه، ويحتجون على ذلك بالآيات الثلاث:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ [الفجر: ٢٧].

وقول الله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة: ١-٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

والتحقيق أنها نفس واحدة، ولكنْ لها صفات، وتُسمَّى باعتبار كل صفة باسم؛ فهي أمارة بالسوء لأنها دفعته إلى السيئة وحملته عليها، فإذا عارضها الإيمان؛ صارت لوامة؛ تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان؛ صارت مطمئنة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١)، وقال: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ**

---

(١) جاء هذا الحديث عن عمر بن الخطاب، من غير وجهٍ، كما أشار إلى ذلك الترمذي؛ فقد أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢١٩- ٩٢٢٦)، وأحمد (١/ ١٨، ٢٦)، والطيالسي (٣١)، وعبدُ بن حميد (٢٣)، والحاكم (١/ ١٩٧- ١٩٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٩١)، والضياء في «المختارة» (٩٦- ٩٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٤٥٧٦، ٥٥٨٦، ٦٧٢٨، ٧٢٥٤)، وابن ماجه (٢٣٦٣)، بدون موضع الشاهد، وعبدالرزاق في «المصنف» (٢٠٧١٠)، والحميدي في «المسند» (١/ ١٩)، والطبراني في «الأوسط» (١٦٥٩، ٢٩٢٩)، وأبو يعلى في «المسند» (١٤١، ١٤٢، ١٤٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٠٣، ٤٠٤، ٤٥١، ٤٥٢، ٩٤٦)، وفي بعضها مختصر؛ دون موضع الشاهد، والمحاملي في «الأمالي» (١/ ٢٤٢).

وموضع الشاهد من الحديث، ورد من ضمن خطبة عمر بن الخطاب المشهورة بـ«الجابية» ولها مصادر أخرى، غير ما ذكرنا، وقد نقل السخاوي في «فتح المغيث» (٣/ ٤٣)، عن الحاكم عَدَّهُ هذه الخطبة من المتواتر. وانظر: «نظم المتناثر» (ص١٩).

يزني وهو مؤمن»[١].

ومن مباحث الروح: في مسمى الإنسان: هل هو الروح، أو البدن، أو مجموعهما؟

للناس في مسمى الإنسان أربعة أقوال: والذي عليه جمهور العقلاء أن الإنسان، هو البدن والروح معًا، وقد يطلق اسمه على أحدهما دون الآخر بقرينة.

وكذلك اختلفوا في كلام الإنسان على أربعة أقوال: هل هو اللفظ فقط، أو المعنى فقط، أو مجموعهما، أو كل واحد منهما، والصواب أن مسمى الكلام هو: اللفظ والمعنى معًا .

ومن مباحث الروح: هل تتلاقى أرواح الموتى وأرواح الأحياء وتتزاور وتتذاكر[٢]؟

وجواب هذه المسألة: أن الأرواح قسمان: أرواح معذبة، وأرواح منعمة، فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي، والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور، وتتذاكر ما كان منها في الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها، فروح نبينا محمد في الرفيق الأعلى، والدليل على تزاورها وتلاقيها قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]، وهذه المعية ثابتة في الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار الجزاء، والمرء مع من

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) انظر: «الروح» (ص/١٦٩).

أحب في هذه الدور الثلاث .

وقد أخبر الله عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وأنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل، وهذا يدل على تلاقيهم.

وأما تلاقي أرواح الأحياء وأرواح الأموات، فشواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن تحصر، والحس والواقع شاهد بذلك، فتلتقي أرواح الأحياء والأموات؛ كما تلتقي أرواح الأحياء، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزُّمَر: ٤٢]، فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتساءلون بينهم، فيمسك الله أرواح الموتى، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها[(١)]، ويدل على ذلك -أيضًا- أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره، ويخبره الميت بما لا يعلم الحي، فيصادف خبره كما أخبر في الماضي والمستقبل، وربما أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه، وربما أخبره بدَيْن عليه، هذا معنى ما ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله في كتاب «الروح»[(٢)].

ومن مباحث الروح: تميز الأرواح عن بعضها[(٣)]:

بأي شيء تتميز الأرواح بعضها من بعض بعد مفارقتها الأبدان؟ ومتى تتلاقى وتتعارف؟ وهل تتشكل إذا تجردت بشكل بدنها الذي كانت فيه

---

(١) انظر «تفسير ابن جرير» (١١/ ٩).

(٢) انظر «الروح» (ص ٢١، ٢٩).

(٣) انظر: «الروح» (ص٢٠٢).

وتلبس صورته أم كيف حالها؟

وجواب هذه المسألة:

لا يمكن الجواب هذه المسألة إلا على أصول أهل السنة التي تظاهرت عليها أدلة الكتاب والسنة والآثار والاعتبار والعقل، وهو القول بأنها ذاتٌ قائمة بنفسها؛ تصعد، وتنـزل، وتتصل، وتنفصل، وتخرج، وتذهب، وتجيء، وتتحرك، وتسكن. وعلى هذا أكثر من مائة دليل كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس: ٧]، فأخبر أنه سوَّى النفس كما أخبر أنه سوَّى البدن في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾ [الانفطار: ٧]، فهو سبحانه سوَّى نفس الإنسان، كما سوى بدنه، بل سوى بدنه كالقالب لنفسه، وتسوية البدن تابع لتسوية النفس، والبدنُ موضوع له كالقالب لما هو موضوع له، ومن هاهنا يُعلم أن النفس تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها، فإنها تتأثر وتنتقل عن البدن كما يتأثر البدن وينتقل عنها، فيكتسب البدن الطيب والخبث من طيب النفس وخبثها.

وتكتسب النفس الطيب والخبث من طيب البدن وخبثه، فأشد الأشياء ارتباطًا، وتناسبًا، وتفاعلًا، وتأثرًا من أحدهما بالآخر: الروح والبدن؛ ولهذا يقال لها: اخرجي أيتها النفس الطيبة - إن كانت في الجسد الطيب -، واخرجي أيتها النفس الخبيثة - إن كانت في الجسد الخبيث - والأعراض لا تمسك، ولا تنقل من يد إلى يد، وإذا كان هذا شأن الأرواح، فتميزها بعد المفارقة، يكون أظهر من تميز الأبدان، والاشتباه بينهما أبعد من اشتباه الأبدان، فإن الأبدان تشتبه كثيرًا، وأما

الأرواح فقلما تشتبه، وإذا كانت الأرواح العلوية -وهم الملائكة- يتميز بعضهم عن بعض من غير أجسام تحملهم، وكذلك الجن، فتميز الأرواح البشرية أولى. هذا معنى ما ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله في كتاب «الروح».

وتتعلق بالروح بحوث كثيرة؛ لا نتمكن من الكلام عليها، لكن تؤجَّل فيما بعد.

الإيمان بعذاب القبر وسؤال منكر ونكير
وأقوال العلماء فيما يتعلق بعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين[(١)]

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: **(وَبِعَذَابِ القَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ، وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ):**

الشرح

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة؛ الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وأن المؤمن يُوسع له في قبره مد البصر، والفاجر يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، وأن كل إنسان يُسأل عن ربه، ودينه، ونبيه؛ فالمؤمن يثبته الله - نسأل الله أن يثبتنا وإياكم -، فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي.

والفاجر لا يستطيع أن يجيب عن هذه الأسئلة، فإذا سُئل: من ربك؟ يقول: ها ها لا أدري، وإذا سئل عن دينه؟ يقول: ها ها لا أدري، وإذا سئل عن نبيه؟ يقول: ها ها لا أدري؛ سمعتُ الناسَ يقولون شيئًا فقلتُه، فيُضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعه كُلُّ مَنْ خلق اللهُ إلا الثقلين، ولو سمعها الإنسان لصعق - نسأل الله السلامة والعافية -.

وأما المنكرون لعذاب القبر ونعيمه؛ كالمعتزلة وغيرهم، فإنهم اعتمدوا على العقل وتركوا النصوص وراءهم ظهريًا، ومن شُبههم؛ يقولون: إن

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٦٦-٢٦٨)، و«الروح» (ص٢٤٥-٢٧١).

الإنسان قد خرجت روحه، فلا يتأتى أن يُنعم أو يُعذَّب، ونحن لا نرى إحساسًا عند المقبور، ولو فتحنا قبره فلا نرى شيئًا، فلا نؤمن بشيء لا نحس به. وطريقة المعتزلة في النصوص إما أن يخطئوها من ناحية السند، أويؤولوها من ناحية المتن، ويقولون: هي أخبار آحاد، ولا يُحْتَج بها في مسائل العقائد.

وهناك بحوث تتعلق بتلك الشُّبه والجواب عنها، والأسباب المنجية من عذاب القبر، وكذلك سؤال الملكيْن للمقبور؛ هل هو للروح، أو للجسد؟ والسؤال في القبر أيضًا، هل هو عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار؟ أو يختص بالمسلم والمنافق؟ وهناك - أيضًا -: بحوث تتعلق بهذا في الأطفال والمجانين؛ هل يُمتحنون، أو لا يُمتحنون؟ وكذلك خطاب الملكين جميعَ الموتى في الأماكن المتعددة في الوقت الواحد، وكذلك عذاب القبر وعذاب البرزخ، ووجه تسميته برزخًا، وفي بيان أن عذاب القبر ينال من هو مستحق له؛ قُبِر أو لم يُقبر، وكذلك في بيان الحياة التي اختص بها الشهداء، كل هذه البحوث طويلة، لا نتمكن من بسطها في هذا الموضع.

بعد هذا ننتقل إلى أقوال العلماء في عذاب القبر ونعيمه، وهل يقعُ على النفس والبدن، أو على أحدهما[1]؟

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه المسألة فقال[2]: بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا، باتفاق أهل السنة والجماعة؛ تنعم النفس وتعذَّب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن، والبدن

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٨٥-٢٩٦)، (٥/ ٥٢٥).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٨٢).

متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليها في هذه الحال مجتمعين، كما يكون على الروح منفردة عن البدن.

وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟

الخلاصةُ: **في هذه المسألة ثلاثة أقوال شاذة، وثلاثة أقوال ليست** شاذة:

أولًا الأقوال الشاذة:

القول الأول: **أن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح، والبدن لا** يُنعّم، ولا يُعذَّب مطلقًا، وهذا قول الفلاسفة، والمنكرين لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين.

القول الثاني: قول من ينكر عذاب الروح مطلقًا؛ فالروح - عندهم - بمفردها لا تُنعم ولا تُعذَّب، وإنما الروح هي الحياة، وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية، كالقاضي أبي بكر وغيره.

القول الثالث: أن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب، بل لا يكون ذلك حتى تكون الساعة الكبرى، وهذا يقوله بعض المعتزلة ونحوهم؛ بناءً على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب .

أما مَن يقول بعذاب القبر، ويقر بالقيامة، ويثبت معاد الأبدان والأرواح، فلهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على الروح فقط، ويقول بهذا كثير من المعتزلة وغيرهم من أهل الكلام، وهو اختيار ابن حزم وطوائف من المسلمين من أهل الحديث وأهل الكلام.

الثاني: أنه عليها وعلى البدن بواسطتها.

الثالث: أنه على البدن فقط .

أما مذهب سلف الأمة وأئمتها:

فإن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى، أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقام الناس من قبورهم لرب العالمين، ومعاد الأبدان مُتَّفَقٌ عليه بين المسلمين واليهود والنصارى، فمن أنكر معاد الأبدان؛ فهو كافر بإجماع المسلمين، وبنص القرآن.

واستدل أهل السنة وسلف الأمة على أن النعيم والعذاب، يحصل لروح الميت وبدنه، بأدلة من الكتاب والسنة:

أما الكتاب:

أولًا: قول الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، ووجه الاستدلال: أن الله أخبر في أول الآية، أنهم يُعْرَضُون على النار غدوًّا وعشيًّا، ثم قال في الختام: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فدل على أن العرض السابق إنما هو في القبر قبل يوم القيامة، وهذا يدل على إثبات عذاب القبر .

ثانيا: قول الله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: ٤٥-٤٧]، ووجه الدلالة: أن قوله: ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور: ٤٧] يحتمل أن يراد به: عذابهم بالقتل وغيره؛ في الدنيا، وأن يراد به: عذابهم في البرزخ، وهو أظهر؛ لأن كثيرًا منهم مات، ولم يعذب

في الدنيا، أو أن المراد أعم من ذلك، فيشمل مجموع الأمرين: عذابهم في الدنيا، أو في البرزخ، وعلى كل حال، ففيه إثبات عذاب القبر.

وأما من السنة: فقد تواترت الأخبار عن رسول الله في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا؛ تواترت معنى لا لفظًا، بما يفيدُ القطع واليقين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يُتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على ذلك.

ومن هذه الأدلة:

أولًا: حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما وفيه: «**أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»[1]، وفيه في قصة العبد المؤمن، فيقول: «**أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ؛ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ القَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ**»[2]، وفيه: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ، أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَافْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا**»، وفيه قصة العبد الكافر فيقول: «**أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ**»، وفيه: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا**».

وذهب إلى موجب هذا الحديث، جميعُ أهل السنة والحديث، وله شواهد من «الصحيح»؛ منها: ما ذكره البخاري رحمه الله عن سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ**

---

(١) سبق تخريج حديث البراء بن عازب، وفي لفظ أبي داود (٤٧٥٣)، ولفظ أحمد (١٨٠٦٣): «استعيذوا بالله من عذاب القبر».

(٢) سبق تخريجه.

أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ»، إلى قوله: «فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

قال قتادة: وَذُكِرَ لنا أنه: «**يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ**»[1].

وهذا هو الحديث الثاني.

الثالث: ما في «الصحيحين» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ «**مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ، فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثم أخذ جَريدةً رَطِبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرز في كل قَبر واحدةً، قَالوا: يا رسول الله لم فعلت؟ قَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[2].

رابعًا: ففي «صحيح أبي حاتم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ - أَوِ الإِنْسَانُ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا المُنْكَرُ، وَالآخَرُ النَّكِيرُ...**»[3] الحديث.

خامسًا: وفي «صحيح مسلم» عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس، قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢٣٨): «زادَ مسلمٌ من طريق شيبان، عن قتادة (سبعون ذراعًا، ويملأ خضرًا إلى يوم يبعثون) ولم أقف على هذه الزيادة موصولة من حديث قتادة».

(٢) أخرجه البخاري (٢١٨) واللفظ له، ومسلم (٢٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وأبو حاتم ابن حبان (٣١١٧)، عن عبد الرحمان بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة، قال أبو عِيسَى الترمذي: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ». اهـ، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٤٦٥): إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم. اهـ.

يُعَلِّمُهُم هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُم السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ: يقولُ: قولوا: اللَّهُمَّ إِنا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المسيح الدَّجَّال، وأعوذبك من فتنة المَحْيَا وَالمَمَاتِ»(١).

شُبه المنكرين لعذاب القبر ونعيمه:

المنكرون لعذاب القبر، ونعيمه، وسعته، وضيقه، وكونه حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، وكون الميت يجلس ويقعد فيه؛ الذين أنكروا هذا هم من الملاحدة والزنادقة، ومن تبعهم من أهل الكلام كالمعتزلة؛ وقد تعلقوا بشبه عقلية، حَكَّموها على النصوص وقاسوا فيها الغائب على الشاهد، وقاسوا أحوال الآخرة على أحوال الدنيا؛ فقالوا: إننا إذا كشفنا القبر فلا نجد فيه ملائكة عميًا صمًّا يضربون الموتى بمطارق من حديد، ولا نجد هناك حيات، ولا ثعابين، ولا نارًا تتأجج، ولو كشفناه في حالة من الأحوال؛ لوجدناه لم يتغير، ولو وضعنا على عينيه الزئبق، وعلى صدره الخردل؛ لوجدناه على حاله، ثمَّ كيف يفسح له مد بصره، أو يضيّق عليه ونحن نجده بحاله؟! ونجد مساحته على حد ما حفرنا؛ لم تزد ولم تنقص، وكيف يتسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة؟!

وقال أهل البدع والضلال من المعتزلة وغيرهم: كل حديث يخالف مقتضى العقول والحس؛ يُقطع بتخطئة قائله، وقالوا: نحن نرى المصلوب على خشبة مدة طويلة لا يُسأل، ولا يجيب، ولا يتحرك، ولا يتوقد جسمه نارًا، ومن افترسته السباع، ونهشته الطيور، وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع، وحواصل الطيور، وبطون الحيتان، ومدارج الرياح، كيف تُسأل أجزاؤه مع تفرقها؟! وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه؟! وكيف

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩٠).

يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة؟! أو حفرة من حفر النار؟! وكيف يضيق عليه حتى تلتئم أضلاعه؟!

والجواب عن هذه الشبه من وجوه:

أولًا: أن الرسل لم يخبروا بما تُحيلُه العقول، وتقطع باستحالته، ولكن الرسل يخبرون بما تحار به العقول، فإن أخبارهم قسمان:

أحدهما: ما تشهد به العقول والفطرْ.

والثاني: ما لا تدركه العقول بمجردها؛ كالغيوب التي أخبروا بها، عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر، وتفاصيل الثواب والعقاب.

ثانيًا: أن الله - سبحانه وتعالى - جعل الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكامًا تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن، ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعًا لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبعًا لها، فإذا جاء يوم الحشر وقيام الناس من قبورهم؛ صار الحكم والنعيم والعذاب، على الأرواح والأجساد جميعًا.

ثالثًا: أن الله - سبحانه وتعالى - جعل أمر الآخرة، وما كان متصلًا بها؛ غيبًا، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته؛ وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم، وهب أن النار التي في القبر، والخضرة، ليست من نار الدنيا، ولا من زرع الدنيا، فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرتها، وإنما هي من نار الآخرة وخضرتها، وهي أشد من نار الدنيا، فلا يحس به أهل الدنيا، فإن الله - سبحانه - يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه، وتحته، حتى يكون أعظم حرًا من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك، بل أعجب من هذا أن

الرجلين يُدْفَنان أحدهما إلى جنب الآخر، وهذا في حفرة من حفر النار؛ لا يصل حرها إلى جاره، وذلك الثاني في روضة من رياض الجنة، لا يصل رَوْحُها ونعيمها إلى جاره .

خامسًا: أن الله - سبحانه وتعالى - يحدث في هذه الدار ما هو أبلغ من ذلك، فقد أرانا الله فيها من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير، فمن ذلك:

أولًا: جبريل - عليه الصلاة والسلام - كان ينزل على النبي ويتمثل له رجلًا، ويكلمه بكلام يسمعه، ومن إلى جانب النبي لا يراه، ولا يسمعه، وكذلك غيره من الأنبياء .

ثانيًا: أن الجن موجودون ولا نراهم، ويتحدثون ويتكلمون بالأصوات المرتفعة بيننا، ونحن لا نسمعهم.

ثالثًا: أنَّ الملائكة تضرب الكفار بالسياط، وتضرب رقابهم، وتصيح بهم، والمسلمون معهم لا يرونهم، ولا يسمعونهم؛ كما حدث ذلك في غزوة بدر وغيرها.

رابعًا: النخل والحنظل كل منهما يشرب من ماء واحد؛ ويختلف الطلع، كذلك - أيضًا - مما وقع في العصر الحاضر من شأن الكهرباء التي تصعق مَن على الأرض، ولا تصعق مَن على الخشب؛ فهذه كلها أمور أرادها الله في الدنيا .

ولمَّا كانت طريقة المعتزلة في النصوص إما أن يخطئوها من ناحية السند، أو يؤولوها من جهة المتن، فإنهم قالوا في حديث البراء بن عازب: إنه آحاد فلا يحتج به في مسألة العقائد .

والجواب: أن هذه الشبه مبنية على القياس مع الفارق؛ وهو: قياس الغائب على الشاهد، وقياس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا، وهذا قياسٌ فاسدٌ، وهو خوض في أمر الغيب؛ فأحوال الآخرة مجهولة لنا، وأحوال الدنيا معلومة لنا، فكيف يقاس مجهول على معلوم؟! وكيف يقاس الغائب على الشاهد؟! فإن الله لا يقاس بخلقه. وسر المسألة: أن هذه السعة والضيق، والإضاءة، والخُضرة، والنار التي في القبر، ليست من جنس المعهود في هذا العالم، وعَوْدُ الروح إلى الجسد، ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير المألوفة في الدنيا، والله - سبحانه وتعالى - إنما أشهد بني آدم ما كان فيها، فأما ما كان من أمر الآخرة، فقد أسبل عليه الغطاء؛ ليكون الإقرار به والإيمان سببًا لسعادتهم، فإذا كشف عنهم الغطاء، صار عيانًا مشاهدةً.

ويجاب عن طعن المعتزلة في حديث البراء بأن يقال: إنه وإن كان آحادًا، فله شواهد يرتقي بها، ويقال: إن الأخبار تواترت معنًى لا لفظًا عن رسول الله في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وهي تفيد اليقين، فتصلح للاحتجاج بها في العقائد، بل إنه إذا صح الخبر عن رسول الله فإنه يحتج به في العقائد وغيرها، ولو كان خبر آحاد، وتقسيم الأخبار إلى قسمين: خبر آحاد، لا يحتج به في العقائد، وخبر متواتر يحتج به في العقائد؛ فهذا إنما ابتدعه أهل البدع من المعتزلة وغيرهم

والحكمة في عدم اطلاع الثقلين على ما يحصل للمقبور في قبره:

قال العلماء: الحكمة في ذلك هي: أن الله - تعالى- لو أطْلع عباده على ما يحدث للمقبور في قبره؛ لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس؛ كما في صحيح مسلم، من حديث أنس ﷺ، عنه أنه

قال: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[١].

ولمَّا كانت الحكمةُ منتفيةً في حق البهائم، سَمِعَتْهُ وَأَدْرَكَتْهُ؛ ولأن الناس لا يطيقون رؤيتها وسماعها، والعبد أضعف بصرًا وسمعًا من أن يَثْبُتَ لمشاهدة عذاب القبر، وكثير ممن أشهده الله ذلك صعق وأغشي عليه، ولم ينتفع بالعيش زمنًا، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات.

الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور[٢]

الأسباب نوعان: نوع مجمَل، ونوع مفصَّل:

أما المجمل: فإن أهل القبور المعذبين، إنما يعذبون على جهلهم بالله - تعالى - وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب الله روحًا عرفته، وأحبته، وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة، أثر سخط الله على عبده، ومن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار، ثم لم يتب، فمات على ذلك؛ كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، ومستقل، ومستكثر، ومصدق، ومكذب.

وأما السبب المفصَّل: فهو كما ورد في النصوص؛ من النميمة، وعدم الاستبراء من البول، وأكل لحوم الناس، ومن صلى صلاة بغير طهور، ومن مر على مظلوم فلم ينصره، ومن كذب الكذبة فتبلغ الآفاق، ومن يقرأ القرآن وينام عنه بالليل، ولا يعمل به بالنهار ومن تتثاقل رءوسهم عن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٨) وأخرجه أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ برقم (٢٨٦٧)، ولفظ حديث أبي سعيد: «فلولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه . . .».

(٢) انظر: «الروح» (ص٢٧٤).

الصلاة، ومن لا يؤدي زكاة ماله، والزاني، ومن يقوم في الفتن بالكلام والخطب، والغلول من الغنيمة، وأكل الربا، وقد أخبر النبي عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان في قبورهما، يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، ويترك الآخر الاستبراء من البول[١]، فهذا تركَ الطهارةَ الواجبة، وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه، وإن كان صادقًا، وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان: أعظم عذابًا، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهًا على أن من ترك الصلاة - التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها - هو أشد عذابًا، وفي حديث شعبة: **«أَمَّا أَحَدُهُمَا، فَكَانَ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ»**[٢]، فهذا مغتاب، وذلك نمَّام.

وفي حديث ابن مسعود ﷺ الذي ضرب سوطًا امتلأ القبر عليه نارًا؛ لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور، ومرَّ على مظلوم فلم ينصره[٣]. وفي

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٦٤٦) عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، وعزاه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٤٧١) إلى الطيالسي، عن ابن عباسٍ، وجوَّد إسناده، وأصله في الصحيحيْن من حديث ابن عباسٍ. لكن بلفظ: «فكان يمشي بالنميمة».

(٣) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٨/ ٢١٢) قال: حدثنا فهدُ بن سليمان قال ثنا عمرو بن عون الواسطي، قال حدثنا جعفر بن سليمان، عن عاصم، عن شقيق، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ؛ فَذَكَرَهُ. وهذا إسناد رجاله ثقات، ما عدا جَعْفر بن سليمان، وهو الضُّبَعِي؛ صدوق زاهد، لكنه يتشيّع، كما في «التقريب» (٩٤٢ - تحقيق: عوامة)، وعاصم بن أبي النَّجُود الكوفي، صدوقٌ له أوهام، كما في «التقريب» (٣٠٥٤ -تحقيق: عوامة)، والحديث عَزاهُ المنذريُّ في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣٢) إلى أبي الشيخ في كتاب «التوبيخ» وصدَّره بقوله =

حديث سمرة في «صحيح البخاري»[١] في تعذيب من يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق، وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به بالنهار، وتعذيب الزناة والزواني، وتعذيب آكل الربا كما شاهدهم النبي في البرزخ.

وفي حديث أبي هريرة الذي فيه رضخ رءوس أقوام بالصخر؛ لتثاقل رءوسهم عن الصلاة، والذين يسرحون بين الضريع والزقوم؛ لتركهم زكاة أموالهم، والذين يأكلون اللحم المنتن الخبيث لزناهم؛ والذين تقرض شفاههم بمقاريض من حديد؛ لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب[٢].

= «رُوِيَ» المُشعِر بضعفه.
وجاء من حديث ابن عمر مرفوعًا، بنحوه، عند ا لطبراني في «الكبير» (١٣٦١٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٦٨): «رواه الطبراني، وفيه يحيى بن عبدالله البابلتي؛ وهو ضعيف».
لكن في إسناده عند الطبراني أيضًا؛ أيوب بن نهيك، قال أبو حاتم -كما في «الجرح والتعديل» (٩٣٠)-: «هو ضعيف الحديث»، وقال أبو زرعة -كما في المصدر السابق نفسه-: «لا أُحدِّثُ عن أيوب بن نهيك... هو منكر الحديث»، ونقل الحافظ في «اللسان» (١٥١٧)، عن الأزدي أنه قال عنه: «متروك»، ونقل أيضًا عن ابن حبان أنه ذكره في «ثقاته» وقال: «يخطئ»، وقال الذهبي في «المغني» (٨٣٧): «تركوهُ».

(١) أخرج البخاري (٦٠٩٦) عن سمرة بن جندب ﷺ قال قال النبي ﷺ: «رأيتُ رجلين أتياني، قالا: الذي رأيتَهُ يُشَقُّ شدْقُه فكذابٌ يكْذِبُ بالكَذْبة تُحمَل عنه حتى تبلغَ الآفاق فيُصْنع به إلى يوم القيامة».
وأخرجه في (١٣٨٦) و (٧٠٤٧) مطولًا عن سمرة بن جندب.

(٢) عزاه الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٣٦) للبزار، وقال: رواه البزار ورجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبي العالية أو غيره فتابعيه مجهول، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٩٨)، أيضًا إلى أبي يعلى، وابن جرير، ومحمد بن نصر المروزي في كتاب «الصلاة»، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، كلهم؛ =

وقد أخبر النبي صاحب الشملة، التي غلَّها من المغنم، أنها تشتعل عليه نارًا في قبره[1]، هذا وله فيها حق، فكيف بمن ظلم غيره ما لا حق له فيه؟

وبالجملة: فعذاب القبر، عن معاصي القلب، والعين، والأذن، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل، والبدن كله.

الأسباب المنجية من عذاب القبر[2]:

سببان: سبب مجمل، وسبب مفصّل:

أما المجمل: فهو تجنب الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفعها: أن يجلس الرجل - عندما يريد النوم - لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحًا بينه وبين الله فينام على تلك التوبة، ويعزم على ألا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته؛ مات على توبة، وإن استيقظ؛ استيقظ مستقبلًا للعمل، مسرورًا بتأخير أجله، حتى يستقبل ربه، ويستدرك ما فاته، وليس للعبد أنفع من هذه النومة، ولا سيما إذا عقَّب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله عند النوم، حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله

= عن أبي هريرة، وقال الإمام ابن كثير في «التفسير» (٣/ ١٨)، عن رواية أبي هريرة هذه: «مطولة جدًا، وفيها غرابة». وقال بعد أن ساقه -كما في «التفسير» (٣/ ٢٢): «...وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة...»، وقال الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٢٧٧): «...تفرد به أبو جعفر الرازي، وليس هو بالقوي، والحديث منكر، يشبه كلام القُصاص؛ إنما أوردته للمعرفة، لا للحُجة».

(١) انظر ما رواه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥) من حديث أبي هريرة.

(٢) انظر: «الروح» (ص٢٧٨).

به خيرًا وفقه لذلك، ولا قوة إلا بالله.

وأما السبب المفصل: فهو مما دلَّت عليه الأحاديث عن رسول الله فيما ينجي من عذاب القبر، فمنها:

أولًا: ما رواه مسلم في «صحيحه» عن سلمان ﷺ قال: سمعت رسول الله يقول: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ، الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**»[(١)].

ثانيًا: في «جامع الترمذي» حديث فضالة بن عبيد عن رسول الله قال: «**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ**»[(٢)].

ثالثًا: ما روي عن النبي ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**»[(٣)].

رابعًا: قوله في سورة الملك: «**هِيَ الْمَانِعَةُ، هِيَ الْمُنْجِيَةُ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٣). قال النووي في «شرح مسلم» (١٣/ ٦١): «ضبطوا (أمن الفتنان) بوجهين: أحدهما: (أَمِنَ) بفتح الهمزة وكسر الميم من غير واو. والثاني: (أُومن) بضم الهمزة وبواوٍ».

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٢١) واللفظ له، وأبو داود (٢٥٠٠)، وقال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٣٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٩٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٨١)، والطبراني في الكبير (١٢٨٣٣). جميعًا من طريق يحيى بن عمرو بن مالك النكرى عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ﷺ. =

خامسًا: ما في «سنن ابن ماجه» من حديث أبي هريرة ﷺ رفعه: «مَنْ مَاتَ مَرِيضًا، مَاتَ شَهِيدًا، وَوُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ»(١).

ومن مباحث عذاب القبر ونعيمه:

ما يتعلق بذلك السؤال في القبر من الملكين: هل هو للروح أم ماذا؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(٢): الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل

= وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه».

وقال أبو نعيم: «غريب من حديث أبي الجوزاء لم نكتبه مرفوعا مجودا إلا من حديث يحيى بن عمرو عن أبيه». اهـ

قال المزي في ترجمة يحيى بن عمرو بن مالك النكري نقلا عن ابن عدي: «وهذه الأحاديث التي ذكرتها عن يحيى بن عمرو بن مالك عن أبيه، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس كلها غير محفوظة، تفرد بها يحيى بهذا الإسناد». اهـ

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦١٥)، وأبو يعلى (٦١٤٥)، والطبراني في الأوسط (٥٢٦٢ - تحقيق: طارق عوض الله)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٩٥) و (٩٨٩٧). جميعًا من طريق: إبراهيم بن محمد بن أبي عطاء، عن موسى بن وردان، عن أبي هريرة مرفوعًا، ولفظه: «من مات مريضا مات شهيدا ووقي فتنة القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة». والحديث مداره على إبراهيم بن محمد: وهو متروك، كما في ترجمته في التهذيبين.

وفي «العلل» لابن أبي حاتم (ج ١/ ص ١٠٧٦/ ١٠٦٠): «سألت أبي عن حديث رواه ابن جريج، عن إبراهيم بن محمد بن أبي عطاء، عن موسى بن وردان، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال من مات مريضا مات شهيدا، ووقي فتان القبر. قال أبي هذا خطأ، إنما هو من مات مرابطا، غير أن ابن جريج هكذا رواه، وإبراهيم بن محمد هو عندي ابن أبي يحيي. وسئل أبو زرعة، عن هذا الحديث. فقال الصحيح من مات مرابطا».اهـ وذكر الحديث ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢١٦).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٤٦).

على عود الروح إلى البدن وقت السؤال، وسؤال البدن بلا روح قول قاله طائفة من الناس، وأنكره الجمهور، وقابلهم آخرون، فقالوا: السؤال للروح بلا بدن، وهذا قاله ابن ميسرة وابن حزم وكلاهما غلط، والأحاديث الصحيحة ترده، ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص، وترجيح مذهب الجمهور أنه للروح والبدن، قالوا: قد كفانا رسول الله أمر هذه المسألة وأغنانا عن أقوال الناس، حيث صرح بإعادة الروح إليه في أحاديث كثيرة: منها:

أولًا: حديث البراء بن عازب وفيه: «**فَتُعَادُ الرُّوحُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ فَيقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ، فَيَقُولَانِ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، وَعَمِلْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ**»، وفي قصة العبد الكافر: «**فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهَا لَا أَدْرِي، وَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهَا لَا أَدْرِي . . .**»[١] الحديث.

وذهب إلى القول بموجب هذا الحديث جميع أهل السنة، قال ابن منده - بعد سياق حديث البراء -[٢]: هذا حديث ثابت مشهور مستفيض، صححه جماعة من الحفاظ، ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث طعن فيه، بل رووه في الكتب، وتلقوه بالقبول، وجعلوه أصلًا من أصول الدين في عذاب القبر، ونعيمه، ومُساءَلة منكرٍ، ونكير، وقبض الأرواح، وصعودها بين يدي الله، ثم رجوعها إلى القبر.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر الإيمان لابن منده (٢/ ٩٦٤) بتصرف.

ثانيًا: ما ذكره البخاري عن سعيد عن قتادة عن أنس ﷺ أن رسول الله قال: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ...»، إلى قوله: «فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ، فَيُقالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا»[١].

ثالثًا: وفي «صحيح أبي حاتم» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ، - أَوِ الإِنْسَانُ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا مُنْكَرٌ وَالآخَرُ نَكِيرٌ ...»[٢] الحديث.

ومن مباحث السؤال في القبر:

هل هو عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار؟ أم يختص بالمسلم والمنافق؟

قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب «التمهيد»[٣]: «الآثار الثابتة في هذا الباب، إنما تدُل على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمنٍ أو منافق، ممن كان في الدنيا منسوبًا إلى أهل القبله ودين الإسلام بظاهر الشهادة، وأما الكافر الجاحد المبطل، فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام، والله أعلم. يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة». اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٤) واللفظ له؛ وأخرجه أيضًا برقم (١٣٣٨) مثله مع اختلاف يسير، وأخرجه مسلم (٢٨٧٠) من حديث شيبان، عن قتادة، به.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «التمهيد» لابن عبدالبر (٢٢/ ٢٥٢).

والقرآن والسنة يدلان على خلاف هذا القول، وأن السؤال للكافر والمسلم؛ من ذلك قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وفي «الصحيحين» عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي أنه قال: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ»[(١)] وذكر الحديث، زاد البخاري: «وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُه النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمطارِق مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غير الثَّقَلَيْنِ»، هكذا في البخاري[(٢)]، «وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ» - بالواو -، وفي حديث أبي سعيد الخدري: «كُنَّا فِي جَنَازَةٍ مَعَ النَّبِيِّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا الإِنْسَانُ دُفِنَ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَهُ مَلَكٌ وَفِي يَدِهِ مِطْرَقَةٌ، فَأَقْعَدَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فَي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا اهْتَدَيْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الجَنَّةِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذَا كَفَرْتَ، فَإِنَّ اللهَ أَبْدَلَكَ بِهِ هَذَا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ»[(٣)] الحديث.

---

(١) سبق تخريجه قبل قليل.

(٢) أخرج البخاري هذا اللفظ في الجنائز (١٣٧٤) من حديث أنس ﷺ «بالواو».

(٣) أخرجه أحمد (٣/٣)، والطبري في «التفسير» (١٣/ ٢١٤)، وابن حبان =

وفي حديث البراء بن عازب الطويل: «**وَأَمَّا الكَافِرُ إِذَا كَانَ فِي قُبُلٍ مِنَ الآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا نَزَلَ عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ، مَعَهُمْ مُسُوحٌ**»، وذكر الحديث إلى أن قال: «**ثُمَّ تُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فِي قَبْرِهِ**»[1]، وذكر الحديث، وفي بعض روايات حديث البراء: «**وَأَمَّا الفَاجِرُ**»[2]، واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعًا.

وهذه الأدلة صريحة في أن السؤال للكافر والمنافق، كما رواه مسلم، وأما قول أبي عمر بن عبد البر رحمه الله: وأما الكافر الجاحد المنكر فليس ممن يسأل عن ربه ودينه؛ فيقال له: ليس كذلك، بل هو من جملة

= في «الصحيح» (١٠٠٠)، وابن أبي شيبة (١٢٠٢٨) مختصرًا، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٥)، وابن الإمام أحمد في «السنة» (١٤٥٦)، من طريق داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، وصححه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٠)، وابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ١٧٧). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٨): «ورجاله رجالُ الصحيح».

والحديث أصله في مسلم (٢٨٦٧) من طريق: ابن علية عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت مرفوعًا، وفيه: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها». فجعله من مسند زيد بن ثابت.

(١) سبق تخريجه قبل قليل.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٩٤) ولفظه: «وأما الفاجر فإذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا أتاه ملك الموت فيقعد ثم رأسه». من طريق محمد بن عبد الله بن نمير ثنا أبي ثنا الأعمش ثنا المنهال بن عمرو. (ح) ومن طريق أبي معاوية عن الأعمش ثنا المنهال بن عمرو عن زاذان أبي عمر قال سمعت البراء بن عازب.

وقال: وقد رواه سفيان بن سعيد وشعبة بن الحجاج وزائدة بن قدامة وهم الأئمة الحفاظ عن الأعمش. ا هـ. ثم أسند كل حديث: ثم قال: وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة، ولم يخرجاه بطوله، وله شواهد على شرطهما يستدل بها على صحته. اهـ. وقد تقدم تخريجه.

المسئولين، وأولى بالسؤال من غيره، وقد أخبر الله في كتابه أنه يسأل الكافر يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، فإذا سئلوا يوم القيامة، فكيف لا يسألون في قبورهم.

ومن المباحث في عذاب القبر: وجه تسميته برزخًا:

ينبغي أن يُعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة، وسمي عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة أو حفرة نار؛ باعتبار غالب الخلق.

وعذاب القبر يناله من هو مستحق له؛ قُبر أو لم يقبر، فمن أكلته السباع، أو احترق حتى صار رمادًا، أو نُشر في الهواء، أو صُلب، أو غرق في البحر: وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وكذلك المصلوب، ومن أكلته الطيور لهم من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، حتى لو عُلِّقَ الميتُ على رءوس الأشجار؛ في مهب الرياح؛ لأصاب جسمه من عذاب البرزخ، حظه ونصيبه، ولو دفن الرجل الصالح في تابوت من النار؛ لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه، نصيبهُ وحظُّه، فيجعل الله النار على هذا بردًا وسلامًا، والهواء على ذلك نارًا وسمومًا، فعناصر العالم، ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها، يصرّفها كيفما يشاء، ولا يستعصي عليه منها شيء أراده.

وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه، ونحو ذلك، فهو حق، ويجب أن يفهم عن الرسول مراده من غير غلوٍّ ولا تقصير، فلا يحمل

كلامه ما لا يحتمل، ولا يقصر به عن مراده ما قصده من الهدى والبيان، وكم حصل بإهمال ذلك، والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب، ما لا يعلمه إلا الله. وسوءُ الفهم عن الله ورسوله، أصلُ كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، والله المستعان.

ومن المباحث في عذاب القبر:

هل هو دائم أو منقطع[1]؟

والجواب: أنه نوعان:

الأول: نوع دائم، وهو عذاب الكفار، ويدل عليه قولُ الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

وحديث البراء بن عازب ﷺ في قصة الكافر: «**ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَى مَقْعَدِهِ فِيهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»، رواه الإمام أحمد»[2]، وفي بعض طرقه: «**ثُمَّ يَخْرِقُ لَهُ خَرْقًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ عَذَابِهَا وَدُخَانِهَا**

(١) انظر: «الروح» (ص/ ٢٩٨).

(٢) تقدم تخريج الحديث، وأما لفظ أحمد ففي المسند (٤/ ٢٨٧) من طريق أبي معاوية قال ثنا، الأعمش، عن منهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب. وفيه: «فينادى مناد من السماء إن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه».
وفي (٤/ ٢٩٥) من طريق: يونس بن خباب، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب. وفيه: «قال البراء بن عازب ثم يفتح له باب من النار ويمهد من فرش النار».

إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[1].

النوع الثاني: عذاب إلى مدة مؤقتة، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة، ثم يزول عنه العذاب، وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء، أو صدقة، أو استغفار، أو حج يصل إليه من أقاربه أو غيرهم، وهذا كما يشفع الشافع في المعذب في الدنيا، فيخلص من العذاب بشفاعته، لكن هذه شفاعة قد لا تكون بإذن المشفوع عنده، والله - سبحانه - لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع، إذا أراد أن يرحم المشفوع له.

ومن المباحث: ضغطة القبر وضمته: وهل ينجو منها، ومن السؤال وفتنة القبر، أحد؟

جاءت النصوص بأن ضغطة القبر وضمته لكل أحد، وكذلك السؤال والفتنة في القبر، فعن عائشة ﵂ أن النبي قال: «**إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهَا نَاجِيًا نَجَى سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ**»[2].

---

(١) لفظ أبي داود (٤٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٧): فيه: «وافتحوا له بابا إلى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها». ولم أقف على لفظ الرواية المشار إليها.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٥٥) و (٦/ ٩٨) حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثنا سعد بن إبراهيم، وابن جعفر، حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع قال: ابن جعفر عن إنسان، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «إن للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجيا منها نجا منها سعدُ بنُ معاذٍ». أبهم الراوي عن عائشة ﵂.
وسمى الراوي في رواية ابن حبان (٣١١٢): أخبرنا عمر بن محمد الهمداني، حدثنا بندار، عن عبدالملك، حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع، عن صفية، عن عائشة، عن النبي ﷺ. فذكر الحديث. =

قال بعضهم: الفرق بين المسلم والكافر في ضمة القبر؛ دوامها للكافر، وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله قبره، ثم يعود الانفساح له فيه، والمراد بضغطة القبر ارتفاع جانبيه على جسد الميت، قال بعضهم: سبب هذه الضغطة؛ أنه ما من أحد إلا وقد ألمَّ بخطيئة ما؛ وإن كان صالحًا، فجُعلتْ هذه الضغطة جزاءً لها، ثم تدركه الرحمة؛

= وكذا في رواية الطبري في «تهذيب الآثار» (٢/ ٣٨١/ ٣٢٨) حدثني محمد بن عوف، حدثنا آدم، حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، حدثنا نافع، عن صفية امرأة ابن عمر، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ. فذكر الحديث.

وصفية هي: صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفية المدنية، امرأة عبد الله بن عمر بن الخطاب، أخت المختار بن أبي عبيد الكذاب. وهي ثقة. والحديث صحيح.

فائدة: قال في «ذيل القول المسدد» (ص٨١) بعد أن ساق إسناد أحمد، عن يعقوب بن إبراهيم، ثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن عائشة، فذكر الحديث، ثم قال: «قال الحافظ العراقي: إسناد جيد. وقال الحافظ أبو الحسن الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

ورواه أحمد أيضًا، عن محمد بن جعفر، عن شُعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع مولى ابن عمر، عن إنسانٍ نحوه. وهذه الرواية تدلُّ على أنَّ نافعًا لم يسمعه من عائشة ﵂، وما رواه يعقوب ويحيى هو الراجح، ويمكن أن يكون نافع سمعه عن إنسان، عن عائشة، سمعه عنها أيضًا؛ فرواه بالوجهين. وله شاهد من حديث ابن عمر ﵄ رواه النسائي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، ثنا عمرو بن محمد العنقزي، ثنا ابن إدريس، عن عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر ﵄، عن رسول الله ﷺ قال: «هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة؛ لقد ضُمَّ ضمّة ثم فرّج عنه يعني: سعد بن معاذ ﵁ ولو نجا رجلاً من القبر لنجا سعد بن معاذ، رجاله ثقات محتج بهم في الصحيح...»، ثم ذكر حديثاً آخر مرفوعًا عن ابن عباس، رواه الطبراني في «الكبير»، وفي سنده ابن لهيعة، ورواه في «الأوسط» من وجه آخر، وكذا رواه الحكيم الترمذي، عن ابن عباس أيضًا.

ولذلك ضُغط سعد بن معاذ رضي الله عنه وأما الأنبياء فلا نعلم أن لهم في قبورهم ضمة، ولا سؤالًا؛ لعصمتهم؛ لأن السؤال عن الأنبياء وما جاءوا به، فكيف يسألون عن أنفسهم؟!

وأما الحياة التي اختص بها الشهداء، وامتازوا بها عن غيرهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤]؛ فقد جعل الله تعالى أرواحهم في أجواف طير خضر، كما في حديث عبد الله بن عباس أنه قال: قال رسول الله : **«لمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ - يعني يوم أحد - جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَلِجُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُظَلَّلَةٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ»**[1]، الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما، فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداء الدين، عوضهم عنها في البرزخ أبدانًا خيرًا منها تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها؛ ولهذا كان نسمة المؤمن كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير، وتأمل لفظ الحديثين:

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٢٠)، وأحمد (١/ ٢٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٩٧، ٣٢٥)، والطبري في «التفسير» (٤/ ١٧٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٦٣)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٣٣١). جميعًا من طريق: ابن إسحاق حدثني إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد، عن أبي الزبير المكي، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ. فذكر الحديث، وابن إسحاق صرح بالتحديث في رواية أحمد فقط، والحديث قال الحاكم بعد ما رواه في الموضعيْن السابقيْن: «صحيح على شرط مسلم»، وحسَّنه ابن القطان الفاسي في «بيان الوهم والإيهام» (٤/ ٣٣٨)، و(٥/ ٧٤٣).

ففي «الموطأ» أن كعب بن مالك يحدث أن رسول الله قال: «**إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ**»[(١)] فقوله: «**نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ**» يعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: «**هُوَ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ**»[(٢)]، ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير؛ صدق عليها أنها طير، فتدخل في عموم الحديث الآخر، وهو أنها طائر بهذا الاعتبار، فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكبر من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت أعلى درجة من كثير منهم، فللشهيد نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه، وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما ثَبَتَ في «السنن»[(٣)].

---

(١) أخرجه مالك (٥٦٦)، ومن طريقه النسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١). جميعًا عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك كان يحدث عن رسول الله ﷺ، فذكره.
والحديث صحيح، وانظر كلام ابن عبدالبر ﷺ في «التمهيد» (١١/ ٥٧)، وقد سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٧) من حديث موقوف على عبدالله بن مسعود، وأخرجه أبو داود (٢٥٢٠) وغيره من حديث عبدالله بن عباس مرفوعًا، وفيه عنعنة ابن إسحاق، لكن في «مسند أحمد» (٢٣٨٤) صرح بالتحديث، والحديث صحيح، كما سبق بيانُه.

(٣) أخرجه النسائي (١٣٧٤) واللفظ له، وأبو داود (١٠٤٧، ١٥٣١)، وابن ماجه (١٦٣٦)، أحمد (٤/ ٨)، وابن خزيمة (١٧٣٣)، والدارمي في «السنن» (١٥٧٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٦٩٧). جميعًا من طريق: حسين الجعفي، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس عن النبي ﷺ، وفيه: «إن الله - عز وجل - قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام». في رواية الإمام أحمد: «أوس بن أبي أوس». وصححه الألباني عليه -رحمة الله- في «الصحيحة» (١٥٢٧)، وللإمام ابن القيم في =

وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مُدَدٍ مِنْ دفنهم، كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم حشره، ويحتمل أنه يَبْلى مع طول المدة، والله أعلم، وكأنه كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول - والله أعلم - .

وأما الفرق بين الميت على فراشه والشهيد: فالشهيد له خصوصية، وإن كان الميت أعلى درجة من كثير منهم؛ كمحمد أعلى من الشهيد من ناحية النبوة، وحمزة عم النبي شهيد، فله امتيازٌ غير ما يكون للنبي من ناحية، وإن كان أقل من نبيه؛ وإن كان أقل نبي أفضل من أي شهيد .

ومن المباحث التي تتعلق بعذاب القبر:

ما الحكمة في كون عذاب القبر لم يذكر في القرآن، مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به[(١)]؟

والجواب من وجهين: مجمل، ومفصل:

أما المجمل: فهو أن الله - سبحانه وتعالى - أنزل على رسوله وحيين، وأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما، وهما الكتاب والحكمة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]، ثم قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾

= «جلاء الأفهام» (ص٨٠-٨٥) بحثٌ نفيس في تثبيت هذا الحديث، ودفع المطاعن الموجهة إليه؛ يحسن الوقوف عليه.

(١) انظر: «الروح» (ص/ ٢٧١).

[الأحزاب: ٣٤]، والكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة باتفاق السَّلف، وما أخبر به النبي فهو في وجوب تصديقه والإيمان به؛ كما أخبر الله به في كتابه، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم، قال النبي ﷺ: «**إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[1].

وأما الجواب المفصل: فهو أن نعيم البرزخ وعذابه، مذكوران في القرآن في غير موضع؛ منها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وهذا خطاب لهم عند الموت، وقد أخبرت الملائكة أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون، ولو تأخّر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا؛ لمَّا صح أن يقال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ومنها قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ﴾ [غافر: ٤٦]، إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، ومنها قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الطور: ٤٥]، إلى قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور: ٤٧]، وأدلة أخرى غيرها[2].

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، من حديث المقدام رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (١٢)، والألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٤٠).

(٢) انظر: كتاب «الروح» لابن القيم (ص١٣٢- ١٣٤ -دار الكتاب العربي). الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ.

القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ):

الشرح

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة؛ أن القبر للمؤمن يكون روضة من رياض الجنة، وللكافر حفرة من حفر النار، نعوذ بالله، والعاصي بَيْنَ بَيْنَ؛ فهو على خطر.

الإيمان بالبعث والعرض والحساب والثواب والعقاب والصراط والميزان

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ، وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالعَرْضِ، وَالحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الكِتَابِ، وَالثَّوَابِ، وَالعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ، وَالمِيزَانِ):

الشرح

هذا معتقد أهل السنة والجماعة؛ الإيمان بالبعث، ومعاد الأبدان، وجزاء الأعمال، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب والثواب والعقاب، والصراط والميزان، فمن لم يؤمن بأن الله يبعث الأجساد، ويعيد الأرواح؛ فهو كافر بإجماع المسلمين. وقد أمر الله نبيه أن يقسم على البعث في ثلاثة مواضع من كتابه قال الله تعالى:

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣].

- وقال سبحانه: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ﴾ [يونس: ٥٣] يعني البعث ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ﴾ [يونس: ٥٣].

- وقال سبحانه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

والفلاسفة يقولون: البعث للروح، فهم لا ينكرون ذلك، ولكن ينكرون بعث الأجساد، وهم كفار بهذا.

والبعث لغةً: هو الإرسال، وَبَعَثَهُ كَمَنَعَهُ؛ لفظًا، بمعنى: أرسله.

وشرعًا: إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم للحساب والجزاء، والمراد به: المعاد الجسماني، وهو أن يبعث الله الموتى من القبور، بأن يجمع أجزاءهم الأصلية، ويعيد الأرواح إليها[1].

وأما النشور: فهو مرادف البعث؛ ومعنى نشر الميت: ينشر نشورًا؛ إذا عاش بعد الموت، وأنشره الله: أي أحياه.

وأما الحشر: فهو في اللغة الجمع، والمراد به جمع أجزاء الإنسان بعد التفرقة، ثم إحياء الأبدان بعد موتها.

والإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، وهو حق واقع، فيجب الإيمان به والتصديق، وقد أخبر الله عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، وردَّ على مُنكريه في غالب سور القرآن.

وجزاء الأعمال والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والعرض، كل هذا يجب الإيمان به.

والحساب في اللغة: العدُّ.

واصطلاحًا: تعريف الله الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم ما قد نسوه[2]، ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

وقد أخبر الله - سبحانه وتعالى - أن المؤمن ﴿يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٦٠-٢٦١)، (١٦/ ٣٥-٣٦)، (١٧/ ٢٤٩-٢٥٣)، و«درء التعارض» (٥/ ٣٠١).

(٢) انظر: «درء التعارض» (٤/ ١٢٩)، (٥/ ٢٢٩).

[الانشقاق: ٨].

وجاء في الحديث: « أَنَّ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ »، فاستشكلت عائشة رضي الله عنها ذلك، وسألت النبي عن ذلك فقالت: «أليس قد قال الله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٨]؟»(١).

ووجه التعارض: أن الآية تثبت جنس الحساب، والحديث يثبت هلاك من حوسب، وأجاب النبي أن المراد بالحساب في الآية؛ العرض، وفي الحديث؛ المناقشة، لا مطلق الحساب، كما في «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله : «**مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ، فَقُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق: ٧-٩]؟ فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ».

وقراءة الكتاب: أي: صحف الأعمال: جمع صحيفة، وهي الكتب التي كتبتها الملائكة، وأحسن ما فعله الإنسان من سائر أعماله القولية والفعلية وغيرها، وإنما يؤتى بالصحف إلزامًا للعباد ودفعًا للجدل والعناد، قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾ [الإسراء: ١٣]؛ **قال العلماء:** معنى: طائره؛ عمله، وفي الآية الأخرى ﴿فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١]؛ والفتيل: هو القشر الذي يكون في شق النواة.

بعد هذا ننتقل إلى مبحث البعث والمعاد:

الإيمان بالمعاد مما دَلَّ عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة،

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فهو حق واقع، يجب الإيمان به والتصديق، ومن لم يؤمن بالبعث، فهو كافر بنص القرآن وبإجماع المسلمين، فقد أخبر الله - سبحانه وتعالى - عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكريه في غالب سور القرآن، والقرآن بيَّن معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى، في غير موضع.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله[١] معاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى.

وقال الجلال الدواني: هو بإجماع أهل الملل وشهادة نصوص القرآن.

ونصوص البعث أكثر من النصوص التي في الصفات والأسماء، فالكلام في البعث في القرآن أكثر من الكلام في الرب، وسبب ذلك: كثرة الإنكار للبعث، وقلة الإنكار للرب، وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب فطري عام في بني آدم، فكلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكريه كثيرون.

وزعم بعض الملاحدة أن أخبار البعث، ونصوصه من باب التخييل، ومنشأ هذا الزعم أن محمدًا لما كان خاتم الأنبياء وكان قد بعث هو والساعة كهاتين -وكان هو الحاشر المقفي؛ أي أنه قفى النبيين، فجاء بعدهم فكان ختامهم-، بين تفصيل الآخرة بيانًا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء، فإنها أجملت ولم تفصل، فزاد محمد على الأنبياء في تفصيل المعاد مما يتصل بالسؤال، والشفاعة، والحساب، ودرجات أهل الجنة،

---

(١) انظر: «الروح» (ص ٥٢).

ودركات أهل النار؛ فلمجيء محمد بالتفصيل، وَمْنَ سَبَقَهُ بالإجمال؛ ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يفصح في معاد الأبدان إلا محمد، وجعلوا هذا حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري، أي الحجج التي ترضي الجمهور وإن كانت غير واقعية.

وللرد عليهم نقول: إن زعمهم هذا كذب، فإن القيامة الكبرى معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم إلى موسى وعيسى وغيرهم -عليهم الصلاة والسلام- من حين أُهبِط آدم؛ قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٤]، والذي أخبر به محمد ثلاثة أنواع: إقسام وإخبار وإنذار:

فالإقسام: كما في قوله: ﷺ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [سبإ: ٣]، وقوله سبحانه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]، فهذه ثلاث آيات أمر الله نبيه أن يقسم فيها على البعث، وأخبر الله - سبحانه وتعالى - عن اقترابها بقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١]، وبقوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١]، وبقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ [المعارج: ١-٢]، إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦-٧].

وذم الله المكذبين بالمعاد فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥]، وقال: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]، وقال: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [النمل: ٦٦]، وقال: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا

يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: ٣٨]؛ إلى أن قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [غافر: ٥٩]، وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: ٩٧-٩٨].

وقد أخبر الله بأنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم قال لهم خزنتها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]، وهذا اعتراف من أصناف الكفرة الداخلين جهنم، أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد، يذكر ذلك فيها في الدنيا وفي الآخرة.

ومن شُبه المنكرين للمعاد: الجهل بالله، وزعمهم عدم إعادة العظام والرفات خلقًا جديدًا، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩]، والله - سبحانه وتعالى - يقرر المعاد بذكر كمال علمه وكمال قدرته وكمال حكمته، فإن شُبه المنكرين للمعاد كلها تعود إلى ثلاثة أنواع:

أحدها: اختلاط أجزاء الميّت بأجزاء الأرض على وجه لا يتميز، ولا يحصل معه تميز شخص عن شخص.

الثاني: أن القدرة لا تتعلق بذلك.

الثالث: أن ذلك أمر لا فائدة فيه، أو إنما الحكمة اقتضت دوام هذا

النوع الإنساني شيئًا بعد شيء؛ هكذا؛ كلما مات جيل خَلَفَهُ جيلٌ آخر، فأما أن يميت النوع الإنساني كله، ثم يحييه بعد ذلك؛ فلا حكمة في ذلك.

فجاءت براهين المعاد في القرآن مبنية على ثلاثة أصول:

أحدها: تقدير كمال علم الرب - سبحانه -، كما قال في جواب من قال: ﴿مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس: ٧٨-٧٩]، وقال: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۝٨٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨٦﴾ [الحجر: ٨٥-٨٦]، وقال ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٤].

الثاني: تقدير كمال قدرته كقوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١]، وقوله: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝٤﴾ [القيامة: ٤]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحج: ٦].

ويجمع الله - سبحانه - بين الأمرين كما في قوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١﴾ [يس: ٨١].

الثالث: كمال حكمته؛ كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝٣٨﴾ [الدخان: ٣٨]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص: ٢٧]، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [القيامة: ٣٦]، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١﴾ [الجاثية: ٢١].

ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع، وأن كمال الرب - تعالى - وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه، وتوجبه، وأنه منزه عما يقوله المنكرون، كما ينزه كماله عن سائر العيوب والنقائص .

والاستدلال بالقرآن من ناحيتين:

الأولى: الخبر؛ من ناحية كونه صدر عن المعصوم.

الثانية: من ناحية الاستدلال بالآيات الكونية على قدرة الله - تعالى -.

ومن الأدلة العقلية على البعث: قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٧٨-٨٣]، وقد افتتح - سبحانه - هذه الحجة بسؤال أورده ملحدٌ بقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٨-٧٩]، فأجيب بجوابين:

الأول: قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ [يس: ٧٨]؛ وهذا يفي بالجواب.

والثاني: قوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٩].

ولهذا فإن الثاني تأكيد للحجة وزيادة تقريرها؛ فقد احتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الآخرة، إذ كل عاقل يعلم ضروريًا أن مَنْ قدر على هذا، قدر على هذا، وأنه لو كان عاجزًا عن الثاني؛ لكان

عن الأول أعجز وأعجز.

ثم أكد هذه الحجة بالحجة الثانية والدليل الثاني، وهو ردٌّ على شبهة ثانية لملحد آخر يتضمن الدليل: وهو قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس: ٨٠]، فإن هذه الآية تتضمن شبهة أوردها ملحد يقول: العظام إذا صارت رميمًا عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعةً حارة رطبة، فأجاب الله - سبحانه وتعالى - بالدليل والجواب معًا فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس: ٨٠]؛ فأخبر - سبحانه - بإخراج هذا العنصر، الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة - وهو النار - من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذي يُخرج الشيءَ من ضده، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها، ولا تستعصي عليه؛ هو الذي يفعل ما أنكره الملحد وَدَفَعَهُ من إحياء العظام وهي رميم.

الدليل الثالث: الاستدلال بالكبير على الصغير في قوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١]، فهذا فيه الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل، فهو على ما دون ذلك بكثير أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطار، فهو على حمل أوقية أشد اقتدارًا.

الدليل الرابع: أنه ليس فعله - سبحانه وتعالى - بمنزلة غيره الذي يفعل بالآلات، بل ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، فهو - سبحانه وتعالى - يستقل بالفعل لا يحتاج إلى آلة ومُعين، بل يكفي في خلقه لما يريد؛ أن يخلقه ويكونه نَفْسُ إرادته، وقوله للمكَّون: كن، فإذا هو كائنٌ كما شاءه وأراده.

الدليل الخامس: إخباره - سبحانه - بأن ملكوت كل شيء بيده، فيتصرف فيه بفعله وقوله؛ ولهذا قال - سبحانه -: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣]، ختم - سبحانه - هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده، فيتصرف فيه بفعله وقوله.

ومن الأدلة: الاستنكار على من ينكر البعث ببيان كمال الحكمة في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦]، ومثل ذلك الاحتجاج في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ [الحج: ٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١٢]، إلى أن قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٦]، ومثله: ذكر قصة أصحاب الكهف، وكيف أبقاهم ثلاثمائة سنة شمسية، وثلاثمائة وتسع سنين قمرية، وقال فيها: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف: ٢١].

والقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة، لهم في المعاد خبط واضطراب، وهم فيه على قولين:

القول الأول: من يقول تعدم الجواهر ثم تعاد.

والقول الثاني: من يقول تُفَرَّقُ الأجزاء ثُم تجتمع، فَأُورد عليهم: الإنسانُ الذي يأكله حيوان، وذلك الحيوان أكله إنسان، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا، لم تُعد من هذا؟ وأورد عليهم: أن الإنسان يتحلل دائمًا، فما الذي يعاد؟ أهو الذي كان وقت الموت؟ فإن قيل بذلك؛ لزم أن يعاد على صورة ضعيفة، وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غير ذلك؛ فليس بعض الأبدان بأولى من بعض.

فأجاب بعضهم عن هذا بجوابين:

الجواب الأول: أجاب بعضهم بأن الإنسان، فيه أجزاء أصلية لا تتحلل، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني، وهذا القول لعامة المسلمين، ويدخل فيه المعتزلة والأشعرية، وجميع فرق الإسلام؛ والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل، وليس فيه شيء باق، فصار ما ذكروه في المعاد مما قوّى شبهة المتفلسفة في إنكار المعاد.

القول الثاني: الذي عليه السلف وجمهور العقلاء؛ أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال[١]، فتستحيل ترابًا، ثم ينشؤها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظامًا ولحمًا، ثم أنشأه الله خلقًا سويًا، كذلك الإعادة؛ يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب، كما ثبت في «الصحيح» عن النبي أنه قال: **«لَيسَ مِنَ الإنسان شَيءٌ إلا يَبْلى إلّا عظماً واحداً؛ وهو عَجْبُ الذَّنبِ، وَمِنْهُ يُركَّبُ الخلْقُ يَوْمَ القِيامة»**[٢]، وفي حديث آخر: **«إنَّ الأَرْضَ تُمْطَرُ مَطَرًا كَمَنِيِّ الرِّجَالِ، يَنْبُتُونَ فِي القُبُورِ، كَمَا يَنْبُتُ النَّبَاتُ»**[٣].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٢/ ١٣٧)، وفي «شعب الإيمان» (١/ ٣١٢) من طريق إسماعيل بن رافع، عن محمد بن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة مرفوعًا. وفيه: «ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش كمني الرجال، ثم يأمر الله السماء أن تمطر أربعين يوما، حتى يكون فوقهم اثنا عشر ذراعًا، ويأمر الله الأجساد أن تنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم، فكانت كما كانت...»، =

. . . .

= وقال البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣١٢): «وفي إسناده مقال». بل هذا إسناد واهٍ؛ فإسماعيل بن رافع؛ قال الذهبي في «الكاشف» (٣٧٢): «ضعيف؛ واهٍ». ومحمد بن يزيد بن أبي زياد، هو الفلسطيني، قال الذهبي في «الكاشف» (٥٢٢١): «صاحبُ حديث الصُّورَ... ليس بحجة...»، وقال البخاري في «التاريخ الكبير» (٨٢٩): «محمد بن يزيد بن أبي زياد، روى عنه إسماعيل بن رافع حديث الصُّور مرسل، ولم يصح»، وقال أبو حاتم كما في «الجرح والتعديل» (٨/ ١٢٦): «مجهول»، وفي الإسناد أيضًا راوٍ مُبهمٌ.

وقد رُوِيَ بنحوِ مَوْضع الشاهد، عن عبدالله بن مسعود؛ موقوفًا عليه، وهو مرفوعٌ حُكْمًا، كما أشار إليه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص٤٦٤ -ط السابعة)، وقد أخرجَهُ نُعيم بن حَمَّاد في «الفتن» (١٦٥٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٣٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٥٧٤٤)، والحاكم (٤/ ٥٤١- ٥٤٢)، و (٤/ ٦٤١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٩٠٠)، والطبراني في «الكبير» (٩٧٦١)، وحنبل بن إسحاق في «الفتن» (٤٤)، كلهم من طريق سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعودٍ.

والحديث قال عنه الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، وصححه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣١٤)، وقال الكشميري في «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» (ص٢٧٠) -بعد أن ساقه، وذكر تصحيح الحاكم له-: «ولم يتكلم عليه الذهبي في تلخيص المستدرك بشيء، سوى أنه من رواية أبي الزعراء: عبدالله بن هانئ، ولم يُخرج عنه الشيخان. انتهى.

ولا شك أن أبا الزعراء؛ ثقة كما صَرَّح به في «التهذيب» وغيرُه؛ فَعَدمُ تخريجهما عنه؛ لا يضرُّ بصحة الحديث»، لكن الهيثمي لمَّا ساقه في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٠) من رواية الطبراني، قال: «وهو موقوف؛ مخالف للحديث الصحيح، وقول النبي ﷺ: «أنا أول شافع»، وقد أشار إلى ذلك البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٢٢١)، في ترجمة أبي الزعراء: عبدالله بن هانئ، فقال: «... روى عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه في الشفاعة (ثم يقوم نبيكم رابعهم) والمعروف عن النبي ﷺ؛ أنه أول شافع. ولا يتابع في حديثه». =

فالنشأتان نوعان تحت جنس، يتفقان ويتماثلان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه، والمعاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعادة، ولوازم البدء فرق فعجب الذنب هو الذي يبقى، وأما سائره فيستحيل فيعاد من المادة التي استحال إليها، ومعلوم أن من رأى شخصًا وهو صغير، ثم رآه وقد صار شيخًا، علم أن هذا هو ذاك مع أنه دائمًا في تحلل واستحالة؛ وكذلك سائر الحيوان والنبات، ومن رأى شجرة وهي صغيرة، ثم رآها كبيرة قال: هذه تلك، وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة، حتى يقال إن الصفات هي المغيّرة، لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها، فإنهم يدخلونها على صورة آدم، طوله ستون ذراعًا، كما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما[(١)].

أما العرض، فإنه روي أن عرضه سبعة أذرع، لكن الحديث فيه ضعف[(٢)]. والقائلون بأن الإنسان مركب من الجواهر -وهم أهل الكلام- يقولون: إنه مركب من أجزاء صغيرة غير قابلة للقسمة، ويسمونها بالجواهر

= وقد وهم العلامة الألباني ﷺ في «تخريج الطحاوية» (ص٤٦٤) فأعلَّ الأثر بيحيى بن الوليد، وكنيتُه: أبو الزعراء أيضًا، وبأنه لم يرو عن أحدٍ من الصحابة، بل لم يرو عن بعض التابعين، وواضحٌ أنَّ أبا الزعراء الواقع في إسناد هذا الأثر، هو: عبدالله بن هانئ؛ فتعقب الألباني على الذهبي، -بأنه فاته الانقطاع الذي توهمه الألباني-: مردودٌ؛ غفر الله للجميع.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٣، ٤١٥، ٥٣٥)، والطبراني في «الأوسط» (٥٤٢٢)، و «الصغير» (٨٠٨)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٩٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٠٠٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٩٤) من حديث ابن جدعان، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة - ﷺ-، وقد استنكره العلماء على ابن جدعان، وانظر «الكامل» لابن عدي (٥/ ١٩٨).

الفردة، وهذا مذهب سائر المتكلمين، فإن الأجسام عندهم مركبة من هذه الجواهر المتماثلة، وإنما تتمايز الأجسام بما يخلقه الله فيها من الأعراض، وقد غلا المتكلمون من المعتزلة والأشاعرة في التعويل على نظرية الجواهر الفردة، وهي في الأصل نظرية يونانية قديمة، قال بها «ديموكريس» الفيلسوف الطبيعي اليوناني، وقد بنوا عليها كثيرًا من الأصول الإيمانية، فجعلوها عمدتهم في الاستدلال على حدوث العالم، ووجود المحدث له، حتى إن أحد كبار الأشاعرة وهو القاضي أبو بكر الباقلاني قد أوجب الإيمان بوجود الجوهر الفرد، بناء على أن الإيمان بوجود الله متوقف على ثبوته[1]، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما بنوا على تلك النظرية ما يترتب على حدوث العالم من أن الله، فاعل بالاختيار لا موجب بالذات، كما يقوله الفلاسفة -فإنَّ الفلاسفة يقولون: الله موجب بالذات، لا فاعل بالاختيار-، وأنه لا تأثير لشيء من الأسباب في مسبباتها، بل يخلق الله الأشياء عند وجود أسبابها؛ لا بها، وهكذا انحرف المتكلمون عن الجادة، واعتمدوا في استدلالهم على وهم كاذب؛ ربطوا به مصير العقائد الإيمانية كلها. والجوهر الفرد مَنْ العلماء من قال: لا وجود له، ومنهم من قال: إن له وجودًا، فصار الإيمانُ بالله عند أهل الكلام، والإيمانُ بالبعث والمعاد مرتبطًا بالجوهر الفرد، وهذا من بدع أهل الكلام، فإن الله - سبحانه وتعالى - لم يُحِل في الإيمان به، والإيمان بالبعث والمعاد، إلى الجوهر الفرد.

ومما يتعلق بالإيمان بالبعث: النفخ في الصور[2]:

والنفخ في الصور جاء في «الصحيحين» في الحديث أن النبي قال: «لَا

(١) انظر: «تمهيد الأوائل» للباقلاني (ص ٣٦-٤٢).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٦١-٢٦٢).

تُخَيِّرُوني مِنْ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ، فَإِذَا أَنا مُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ؟»[(١)].

وجاء في الحديث الآخر: «فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَى اللهُ؟»[(٢)].

فنشأ الإشكال في هذا الحديث، وسبب هذا الإشكال ناشئ من أنه دخل على الراوي حديثٌ في حديثٍ؛ فركَّب بين اللفظين، بيان ذلك أن قوله في الحديث: «فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ يَوْمِ الطُّورِ؟»[(٣)]، جاء بعض الرواة، فروى الحديث هكذا: «فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ يَوْمِ الطُّورِ؟»[(٤)]، وفي لفظ آخر: «إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٨) بهذا اللفظ في هذا الموضع، وبألفاظ مقاربة في مواضع متفرقة من صحيحه الجامع؛ من حديث أبي سعيد الخدري، ورواهُ مسلمٌ مختصرًا (٢٣٧٤/ ١٦٢، ١٦٣) من حديث أبي سعيد أيضًا، وأخرجه البخاري (٢٤١١، ٧٤٧٢) بهذا اللفظ في هذين الموضعين، ورواه في مواضع أخرى متفرقة، من حديث أبي هريرة، وكذا أخرجه مسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة أيضًا مثله إلا أنه قال في روايته «أم كان» بدل «أو كان».

(٢) هي رواية البخاري، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواية البخاري (٣٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) رواية البخاري (٢٤١٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ؟»[١].

ووجه الإشكال: أنه في أول الحديث قال: «يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وهذا يدل على أن الناس قاموا من القبور، ووقفوا للحساب، وفي آخر الحديث قال: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ» يدل على بدء الخروج من القبور، حيث تنشق عنه - عليه الصلاة والسلام - الأرض، ولم يقف الناس بَعْدُ للحساب، فيفسد المعنى بذلك؛ لأن انشقاق الأرض قبل الموقف، والصعق في الموقف، ومنشأ الإشكال: الوهم من بعض الرواة، بإدخال حديث في حديث.

وحل الإشكال رد الحديث إلى أصله، وهو أن صواب الحديث هكذا: «إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ» وليس: «فأكون أول من تنشق عنه الأرض»، وإنما وهم بعض الرواة.

وكذلك أشكل في الحديث رواية بعض الرواة، فإنه روى في آخر الحديث: «لَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ؟».

ووجه الإشكال: أنه في آخر الحديث، استثني من صعقة يوم القيامة؛ لأن أول الحديث: «إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ»، ثم قال في آخره: «فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ؟» فاستثني من صعقة يوم القيامة.

والذين استثناهم الله إنما هم مستثنون من صعقة النفخة، لا من صعقة يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى

---

(١) رواية البخاري (٢٤١١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه «باطش جانب العرش» بدل «آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ».

ﭐﻟﺄَﺭۡﺽِ ﺇِﻟَّﺎ ﻣَﻦ ﺷَﺎٓﺀَ ﭐﻟﻠَّﻪُۖ﴾ [الزمر: ٦٨]، ولم يقع الاستثناء من صعقة الخلائق يوم القيامة، فالصعق الذي استثنى الله فيه في سورة «الزمر» و«النمل» هو صعق تخريب العالم، وسببه؛ النفخ في الصور والفزع، والمستثنى قيل: ملك الموت، وثلاثة ملائكة معه.

ومنشأ الإشكال الوهم من بعض الرواة، حيث اشتبه عليه أن هذه الصعقة هي صعقة النفخة.

فالمعنى الصحيح: أن الصعق يوم القيامة؛ لتجلِّي الله لعباده، إذا جاء لفصل القضاء، وموسى - عليه الصلاة والسلام - إن كان لم يُصعق معهم، فيكون قد جوزي بصعقة يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكًّا، فجعلت صعقة هذا التجلي عوضًا عن صعقة الخلائق لتجلي الرب يوم القيامة، فتأمل هذا المعنى العظيم.

وأما قوله: «**فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ ﷻ**»، **فلا يلتئم على مساق الحديث قطعًا فإن الإفاقة حينئذ هي إفاقة البعث**، وكيف **يقول: لا أدري أبعث قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور؟ فتأمل.**

وممن نبه على هذا الحافظ أبو الحجاج المزي، والحافظ العلامة ابن القيم، والحافظ عماد الدين ابن كثير؛ نبهوا على هذا الوهم من الرواة[1]، وأنه دخل على الرواة حديث في حديث.

والصعق نوعان:

الأول: صعق البعث: وسببه هو النفخ في الصور، ووقتُه: يومُ القيامة.

---

(١) انظر كتاب «الروح» (ص ٣٧)، وانظر لذلك أيضا «فتح الباري» (٦/ ٤٤٤) للحافظ ابن حجر رحمه الله.

والثاني: صعق التجلي: وسببه تجلي الله للخلائق، ووقته: في موقف يوم القيامة.

والنفخ في الصور، نفختان على الصحيح، وقال بعضهم: ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة الموت، والصواب: أن نفخة الفزع، ونفخة الصعق؛ نفخة واحدة؛ طويلة، يطولها إسرافيل ويمدّها، أولها فزع وآخرها موت، وأما الحديث الذي فيه إثبات ثلاث نفخات، فهو حديث ضعيف.

فأولها: نفخة الفزع، ويتغير بها هذا العالم، ويفسد نظامه، ويسير الله الجبال، وترتج الأرض بأهلها رجًا، وتكون كالسفينة الموقرة في البحر تضربها الأمواج، وتميد الأرض بالناس على ظهرها، وتذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتثور الشياطين هاربين من الفزع، حتى تأتي الأقطار فتتلقاها الملائكة، وتضربها في وجوهها فترجع، ويولي الناس مدبرين، فينادي بعضهم بعضًا، وذلك قول الله تعالى: ﴿...ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ﴾ [غافر: ٣٢-٣٣]، وتتصدع الأرض، وتكون السماء كالمهل، فيرى الناس أمرًا عظيمًا، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ [ص: ١٥]» أي: من رجوع ومَردٍّ، وقوله ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٨٧] قيل: المستثنى ملكُ الموت وجبريل وميكائيل وإسرافيل، وقيل: غير ذلك، وإنما يحصل الفزع لشدة ما يقع من هول تلك النفخة، ثم يكون آخرها صعقاً وموتاً، وفيها هلاك كل شيء، كما قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ٦٨] وقد فُسِّر الصعقُ بالموت .

النفخة الثانية: نفخة البعث والنشور، وقد جاء في الكتاب العزيز آيات تدل عليها؛ كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس: ٥١]، وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقوله: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١﴾ [ق: ٤١]؛ قال المفسرون: المنادي: إسرافيلُ - عليه الصلاة والسلام - ينفخ في الصور، وينادي: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. والمكانُ القريب: صخرةُ بيت المقدس، وبين النفختين أربعون.

والعرض أنواع: عرضُ أعمالٍ أو صحف، وعرض الناس على جهنم، وعرض جهنم على الناس، وعرضٌ على الله، وقد يعرض العمل مع الصحيفة وقراءة الكتاب.

وأما الصراط: **فهو لغةً**: الطريق الواضح، ومنه قول جرير:

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيما

وشرعًا: جسر ممدود على متن جهنم، يَرِدُهُ الأوَّلون والآخرون(١)، والأدلة على إثباته كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١]، وفي الحديث الذي رواه البيهقي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: «**يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ** - إلى أن قال: - **وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ، فَيُقَالُ لَهُمْ: امْضُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ**(٢)».

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/١٧٩).

(٢) أخرجه محمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/٤٠٨)، والطبراني في «الكبير» (٩٧٦٣)، والدارقطني في «الرؤية» (١٦٢ - =

وجاء في حديث عائشة: «فِي جَهَنَّمَ جِسْرٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدُّ مِنَ

= ط: المنار، الأردن)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٨٤)، ولم يسق لفظه من طريق أبي خالد الدالاني حدثنا المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله ﷺ، وفيه: «والصراط كحد السيف دحض مزلة فيقال انجوا على قدر نوركم».

وأبو خالد الدالاني قال عنه الحافظ في «التقريب» (٨٠٧٢): «صدوق يخطىء كثيرا و كان يدلس». ا هـ. لكن صرح بالتحديث إلا أنه لم يتابع عليه، وما يخشى من خطئه، فإنه قد توبع، كما عند الطبراني (٩٧٦٣)، فقد تابعه زيد بن أبي أنسية، وهو ثقة. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ. اهـ

قال ابن رجب في «التخويف من النار» (١٦٧): خرجه الحاكم وصححه هو وغيره من الحفاظ. اهـ، والحديث صححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٤٧٠ -ط السابعة).

وبنحوه في مسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وفيه قول أبي سعيد، وذكره الحافظ في «فتح الباري» (١١/ ٤٥٤) فقال: ووقع عند مسلم «قال أبو سعيد: بلغني أن الصراط أحد من السيف وأدق من الشعرة»، ووقع في رواية ابن منده من هذا الوجه «قال سعيد بن أبي هلال: بلغني»، ووصله البيهقي عن أنس عن النبي ﷺ مجزوماً به، وفي سنده لين. ولابن المبارك عن مرسل عبيد بن عمير «إن الصراط مثل السيف وبجنبتيه كلاليب، إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر»، وأخرجه ابن أبي الدنيا من هذا الوجه وفيه «والملائكة على جنبتيه يقولون: رب سَلِّمْ سَلِّمْ»، وجاء عن الفضيل بن عياض قال: «بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة، خمسه آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط، وخمسة آلاف مستوى أدق من الشعرة، وأحدّ من السيف على متن جهنم، لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله» أخرجه ابن عساكر في ترجمته، وهذا معضل لا يثبت، وعن سعيد بن أبي هلال قال: «بلغنا أن الصراط أدق من الشعر على بعض الناس، ولبعض الناس مثل الوادي الواسع» أخرجه ابن المبارك، وابن أبي الدنيا وهو «مرسل أو معضل». اهـ.

السَّيْفِ، عَلَيْهِ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ[١].

وفي بعض الآثار أن طول الصراط مسيرة ثلاث آلاف سنة، قال: ألف منها صعود، وألف منها هبوط، وألف منها استواء[٢]، والله أعلم بالصواب .

وصف الصراط: قال العلماء: إنه أدق من الشعر، وَأَحَدُّ من السيف، وَأَحَرُّ من الجمر، جاء هذا في أحاديث، وقد أنكر بعضُ الطوائفِ الصراطَ -وهم المعتزلة-، وقالوا: ليس هناك صراط حسيّ، وقالوا: المراد بالصراط؛ الصراط المعنوي. فأهل الحق يثبتون الصراط على ظاهره، من كونه جسرًا ممدودًا على متن جهنم؛ أحدّ من السيف. وأنكره بعض المعتزلة كالقاضي عبد الجبار المعتزلي، وكثير من أصحابه، ومن أتباعه؛ قالوا: ليس هناك صراط حسي، وقالوا: المراد بالصراط؛ طريق الجنة، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ [محمد: ٥]، وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣].

وشبهتهم: **قالوا**: إنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين يوم القيامة.

والرد: أن هذا تأويل باطل، ويجب حمل النصوص على حقائقها،

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١١٠) من طريق ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة مرفوعًا، وفيه: «ولجهنم جسر أَدَقُّ من الشَّعَر وأحدُّ من السيف، عليه كلاليب وَحَسَكٌ».
والحديث فيه ابن لهيعة: ضعفوه؛ لكن له شاهد عند مسلم في «صحيحه» (١٨٣) مطولاً من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.
(٢) انظر: «تنزيه الشريعة» لابن عراق (٢/ ٣٩٥).

وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء، والطيران في الهواء، والوقوف فيه، وقد أجاب النبي عن سؤال حشر الكافر على وجهه، بأن القدرة صالحة لذلك، والمراد بالورود في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] في أصح قولي العلماء: المرور على الصراط، وقال بعضهم: دخول جهنم، والصواب أن المراد به: المرور على الصراط.

هل هناك صراط آخر؟

قال القرطبي رحمه الله[1]: اعلم - رحمك الله تعالى - أن في الآخرة صراطين:

أحدهما: مجاز لأهل الحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم، يجيزون عليه إلا من دخل الجنة بغير حساب، وإلا من يلتقطه عنق من النار، فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر المذكور - ولا يخلص منه إلا المؤمنون، الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم - حُبسوا على صراط آخر خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد -إن شاء الله تعالى-؛ لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم، التي يسقط منها من أوبقته ذنوبه، وزاد على الحسنات جرمه وعيوبه.

والصراط الثاني: يدل عليه ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي في هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]؛ قال: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ

---

(١) انظر: «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي (ص ٣٩٢).

مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»(١).

قال القرطبي: هذا في حق من لم يدخل النار من عصاة الموحدين، أما من دخلها، ثم أخرج، فإنهم لا يحبسون، بل إذا أخرجوا بقوا على أنهار الجنة.

المراد بالورود: في قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١].

اختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في هذه الآية على قولين:

القول الأول: أن المراد به الدخول في النار، وهذا قال به ابن عباس وجماعة(٢)، واستدلوا بأدلة؛ منها:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: ٧٢]، بعد قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فالتعبير بالإنجاء بعد الورود؛ دليل على أنهم دخلوا، لكنهم نجوا.

وأجيب: بأن التعبير بالإنجاء، لا يستلزم إحاطة العذاب بالشخص، بل يكفي في ذلك انعقاد أسبابه، ولو لم يهلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود: ٥٨]، وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا﴾ [هود: ٦٦]، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: ٩٤]، ولم يكن العذاب قد أصابه ولكن أصاب غيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٥)، بهذا اللفظ في هذا الموضع، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأخرجه من حديثه أيضًا بنحوه، في (٢٤٤٠).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٢٣٠)، و«الدر المنثور» (٤/ ٤٧٢).

الدليل الثاني: قالوا: الورود في اللغة يستلزم الدخول.

والجواب: يَرُدُّ ذلك الحديثُ «الصحيح» - وهو في صحيح مسلم[1]- عن النبي أنه قال: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاء الله، مِنْ أصحابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ مِنْ الذين بَايَعُوا تَحتَها**»، **قَالَتْ حَفْصَةُ: بَلى: يَا رَسُولَ اللهِ!، فانْتَهَرَها. فَقَالتْ حَفْصَةُ**: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مَريَم: ٧١]؟، فَقَالَ النبي ﷺ: «قَدْ قَالَ الله - عز وجل -: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مَريَم: ٧٢]؟»، أشار إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من النار لا تستلزم حصوله، بل تستلزم العقاب الشديد.

الدليل الثالث: استدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨]، وقوله: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مَريَم: ٨٦]؛ فسمى دخول النار ورودًا.

وأجيب بأن هذه الآيات في الكفار، ويستلزم الورود إحاطة العذاب بهم، ودخولهم مستفاد من أدلة أخرى لا من نفس الورود.

القول الثاني: أن المراد بالورود المرور على الصراط، وهذا هو الصواب[2]، ويؤيد ذلك:

أولًا: الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم[3] أن النبي قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَلِجُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحتَ الشَّجَرَةِ، قَالَتْ حَفْصَةُ:**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. «أخبرتني أُمُّ مُبَشِّرٍ، أنها سَمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة؛ فَذَكَرَهُ.

(٢) انظر: «الجواب الصحيح» (١/٢٢٨).

(٣) تقدم تخريجه في الذي قبله.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]؟ فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعِيهِ قَالَ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢]؟»، أشار إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من النار لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، ولو لم يحصل الهلاك.

ثانيًا: أن من طلبه عدوه ليهلكه ولم يُتَمَكن منه يقال: نجاه الله منه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود: ٥٨]، وقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [هود: ٦٦]، وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: ٩٤]؛ ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة؛ لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثيًّا.

ثالثًا: عن يعلى بن أمية عن رسول الله أنه قال: «**تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: جُزْ يَا مُؤْمِنُ، فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي**»[1]؛ فقد بين النبي في هذه الإجابة المذكورة أن الورود هو المرور على الصراط.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/٢٥٨)، وتمام الرازي في «الفوائد» (٦٩٠، ٦٩٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/٣٢٩)، عن الطبراني والخطيب في «التاريخ» (٥/١٩٣)، و (٩/٢٣٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧٥)، وابن عدي في «الكامل» (٦/٣٩٤)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٦٥٢): رواه الطبراني وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف، وقال البيهقي في «شعب الإيمان» (١/٣٤٠): «تفرَّد به سليم بن منصور، وهو مُنكر»، وقال ابن رجب في «التخويف من النار» (ص ١٨٤): «غريب، وفيه نكارة»، وأعله الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٤٧٢ -ط: السابعة)؛ بالضعف والانقطاع، وأشار الخطيب في «التاريخ» (٥/١٩٣)، و (٩/٢٣٢) إلى الاختلاف الواقع في سند الحديث؛ كأنه يُنَبِّهُ بذلك على اضطرابه؛ فهذه علة أخرى، تضافُ إلى ما سبق، والله أعلم.

وأما الميزان[1]: فإنه يجب الإيمان به، وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، والأدلة على إثبات الميزان كثيرة؛ منها: قول الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨]، وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]، وقوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: ٦-٩].

وهل في يوم القيامة ميزان واحد، أو موازين متعددة؟

اختلف العلماء، والأشهر أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال، كِفَّتاه كأطباق السماوات والأرض، وقيل: إنَّ لكل أمة ميزاناً، وقال الحسن البصري: لكل واحد من المكلفين ميزان، ومن قال: إنه ميزان واحد أجاب عن الآيات بأن المراد الموزونات، فجُمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة.

وأهل السنة يؤمنون بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله لسان، وكفتان، توزن بهما صحائف الأعمال، وهو ميزان حسي، وذهب بعض المبتدعة كالمعتزلة وبعض الملحدين إلى أن الميزان أمر معنوي، قالوا: والمراد به العدل.

وشبهتهم: قال المعتزلةُ: الأعمالُ أعراضٌ لا تقبل الوزن، ومثلها يوزن بميزان معنوي؛ هو العدل، وإنما يقبل الوزن الأجسام، قالوا: ولا

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٠٢)، و«درء التعارض» (٥/ ٣٤٧-٣٤٨).

يحتاج إلى الميزان إلّا البقالُ والفوال، أما الله فلا يحتاج إلى الميزان، هكذا حرف المعتزلةُ النصوص بأهوائهم.

ردَّ عليهم أهل السنة: بأن الله يقلب الأعراض أجسامًا، كما في حديث البراء بن عازب(١) أن العملُ يُمَثَّلُ في القبر لصاحبه إنسانًا حسنًا أو قبيحًا، مع أن العمل معنوي، وكما في حديث أبي هريرة: «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَبْشًا أَغَرَّ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ، وَيَنْظُرُونَ، وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ، وَيَنْظُرُونَ، وَيَرَوْنَ أَنْ قَدْ جَاءَ الْفَرَجُ، فَيُذْبَحُ الْمَوْتُ كَالْكَبْشِ**»(٢)، وهو معنوي، فكذلك الميزان.

كذلك فإنَّ الله تعالى يقلب الأعمال أجسامًا فتوزن، ويوزن أيضًا الشخص صاحبُ العمل، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْم الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»(٣)، وقال النبي في دقتي ساقي ابن مسعود: «**لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ**»(٤).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٢٣)، وصححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٤٧٥)، وأخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)، من حديث أبي سعيد الخدري، وَذَبْحُ الموتِ واردٌ أيضًا، منْ حديثِ ابن عمرَ، عند البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) الحديث لَهُ طرقٌ، أوَّلُها: طريق حمادُ بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حُبَيش، أن ابن مسعود، وأخرجه من هذا الوجه: أحمد (١/ ٤٢٠)، والطيالسي (٣٥٥)، وأبو يعلى (٥٣١٠)، و (٥٣٦٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٤٥٢)، والبزار (١٨٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٢٧)، وابن حبان (٧٠٦٩)، والشاشي في «المسند» (٦٦١)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣١٧)، =

. . . .

= وابن عساكر في «التاريخ» (٣٣/ ١١٠)، وحسَّنه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٤٧٤ -ط: السابعة).

وثاني هذه الطرق، من حديث أبي عتاب الدلال: سهل بن حماد، عن شعبة، عن معاوية بن قرّة، عن أبيه قال: صعد ابن مسعود شجرة، وفيه أن رسول الله ﷺ قال عن ساقيْ ابن مسعود: «هما في الميزان أثقل من أحد»، وقد أخرجه: ابن الجعد في «المسند» (١٠٩٣، ١٠٩٤)، والحاكم (٣/ ٣٥٨)، والبزار في «المسند» (٣٣٠٥)، والخطيب في «التاريخ» (١/ ١٤٨)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣١٧)، وابن عساكر في «التاريخ» (٣٣/ ١١١- ١١٢)، وعباس الدوري في «تاريخ ابن معين» (٢٢٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٨٩) -بعد أن عزاه للطبراني والبزار-: «ورجالهما رجال الصحيح»، وصححه الحاكم.

وثالث هذه الطرق: من حديث مغيرة، عن أم موسى، عن عليٍّ، مرفوعاً بنحو حديث الباب، وقد أخرجه: أحمد (١/ ١١٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٢٣٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٧)، وأبو يعلى (٥٣٩)، والطبري في «تهذيب الآثار» (٢/ ١٦٢- ١٦٣- مسند علي)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٥١٦)، والمحاملي في «الأمالي» (١/ ١٨٤)، وصححه ابن جرير في «تهذيب الآثار -مسند علي» (٣/ ١٦٢- ١٦٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٨٨، ٢٨٩): «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح غير أم موسى؛ وهي ثقة».

ورابع هذه الطرق: عن ابن أبي فديك، عن موسى بن يعقوب، عن ابن أبي حرملة مولى حويطب، أن سارة بنت عبدالله بن مسعود، أن أباها؛ فذكر القصة، وفيها مرفوعاً: «والذي نفسي بيده لعبدالله في الموازين يوم القيامة أثقل من أُحُد...». أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٤٥٤)، وابن عساكر في «التاريخ» (٣٣/ ١١١)، وفي سنده موسى بن يعقوب الزمعي، قال الذهبي في «الكاشف» (٥٧٤٤): «فيه لين»، وقال الحافظ في «التقريب» (٧٠٢٦): «صدوق سيء الحفظ».

وخامسها: من طريق المعلي بن عرفان، عن أبي وائل، عن ابن مسعود بلفظ: «والذي نفسي بيده لساقا ابن مسعود يوم القيامة أشد وأعظم من أُحُد»، وفي سنده معلي بن عرفان الأسدي، قال البخاري في «التاريخ الكبير» (١٧٢٥): =

وقد وردت الأحاديث - أيضًا - بوزن الأعمال أنفسها، منها:

حديث أبي مالك الأشعري في «صحيح مسلم»: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ»(١).

ومنها في «الصحيح» - وهو خاتمة كتاب البخاري -: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»(٢).

فهذه الأدلة السابقة تدل على وزن الأشخاص والأعمال، وصحائف الأعمال، بميزان حسي، فثبت وزنُ الأعمال، والعامل، وصحف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.

ومنشأ ضلال المعتزلة وغيرهم؛ قياس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا، والذي دلت عليه السنة، أن ميزان الأعمال حسي له كفتان حسيتان مشاهدتان، ومن ذلك حديث البطاقة: «أَنَّهُ يُؤْتَى بِرَجُلٍ، وَيُخْرَجُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ البَصَرِ سَيِّئَاتٌ، ثُمَّ يُؤْخَذُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا الشَّهَادَتَانِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَتُوضَعُ البِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ مِنْ كَثْرَةِ

= «... منكر الحديث»، وكذا قال غيره، والله أعلم.

[فائدة]: قال ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٢٠٣): وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا؛ فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها. والله أعلم. اهـ

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٦) و (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة.

البِطَاقَةِ، فَنُجِّيَ وَسَلِمَ، وَغَفَرَ اللهُ لَهُ»(١).

الترتيب في الميزان والحوض والصراط والحساب:

الصواب: أن المعاد والبعث والنشور أولًا، ثم القيام لرب العالمين، ثم الحوض، ثم العرض، ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين أو الشمال، ثم الميزان، ثم الورود على الصراط، ثم الجنة - نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة -.

الحكمة في وزن الأعمال بالميزان الحسي:

قال الثعلبي: الحكمة في ذلك تعريف الله عباده ما لهم عنده من الجزاء؛ من خير أو شر، وقيل: بل الحكمة في وزن الأعمال، ظهور عدل الله - سبحانه - في جميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين.

ومن الحكمة - أيضًا - بيان فضل الله، وأنه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٤٠]، وفيه إدخال البِشْر والسرور على المؤمنين، ووراء ذلك أيضًا من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه.

الترتيب في الحساب والميزان؛ أيهما يكون قبل الآخر مع التوجيه؟

قال العلماء: إذا انقضى الحسابن كان بعده وزنُ الأعمال؛ وذلك: لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه ابن حبان (٢٢٥)، والحاكم (١٩٣٧) من حديث عبدالله بن عمرو ﷺ. وتقدم الكلام عليه.

الترتيب في الميزان والحوض والصراط:

اعلم أن مراتب المعاد والبعث والصراط والحساب والحوض والميزان ما يلي:

أولًا: للناس عمومًا: معاد وبعث، ونشور، ثم القيام لرب العالمين، ثم الحوض، ثم العرض، ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين أو الشمال، ثم الميزان، ثم المرور على الصراط، ثم الوقوف على القنطرة بين الجنة والنار، وجعل القرطبي في «التذكرة»(١) هذه القنطرة صراطًا.

ثانيًا: للمؤمنين خاصة: وليس يسقط فيه أحد في النار، فيكون الترتيب هكذا: بعث، فقيام، فحوض، فحساب، فصحف، فميزان، فصراط، فقنطرة، فالجنة(٢).

---

(١) قال القرطبي في «التذكرة» (١/ ٣٩٢): باب ذكر الصراط الثاني وهو القنطرة التي بين الجنة والنار. اهـ

(٢) للتوسع في مباحث أشراط الساعة راجع: «لوامع الأنوار» للسفاريني (٢/ ٧٠ - ١٥١).

أقوال العلماء في خلق الجنة والنار

◆ قال الإمام الطحاوي - رحمه الله تعالى -: (وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ):

الشرح

فالجنة والنار هما داران للجزاء على الأعمال، والإيمان بالجنة والنار لا بد منه لكل مسلم.

والإيمان بأن الجنة والنار موجودتان دائمتان، فيه مذهبان للناس[١]:

المذهب الأول: الإيمان بأن الجنة والنار مخلوقتان الآن، دائمتان، لا تفنيان أبدًا، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ مذهب الصحابة والتابعين.

المذهب الثاني[٢]: أنهما معدومتان الآن، وإنما تخلقان يوم القيامة، وهذا مذهب أهل البدع من المعتزلة والقدرية وغيرهم.

والصواب ما عليه أهل السنة والجماعة؛ وهو الذي عليه الصحابة والتابعون؛ أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، خلافًا لأهل البدع القائلين بأنهما معدومتان، ولم يزل أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون، وتابعوهم، وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد؛ على اعتقاد ذلك وإثباته.

واستدل أهل الحق على ذلك بأنواع من الأدلة، وإذا قلنا: بأنواع من

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٦٢٠).
(٢) انظر: «الفصل» لابن حزم (٤/ ٨٣).

الأدلة، فالمعنى: أن كل نوع تحته أفراد من الأدلة، وليس المراد حصر الأفراد، وإنما المراد حصر النوع.

فقد استندوا إلى نصوص الكتاب والسنة، وما عُلم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم، من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها.

النوع الأول: التعبير بصيغة الماضي في الجنة والنار، والتعبير بالماضي يدل على حصول الشيء ووجوده، ومن أمثلة ذلك قوله - تعالى - عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقوله عن النار: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ [النبأ: ٢١]، وقوله - تعالى - عن الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]؛ فقوله: «أعدت» بصيغة الماضي، تدل على أنها موجودة ومخلوقة الآن.

النوع الثاني من الأدلة: رؤية النبي للجنة والنار في السماء يوم المعراج، والرؤية لا تكون إلا لشيء موجود؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣-١٥]، وفي «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفي آخره: «**ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ - قَالَ: ثُمَّ أُدخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فيها جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ**»[1]، والجنابذ يعني: قباب اللؤلؤ، جمع قُبّة، فقوله: «**ثُمَّ دَخَلْتُ الجَنَّةَ**» دليلٌ على أن الجنة مخلوقة الآن، خلافًا لأهل البدع القائلين بأنها لا تُخلق إلا يوم القيامة .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩) و (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣)، واللفظ له.

النوع الثالث من الأدلة: أدلة عذاب القبر ونعيمه، وأن الروح تدخل الجنة قبل يوم القيامة، وكذلك روح الكافر تدخل النار قبل يوم القيامة، ومن أمثلة ذلك: ما في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عمر ﵄ أن رسول قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ إِلى يَوْمَ القِيَامَةِ**»[1].

ومن أمثلة ذلك - أيضًا - حديث البراء بن عازب ﵁ الطويل المشهور، وفيه: «**يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَافْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا**»[2].

ومن أمثلة ذلك - أيضًا - حديث أنس وفيه: «**فَيَقُولُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النبي ﷺ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا**»[3].

ومن أمثلة ذلك: الحديث الصحيح المشهور: «**إِنَّمَا نَسَمَةُ المُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الجَنَّةِ، حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ**»[4]، وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة.

النوع الرابع من الأدلة: رؤية النبي للجنة والنار يوم الكسوف وهو على المنبر، كما في حديث عائشة ﵂ قالت: خسفت الشمس في حياة رسول الله فذكرتْ الحديثَ، وفيه: «**وَقَالَ رَسُولُ اللهِ: رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٩) واللفظ له، ومسلم (٢٨٦٦).

(٢) سبق تخريجه وتقدم مرارًا.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٣٨) واللفظ له، ومسلم (٢٨٧٠).

(٤) سبق في الباب قبله.

كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُهُ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُ أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ»[(١)].

النوع الخامس من الأدلة: إرسال جبريل - عليه الصلاة والسلام - بعد خلق الجنة والنار للنظر إليهما، فشاهدهما، وما حف بكل منهما، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرَائِيلَ إِلَى الجَنَّةِ، فَقَالَ: اذْهَبْ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا**»[(٢)]، وقال في النار مثل ذلك... الحديث.

فهذه خمسة أنواع من الأدلة، كلها تدل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وتحت كل نوع أفراد من الأدلة، أما المنكرون لخلقهما الآن -وهم المعتزلة والقدرية- فإنهم يقولون: إن الله ينشؤهما، ويخلقهما يوم القيامة، وأنكروا وجودهما الآن.

حجتهم في ذلك:

هذا المذهب مبني على أصلهم الفاسد الذي حملهم على الإنكار، وأصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعةً للرب فيما يفعله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وهذا الأصل هو: الحُسْنُ والقُبْحُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١٢)، واللفظ له، ومسلم (٩٠١)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٣٧٦٣)، وأبو يعلى (٥٩٤٠)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٤) كلهم من طريق: محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، فذكره. قلت: رواية محمد بن عمرو الوقاصي، عن أبي سلمة متكلم فيها فهو يخطيء فيها. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. ا هـ، وصححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٤٧٨ - ط: السابعة).

العقليان، وقياسُ الله على خلقه في أفعاله، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلةً في الصفات، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة، التي وضعوها لله، وهي مسألة الحسن والقبح العقليين، وصرفوا النصوص عن مواضعها وضلّلوا، وَبَدَّعُوا من خالف شريعتهم، فقالوا: - وهذه هي شبهتهم العقلية - قالوا: خلْق الجنة قبل الجزاء عَبَثٌ؛ لأنها تصير مُعَطَّلَةً مُدَدًا متطاولة؛ والعبثُ محال على الله.

وبتعبير آخر؛ **قالوا**: وجودهما اليوم ولا جزاء؛ نوعٌ من العبث، والعبث محال على الله.

والرد عليهم:

أولًا: بإبطال أصلهم الفاسد: الذي وضعوا به شريعة للرب، وهو تحكيم عقولهم قُبْحًا وحُسْنًا، وقياس الله على خَلْقِهِ.

وثانيًا: أنهما ليستا معطلتين، بل هما مشغولتان، فإن الروح تنعم في الجنة أو تعذب في النار قبل يوم القيامة، كحديث: «**إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ**»[1]، فهذا صريح في دخول الروح الجنة، قبل يوم القيامة، وحديث البراء بن عازب في قصة العبد المؤمن: «**يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَافْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا**»[2] وقال نظير ذلك في الكافر.

---

(١) أخرجه النسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١) نحوه من حديث كعب بن مالك ﷺ، وصححه الألباني ﷺ في «تخريج الطحاوية» (ص ٤٧٨ - ط: السابعة). وتقدم هذا الحديث مرارًا.

(٢) تقدم تخريجه.

ثالثًا: ويقال في الرد عليهم: أيضًا: إنَّ الاتعاظ والتذكر فيهما إذا كانتا موجودتين؛ الآن أشد وأبلغ منه فيما إذا قيل: إن الله ينشؤهما يوم القيامة، فإن الإنسان إذا علم بوجود الجنة؛ اجتهد في تحصيلها، وإذا علم بوجود النار؛ اجتهد في الهرب والبعد منها، أكثر مما لو كانت غير موجودة.

ومن شبههم الشرعية:

استدلوا بقول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]؛ وَوَجْهُ الاستلال من الآيتين: أن كلًّا من هاتين الآيتين، تدلان على أن المخلوقات صائرة إلى الفناء، ولو كانت الجنة والنار مخلوقتين الآن، لوجب اضطرارًا أن تفنيا يوم القيامة، وأن يهلك كل من فيهما ويموت، فيموت الحورُ العين التي في الجنة، والوِلْدَانُ، وقد أخبر الله - سبحانه - أن الدار دار خلود، ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها، وخبر اللهِ - سبحانه - لا يجوز عليه خلف، فدل على أنهما تُخلقان يوم القيامة. فهذا دليلهم.

وأجيب عن الآيتين بأجوبة: منها:

أن المراد بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ [القصص: ٨٨]؛ أي: كل شيءمما كتب الله عليه الفناء والهلاك؛ هالكٌ، وأما الجنة والنار فَخُلقتا للبقاء لا للفناء، فلا يلزم من وجودهما الآن الفناء يوم القيامة؛ وكذلك العرش لا يفنى، فإنه سقف الجنة.

وقيل: المراد كل شيء هالك إلا ملكه.

وقيل: المراد إلا ما أريد به وجهه.

وقيل: إن الآية وردت للرد على الملائكة، وذلك أن الله تعالى أنزل

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦]، فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء، فأخبر الله تعالى عن أهل السماء والأرض، أنهم يموتون فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]؛ لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت.

والذي حمل أهل السنة على تأويل هاتين الآيتين، إنما فعلوا ذلك توفيقًا بينهما وبين النصوص المحكمة، الدالة على بقاء الجنة، وعلى بقاء النار أيضًا.

الدليل الثاني للمعتزلة: في أن الجنة والنار ليستا موجودتين الآن، استدلوا بحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**»(١)، ومثله

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٦٣)، وفي «الأوسط» (٤١٧٠)، و «الصغير» (٥٣٩)، والبزار في «مسنده» (١٩٩٢)، وابن عساكر في «التاريخ» (٦/ ٢٥٠) و (٦/ ٢٥١): من طريق سيار بن حاتم، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ. فذكره.
وقال الترمذيُّ: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود».اهـ
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٩١): «وفيه عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبة الكوفي، وهو ضعيف».
قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٧٦): «أبو القاسم، هو عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود، وعبد الرحمن هذا لم يسمع من أبيه، وعبد الرحمن بن إسحاق هو أبو شيبة الكوفي واهٍ، ورواه الطبراني أيضا بإسناد واهٍ من حديث سلمان الفارسي ولفظه: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في الجنة =

حديث جابر ﷺ عنه مرفوعًا: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ»(١).

ووجه الاستدلال: أن القيعان تكون لشيء غير موجود، ولو كانت مخلوقة مفروغًا منها، لم تكن قيعاناً، ولم يكن لهذا الغراس معنى، ولقال: طيبة الثمرة، ولم يقل: طيبة التربة؛ هذا دليلهم.

وأجيب بأن قوله: «طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ وَعَذْبَةُ المَاءِ وَقِيعَانٌ» دليل على وجودها، فتربتها موجودة، والحادث إنما هو غرسها فقط، فالحديث صريحٌ صريحٌ في أن أرض الجنة مخلوقة، وأنه بسبب ذلك الذِّكْر ينشئ الله - سبحانه - لقائله منه غراسًا في تلك الأرض.

ومن أدلتهم: قول الله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، ووجه الدلالة: أنها قالت: ﴿ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا﴾ [التحريم: ١١] ولم تقل: بيتًا مبنيًّا، فدل على أنها لم تُخلق، إذ

= قيعانا فأكثروا من غرسها». قالوا يا رسول الله وما غرسها؟ قال: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر». انتهى كلام المنذري. اهـ، لكنَّ الحديث قوَّاه الألباني في «الصحيحة» (١٠٥)، لشواهده.

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٤) و (٣٤٦٥)، والحاكم (١/ ٦٨٠، ٦٩٣)، والطبراني في «الصغير» (٢٨٧)، وأبو يعلى (٢٢٣٣)، وتمام في «الفوائد» (١/ ١٩ - ٢٠)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١٢٧)، كلهم من حديث أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ. فذكره.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير عن جابر. اهـ

قلت: وصححه ابن حبان (٨٢٦)، والحاكم (١٨٤٧)، والحديث صححه أيضًا الألباني لشواهده، كما في «الصحيحة» (٦٤).

من المحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوبًا: انسج لي ثوبًا

وأجيب: بأن غاية ما تدل عليه الآية، أنه لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها، وأنه لا يزال الله يُحْدِثُ فيها شيئًا بعد شيء، ولا تدل على أنها الآن معدومة، بل إن أرضها مخلوقة وبناء الغروس فيها بالأعمال المذكورة، والعبد كلما وسَّع في أعمال البر، وسَّع الله له في الجنة، وكلما عمل خيرًا غرس له به هناك غراسًا، وبُني له بناء، وأُنشئ له من عمله أنواعٌ مما يتمتع به.

ويجاب عن شبهتهم بجواب مجمل: وهو أن يقال: إن أردتم بقولكم: إنها الآن معدومة، بمنزلة النفخ في الصور، وقيام الناس من القبور، فهذا باطل، يرده المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصحيحة الصريحة، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها، وأنها لا يَزال اللهُ يحدث فيها شيئًا بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أمورًا أُخر، فهذا حق لا يمكن ردّه، وهو ما تشهد له الأدلة، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر.

مكان الجنة:

المعروف أن مكان الجنة في السماء، وأنها فوق السماء السابعة، وأن سَقْفَها عرشُ الرحمن، والنار في الأرض في أسفل سافلين، وتبرز يوم القيامة.

أما أبدية الجنة والنار:

هل الجنة والنار تبقيان مستمرتين أو لا؟

للناس في هذه المسألة أقوال:

القول الأول: أن الجنة والنار لا تفنيان أبدًا، ولا تبيدان مدى الدهور، فهما باقيتان بإبقاء الله لهما، وهذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف.

الثاني: أن الجنة باقية لا تفنى، أما النار فتفنى ولو بعد حين، وهذا قول جماعة من السلف.

والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرهما.

القول الثالث: أن الجنة والنار تفنيان جميعًا، وهذا قول الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط، لا من الصحابة، ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، ولا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة، وكفّروه به، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض[1].

شبهة الجهم:

وهي شبهة عقلية وهي كالآتي: الجنةُ والنار حادثتان، وما ثبت حدوثه؛ ثبت فناؤه؛ واستحال بقاؤه، قال: ولو قلنا: إنهما مستمرتان باقيتان؛ لشاركتا الله في بقائه، والذي يبقى هو الله وحده.

وَيُرَدُّ عليه: بأن بقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل لإبقاء الله لهما، وأما بقاء الله - سبحانه - فهو واجب لذاته.

---

(١) انظر: «الرد على من قال بفناء الجنة والنار» لابن تيمية ط: بلنسية، و «شرح الطحاوية» (٢/ ٦٢٤)، و «رفع الأستار» للصنعاني.

وشبهة الجهم مبنية على أصله الفاسد، الذي اعتقده، وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، وهذا الأصل هو عمدة أهل الكلام المذموم، الذي استدلوا به على حدوث الأجسام، وحدوث ما لم يخل من الحوادث، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم .

مبحثٌ في أبدية النار ودوامها : وهي ترجع إلى القولَيْن السابقَيْن:

القول الأول: أن النار دائمة مؤبدة، لا تفنى، ولا تبيد، وأن الله يُخرج منها من يشاء، وهم عصاة الموحدين، ويبقي فيها الكفار بقاء سرمديًّا لا انقضاء له، وهذا قول جمهور السلف والخلف .

القول الثاني: أن الله يُخرج من النار من يشاء، كما ورد في الحديث، ثم يبقيها شيئًا، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمدًا تنتهي إليه.

واستدل أصحاب القول الثاني بالاستثناء في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧]، وقالوا -أيضًا -: وكل نص يقتضي الخلود في النار، فهو قابل لأن يُسلَّط عليه الاستثناء.

ومن أدلتهم: قالوا: التعذيب والخلود مرادٌ به طول المكث.

ومن أدلتهم: قالوا: غلة رحمة الله على غضبه؛ كما ورد في الحديث .

ومن أدلتهم: التعبير عن مدة العذاب بما يفيد التحديد.

ومن أدلتهم: دوام الجنة، قالوا: دوام الجنة مقتضى الحكمة، بخلاف النار.

ومن أدلتهم: أن الإحسان مقصود لذاته، والعذاب مقصود لغيره، وما كان مقصودًا لغيره، فإنه ينتهي.

وهناك أقوال أخرى في النار:

فمن الناس من قال: إنها يدخلها قوم ثم يخرجون منها، ويخلفهم آخرون، وهذا قول اليهود.

ومنهم من قال: إنها تفنى، وهذا قول الجهم.

ومنهم من قال: تفنى الحركات، وهذا قول أبي الهذيل العلاف.

وهذه كلها أقوال باطلة، والصواب القول الأول، وهو أن النار مؤبدة، باقية، لا تفنى أبد الآباد؛ لأن الله أخبر بذلك؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقال سبحانه: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبإ: ٢٣]؛ والأحقاب: المُدد الطويلة التي لا تنتهي؛ كلما انتهى حقب، يعقبه حقبٌ، وهكذا إلى ما لا نهاية، وهذا هو الصواب الذي عليه المحققون من السلف من أهل السنة، وهو الذي عليه الصحابة والتابعون.

معتقد أهل السنة والجماعة في خلق الجنة والنار[1]

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: **(وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبدًا، وَلَا تَبِيدَانِ، وَإِنَّ اللهَ - تَعَالَى- خَلَقَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا)**:

الشرح

هذا معتقد أهل السنة والجماعة؛ أن الله خلق الجنة والنار وأبقاهما، وخلق لهما أهلًا، وهذا القدَر السابق، فالله تعالى قدر أهل السعادة وأهل الشقاوة، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو أن النبي قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ**»[2].

فأهل السعادة مقدرة سعادتهم، وأهل الشقاوة مقدرة شقاوتهم، ولكن الله يسر كلًا لما خلق له، فأهل السعادة يسّر اللهُ لهم عمل أهل السعادة، وأهل الشقاوة يسّر لهم عمل أهل الشقاوة، كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥-١٠].

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٦٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

دخول المومنين الجنة بفضل الله

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: **(فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ):**

الشرح

فمن شاء إلى الجنة، صار إلى الجنة، فضلًا من الله وإحسانًا عليهم بالنعمة، ووفقهم وخصهم بنعمة دينية، لم يعطها الكافر؛ لأنه - سبحانه - عليم بالمحال التي تصلح لغرس الكرامة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٦]، وقال سبحانه: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحُجرَات: ٨]، وقال سبحانه: ﴿...وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحُجرَات: ٧-٨]، فالمؤمن: مَنْ خصه الله بنعمة دينية ليست في الكافر، وأما الكافر، فإن الله خذله عدلًا منه وحكمة، ولم يظلمه - سبحانه -؛ لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه - كما سيأتي تفصيله -.

كل يصير إلى ما قدر له

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ):

الشرح

هذا قَدَرٌ مكتوبٌ مفروغ منه، وكلٌّ يصير إلى ما قدر له، والله - تعالى - ييسر كلًّا لما خُلق له.

الخير والشر مقدران على العباد

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى العِبَادِ):

الشرح

يعني: أنَّ الخير والشر، والحسنات والسيئات؛ مقدَّران على العباد.

الاستطاعة تكون مع الفعل وقبله[1]

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ المَخْلُوقُ بِهِ، فَهِيَ مَعَ الفِعْلِ، وَأَمَّا الاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ، وَسَلَامَةِ الآلَاتِ، فَهِيَ قَبْلَ الفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]:

الشرح

هذا المبحث يسمى مبحث الاستطاعة، والاستطاعةُ، والطاقةُ، والقدرةُ، والوسعُ؛ بمعنى واحد.

الاستطاعة: هي كون الإنسان يستطيع أن يفعل الشيء .

وهل الاستطاعة والقدرة نوع واحد، أو نوعان؟

الناس لهم في ذلك ثلاثة مذاهب:

الأول: أن الاستطاعة والطاقة والقدرة؛ نوع واحد فقط، وهي التي تكون مقارنة للفعل، بمعنى: التوفيق للفعل، وهذا مذهب الجبريةُ الجهميةُ، والأشاعرةُ فإنهم يقولون: الاستطاعة، والطاقة، والقدرة نوعٌ واحد تكون مع الفعل، أما قبل الفعل فلا[2].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٢٩- ١٣٠)، (٨/ ٢٩٠- ٢٩٢)، «منهاج السنة» (١/ ٣٦٩-٣٧٣)، و«درء التعارض» (٩/ ٢٤١).

(٢) انظر: «الملل والنحل» (١/ ٨٥)، و«الإرشاد» للجويني (ص٢١٩-٢٢٠).

المذهب الثاني: أنها نوع واحد، ولكنها تكون قبل الفعل، ومعناها: توفر الأسباب، والآلات، وهذا مذهب القدرية والمعتزلة[(١)].

المذهب الثالث: أن الاستطاعة نوعان: نوع يكون مع الفعل، بمعنى: التوفيق والقدرة، ونوع يكون قبل الفعل بمعنى: توفر الأسباب والآلات، فكأنَّ أهل السنة أثبتوا النوعين.

المقارنة بين النوعين:

الفَرْقُ الأول: أنَّ الأولى ليست مناط التكليف، فلا يتعلق بها خطاب الشارع؛ فليست مناطَ التكليف، فالله - تعالى - لا يكلف العبد إلا إذا كانت معه الثانية.

والثانية: هي مناط التكليف، وبها يتعلق الخطاب، فإذا فقدت الثانية؛ لا يكلف العبد.

الفرق الثاني: أنَّ الأولى - وهي الاستطاعة التي بمعنى التوفيق - تكون مع الفعل، فلا تتقدمه، والثانية قد تتقدم الفعل، وقد تصحبه.

الفرق الثالث: أنَّ الأولى خاصة بالمؤمن، والثانية عامة للمؤمن والكافر .

الفرق الرابع: أنَّ الأولى ليست صفة للمخلوق، بل هي صفة لله؛ فإن الله - تعالى - هو الموفق للفعل، والثانية صفة للمخلوق، وهي: توفر الأسباب والآلات.

الفرق الخامس: أنَّ الأولى لا يتخلف عنها الفعل، فإذا وُجدت فلا بد

---

(١) انظر: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٣٠٠).

للفعل أن يحصل، والثانية قد يتخلف عنها الفعل، فيحصل، أو لا يحصل

الفرق السادس: أنَّ الأولى ضدها الخذلان، والثانية ضدها العجز.

فهذه ستة فروق، إذا عرفتها وضبطتها؛ تبين لك الحق، وعرفت الفرق بينهما، وزال عنك اللبس.

ومن أدلة الجبرية: التي استدلوا بها على أن الاستطاعة والطاقة والقدرة، نوع واحد فقط: قولُ الله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، فقالوا: وقوله سبحانه: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠]؛ يعني: لم يوفق لهذه الاستطاعة التي هي القدرة الموافقة للفعل؛ لأن الله خذلهم، فلم يوفقهم لسماع القبول والتنفيذ.

والرد عليهم نقول: هذا صحيح، نثبت النوع الأول للقدرة، لكن هناك نوع آخر أثبتته الأدلة الأخرى، ومنه قول الخضر لموسى ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]، فالمعنى: إنك لن تقدر أن تسكت؛ لأن ما تراه مخالفًا لظاهر الشرع؛ لأن موسى كان عنده أسباب وآلات يستطيع بها الصبر، فالمرادُ: حقيقة قدرة الصبر، لا أسباب الصبر وآلاته، بدليل أنه عاتبه على ذلك، ولا يُلام مَن عَدِم آلات الفعل وأسبابه على عدم الفعل، وإنما يلام من امتنع من الفعل لتضييع قدرة الفعل، لاشتغاله بغير ما أُمِر به أو لعدم شغله إياها بفعل ما أُمِر به.

وأما المعتزلة: فاستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]؛ قالوا: فهذه الاستطاعة بمعنى: توفر الأسباب والآلات.

ولو كان المراد بها الاستطاعة التي مع الفعل كما تقول الجبرية، لم

يكن الله قد أوجب الحج إلا على من حج، وأما من لم يحج، فلا يطالب بالحج، وهذا باطل، فدل على أن المراد بالاستطاعة توفر الأسباب والآلات.

ومثله - أيضًا - قول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، أوجب الله التقوى على المستطيع، والمراد بالمستطيع الذي معه القدرة على التقوى، وليس المراد المستطيع الذي فعل التقوى في الحال، وإلا لم تكن الاستطاعة واجبة إلا على من اتقى بالفعل، فدل على أن المراد بالاستطاعة، الاستطاعة بمعنى توفر الأسباب والآلات.

ومن أمثلة ذلك: قول الله تعالى عن المنافقين: ﴿لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ﴾ [التوبة: ٤٢]، فالمنافقون في غزوة تبوك تأخروا، فلما أنكر عليهم المسلمون قالوا: لا نستطيع ﴿لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ﴾ [التوبة: ٤٢]، وهم عندهم أسباب وآلات، يستطيعون الخروج بها، فلو كان المراد بالاستطاعة نفس الفعل، لما كذبهم الله في قوله: ﴿يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢] فدل على أن المراد بالاستطاعة: الأسباب والآلات.

والجواب: أجاب أهل السنة بأن الأدلة التي استدل بها الجبرية تُثبت النوع الأول من القدرة، والأدلة التي استدل بها القدرية والمعتزلة تُثبت النوع الثاني، وكل من الاستطاعتين حق، وقالوا لهم: أنتم أيها الجبرية أثبتم نوعًا من الاستطاعة، واستدللتم له بالأدلة، وهذا حق، لكن الباطل: كونكم أنكرتم النوع الثاني من الاستطاعة، وقالوا للقدرية والمعتزلة: وأنتم أثبتم نوعًا من القدرة والاستطاعة، وهي: الاستطاعة بمعنى: توفر الأسباب، وهذا حق، والنوع الأول لم تثبتوه، وهذا باطل، وأما نحن فنثبت نوعي الاستطاعة، ونستدل بأدلتكم -أيها الجبرية - على النوع

الأول، ونستدل بأدلتكم - أيها المعتزلة والقدرية - على النوع الثاني، وبذلك تتفق الأدلة ولا تختلف.

والاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به؛ فهي مع الفعل.

لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلا وُسْعَهَا

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]):

الشرح

قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]، معناه: أن الذي عنده وسع وقدرة وطاقة وأسباب وآلات، فإنه يكلَّف، وإذا فُقدت الأسبابُ والآلات، فلا يكلف؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - لا يكلف إلا المستطيع.

أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد[1]

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللهِ وَكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ):

الشرح

هذا معتقد أهل السنة والجماعة؛ أن الله - تعالى - خلق أفعال العباد، والعباد باشروها مختارين، فصاروا بها عصاة ومطيعين، فأفعال العباد من الله؛ خلقًا وتقديرًا، ومن العبد؛ فعلًا، وتسببًا، وكسبًا، ومباشرةً.

وهناك مذهبان آخران:

المذهب الأول: مذهب الجبرية؛ قالوا: إن الأفعال هي أفعال الله، والعباد مجبورون على أفعالهم، فالله هو المصلي وهو الصائم، ولكن العباد وعاء للأفعال، فهم كالكوز الذي يصب فيه الماء؛ فالعباد كُوب، والله كصباب الماء فيه؛ لأن الله أجبرهم على ذلك، وتجري الأفعال على أيديهم اضطرارًا، لا اختيار لهم في ذلك[2].

المذهب الثاني: مذهب المعتزلة والقدرية، ومذهبهم عكس مذهب الجهمية؛ قالوا: أفعال العباد اختيارية، بل زادوا على ذلك، وقالوا: هم الذين خلقوا أفعالهم؛ والله لا يقدر على خلق أفعال العباد، فالعباد هم الذين خلقوا الطاعات والمعاصي، وخلقوا الخير والشر، وباشروها، وخلقوها، وأوجدوا أفعالهم؛ ولذلك يجب على الله أن يثيب المطيع؛ لأنه هو الذي خلق فعله، والمطيعُ حينما يفعل الحسنات فهو كالأجير، والأجير

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ١١٩-١٢٩)، و«منهاج السنة» (١/ ٣٢٢-٣٢٦).

(٢) انظر: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٣٨).

يجب إعطاؤه أجره؛ ولذا: فيجب على الله أن يثيب المؤمنين، وأمّا العاصي فهو الذي خلق الشر والمعصية بنفسه، وتوعده الله بالنار، فيجب على الله أن ينفذ وعيده، وأن يخلده في النار(١).

وهدى اللهُ أهلَ السنة والجماعة للحق في هذا الباب فقالوا: إن الأفعال التي تصدر من العباد، تنقسم إلى قسمين:

- أفعال اضطرارية: وهذه تكون صفة للعباد، وليست أفعالًا لهم؛ كحركات المرتعش، والنائم، ونبض العروق وحركات الأشجار.
- أفعال اختيارية: وهي التي يفعلها الإنسان باختياره، كالقيام، والقعود، والسفر، والمجيء، وغير ذلك.

فأما الأفعال الاضطرارية فهذه ليست محلًّا للنزاع، فكل الطوائف الثلاث اتفقوا على أنها غير مقدورة للعبد، وأنها واقعة بغير اختياره.

أما الأفعال الاختيارية: فهذه محل الخلاف:

فالجبرية قالوا: حتى الأفعال الاختيارية اضطرارية؛ ليس للعبد فيها أيّ اختيار، وأمَّا المعتزلة والقدرية فقالوا: إنَّ العباد هم الذين خلقوها وأوجدوها مختارين، والله لم يقّدرها، ولا يستطيع خلقها.

وأهل السنة توسطوا، فقالوا: الأفعال الاختيارية هي خلْق الله، وهي فعل العباد، فهي تضاف إلى الله من جهة الخلق، وتضاف إلى العباد من جهة الكسب والتسبب والمباشرة، فهي من الله خلقًا وإيجادًا وتقديرًا، ومن العبد فعلًا وتسببًا وكسبًا ومباشرةً.

---

(١) انظر: «رسائل العدل والتوحيد» (١/١١٨).

واستدلَّ الجبرية: بقول الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وهذا في غزوة بدر لما أخذ النبي(١) قبضة من تراب، ثم رمى بها نحو الكفار، فلم يبق كافر إلَّا وقد أصابه من هذه القبضة شيء، ودخل في عينيه وفمه ومنخره، فأنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]؛ قالوا: إن الله نفى عن نبيه الرمي، فدل على أن العبد لا اختيار له.

وأجاب أهل السنة والجماعة أهل الحق فقالوا:

أنتم -أيها الجبرية - أغمضتم أعينكم عن الحق، وفتحتم أعينكم لما يناسبكم من الآية، فالآية فيها إثبات الرمي للرسول، ونفي الرمي عنه؛ فالرمي نوعان: نوعٌ أثبته الله لنبيه هو: الحذف، والنوع الذي نفاه عن نبيه هو: الإصابة، فابتداء الرمي؛ حذفٌ، وانتهاؤه؛ الإصابة، والمعنى حينئذٍ: وما أصبتَ إذْ حذفتَ، ولكنَّ الله أصاب .

قال الجبرية - أيضًا -: ومما يدل على أن أفعال العباد لا اعتبار لها، وأن الله تعالى لا يعتد بأفعال العباد، قول النبي في الحديث الصحيح: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَداً عَمَلُهُ الجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ لَا: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»(٢)، ووجه الدلالة؛ قالوا: الباءُ في

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٤٤٤)، و «الدر المنثور» (٤/ ٤٠ - ٤١) تفسير آية الأنفال، و «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٦٧٢- ١٦٧٤)، و «تفسير الطبري» (٩/ ٢٠٣- ٢٠٥)، و «لباب النقول» (ص ١٠٨، ١١٢)، و «مجمع الزوائد» (٦/ ٧٣- ٧٤) و (٦/ ٧٨، ٨٤، ١٨٢، ١٨٥)، و «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٨- ٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) واللفظ له، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة ﷺ، وله عند مسلم، عن أبي هريرة طرقٌ، وقد أخرجاه بنحوه من حديث عائشة =

قوله: «لَا يَدْخُلُ أَحَدُكُمُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ» باء السبب، والتقدير: لن يدخل أحدكم الجنة بسبب عمله، فالله تعالى لم اعتبر العمل شيئًا، ولم يعتبره سببًا، وإنما دخول الجنة بمحضِ فَضْلِ الله؛ فدلَّ على أن العباد ليس لهم أفعال.

أما القدرية والمعتزلة: الذين يقولون: العباد خالقون لأفعالهم، والله تعالى لا يقدر عليها، فقد استدلوا بقول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]؛ قالوا: الآية دليل على أن هناك خالقين مع الله، إلا أن الله أحسنهم وأجودهم خلقًا، فدل على أن العباد خالقون مع الله، إلا أن الله أحسن خلقًا وأجود.

وقالوا: مما يدل على أن العباد هم الذين خلقوا أفعالهم؛ قول الله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]؛ قالوا: الباء باء العِوَض، والمعنى: ادخلوا الجنة عوضًا عن عملكم، فدل على أن الأعمال عوض؛ لأن العباد خلقوها وأوجدوها باختيارهم، فوجب على الله أن يعوضهم عنها الثواب، كما يعوض الأجير أجرته .

فأجاب أهل السنة: قالوا: أنتم - أيها المعتزلة والقدرية - ضللتم في تفسير هاتين الآيتين، كما أن إخوانكم من الجبرية ضلوا أيضًا، أما قول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]:

فالخلق نوعان:

النوع الأول: الإنشاء والاختراع، وهذا لا يقدر عليه إلا الله، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

= أيضًا، وأخرجه مسلم وحده بنحوه، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما

النوع الثاني: الخلق بمعنى التصوير والتقدير، وهذا هو الذي يثبت للمخلوق، ومعنى الآية: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] يعني أحسن المقدرين المصورين، لا المنشئين المخترعين.

فالإنشاء والاختراع لا يكون إلا لله، لكن التقدير والتصوير، فإنه يقدر عليه المخلوق؛ كما قال الله - تعالى - عن عيسى: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ [المائدة: ١١٠] فتخلقُ: يعني: تقدر وتصور، فعيسى -عليه السلام- يصور ويقدر الطين كهيئة الطير، وينفخ فيه، والله - تعالى- يخلق فيه الروح؛ ولهذا قال الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

فالشاعر هنا يمدح، ويقول: (ولأنت تفري)؛ يعني: تنفذ ما خلقتَ؛ يعني: ما قدرتَ وصورتَ، وبعض القوم يخلق، ثم لا يفري.

وأما الباء - فأنتم أيها المعتزلة - ضللتم كما ضل إخوانكم الجبرية؛ فإن الباء التي تأتي في الإثبات، غير الباء التي تأتي في النفي، فالباء التي تكون في الإثبات، هي باء السببية، والباء التي تكون في الجملة المنفية، هي باء العوض، فباء العوض في الجملة المنفية، كما في الحديث: «**لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ**»؛ فهذه باء العوض؛ لأنها في جملة منفية، والمعنى: لن يدخل أحدكم الجنة عوضًا عن عمله، فيستحق الجنة، كما يستحق الأجير أجره، بل الدخول برحمة الله، وأما الباء التي تكون في الجملة المثبتة، فهي باء السبب، كما في قوله سبحانه: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]؛ يعني: بسبب ما كنتم تعملون، فيكون دخول الجنة برحمة الله، ولكن له سبب وهو العمل، فمن جاء بالسبب؛ نال الرحمة، ومن لم يأت بالسبب؛ لم ينل الرحمة .

فالنصوص يُضَمُّ بعضُها إلى بعض، وبذلك تتفق وتتآلف ولا تختلف.

التكليف بحسب الطاقة

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ -تَعَالَى- إِلَّا مَا يُطِيقُونَ):

الشرح

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة؛ وهو أن الله - تعالى- لا يكلف العبد إلا ما يستطيع؛ قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطَّلَاق: ٧]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦].

وهل يكلف الله العبد بشيء لا يطيقه[(١)]؟

اختلف الناس في هذا على مذاهب:

المذهب الأول[(٢)]: مذهب الأشعرية وبعض المعتزلة ببغداد والبكرية أتباع بكر ابن أخت عبدالواحد بن زيد؛ قالوا: إن تكليف ما لا يطاق جائز عقلًا، وذلك كالجمع بين الضدين، وقلب الأجناس؛ كجعل الشجر فرسًا، أو الفرس إنسانًا، أو الحيوان نباتًا، وإيجاد القديم وإعدامه، قالوا: لكن هل ورد به الشرع؟ تردد أصحاب أبي الحسن الأشعري هل ورد به الشرع فوقع أم لا؟ على قولين:

استدل من قال: إنه وقع بقصة أبي لهب قالوا: فإن الله أمر أبا لهب بالإيمان مع أن الله أخبر بأنه لا يؤمن، وأنه سيصلى نارًا ذات لهب، فأبو لهب مكلف بأن يؤمن بالقرآن، وفي ضمن القرآن أن يؤمن بأنه لا يؤمن، فكان أبو لهب مكلفاً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن، وهذا تكليف بالجمع بين

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٠٢-٣٠٣)، و«درء التعارض» (١/ ٦٣-٦٤).

(٢) انظر: «الإرشاد» (ص٢٢٦).

الضدين، وهو محال لا يطاق.

والجواب: لا نسلم بأن أبا لهب مأمور بأن يؤمن بأنه لا يؤمن، بل هو مأمور بالإيمان، والاستطاعةُ التي بها يقدر على الإيمان؛ التي هي بمعنى توفر الأسباب، والآلات: كانت حاصلةً له؛ فهو غير عاجز على تحصيل الإيمان، فما كلف إلا ما يطيقه.

واستدلوا بقول الله تعالى للملائكة: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [البَقَرَة: ٣١]، وبقول الله تعالى للمصورين في الحديث القدسي: «**أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»[(١)] قالوا: هذا تكليف ما لا يطاق.

أُجيب: بأن الأمر في الآية والحديث، ليس بطلب فعل يثاب فاعله، ويعاقب تاركه، فليس بتكليف، بل هو خطاب تعجيز.

واستدلوا بدعاء المؤمنين في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦].

وأُجيب: بأنه لا يلزم من ذلك أن يُكلَّف الإنسانُ ما لا يستطيعه، والمعنى: لا تصبنا بشيء يهلكنا، أي: لا تصبنا بما نعجز عن طاقته فنهلك.

المذهب الثاني: قالوا: يجوز التكليف بالمستحيل العادي دون المستحيل العقلي؛ أي يجوز تكليف الممتنع عادة بما يتصور العقل وجوده من خارق للعادة على يد نبي أو ولي، دون الممتنع لذاته أي عقلًا؛ وهو ما لا يتصور العقل وجوده أصلًا كالجمع بين الضدين .

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٠٥)، ومسلم (٢١٠٧) من حديث عائشة ﵂، وأخرجه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨) من حديث ابن عمر ﵄.

المذهب الثالث: قالوا ما لا يطاق للعجز عنه -وهو المستحيل العادي والعقلي- لا يجوز التكليف به، وما لا يطاق للاشتغال بضده؛ كاشتغاله بلعب القمار أو الكرة عن الصلاة؛ فإنه يجوز التكليف به.

وهؤلاء موافقون للسلف والأئمة في المعنى، لكن تسميتهم ما يتركه العبد بـ«ما لا يطاق؛ لكونه مشتغلًا بضده»؛ بدعة في الشرع واللغة[(١)]، فإن مضمونه أن فعل ما لا يفعله العبد لا يطيقه، وهم قد التزموا هذا لقولهم: إن الطاقة والاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل، فقالوا: كل من لم يفعل فعلًا فإنه لا يطيقه.

وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف، وخلاف ما عليه عامة العقلاء؛ لأن ما يقدر الإنسان على فعله وتركه، هو مناط التكليف، بخلاف ما لا يكون إلا مقارنًا للفعل؛ فذلك ليس شرطًا في التكليف، والتعبير السليم أن يقال: ما لا يطاق للعجز عنه، لا يجوز التكليف به، وما عداه فيجوز التكليف به.

ومن أدلة هذا القول قول الله - تعالى -: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله - عليه الصلاة والسلام -: «**بُعِثْتُ بِالحَنَفِيَّةِ السَّمْحَةِ**»[(٢)]، وقوله ﷺ: «إِنَّ

---

(١) انظر: «درء التعارض» (١/ ٦٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٦)، والطبراني (٧٨٦٨) من حديث أبي أمامة، ولفظه: «إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية، ولكن بعثت بالحنيفية السمحة، والذى نفسى بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم =

الدِّين يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ[(١)].

= في الصف خير من صلاته ستين سنة».
قال الهيثمي (٥/ ٢٧٩): «فيه على بن يزيد الألهانى وهوضعيف». كذا اقتصر على إعلاله بالألهاني، مع أن في إسناده عندهما مُعان بن رفاعة، قال الحافظ في «التقريب» (٦٧٤٧): «لين الحديث، كثير الإرسال». والحديث ضعّفه أيضًا العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ١٠٦٠)، والعيني في «عمدة القاري» (١٤/ ٩٢).
وبوب الإمام البخاري في صحيحه (باب: الدين يسر وقول النبي ﷺ: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»).
قال الحافظ في «فتح الباري» (١/ ٩٤): «وصله في كتاب الأدب المفرد وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس وإسناده حسن». اهـ وقوَّاه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٨٨١)، لشواهده، وانظر أيضًا «المقاصد الحسنة» (٢١٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

استطاعة الإنسان أكثر مما كلف به

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا يَطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ):

الشرح

● **قوله: (وَلَا يَطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ):**

معنى هذا الكلام أن الإنسان لا يستطيع أكثر مما كُلِّفَ به، وهذا باطل؛ لأنه يعني: أن الإنسان لا يستطيع الزيادة على الصلوات الخمس، وكذا باقي العبادات؛ فلا يستطيعون أن يصوموا أكثر من شهر، ولا يستطيعون أن يحجوا إلا مرة واحدة في العمر، وهذا ليس بصحيح.

فلو كلفنا الله بست صلوات، أو سبع عشرة صلاة؛ لاستطعنا، ولو كلفنا الله بأكثر من صيام ثلاثين يومًا؛ لاستطعنا، ولو كلفنا الله بالحج أكثر من مرة؛ لاستطعنا، لكن الله لطف بنا، ويسّر، وسهّل، قال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ**».

فقول الطحاوي هذا غلط يتمشى مع مذهب الجبرية، الذين يقولون: إن الطاقة والوسع لا تكون إلا مع الفعل، فهذا من أخطائه عفى الله عنا وعنه.

تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله

◆ قال المؤلف رحمه الله: (وَهُوَ تَفْسِيرُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ):

الشرح

لا حول ولا قوة إلا بالله؛ يعني: لا تَحَوُّلَ من حالٍ إلى حالٍ، ولا قوة للإنسان على فعل ذلك؛ إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة، وهي كنز من كنوز الجنة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال لأبي موسى: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»[1].

فهذه الكلمة كنز من كنوز الجنة، ولها تأثير عظيم في تخفيف الحزن والألم والمصائب عن العبد، فلا يستطيع الإنسان أن يتحول من حال إلى حال، أو من الشر إلى الخير، أو من المعصية إلى الطاعة، أو من الذنب إلى التوبة -ولا قوة لك على ذلك- إلا بالله ﷻ.

فإذا وفقك الله وأعانك؛ تحولتَ من المعصية إلى الطاعة، وتحولتَ من الذنب إلى التوبة، وقوَّاك اللهُ على ذلك؛ بأن وفقك وهداك وقذف في قلبك النور والهداية، وجعلك تقبل الحق وترضاه وتختاره وتريده، وقذف في قلبك الإرادة والقوة على ذلك، وأعانك: فإنك تستطيع ذلك بإذن الله، وتوفيقه. هذا معنى: لا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٢) وفي مواضع أخرى من الصحيح، ومسلم (٢٧٠٤) واللفظ لَهُ. وفي الباب أيضًا عن أبي ذر، وأبي أيوب الأنصاري، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة. انظر: «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٢)، وانظر: أيضًا «مجمع الزوائد» (١٠/ ٩٨- ٩٩).

لا تحول من المعصية إلى الطاعة إلا بمعونة الله

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: (نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ):

الشرح

كما سبق من أنه لا تحول من المعصية إلى الطاعة إلا بمعونة الله وتوفيقه.

إقامة طاعة الله والثبات عليها بتوفيق الله

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ):

الشرح

لا قدرة للإنسان على إقامة الطاعة والثبات عليها والاستقامة عليها، إلا بالله، فالله تعالى هو الموفق للخير والطاعة، وهو المُثَبِّتُ لعبده المؤمن، نسأل الله تعالى أن يثبتنا على دينه حتى الممات .

كل شيء يجري بعلم الله وقضائه وقدره

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ):

الشرح

سبق الكلام على هذا وأن كل شيء يجري بعلم الله وقضائه وقدره، وأن الله تعالى سبق علمُه بالأشياء قبل كونها، وكتبها في اللوح المحفوظ.

مشيئة الله تعالى

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ المَشِيئَاتِ كُلَّهَا)**:

الشرح

هذا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]، ولهذا يقول المسلمون: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان: ٣٠]، غلبت مشيئة الله وإرادته الإرادات كلها؛ فمشيئة الله لا تُغَالَبُ، وإرادة الله لا يغلبها شيء، بل ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] أما العبد فإن مشيئته وإرادته تابعة لمشيئة الله وليست مستقلة.

غلب قضاء الله الحيل كلها

◆ قال المؤلف رحمه الله: (غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ المَشِيئَاتِ كُلَّهَا وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّهَا):

الشرح

لا شك أن قضاء الله غلب الحيل، ولو احتال العباد ودبروا الحيل وأعملوا المكائد في أن يغيروا شيئًا أراد الله أن يكون، فلن يستطيعوا، كما قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: ٢].

وقال النبي في حديث ابن عباس: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) من طريق: حنش الصنعاني، عن ابن عباس، قال: «كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: يا غلام»، وذكر الحديث. قال الترمذيُّ: هذا حديث حسن صحيح. اهـ.
وتكلم الحافظ ابن رجب في «شرح الأربعين النووية» في الحديث (١٩) على الحديث، وقال: «أصحُّ الطرق كلها طريقُ حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي». اهـ، وصححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٢٩٧- ط السابعة).

تنزيه الله عن الظلم[1]

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا)

الشرح

يفعل الله ما يشاء وهو غير ظالم أبدًا، وفعله مبني على الحكمة، ليس فعله بالإرادة فقط، كما يقوله المعتدون الجبريةُ، بل فعله مبني على الحكمة؛ فهو يفعل ما يشاء؛ لأنه حكيم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٦] وهو لا يوصف بالظلم أبدًا.

معنى الظلم:

والظلم عند أهل الحق وهم أهل السنة والجماعة قالوا: حقيقة الظلم الذي نَزَّه الله نفسه عنه، هو وضع الشيء في غير موضعه، كأن يمنع أحدًا من ثوابه، أو أن توضع عليه سيئات غيره، أو كأن ينقص من حسنات الإنسان.

وقد نزه الله نفسه عن الظلم، ونفاه عن نفسه فقال: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢]، وكما جاء في الحديث القدسي، من حديث أبي ذر أن ربك - سبحانه وتعالى - قال: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَّالَمُوا»[2].

فهذه حقيقة الظلم الذي نزه الله نفسه عنه، عند أهل الحق: أهل السنة

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/ ١٧٥) وما بعدها.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

والجماعة.

وفي المسألة مذهبان آخران:

المذهب الأول: مذهبُ الجبرية وهم الأشاعرة والجهمية، قالوا في تعريف الظلم الذي نـزه الله نفسه عنه: الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة، ويمتنع أن يكون في الممكن المقدورِ ظُلْمٌ، بل كل ما كان ممكنًا فهو منه - لو فعله - عدلٌ، ولا يكون ظلمًا.

إذن: فالظلم عند الجبرية، ممتنع ومستحيل على الله، كامتناع العجز والموت عنه سبحانه، والظلم عندهم هو المحال الممتنع لذاته، كالجمع بين الضدين، وكون الشيء موجودًا معدومًا.

وكل ممكن عندهم فليس بظلم، ولله أن يفعله، وهو غير ظالم؛ ولذا قالت الجبرية: لو قلب الرب التشريعَ والجزاءات، فجعل الزنا واجبًا، والعفة حرامًا؛ لما كان ظالمًا، ولو عذب رسله وأنبياءه وأولياءه أبد الآبدين، وأبطل جميع حسناتهم، وحملّهم أوزار غيرهم وعاقبهم عليها، وأثاب المجرمين والعصاة والكفرة طاعاتِ الأنبياء والأبرار، وحرم ثوابها فاعِلَها؛ لكان ذلك عدلًا محضًا، فإن الظلم من الأمور الممتنعة لذاتها في حق الرب، وهو غير مقبول له، بل هو كقلب المحدث قديمًا والقديم محدثًا، وهذا قول جهم ومن اتبعه من المتكلمين.

وشبهتهم: قالوا: الظلم لا يكون إلا من مأمور من غيره منهي، والله ليس كذلك، والظلم إما التصرف في ملك الغير بغير إذنه، وإما مخالفة الآمر، وكلاهما في حق الله تعالى محال؛ فإن الله مالك كل شيء، فهو مالك العباد؛ يتصرف في ملكه كيف يشاء، والذي يتصرف في ملكه ليس بظالم، والظلم إنما يكون من مخالفة الآمر، والله ليس فوقه آمر

تجب طاعته.

والجواب على هذا أن نقول: هذا التعريف مخالف للغة العربية، بل لا وجود له، ولو كان الظلم هو الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة، لما نفاه عن نفسه وقال: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]، فهل يُنفى شيءٌ لا وجود له؟! وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢]؛ فهل يخاف الإنسانُ الممتنعَ المستحيلَ؟! بل كيف يحرم على نفسه شيئًا ممتنعًا فيقول: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي...»(١)؟!

وقولكم: إن الظلم لا يكون إلا من آمرٍ؛ ناهٍ. نقول: نعم؛ الله - تعالى - مأمور منهي، لكن من قِبَل نفسه؛ فهو يأمر نفسه وينهاها سبحانه وتعالى.

ومن أدلة الجبرية: استدلوا بقول الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قالوا: فهذا فيه أنه لا يُسأل عما يفعل؛ فهو يفعل بقدرته ومشيئته؛ أي: بقهره وسلطانه.

والجواب أن نقول: معنى الآية: لا يسأل عما يفعل؛ لكمال حكمته، وأما العباد فهم يسألون؛ لأنهم مأمورون مكلَّفون.

واستدلوا بحديث ابن مسعود: «مَا أَصَابَ الْعَبْدَ قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ - إلى قوله-

---

(١) سبق قبله.

إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَغَمَّهُ، وَأَبْدَلَ مَكَانَهُ فَرَحًا»(١).

وجه الاستدلال قالوا: إن قول النبي ﷺ: « عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ » يشمل كل قضاء يقضيه الله لعبده، وهذا يعم قضاء المصائب، وقضاء المعائب، وقضاء العقوبات على الجرائم.

وكذلك استدلوا بحديث ابن عباس الذي رواه أبو داود والحاكم في «مستدركه»، وفيه: «إِنَّ اللهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧، ٨ -تحقيق الحاشدي)، وصححه ابن حبان (٩٧٢)، والحاكم (١٨٧٧)، والبزار في مسنده (١٩٩٤)، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣١٨)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٢)، وأبو يعلى (٥٢٩٧).

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبدالله، عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه»، وقد تعقبه الذهبي فقال: «وأبو سلمة لا يُدرى من هو، ولا رواية له في الكتب الستة». ا هـ، وقال المنذري في «الترغيب» (٢/ ٣٨٣): رواه أحمد، والبزار، وأبو يعلى، وابن حبان في صحيحه، والحاكم كلهم عن أبي سلمة الجهني، عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن، عن أبيه. قال الحافظ لم يسلم، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٩)، وأجابَ عن قضيتيْ: الانقطاع، والجهالة، وأطال في ذلك.اهـ

(٢) لم أجده عند الحاكم، ولكن أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد (٥/ ١٨٢)، وصححه ابن حبان (٧٢٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٤٥)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٤٤). جميعًا من طريق أبي سنان، عن وهب بن خالد الحمصي، عن ابن الديلمي قال: «أتيت أبي بن كعب فقلت له وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي قال لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم، وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته =

والجواب أن نقول: معنى قوله: «إِنَّ اللهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ»: أي: أنَّ الله لو وضع عدله على أهل سماواته فحاسبهم بنعمه عليهم وأعمالهم؛ لصاروا مدينين له، وحينئذٍ: لو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم، لكنه لا يفعل هذا سبحانه، إنما يبتدرهم بنِعَم جديدة.

وأما قوله: «عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ» لا شك أن ما يقضيه الله للعبد كله خير ورحمة؛ مبني على الحكمة.

المذهب الثالث: مذهب القدرية: قالوا: في تعريف الظلم: كل ما كان من بني آدم ظلمًا وقبيحًا؛ يكون من الله ظلمًا وقبيحًا لو فعله، فعندهم الظلم الذي يصدر من العباد هو الظلم الذي يصدر من الرب لو فعله، فكل ما يسمى ظلماً من العبد، يسمَّى ظلماً من الرب، فهم مثلوا الله بخلقه، فقالوا: الظلمُ إضرارُ غيرِ مستحقٍ، أو عقوبةُ العبدِ على ما ليس منه، أو عقوبته على ما هو مفعول معه.

= خيرا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحدٍ ذهبا في سبيل الله ما قبله الله منك؛ حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار، قال ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك قال: ثم أتيت زيد ابن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك».

قال ابن رجب في «جامع العلوم» (ص ٢٢٣) في شرح الحديث (الرابع والعشرون) من الأربعين النووية: «في هذا الحديث نظر، ووهبُ بنُ خالدٍ ليس بذلك المشهور بالعلم. وقد يُحمل على أنَّه لو أراد تعذيبهم، لقدَّرَ لهم ما يعذِّبهم عليه، فيكون غيرَ ظالم لهم حينئذٍ». ا هـ، لكن وهب بن خالد الحمصي، ثقة؛ وثَّقَهُ أبو داود، والعجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، كما في «تهذيب التهذيب» (٢٧٥).
والحديث صححه الألباني في «ظلال الجنة» (٢٤٥).

قالوا: فلو كان الرب خالقًا لأفعال العباد، مريدًا لها، قد شاءها وقدرها عليهم، ثم عاقبهم عليها؛ لكان ظالمًا، ولا يمكن إثبات كونه سبحانه عدلًا لا يظلم، إلا بالقول بأنه لم يُرِدْ وجودَ الكفر والفسوق والعصيان، ولا شاءها، بل العباد فعلوا ذلك بغير مشيئة الله وإرادته، كما فعلوه بغير إذنه وأمره.

وعندهم أن الله لو وفَّق شخصًا وخذل آخر؛ لكان ظالمًا، ولو نسخ الله حكمًا بحكم؛ لكان جاهلًا ظالمًا، ويجب على الله عقلًا أن يثيب المحسن، وأن يعذب المسيء.

وهذا من أبطل الباطل؛ لأن هذا مبني على التحسين والتقبيح العقليين، والصواب: أن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فهذا هو الموافق للّغة العربية كما سبق.

ولذلك نفى الله - سبحانه وتعالى - الظلم عن نفسه في قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ [هود: ١٠١]، وقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]، ونفى خوف الظلم في قوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢] إذن: فالله - تعالى - حرم الظلم على نفسه.

وهذا يدل على أنه ممكن الوقوع، ولو كان لا يمكن، لما حرَّمه على نفسه.

وقد أنكر الله - بهمزة الاستفهام - على من حسب خلق الخلق عبثًا فقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] فتنزه سبحانه عن خلق الخلق عبثًا.

وكذلك قَوْلُهُ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم: ٣٥]، وقوله: ﴿أَمْ

نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨] إنكارٌ منه على من جوَّز أن يسوّي الله بين هذا وهذا، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١]. إنكارٌ على من حسب أنه يفعل هذا، وإخبار أن هذا حكم سيئ قبيح، وهو ممَّا ينزه الرب عنه، وبهذا يبطل مذهب الطائفتين الضالتين: الجبرية والقدرية.

تنزيه الله عن كل سوء وقبيح

◆ قال المؤلف رحمه الله: (تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ):

الشرح

تقدس: يعني: تنزَّه سبحانه وتعالى اسمه عن كل سوء وقبيح، والحَيْنُ: الهلاكُ؛ فهو سبحانه وتعالى حي لا يموت، وهو منزه عن الموت، ومنزه عن الهلاك، ومنزه عن كل سوء سبحانه وتعالى، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، له كل وصف جميل سبحانه وتعالى، وله الأسماء الحسنى التي سمى نفسه بها ووصف بها نفسه في الكتاب والسنة.

تنزيه الله عن كل عيب وشين

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: وتَنَـزَّهَ عَن كُلِّ عَيْبٍ وشَيْنٍ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

الشرح

تقدس وعلا عن كل عيب وشين ونقيصةٍ، سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] لكمال حكمته - سبحانه وتعالى - ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] أما العباد فإنهم يسألون؛ لأنهم مكلفون.

انتفاع الأموات بسعي الأحياء

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ)

الشرح

أي أن الأموات ينتفعون من دعاء الحي إذا دعا لهم وينتفعون من الصدقات، وهذه المسألة تسمى: إهداء الثواب للميت، وهل ينتفع بها أو لا ينتفع؟

المسألة فيها مذاهب[1]:

المذهب الأول: لأهل البدع وبعضهم ينسبه إلى المعتزلة قالوا: لا ينتفع الميت من سعي الحي إلا بما تسبب به في حياته؛ لأنه تابع لما عمله

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٤/٣١٦) وما بعدها، و «الفتاوى الكبرى» (٣/٢٧) وما بعدها، و «الروح» (ص٣٥٣)، و «شرح العقيدة الطحاوية» (٢/٦٦٤).

في حياته، وما لم يكن تسبب فيه في الحياة؛ فهو منقطع عنه، وذلك مثل وقف صدقة، ومثل علم؛ كمؤلفات ألفها، أو تلاميذ دَرَّسَ لهم وانتفعوا به، أومصاحف، أو كتب علمية طبعها، أو أولاد صالحين رباهم فدعوا له، كما جاء في الحديث: «**إِذَا مَاتَ الإنسانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَة: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[١].

المذهب الثاني: وهو منسوبٌ إلى المالكية والشافعية؛ قالوا: ينتفع الميت بما تسبب به في الحياة، وبالدعاء، والصدقة، والحج، وهي التي تسمى بالأعمال المالية التي تدخلها النيابة، أي يقولون: ينتفع الميت بشيئين:

الشيء الأول: ما تسبب به في الحياة - كما قال المعتزلة - والنوع الثاني: الأعمال المالية التي تدخلها النيابة مثل أن يدعو له إنسان، ومثل أن يتصدق عنه إنسان، ومثل الحج والعمرة، ومثل الأضحية، أما الأعمال البدنية فلا يستفيد منها مثل: الصلاة، ومثل: الطواف، ومثل: الذكر، ومثل: قراءة القرآن .

المذهب الثالث: أن الميت ينتفع بكل قربة يهديها إليه الحي، فينتفع بما تسبب به في الحياة، وينتفع بالأعمال المالية التي تدخلها النيابة، وهي: الدعاء، والصدقة، والحج، وينتفع أيضا بما يُهدى إليه من ثواب الأعمال الصالحة البدنية: كالصلاة، والصوم، وقراءة القرآن، والذكر، وهذا مذهب الحنابلة والأحناف، ولهذا يقول الحنابلة في هذا: «وكل قربة فعلها وجعل ثوابها لمسلم حي أو ميت؛ نَفَعَهُ» وكلمةُ (كل) من صيغ العموم؛ أي: سواء أكانت القربةُ بدنيةً أوعملية؛ فعلى هذا: إذا تصدق

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الإنسان بصدقة، ونوى ثوابها لقريبه الميت، أو غير قريبه، فإنه ينتفع بها عند المالكية والشافعية، وينتفع بها عند الأحناف والحنابلة، ولا ينتفع بها عند المعتزلة؛ لأنها ليست ممن تسببَ فيها .

أما الأعمال البدنية: كمن صلى ركعتين، أو صام يوما، أو قرأ القرآن؛ وقال: اللهم اجعل ثوابها للميت، فعند الشافعية والمالكية لا ينتفع بها، وعند الحنابلة والأحناف ينتفع بها.

وعلى هذا تكون لدينا مذاهب ثلاثة:

المذهب الأول: مذهب أهل البدع: لا ينتفع إلا بما تسبب به في الحياة.

المذهب الثاني: ينتفع بما تسبب به في الحياة، وبثواب الأعمال المالية، وهي ثلاثة أنواع: الدعاء، والصدقة، والحج فقط، أما ثواب الصلاة، وثواب قراءة القرآن، وثواب الذكر، وثواب الطواف بالبيت بدون حج أو عمرة فلا ينتفع بها.

المذهب الثالث: ينتفع بكل شيء يهدى إليه .

والصواب من هذه الأقوال هو مذهب المالكية والشافعية؛ ووجه الترجيح: أن هناك أدلة تدل على أن الميت ينتفع بالصدقة، وهناك أدلة تدل على أن الميت ينتفع بالحج والعمرة، وهناك أدلة تدل على أن الميت ينتفع بالدعاء، لكن ليس هناك دليل يدل على أن الميت ينتفع بصلاة ركعتين إذا صُليتا، أو طواف بالبيت مجردٍ ليست بحج ولا عمرة، أو تقرأ قرآنا وتهدي ثوابه، أو تصوم يوماً وتهدي ثوابه، إذ ليس على هذا دليل.

لكن الحنابلة والأحناف قالوا: بقياس ثواب الأعمال البدنية على ثواب الأعمال المالية، والشافعية والمالكية منعوا القياس فيها؛ وحُجَّتُهم أنَّ

العبادات ليس فيها قياس؛ لأن مبناها على التوقيف، والأصل في العبادات: الحظر والمنع، فقالوا: نحن نقف حيث وقفت النصوص، إلا أن الصوم الواجب يُقضى عنه، كالذي مات وعليه أيام من رمضان، أو مات وعليه صومُ نذرٍ أو كفارة؛ لقول النبي في حديث عائشة الصحيح الذي رواه الشيخان: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»(١) أما أن تصوم تطوعًا وتنوي ثوابه للميت؛ فليس عليه دليل واضح.

ومن أدلة أهل البدع والمعتزلة على أن الميت لا ينتفع إلا بما تسبب به في الحياة؛ قول الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩] قالوا: وجه الدلالة: أن الله حصر ملكية الإنسان لسعيه؛ فدلَّ على أنه لا ينتفع بسعي غيره.

وأجيب عنه بجوابين: الأول: من وجهين:

أحدهما: أن الإنسان بسعيه وملاطفته وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء، وأولد الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير، وتودد إلى الناس، فترحموا عليه، ودعوْا له، وأهدوا له ثواب الطاعة؛ فكان ذلك أثرَ سعيه.

الثاني: أن دخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام، من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه في حياته وبعد مماته، ودعوة المسلمين تَعُمُّه.

الجواب الثاني: وهو أقوى من الأول: أن المنفي عن الإنسان هو الملك لا الانتفاع، فالقرآن في قول الله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧) من حديث عائشة ﵂.

﴿٣٩﴾ [النجم: ٣٩]، لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين من الفرق ما لا يخفى، فاللام في قوله: ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ [النجم: ٢٤] للملك.

الدليل الثاني: استدلوا بقول الله تعالى ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].

ووجه الدلالة: أن الله حصر الجزاء في العمل للشخص نفسه؛ فدلَّ على عدم انتفاعه بعمل غيره .

وأجيب هنا: بأنَّ سياق هذه الآية، يدل على أن المنفيَّ عقوبةُ العبد بعمل غيره؛ بدليل صدر الآية ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [يس: ٥٤] ولم تنف الآية انتفاعَ الإنسان بعمل غيره .

الدليل الثالث: استدلوا بقول الله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وجه الدلالة: أن الله حصر كسب الإنسان واكتسابه عليه فدل على عدم انتفاعه بكسب غيره.

وأجيب هنا: بأنَّ الآية أثبتت ملك الإنسان لكسبه، ولم تنف انتفاعه بكسب غيره، بل إن كسب غيره ملك لكاسبه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء يبقيه لنفسه.

الدليل الرابع: استدلوا بما ثبت عن النبي في صحيح مسلم أنه قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[1].

---

(١) سبق تخريجه قبل قليل.

وجه الدلالة: أن النبي أخبر أنه إنما ينتفع الميت بما كان تسبب به في الحياة، وما لم يكن تسبب به في الحياة، فهو منقطع عنه.

وأجيب هنا: بأنَّ النبي أخبر بانقطاع عمله ولم يخبر بانقطاع انتفاعه بعمل غيره، بل إن عمل غيره لعامله، فإن وهبه له؛ وصلَ إليه ثواب عمله، فالمنقطع شيء، والواصل إليه ثوابه شيء آخر.

واستدل المالكية والشافعية على أن الميت ينتفع بالدعاء والصدقة والحج فقط؛ بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الدعاء فاستدلوا عليه بأربعة أنواع:

النوع الأول: نصوص أدعية الناس بعضهم لبعض الواردة في القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

وجه الاستدلال: أن الله أثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم؛ فدلَّ على انتفاعهم باستغفار الأحياء، ولو كان غير نافع ما استحقوا الثناء.

النوع الثاني: إجماع الأمة على الدعاء في صلاة الجنازة.

النوع الثالث: نصوص الدعاء للميت بعد الدفن، كما في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، والحاكم (١٣٧٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦٨٥٦) من طريق هانىء أبي سعيد البربري مولى عثمان بن عفان، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه. وعزاه الحافظ في «التلخيص» (٧٩٧) للبزار وقال البزار: لا يروى =

النوع الرابع: نصوص الدعاء للأموات عند زيارة قبورهم كما في حديث بريدة ابن الحصيب ﷺ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ - في رواية أبي بكر: السلام على أهل الديار، وفي وراية زهير - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ»[1].

واستدلوا على وصول ثواب الصدقة، بما في الصحيحين عن عائشة ﷺ أن رجلاً أتى النبي فقال: «إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَأُرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا قَالَ: نعم، تصدق عنها»[2].

وفي «صحيح البخاري» عن عبد الله بن عباس ﷺ «إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا فَهَلْ يَنْفَعُهَا شيءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ به عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِي المِخْرَاف صَدَقَةٌ عَنْهَا»[3]

واستدلوا على عدم وصول العبادات البدنية للميت بما روى النسائي بسنده عن ابن عباس ﷺ عن النبي أنه قال: «لَا يُصَلِّي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَلَا

= عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه. اهـ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦٣٦)، وحسن النووي في «خلاصة الأحكام» (١٠٢٨/٢)، وصححه الحاكم أيضًا.

(١) أخرجه مسلم (٩٧٥) من حديث بريدة بن الحصيب.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٨) واللفظ له، ومسلم (١٠٠٤) من حديث عائشة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦٢) من حديث ابن عباس.

قال الحافظ في الفتح (٣٨٦/٥): «قوله: (المخراف): بكسر أوله وسكون المعجمة، وآخره فاء، أي المكان المثمر، سمي بذلك: لما يخرف منه أي يجني من الثمرة، تقول: شجرة مخراف، ومثمار قاله الخطابي، ووقع في رواية عبد الرزاق «المخرف» بغير ألف وهو اسم الحائط المذكور، والحائط البستان». اهـ.

يَصُومُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَلَكِنْ يُطْعِمُ عَنْهُ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مُدًّا مِنْ حِنْطَةٍ»[1] فكما أن هذه العبادات لا تدخلها النيابة في الحياة، فلا يفعلها أحد عن أحد، ولا ينوب فيها عن فاعلها غيرها؛ فكذلك في الممات لا يفعلها أحد عن أحد، ولا ينوب فيها عن فاعلها غيرها، بل يختص ثوابها بفاعله لا يتعداه

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (ح ٢٩١٨)، ومن طريقه ابن عبد البر في «التمهيد» (٩/ ٢٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (ح ١٩٨٦) جميعًا من طريق ابن عباس رضي الله عنهما، موقوفًا، ولم أقف عليه مرفوعًا، وقد صحح إسناده الحافظ في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٠٩)، والألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٥١٢ - ط: السابعة)، وقال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٥٨٤): «أخرج النسائي من طريق أيوب بن موسى، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: لا يصلي أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد. أورده ابن عبدالبر من طريقه موقوفا ثم قال: والنقل في هذا عن ابن عباس مضطرب. قلت: ويمكن الجمع بحمل الإثبات في حق من مات والنفي في حق الحي». ا هـ، وجاء بنحو قول ابن عباس، عن عبدالله ابن عمر، أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١٦٣٤٦)، لكن في سنده عبدالله بن عمر العمري، وهو، وقد أورده الزيلعي في «نصب الراية» (٢/ ٤٦٣)، عن عبدالرزاق، وذكر نقلاً عن كتاب «الإمام» أن أبا بكر بن الجهم، رواه في كتابه، قال: أخبرنا أحمد بن الهيثم، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، أنه قال: (لا يصومن أحد عن أحد، ولا يحجن أحد عن أحدٍ، ولو كنتُ أنا، لتصدقتُ وأعتقتُ وأهديتُ).

وهذا سند رجاله كلهم أئمةٌ حُفّاظ، ما عدا: أحمد بن الهيثم، فقد ترجمه الحافظ في «التقريب» (١٢٣)، بقوله: «صدوق» وما عدا أبا بكر بن الجهم، فقد ترجمه الخطيب في «التاريخ» (١/ ٢٨٧) وذكر أنه كان فقيهاً مالكياً، له مصنفاتٌ حِسانٌ محشوةٌ بالآثار؛ يحتج فيها لمالك، وينصر مذهبه، وتَرجَمَهُ ابن فرحون في «الديباج» (١/ ٢٤٣- ٢٤٤) وذكر أنه صحب أبا بكر إسماعيل القاضي، وسمع منه، وتفقَّه معه ومع كبار أصحاب ابن بكير وغيره. وأرّخ وفاته سنة ٣٢٩هـ، وقيل سنة ٣٣٣هـ. فالحاصل أن الأثرين بالمجموع يرتقيان إلى درجة القبول. والله أعلم.

إلى غيره .

وأما الحنابلة والأحناف فردوا وقالوا: كيف تفرقون بين العبادات المالية والبدنية؟! هذا تفريق بغير دليل، فالنبي لم يفرق بينهما، بل شرع الصوم عن الميت، كما في حديث عائشة «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّه»[١] مع أن الصوم عبادة بدنية لا تجزئ فيها النيابة في الحياة، فأجاب المالكية والشافعية بأنَّ هذا صوم واجب، وما عداه فلم يأت فيه دليل، قالوا:

أولًا: حديث ابن عباس «**لَا يُصَلِّي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ وَلَا يَصُومُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ**» موقوف على ابن عباس فلا يقاوم حديث عائشة لا سيما وقد ثبت الخلاف عن ابن عباس.

وثانيا: أن الحديث مطعون في سنده، وحديث عائشة صحيح الإسناد، وأما استدلالكم بالقياس على الحياة، فيجاب عنه بأنه لا قياس مع النص، فإن النبي شرع الصوم عن الميت، مع أن الصوم لا تدخله النيابة، وشرع للأمة أن ينوب بعضهم عن بعض في أداء فروض الكفايات، وشرع لقِّيم الطفل الذي لا يعقل أن ينوب عنه في الإحرام، وأفعال المناسك، وحكم له بالأجر مع كونه نائباً عنه، وجعل الشارع إسلام الأبوين بمنـزِلة إسلام أطفالهما .

وقالوا: من الأدلة على وصول ثواب الصوم؛ حديث عائشة كما سبق، ومن الأدلة على وصول ثواب الحج؛ أدلة كثيرة، منها: «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى

---

(١) سبق تخريجه.

مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟ اقْضُوا اللهِ، فَاللهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ»(١).

لكن أجاب الجمهور بأن هذا نذر واجب، والحج أيضا وردت فيه النيابة، قال الحنابلة والأحناف: فجازت النيابة في الحج، والحج عبادة مركبة من المال والبدن فدل على جواز وصول ثواب الأعمال البدنية .

وقالوا: من أدلتنا: أن المسلمين أجمعوا على أن قضاء الدين يسقطُه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي، ومن غير تركته، كما في حديث أبي قتادة حينما ضمن الدينارين عن الميت، فلمَّا قضاهما قال النبي ﷺ: «الآنَ بَرَّدتَ عَلَيه جلدته»(٢).

وقالوا: وكل ذلك جارٍ على قواعد الشرع، وهو محض القياس؛ فنقيس هبة ثواب العمل للميت، على هبة المال للحي؛ فكما أن الإنسان إذا وهب ماله للحي فلا بأس، فكذلك نقيس عليه ثواب عمله للميت، والثواب حق للعامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم، لا يُمنع من ذلك، كما لم يمنع من هبة ماله في حياته، وإبرائه له منه بعد مماته .

وقالوا: من أدلتنا: القياس على الأجير الخاص، وهو الذي يشترط أن يباشر الفعل بنفسه، فنقيس هبة ثواب العمل للميت مع أنه لا يستنيب أحدا عنه في عمله على أجرة الأجير الخاص، فله أن يعطيها من يشاء، مع أنه

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٥٢) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٠)، والحاكم (٢/ ٦٦ - تحقيق: مصطفى عبدالقادر)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٧٤- ٧٥)، والطيالسي (١٦٧٣)، وحسّنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٣٩)، والألباني في «أحكام الجنائز» (ص ٢٧ - طبعة المعارف ١٤١٢هـ).

ليس له أن يستنيب في الفعل الذي استأجر عنه أحد .

أما المالكية والشافعية فقالوا: إنا نقف عند النصوص، فقد جاءت بوصول ثواب الدعاء والحج وكذلك الصدقة والصوم الواجب أو النذر، وما عدا ذلك فلا.

هناك مسائل تابعة لهذا البحث:

المسألة الأولى: استئجار قوم يقرءون القرآن ويهدونه للميت، وأخذ الأجرة عن التلاوة[١].

نقول والله أعلى وأعلم: إن هذا لا يجوز بلا خلاف، بل هو عمل بدعي؛ لأنه لم يرشد إليه النبي ﷺ، ولم يفعله أحد من السلف، ولا أمر به أحد من أئمة الدين. وَأَخْذُ الأجرة عن نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف؛ لأن تلاوة القرآن عبادة، والعبادات لا تؤخذ الأجرة عليها، كالحج والصلاة والأذان، وهذا الذي أخذ أجرته لم يقع عبادة خالصة فلا يكون له من ثوابه ما يهديه إلى الموتى، ولهذا لم يقل أحد: إنه يكتري من يصوم ويصلي ويهدي ثوابه للميت، إذن فلا يجوز له بعد أخذ الأجرة أن يهديه للميت؛ لأن التالي أخذ أجرته فلا ثواب له، فكيف يهب شيئًا لا ثواب له .

المسألة الثانية: تعليم القرآن وأخذ الأجرة عليه.

نقول والله أعلى وأعلم: اختلف العلماء فيه على قولين:

القول الأول: لا يصح أخذ الأجرة على تعليم القرآن لأنه عبادة، ولحديث عبادة بن الصامت ﷺ قَالَ: «**عَلَّمْتُ نَاساً مِنَ أَهْلِ الصفة القرآن،**

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٣٦٤)، و«الفتاوى الكبرى» (٣/ ٢٨).

فأهدى إليَّ رجلٌ منهم قوسًا فَقُلتُ: ليستْ بمالٍ وأرمي عليها في سبيل الله، لآتيَن رسولَ الله فلأسألنَّه، فأتيته فقلتُ: يا رسول الله! رجلٌ أهدى إليَّ قوساً مثمن كنتُ أعلِّمُه الكتاب والقرآن وليست بمالٍ، وأرمي عنها في سبيل الله تعالى؟ قال: إن كنتَ تُحِبُّ أن تطوق طوقاً من نارٍ فاقبلها»[1].

(١) أخرجه أبو داود (٣٤١٦) وهذا لفظُه، وابن ماجه (٢١٥٧)، والحاكم (٢٢٧٧) قال الحافظ في «التلخيص» (٤/٧): «رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه من حديث مغيرة بن زياد، عن عبادة بن نسي، عن الأسود بن ثعلبة عنه، فذكر الحديث. ومغيرة مختلف فيه واستنكر أحمد حديثه، وناقض الحاكم فصحح حديثه في «المستدرك» واتهمه به في موضع آخر فقال: يقال إنه حدث عن عبادة بن نسي بحديث موضوع. والأسود بن ثعلبة قال ابن المديني في كلامه على هذا الحديث إسناده معروف إلا الأسود فإنه لا يحفظ عنه إلا هذا الحديث؛ كذا قال مع أن له حديث آخر من روايته عن عبادة» ا هـ.

وقال الصنعاني في «سبل السلام» (جـ ٤ ص ٣٢٣): ذهب الجمهور ومالك والشافعي إلى جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن؛ سواء كان المتعلم صغيراً أو كبيراً، ولو تعين تعليمه على المعلم عملا بحديث ابن عباس ويؤيده ما يأتي في النكاح من جعله ﷺ تعليم الرجل لامرأته القرآن مهراً لها قالوا وحديث عبادة لا يعارض حديث ابن عباس إذ حديث ابن عباس صحيح وحديث عبادة في رواته مغيرة بن زياد مختلف فيه واستنكر أحمد حديثه، وفيه الأسود بن ثعلبة فيه مقال فلا يعارض الحديث الثابت.

قالوا ولو صح فإنه محمول على أن عبادة كان متبرعا بالإحسان وبالتعليم غير قاصد لأخذ الأجرة فحذره ﷺ من إبطال أجره وتوعده، وفي أخذ الأجرة من أهل الصفة بخصوصهم كراهة ودناءة لأنهم ناس فقراء كانوا يعيشون بصدقة الناس فأخذ المال منهم مكروه، وذهب الهادوية والحنفية وغيرهما إلى تحريم أخذ الأجرة على تعليم القرآن مستدلين بحديث عبادة، وفيه ما عرفت فيه قريبا نعم استطرد البخاري ذكر أخذ الأجرة على الرقية في هذا الباب فأخرج من: (حديث أبي سعيد في رقية بعض الصحابة لبعض العرب وأنه لم يرقه حتى شرط عليه قطيعا من غنم فتفل =

القول الثاني: أنه يجوز الاستئجار على تعليم القرآن، ويصح أخذ الأجرة عليه؛ لما ورد أن النبي زَوَّج رجلاً من الصحابة امرأةً على أن يعلمها آيات من القرآن، وقال: «**زَوَّجْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»[1] رواه البخاري، ولحديث البخاري الآخر: «**إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ**»[2] وهذا هو الصواب، وأما ما استدل به المانعون، من حديث عبادة؛

= عليه وقرأ عليه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبة أي علة، فأوفاه ما شرط ولما ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ قال قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهما).

وذكر البخاري لهذه القصة في هذا الباب، وإن لم تكن من الأجرة على التعليم، وإنما فيها دلالة على جواز أخذ العوض في مقابلة قراءة القرآن لتأييد جواز أخذ الأجرة على قراءة القرآن تعليما أو غيره إذ لا فرق بين قراءته للتعليم وقراءته للطب. ا هـ، وقد أطال البحث في هذا؛ مستوفياً أدلة الفريقين، صاحب «أضواء البيان» (٢/١٧٩- ١٨٢)، ثم قال (٢/ ١٨٢): «الذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - أن الإنسان إن لم تدعه الحاجة الضرورية؛ فالأولى له ألا يأخذ عوضاً على تعليم القرآن، والعقائد والحلال والحرام؛ للأدلة الماضية، وإن دعته الحاجة؛ أخذ بقدر الضرورة من بيت مال المسلمين؛ لأن الظاهر أن المأخوذ من بيت المال، من قبيل الإعانة على القيام بالتعليم، لا من قبيل الأُجرة. والأولى لمن أغناه الله، أن يتعفف عن أخذ شيء في مقابل التعليم، والعقائد، والحلال، والحرام، والعلم عند الله تعالى».

وفي الباب عن أُبي بن كعب، وأبي الدرداء، وغيرهما، انظر: «نصب الراية» (٤/ ١٣٧- ١٣٨)، و «البدر المنير» (٨/ ٢٩٤- ٣٠٢)، وقد صحح الألباني في «الصحيحة» (٢٥٦) حديث أبي الدرداء، وصحح حديث أبي بن كعب في «الإرواء» (١٤٩٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٣١٠) واللفظ له، ومسلم (١٤٢٥) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فهو حديث ضعيف لا يقاوم حديث البخاري، ولو صح فيُحمل المنع فيه على أحد أمرين: أولا: أن النبي منعه لفقر أهل الصفة، أو لكونه متبرعا بذلك، فنهاه لئلا يفسد أجره.

المسألة الثالثة: إعطاء قارئ القرآن ومعلمه ومتعلمه معونةً بدون شرط، أو رصدًا من بيت المال[١].

نقول والله أعلى وأعلم: ذلك جائز؛ لا بأس به؛ لأن هذا من جنس الصدقة عنهم، إنما الممنوع أن يستأجر شخصا يؤذن أو يستأجر شخصا يصلي بالناس وما أشبه ذلك، فهذا هو الممنوع. وقال بعض العلماء: إنه إذا اضطر إلى الاستئجار فلا حرج إن تعطل المسجد، ولم يوجد إلا بأجرة فلا بأس؛ للضرورة.

المسألة الرابعة: الوصية بأن يعطى شيء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره؟

نقول والله أعلى وأعلم: من أوصى بأن يُعطى شيءٌ من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره؛ فالوصية باطلة؛ لأنه غير مشروع مثل هذا الفعل؛ أي: استئجار من يقرأ القرآن على قبره؛ لأنه فيه معنى الأجرة. وكذلك لو وقف على من يقرأ عند قبره فالتعيين باطل؛ لأنه غير مشروع؛ والوقف ماض، فيُصرف في غير المصرف الذي عينه، من جهات البر الأخرى.

المسألة الخامسة: قراءة القرآن وإهداؤه للميت تطوعاً بغير أجرة[٢].

نقول والله أعلى وأعلم: التطوع بقراءة القرآن وهبة الثواب للميت كأنْ

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٠٠، ٣١٥).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٣٦٤).

يقرأ القرآن ويختمه ويهدي ثوابه للميت، أو يقرأ سورة ويهدي ثوابها للميت، ومثله لو سبح وهلل وأهدى ثوابها للميت، فهذه المسألة مختلف فيها:

فقيل: يصل إليه ثواب القراءة كما يصل إليه ثواب الصوم والحج، وهذا مذهب الحنابلة، والأحناف، وكثير من المتأخرين، واستدلوا بالقياس على الدَّيْن، وعلى الأجير الخاص، وعلى الأضحية، وعلى الصوم والحج والصدقة.

وقيل: لا يصل إليه ثواب قراءة القرآن، وهذا مذهب طائفة من أهل السنة؛ من المالكية، والشافعية، واستدلوا بأن قراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت، لم يكن معروفاً عند السلف، ولا يمكن نقله عن واحد منهم، مع شدة حرصهم على الخير، ولا أرشدهم النبي إليه، وقد أرشدهم إلى الدعاء والاستغفار والصدقة والحج والصيام، فلو كان ثواب القراءة يصل؛ لأرشدهم إليه، ولكانوا يفعلونه.

وبين أهل القولين دار كلام: فقال المجيزون: ما الفرق بين ذلك وبين وصول ثواب قراءة القرآن؟ وليس كون السلف لم يفعلوه حجة في عدم الوصول، ومن أين لنا هذا النفي العام؟، وإن لم يكن مُعْتَرِفاً بوصول ذلك إلى الميت، فهو محجوج بالكتاب والسنة والإجماع وقواعد الشرع.

أجاب المانعون: بأن رسول الله أرشدهم إلى الصوم والحج والصدقة، ولم يرشدهم إلى القراءة.

فقال المجيزون: إنَّ النبي لم يبتدئهم بذلك، بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم، فهذا سأله عن الحج عن ميِّتِهِ فأذن له، وهذا سأله عن الصوم عنه فأذن له، وهذا سأله عن الصدقة عنه فأذن له فيه، ولم يمنعهم

مما سوى ذلك .

فَرَدَّ المانعون: بأن النبي أرشدهم إلى الصوم والصدقة والحج، ولم يشرع لهم ما سوى ذلك، والأصل في العبادات الحظر والمنع، ولأنه لا قياس في العبادات، وإنما القياس في المعاملات، وبهذا يتبين أن الصواب المنع، وأنه يقتصر في إهداء الثواب للميت على الدعاء والصدقة والحج والعمرة، وكذلك الصوم الواجب، لقول النبي ﷺ في حديث الصحيحين الذي روته عائشة: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيهِ صِيَّامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»[1] سواء أكان صوم نذر، أو كفارة، أو صوماً من رمضان، وليس ذلك بواجب على الولي، لكن إن أحب أن يصوم؛ صَامَ وإن لم يرغب في الصيام، فإنه يطعم عن كل يوم مسكيناً.

المسألة السادسة[2]: الإهداء إلى رسول الله ﷺ.

نقول والله أعلى وأعلم: وأمَّا مسألةُ إهداءِ ثواب القراءة، أو العمل إلى رسول الله ﷺ، ففيها خلاف، فمن الفقهاء المتأخرين من استحبه، ومنهم من رآه بدعة، وهذا هو الصواب؛ لأمرين:

الأمر الأول: أن الصحابة لم يكونوا يفعلونه .

الأمر الثاني: أن النبي له أجر كل مَنْ عَمِلَ خيراً من أمته، من غير أن ينقص من أجر العامل شيئا؛ لأنه هو الذي دل أمته على كل خير وأرشدهم ودعاهم إليه، ومن دعى إلى الهدى فله من الأجر مثل أجر من تبعه، وكل

---

(١) متفق عليه، وقد سبق تخريجه قريبًا.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٤/٣٠٩)، (٢٧/٣١، ٤١، ٥١، ١٤٨، ٤٤٩)، و«رسالة في إهداء الثواب للنبي ﷺ» طبعة: أضواء السلف.

هدى وعلم فإنما نالته أمته على يده ﷺ، فله مثل أجر من اتبعه؛ أهداه إليه أم لم يهده، وهذا هو الصواب أنه لا يُهدَى إلى النبي ﷺ؛ لأن النبي له مثل أجر الأمة، فلا حاجة للهبة.

المسألة السابعة: قراءة القرآن عند القبور(١).

نقول والله أعلى وأعلم: إن قراءة القرآن عند القبور؛ اختلف قول العلماء فيها على ثلاثة أقوال: وهي ثلاث روايات عن الإمام أحمد:
الأول: الكراهة مطلقا؛ أي التحريم، فلا تجوز قراءة القرآن عند القبور، وهي رواية عن الإمام أحمد، وهو قول أبي حنيفة، ومالك واستدلوا بما يأتي:

أولاً: أن قراءة القرآن عند القبور مُحْدَث لم ترد به السنة، فلم يرد أن النبي ﷺ قرأ عند القبور، ولم يأمر به.

ثانياً: أن القراءة كالصلاة، فالقراءة تشبه الصلاة، والصلاة عند القبور منهي عنها.

ثالثاً: أن الأصل في العبادات المنع والحظر حتى يَرِدَ الدليلُ على الجواز.

رابعاً: أن القراءة وسيلة للعكوف عند القبر وتعظيمه؛ فتمنع سداً لذريعة الشرك.

القول الثاني: الجواز مطلقا، والمراد بالإطلاق يعني وقت الدفن أو بعد الدفن، وهذه رواية عن الإمام أحمد، وهو قول محمد بن الحسن

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٠١، ٣١٧)، و «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٣٤٣).

الصاحب الثاني لأبي حنيفة واستدلوا بما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتيمها[(١)].

ونقل أيضا عن بعض المهاجرين قراءة سورة البقرة، وقال: إنها قربة

---

(١) أخرج أبو بكر الخلال في «القراءة عند القبور» (جـ ١/ ص ٤/ح٣): أخبرني الحسن بن أحمد الوراق، قال: حدثني علي بن موسى الحداد، وكان صدوقا، وكان ابن حماد المقرئ يرشد إليه، فأخبرني قال: «كنت مع أحمد بن حنبل، ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: يا هذا» إن القراءة عند القبر بدعة؛ فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله، ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة، قال: كتبت عنه شيئا؟ قال: نعم، قال: فأخبرني مبشر، عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه، أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك. فقال له أحمد: فارجع، فقل للرجل يقرأ».

وأخرج البيهقي في «الكبرى» (جـ ٤ /ص ٥٦): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد قال: «سألت يحيى بن معين عن القراءة عند القبر فقال حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي، عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه أنه قال لبنيه: إذا أدخلتموني قبري فضعوني في اللحد وقولوا: باسم الله وعلى سنة رسول الله ﷺ، وسنوا علي التراب سنا، واقرؤوا عند رأسي أول البقرة وخاتمتها فإني رأيت ابن عمر يستحب ذلك».

وقال النووي في «الأذكار»: «وروينا في سنن البيهقي بإسناد حسن أن ابن عمر استحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمتها». انظر: «الفتوحات الربانية» (٤ / ١٩٤).

وروي عن ابن عمر -مرفوعًا- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مات أحدكم فلا تحبسوه واسرعوا به إلى قبره وليقرأ ثم رأسه بفاتحة الكتاب وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة في قبره».

قال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٤٤): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه يحيى بن عبدالله البابلتي وهو ضعيف. ا هـ.

وفيها أدعية، ومع أن الدليل خاص بوقت الدفن، إلا أن هؤلاء **توسعوا** فأجازوا القراءة مطلقا وقت الدفن وبعده.

القول الثالث: الجواز وقت الدفن والكراهة بعده، وهذه رواية عن الإمام أحمد، ودليل أصحابها هو دليل أهل القول السابق، وهو ما نُقل عن ابن عمر وبعض المهاجرين، وهو الذي يرجحه ابن أبي العز شارح الطحاوية وقال: إن فيه جمعاً بين القولين، والصواب عندي هو القول الأول، ويجاب عن دليل المذهبين الثاني والثالث:

أولاً: يحتاج النقل عن ابن عمر إلى الثبوت، وكذلك ما روي عن بعض المهاجرين .

ثانياً: إذا صح ما نقل عن ابن عمر، فيقال بأن هذا اجتهاد منه، خالف فيه ابنُ عمر غيره من الصحابة، فلا حجة في قوله، فقد خالفه فيه كبار الصحابة، كأبي بكر، وأبيه عمر، وغيرهم، هذا إذا صح النقل عن ابن عمر، والله أعلم.

استجابة الله تعالى دعاء عبده

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: واللهُ تَعالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الحَاجَاتِ.

الشرح

وهذا هو الذي عليه أكثر الخلق من المسلمين. والناس لهم في الدعاء ونفعه مذهبان مشهوران:

المذهب الأول: الذي عليه أكثر الخلق من المسلمين: أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.

المذهب الثاني: أن الدعاء لا فائدة فيه؛ فيُمنع؛ لأنه عبث وليس بمشروع، وإلى هذا ذهب قوم من المتفلسفة كابن سينا والفارابي؛ وغالية المتصوفة والمعتزلة، فقد ذهبوا جميعاً إلى أن الدعاء عبث لا فائدة فيه؛ فيمنع لذلك!!

أدلة المذهب الأول

واستدل أهل المذهب الأول على مشروعية الدعاء ونفعه للداعي بالكتاب والسنة:

أما الكتاب العزيز:

فالدليل الأول: قول الله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

ووجه الدلالة: أن الدعاء لو لم يكن مشروعا لما أمر الله به، ووعد

بالإجابة.

الدليل الثاني: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وجه الدلالة: لو لم يكن الدعاء مشروعاً ونافعاً لما أخبر الله بقربه لمن دعاه، ووعده بالإجابة .

الدليل الثالث: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

الدليل الرابع: قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وجه الدلالة من الآيتين: أن الله أخبر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر، دعوا الله مخلصين له الدين، وهذا اعتراف منهم بفائدة الدعاء، وأنه من أقوى الأسباب في جلب النفع ودفع الضر .

الدليل الخامس: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس: ١٢].

وجه الدلالة: أنَّ الآية دلتْ على أن الإنسان - مطلقاً مؤمنا أو كافراً - يلجأ إلى الدعاء، إذا مسه الضر، على أي حال من الأحوال، وهذا اعتراف منه بفائدة الدعاء ونفعه ودفعه الضر بإذن الله.

أما السنة المطهرة: فكحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨)، والترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، والحاكم (١٨٠٦، ١٨٠٧)، قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٩٥): =

وحديث نـزول الرب إلى السماء الدنيا وفيه «**أن الرب - سبحانه وتعالى - يقول هل من داع فأستجيب له هل من سائل فأعطيه سؤله**»[(١)] .

والحديث الثالث: حديث «**الدعاء مخ العبادة**»[(٢)]، وهذا فيه ضعف، وأصح منه حديث «**الدعاء هو العبادة**»[(٣)].

= «أخرجه أحمدُ والبخاري في «الأدب المفرد»، والترمذي، وابن ماجة، والبزار، والحاكم، كلهم من رواية أبي صالح الخوزي بضم الخاء المعجمة وسكون الواو، ثم زاي عنه وهذا الخوزي مختلف فيه ضعَّفه ابن معين، وقوّاه أبو زُرعة وظن الحافظ بن كثير أنه أبو صالح السمان فجزم بأن أحمد تفرد بتخريجه، وليس كما قال فقد جزم شيخه المزي في الأطراف بما قلته ووقع في رواية البزار والحاكم، عن أبي صالح الخوزي سمعت أبا هريرة». اهـ، وصححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٥١٩ - ط: السابعة).

(١) أصله في البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ ولفظهما: «أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له». قال الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٥٢٢ -ط: السابعة): «صحيح، متواترٌ، ذكرتُ بعضَ طرقه «إرواء الغليل» (٤٤٩»).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من طريق الوليد بن مسلم، عن ابن لهيعة، عن عبيد الله بن أبي جعفر، عن أبان بن صالح، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة».

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة. ا هـ، وأخرجه أيضاً الطبراني في «الدعاء» (٨)، وفي «الأوسط» (٣١٩٦)، عن بكر بن سهل، ثنا عبدالله بن يوسف، ثنا ابن لهيعة به.

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة ابن لهيعة في «التقريب» (٣٥٦٣): صدوق. خلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك، وابن وهب عنه أعدل من غيرهما. اهـ. وليس هذا منها فحديثه ضعيف، وبابن لهيعةَ أعلَّه المناوي في «التيسير» (٢/ ١١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٦٩)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وابن حبان =

الدليل الرابع: حديث «**لا يرد القضاء إلا الدعاء**»[1].

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث الأربعة: أنه لو لم يكن الدعاء مشروعا ونافعا لما غضب الله على من لم يسأله، ولما وعده بالاستجابة وإعطائه سؤله، ولما أخبر بأنه مخ العبادة، وبأنه يرد القضاء، فهذه الأدلة تدل على أن الدعاء نافع ومفيد، وهذا الذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وغير المسلمين، فإجابة الله للدعاء ليست خاصة، بل عامة للمسلم والكافر؛ لأنها تابعة للربوبية، إلا أن الفرق بين المسلم والكافر هو: أن

= (٨٩٠)، والحاكم (١٨٠٢) من حديث النعمان بن بشير ﷺ، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(١) أخرجه الترمذي (٢١٣٩)، والطبراني في «الكبير» (٦١٢٨)، والبزار في «مسنده» (٦/ ٥٠٢) من طريق يحيى بن الضُّريس، عن أبي مودود، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان قال قال رسول الله ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر».
قال أبو عيسى: وفي الباب عن أبي أسيد، وهذا حديث حسن غريب من حديث سلمان لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن الضريس، وأبو مودود اثنان أحدهما يقال له فضة، وهو الذي روى هذا الحديث. اسمه فضة بصري، والآخر عبد العزيز بن أبي سليمان، أحدهما بصري، والآخر مدني، وكانا في عصر واحد. ا هـ، وحديث سلمان حَسَّنَه الألباني في «الصحيحة» (١٥٤).
وأخرج أحمد في «المسند» (٥/ ٢٨٠، ٢٨٢)، وابن ماجه (٩٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨٦٧)، والحاكم (١/ ٦٧٠)، والطبراني في «الكبير» (١٤٤٢)، وهناد في «الزهد» (١٠٠٩) من حديث ثوبان قال قال رسول الله ﷺ. فذكره بلفظ: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا بالدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر».
وحسنه الألباني ﷺ، ما عدا جملة: «وإن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه»؛ فإنه لم يجد لها شاهداً. انظر: «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٨٨).

إجابة الكافر قد تكون فتنة في حقه، ومضرة عليه؛ إذْ كان كفره وفسوقه يقتضي ذلك.

مسألة في المعاني التي يستلزمها الدعاء: قال ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ: قد ندب الله إلى الدعاء، وفي ذلك معان، وهي صفات لله - تعالى -:

أحدها: الوجود فإن من ليس بموجود لا يُدْعَى.

الثاني: الغنى؛ فإن الفقير لا يدعى.

الثالث: السمع؛ فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم؛ فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة؛ فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة؛ فإن العاجز لا يدعى.

ويزاد أيضا على ما ذكره ابن عقيل:

السابع: الحياة؛ فإن الميت لا يطلب.

الثامن: العلم؛ فإن الجاهل لا يسأل.

ومشروعية الدعاء فيه رد على عُبَّاد النجوم، ومن يقول بالطبائع، أي: أن الطبائع فاعلة بطبعها، لا بجعل الله، فَشَرَعَ اللهُ الدعاءَ وصلاة الاستسقاء؛ ليبين كذب أهل الطبائع، والذين يعبدون النجوم إنما يعبدونها في زعمهم لكونها رمزا للملائكة الذين يفعلون، فمشروعية الدعاء فيه رد عليهم.

شبهات المذهب الثاني:

الذين قالوا إن الدعاء غير نافع وغير مشروع؛ هم الفلاسفة، وغالية

الصوفية، والمعتزلة، ولهم شبه عقلية، ليس فيها شيء من أدلة الشرع:

الشبهة الأولى: قالوا: المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب؛ فلا حاجة إلى الدعاء، وإن لم تقتضه؛ فلا فائدة في الدعاء، فعلى التقديرين الدعاء عبث؛ لأن الإرادة والمشيئة ضد الدعاء.

ويجاب عن هذه الشبهة بجوابين:

الأول: منع الحصر في المقدمتين، فإن الحصر في هاتين المقدمتين غير مُسَلَّمٌ به، بل ثَمَّ مقدمة ثالثة، وقسم ثالث، وهي أن يقال: أنْ تقتضي المشيئة وجودَ المطلوب بشرط ولا تقتضيه مع عدمه، وقد يكون الدعاء من شرطه كما تقتضي المشيئة الثواب مع العمل الصالح، ولا تقتضيه مع عدمه، وكما تقتضي المشيئة الشبع والري عند الأكل والشرب ولا تقتضيه مع عدمهما، وكما تقتضي المشيئة حصول الولد بالوطء وحصول الزرع بالبذر.

فإذا قدر وقوع المدعو بالدعاء، لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال: لا فائدة في الأكل والشرب والبذر وسائر الأسباب.

الثاني: هذا القول مخالف للشرع وللحس وللفطرة، وطرد دليلهم يلزمه الفوضى في الوجود وتعطيل المصالح؛ إذ يمكن أن يقال: إن شاء الله لي الشبع، فلا فائدة في الأكل، وإن لم يشاء فلا حاجة إليه، وإن شاء الله لي الولد فلا حاجة للزواج فكذلك إذا شاء الله لي حصول المطلوب فلا فائدة في الدعاء، بل إن الدعاء تكون إليه حاجة من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة وآجلة، من اكتساب الأجر، والعبودية، والتضرع، والتعرف إلى الله، وزيادة الإيمان، والحصول على الجنة، ومن دفع مضرة أخرى عاجلة: كمرض وسوء، وآجلة: كعذاب النار، وقد يعطيه الله غير طلبه،

ففيه فائدة على كل حال.

أما قولهم: إن لم تقتضه فلا فائدة فيه.

فإننا نقول: بل فيه فوائد عظيمة من جلب المنافع ودفع المضار مما يعجل للعبد في الدنيا من معرفته بربه وإقراره به، وبأنه سميع قريب عليم رحيم، وإقراره بفقره إليه واضطراره إليه، وما يتبع ذلك من العلوم العلية والأحوال الزكية التي هي من أعظم المطالب، كما نبه عليه النبي في الحديث فقال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**»(١).

الشبهة الثانية: قالوا: إذا كان إعطاء الله معللا بفعل العبد، كما يعقل من إعطاء المال للسائل بسؤاله، كان السائل قد أثر في المسئول حتى أعطاه يعني يقولون: لو كان الدعاء مفيدا للزم من ذلك أن يكون الداعي قد أثر في الله حتى أعطاه سؤله.

وجواب هذه الشبهة: إن الرب سبحانه هو الذي حَرَّكَ العبدَ إلى دعائه؛ فمنه الدعاء، وعليه التمام، فهذا الخير منه سبحانه وتمامه عليه. كما

---

(١) أخرجه أحمد (٣/١٨)، والحاكم (١٨١٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وقال الهيثمي (١٠/١٤٨): «رواه أحمد، وأبو يعلى بنحوه، والبزار، والطبراني في «الأوسط» ورجال أحمد، وأبي يعلى وأحد إسنادي البزار رجاله رجالُ الصحيح، غير علي بن علي الرفاعي، وهو ثقة». ا هـ
وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/٣١٤): «رواه أحمد، والبزار، وأبو يعلى بأسانيد جيدة، والحاكم وقال صحيح الإسناد». ا هـ، وصححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٥٢٢ - ط: السابعة).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «إني لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه»[(١)].

فالله سبحانه هو الذي يقذف في قلب العبد حركة الدعاء ويجعلها سببا للخير ليعطيه إياه، فما أَثَّرَ فيه شيءٌ من المخلوقات، بل هو جعل ما يفعله في عبده من الدعاء سبباً لما يفعله فيه من الإجابة، كما في العمل والثواب، فالله هو الذي ... العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه.

الشبهة الثالثة: قالوا: إن الداعي قد لا يجاب بالمرة، وقد يجاب بغير المطلوب، فكيف يُجمع بين ذلك وبين الوعد بالإجابة؟! وبعبارة أخرى يقولون: إن من الناس من يسأل الله فلا يُعْطَى سُؤْله، أو يُعطى غير ما سأل، فلا يُستجاب له، ولا يحقق له المطلوب، فكيف يُجمع بين هذا، وبين قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]؟!

وأجيب عن هذه الشبهة بثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: أن المراد بالدعاء في الآية: العبادة، وقولُه تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ﴾ [غافر: ٦٠] يعني: اعبدوني - فالمرادُ بالدعاء في الآية: العبادة كما سبق - وبالإجابة: الثواب، وعلى ذلك: فلا تعارض بين الآية، وبين كون السائل لا يُعطين أو يُعطى غير ما سأل؛ لأن معنى الآية: اعبدوني أثبكم، ولم تتعرض الآية لإعطاء السائل.

الجواب الثاني: أن المراد بالدعاء: العموم الشامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، وإجابة دعاء السائل أعم من إعطاء المسئول، وإجابة

---

(١) لم أقف عليه.

الداعي أعم من إعطاء السائل، والداعي أعم من السائل، ولهذا فرَّق النبي بين الدعاء والسؤال، وبين الإجابة والإعطاء، في قوله - عليه الصلاة والسلام -: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(١).

وهو فرق بالعموم والخصوص، فالإجابة إن كان المراد بالدعاء العبادة، فمعناها: الثواب، وإن أريد بالدعاء السؤال، فيجاب بما فيه مصلحة، ولو لم يكن بعين مطلوبه، كما في الحديث: «**ما مِنْ مُسْلِم يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**»(٢)؛ فيجاب في الجملة، إذا وُجِدَتْ الشروطُ وانتفتِ الموانعُ.

الجواب الثالث: أن يقال: إن الدعاء سبب مقتضٍ لنَيْل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه؛ حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل، بل قد يحصل غيره. ومن الفوائد في هذا المقام: أن الأدعية والتعوذات والرُّقَى بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده، فمتى كان السلاح سلاحا تاما، والساعد ساعدا قويا، والمحل قابلا، والمانع مفقودا؛ حصلت به النكاية في العدو.

ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة: السبب في ذاته، ووجود المُعِين، وفقد المانع: تخلف التأثير؛ كذلك الدعاءُ إذا كان في نفسه غير صالح؛ كأن يكون بإثم أو قطيعة رحم، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم قريبًا

(٢) سبق تخريجه قبل قليل.

الدعاء، أو كان ثَمَّ مانع من الإجابة، كأكل الحرام وكثرة السيئات؛ لم يحصل الأثر .

وبعض الصوفية يخص منع الدعاء بخواص العارفين، فيقول: خواص العارفين لا يحتاجون إلى الدعاء، أما عامة الناس فيحتاجون إلى الدعاء، ويجعل الدعاء علة في مقام الخواص الذين وصلوا إلى الله، وتمكنوا من العبادة بزعمهم .

والجواب عليهم: أنَّ هذا من غلطات بعض شيوخ الصوفية، فكما أنه معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام؛ فهو معلوم الفساد بالضرورة العقلية، فإن منفعة الدعاء أمر أنشئت عليه تجارب الأمم، حتى إن الفلاسفة تقول: «ضجيج الأصوات في هياكل العبادات، بفنون اللغات، تحلل ما عقدته الأفلاك المؤثرات»؛ لأن الأفلاك عندهم مُدَبِّرة، فاعترفوا بهذا وهم قومٌ مشركون ومع هذا، فقد اعترفوا بفائدة الدعاء، والدعاء سبب من الأسباب، فالإنسان له أحوال معينة، إما أن يركن إليها، وإما أن يلغيها بالكلية، وإما أن يعترف بها ويعرض عنها، وإما أن يعمل بها على أنها سبب.

حكم الالتفات إلى الأسباب فقط: الالتفات إلى الأسباب والركون إليها؛ شركٌ في توحيد الربوبية، وذلك: كركون المعتزلة وعلماء الطبيعة القائلين بالتفاعل بين الماءين، أي أن الولد يحصل بالتفاعل بين الماءين، والقائلين بأن النار محرقة بطبعها وذاتها .

وإلغاءُ الأسباب بالكلية ومحوها: نقصٌ في العقل، وتكذيب للمحسوس، وقدح في الشرع؛ لأن الله ربط دخول الجنة، والنجاة من النار بأسباب.

أما أهل السنة فيقولون: إنه لا بد من الاعتراف بالأسباب، ولا بد من اعتقاد أنها جعلية، أي: بجعل الله لها أسبابا لا لذاتها، ولا بد من الأخذ بها، والعمل بمقتضاها، مع التوكل والرجاء، فمعنى التوكل والرجاء، يتألف من وجود التوحيد والعقل والشرع، والفرق بين التوكل على الله ورجائه، وبين العجز والغرور، هو أن الأول معناه: الأخذ بالأسباب مع تفويض الأمر إلى الله، والطمع في النتائج، والثاني: ترك الأسباب والطمع في حصول نعمة الله وخيره؛ والدعاء أعم من السؤال والاستغفار، والدعاء أعم من السؤال، والاستغفار أخص من الاثنين[1].

---

(١) انظر: «الداء والدواء» (ص١٥) وما بعدها

الله تعالى مالك الأشياء كلها

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: **واللهُ تَعالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الحَاجَاتِ، وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ.**

الشرح

الله - سبحانه وتعالى - مالكٌ لكل شيء، و بيده كل شيء، ولا يملكه أحد سبحانه.

لا أحد يستغني عن الله طرفة عين

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: **وَلَا غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالى طَرْفَةَ عَيْن.**

الشرح

لا يستطيع أحد أن يستغني عن الله طرفة عين ولا أقل من ذلك؛ لأن هذه المخلوقات لا قيمة لها إلا بالله فالله هو الحي القيوم؛ القائم بنفسه المقيم لغيره سبحانه وتعالى.

كفر من زعم أنه استغنى عن الله

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ: **وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْن.**

الشرح

من زعم واعتقد أنه يستغني عن الله طرفة عين، فقد كفر وارتد، وصار من أهل الهلاك.

صفة الغضب لله تعالى

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى.**

الشرح

الله تعالى يغضب ويرضى لكن لا يشابه المخلوقين في غضبهم ورضاهم؛ لأنه سبحانه وتعالى كما أخبر عن نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

بحث يتعلق بالصفات وأقسامها؛ وهي أنها تنقسم إلى قسمين: صفات ذاتية، وصفات فعلية، فالصفات الذاتية هي التي لا تنفك عن الباري، والصفات الفعلية هي التي تتعلق بالمشيئة والاختيار، فإذن فالصفاتُ نوعان: صفات ذاتية؛ وهي التي لا تنفك عن الباري، وصفات فعلية وضابطها: أنك إذا أدخلت المشيئة عليها صلحت لأن تكون متعلقاً لها، وصدق التركيب، وهي التي تتعلق بالمشيئة والاختيار.

والصفات الذاتية نوعان:

النوع الأول: صفات قائمة بنفسها .

والثاني: صفات معان قائمة بالذات.

أمثلة لصفات الذات، وصفات الأفعال:

أولاً: أمثلةٌ لصفات الذات:

مثال القسم الأول: وهي الصفات القائمة بنفسها؛ مثل: الوجه، واليد، والقَدَم.

مثال القسم الثاني: وهي صفات المعاني القائمة بالذات، مثل:

العلم، والحياة، والقدرة.

ثانيا صفات الأفعال: وهي مثل: الرضا، والغضب، والحب، والبغض، والأسف، والعداوة، والولاية، كل هذه من صفات الأفعال.

الأدلة من الكتاب على إثبات صفات الأفعال: فمن الكتاب قولُ الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩] وقول الله سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وقوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] وقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣] وقوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٦١]، وقوله: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقوله: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

الأدلة من السنة على إثبات صفات الأفعال: من ذلك: ما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي أنه قال: «**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ** - ذكر الحديث وفيه - فيقول: **أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»[1] هذا فيه إثبات الرضا، وحديث الشفاعة وفيه: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»[2] وهذا فيه إثبات صفة الغضب، وحديث «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**»[3] فيه إثبات صفة البغض، وحديث «**يَضْحَكُ اللهُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٩٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٢٢)، =

= والصحيح فيه أنه مرسل، كما رواه أبو داود في «سننه» (٢١٧٧) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١ /٤٨): «رواه أبو داود في سننه، عن أحمد بن يونس، عن مُعَرِّف بن واصل، عن محارب بن دثار رفعه بلفظ: (ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق) وهذا مرسل، وهو وإن أخرجه الحاكم في مستدركه من جهة محمد بن أبي شيبة، عن أحمد بن يونس هذا فوصله بإثبات ابن عمر فيه ولفظه: (ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق).

فقد رواه ابن المبارك في «البر والصلة» له، وكذا أبو نعيم الفضل بن دكين كلاهما، عن مُعَرِّف كالأول.

ولذا قال الدارقطني في «علله» المرسل فيه أشبه، وكذلك صحح البيهقي إرساله، وقال: إن المتصل ليس محفوظا، ورجح أبو حاتم الرازي أيضا المرسل، وصنيع أبي داود مشعر به فإنه قدم الرواية المرسلة خلافا لما اقتضاه قول الزركشي، ثم رواه أبو داود متصلاً، عن كثير بن عبيد، عن محمد بن خالد الوهبي، عن معرف بلفظ الترجمة، وكذا رواه عن كثير ابن أبي داود، وابن أبي عاصم، والحسين بن إسحاق كما أخرجه الطبراني عنه.

لكن رواه ابن ماجه في سننه عن كثير فجعل بدل معرف عبيد الله بن الوليد الوصافي، وكذا هو عند تمام في فوائده من حديث سليمان بن عبد الرحمن، ومحمد بن مسروق كلاهما، عن الوصافي وهو ضعيف.

ومن جهته أورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية». وله شاهد عند الدارقطني في سننه من حديث إسماعيل بن عياش، عن حميد بن مالك اللخمي، عن مكحول، عن معاذ رضي الله عنه مرفوعا بلفظ: (يا معاذ ما خلق الله شيئا أحب إليه من العتاق، ولا خلق الله شيئا على وجه الأرض أبغض إليه من الطلاق فإذا قال الرجل لمملوكه أنت حر إن شاء الله؛ فهو حر، لا استثناء له، وهو عند الديلمي في مسنده من جهة محمد بن الربيع، عن أبيه، عن حميد ولفظه: (إن الله يبغض الطلاق ويحب العتاق)، ولكنه ضعيف بالانقطاع؛ فمكحول لم يسمع عن معاذ؛ بل وحميد مجهول، وقد قيل عنه عن مكحول، عن مالك بن يخامر، عن معاذ وقيل عنه عن مكحول، عن خالد بن معدان، عن معاذ وكلها ضعيفة، والحمل فيه كما قال ابن الجوزي على حميد. =

إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ»[١] وهذا فيه إثبات صفة الضحك، وفيه أيضاً حديث: «ضحك رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ»[٢].

مذهب أهل السنة في صفات الله:

ومذهبُ أهل السنة في صفات الله تعالى: إثبات صفات الذات؛ كالسمع، والبصر، وإثبات صفات الأفعال؛ كالغضب، والرضا، والحب، والبغض، والعداوة، والولاية، والكلام، إلى غيرها من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، ومنع التأويل

= وفي الباب أيضا عن علي رضي الله عنه رفعه: (تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش)، أخرجه الديلمي من حديث جويبر، عن الضحاك، عن النوال عنه، وسنده ضعيف، وعن أبي موسى الأشعري مرفوعا: (ما بال أحدكم يلعب بحدود الله يقول قد طلقت قد راجعت)، وكأن ذلك حيث لم يكن ما يقتضيه وعليه يحمل قولهم الطلاق يمين الفاسق. أ هـ، وانظر للكلام على هذه الأحاديث بتوسع «البدر المنير» (٨/ ٦٥- ٦٨)، والحديث أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٣٩)، وفي «درء التعارض» (٤/ ٧٤) بلفظ: «عجب»، لكن أورده في موضع آخر من «درء التعارض» (٢/ ١٢٨) على الصواب.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٦) واللفظ له، ومسلم (١٨٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١١)، وابن ماجه (١٨١)، والطبراني (١٩/ ٢٠٧ / ح٤٦٩)، والدارقطني في «الصفات» (٢٧ / ٣٠)، والطيالسي (١٠٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٥٤).

من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه. قال البوصيري (١/ ٢٦): هذا إسناد فيه مقال. والحديث حَسَّنه شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٣٩)، ولإثبات صفة العجب لله - عز وجل - انظر ما أخرجه البخاري (٣٠١٠) بلفظ: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل».

الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى؛ أي أنهم يثبتونها لله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل[(١)].

أما مذهب أهل التعطيل؛ الجهمية والمعتزلة: فهو نفي كل ما وصف الله به نفسه من صفات الذات وصفات الأفعال، ويقولون: إنما هي أمور مخلوقة محدثة منفصلة عن الله، ليس هو في نفسه متصفاً بشيء من ذلك.

شبهتهم: قالوا: لو اتصف بالصفات الذاتية والفعلية، لكان محلاً للأعراض، والله منزه عن ذلك[(٢)].

ويقال في الرد عليهم: إنها صفات أفعال وليست أعراضاً، فتسميتكم للصفات أعراضاً، اصطلاح لكم، وبنيتم عليه نفي ما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله.

وأمَّا مذهب الكلابية والأشعرية في صفات الأفعال[(٣)]: فإنَّ الله عندهم لا يوصف بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلًا؛ يعني: ينفون الصفات

---

(١) قال شيخ الإسلام في «المنهاج» (٢/ ٥٢٣): «وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله؛ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل؛ إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فهذا رد على الممثلة: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وفيها ردٌّ على المعطلة.
فقولهم في الصفات مبني على أصلين:
أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص مطلقًا، كالسِّنَة، والنوم، والعجز، والجهل، وغير ذلك.
والثاني: أنه متصف بصفات الكمال، التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات؛ فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات».

(٢) انظر: «شرح الأصول الخمسة» (ص١٥١-٢٣٢).

(٣) انظر: «أساس التقديس» للرازي (ص١٥-٦٩).

الفعلية، فلا يرضى في وقت دون وقت عندهم، ولا يغضب في وقت دون وقت، ولا يتكلم إذا شاء، ولا يضحك إذا شاء، وجميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته قديمة أزلية .

شبهتهم: يقولون: لو كانت حادثة في وقت دون وقت واتصف بها؛ لكان محلا للحوادث، وبعبارة أخرى يقولون: إن صفات الأفعال حادثة والصفات القائمة بالذات قديمة، والقديم ليس محلا للحوادث.

فيقال في الرد عليهم: بل هي صفات أفعال، ولا تسمى حوادث، فكما سميتم الصفات الذاتية، صفات فسموا الصفات الفعلية صفات، ولا تسموها حوادث .

تأويل النفاة من الجهمية والكلابية والأشعرية وغيرهم لصفة الرضا والغضب ونحوهما: وقد أوَّلوا صفة الرضا بإرادة الإحسان، وأوَّلوا صفة الغضب بإرادة الانتقام، وشبهتهم في ذلك: أنهم قالوا: إن الرضا: الميلُ والشهوة، والغضب: غليانُ دم القلب؛ لطلب الانتقام، وذلك لا يليق بالله تعالى؛ لأنها من صفات المخلوقين، الذين هم محلُّ الأعراضِ والحوادث.

والرد عليهم ومناقشتهم من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن هذا نفيٌ للصفة، وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاءه، وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده، فقد يحب عندهم ويرضى ما لا يريده، ويكره ويسخط ويغضب لما أراده .

الوجه الثاني: أن غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب، وليس هو الغضب، والميل والشهوة في الآدمي، أمر ينشأ عن صفة الرضا وليس هو الرضا.

الوجه الثالث: والإرادة والمشيئة هي ميل الحي إلى الشيء، أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فالمعنى الذي صَرَفْتَ إليه اللفظَ أيها النافي - وهو الإرادة - كالمعنى الذي صرفتَ عنه اللفظَ - وهو الرضا والغضب -: سواء، فإن جاز وصفه بالإرادة؛ جاز وَصْفُه بالرضا والغضب، وإن امتنع وصفه بالغضب والرضا؛ امتنع وَصْفُه بالإرادة.

فإن قالوا «الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يُوصف بها العبد، وإن كان كل منهما حقيقة»، قيل لهم: إن الغضب والرضا الذي يوصف الله به، مخالف للرضى والغضب الذي يوصف به العبد، وإن كان كل منهما حقيقة.

وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات الله، لامتناع مسمى ذلك في المخلوق، فإنه لا بد أن يثبت شيئا لله تعالى على خلاف ما يعهده، حتى في صفة الوجود، فإن وجود العبد كما يليق به لا يستحيل عليه العدم، ووجود الباري كما يليق به يستحيل عليه العدم، ويقال أيضا للمؤول والنافي: يلزمك في تأويلك للصفات ونفيها، ثلاثة محاذير:

المحذور الأول: صَرْفُ اللفظ عن ظاهره.

المحذور الثاني: تعطيل الرب عن صفاته.

المحذور الثالث: يلزمك من المحذور فيما فررتَ إليه مثل ما ادعيته فيما فررتَ منه.

حب الصحابة ﷺ

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: **وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَلَا نُفرطُ في حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم؛ وَلَا نَتَبَرَّأَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُم، ولا نُذْكُرُهُم إِلَّا بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ، وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ.**

الشرح

هذا معتقد أهل السنة في صحابة رسول الله ﷺ، وهو: أنهم يحبون الصحابة، ويوالونهم كلهم، ويَتَرَضَّوْنَ عنهم، ولا يغالون في حبهم؛ حتى يرفعوهم من مقام الصحبة إلى مقام النبوة، أو مقام الألوهية، ولا يُفَرِّطون ويقصرون في موالاتهم، بل هم يوالونهم بالعدل والإنصاف خلافا للشيعة والرافضة، الذي يغالون في محبتهم حتى يعبدونهم من دون الله، وخلافا للنواصب والخوارج الذين يُفْرِطُون في بغضهم حتى يكفروا الصحابة[١].

وأمَّا مذاهب الناس في الصحابة فثلاثة:

المذهب الأول: مذهب أهل السنة والجماعة، وهو: أنهم يوالون الصحابة كلهم، وينـزلونهم منازلهم التي يستحقونها، بالعدل، والإنصاف، لا بالهوى والتعصب؛ إذ إنه من البغي الذي هو مجاوزة الحد، فهم يحبون الصحابة، ولا يغلون ويفْرطون في حب أحد منهم، ولا يتبرءون من أحد منهم ويبغضونه، بل إنهم يبغضون من يبغضهم .

أما المذهب الثاني: فهو مذهب الشيعة والرافضة الذين يبغضون

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٦٨٩).

الصحابة، ويتولون أهل البيت، ويغالون فيهم، ويجاوزون الحد في حبهم حتى يعبدوهم مع الله. والشيعةُ أكثر من عشرين فرقة؛ منهم ست فرق من الزيدية والرافضة من غلاة الشيعة، وعند الرافضة لا ولاء إلا ببراء، أي كل مَنْ يدَّعي موالاة أهل البيت، فلا تصح دعواهُ حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر، ومن ماثلهم، كعثمان، وعائشة، أما مذهب الشيعة عموماً - غير الرافضة - فهو الغلو في أهل البيت، وقد لا يتبرءون من الصحابة، أما الرافضة فإنهم يتبرءون من الصحابة، مع الغلو في أهل البيت، وأما بقية الصحابة فيتبرءون منهم إلا من نفر قليل نحو بضعة عشر رجلا، وهم الذين وَالَوْا عليًا. وسموا رافضةً؛ من الرفض، وهو الترك لتوليهم أهل البيت ورفضهم للصحابة، وأصل تسميتهم بالرافضة؛ لرفضهم مجلس زيد بن علي، حينما رفض الطعن في أبي بكر وعمر(١).

بين اليهود والنصارى والرافضة: اليهود والنصارى فاقوا الرافضة في خصلة وهي: أنه قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ولم يستثنوا منهم إلا القليل، كعلي، وعمار وفيمن سَبُّوهم مَنْ هو خيرٌ ممن استثنوهم؛ بأضعاف مضاعفة، كأبي بكر، وعمر، وعثمان.

المذهب الثالث: مذهب الخوارج والنواصب في الصحابة، وهو ضد مذهب الرافضة، وهو بغض أهل البيت وعداوتهم. وسموا نواصب؛ لأنهم نصبوا العداوة لأهل البيت، وسموا خوارج؛ لأنهم خرجوا على علي وتبرءوا منه بعد مسألة التحكيم، وتبرءوا من عثمان بعد تقريبه أقرباءه،

---

(١) انظر: «الملل والنحل» (١/١٤٦-١٩٨).

لاعتقادهم بذلك أنهم فسقوا وعصوا الله، وما عداهم من الصحابة؛ فلا يتبرءون إلا ممن فسق منهم، في نظرهم[١].

وسطية أهل السنة في الصحابة: أهل السنة يتولون الصحابة جميعاً؛ أهل البيت، وغير أهل البيت، وينـزلونهم منازلهم التي يستحقونها؛ بالعدل، والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، فهم يحبون الصحابة ولا يغلون ولا يفرطون في حب أحد منهم، كالشيعة والرافضة، ولا يتبرءون من أحد منهم كالخوارج والنواصب، ويبغضون من يبغضهم ﷺ.

وعند أهل السنة: أنَّ الشهادة بدعة والبراءة بدعة.

ومعنى الشهادة: أن يشهد على معين من المسلمين أنه من أهل النار، أو أنه كافر بدون العلم بما ختم الله به، وأما مع العلم بما ختم الله فيحكم بذلك، ولا بأس، فإنَّا نعلمُ بأنَّ أبا لهب، وأبا جهل قد حُكِمَ لهما بالنار؛ فهما من أهل النار.

ومعنى البراءة: البراءة من أبي بكر وعمر؛ فإنَّ هذا من البدع.

مسألة السابقين الأولين: ومما يلحق بهذا البحث مسألة السابقين الأولين، فقد اختلف العلماء فيهم على قولين:

القول الأول: أن السابقين الأولين هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والمراد بالفتح: صلح الحديبية؛ وأهلُ بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فالذين أنفقوا من قبل الفتح، يعني: الذين أسلموا قبل صلح الحديبية .

---

(١) انظر: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٠٤)

القول الثاني: أن السابقين الأولين هم من صلى إلى القبلتين بيت المقدس والكعبة، والقول الأول أصح وأرجح.

الدليل على الترجيح: أولا: قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠]؛ فدلت الآية على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد، كما دلت الآية والحديث على التفضيل بالمبايعة تحت الشجرة وهي قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وحديث جابر: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»[1].

الثاني: أن الصلاة إلى القبلة المنسوخة -وهي بيت المقدس- ليس بمجرده فضيلة؛ لأمرين:

أحدهما: أن النسخ ليس من فعلهم.

وثانيهما: أنه لم يدل على التفضيل به دليل شرعي، وَحُبُّ الصحابة دين وإيمان: لأمرين:

أولا: لامتثالهم لأمر الله.

وثانيها: ولحث الرسول عليه، فهو من الحب في الله، وهو أيضا طاعة لله ولرسوله، ويُذْكَر في هذا حديثُ: «**أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِم اقْتَدَيْتُم اهْتَدَيْتُمْ**»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٦٠)، وأبو داود (٤٦٥٣)، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وأخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث أم مبشر، بنحوه.

(٢) قال الذهبي في «الميزان» في ترجمة (٢٥٦/ الحارث بن غصين): «روى عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر مرفوعا: (أصحابي كالنجوم بأيهم أقتديتم اهتديتم)، رواه عنه سلام بن سليم، قال ابن عبد البر =

= في «العلم»: هذا إسناد لا تقوم به حجة؛ لأن الحارث بن غصين مجهول». ا هـ
وقال الحافظ في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٩٠/ ٢٠٩٨): «حديث: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) رواه عبد بن حمُيد في مسنده من طريق حمزة النصيبي، عن نافع، عن ابن عمر، وحمزة ضعيف جداً، ورواه الدارقطني في «غرائب مالك» من طريق جميل بن زيد، عن مالك، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، وجميل لا يعرف، ولا أصل له في حديث مالك ولا من فوقه، وذكره البزار من رواية عبد الرحيم بن زيد العمي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، عن عمر، وعبدالرحيم كذاب، ومن حديث أنس أيضا وإسناده واهٍ، ورواه القضاعي في «مسند الشهاب» له من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وفي إسناده جعفر بن عبد الواحد الهاشمي وهو كذاب، ورواه أبو ذر الهروي في «كتاب السنة» من حديث مندل، عن جويبر، عن الضحاك بن مزاحم منقطعا، وهو في غاية الضعف، قال أبو بكر البزار: هذا الكلام لم يصح عن النبي ﷺ.
وقال ابن حزم: هذا خبر مكذوب موضوع باطل.
وقال البيهقي في «الاعتقاد» عقب حديث أبي موسى الأشعري الذي أخرجه مسلم بلفظ: (النجوم أمنة أهل السماء، فإذا ذهبت النجوم أتي أهل السماء ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتي أمتي ما يوعدون).
قال البيهقي: روي في حديث موصول بإسناد غير قوي -يعني حديث عبد الرحيم العمي-، وفي حديث منقطع -يعني حديث الضحاك ابن مزاحم-: (مثل أصحابي كمثل النجوم في السماء، من أخذ بنجم منها اهتدى).
قال: والذي رويناه ها هنا من الحديث الصحيح يؤدي بعض معناه.
قلت: صدق البيهقي، هو يؤدي صحة التشبيه للصحابة بالنجوم خاصة، أما في الاقتداء فلا يظهر في حديث أبي موسى، نعم يمكن أن يتلمح ذلك من معنى الاهتداء بالنجوم، وظاهر الحديث إنما هو إشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة، من طمس السنن، وظهور البدع، وفشو الفجور في أقطار الأرض، والله المستعان. ا هـ، وانظر أيضاً: «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٢٢٩- ٢٣٢)، و «البدر المنير» (٩/ ٥٨٤- ٥٨٨).

هذا يذكره أهل الأصول ويستدلون به، والحديث باطل ليس بصحيح سنداً ولا متناً؛ أما من جهة السند؛ فليس في شيء من دواوين السنة، فهو حديث ضعيف، قال البزار: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وليس هو في كتب الحديث المعتمدة»؛ فإذا كان كذلك: فلا يُحتج به أصلاً، وأما معناه ففاسدٌ؛ وذلك أن الصحابة إذا اختلفوا في قولين، فقال بعض الصحابة: هذا حلال، وقال آخرون: هذا حرام فهل يعني هذا: أنَّ الذي يقتدي بالصحابي الذي يقول: هو حرام، مهتدي؟! هذا فاسد بلا شك؛ فدل على بطلان هذا الحديث سنداً ومتناً.

حب الصحابة من الإيمان وبغضهم كفر ونفاق

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ، وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ.**

الشرح

والشارحُ: ابنُ أبي العز، ألزم الطحاوي بالتناقضِ فقال: أنت قد قرّرتَ أوّلاً: أنَّ الإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، ولم تُدخل أعمال القلوب، ولا أعمال الجوارح في الإيمان، وهنا قلت: حب الصحابة إيمان؛ والحبُّ عمل قلبي، وليس هو التصديق؛ فيكون العمل داخلاً في مسمى الإيمان، وهذا معناه موافقتك لجمهور أهل السنة. وهذا هو الحق، لكن كان ينبغي أن تضيف هذا في التعريف؛ فتقول: الإيمان: إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالقلب، وعمل بالجوارح، حتى يتناسب مع قولك هذا، فتوافق جمهورَ أهل السنة(١).

ولكن شارح الطحاوية اعتذر عنه بأنّه: لعله أراد أن هذه التسمية مجاز، كما سُمِّيتْ الصلاةُ إيمانًا مجازا عند الطحاويِّ والأحنافِ؛ في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والصواب أن التسمية حقيقية؛ لأن العمل من الإيمان؛ سواء أكان عملا قلبيا، أو عملا من أعمال الجوارح .

الأدلة من الكتاب والسنة لمذهب أهل السنة في الصحابة وفضلهم والترضي عنهم:

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/٦٨٩).

الأدلة في هذا الباب كثيرة فمن الكتاب؛ قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١٨] إلى آخر الآية، ومنها: قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠]، ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ومنها: قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

ومن السنة أحاديث؛ كحديث: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١) وحديث مسلم «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»(٢)، وحديث: «**اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ وَمَنْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ**»(٣)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) واللفظ له، ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه قبل قليل.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٨٣)، والمزي في «التهذيب» في ترجمة عبدالرحمن بن زياد (٣٨١٨)، وابن عدي في «الكامل» في ترجمة إبراهيم بن سعد (٧١).

جميعًا من طريق عبيدة بن أبي رائطة، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن مغفل، فذكره. =

والحديث وإن كان فيه ضعف لكن له شواهد.

ومن ذلك: ما ثبت عن عائشة ﵂ أنها قيل لها: إن ناسا يتناولون يعني بالسب أصحاب رسول الله حتى أبا بكر وعمر قالت: «وَمَا تَعْجَبُونَ انْقَطَعَ عَمَلُهَمْ فِي الدنْيَا فَأَحَبَّ اللهُ أَلَّا يَقْطَعَ عَنْهُمُ الْأَجْرَ»(١).

= وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وفي بعض نسخ الترمذي: «غريب بدون التحسين».
وأخرجه أحمد (١٦٩٢٦) (٢٠٨٥٤،٢٠٨٢٣)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد المسند» (٢٠٨٢٤)، وصححه ابن حبان (٧٣٧٩).
جميعا عن عبيدة بن أبي رائطة، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن مغفل المزني، فذكره.
وقال ابن حبان بعده: هذا عبد الله بن عبد الرحمن الرومي بصري، روى عنه حماد بن زيد مات قبل أيوب السختياني. ا هـ
فالطريق الأولى سماه: عبدالرحمن بن زياد، والطريق الثانية سماه: عبدالله بن عبدالرحمن، وهما واحد. ويقال أيضا فيه: عبد الرحمن بن عبد الله. لم يوثقه غير ابن حبان، ولم يرو عنه غير عبيد الله بن رائطة، وذكره البخاري، وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال الذهبي: لا يعرف. وقال يحيى بن معين: لا أعرفه. وقال عنه الحافظ في التقريب: مقبول.
فلهذا ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٩٠١)، والحديث وإن كان ضعيف الإسناد، إلا أنه حسن المعني، لذلك قال البيهقي بعده أن له شواهد. يعني تشهد لصحة معناه، والله الموفق للصواب.

(١) أخرجه الخطيب في «التاريخ» (١١/ ٢٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٨٧)، وفي «تبيين كذب المفتري» (ص ٤٢٣- ٤٢٤) من طريق عثمان بن طلحة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: (قيل لعائشة: إن ناسا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ، حتى إنهم ليتناولون أبا بكر وعمر. فقالت: (أتعجبون من هذا إنما قطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر). والأثر صحيح الإسناد والمعنى.

وكذلك أيضا ما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً»، وفي رواية: «خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ» في رواية وكيع[١] وقول ابن مسعود رضي الله عنه **«إن الله سبحانه اختار نبيه واصطفاه وابتعثه بالرسالة فنظر في قلوب الناس فرأى قلب محمد ﷺ واختصه فرآه أصفى القلوب وأبرها فاختاره الله واصطفاه لنبوته، ثم نظر في القلوب بعد قلب محمد ﷺ فرأى قلوب أصحابه أبرها فاختارهم لصحبة نبيه»**[٢]؛ أو كما قال رضي الله عنه. والنصوص في

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥/ ١٧٣٦)، عن وكيع، سفيان الثوري، عن نسير بن ذعلوق، عن ابن عمر، وأخرجه عن ابن مهدي، عن سفيان به، برقم (٢٠/ ١٧٢٩)، بإسناد صحيح، وأخرجه ابن ماجه (١٦٢) من طريق وكيع، عن سفيان الثوري، نُسيرٍ به، وعن وكيع به، أخرجه ابنُ أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٤١٥)، وعن ابن أبي شيبة به، رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٠٦)، وقد تحرَّف اسم «نُسير بن ذُعلوق» في المطبوع من «السنة» لابن أبي عاصم إلى «بسر بن دعلوق»، فلم يعرفه العلامة الألباني، والأثر أخرجه كذلك الآجري في «الشريعة» (٢٠٠٠ -تحقيق: الدميجي) من طريق زياد بن أيوب الطوسي، عن وكيع به.
وقد عزاه ابن أبي العز إلى ابن أبي بطة -وصحح إسناده- كما في «شرح الطحاوية» (٣/ ١٣٣)، عن ابن عباس مثل رواية ابن عمر، فالله أعلم.
قال ابن تيمية في «منهاج السنة» (٢/ ٩): «من طريق أحمد بن حنبل، عن عبد الرحمن بن مهدي، وطريق غيره، عن وكيع، وأبي نعيم، ثلاثتهم عن الثوري، عن نُسير بن ذُعْلُوق: سمعت عبدالله بن عمر يقول: (لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة -يعني مع النبي ﷺ - خير من عمل أحدكم أربعين سنة). وفي رواية وكيع: (خير من عبادة أحدكم عمره)». اهـ.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٩)، والبزار في «المسند» (١٨١٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٢٩٤)، والآجري في «الشريعة» (١١٤٤ -تحقيق: الدميجي)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٥٨٢) من طريق أبي بكر بن عياش، =

هذا كثيرة، والنصوص في فضل الصحابة وفضلهم ومكانتهم وأدلتها كثيرة من الكتاب ومن السنة.

= عن عاصم، عن زر، عن عبد الله.
وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٤٥٣): رواه أحمد، والبزار، والطبراني في «الكبير» و «الاوسط» ورجاله موثقون. اهـ، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص ٦٥)، والأثر له طريق آخر، عن عبدالسلام بن حرب، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبدالله بن مسعود، كما عند البزار في «المسند» (١٧٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٩٣)، و «الأوسط» (٣٦٠٢)، وجاء الأثر كذلك من رواية المسعودي، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، كما عند الطيالسي (٢٤٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٧٥)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٤٢٢)، وأخرجه البيهقي في «المدخل» - كما في «نصب الراية» (٤/ ١٣٤) - من طريق الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبدالرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود.
قال الحافظ ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص ٦٦): «ولم أر في شيء من طرقه التصريح برفعه، وإن كان لبعضه حكم الرفع».
لكن جاء التصريح برفعه عن غير ابن مسعود، عن أنسٍ بسند موضوعٍ، عند الخطيب في «التاريخ» (٤/ ١٦٥)، ومن طريقه رواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٤٥٢). وقال: «تفرد به النخعي، قال أحمد بن حنبل: كان يضع الحديث...».

الخلافة والولاية

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: **وَنُثْبِتُ الخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أَوَّلاً لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** رضي الله عنه**، تَفْضِيلاً لَهُ وتَقديماً عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ، ثُمَّ لعُمَرَ بن الخَطَّابِ** رضي الله عنه**، ثُم لِعُثْمَانَ** رضي الله عنه**، ثُمَّ لِعَلِيٍّ بن أبي طَالِبٍ** رضي الله عنه**، وَهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ والأَئِمَّةُ المُهْتَدُون.**

الشرح

اختلف العلماء في وجوب الإمامة أو استنانها أو جوازها، وتحصلتْ لدينا ثلاثةُ أقوال:

القول الأول: يجب على الناس أن ينصبوا خليفة ووالياً فيهم؛ ليقيم فيهم أمر الله، ويستتب به الأمن، وينفذ الحدود، ويحكم بالشرع، وينصف المظلوم من الظالم.

القول الثاني: أن نصب الخليفة والولاية مستحب، وليس بواجب.

القول الثالث: أنه جائز.

والجمهور على أنه واجب[1]. والصواب أنه واجب، وأنه لا يمكن أن تكون الأمة هكذا ليس عليها وال، كما قال الشاعر:

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ ... وَلَا سَرَاةٌ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

---

(١) انظر: «السياسة الشرعية» لشيخ الإسلام (ص ٢١٧)، و «الفصل» لابن حزم (٤/ ٨٧)، و «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص ٥).

والصواب هو القول الأول؛ إذ لا يمكن أن تبقى الأمة بدون ولاية؛ ولهذا قال العلماء: (ستون سنة بإمام ظالم خير من ليلة واحدة بلا إمام). ولو كان ظالما لكن ظلمه على نفسه، لكن قد عَلَّقَ اللهُ تعالى بولاة الأمور - كما قال شيخ الإسلام - مصالح عظيمة: كإقامة الحدود، وإنصاف المظلوم من الظالم، ورد الحقوق إلى أهلها، والأخذ على يد المجرمين، واستتباب الأمن؛ ليأمن الناس على دمائهم وأموالهم ونسائهم؛ ولهذا قال العلماء - كما تقدم -: (ستون سنة بإمام ظالم خير من ليلة واحدة بلا إمام).

فإذا قيل: لمن الخلافة؟: فالجواب: في ذلك قولان؛ قيل: إنها خاصة بقريش، وقيل: إنها ليست لهم خاصة.

والذين قالوا: إنها خاصة استدلوا بحديث: «الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ»[1] ثم

---

(١) جاء بهذا اللفظ عن عدد من الصحابة كأنس ﷺ: أخرجه أحمد (٣/ ١٢٩، ١٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (٥٩٤٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٢١) و (٨/ ١٤٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٣٨٨)، وأبو يعلى (٤٠٣٣)، وله عن أنس طرق أخرى، كلهم: من طريق سهل أبي الأسد، عن بكير بن وهب، عن أنس.
وورد أيضاً من حديث أبي برزة الأسلمي: أخرجه أحمد (٤/ ٤٢١، ٤٢٤)، والطيالسي (٩٢٦)، والروياني في «مسنده» (٧٦٤) و (٧٦٨) كلهم من طريق سكين بن عبد العزيز، حدثنا سيار بن سلامة أبو المنهال، عن أبي برزة، فذكره.
قال الحافظ في «التلخيص» (١٩٨٧): «النسائي عن أنس، ورواه الطبراني في «الدعاء»، والبزار، والبيهقي من طرق، عن أنس، قلت: وقد جمعت طرقه في جزء مفرد، عن نحو من أربعين صحابيا، ورواه الحاكم، والطبراني، والبيهقي من حديث علي، واختلف في وقفه ورفعه، ورجح الدارقطني في «العلل» الموقوف، ورواه أبو بكر بن أبي عاصم، عن أبي بكر بن أبي شيبة من حديث أبي برزة =

الذين قالوا: إنها خاصة بقريش اختلفوا، فقيل: إنها خاصة ببني هاشم، وقيل: إنها ليست خاصة ببني هاشم، وقيل: إنها خاصة بالعباس وولده، وقيل: خاصة ببني عبدالمطلب، وقيل: خاصة بولد جعفر.

بماذا تثبت الخلافة والولاية[1]: الخلافة تثبت بواحد من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الاختيار والانتخاب من أهل الحل والعقد، يعني: يختارون الإمامَ، فتثبت له الإمامة باختيارهم وانتخابهم، وليس المراد أنَّ كل أحد من الرَّعية يختار، مثل ما يحدث في الانتخابات اليوم، فيأتي كل من هَبَّ ودَبَّ: النساءُ، والأطفال، والعقلاء، والمجانين كلهم يكون لهم حقّ الانتخاب والاختيار! لا هذا ليس من الشرع في شيء.

ومثال الأول: ثبوت الخلافة لأبي بكر الصديق بالاختيار والانتخاب من أهل الحل والعقد، كذلك أيضاً. ثبتت الخلافةُ لعثمان رضي الله عنه؛ لمَّا جعل عمرُ الأمر في الستة شورى، فصار عبد الرحمن بن عوف يشاور الناس، من المهاجرين والأنصار واقتصر عليهم، وسهر ثلاث ليالي لم يرَ غمضاً، حتى رأى وجوه الناس كلهم إلى عثمان، ثم بايعه، وبايع بقيةُ الستة، وبايعه المهاجرون والأنصار؛ فثبتت له الخلافة بالاختيار والانتخاب، من أهل الحل والعقد.

= الأسلمي، وإسناده حسن.
وفي الباب عن أبي هريرة متفق عليه بلفظ: «الناس تبع لقريش». ا هـ
فائدة: ذكر الحافظ في «الفتح» (٧/ ٣٢)، أن السبب الحامل له على جمع طرق هذا الحديث؛ ما زعمه بعض فضلاء عصره: أنه لم يُرْوَ إلا عن أبي بكر الصديق.
وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٣٠) أيضاً: «وقد جمعت في ذلك تأليفاً سميته (لذة العيش بطرق الأئمة من قريش)».

(١) انظر: «الإمامة العظمى» للدميجي (ص ١٢٥) وما بعدها.

وكذلك علي ﷺ، ثبتت له الخلافة بالاختيار والانتخاب من أكثر أهل الحل والعقد، وبايعه أكثر أهل الحل والعقد، سوى معاوية وأهل الشام.

الأمر الثاني: تثبتُ الخلافة بولايةِ العهد من الوليِّ السابق، ومثال **ذلك**: ثبوت الخلافة لعمر بن الخطاب؛ فإنها ثبتت له بولاية العهد من أبي بكر الصديق ﷺ فهذا هو مثالُ ثبوت الخلافة بولاية العهد.

الأمر الثالث: تثبت الخلافة بالقوة والغلبة؛ فإذا غلب الناسَ بسيفه وسلطانه، واستتب له الأمر؛ وجب السمع له والطاعة، وصار إماماً يجب السمع له، والطاعة. والدليل على هذا: ما جاء في حديث أبي ذر أن النبي قال: «**إنَّ خليلي أوصاني أنْ اسْمَعْ وَأُطِعْ وَإن كان عبداً مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ**»[1] فإذا غلبنا بسيفه - ولو كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف يعني: مقطوع اليد والرجل والأذن والأنف - نسمع له ونطيع، لكن لو كان بالاختيار والانتخاب، فإنَّا لا نختاره، فإن جاء آخر ينازع الأول فإنه يُقتلُ الثاني؛ لأن الثاني جاء ليفرِّق أمرَ المسلمين بعد اجتماعهم على الأول، كما جاء في حديث أبي سعيد، في صحيح مسلم مرفوعاً: «**إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتِينِ فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُما**»[2]، ومثال هذا: جميعُ خلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس، وَمَنْ بعدهم، إلى يومنا هذا، كلها خلافة ثبتت بالغلبة والقوة، فلم ثبتت خلافةٌ بالاختيار والانتخاب إلا للخلفاء الراشدين فقط. وهذا التفصيل في هذه المسألة يجب على طالب العلم أن يكون على إلمام بها لأهميتها.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٤٨) و (١٨٣٧) من حديث أبي ذر ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٣) من حديث أبي سعيد ﷺ، وفي معناه أحاديث، عن أبي هريرة، ومعاوية، وأنس، وعلي بن أبي طالب، والعباس، وبعضُ رجال أسانيدها ثقات، كما في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٩٨).

ثبوت الخلافة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: اختلف العلماء في ثبوت الخلافة لأبي بكر الصديق على قولين:

القول الأول: أنها ثبتت بالاختيار والانتخاب من أهل الحل والعقد، يعني: أنها ثبتت له باختيار المسلمين، وهذا هو قول جمهور العلماء والفقهاء، وأهل الحديث، والمتكلمين؛ كالمعتزلة، والأشعرية وغيرهم. واستدلوا بدليلين:

الدليل الأول: الخبر المأثور عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه أنه لما طُعن قيل له: «**ألا تستخلف؟ قال: إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي: أبو بكر، وَإِنْ أترك، فقد ترك مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي: رسول الله** ﷺ»[1].

ووجه الدلالة: أن عمر لم ينكر عليه الصحابةُ مقالته، ولو كانت الخلافة ثبتت لأبي بكر بالنص؛ لأنكر الصحابة عليه، وقالوا: لا يا عمر!! ثبتت الخلافة لأبي بكر، من الرسول - عليه الصلاة والسلام - بالنَّصِّ، ونحن لا نتهم الصحابة بتواطئهم معه، ولا نتهم عمر في قوله؛ لأنهم عدول؛ فدلَّ على أن خلافة أبي بكر ثبتت بالانتخاب، لا بالنص.

الدليل الثاني: ما ورد في البخاري عن عائشة رضي الله عنها حين اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة إلى سعد بن عبادة، وجاءهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، وأن أبا بكر تكلم فقال في كلامه: «**وَلكِنَّا الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا فَبَايِعُوا عُمَرَ بن الخطاب أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ فَأَنْتَ سَيِّدُنَا**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢١٨) واللفظ له، ومسلم (١٨٢٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ»[(١)].

ووجه الدلالة: لو كان هناك نص عن النبي أن الخليفة بعده أبو بكر؛ لذكره أبو بكر في ذلك الوقت الحَرِج، ولذكره عمر في ذلك الوقت الحرج، ولم يعلل بالسيادة والوزارة والاستدلال بفضائله على صلاحيته للولاية؛ فدل على أنه ليس فيها نص.

القول الثاني: أنها ثبتت بالنص من النبي لا بالاختيار، والذين قالوا بالنص بعضهم، قالوا: إنها ثبتت بالنص الجَلِيِّ، وقال بعضهم: إنها ثبتت بالنص الخفي، وهذا قول طوائف من أهل الحديث والمتكلمين، ويروى عن الحسن البصري، وقد استدلوا بأنواع من الأدلة:

النوع الأول: قصة المرأة التي وعدها أن تأتي أبا بكر إن لم تجده **«أَتَتْ النبيَّ ﷺ امرأةٌ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ فَأَمَرَهَا أن ترجع إليه. قالت: يا رسولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ - كأنها تريدُ الموت - قَالَ: إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»**[(٢)] قالوا: هذا دليل على أنه نص على أن أبا بكر هو الخليفة بعده، وأجيب عن هذا: بأن النبي قد وَكَّلَ أبا بكر في قضاء الحوائج، وقد يُوَكِّلُ في قضاء الحوائج مَن لا يصلح للخلافة.

النوع الثاني: الأمر بالاقتداء به كما في قول النبي **«اقتدوا بالَّذَيْنِ من بعدي: أبي بكر وعمر»**[(٣)] قالوا: هذا دليل، وَنَصٌّ على أنه هو الخليفة،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٢٠) واللفظ له، ومسلم (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، وغيرهما، وحسنه الترمذي، قال الحافظ في «التلخيص» (٢٥٩٢): «أخرجه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، =

وأجيب: بأنه قد يصلح للقدوة مَنْ لا يصلح للخلافة.

النوع الثالث: دخولُ النبي على عائشة وَهَمُّهُ بما هَمَّ به؛ فقد دخل على عائشة وقال: «**ادْعِي لِي أبا بكرٍ: أَبَاكِ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فإني أخافُ أن يتمنَّى مُتَمَنٍّ ويقولُ قائلٌ: أنا أولى ويَأْبَى اللهُ والمؤمنون إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»(١).

وأجيب: بأن الرسول وَكَلَ الخلافة إلى قضاء الله، وترك الأمر للمسلمين، والمعنى: يأبى اللهُ قضاءً وقدراً والمسلمون، اختياراً وانتخاباً لأبي بكر.

النوع الرابع: أحاديثُ تقديمه في الصلاة: كما ثبتَ في الصحيح أنه

= وابن حبان، والحاكم من حديث عبدالملك بن عمير، عن ربعي، عن حذيفة، واختلف فيه على عبد الملك، وأعله ابن أبي حاتم، عن أبيه، وقال العقيلي بعد أن أخرجه من حديث مالك، عن نافع عن ابن عمر: لا أصل له من حديث مالك، وهو يروى عن حذيفة بأسانيد جياد تثبت، وقال البزار وابن حزم: لا يصح؛ لأنه عن عبدالملك، عن مولى ربعي وهو مجهول، عن ربعي.
ورواه وكيع، عن سالم المرادي، عن عمرو بن مرة، عن ربعي، عن رجل من أصحاب حذيفة، عن حذيفة، فتبين أن عبد الملك لم يسمعه من ربعي، وأن رِبْعيا لم يسمعه من حذيفة.
قلت: أما مولى ربعي فاسمه هلال، وقد وثق، وقد صرح ربعي بسماعه من حذيفة في رواية، وأخرج له الحاكم شاهدا من حديث ابن مسعود، وفي إسناده يحيى بن سلمة بن كهيل وهو ضعيف، ورواه الترمذي من طريقه وقال: لا نعرفه إلا من حديثه». اهـ، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٣٣)، وقال (٣/ ٢٣٣): «رُوي من حديث عبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، ثم أطال ﷺ في تفصيل طرقه».

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٦)، ومسلم (٢٣٨٧)، وهذا لفظ مُسلم.

قال: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»[١] قالوا: هذا نص على أنه هو الخليفة بعده. وأجيب: بأنه قد يصلح للإمامة في الصلاة، مَنْ لا يصلح للإمامة العظمى.

النوع الخامس: المناماتُ: يعني: رُؤَى ومنامات، منها «**أَنَّ النَّبِيَّ رَأى كَأَنَّهُ نَـزَعَ دلْوًا، وَنَـزَعَ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ وَشَرِبَ وَفِي شُرْبِهِ ضَعْفٌ ثُمَّ نَـزَعَ عُمَرُ فَاسْتَحَالَت غَرْبًا**»[٢]، وفي رؤيا: «**أَنَّهُ نَـزَلَ مِيزَانٌ مِنَ السَّمَاءِ فَوَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَبِي بَكْرٍ فَرَجِحَ النَّبِيُّ ﷺ وَوَزِنَ أَبُو بَكْرٍ بِعُمَرَ فَرَجِحَ أَبُو بَكْرٍ بِعُمَرَ ... ثُمَّ رُفِعَ المِيْزَانُ**»[٣]، وقصص أخرى من المنامات في هذا المعنى،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرجه البخاري (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠) من حديث أبي موسى، وأخرجه البخاري (٦٨٢) من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٤)، وفي مواضع أخرى من الصحيح، ومسلم (٢٣٩٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه، وأخرجه البخاري (٧٠٢١)، ومسلم (٢٣٩٢) من حديث أبي هريرة أيضاً.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٢٨٧)، وأبو داود (٤٦٣٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٣٦)، والحاكم (٤/ ٤٣٦)، والبزار في «المسند» (٣٦٥٣) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وقال أبو عيسى: حسن صحيح. اهـ، والحديث من رواية الحسن البصري، عن أبي بكرة، وفي سماع الحسن منه خلاف، والراجح عدم سماعه منه، راجع كلام الحافظ العلائي في «جامع التحصيل» (١٦٣).
لكن له متابع وهو عبد الرحمن بن أبي بكرة، فقد أخرجه أحمد (٥/ ٤٤، ٥٠)، وأبو داود (٤٦٣٥)، وابن أبي عاصم (١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٥) مختصراً جداً، ومطولاً، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٨٢)، و(٣١٩٦١)، والطيالسي (٨٦٦)، وغيرهم.
من طريق حماد بن سلمة، حدَّثنا علي بن زيد، عن عبد الرحمان بن أبي بكرة، عن أبيه. فذكره. فالحديث كما قال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (١١٣١- ١١٣٣، ١١٣٥).

قال من يقول بالنصّ: هذا دليلٌ ونصٌّ على أن أبا بكر هو الخليفة بعد النبي ﷺ، وأجيب: بأن هذا المنامات لو كانت نصًا في خلافة أبي بكر؛ لكانت نَصًا في خلافة عمر وعثمان، لكن لم يذهب أحد إلى أن المنامات نَصٌّ في خلافة عمر وعثمان؛ فكذلك القول في أبي بكر.

الدليل الخامس: اختصاصُ أبي بكر بالخُلّة؛ لو كان لها موضع لقوله **«لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنَ أخي وصاحبِي»**[1] قالوا: هذا نص في أنه الخليفة بعده. وأجيب: بأن الخلة شيء، وسياسة الأمور شيء آخر.

رأي شيخ الإسلام ابن تيمية[2]:

وخلاصةُ رأي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنَّ التحقيق في خلافة أبي بكر - وهو الذي يدل عليه كلام أحمد - أنها انعقدت باختيار الصحابة ومبايعتهم، وأن النبي أخبر بوقوعها على سبيل الحمد لها والرضا بها، وأنه أمر بطاعته وتفويض الأمر إليه، وأنه دل الأمة وأرشدهم إلى بيعته.

فهذه الأوجه الثلاثة: الخبر، والأمر، والإرشاد ثابت من النبي فالأول: كالمنامات، والثاني: كحديث **«اقْتَدُوا باللذَيْنِ مِن بَعْدِي؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»**[3]، والثالث: تقديمه له في الصلاة.

وأما قول الإمامية الرافضة: إن الخلافة ثبتت بالنص الجلي على عليٍّ، وكذلك قول الزيدية الجارودية: إنها ثبتت بالنص الخفي عليه، وقول

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٦) من حديث ابن عباس.
(٢) انظر: «منهاج السنة» (١/ ١٢٤).
(٣) تقدم تخريجه قريبا.

الراوندية: إنها ثبتت بالنص على العباس، فهذه أقوالٌ ظاهرة الفساد عند أهل العلم والدين.

يقول شيخ الإسلام: هذه الأقوال أقوال ظاهرة الفساد عند أهل العلم والدين، وإنما يدين بها إما جاهل، وإما ظالم، وكثير مما يدين بها زنديق.

خلافة عمر بن الخطاب: أما خلافته رضي الله عنه، فإنها قد ثبتت له بالعهد من أبي بكر، وثبتت له البيعة، وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه، وفضائل عمر كثيرة، والأدلة في هذا كثيرة.

خلافة عثمان بن عفان: ثبتت الخلافة لعثمان رضي الله عنه بمبايعة عبد الرحمن بن عوف له، والمهاجرون والأنصار، وأمراء الأجناد، والمسلمون، وذلك بعد أن عَهِدَ عمرُ إلى الستة: أهل الشورى. وقصةُ قتل عمر، وقصة دفنه، وقصة البيعة، وأهل الشورى معروفة، سردها الإمام البخاري في صحيحه والخبرُ بذلك طويل.

خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وقد ثبتت له بمبايعة أكثر الناس؛ ممن تنعقد بهم البيعة، إذن فعليٌّ ما اجتمع الناس عليه؛ لكن ثبتت له الخلافة بمبايعة أكثر أهل الحل والعقد، وأما معاوية وأهل الشام فامتنعوا، لا لأنهم يطلبون الخلافة، بل لأنه يطالب بِقَتَلَةِ عثمان، وقال لعليٍّ: اقتص من قتلة عثمان وأنا أبايعك، وعلي رضي الله عنه لم يمانع ولكنه لم يستطع في ذلك الوقت بسبب الفتنة، وهؤلاء الذين قتلوا عثمان اندسوا في العسكر، ولا يُعرفون، وهؤلاء لهم قبائل تنتصر لهم فيخاف من اتساع الأمر، ولذا كان عليّ رضي الله عنه: يرى أنه بعد أن تهدأ الأحوال نستطيع أن نأخذ قتلة عثمان، ولكن معاوية كان يرى أَخْذَ القتلة عاجلاً، ولذلك حَصَلَ الخلافُ، فامتنع معاوية وأهلُ الشام عن البيعة لعليٍّ، ثم بعد ذلك الخلاف، زاد الأمرُ حتى

حصلت الحروب المعروفة بين الصحابة، عن اجتهادٍ، فَكُلٌّ مجتهدٌ، ومن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد.

تقديم عثمان على علي: ويروى عن أبي حنيفة تقديم عليٍّ على عثمان في الفضيلة لا في الخلافة، هذا قولٌ لأبي حنيفة، ولكن ظاهر مذهبه: تقديم عثمان على عليّ، وعلى هذا عامة أهل السنة، ويؤيده قولُ عبد الرحمن بن عوف، وقول أيوب السختياني: «مَن لم يقدِّم عثمان على عليّ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار» يعني: احتقرهم؛ لأن المهاجرين والأنصار أجمعوا على بيعة عثمان وتقديمه في الخلافة، وثبت عن ابن عمر - كما في صحيح البخاري، وفي السنن - «قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: **أفضل أمة النبي ﷺ بعده: أَبُو بَكْر ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ** رضي الله عنهم»[1].

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٥، ٣٦٩٧)، وأبو داود (٤٦٢٨)، والترمذي (٣٧٠٧)، عن نافع، عن ابن عمر. وألفاظه متقاربة، واللفظ لأبي داود.

آراء أصحاب الفرق في العشرة المبشرين بالجنة

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وَأَنَّ العَشرَةَ الَّذينَ سَمَّاهُم رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَبشَّرَهُم بِالجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُم بِالجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُم رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَقَوْلُهُ الحقُّ، وَهُمْ: أَبُوبَكْرٍ، وَعُمَرُ، وعُثْمَانُ، وَعَليٌّ، وَطَلْحَة، والزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحمنِ بن عَوْفٍ، وأبو عبيدة بنُ الجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِين.**

الشرح

من شهد له النبي ﷺ بالجنة؛ نشهد له بالجنة، ومن لم يشهد له بالجنة فلا نشهد له، فنشهدُ بالجنة للمؤمنين على العموم، وأما على وَجْهِ التعيين؛ فنخصّ فلاناً وفلاناً؛ فلا يجوزُ، إلا من شهد له الرسول ﷺ؛ كهؤلاء العشرة فإنه مشهود لهم بالجنة، هذا معتقد أهل السنة والجماعة، أما الرافضة فإنهم لا يشهدون لهم بالجنة، بل يكرهون هؤلاء العشرة المبشرين بالجنة، بل من شدة كراهيتهم لهم، يكرهون لفظَ العشرة، وعدد العشرة، ويستبدلون بالعشرة، اثني عشر إماما، وإن كانوا يستثنون علياً رضي الله عنه، من العشرة وهذا من جهلهم.

والرد عليهم من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: تناقضهم في بُغْض التسعة من العشرة وموالاتهم للتسعة ولفظ التسعة، فالرافضة متناقضون، لكن ما وجه التناقض؟ وجه التناقض: كونهم يكرهون العشرة المبشرين، ويكرهون لفظ العشرة، وعدد العشرة؛ لشدّة كراهتهم للعشرة المبشرين بالجنة، وهم مع ذلك يستثنون علياً من

العشرة، مع أنه داخل فيهم! فإذا حذفنا علياً رضي الله عنه من العشرة فيبقى تسعة؛ فكان الأولى بالرافضة أن يبغضوا التسعة لا العشرة، ومع ذلك فهم يوالون التسعةَ ولفظَ التسعة، أليس هذا تناقضا لكونهم يبغضون العشرة المبشرين بالجنة. ثم يستثنون علياً فيكون الباقي تسعة، ثم يوالون التسعةَ، ولفظ التسعة؟!

فمن العجب أنهم يوالون لفظ التسعة وهم يبغضون التسعة من العشرة، ويبغضون سائر المهاجرين والأنصار من السابقين الأولين، الذين بايعوا رسول الله تحت الشجرة، بل يبغضون المهاجرين والأنصار كلهم، واللهُ قد رضي عنهم وأخبر - عليه الصلاة والسلام -: «**أنه لا يلج النارَ أحدٌ بايع تحت الشجرة**»[1]، وذكر العلةَ في عدم دخول حاطب النار أنها: شهود بدرٍ والحديبية، والعشرةُ المشهود لهم بالجنة منهم.

الوجه الثاني: إن المعنى لا يؤثر في اللفظ، والأعدادُ لا تُمدَح ولا تُذَمّ؛ فحتى لو فرضنا أنكم تكرهون العشرة فما علاقة العدد بهذا، وما ذَنْبه؟ فلو فُرض في العالم عشرة من أكفر الناس؛ فلا يلزم أن يهجر هذا الاسم بذاته؛ كما لم يقتض هَجْرَ اسم التسعة مطلقا قولُ الله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النمل: ٤٨]؛ فالله ذم التسعة من قوم صالح، ولم يقتض ذلك هجر التسعة، لا مِنّا أهل السنة، ولا من الرافضة.

الوجه الثالث: أن اسم العشرة قد مدح الله مسماه لفظاً ومعنى في مواضع من القرآن الكريم، من ذلك: قولُ الله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] وقوله: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف:

---

(١) سبق تخريجه.

١٤٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝﴾ [الفجر: ١-٢]، وكان - عليه الصلاة والسلام - يعتكف العشر الأواخر من رمضان، وكان يقول في ليلة القدر «**التمسوها في العشر الأواخر من رمضان**»[١]، وقال: «**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر**»[٢] يعني عشر ذي الحجة .

استبدال الرافضة بالعشرة اثني عشر إمامًا: الرافضة توالي بدل العشرة المبَشرين بالجنة اثني عشر إماماً، وهم: علي بن أبي طالب، وَيدَّعُون أنه وصيُّ النبيِّ ﷺ، وهذه دعوى عارية عن الدليل، ثم يليه: الحسن بن علي، ثم الحسين بن علي، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرِّضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم محمد بن الحسن العسكري المهدي، وهو الإمام المنتظر عندهم، الذي دخل سرداب سامراء بالعراق سنة ستين ومائتين[٣] .

الرد عليهم بالسنة وما يصدقها من الواقع: يرد على الرافضة بأنه لم يأت ذكر الأئمة الاثني عشر إلا على صفةٍ تَرُدُّ قولهَم، وهو ما خرَّجه في الصحيحين عن جابر بن سَمُرةَ ﷺ قال سمعتُ النبي يقول: «**لا يزال أمر**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢١) من حديث ابن عباس ﷺ، وفي الصحيحين عن غيْره أيضاً، من حديث ابن عمر، وعائشة، وأبي سعيد، وأبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٩٦٩)، وأبو داود (٢٤٣٨)، والترمذي (٧٥٧) واللفظ له، وابن ماجه (١٧٢٧)، من حديث ابن عباس ﷺ.

(٣) انظر: «الملل والنحل» (١/ ١٦٩).

الناس ماضياً ما وَليهم اثنا عشر رجلا -ثم تكلَّم النبي ﷺ بكلمةٍ خفيتْ عليَّ. فسألتُ أبي: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال:- كلهم من قريش»[1].

وَأَمَّا تصديق الواقع لهذا الحديث؛ فلكونه حصل كما قال النبي ﷺ؛ فالاثنا عشر هم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية الخامس، وابنه يزيد، وعبدالملك بن مروان، وأبناؤه الأربعة: الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبدالملك، وهشام بن عبد الملك، ويزيد بن عبد الملك، وبينهم عمر بن عبد العزيز.

ولا يزال الأمر - أمر الإسلام - قائماً، والجهاد قائماً في أيام هؤلاء، ثم أخذ الأمر بعدهم في الانحلال.

وعند الرافضة أن أمر الأمة لم يزل في أيام هؤلاء فاسداً؛ يتولى عليهم الظالمون المعتدون، بل المنافقون الكافرون، وأهل الحق عندهم، الذين هم أهل البيت أذل من اليهود!! هكذا يقول الرافضة!! وقولهم ظاهر البطلان؛ فإن الإسلام لم يزل عزيزاً؛ في ازدياد بل وفي ازدياد في زمن هؤلاء الاثني عشر.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٢٣)، ومسلم (١٨٢١) واللفظ له.

حسن القول في الصحابة وأمهات المؤمنين فيه براءة من النفاق

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: **وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ المقدسينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.**

الشرح

أهل الحق يحسنون القول في الصحابة، وأمهات المؤمنين، وعلماء السلف، والتابعين، وأهل الخير، وأهل الفقه، وهذا فيه براءة من النفاق، والرافضة أول من أحدث الرفض، وأول من أحدثه منافقٌ زنديقٌ، هو: عبدالله بن سبأ اليهودي الحميري؛ من أهل اليمن، وَقَصْدُهُ إبطال دين الإسلام وإفساده بمكره وخبثه. وطريقته التي سلكها؛ أولاً: إظهارَ التنسك والتعبد، ثم إظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وَقَتْلِهِ بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم لما قدم الكوفة أظهر الغلو في علي والنصر له؛ ليتمكن بذلك من أغراضه، فتظاهر بالدعوة إلى التشيعِ والرفضِ، والرفضُ هو باب الزندقة؛ كما حكى أبو بكر الباقلاني عن الباطنية في كيفية إفساد الباطنية لدين الإسلام؛ فإنهم يقولون للداعي: يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل من جهة ظلم السلف لعلي وقتْلهم الحسين، والتبرى من تيم - وهم قبيلة أبي بكر - وعديٍّ - وهم قبيلة عمر - وبني أمية - قبيلة عثمان - وبني العباس، وأن عليا يعلم الغيب، ويفوض إليه خلق العالم.

فإن وجدت منه عند الدعوة إجابةً ورشداً، أوقفته على مثالب علي

وولده ﷺ أي طريقته .

الرد عليهم ببيان كيفية إبطالهم لدين الإسلام: وهذا من أعاجيب الشيعة فإنهم إنما ينصرفون من سب الصحابة إلى سب أهل البيت وأهل بيته من أصحابه، ثم آل رسول الله ﷺ ثم الرسول ﷺ، فالواجب على المسلم موالاة المسلمين جميعاً، وأولى مَنْ يُتَوَلىَّ هم الصحابة، وأزواج النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، وجه الدلالة: أن الله قرن المؤمنين بالله ورسوله في الوعيد على من شاقهم؛ فدل على وجوب موالاتهم .

الأعذار في أقوال العلماء المخالفة للأحاديث الصحيحة: إذا وُجد لبعض العلماء قول يخالف حديثًا صحيحًا، فلا بد له من عذر، وجماع الأعذار في مخالفتهم له[(١)]:

أولًا: عدم اعتقاده حديثًا، وأن النبي ﷺ قاله، يعني لم اعتقد أنه حديث .

ثانيًا: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول، ففهم أنه في غير محل النزاع.

ثالثًا: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

رابعًا: عدم بلوغه الحديث واطلاعه عليه.

وقد ألف شيخ الإسلام رحمه الله رسالة في أعذار العلماء باسم «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» وهي مطبوعة.

---

(١) راجع رسالة: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

علماء السلف وأهل الخير والأثر لا يُذكرون إلّا بالخير والجميل وعدم ذكر هم بسوء

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: وعُلماءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بعْدَهُم مِنَ التَّابِعِينَ -أهْلُ الخَيْرِ والأثَرِ، وأَهْلُ الفِقْهِ والنَّظَرِ- لا يُذكَرُونَ إِلَّا بِالجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرُهُم بِسُوءٍ فَهُوَ عَلى غَيْرِ السَّبِيلِ.

الشرح

الأمرُ كما قال الماتنُ رَحِمَهُ اللهُ فمن ذكرهم بسوء، فقد توعده الله بقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ﴾ [النساء: ١١٥].

المفاضلة بين الأنبياء والأولياء

◆ **قال المؤلف** رحمه الله: **وَلَا نُفَضِّلُ أَحَداً مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، ونقولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ.**

الشرح

وهذه المسألة تسمى: المفاضلة بين الأنبياء فالأولياء[1]، فالأنبياءُ أفضل الناس، والرسل أفضلهم؛ فالرسل أفضل الناس، وأفضل الرسل أولوا العزم الخمسة: وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، وأفضل أولي العزم الخمسة؛ الخليلان: إبراهيم ومحمد عليهما السلام، وأفضل الخليلين: نبينا محمد ﷺ، ثم يليه جده إبراهيم، ثم موسى الكليم، ثم بقية أولي العزم، ثم الرسل، ثم الأنبياء، ثم سائر المؤمنين ...، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم سائر المؤمنين. هذا هو الذي تدل عليه النصوص.

وذهب بعض الصوفية إلى تفضيل الأولياء على الأنبياء، لون: الولي أفضل من النبي، والنبيُّ أفضل من الرسول، هكذا عكسوا الدرجات فادَّعَوا أن الولي أفضل، ثم النبي، ثم الرسول، وبعضهم يظن أنه يصل إلى درجة الولاية بترويض نفسه وتجويعها واعتزاله عن الناس فيحرم نفسه الطعامَ والشرابَ والنومَ، ويقلل من ذلك جهده؛ الليالي الطوال، ويسمونها: أركان المجاهدة ويظن أنه يصل بذلك إلى درجة الولاية، ويكون أفضل من الأنبياء!! وهذا مذهب الاتحادية؛ أهل وحدة الوجود، الذين يقولون: الأولياء أفضل من الأنبياء، وهذا قول رئيسهم ابن عربي

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٤٢).

الطائي، فإنه يزعم أنَّ الأنبياء يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء، فيقول: النبوة ختمت بمحمد، لكن الولاية لم تختم فيدَّعي لنفسه أنه هو خاتم الأولياء، ومحمد خاتم الأنبياء، لكن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء؛ فيفضّل نَفْسَهُ على الرسول.

ويكون ذلك العلم الذي يأخذه هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود؛ واجب بنفسه، يعني: أنَّ هذا العالم واجب بنفسه، ليس له صانع، وليس له خالق، ولكن ابن عربي يقول: هذا الوجود هو الله، والقرآن قد دل أن فرعون إنما أظهر إنكار الصانع بالكلية؛ تمويها على الناس، لكن فرعون كان في الباطن أعرف بالله من طائفة وحدة الوجود، وبيان ذلك: أن فرعون كان مثبتا للصانع في الباطن؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وأما أهل وحدة الوجود فمذهبهم أن الوجود المخلوق؛ هو الوجود الحق، وهذا مذهب ابن عربي وأمثالهن كابن سبعين، والقونوي، والتلمساني.

وابن عربي لما رأى أن الشرع الظاهر - وهو ما جاءت به الرسل - لا سبيل إلى تغييره، قال: النبوة ختمت لكن الولاية لم تختم، وادعى لنفسه من الولاية ما هو أعظم من النبوة، وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون من الولاية، فالولاية أعلى درجة من النبوة، والنبوة أعلى درجة من الرسالة عند ابن عربي، كما قال:

مقام النبوة في برزخ فُوَيْقَ الرسول ودون الوليّ

إذن: الولي أعلى، ثم النبي، ثم الرسول، هكذا عكس ابنُ عربي الأمر؛ فجعل مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي.

وابن عربي[1] هذا له مؤلفات وله كتب منها: كتاب سماه «فصوص الحكم»، ومنها كتاب سماه «الفتوحات المكية»، ومنها كتاب سماه كتاب «الهو» ويعني بـ«الهو»: الله، ولذا فإن من صور الذكر عند ملاحدة الصوفية؛ الاقتصار على قول «هو هو» كأنها كلابٌ تتنابح!! وهؤلاء يقولون: يقول: هذا الذكر ليس فيه إلا (الهو) يعني ليس فيه إلَّا الله.

ذكر العامة (لا إله إلا الله) هكذا يقولون في الذكر بهذه الصيغة!!

---

(١) من أفضل الكتب التي ردت على ابن عربي:

- «الفتاوى لشيخ الإسلام» (المجلد الثاني).
- «ابن عرب» لسميح الزين.
- «الإلحادية: عقيدة ابن عربي الاتحادية» للأستاذ مصطفى سلامة.
- «كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق» للشيخ عبدالقادر السندي.
- «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي؛ حيث ترجم لابن عربي وذكر فتاوى العلماء فيه.
- «نعمة الذريعة في نصرة الشريعة» لإبراهيم الحلبي؛ وهو رد مفصل على «فصوص الحكم». وقد طبع بتحقيق الشيخ علي رضا.
- «رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي» جمع وتحقيق الشيخ موسى الدويش.

ومن المعلوم اهتمام المستشرقين القديم ببعث العقائد المنحرفة عن منهج أهل السنة؛ لكي يصرفوا المسلمين عن مصدر عزهم وقوتهم. وقد وجدتُ أن العلمانيين -قبحهم الله- عندما رأوا انتشار الخير والتمسك بالدين بين المسلمين ساروا على نفس خطى أساتذتهم؛ فبدؤا ببعث تراث الفرق المنحرفة وأعلامها. ومن ذلك: قيام أحد رموزهم في هذا الزمان «نصر حامد أبوزيد» بتأليف كتاب جديد بعنوان: «هكذا تكلم ابن عربي». اهـ

فالرسول على هذا من العامة!!، ثم الخاصة تقتصرُ على لفظ الجلالة (الله) من جملة النفي والإثبات!!؛ وأما خاصة الخاصة فلا تحتاج أن تأخذ لفظ الجلالة بل تأخذ الهاء من لفظ الجلالة، ولذا ترى هؤلاء الملاحدة يرددون في حلق الذكر لفظ (هو هو هو هو هو) فهذه هي صورة ذكر الله عند هؤلاء الملاحدة!! نسأل الله السلامة والعافية.

ولهذا ألّف ابن عربي كتابًا سماه كتاب «الهو» ويزعم مَنْ يرى جواز الذكر بلفظ (هو) أن عنده دليلا من القرآن وهو قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٧]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] قلت لهم: لو كان كما تقولون أيها الملاحدة، لكانت الهاء مفصولة عن الآية: وَلَكُتِبَتْ (وما يعلم تأويل هو)، لكن الهاء متصلة في لفظ (تأويله). لكن الحاصل أن هؤلاء الملاحدة لا يؤمنون بالقرآن، لكن يريدون إثبات قولهم.

يقول ابن عربي في كتاب «فصوص الحكم» لما مثَّل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن فرآها قد كملت إلا موضع لبنة، فكان ﷺ هو تلك اللبنة، يعني: يشير إلى الحديث الذي سبق **«إنَّ مَثَلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنةٍ من زاويةٍ فَجَعَلَ الناس يطوفون به ويعجبون لَهُ ويقولون: هَلَّا وُضِعَتْ هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة،**

---

(١) ونص كلامه في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٦٠): «وأغرب من هذا ما قاله لي مرةً شخصٌ من هؤلاء الغالطين فى قوله: (وما يعلم تأويله إلا الله) قال: المعنى وما يعلم تأويل (هو) أي إسم هو الذي يقال فيه: هو هو. وصنّف ابنُ عربى كتاباً في «الهو» فقلت له وأنا إذ ذاك صغير جداً لو كان كما تقول لكتبت فى المصحف مفصولة تأويل هو ولم تكتب موصولة. وهذا الكلام الذي قاله هذا معلومُ الفساد بالاضطرار، وإنما كثير من غالطى المتصوفة لهم مثل هذه التأويلات الباطلة فى الكتاب والسنة». اهـ

وأنا خاتم النبيين»[١].

ابن عربي يعارض الحديث يقول كتابه: «ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن فرآها قد كملت إلا موضع لبنة فكان ﷺ تلك اللبنة، وأما خاتم الأولياء - يعني نفسه - فلا بد له من هذه الرؤية فيرى ما مثله النبي ﷺ ويرى الحائط في موضع لبنتين؛ واحدة من فضة وواحدة من ذهب يعني؛ لأن الحائط مكون من لبنتين: لبنة ذهبٍ، ولبنة فضةٍ، فلبنةُ الذهب هذه تعني: خاتمَ الأولياء، ولبنة الفضة تعني: خاتمَ الأنبياء.

فجعل الرسول ﷺ لبنةَ فضةٍ؛ لأنه خاتم الأنبياء، وجعل نفسه لبنةَ الذهب؛ لأنه خاتم الأولياء، فيرى ما مَثَّلهُ النبيُّ ويرى الحائطَ موضع لبنتين؛ واحدة من فضة، وواحدة من ذهب، ويرى نفسه تنطبع في موضع اللبنتين، فَتُكمِل الحائطَ.

والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين؛ أن الحائط لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، واللبنة الفضة هي ظاهر البيت أو الحائط، وما يتبعه ابن عربي فيه من الأحكام؛ فهي تُمَثِّلُ الرسولَ ﷺ الذي جاء بالأحكام الظاهرة.

كما أن ابن عربي أخذ عن الله في السر، ما هو في الصورة الظاهرة متبع للرسول فيه، يعني يقول ابن عربي: إنه يرى أن الحائط مكون من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٥) واللفظ له، ومسلم (٢٢٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه البخاري (٣٥٣٤)، ومسلم (٢٢٨٧)، بنحوه من حديث جابر بن عبدالله، وأخرجه مسلم عقب حديث أبي هريرة السابق، عن أبي سعيد الخدري، بذكر طرفه الأول، وقال في الباقي: «فذكر نحوه»، وحديث أبي سعيد هذا ساقه بتمامه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٧٦٩)، وأحمد (٣/٩)، وفي الباب أيضاً عن أُبي بن كعب، عن الترمذي (٣٦١٣)، وأحمد (٥/١٣٦- ١٣٧).

لبنتين؛ لبنة ذهب، ولبنة فضة، فلبنة الفضة هذه هي ظاهر الجدار، ولبنةُ الذهب هذه هي باطنُ الجدار، والسبب - كما يقول -: لكونه يرى أن لبنة الفضة هذه تمثل محمداً ﷺ وما جاء به من الأحكام الظاهرة، ولبنة الذهب تمثل ابن عربي وما جاء به من أحكام الباطنة، لذلك فيقول ابن عربي: إنَّ خاتم الأولياء تابع لخاتم الأنبياء في الظاهر، وخاتم الأنبياء تابع لخاتم الأولياء في الباطن.

هكذا يقول ويزعم بأنه أخذ عن الله في السر ما هو في الصورة الظاهرة متبع فيه للرسول ﷺ، بل ويدَّعي هذا الزنديق أنه أخذ عن الله مباشرة، وأنه لا يحتاج إلى أحد؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بد أن يراه هكذا، وخاتمُ الأولياء - ويعني: نفسه - الذي هو موضع اللبنة الذهبية في الباطن، يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه المَلَك الذي يوحي به للرسول ﷺ، فهو لا يحتاج إلى جبريل ولا غيره، فهو يأخذ من اللوح المحفوظ وعن الله مباشرة، فلا يحتاج إلى جبريل، أما خاتم الأنبياء هذا فإنه يحتاج إلى واسطة، وهو الملك قال في كتابه: فإن فهمت ما أشرنا إليه، فقد حصل لك العلم النافع.

مسألة: أصل ابن عربي[1]: وأصل هذا المذهب الكفري، الذي تتفرع عنه سائر اعتقاداتهم؛ هو أن الوجود واحد، وأن الوجود الواجب هو عين الوجود الممكن؛ فوجود كل شيء؛ عينُ وجودِ الحق عنده، أي: أنَّ وجود كل شيء من هذه المخلوقات، هو وجود الله عنده، ولذلك كان قولُ الحلوليةِ - وهم الذين يزعمون أن الله بذاته في كل مكان، وهو قول كثير من الجهمي - أَقَلَّ كفرا من قول الاتحادية وأخف.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ١١٢).

ووجه ذلك؛ لأن من قال: إن الله يحل في المخلوقا فقد قال: بأن
، غير الحال، وهذا تثنية عند الاتحادية، وإثباتٌ لوجودين: أحدهما:
الحق الحال، والثاني: وجود المخلوق الذي هو المحل، والاتحادية
رون بإثبات وجودين ألبتة؛ ولهذا من سماهم حلولية أو قال: هم
ن بالحلول رأوه محجوبا عن معرفة قولهم خارجاً عن الدخول إلى
أمرهم. ومن الأقوال المتفرعة عن مذهب ابن عربي هذا الشعر الذي
فيه:

الـــرَّبُّ عَـبْــدٌ وَالْـعَـبْــدُ رَبٌّ ... يَـا لَـيْـتَ شِـعْـرِي مَـن الـمُـكَـلَّـف
إِنْ قُـلْـتُ عَـبْـدٌ فَـذَاكَ مَـيْـتٌ ... أَوْ قُـلْـتُ رَبٌّ أَنَّـى يُـكَـلَّـفُ[1]

وفي بعض الروايات (فذاك نفي)؛ لأن العبد ليس له عندهم وجود مخلوق وكلامه باطل؛ فإن العبد موجود وثابت، ليس بمعدوم ومنتف، ولكن الله هو الذي جعله موجودا ثابتا .

ومن كلام ابن عربي؛ يقول: من أسماء الله الحسنى العلي، ثم يُعَرِّف العلي فيقول: عَلِيٌّ على ماذا؟! وما ثم إلا هو، وعن ماذا؟ وما هو إلا هو، فإذا كان الوجودُ واحداً؛ ليس فيه إلا هو، بل هو الوجود بأسره، فكيف يكون علياً، وما ثم إلا هو، وعن ماذا يكون علياً؟ وما هو إلا هو.

ومن كلماته؛ يقول: (رب مالك وعبد هالك وأنتم ذلك)، (والعبد فقط والكثرة الوهم) ويقول: (سر حيث شئت فإن الله ثَمَّ، وقل ما شئت فيه فالواسع الله)، وهؤلاء الملاحدة الزنادقة يقولون هذا الكلام ويلبسون على

---

(١) ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية في «المجموع» (٢/ ١١١)، وسبقت الإحالةُ إلى مواضعهما من كتب ابن عربي.

الناس، ويقولون للواحد: إنك لا تفهم هذا الكلام حتى تخرق الحجاب الذي بينك وبين فهم هذا الكلام لكن، ما هذا الحجاب الذي يطالبون الناس بخرقه؟

إنه حجابُ العقل، وحجاب الشرع، وحجاب الحس، فمطلوبٌ منك أن تلغي كُلَّ هذا؛ حتى تفهم هذا الكلام، ومما يؤسف له أن هذا الكلام الكفري موجود وَوُضِعَتْ فيه مؤلفات ومن الناس من يدافع عنه، وهذه المؤلفات تطبع بأوراق صقيلة وتحقق، وموجودة في كل مكان؛ في مصر، وفي الدول العربية، وموجودة في المكتبات، في مكان خاص لأصحاب الرسائل العلمية فالذين يريدون الرد عليهم فهي موجودة، وهناك من يدافع عنهم ولهم أتباع وأنصار وطوائف.

الرد على الاتحادية والصوفية:

أولا: أن اعتقادهم في الولاية أعظم من النبوة قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. والنبوة أخص من الولاية عند أهل الحق، والرسالة أخص من النبوة، فالرسالة أعلى شيء، ثم النبوة، ثم الولاية. ويُردُّ على الاتحادية بأن الله بائن من خلقه، مستو على عرشه، وأنه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

وَيُرَدُّ عليهم بادعائهم بأن لهم من الولاية ما هو أفضل من درجة الرسالة: بأن هذه الدعوة خرق لما جاء به الرسول ، ومن لم يكن متبعا للأمر الذي جاء به الرسول ، كان يعمل بإرادة نفسه، فيكون متبعا لهواه بغير هدى من الله، وهذا غش النفس، وهو من الكبر، فإنه شبيه بقول

الذين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]؛ فقال الله ردا على مقالتهم، وقطعا لأطماعهم في أن ينالوا مثل ما نال الرسل: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ووجه الشبه: أن كُلّاً من الطائفتين تعالت على الرسل، وادعت أنها أحق منهم.

حكم ابن عربي وشيعته:

ابن عربي كافر، وَمَنْ أكثر كفراً ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب، وللرسول المثل بلبنة فضة؛ فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسول؟ وكيف يخفى كفر من هذا كفره؟ كيف يخفى كفر من هذا كلامه؟ بل إن كفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر الذين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ويكفيك معرفةً بكفرهم، أن من أخف أقوالهم: أن فرعون الذي ادعى الربوبية، مات مؤمنا، بريئًا من الذنوب، بل يجعلونه من كبار العارفين المحققين، وأنه كان مصيبا في دعواه الربوبية، كما يجعلون عُبَّادَ العجل مصيبين في عبادتهم للعجل.

إن السلف والأئمة كفروا الجهمية لما قالوا: إنه في كل مكان، فكيف يكون الله تعالى في البطون والحشوش والأخلية؟ تعالى الله عن ذلك، فكيف بمن يجعله نفس وجود البطون، والحشوش والأخلية، والنجاسات، والأقذار، كما يقول ابن عربي - نعوذ بالله -.

وأين المشبِّهة والمجسِّمة من هؤلاء، فإن هؤلاء غاية كفرهم أن يجعلوه مثل المخلوقات، وابن عربي وأتباعه يجعلون الوجود خالقاً ومخلوقاً واحدا، بل كُفْر كل كافرٍ جزءٌ من كفر الاتحادية؛ ولهذا لما قيل لرئيسهم:

أنت نُصَيْرِيّ؟ فقال: نُصَيْرٌ جزء مني، وقد علم المسلمون واليهود والنصارى بالاضطرار من دين المرسلين، أن من قال عن أحد من البشر: إنه جزء من الله؛ فإنه كافر في جميع الملل.

حكم الاتحادية في الدنيا والآخرة:

أنهم زنادقة، وفي الدرك الأسفل من النار، إذا ماتوا على ذلك، لكن ما الذي يُفعل بالاتحادية في الدنيا؟ يعامل الاتحادية معاملة المنافقين، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين؛ لإظهارهم الإسلام في الدنيا، كما كان يظهر المنافقون الإسلام في حياة النبي ﷺ، وهو يعاملهم معاملة المسلمين؛ لما يظهر منهم؛ لأن الاتحادية يخفون كفرهم ولهم مؤلفات بذلك، لكن يظهرون أنهم قد يصلون مع الناس؛ ولو أظهر أحد منهم ما يبطنه من الكفر، لأجرى عليه حكم المرتد، وهو القتل، وعدم تغسيله، وعدم دفنه مع المسلمين.

ما حكم قبول توبة الاتحادي والزنديق، فالاتحادي زنديقٌ، فهل تقبل توبته؟

الجواب: في قبول توبة الزنديق - والاتحادي زنديق منافق -: خلاف، ولا تقبل توبة أحد منهم إذا أُخذ قبل التوبة، ولا بد أن يجرى عليه حكم المرتد، ولا تُقبل منه التوبة.

وأما إذا أُخذ بعد التوبة ففيها خلاف، فبعضهم قال: تُقبل توبته، وهي رواية المعلى عن أبي حنيفة وهذا في أعمال الدنيا، وحكمه حكم المرتد يقتل كفراً ولا يدفن في مقابر المسلمين.

ومنهم من قال: لا تقبل توبة المنافق، وتوبة من سب الله، وسب

الرسول، أو استهزأ بالله، أو بالرسول، أو بدينه، والساحر؛ كل هؤلاء يُقتلون ولا تقبل توبتهم في الدنيا، أما في الآخرة فأمرهم إلى الله؛ من صدق منهم مع الله صدقه الله، وأما في الآخرة؛ فإن كان مخلصا: قُبلت توبته، وإن لم يعلم منه إخلاصه؛ لم تقبل توبته .

أما في الدنيا فإنه يعامل معاملة المرتد، إذا أُخذ قبل التوبة، أما إذا ادَّعى التوبةَ، ثم سلَّمَ نفسه؛ ففيه الخِلاف، وهذه الحالُ مَحلٌّ اجتهاد الحاكم، فإما أن يقبل توبته، وإما ألا يقبلها.

مذهب أهل الإستقامة وأدلتهم:

أهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم ومتابعة الشرع، عن طريق الوحي، لا بالوهم، ويعتقدون أن النبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة؛ فكل رسول نبي، وكل نبي ولي، ولا عكس، فليس كل نبي رسولاً، وليس كل ولي نبياً، وأدلتهم على أن الله أوجب على الخلق متابعة الرسل، أولاً: قولُ الله - تعالى -: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّساء: ٦٤-٦٥].

وجه الدلالة:

أولًا: أن الله أوجب طاعة الرسول، وأمر بطلب الاستغفار منه، وأخبر أن من لم يُحَكِّم الرسولَ في النزاع فليس بمؤمن .

ثانيًا: قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عِمرَان: ٣١]؛ فوجه الاستدلال: أن الله

أخبر أن محبة الله لا تحصل إلا بمتابعة الرسول .

مسألة: هل يوصف الله بالتردد، كما في الحديث القدسي «**وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ . . .**»؟[(١)].

الجواب: نعم كما وصفه الرسول - عليه الصلاة والسلام - لكن هذا التردد ليس كتردد المخلوق الذي يدل على الضعف، ولكنه تعارض الإرادتين كما بُيِّنَ في الحديث، فالله تعالى يريد ما يريده عبده المؤمن، والمؤمن يكره الموت؛ فالله يريد ما يريده عبده المؤمن، ولكن الله قضى وقدر أنه يموت، فهذا تعارض إرادتين إرادة الموت؛ لأن الله قدَّره، وإرادة ما يريده العبد؛ وهو: كراهة الموت. ولا ينافي هذا التردد ترجيح إحدى الإرادتين؛ لأن الموت لا بُدَّ منه.

مسألة: صفتا الحياة والقيومية من أيِّ أنواع الصفات؟

الجواب: من الصفات الذاتية الملازمة للرب - سبحانه وتعالى - أزلاً وأبداً، والتي لا تنفك عن الباري.

مسألة: في قول عمر«لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيدَةَ حَيًّا لَاسْتَخْلَفْتُهُ»[(٢)] هل يدل على

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٨٥)، عن كثير بن هشام، عن جعفر بن بُرقان، عن ثابت بن الحجاج، قال بلغني أن عمر قال. فذكره. ومن هذا الوجه أيضاً، أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٠٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ٤٦١)، لكنه منقطع بين ثابت بن الحجاج، وعمر بن الخطاب، وهو إنما رواه عنه بلاغاً، كما هو مصرَّحٌ به في السَّندِ.

وله طريق أخرى أخرجها الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٨٧)، عن مروان ابن معاوية، عن سعيد بن أبي عروبة، عن شهر بن حَوْشب، قال: (قال: عمر)، =

أن أبا عبيدة أفضل من عثمان وعلي؟

الجواب: لا يدلُ ولا أدري عن صحة هذا الحديث شيئًا، لكن هذا إن صح فمعناه: بيان فضل (أبو عبيدة) وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة.

مسألة: هل هناك ثمرة من الخلاف في مسألة ثبوت خلافة أبي بكر بالاختيار أو بالنص؟

الجواب: نعم ثمرة الخلاف معرفةُ ما جاء في النصوص، وكذلك أيضا معرفة الحكم الشرعي في اختيار الخليفة.

= فذكره بنحوه. ومن هذا الوجه أخرجه أيضاً ابن شبّة في «تاريخ المدينة» (١٤٩٥)، وأخرجه ابن شبّة في «تاريخ المدينة» (١٤٩٤) عن محمد بن عبدالله الأنصاري، عن سعيد بن أبي عروبة به، ومن هذا الوجه أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٤٠٤)، ورواه أيضاً (٥٨/ ٤٠٥) من طريق محمد بن أبي عدي، عن سعيد بن أبي عروبة به، ثم قال ابن عساكر (٥٨/ ٤٠٥): «شهر بن حوشب لم يدرك عمر». ثم رواه (٥٨/ ٤٠٥)، من طريق أبي مسهر، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن شهر، ورواه من وجه آخر (٥٨/ ٤٠٥) من طريق عبدالله بن بكر: أبي وهب، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة «أن عمر...» بدون ذكر شهر بن حوشب.

والأثر له طريق أخرى ثالثة: أخرجها ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١٤٩٦) عن هارون بن معروف، عن ضمرة بن ربيعة، عن يحيى بن أبي عمرو السَّيباني، عن أبي العجفاء، قال: (قيل لعمر)، ومن هذا الوجه أيضاً أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ٤٦١)، ثم قال (٢٥/ ٤٦٢): «وأبو العَجْفَاء مجهولٌ؛ لا يُدرى من هو».

وأبو العجفاء هذا ترجمه الحافظ في «التهذيب» (١٢/ ١٨٣)، وذكر الخلاف في اسمه، ونقل توثيقه عن ابن معين، والدارقطني، ونقل عن البخاري، أنَّ في حديثه نظراً، وعن أبي أحمد الحاكم أنَّ حديثه ليس بالقائم، ولخص حاله في «التقريب» (٨٢٤٦) فقال: «مقبول»، والله أعلم.

مسألة: ما قولكم في التفريق بين اليأس والقنوط؟

الجواب: اليأس من رحمة الله هو القنوط، فاليائس قانط والقانط يائس فهما متقاربان، مترادفان، أو قد يكون بعضهم أشد، وإلا فكل منهما فيه يأس من روح الله قال اللهُ تعالى عن اليأس: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف: ٨٧]، وقال عن القانط: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحِجر: ٥٦]؛ فاليائس: كافرٌ، والقانط: ضالٌ ضلالَ الكفر؛ فالمعنى واحد، والفرق بينهما كالفرق بين الخوف والخشية.

مسألة: هل قول الطحاوي (ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله)، فيه موافقة لقول مرجئة الفقهاء؟

الجواب: يعني بقوله: (بذنب) ما دون الكفر، ولا بد من هذا القيد في قوله: (ولا نكفر أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله)، والمراد من أهل القبلة: مَن التزم بالإسلام والتوحيد، ولم يأت ناقضاً من نواقض الإسلام؛ فهذا لا يكفر إلا إذا فعل ناقضا من نواقض الإسلام، والعبارة تحتاج إلى قيد، فتُحمل على أن مقصوده لا يحتاج إلى استحلال ليس المراد أنه يعني يستحل الزنا أو يستحل السرقة أو شرب الخمر هذه المعاصي كفر، أما من لم يستحلها فلا يكفر بهذا الذنب. هذا معروف مسألة عموم السلب وسلب العموم كل ذنب لا نكفر به هذا مذهب المرجئة بل الذنوب التي يستحلها يكفر بها، والتي لا يستحلها لا يكفر بها.

مسألة: في قول الطحاوي «والأمن والإياس» هل هذا على إطلاقه أم لا بد من تقييده بالأمن والإياس الكفريان؟

الجواب: الأمن والإياس لا يكونان إلا كفريين، فإن الآمن من مكر الله يفعل جميع المنكرات ويترك جميع الواجبات، وكونه مصدقًا بقلبه لا يكفي، وكذلك اليائس المتشائم من رحمة الله، يرى أنه لا يفيده أي شيء فلا يفعل واجباتٍ مطلقا؛ فلا يكون إيمان إذاً، إلا بالخوف والرجاء .

مسألة: هل يكفر من قال إحدى هذه الأمور؛ القول بخلق القرآن؟

الجواب: من قال: القرآن مخلوق؛ كَفَرَ، قال الإمام أحمد وأهل السنة: من قال: القرآن مخلوق؛ فهو كافر. وهذا القولُ هو قول المعتزلة والقولُ بالكفر هو على سبيل العموم، أما فلان بن فلان المُعَيَّن إذا قال القرآن مخلوق فلا نكفره حتى نقيم عليه الحجة .

مسألة: ما حكم من أنكر علم الله، وأن الله يعلم كل شيء؟

الجواب: حكمه أنَّه كافرٌ.

مسألة: ما حكم من قال إن الله موجودٌ في كل مكان؟

الجواب: هذا قول الحلولية، وقد كفَّر العلماء قائله.

مسألة: هل يكفر من أنكر اليد أو العين لله - سبحانه وتعالى -؟

الجواب: نعم من أنكر صفةً من صفات الله كَفَرَ؛ أمَّا إذا أَوَّلَها، فهذا قد يدرأ عنه الكفر، فإذا أَوَّلَ اليدَ بالقدرة أو النعمة، كما أَوَّلَ المعتزلةُ وغيرهم، فهذا محل كلام لأهل العلم، فمنهم من كَفَّرَ المعتزلة، ومنهم من لم يكفرهم، لكن من بلغه قولُ الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وغيرها من الآيات التي فيها النصّ على أنَّ لله يدين، ثمّ جحد وأنكر، وقال: لا ليس لله يدان، فهذا كافر جاحدٌ، مكذب لله، كذلك من أنكر

العين بعد أن يبلغه حديث الدجال: «إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[(١)]؛ فإن الحجة تقوم عليه بذلك.

مسألة: ألا يكون قول المؤلف: (ولا يَخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه) من المتشابه فنرده الى المحكم، من قوله: (ولا نكفر أحد من أهل القبلة...) إلى آخره؟

الجواب: بل نرده إلى قوله (الإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان) فَعَرَّفَ الإيمان بهذا التعريف، وما دام أنه عرف الإيمان بأنه: التصديق، والكفر هو: الجحود وقال: (لا يخرج من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه) فمراده: جُحُودَ التصديق؛ فهذا هو محصل ما يُفيده كلامُه، إذا رددنا بعضه إلى بعض.

مسألة: من عُرف عنه سب الدين أو الاستهزاء به، هل تنطبق عليه أحكام الكفار في عدم تغسيله والصلاة عليه؟

الجواب: نعم إذا عُرف أنه مات على سب الله وقامت عليه الحجة، ولو لشبهة، ويكون عقله معه، فمع المكفرات لا بُدَّ أن يكون الإنسانُ عاقلًا، أما إذا كان مجنونًا أو سكرانَ، ثم تكلم بكلمة الكفر، أو كان صغيرًا دون التمييز، أو كان يجهل أن هذا مكفر، ولم تقم عليه الحجة، فهذا لا يكفر.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ البخاري (٤٤٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وله عنده عن ابن عمر بنحوه في مواضع أخرى من الصحيح، وبنحوه أيضاً أخرجه مسلم (١٦٩) في صحيحه من حديث ابن عمر، وأخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣) من حديث أنسٍ بلفظ: «وإن ربكم ليس بأعور».

وإذا كان قد عاش في بلاد بعيدة؛ لا تَعْرِفُ الإسلامَ، ثم تكلم فقال: الزنا حلال، أو الربا حلال، فلا بد أن تقوم عليه الحجة، أو إنسان لم يقصد كلمةَ الكفر، لكن سبق لسانه بسبب الدهشة؛ كالرجل الذي قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ...»[1]؛ فهذه كلمة كفرية لكن قالها عن دهشة وَسَبْقَ لسانٍ، لم يقصدها.

مسألة: يحدث أحيانا عندما تنصح شخصا بعمل واجب أو ترك محرم أن يقول: الإيمان في القلب، فكيف يرد عليه؟

الجواب: إذا كان الإيمان في القلب؛ انعكس هذا على الجوارح، فالكفر في القلب والنفاق في القلب أيضاً، لكن إذا صلح القلب، صلحت الجوارحُ، فهاهنا علاقة وهي: إذا كان في قلبك إيمان؛ فلا بد أن تنقاد الجوارح كلها فتصلي، وتصوم، وتؤدي الفرائض، وتنتهي عن المحرمات، فإذا لم تعمل بالمرة مطلقاً، فتَكفر كُفْرَ رِدَّةٍ؛ فعُلم بهذا: أنه لا يكفي الإيمان في القلب وحده.

أما إذا كان يعمل الصالحات، ولكن يفعل بعض المحرمات فنقول: هذا إيمانه ضعيف وارتكابُه للمحرمات دليل على أن الإيمان الذي في قلبه ضعيف، أما إذا كان يقول: الإيمان في القلب، ولكن لا يصلي، ولا يصوم، ولا يعمل شيئاً من الأعمال؛ فنقول: هذا غير مُنقاد، فإيمانك كإيمان فرعون وإيمان إبليس، ليس هناك فرق بين إيمانك، وإيمان إبليس، وفرعون إبليس.

مسألة: هل يوجد دليل يصرح بنقص الإيمان؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس ﵁.

الجواب: الأدلةُ على هذه المسألة قد سبق بعضها، وهي كثيرة، منها: حديث «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١) يعني: لا يؤمن الإيمان الكامل، وإلا لو أحبَّ، يعني: قدَّم محبتهم على محبة الرسول ﷺ، فهو ضعيف الإيمان. ومن هذا الباب، قوله ﷺ عن النساء: «**ما رأيتُ مِنْ نَاقِصَات عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلبِّ الرَّجل الحازم مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»(٢)، والدين هو الإيمان، وكذلك حديث: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلَاهَا قَولُ لَا إِلَه إِلَّا الله**»(٣)؛ فإذا ذهبت بعض الشُّعب؛ ينقص الإيمان من الشعب الواجبة، وكحديث: «**واللهِ لَا يُؤمِنُ، واللهِ لَا يُؤمِنُ، واللهِ لَا يُؤمِنُ، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»(٤)، أي لا يؤمن الإيمان الكامل، وهكذا نصوص كثيرة لا حصر لها.

مسألة: نرجو تعليقكم على حديث قتل أسامة بن زيد لمن نطق الشهادة؟

الجواب: في إحدى المعارك قاتل أسامة أحد الكفار، وعندما تمكن

---

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤) واللفظُ له، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، لكنَّ مسلماً لم يسق لفظه، بل أحال به على رواية ابن عمر، التي ذكر متنها قبل حديث أبي سعيد، فانظرها برقم (٧٩)، كما أنه أسنده من حديث أبي هريرة أيضاً، ولم يسق لفظه، بل أحال على حديث ابن عمر، كما فعل في السابق.

(٣) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم، ورواية البخاري: «بضع وستون شعبة».

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٦) من حديث أبي شريح، وأخرجه مسلم (٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جَارُهُ بوائقه».

منه أسامة نطق الكافر بالشهادة فظن أنه قال ذلك خوفاً من السيف، فلما أخبر النبي شدد عليه، وقال: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا**»، أي هل تدري أقالها تعوذا أو قالها صدقاً، قال أسامة: «**حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ**»(١)، ولذلك فإنه رضي الله عنه انتفع بذلك، حتى إنه رضي الله عنه لم يشارك في القتال الذي دار بين الصحابة والذي كان بين معاوية، وعلي من أجل هذا الحديث.

مسألة: جاء في الحديث: «**أن الله تعالى يخرج بعد الشفاعة من قال لا إله إلا الله**»(٢) فهل يدخل فيه من لا يصلي؟

الجواب: الصواب أن المراد به من قال: (لا إله إلا الله)، عن صدق، وإخلاص، وبشروطها؛ لأنه جاء في بعض الأحاديث: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»(٣)، وفي بعضها: (٤)، وفي بعضها: «**صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ**»(٥)، وفي بعضها «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَكَفَرَ بِمَا يَعْبُدُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٢) بهذا اللفظ، وأخرجه أيضاً بنحوه برقم (٤٢٦٩)، ورواه بنحوه أيضاً، وفي رواية مسلم قال: «أفلا شققتَ عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا». مسلم (٩٦) كلاهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) هذا لفظ الإمام أحمد (٢/ ٣٠٧)، وابن حبان (٦٤٦٦)، والحاكم (١/ ١٤١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٤): «رواهُ أحمدُ، ورجاله رجال الصحيح، غير معاوية بن مُتَعِّب؛ وهو ثقة».

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ١٦) من حديث رفاعة الجهني رضي الله عنه، وإسناده صحيح، وقد صرَّح فيه يحيى بن أبي كثير بالتحديث، عن هلال بن أبي ميمونة، كما في بعض طرقه عند أحمد؛ فَزالَ ما يخشى من تدليسه.

مِنْ دُونِ اللهِ»[1] يعني: لم يشرك بالله. والنصوص يُضَمُّ بعضُها إلى بعض، فلا بد من الإتيان بشروطها، والصلاة من شروط لا إله إلا الله وهي شرط لصحة التوحيد، فمن لم يصل، فليس بموحد بل هو مشرك؛ لأن الصلاة شرط في صحة الإيمانِ، والتوحيدِ، فما لم يصل؛ لم يوحد، ولم يؤمن، ولا ينفعه قولُ لا إله إلا الله.

(١) أخرجه مسلم (٢٣) من حديث طارق بن أشيم رضي الله عنه.

الإيمان بكرامات الأولياء

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِم، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِم.

الشرح

يبين في هذا عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بكرامات الأولياء[(١)] وهي الخوارق التي يجريها الله على أيدي المؤمنين، خلافاً لأهل البدع كالمعتزلة، فإنهم أنكروا كرامات الأولياء، بل أنكروا خوارق العادات التي تجري على غير أيدي الأنبياء. والكرامةُ والمعجزةُ بينهما توافقٌ واختلافٌ؛ على حسب الاصطلاحات، فالفرق بين المعجزة والكرامة: أنَّ المعجزةَ في اللغة تَعُمُّ كُلَّ خارقٍ للعادة، سواء ظهر على يد نبي أو ولي أو غيرهما فإنه يسمى معجزةً في اللغة العربية.

والمعجزة في اللغة أيضا عام لكل ما تبلغه قوةُ غيرك وتعجز عنه أنت؛ يقال: إنه معجز نسبي، فإن كان معجزاً للبشر؛ فهو: خارقٌ؛ فكل خارقٍ معجزٌ، وليس كل معجز خارقاً. هذا من جهة اللغة، إذن في اللغة المعجزة تعم كل خارق للعادة، بصرف النظر عن كون الذي ظهرت على يديه نبي أو ولي أو غيرهما.

والمعجزة والكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين تعم كل خارق للعادة؛ لا فرق بين المعجزة والكرامة عندهم، فالإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ وغيره يسمونها الآيات، أما المعجزة والكرامة في عُرف العلماء المتأخرين،

---

(١) انظر: «النبوات» (١٤٢، ١٥٠، ٨٢٣). و«شرح الطحاوية» (٢/ ٧٤٦).

فيفرقون في اللفظ بينهما؛ فيجعلون المعجزةَ للنبي، والكرامةَ للولي، وجماعها الأمر الخارق، فالكرامة عند المتأخرين من العلماء، هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة يظهر على يدي صالح ملتزم بمتابعة النبي.

فالمعجزة: التي يظهرها الله على يدي مدعي النبوة من خوارق العادات، ومنهم ما يتحدى به أمته كالقرآن لمحمد، ومنه ما لا يتحدى به، كنبع الماء من بين أصابعه، وحنين الجذع إليه ولا يسمى كرامة، والكرامة ما ظهر على يد صالح من الصالحين من الخارق للعادة، ولا يسمى معجزة وعند العلماء المتقدمين: ما ظهر على يد نبي؛ يسمى معجزةً وكرامة، وما ظهر على يد صالح، يسمى كرامة ومعجزة.

وعند العلماء المتأخرين ما ظهر على يد نبي يسمى معجزة ولا يسمى كرامة وما ظهر على يد صالح يسمى كرامة ولا يسمى معجزة، واصطلاح العلماء المتقدمين أصح؛ لأنه يوافق اللغة العربية.

أما المتأخرون من العلماء ففرقوا بينهما فقالوا: إن ظهر الخارق للعادة على يد نبي فنسميه معجزة، وإن ظهر على يد صالح من الصالحين فنسميه كرامة، ويجمعها شيء واحد وهو: الأمر الخارق للعادة. والأمور التي هي مبدأ الكرامات والتي لا تخرج عنها جميع المعجزات والكرامات، والتي هي صفات الكمال في الوجود ترجع إلى ثلاثة أشياء: العلم، والقدرة، والغنى. وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده؛ بيان ذلك: أمّا العلم فإنه الذي أحاط بكل شيء علما، وأما القدرة فهو على كل شيء قدير، وأما الغنى فهو غني عن العالمين سبحانه وتعالى، ومن أجل ذلك أمر خاتم الرسل، وخاتم أولوا العزم محمد ﷺ أن يتبرأ من دعوى هذه

الثلاثة بقوله ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وكذلك أول الرسل وأول أولي العزم: نوحٌ - عليه الصلاة والسلام - تبرأ من هذه الثلاثة في قوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ﴾ [هود: ٣١]، وإنما ينال الرسل من هذه الثلاثة بقدر ما يعطيهم الله، فيعلمون ما علّمهم الله، ويستغنون عما أغناهم الله عنه، ويقدرون على ما أقدرهم الله عليه من الأمور المخالفة للعادة المطردة، أو عادة أغلب الناس. والخارقُ للعادة يتنوع إلى نوعين، وكذلك كلمات الله تتنوع إلى نوعين .

فإذن فالأمر الخارق للعادة وأنواع كلمات الله، نوعان. ويتنوع الخارقُ باعتبارِ تنوع كلمات الله نوعان:

الأول: وهو ما كان من باب العلم، ويسمَّى كشفاً؛ سواء أكان عن طريق السماع؛ بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، ويسمى: مخاطبةً، أو عن طريق الرؤية؛ بأن يرى ما لا يراه غيره، يقظةً أو مناماً؛ ويسمى: مشاهدات أو عن طريق العلم؛ بأن يعلم ما لا يعلمه غيره؛ وحياً أو إلهاما، أو فراسةً صادقة، ويسمى: مكاشفةً.

والثاني: وهو ما كان من باب القدرة؛ إما على الفعل؛ وهو: **التأثير**، وإما على الترك، وهو: **الغنى** .

والتأثير قد يكون همةً وصدقاً، ودعوةً مجابة، وقد يكون من فعل الله الذي لا تأثير له فيه بحال، مثل هلاك عدوه بغير أثر منه، ومثل تذليل النفوس له ومحبتها إياه .

وكلمات الله نوعان:

النوع الأول: كلمات كونية، وضابطها: أنها هي التي استعاذ بها النبي في قوله: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ**»(١)؛

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٩) من طريق جعفر بن سليمان، قال: حدثنا أبو التياح، قال: (سأل رجل عبدالرحمان بن خنبش: كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين؟ قال: جاءت الشياطين إلى رسول الله ﷺ من الأودية، وتحدرت عليه من الجبال، وفيهم شيطان معه شعلة من نار، يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ، قال: فرعب -قال جعفر: أحسبه قال: جعل يتأخر- قال: وجاء جبريل- عليه السلام- فقال: يا محمد، قل، قال: ما أقول؟ قال: قل: (أعوذ بكلمات الله التامات، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق، وذرأ، وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق، إلا طارقا يطرق بخير، يا رحمن، فطفئت نار الشياطين، وهزمهم الله عز وجل).

قال الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٣٠٠): أخرجه ابن منده من طريق أبي قدامة الرقاشي، وعلي المديني كلاهما عن جعفر وقال في روايته سأل رجل عبد الله بن خنبش، وكان رجلا من بني تميم وأخرجه أبو زرعة في مسنده، عن الوزيري، عن جعفر كذلك، وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، والبزار، والحسن بن سفيان من طرق كلهم، عن عفان، وحكى بن أبي حاتم أن عفان رواه، عن جعفر فقال عن عبد الله بن خنبش قال وعبد الرحمن أصح، وفي رواية أبي بكر سأل رجل عبد الرحمن بن خنبش فذكره قال البزار: لم يرو عبد الرحمن غيره فيما علمت، وقال ابن منده: في حديثه إرسال، وتعقبه أبو نعيم بأن أبا التياح صرح بسؤاله له يعني فلا إرسال فيه انتهى.

ولعل ابن منده أراد أنه لم يصرح بسماعه لذلك من رسول الله ﷺ، لكن المعتمد على من جزم بأن له صحبة.

وحكى ابن حبان في اسم والده حبشي بضم المهملة وسكون الموحدة بعدها معجمة، ثم ياء ثقيلة كذا رايته بخط الصدر البكري، وأظنه تصحيفا. نعم حكى =

لأن الكلمات الدينية يتجاوزها الفاجر، أما كلمات الله الكونية ولا يتجاوزها بر ولا فاجر، ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، ومن الكلمات الكونية «كن» وهي من كلمات الله الكونية لا تتخلف فإذا أراد شيئا قال له: كن؛ فيكون، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وكلمات الله الكونية لا تتبدل، والكون كله داخل تحت هذه الكلمات، وسائر الخوارق الكشفية والتأثيرية داخلة تحتها.

النوع الثاني: الكلمات الدينية: وهي القرآن، وشرعُ الله الذي بعث به رسوله، وهي أمره ونهيه وخبره، وحظ العبد منها: العلمُ بها، والعملُ والأمر بما أمر الله به، كما أن حظ العبد عموماً من الكونيات والشرعيات -وخصوصا من الأول- العلم بالكونيات والتأثير فيها أي بموجبها، فالأُولى: قدريةٌ تدبيريةٌ كونية، والثانية: شرعية دينية.

وكلمة الله الأولى: قدرية كونية، والثانية: شرعية دينية، والخارق يتنوع إلى نوعين: الكشف والتأثير، فإذن: الكلمات نوعان: قدرية كونية، وشرعية، والخارق نوعان: كشف وتأثير. ويتنوع الخارق باعتبار تنوع كلمات الله الكونية والدينية، إلى أربعة أنواع:

الأول كشف كوني: وهو العلم بالحوادث الكونية، فقد يكشف له أو

أبو نعيم أنه قيل فيه خنيس بمعجمة، ثم نون مصغرا وآخره مهملة والأول أثبت. اهـ، وانظر «الجرح والتعديل» (٥/ ٤٣)، والحديث صححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ١٩١ - ط: السابعة).

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٢٥) من حديث قيلة بنت مخرمة، ثم قال: رواه الطبراني وإسناده حسن. اهـ

لغيره من حاله بعض أمور، كما قال النبي ﷺ في المبشرات: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَه»[١]، وكما قال النبي ﷺ: «أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ»[٢].

الثاني كشف ديني: وهو العلم بالمأمورات الشرعية، مثل من يعلم بما جاء به الرسول خبرا وأمرا، ويعمل به ويأمر به الناس.

الثالث تأثير كوني: وينقسم إلى تأثير في نفسه، وإلى تأثير في غيره، فالأولى: كمشيه على الماء، وطيرانه في الهواء، وجلوسه على النار، وأكله السم، وهذا لا يدل على الخير بل ربما يدل على الشر، إلا إن كان صالحا نجاه الله بذلك، والثانية: التأثير في غيره بإصحاح، وإهلاك، وإغناء، وإفقار.

الرابع تأثير ديني: وهو التأثير في الشرعيات، وينقسم إلى قسمين:

تأثيره في نفسه بطاعة الله ورسوله والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله باطنا وظاهرا.

وتأثيره في غيره؛ بأن يأمر بطاعة الله ورسوله، فيطاع في ذلك طاعة شرعية، بحيث تقبل النفوس ما يأمرها به من طاعة الله ورسوله في الكلمات الدينية، ومثال ذلك: أن يطاع في خروج الجني من المصروع، وكذلك يطيعه الإنسي. وسببُ حصول الكرامات للأولياء؛ بركة اتباع رسول الله ﷺ، فهي تدخل في معجزات الرسول ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وفي بعض ألفاظه: «يراها العبدُ الصالحُ...».

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

الفرق بين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية:

بينهما فروق متعددة منها:

أولًا: أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، والأحوال الشيطانية سببها ما نهى الله عنه ورسوله، من الشرك، والظلم، والفواحش، والقول على الله بلا علم.

ثانيًا: من أعظم ما يُقَوِّي الأحوال الشيطانية، سماعُ الغناء والملاهي، وهو سماع المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، والتصديةُ: التصفيقُ، والمكاءُ: التصفيرُ، وبالمقابل: فإن مِن أعظم ما يسبب الكرامة، سماع القرآن وتلاوته والعمل به، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ، والباقون يستمعون، وهذا السماع هو سماعُ النبيين وأتباعهم.

ثالثًا: إن من أعظم ما يقوي الأحوال الشيطانية؛ تعظيم القبور والموتى، والانقطاع في المغارات والبوادي، ومن أعظم أسباب الكرامة: لزوم المساجد التي هي بيوت الله، وقراءة القرآن. فالانقطاع إلى المغارات والبوادي والجبال والصحاري، هذا مما يقوي الأحوال الشيطانية، ولزوم المساجد والإكثار من ذكر الله وتلاوة القرآن، هذا من أسباب حصول الكرامة.

أقسام الخارق من ناحية حكمه وباب كل قسم:

الخارق للعادة كشفًا كان أو تأثيرًا ثلاثة أنواع:-

الأول: محمود في الدين و ضابطه أن تحصل به الفائدة المطلوبة في الدين من إظهار حق، أو إبطال الباطل، فهذا من الأعمال الصالحة

المأمور بها دينا وشرعا، وهوإما واجب وإما مستحب.

الثاني: المباح وضابطه ما حصل به أمر مباح، فإن كان فيه منفعة؛ كان نعمةً من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرا، كتظليل الغمة[1] «لأسيد ابن حضير» رضي الله عنه، وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها .

الثالث: مذموم في الدين، وضابطه: ما كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم، أو نهي تنـزيه؛ فيكون سببا للعذاب، أو لجرم؛ كالذي أوتي الآيات فانسلخ منها؛ (بلعام بن باعوراء).

والحكمة في إجراء الكرامة: أن يزداد الإنسان بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقيناً؛ فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا، والخروج عن دواعي الهوى، وإكرام الله لوليه بإغاثته، ورفع شدته وكربه، أو نصره على عدوه، أو إظهار حق، أو إبطال باطل.

أقسام الناس تجاه الكرامة: الناس تجاه الكرامة قسمان:

---

(١) أخرج مسلم (٧٩٦)، عن أبي سعيد الخدري أنَّ أُسَيْد بن حُضير بينما هو، ليلةً، يقرأ في مِرْبَده إذ جالت فرسُه، فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضاً، قال أسيد: فخشيتُ أن تطأ يحيى، فقمت إليها، فإذا مثل الظُّلَة فوق رأسي، فيها أمثال السُّرُج عَرَجَتْ في الجوّ حتى ما أَرَاها، قال: فغدوتُ على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي، إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ اقرأ ابنَ حضير، قال فقرأتُ، ثم جالت أيضا، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ ابن حضير، قال: فقرأت ثم جالت أيضا، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ ابن حضير، قال: فانصرفت، وكان يحيى قريبا منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السُّرج، عرجتْ في الجَو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحتْ يراها، الناس ما تَسْتَتِر منهم».

القسم الأول: من نفوسهم تتطلع إلى شيء من الكرامات، ويحبون أن يرزقوا شيئا منها، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب، متهما لنفسه في صحة عمله؛ لأنه لم يحصل له خارق، وهم كثير من المجتهدين المتعبدين الذين سمعوا ما منح به سلف الأمة من الكرامات وخوارق العادات، ولو علموا بسر ذلك، و أن الميزان ليس هو الكرامة؛ لهان عليهم الأمر.

القسم الثاني: الصادقون: وسبيلهم أَنَّهُمْ يطالبون نفوسَهم بالاستقامة، فهي كل الكرامة، ولا تتطلع نفوسهم إلى شيء من الكرامات، قال أبو علي الجوزجاني: «كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة».

مسألة: هل يضر المسلم عدم حصول الخارق على يديه؟

الجواب: اعلم أن عدم الخوارق علما وقدرةً، كشفاً وتأثيرا؛ لا يضر المسلم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات، ولم يسخر له شيء من الكائنات، لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له في دينه، فإن الخارق إذا اقترن به الدين؛ كان نافعا، وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة؛ إذ أن الخارق قد يكون مع الدين؛ كالمعجزات، وكرامات الصالحين، وقد يكون مع عدمه أو فساده أو نقصه؛ كالذي يظهر على يد المسيح الدجال، وعلى يد الفساق والفجار .

فالخوارق النافعة والرياسات النافعة والأموال النافعة، هي ما كانت تابعة للدين، وخادمة له، دليل ذلك؛ كما كان السلطان والمال النافع في يد النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي فمن جعل هذه الأمور الخوارق والسلطان والمال هي المقصودة، وجعل الدين تابعا لها ووسيلة إليها لا لأجل الدين في الأصل؛ فهو شبيه بمن يأكل الدنيا بالدين، وليس

حاله كحال من تديّن خوفَ العذاب، أو رجاء الجنة، فإن ذلك مأمور به، وهو على سبيل النجاة، وشريعة صحيحة، وكثير من الصوفية ممن يزعم أن همه قد ارتفع عن أي يكون خوفا من النار أو طلبا للجنة، يجعل همه بدينه أقل من همه بأدنى خارق من خوارق الدنيا .

مسألة: متى يجب خرق العادة؟

الجواب: التدين يستلزم خرق العادة بأمرين: **أحدهما**: التدين الصحيح، **والثاني**: وجود شدة وضيق وضرورة، فإذا كان الإنسان مستقيما، أَلَمَّتْ به شدةٌ أو كُربةٌ، فلا بُدَّ أن يفرج الله كربه، فالدين إذا صح علما وعملا، فلا بد أن يوجد خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحبه، ولو لم يَدْعُ الله، بل الحالة النفسية كافية، ولا يكله الله حينئذ إلى نفسه، دليل ذلك من الكتاب العزيز؛ قول الله تعالى: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الطلاق: ٢-٣]؛ فهذا التدين الصحيح، يجعل له مخرجا؛ بِحُصُولِ هذا الخارق، وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩] فهذه التقوى، وهذا التدين الصحيح، يجعل لكم بهما فرقانا، ويكونا سبباً لحصول الخارق إذا احتاج إليه مَنْ هذه حاله .

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ۝٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٦٨﴾ [النساء: ٦٦-٦٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

أما من السنة فحديث: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ»[(١)] ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر: ٧٥] أي الذين يعرفون الشيء بسمته. رواه الترمذي بسند ضعيف. وقال تعالى: فيما يروي الرسول عن ربه ﷻ أنه، قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالمُحَارَبَةِ»[(٢)]، ورواية البخاري: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٢٧) من حديث عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: حديث غريب. اهـ، والعوفي ضعفوه كما في ترجمته في «التهذيبين والميزان».
قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٠): «حديث: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله. الترمذي في التفسير، والعسكري في الأمثال كلاهما من حديث عمرو بن قيس الملائي، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً ثم قرأ: (إن في ذلك لآيات للمتوسمين)، وقال الترمذي: إنه غريب. وقد روى عن بعض أهل العلم في تفسير للمتوسمين قال: للمتفرسين، وكذا أخرجه الهروي، والطبراني، وأبو نعيم في «الطب النبوي» وغيرهم من حديث راشد بن سعد، عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً ويروى عن ابن عمر، وأبي هريرة رضي الله عنه أيضاً، بل هو عند الطبراني، وأبي نعيم، والعسكري من حديث وهب بن منبه، عن طاوس، عن ثوبان رضي الله عنه رفعه بلفظ: احذروا دعوة المسلم وفراسته، فإنه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله، ولكن قد قال الخطيب عقب حديث أبي سعيد: المحفوظ ما رواه سفيان، عن عمرو ابن قيس قال: كان يقال اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله». اهـ، والحديث ضعّفه الألباني في «الضعيفة» (١٨٢١).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٠٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٥٦)، من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: «من أهان لي وليًّا»، وضعفه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» في شرح الحديث الثامن والثلاثين (ص ٣٥٩)، وانظر أيضاً: «العلل المتناهية» (١/ ٤٤- ٤٥).

يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» إلى قوله: «وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١)، فظهر أن الاستقامة حظ الرب، وطلب الكرامة حظ النفس .

هل تدل الخوارق على إكرام من ظهرت على يديه؟ :

ليس اليسر والكرامة والنعمة والغنى؛ دليلاً على الرضا، وليس الذل والظلم والشدة والفقر؛ دليلًا على السخط، فما يبتلي الله به عباده من اليسر بخرق العادة، أو بغيرها أو بالضر ليس ذلك من أجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه، بل قد سعد بها قوم إذا أطاعوا الله، وشقي بها قوم إذا عصوا الله، دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥-١٧].

ووجه الاستدلال: أن الله زجر من ظن أن الغنى دليل على الكرامة، والفقرَ دليلُ الإهانة.

أقسام الناس بعد حصول الخارق: الناس في هذه الأمور ثلاثة أقسام: قسم ترتفع درجتهم بخرق العادة، وقسم يتعرضون بها لعذاب الله، وقسم تكون في حقهم بمنزلة المباحات. وهذا التقسيم للناس مبني على التقسيم السابق للخارق، أي إلى: محمود في الدين، ومذموم في الدين، ومباح .

أعظم كرامة يعطاها الولي: الكرامةُ الحقيقيةُ، وأعظم كرامة يُعطاها الوليُّ، هي: لزوم الاستقامة. وهي موافقة الله لما يحبه ويرضاه، وهي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ، وراجع كلام الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» في شرح الحديث الثامن والثلاثين (ص ٣٥٧، وما بعدها).

طاعته وطاعة رسوله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

الفرق بين حالتي طلب الاستقامة وطلب الكرامة: أن الاستقامة حظ الرب، والكرامة حظ النفس، فمن يسعى في طلب الاستقامة، فهو يسعى في طلب حظ الرب، ومن يسعى في طلب الكرامة، فهو يسعى في طلب حظ النفس كما قال أبو علي الجوزجاني كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة؛ فإن نفسك متحدثة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة .

المنكرون لكرامات الأولياء: أنكرت المعتزلة كرامات الأولياء وخوارق السحرة والكهان، وكذلك الرافضة؛ وهي ما يقع من الخوارق على يد صالح وولي.

شبهتهم: قالوا: لو وقعت الكرامة على يد ولي لأشبهت المعجزة، فيؤدي إلى التباس النبي بالولي، فلا يُعْرف النبي من الولي.

والرد عليهم: أجاب الجمهور عن هذا من وجهين:

أولًا: أن إنكاركم للكرامات يناقض المحسوسات والمشاهدات.

ثانيًا: منع الملازمة بين اشتباه المعجزة بالكرامة إذا وقعت، والتباس النبي بالولي، فلا ملازمة بين وقوع الكرامة وصحتها، وبين الاشتباه والالتباس بالمعجزة؛ لأن النبي يدعي النبوة ويتحدى، والولي لا يدعي الرسالة ولا يتحدى، فهذه الدعوة إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق، ويدعي النبوة ويتحدى بهذا الخارق، وهذا لا يقع؛ إذ لو ادعى النبوة لم يكن وليا يكن متلفقا كذابا .

أمثلة للكرامات متنوعة في سلف هذه الأمة وفي الأمم السابقة:

فمما وقع لصدر هذه الأمة: ما كان لأُسيد بن حضير حين كان يقرأ سورة البقرة، فنـزل من السماء مثل الظلة، فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نـزلت لقراءته[(١)]، ومن ذلك: قصة الصديق في الصحيحين: لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته، وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا بأسفله أكثر منها، فشبعوا، فصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فرفعها إلى رسول الله ﷺ، وجاء إليه أقوام آخرون، فأكلوا منها وشبعوا[(٢)]، ومن ذلك: ما حصل لخبيب بن عدي حين كان أسيراً عند المشركين بمكة، وكان يؤتى بعنب يأكله، وليس بمكة عنب[(٣)]، ومثل عامر بن فهيرة حين قتل شهيدا فالتمسوا جسده، فلم يقدروا عليه، وكان لما قتل رفع، ورآه ابن طفيل وقد رفع[(٤)]،

---

(١) أخرجه البخاري قبل حديث (٥٠١٩) معلقاً بصيغة الجزم قال: «وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أسيد بن حُضير...»، وقال البخاري أيضاً: «قال ابن الهاد: وحدثني هذا الحديث عبدالله، عن خباب، عن أبي سعيد الخدري، عن أسيد بن حضير». وهذا التعليق وصَلَهُ أبو عُبيد في «فضائل القرآن»، كما في «الفتح الباري» (٩/ ٦٣) من طريق يحيى بن بُكير، عن الليث بن سعدٍ بالإسنادين جميعاً، ورواه مسلم (٧٩٦) عن حسن بن علي الحلواني، وحجاج بن الشاعر، عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن يزيد بن الهاد، عن عبدالله بن خباب، عن أبي سعيد، عن أُسيد بن خُضيرٍ.

ووقع في البخاري (٥٠١١)، ومسلم (٧٩٥) من حديث البراء أن رجلاً كان يقرأ سورة الكهف، وفيه مثل القصة الأولى، لكن باختصار، ولم يقع تعيين الرجل، ولم يستبعد الحافظ في «الفتح» (٩/ ٥٧)، تعدد الواقعة، وأن يكون الرجل هو أُسيد نفسه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٢٠٥٧) من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه رسولُ رسول الله ﷺ، فمشى معه الأسد حتى أوصله إلى مقصده[1]، وخالد بن الوليد حاصر حصنا منيعا في القسطنطينية، فقالوا لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه

---

(١) القصة أخرجها عبدالرزاق في «المصنف» (٢٠٥٤٤)، عن معمر، عن سعيد بن عبدالرحمن الجُحشي، عن محمد بن المنكدر، عن سفينة، ومن طريق عبدالرزاق به، رواها البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٤٥). وهذا إسناد رجاله ثقات، ما عدا سعيد بن عبدالرحمن، فهو صدوق -كما في «التقريب» (٢٣٤٧)- فالحديث لذلك حسن، على أنَّ له طريقاً آخر، من رواية عبدالله بن وهب، عن أسامة بن زيد الليثي، عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، عن ابن المنكدر، عن سفينة، ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم (٣/٧٠٢) - وصححه - والطبراني في «الكبير» (٦٤٣٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٤٥). وتابع ابن وهب في روايته عن أسامة به، جعفرُ بنُ عونٍ، وقد أخرجه من هذا الوجه؛ البيهقيُّ في «الاعتقاد» (ص ٣١٦)، وفي «دلائل النبوة» (٦/٤٥)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (١٩٦).

هكذا في رواية ابن وهبٍ -وهو ثقة حافظ- وجعفرِ بن عونٍ -وهو صدوق كما في «التقريب» (٩٤٨)- فقد جَعَلا بين أسامةَ بن زيد الليثي، وابن المنكدر؛ محمدَ بنَ عبدالله بن عمرو، وخالفهما: عبيدُالله بن موسى العَبْسي - وهو ثقة كان يتشيّع - كما في «التقريب» (٤٣٤٥) -وعثمانُ بنُ عمر بن فارس- وهو ثقة كما في «التقريب» (٤٥٠٤) - فروياهُ عن أسامةَ بن زيدٍ، عن محمد بن المنكدر. وروايةُ عبيدالله بن موسى هذه، أخرجها الطبراني في «الكبير» (٦٤٣٣)، والروياني في «المسند» (٦٦٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٣٦٩)، وأما رواية عثمان بن عمر، فأخرجها البزار في «المسند» (٣٨٣٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/٢٦٩- ٢٧٠)، وأبو يعلى -كما في «المطالب العالية» (٤٠٦٠).

وقد روي عن ابن المنكدر، عن سفينة من وجهٍ آخر، فقد أسنده الروياني في «المسند» (٦٦٣) من طريق إبراهيم بن أعيَن، عن بحر السّقاء، عن ابن المنكدر، =

فلم يضره[1]، وسعد بن أبي وقاص، إذ كان مستجاب الدعوة، ما دعا قط إلا استجيب له، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق[2]، وعمر بن الخطاب ﷺ لما أرسل جيشا أمر عليهم رجلا يسمى (سارية) فبينما

= عن سفينة، لكن ابن أعين -ضعيفٌ- كما في «التقريب» (١٥٤)، وكذلك بحرٌ السّقاء ضعيف -كما في «التقريب» (٦٣٧).-

وله طريق آخر عند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ٢٦٩) من طريق هارون بن عبدالله الحمَّال، ويحيى بن أبي طالب، كلاهما: عن علي بن عاصم الواسطي، عن أبي ريْحانة: عبدالله بن مطر، عن سفينة، لكن الواسطي مع كونه صدوقاً إلا أنه يخطئ ويصّر -كما في «التقريب» (٤٧٥٨) -وأبو ريحانة، مع كونه صدوقاً أيضاً- إلا أنه تغيّر بأخرةٍ -كما في «التقريب» (٣٦٢٣). وعلى كُلٍّ: فالقصّةُ ثابتةٌ إن شاء الله تعالى.

(١) القصة أخرجها الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٤٨٢)، عن سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: «شهدت خالد...»، ومن هذا الوجه أخرجها أيضاً: الطبراني في «الكبير» (٣٨٠٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٢٥٢)، واللالكائي في «كرامات الأولياء» (٩٤).
وهذا إسناد صحيح. قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣/ ٣٣٢- ٣٣٣): «مناقب خالد كثيرة، ساقها ابن عساكر؛ من أصحها: ما رواه ابن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: رأيت خالد بن الوليد أُتي بسم، فقال: ما هذا؟ قالوا: سُمّ. فقال: باسم الله؛ وشَرِبَهُ».
وقد رُويت القصة من وُجوهٍ مرسلة، عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٧٣٠)، وأبي يعلى في «المسند» (٧١٨٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٢٥١)، كلهم من طريق يونس بن أبي إسحاق، عن أبي السفر، عن خالد بن الوليد، لكنه مرسل كما سبق. انظر: «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٥٠). وجاء مرسلاً أيضاً من رواية يونس بن أبي إسحاق، عن أبي بُردة، عن خالد بن الوليد، كما عند الطبراني في «الكبير» (٣٨٠٨)، لكن أبا بُردة لم يسمع من خالد بن الوليد. انظر: «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٥٠).

(٢) انظر ما أخرجه الترمذي (٣٨١١).

هو في العراق وبينما عمر يخطب جعل يصيح على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقدم رسول الجيش، فسأل، فقال: يا أمير المؤمنين حين كنا نمر بجبل فإذا بصائحٍ: يا ساريةَ الجبل؛ فأسندنا ظهورنا بالجبل؛ فهزمهم الله[(١)]، ومن ذلك: إخبارُ عمر بمن يخرج من ولده؛ فيكون عادلا؛ فخرج عمر بن عبدالعزيز[(٢)] وأبو مسلم الخولاني الذي ألقاه في النار الأسودُ العنسي، الذي ادعى النبوة، فوجدوه قائما يصلي، وقد صارت عليه برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم عليه السلام[(٣)]، وتغيبَ الحسنُ البصريُّ عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات، فدعا الله فلم يروه[(٤)]، وعبَّاد بن بِشْر، وأُسيد بن حُضير خرجا من عند النبي في ليلة مظلمة، فأضاء لهم السوط، فلما افترقا أضاء لكل منهما سوطه كالسراج حتى وصلا إلى بيتيهما[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٢٤، ٢٥)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١١١٠).

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٨٤٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ١٥٥).

(٣) ذكرها ابن عبد البر في ترجمته في «الاستيعاب» (٢/ ٦٦)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٢/ ١٢٨- ١٢٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ١٩٩- ٢٠٢)، واللالكائي في «كرامات الأولياء» (١٣٨)، والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١/ ٤٩).

(٤) رواه أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم، في كتاب «المحن» (ص ٤٢٨)، عن عبدالله بن أبي زكريا الحفري، عن أبيه، عن أبي معشر، عن الحسن، وعبدُالله ابن أبي زكريا وأبوه، لم أقف لهما على ترجمة.

(٥) أخرجه البخاري (٤٦٥) من حديث أنس ﵁ موصولاً من غير تعيين اسم الصَّحابيَّيْن، وأخرجه معلقاً بعد حديث (٣٨٠٥) بتعيين اسميهما؛ فقال: «وقال معمر، عن ثابت، عن أنس: إن أُسيد بن حضير، ورجلاً من الأنصار. وقال حماد. أخبرنا، عن أنس: كان أسيد بن حضير، وعباد بن بشر عند النبي ﷺ». =

أمثلة للكرامات في الأمم السابقة:

ومن أمثلة ذلك: قصة الخضر صاحب موسى، في علمه بحال الغلام، هذا على القول بأنه ولي، والصواب هو أن الخضر نبي ومثل قصة الذي عنده علمٌ من الكتاب في الإتيان بعرش بلقيس، وقصة مريم في حملها بدون زوج، وقصة أهل الكهف في نومهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين، ولم تتغير أجسامهم.

مما ينبغي أن يعلم عن الكرامات: قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها ضعيف الإيمان أو المحتاج، أتاه منها ما يقوّي إيمانَه، ويسد حاجته، ويكون من هو أكثر ولايةً لله منه، مستغنياً عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك؛ لعلو درجته، وغناه عنها، لا لنقص ولايته؛ ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة بخلاف من يجري على يديه الخوارق، لهدي الخلق ولحاجتهم، فهؤلاء أعظم درجة، ويدخل في الكشف الفراسة وهي نوع من الكشف، **الفراسة تتنوع إلى ثلاثة أنواع عند العلماء**[1]:

النوع الأول الفراسة الإيمانية:

وهي: خاطر يهجم على القلب، يَثِبُ عليه كوثوب الأسد على الفريسة، ومنه اشتقاقها، فاشتقاق الفراسة من الفريسة، فتكشف أمراً بغير الطريق العادي. ومنه ما كان في عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قول النبي ﷺ

= وتعليق معمر بن راشد وصله عبدالرزاق في «المصنف» عنه، ومن طريقه الإسماعيلي، وأمَّا تعليقُ حَمَّاد بن سلمة، فوصلها أحمد والحاكم في «المستدرك». أفادهُ الحافظُ في «الفتح» (٧/ ١٢٥). وانظر أيضاً «تغليق التعليق» (٤/ ٧٨- ٧٩).

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٤٩٠)، انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٥٠).

«إِنهُ قَدْ كَانَ فِيما مَضى قَبلَكم من الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ. وإِنَّهُ إِنْ كَانَ في أُمَّتِي هَذِهِ مِنهم فإِنهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ»(١)، وكإخباره عمر بمن يخرج من ولده، فيكون عادلا، فكان عمر بن العزيز .

وسببها: نور يقذفه الله في قلب عبده، أي: نور الإيمان، والعمل الصالح، وهذه الفراسة تتفاوت على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً، كان أَحَدَّ فراسة. قال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ «الفراسة مكاشفة النفس، ومعاينة الغيب»، وهي من مقامات الإيمان.

حكم هذا النوع من الفراسة: أنها من مقامات الإيمان، وهي خاصة بالمؤمن.

النوع الثاني الفراسة الرياضية: وهي كشف للأحداث؛ يكسَبُهُ المرءُ بسبب تجويعه لنفسه وتجرده عن العوائق، وسببها: البُعْدُ عن الشهوات، والعزلة عن الناس، فهي تحصل بالجوع والسهر، والتخلي، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق؛ صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها .

حكم هذا النوع من الفراسة: هذه الفراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، لا تدل على محمدة ولا مذمة، ولا تدل على إيمان، ولا على ولاية، ولا تكشف عن حق نافع ولا على طريق مستقيم، بل كشفها من جنس فراسة الوُلاة، وأكثر ما تكون عند الفلاسفة والصوفية، فأحيانا ما يعمدون إلى الجوع والعطش؛ للعلاج وللتخلص من كثرة الأخلاط الموجودة في البدن كالبلغم، ونحوه، فيُنَظِّم أكله؛ ليصحَّ بدنُه، مثل الذي

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٩، ٣٦٨٩) وهذا لفظه في الموضع الأول من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

يسمى عندنا الآن بالحمية؛ فهي داخلة في هذا النوع، وأحيانا يستعملونه للتجرد من الهوى، والعلائق، والارتقاء بالنفس.

النوع الثالث فراسة خلقية: هي الاستدلال بالخَلْقِ الموجود على خواص هذا المخلوق وصفاته؛ فيستدلون بالخَلْقِ على الخُلُقِ؛ لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله. ومن أمثلة ذلك: كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة، على صغر العقل، وبكبر الرأس على كبر العقل، وبسعة الصدر على سعة الخلق، وبضيقه على ضيقه، ويستدلون بطول الرقبة على الحماقة، وبقصرها على الغباوة، ويستدلون بجمود العينين على بلادة صاحبهما، وضعف حرارة قلبه.

سببها: سبب هذا النوع: التجارب، وقوة الملاحظة.

حكم هذا النوع من الفراسة: دائرة بين المدح والذم، وليست خاصة بالمؤمن، بل عامة، كالنوع الثاني.

ضابط الفرق بين الكرامة، والحالة الشيطانية: إن كان الذي جرت على يديه نبيًا؛ فتسمى معجزةً عند المتأخرين، وإن كان الذي جرت على يديه صالحاً مؤمناً تقيا تابعا للنبي؛ فتسمى كرامةً، وإن كان الذي جرى على يديه منحرفاً كافراً أو فاسقا، مثل ما يجري على أيدي السحرة والكهان، وما يجري على أيدي المسيح الدجال في آخر الزمان؛ فهذه حالة شيطانية.

أشراط الساعة[1]

◆ قال المؤلف رحمه الله: وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّال، ونُزُولِ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السَّماءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.

الشرح

وأشراط الساعة جاءت فيها أحاديث؛ من ذلك حديث: عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: أتيت النبي في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم (يعني: من جلد) فقال: «أُعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ موتَانٌ يَأْخُذُ فيكم كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ استفاضة المالِ حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثُمَّ فِتنةٌ لا يَبقى بَيْتٌ مِنَ العَربِ إلا دُخلتهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فيغْدِرُون، فيأتونكم تحت ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَة اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»[2].

وهذا ما وقع، وهدنةٌ، يعني: هي صلح بين المسلمين وبين النصارى، ثم يغدر النصارى ويأتون ثمانين راية، وتحت كل راية اثنا عشر ألفا، وهذا لعله يقع في آخر الزمان قبل الدجال، ومن ذلك - أيضا - ما ثبت في الحديث الصحيح: عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: «اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ مَا تَذْكُرون؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ

---

(١) للتوسع في مباحث أشراط الساعة راجع: «لوامع الأنوار» للسفاريني (٢/ ٧٠-١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٧٦) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[1].

ومن ذلك أحاديث الدجال التي جاءت كقوله ﷺ لما ذكر الدجال: «لا يخف عليكم «إن ربكم ليس بأعور»[2]، وأشار إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور، وعينه اليمنى كأن عينه عنبة طافية». استدل العلماء بهذا الحديث على إثبات العينين لله ﷻ. ومن ذلك قوله ﷺ «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأعْور الكذَّاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم - عز وجل - ليس بأعور، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر»[3]. يعني: كافر.

ومن ذلك: قوله ﷺ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[4]، ثم يقول أبو هريرة ﷺ واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩].

ومن ذلك: قوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا فَذَاكَ حِينَ (لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ)»[5]، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠١) من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٠٢) من حديث ابن عمر ﷺ.
(٣) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣) واللفظ له من حديث أنس ﷺ.
(٤) أخرجه البخاري (٣٤٤٨) واللفظ له، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة ﷺ
أخرجه البخاري (٤٦٣٥) واللفظ له، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبٌ»[1].

فمن الأمارات التي ذكرت في هذه الأحاديث الذي ذكرناها: موت الرسول ﷺ، وفتح بيت المقدس، وداء بسببه يفشو الموت، واستفاضة المال، وفتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، وهدنة بين المسلمين وبين النصارى، ثم غدر النصارى، وخروج الدجال، وظهور الدخان، وخروج دابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، ووقوع ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وظهور نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

والأحاديث التي اختلفت في تعداد الأمارات يجاب عنها: بأنَّ هذا الاختلاف، مفهومُ عددٍ، لا مفهوم حصرٍ؛ فهذه أمثلة، وأما قوله «**إنَّ أول الآيات خروجاً، طلوعُ الشمس من مغربها**» فإن المراد أول الآيات القريبة، أي: أول الآيات القريبة الكبرى؛ التي هي قريبة من الساعة، والتي ليست مألوفة: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، فطلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة؛ أول الآيات السماوية، كما أن خروج الدابة؛ أول الآيات الأرضية، وإلَّا فإن الدجال، وخروج المهدي، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج: هذا يكون قبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل الدابة، إلّا أن كل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر؛ ومشاهدة بشرٍ مثلهم أمرٌ مألوف، بخلاف طلوع الشمس من مغربها، فإنها على خلاف عادتها المألوفة، وكذلك الدابة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤١) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.

ومخاطبتها للناس ووصفها إياهم بالإيمان أو الكفر أمر خارج عن نطاق الإلف والعادة، كذلك رفع القرآن من الصدور ومن المصاحف.

أقسام أشراط الساعة وأماراتها:

العلماء يقسمون أشراط الساعة وأماراتها إلى ثلاثة أقسام:

أولًا: قسم ظهر وانقضى، وهي الأمارات البعيدة، ومنها: بعثة النبي ﷺ فإنه نبي الساعة. قال ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»[1]، وموته - عليه الصلاة والسلام - وفتح بيت المقدس، وقتل أمير المؤمنين عثمان، ومنها: واقعة الجمل وصفين، وواقعة النهروان، وتنازل الحسن عن الخلافة، ومنها: مُلْكُ بني أمية وما جرى على أهل البيت في أيامهم من أذية؛ كقتل الحسين، وواقعة الحرة، وقتل ابن الزبير، ورمي الكعبة بالمنجنيق.

ومنها: مُلْكُ بني العباس وما جرى في أيامهم من المحن والشدائد، ومنها: نارُ الحجاز التي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى، ومنها: ظهور الرفض واستبداد الرافضة بالملك، ومنها: خروج الكذابين الدجالين؛ كلهم يَدَّعي أنه نبي، ومنها: زوال مُلْكِ العرب، ومنها: كثرة المال، ومنها: كثرة الزلازل، والقتل وغيرها.

ثانيا: وقسم ظهر ولم ينقض، بل لا يزال في ازدياد حتى إذا بلغ الغاية ظهر؛ منها: كون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع وهو (العبد الأحمق

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١) من حديث أنس رضي الله عنه، وأخرجه البخاري أيضاً (٤٩٣٦) من حديث سهل بن سعد، باللفظ السابق، ومسلم (٢٩٥٠)، بلفظ: «بُعثت أنا والساعةُ هكذا»، وأخرجه باللفظ الأول من حديث أبي هريرة أيضاً: البخاري (٦٥٠٥)، وأخرجه مسلم باللفظ الأول (٨٦٧) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

اللئيم) لقوله - عليه الصلاة والسلام -: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعٍ»[1] أي: حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢)، والترمذي (٢٢٠٩)، ونُعيم بن حماد في «الفتن» (٥٥٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٩٢)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١٩٦)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (٤٠٧)، كلهم من طريق عمرو بن أبي عمرو، عن عبدالله بن عبدالرحمن الأشهلي، عن حذيفة مرفوعاً.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن، إنما نعرفه من حديث عمرو بن أبي عمرو»، وفي سنده: عبدالله بن عبدالرحمن الأشهلي، قال ابن معين: «لا أعرفه».
وللحديث شواهد؛ منها: ما أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٧٤٠)، وأحمد (٣/ ٤٦٦)، والطبراني في «الكبير» (٥١٢)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١٩٧)، كلهم من طريق الوليد بن جُميع، عن أبي بكر بن أبي الجهم، عن أبي بُردة مرفوعاً، بنحوه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» بَعْدَ أن ساق رواية أحمد تامةً (٧/ ٣٢٠): «رواه كلّه أحمدُ، والطبراني باختصارٍ. ورجاله ثقات».
ومن شواهده أيضاً: حديث أنس بنحوه، عند ابن حبان في «الصحيح» (٦٧٢١)، والطبراني في «الأوسط» (٦٢٨). وقال الهيثمي -بعد أن عزاه إلى الطبراني في «الأوسط»- في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٢٦): «ورجاله رجال الصحيح، غير الوليد بن مسرح، وهو ثقة».
وللحديث شواهد أخرى كذلك، من حديث عمر بن الخطاب، عند ابن أبي عاصم في «الزهد»، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٧٧، ٧٣١٦)، لكن في سنده عمرو بن عثمان الرقي، وهو ضعيف - كما في «التقريب» (٥٠٧٤)، وجعفر بن بُرقَان مع كونه صدوقاً إلا أنه يهم في حديثه عن الزهري -كما في «التقريب» (٩٣٢)- وهذا الحديث من روايته عن الزهري، وفيه أيضاً راوٍ مجهول، هو: أصبغ بن محمد الورَّاق، ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (١٥٩٩)، ولم يحك فيه جرحاً ولا تعديلاً، وأورده ابن حبان في «الثقات» (١٢٥٩٥).
وفي الباب أيضاً: عن أبي هريرة مرفوعاً، بنحوه، عند أحمد (٢/ ٣٢٦، ٣٥٨)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٢٠): «رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير كامل بن العلاء؛ وهو ثقة».
=

رؤساءَ الناس، ومنها: أن يُرى الهلال ساعة أن يطلع، فيقال لليلتين؛ لانتفاخ الأهلة؛ أي: عِظمها، ومنها: إماتة الصلاة، و إضاعة الأمانة، وأكل الربا، وقطع الأرحام، وكثرة الطلاق، ومنها: موت الفجأة، وكون البطل قيظاً، والولد غيظا، ومنها: علو أصوات الفسقة في المساجد، واتخاذ القينات والمعازف، وشرب الخمور في الطرقات، واتخاذ القرآن مزامير، وكثرة الشرط وغيرها كثير.

ثالثًا: وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة، فإنها تتابع كنظام خرزات انقطع سلكها:

أولًا: أن يظهرْ الإمام محمد المهدي وهو رجل من سلالة فاطمة بنت النبي ﷺ، اسمه كاسم النبي ﷺ وكنيته ككنيته، محمد بن عبد الله المهدي. وقد جاءت في خروجه وأخباره أحاديث صحيحة، وأحاديث حسنة،

= فقد وثقه ابن معين -كما في «الجرح والتعديل» (٧/ ١٧٢)-، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال في موضع آخر: ليسٓ به بأس، وقال ابن عدي: رأيت في بعض رواياته أشياء أنكرتها، وأرجو أنه لا بأس به». انظر: «تهذيب الكمال» (١٠٧٢٤) - أما ابن حبان فأضجع فيه القول، وعبارتُهُ كما في كتاب «المجروحين» (٢/ ٢٢٧): «كان ممن يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل من حديث لا يدري، فلما فحش ذلك من أفعاله؛ بطل الاحتجاج بأخباره»، قال الحافظ في «التّقريب» (٥٦٠٤): «صدوق يخطئ».
وله شاهد آخر من حديث أم سلمة مرفوعاً بنحوه أيضاً، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧١١)، وفي «الأوسط» (٦٤٠٣)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٨٤): «وفيه عبدالله بن صلاح كاتب الليث؛ وهو ضعيف، وقد وُثّق».
وفي الباب عن أبي ذرٍ، عند ابن أبي عاصم في «الزهد» (١٩٢)، والطبراني في «الأوسط» (٣٠٧٦)، وفي سنده ابن لهيعة، وهو مُتكلم فيه.
وقد جاء أيضاً موقوفاً، عن بعض أصحاب النبي ﷺ، والله أعلم.

وأحاديث ضعيفة، وأحاديث موضوعة، لكن الأحاديث فيه ثابتة، وهو أنه رجل يخرج في آخر الزمان، يبَايعُ له بين الركن والباب، في وقت ليس للناس فيه إمام، لا يقاتل الناس، ويُلْزَمُ بالإمامة وهو لا يريدها، وفي زمانه يخرج الدجال، وتحصل الحروب والفتن، ويحصر الناس في الشام .

ثانيًا: خروج المسيح الدجال وقد جاء في الحديث أن خروج الدجال يكون بعد فتح القسطنطينية، كما في الحديث الصحيح في مسلم وغيره؛ أنه يحصل مقتلة عظيمة، وتفتح القسطنطينية، ويعلق الناس سيوفهم في الزيتون، فإذا انتهت المعركة نادى الشيطان: إن الدجال قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون فيذهبون، فيجدون الدجال قد خرج، وفي مرة أخرى نادى الشيطان مرةً في غزوة من الغزوات، وكان كاذبا.

ثالثًا: نـزول المسيح عيسى بن مريم في وقت الدجال، وفي وقت المهدي.

فهي ثلاث علامات متوالية مرتبة، فإذا نـزل عيسى ابن مريم - مسيح الهُدَى - قتلَ مسيح الضلالة؛ وهو الدجال .

رابعًا: خروج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى، ثم بعد ذلك تتوالى بقية الأشراط، من هدم الكعبة المشرفة يهدمها رجل من الحبشة كما ثبت عند البخاري من حديث ابن عباس، أنه ﷺ قال: «**كأني به أسود أفْحَجَ، يقلعها حجراً حجراً**»[1]، ثم أيضا آية الدجال، وهي دخان قبل قيام

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٥) من رواية ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج البخاري (١٥٩١)، ومسلم (٢٩٠٩) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «يُخرِّبُ الكعبةَ ذو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحبشة». وأخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠) من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً بلفظ: «يخرّب الكعبة ذو السويقتَين من الحبشة ويسلبها حِليتها، ويجرّدها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه؛ أُصَيْلع، أُفَيدع؛ يضربُ عليها بمسحاته ومِعْوَلِه».

الساعة، يدخل في أسماع الكفار والمنافقين ويعتريهم ويصيبهم منه شدة عظيمة، ويعتري المؤمن كهيئة الزكام، قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾ [الدخان: ١٠]، في الحديث: إنها لن تقوم حتى ترى قبلها عشرة... فذكر منها الدخان، ومنها رفع القرآن العظيم من الصدور ومن السطور - وهي من أشد المعضلات في آخر الزمان - إذا ترك الناس العمل بالقرآن نـزع من صدور الرجال ومن المصاحف، فيصبح الناس ولا يجدون في صدورهم آية، ولا في مصاحفهم آية، نعوذ بالله.

فهذه العلامات غير مرتبة، الله أعلم بترتيبها، فهدم الكعبة، والدخان، ورفع القرآن، ثم طلوع الشمس من مغربها، وهذه من العلامات الأخيرة، فإذا طلعت الشمسُ: آمنَ الناس، ولكن ليس هناك إيمان جديد، فلا ينفع الإيمانُ بعد ذلك؛ لأن باب التوبة قد أُغلق، فكلٌّ يبقى على ما كان عليه، ثم خروج دابة الأرض، تَسِمُ الناسَ في جباههم، فالمؤمن تَسِمُهُ نقطةً بيضاءَ في جبهته؛ حتى يبيض لها وجهه، والكافر تَسِمُه نقطةً سوداء؛ حتى يسود لها وجهه. والدابة وطلوع الشمس من مغربها متقاربتان، فأيهما ظهرت؛ فالأخرى على إِثْرِها قريبة، ثم بعد ذلك يبقى الناس مدةً يُعْرَفُ المؤمنُ من الكافر، ويتبايع الناس في أسواقهم فيقالُ: خذ هذا يا مؤمن، بع هذا يا كافر؛ فالذي أبيض وجهه، فهو مؤمن، والذي أسود وجهه فهذا كافر.

ثم آخرها: العلامةُ العاشرةُ وهي: خروج النار؛ وهي التي تخرج من قرى عدن؛ تسوق الناسَ إلى المحشر، وتبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا؛ أي إذا جاء وقت القيلولة، وقفتْ حتى يقيل الناسُ، فإذا انتهى وقتُ القيلولة؛ تسوقهم ومن تخلَّف تأكلُه؛ فإذا جاء وقت النوم تقف حتى ينام الناس، فإذا أصبح الناس تسوقهم.

النهي عن تصديق الساحر والكاهن والعراف

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِناً وَلَا عَرَّافاً، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئاً يُخَالِفُ الكِتَابَ والسُّنَّةَ وإجْمَاعَ الأُمَّةِ**[1].

الشرح

الكاهن هو الذي يدعي علم المغيبات في المستقبل، أو يخبر عما في الضمير، ويكون له راءٍ من الجن، يأتيه ويخبره فيدّعي ما يدعي، والعراف هو الذي يدعي علم الغيب عن طريق معرفة النجوم، فيدعي معرفة ما في الضمير، أو معرفة المسروق، ومكان الضالة، أما القائف فهو الذي يعرف القيافة، أو الذي يعرف الأثر، فلا يدخل في هذا، ولا يسمَّى كاهناً، ولا عَرَّافاً. والمنجم هو الذي يدعي علم الغيب، ويستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، والساحر هو الذي يعقد عقدا، وينفخ فيها مستعيناً على ما يريد بالشياطين، وكلهم كفرة؛ إذ أنهم يَدَّعون الغيب ولو بالتخييل أو بالتخمين، لكن طرقهم متعددة .

والسحر في اللغة عبارة عما دَقَّ وَخَفِيَ ولطف سببُهُ، ومنه سُمِّي السَّحر سَحرًا؛ لأنه يقع خَفيًّا آخر الليل، ومنه قوله «**إنَّ مِن البَيَان لَسِحْرًا**»[2]، فيسمَّى الكلامُ الفصيح؛ سِحْراً، ومن ذلك: النَّمام الذي يُظْهِرُ النصحَ، ويبطن الشر والفساد، ويوقع بين الناس العداوة، فهذا نوع من السحر: وهي التي جاء ذكرها في الحديث، في قوله ﷺ «**ألا أنبئكم ما العضة؟ هي النميمية؛ القالة بين الناس**»، وأما السِّحْرُ شرعاً واصطلاحا؛ فهو: عزائم

---

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (٢/ ٧١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

ورقى، وَعُقَد؛ تؤثِّر في القلوب والأبدان، فتُمرض، وتقتل، وتفرق بين المرء وزوجه .

أنواع النجوم التي من السحر:

نوعان: أحدهما: علمي، وهو الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث، من جنس الاستقسام بالأزلام، وهذا محرم وكبيرة، والثاني: عملي، وهو الذي يقولون فيه: إنه القوة السماوية للقوة المنفعلة الأرضية، كطلاسم ونحوها، وهذا من أرفع أنواع السحر.

حكم السحر(١): حكم السحر بالإقدام عليه تعلماً وتعليماً، وفعلا: محرمٌ بالاتفاق، فالسحر محرم بالكتاب والسنة والإجماع، وكذا الاستقسام بالأزلام، والضرب بالحصى، والخط بالرمل. ثم اخْتُلِفَ في التحريم؛ هل يصل إلى درجة الكفر؟، ومحل الخلاف في: هل يتضمن سحره كفرا؛ فإن تضمن سحره كفرا؛ كنداء الجن أو غيره؛ فهو كفر بالاتفاق، فالجمهور: كمالك، وأبي حنيفة، وأحمد يقولون: الساحر كافرٌ مطلقاً، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]، أما الشافعي فإنه يفصّل فيقول: إنْ تضمَّن سحرُه كفراً؛ فهو كافر، وإن لم يتضمن سحره كفراً، فإن استباحه: كَفَرَ، وإن لم يستبح: يكون مرتكباً لكبيرة.

مسألة: كيف يتضمن سحره كفرا؟

الجواب: بأن ينادي الشياطين ويخاطبهم، ويتقرب إليهم؛ فيذبح لهم، ويُهْدِي لهم ما يريدون من البخور وغيره .

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٩/ ٣٨٤)، و«شرح مسلم» للنووي (١٤/ ١٧٦)، و«أضواء البيان» (٤/ ٤٥٦). و«موقف الإسلام من السحر» (٢/ ٤٨٩-٥٣١).

واتفق العلماء على أنه إذا تضمن السحر كفرا؛ فَيَكْفُرُ صاحبُه بالاتفاق، ثم إذا قيل بكفره؛ فإنه يُقتل، وقيل: إن السحر ليس بكفر، بل هو كبيرة، فيقتل حداً منعا لشره، لا لكفره، كما قال الإمام الشافعي. وكذا الضرب بالحصى، والخط بالرمل؛ إذا ادَّعى صاحبُه علمَ المغيبات، أو معرفةَ النجوم، أو الاستقسام بالأزلام .

والصواب: أنه يُقْتَلُ كفراً. وقد ثبتِ قَتْلُ الساحرِ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحفصة بنت عمر، وجندب بن عبد الله، وهو مأثور عن الصحابة، وهذا مذهب أبي حنيفة، ومالك، وأحمد في المنصوص عنه؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩] وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: بتعلم السحر، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

هل يستتاب الساحر أو لا؟: اختلف العلماء؛ فذهب مالك إلى أنه لا يستتاب، وهو الراجح، وذهب بعض العلماء إلى أنه يستتاب، فإن تاب وإلا قُتِلَ.

ما هي الكواكب السبعة؟: هي: المشتري، والمريخ، وزحل، وعطارد، وزهرة، والشمس، والقمر .

دعوة الكواكب السبعة وما في جنسها: اتفق العلماء على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة أو غيرها، أو خطابها، أو السجود لها، أو التقرب إليها بما يناسبها من اللباس، والخواتم، والبخور، ونحو ذلك، والمناجاة للكواكب. والواقع أنه ينادي الجن-: فإنه يكفر؛ وهو من أعظم

أبواب الشرك، وهو من جنس فعل الصابئة: قوم إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -؛ لهذا قال ما حكى الله عنه بقوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩] يريهم إيهاما بذلك؛ لأن الصابئة تقول: إنها مدبرة للعالم، وإنها تأتي بالخير والشر. واتفق العلماء على أن كل رقية أو تعزيم وقسم فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته به الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه؛ لا يتكلم به؛ لإحتمال أن يكون فيه شرك لا يُعْرَف؛ ولذلك قال النبي «**لَا بَأْسَ بَالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فيه شِرْكٌ**»[1]، ولا يجوز الاستعانة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك، فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦]، وقد أخبر الله عن الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة، ويخاطبونهم بهذه العزائم؛ أنهم ضالون، وإنما تنزل عليهم الشياطين، لا الملائكة، كما في قوله ﷻ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]، كما أخبر أن كلا من الجن والإنس يستمتع بالآخر، كما في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨]؛ فاستمتاع الإنس بالجن يكون: في قضاء حوائجه، وامتثال أمره، وإخباره بشيء من المغيبات، واستمتاع الجن بالإنس يكون: في تعظيمه إياه، واستعانته به، واستغاثته، وخضوعه له.

حكم ما تعاطاه المنجم: وما تعاطاه المنجم والضارب بالحصى،

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

والذي يخط بالرمل، وصاحب الأزلام التي يستقسم بها، ما تعاطاه هؤلاء حرام وسحت، كما في الصحيح: «**عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ، أَنَّ رسول الله نهى عن ثَمَنِ الْكَلْبِ، وَمَهْرِ الْبَغِيِّ وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ**»[1]، ويدخل في حلوان الكاهن ما يتعاطاه هؤلاء. وحلوان الكاهن؛ أي: أجرتُه على الكهانة؛ سمي حلوانا؛ لأنه يأخذه حلواً بدون مشقة، أما حكم فعلها فقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد، كالبغوي، والقاضي عياض، وغيرهما.

حكم الإتيان للسحرة؟: إن كان على وجه التصديق لهم في كل ما يخبرون به، والتعظيم للمسئول؛ فهو حرامٌ، دليل ذلك: ما ثبت في صحيح مسلم وغيره، عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: «**إني حديث عهدٍ بجاهليةٍ، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منّا رجالاً يأتون الكهان. قال: فلا تأتهم ...**»[2]، **وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال**: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[3]، وفي حديث أبي هريرة ﷺ «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِما أنـزل على محمد**»[4]، وأما إن كان يسأله؛ ليمتحن حاله، ويختبر باطن أمره، وعنده

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٢)، ومسلم (١٥٦٧) من حديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ، وأخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٦٤٩) من حديث أبي مسعود الأنصاري أيضاً، بلفظ: «ثلاث هن سُحت: ثمن الكلب، ومهر البغي، وحُلوان الكاهن».

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣٠) من حديث بعض أزواج النبي ﷺ.

(٤) أخرجه الترمذي (١٣٥)، وأبو داود (٣٩٠٤)، وابن ماجه (٦٣٩)، والحاكم في «مستدركه» (١٥)، وابن الجارود في «المنتقى» (١٠٧) من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه زيادة: (من أتي حائضا أو امرأة في دبرها).

ما يميز به صدقه من كذبه؛ فهذا جائز، كما ثبت في الصحيحين أن النبي «سَأَلَ ابْنَ الصَّيَّادِ فَقَالَ: مَاذا ترى؟، قَالَ ابنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ النبي ﷺ: خُلِّطَ عليك الأمر. ثم قال له النبي ﷺ إِنِّي قَدْ خَبَّأْتُ لَكَ خَبِيئًا. فَقَالَ ابن صياد: هو الدخُّ. وَقَالَ: اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُو قَدْرَكَ»[1].

وكذلك إذا كان يسمع ما يقولون، ويخبرون به عن الجن، كما يسمع المسلمون ما يقول الكفار و الفجار؛ ليعرفوا ما عندهم، فيعتبرون به، وكما يسمع الخبر الفاسق، ويتبين، ويتثبت، فلا يجزم بصدقه ولا كذبه إلا ببينة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، وكما في الحديث: «ما حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ»[2]؛ فقد جاز للمسلمين سماع ما يقولونه، ولا يصدقوهم، ولا يكذبوهم .

= قال الترمذي: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم الأثرم، عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي هريرة.
وإنما معنى هذا عند أهل العلم على التغليظ، وقد روي عن النبي ﷺ قال: من أتى حائضا فليتصدق بدينار، فلو كان إتيان الحائض كفرا لم يؤمر فيه بالكفارة، وضعف محمد -يعني البخاري- هذا الحديث من قبل إسناده، وأبو تميمة الهجيمي اسمه طريف بن مجالد. ا هـ، وقال الترمذي في «العلل» (ص٥٩): «سألت محمداً عن هذا الحديث، فلم يعرفه إلا من هذا الوجه، وضعّف هذا الحديث جداً». وضعفه الحافظ في «التلخيص» (٣/ ١٠٨).

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٣١) من حديث من ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٠١٦٠ و ١٩٢١٤ و ٢٠٠٥٩)، وأحمد (٤/ ١٣٦)، وأبو داود (٣٦٤٤)، وابن حبان (٦٢٥٧) من طريق ابن شهاب الزهري، عن ابن أبي نملة، عن أبيه، فذكره. في رواية ابن حبان: نملة بن أبي نملة. وانظر «الإصابة» (٧/ ٤١٦).

حُكْمُ طلبِ السقيا بالنجم، ونسبة الأحداث إليها، وحكم من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا. طلب السقيا بالنجم لا يجوز، وهو من عمل أهل الجاهلية، ففي الحديث: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ»[١]، ونسبة الأحداث إلى النجم وطلب الاستقساء وقوله: مطرنا بنوء كذا وكذا، إن كان يعتقد أنه عند ذلك النجم يحصل المطر، فهذا كفر أصغر، وإن كان يعتقد أن للنجم تأثيرا في إنزال المطر، فهذا كفر أكبر يخُرج من الملة، دليل ذلك: ما في الصحيحين عن زيد بن خالد رضي الله عنه «صلىّ لَنَا رسولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[٢].

صناعة التنجيم[٣]: صناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير، وهي الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، كالاستدلال بها على موت عظيم، أو ولادة عظيم، أو قيام أمة، أو تولي ملك، أو عزل ملك.

وحكمها مع الدليل صناعة محرمة بالكتاب والسنة بل وهي كذلك

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٦) واللفظ له، ومسلم (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

(٣) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (٢/ ٧٨٠).

محرمة على لسان جميع المرسلين، الدليل: قولُ الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]، والتنجيم من السحر، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء: ٤٤-٤٥] قال عمر: الجبت السحر، وهذا تفسير بالبعض؛ لأن الجبت: كل ما لا خير فيه، فمنه السحر، فهو جزء منه.

الواجب على ولاة الأمور تجاه المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى:

الواجب على ولاة الأمور من الحكام والعلماء وكل قادر؛ السعي في إزالة هؤلاء، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات، والدخول على الناس في منازلهم؛ أما الحكام فبإبادتهم وإزالتهم، وأما العلماء فبمنعهم وإزالتهم إن قدروا، وإلا فببيان باطلهم وجدلهم للناس، وتحذير الناس منهم، ومن الجلوس عندهم، والاستماع لهم، وأما غيرهم: فبالنصح وتجنب فعلهم؛ لأن هذا من المنكر العظيم؛ فيجب إنكاره، وفي الحديث: «**إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه**»[1]، وقد ذم الله أهل الكتاب على عدم الإنكار، فقال: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٥)، واللفظ له، وأحمد (١/ ٢، ٥، ٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٥٨٣)، وأبو يعلى (١٢٨، ١٢٩، ١٣٠). ووقع عند الترمذي (٢١٦٨)، وأبي داود (٤٣٣٨)، بلفظ «الظالم» بدل «الناس»، ووقع عند أبي يعلى (١٣٢) بالجمع بين اللفظين، وقد رووه جميعاً من طريق قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر الصديق. ورجاله ثقات، وقيس تكلم فيه يحيى القطان، لكن الذهبي قال: أجمعوا على الاحتجاج به، ومن تكلم فيه فقد آذى نفسه، والحديث صححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٥٦٩ -ط: السابعة).

مُنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٩]، والسحر يدخل في المنكرات في الدرجة الأولى، وعموم العقوبة بسبب فعل المنكر والسكوت عنه؛ فهذا بفعله، وهذا بسكوته، حتى تعمَّ العقوبات والنكبات.

نزاع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه[1]:

هل للسحر حقيقة مؤثرة أو هو ضرب من الخيال؟: الصواب الذي عليه أكثر العلماء، وعليه المحققون من أهل العلم: أن السحر له حقيقة، ومنه ما هو خيال. أما القول بأنه خيال فقط، فهذا ليس بصحيح. فالسحر قد يؤثر في موت المسحور ومرضه، من غير وصول شيء ظاهر إليه؛ بسبب لطم الجن له: بسبب الإقسامِ عليه من قِبَلِ الساحر، فالساحر يقسم على الجني، والجني يلطم المسحور؛ فيمرض، أو يُقتل، دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤]، ومنه التخييل؛ فالسحر قسم منه خيال، وقسم منه له حقيقة، دليل قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤]، ولولا أن للسحر حقيقة لما أمر الله بالاستعاذة منه، ودليل الخيال قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] ، وقوله: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وذهب بعض العلماء إلى أن السحر مجرد تخييل، وأنه لا تأثير له ولا حقيقة، وهذا مذهب الإمام أبي حنيفة وإليه ذهب الجصاص في كتاب الأحكام، وهو مذهب المعتزلة والرافضة، دليلهم: قولُ الله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، وقوله: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٦٤).

والسحر له تأثير في عين الرائي والمسحور، وهو خيال بحيث إنه لم يغير الحقائق، ففيه تأثيرٌ من جانبٍ، وتخييلٌ من جانب، فله تأثير في المسحور؛ بمرضه أو موته، وله خيال في عين الرأي والمسحور.

تعريف النشرة وحكمها[1]: وهي حَلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أولا: حَلُّ السحر بسحرٍ مثله؛ فهذا لا يجوز، وهو من عمل الشيطان؛ لقوله «**ولا يحل السحر إلا ساحر**»[2]، وقوله: «**النشرة من عمل الشيطان**»[3].

---

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (٢/ ٧٣٨).

(٢) هذا القول هو قول الحسن البصري، ذكره ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٤/ ٣٩٦).
وذكره الشيخ سليمان آل الشيخ في «تيسير العزيز الحميد» (٣٦٧)، ثم قال هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في «جامع المسانيد» بغير إسناد ولفظه: لا يُطلق السحرَ إلا ساحرٌ. ا هـ
وذكره الشيخ عبد الرحمن السعدي في «القول السديد شرح كتاب التوحيد» (١٠٤)، ثم قال بعده: قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:
الأول: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.
والثاني: النشرة بالرقية، والتعوذات، والأدوية، والدعوات المباحة فهذا جائز. ا هـ

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٧٠)، وأحمد (١٤٤٩٩)، والبيهقي (٩/ ٣٥١) جميعًا من طريق عبدالرزاق، حدثنا عقيل بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يحدث، عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال: «هو من عمل الشيطان».
قال العلائي في «جامع التحصيل» (٢٩٦): وهب بن منبه قال بن معين لم يلق جابر ابن عبد الله إنما هو كتاب، وقال في موضع آخر هو صحيفة ليست بشيء. اهـ
وقال البيهقي: وروي عن النبي ﷺ مرسلا وهو مع إرساله أصح. اهـ

ثانيا: حل السحر بأدوية ودعوات مباحة، فهذا جائز.

أنواع المشعوذين الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة؛ ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أهل تلبيس وكذب وخداع، وهم يعلمون ذلك؛ يُظْهِرُ أحدُهم طاعةَ الجن له، أو يدَّعي الحال، وهو من المشايخ النصابين، الخداعين، والفقراء الكاذبين، فهؤلاء يَدَّعُونَ السِّحْرَ، ويأكلون أموال الناس بالباطل.

حكمهم والحد الواجب عليهم: هؤلاء دجالون وملبّسون وخدَّاعون، يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات، و يطلب تغيير شيء من الشريعة ونحو ذلك.

النوع الثاني: من يتكلم في هذه الأمور ويعمل الشعوذة، من تحضير الجن وغيرها، على سبيل الجد والحقيقة، ويعتقدون لها التأثير.

حكمهم والحد الواجب عليهم: هؤلاء سحرة، وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر.

النوع الثالث: من يتكلم بالأحوال الشيطانية، ويدعي الخشوع، ومخاطبة رجال الغيب، ويدعي مخاطبة القطب المتولي للكون -بزعمه-، وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله، ومن هؤلاء من يساعد المشركين على المسلمين في أيام حرب التتار، ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين؛ لكون المسلمين قد عصوا.

حكمهم والحد الواجب عليهم: هؤلاء في الحقيقة من إخوان

الشياطين، والواجب أن يعاقبوا بالعقوبة البليغة التي تردعهم عن فعلهم، وقد يجب قتلهم إذا ثبت أنهم يخاطبون الجن ويستخدمونهم ويعظمونهم بالشركيات، وحينئذ فهم كفار؛ يُقتلون كفراً.

موقف المسلم من أصحاب الأحوال: يقول بعض الناس: إن الصوفية تُسَلَّمُ لهم أحوالهم، يعني: أحوالهم النفسية، بأن يظن أنهم على الدين والاستقامة، وإن كانوا بخلافه يقول: اتركه على حاله، فهذا كلام باطل، بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قُبِلَ، وما خالفها رُدَّ، وَأُدِّبَ صاحبه، الدليل: ما ثبت في الصحيحين عن النبي أنه قال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»[١]، وفي رواية لمسلم «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[٢].

فلا طريق إلا طريقة الرسول، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحدٌ من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته، إلا بمتابعة النبي باطناً وظاهرا.

حكم من اعتقد في البله أنهم من الأولياء[٣]: من اعتقد ذلك، فهو ضال مبتدع مخطئ في اعتقاده. والبله جمع أبله، وهو ضعيف العقل، بعضهم يقول: هذا الأبله الضعيف، ولي من أولياء الله، اتركه وسلّم له حاله، وبعضهم يقول: إنَّ هذا الشخص الذي تجده أبله ضعيف العقل، ولا يعرف شيئاً؛ تجده مخرَّق الثياب، طويلَ الشعر والأظافر، يقتات من المزابل، ما يدريك، لعله قطب زمانه، الذي يدبر الكون؟!، ومن اعتقد

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨/١٨) من حديث عائشة.

(٣) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/٧٦٩).

في البله؛ وهم المغفلون أو المولعون من كثرة العبادة والرياضة؛ أنهم من أولياء الله، مع تركه لمتابعة الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، أو فَضَّلَهُ على مُتَّبِعِ طريقة الرسول؛ فهو ضالٌ مُضل .

وأولئك البُله؛ ضعفاء العقول، لا يخلون من حالات ثلاث: إما أن يكون شيطانا زنديقا، وإما أن يكون ملبسا متحيلا، وإما أن يكون مجنونا معذورا، فكيف يُفَضَّلُ على أولياء الله المتبعين لرسوله، أو يُسَاوَى بهم؟!، وبعضهم يسوق حديث: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْبُلْهَ»[1]، فهذا الحديث باطل سنداً ومتنا، أما سندا: فإنه لا يصح عن رسول الله ولا ينبغي نسبته إليه، وأما متنا: فإن الجنة إنما خُلقت لأولي الألباب، الذين أرشدتهم عقولُهم وألبابُهم إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقد ذكر الله أهل الجنة بأوصاف في كتابه، فلم يذكر في أوصافهم البله الذين هم ضعفاء العقول، وتصحيحُ الحديث، وصوابه: قولُ النبي ﷺ «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ»[2]، فلم يقل: البله، وهذا يرجع إلى أن المال أشد في صرف الإنسان عن الدين وطغيانه من الفقر.

---

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ١٩١)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٥٨)، وعزاه في «كنز العمال» (١٤/ ٤٧٣/ ٣٩٣١٣) لابن شاهين في «الافراد»، وابن عساكر عن جابر، قال ابن عدي: هذا حديث باطل. والحديث ضعّفه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٥٧٣ - ط: السابعة).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤١) بهذا اللفظ من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٢٧٣٧) بهذا اللفظ من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

الطائفة الملامية

وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: تُطلق على الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، وهم الذين لا يبالون بلوم لائم، أي: باللوم في ذات الله والقيام بأمره والدعوة إليه، وهم الذين عناهم الله بقوله: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة: ٥٤]، وهؤلاء ممدوحون، أبرار.

النوع الثاني: تُطلق على النفس التي إذا وقعت في سيئة لامت نفسها، وَأَنَّبَتْهَا، وهذه محمودة أيضا.

النوع الثالث: تُطلق الملامية على الذين يفعلون ما يلامون عليه، ويُظْهِرُونَ ما لا يمدحون عليه، وهي الطائفة التي تخفي فعل الخير والمحامد، وتُظهر فعل الشر، ويقصدون بذلك مخالفة المرائين، وهم من يظهرون الخير، ويضمرون الشر، وهذه الطائفة مذمومة، وهم جماعة من الصوفية لهم طريقة معروفة تسمى طريقة أهل الملامة، فتجد أحدهم يقول: أنا أُصلح باطني ولا عَلَيَّ إن كان ظاهرُ حالي الفساد، فتجده يذهب ويسرق ويرتكب المعاصي؛ حتى يلومه الناس، وهم أيضاً يزعمون أنهم يحتملون ملام الناس لهم على ما يُظهرونه من الأعمال السيئة؛ ليخلص لهم ما يبطنونه من الأحوال!![1].

الرد عليهم: أولًا: إن هؤلاء أذلوا أنفسهم، وفي الحديث: «**لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه**»[2].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٢٦٤)، و«مدارج السالكين» (٣/ ١٧٧-١٧٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٥٤)، وابن ماجه (٤٠١٦)، وأحمد (٥/ ٤٠٥) من طريق عمرو ابن عاصم، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن الحسن، عن جندب، =

عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. اهـ، وفي سنده علي بن زيد، وهو ضعيف، وقال ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٥٤): «هذا الحديث يعرف بعمرو بن عاصم، عن حماد بن سلمة سرقه منه عمر بن موسى». ا هـ

قال أبو حاتم في «العلل» (٢/١٣٨): هذا حديث منكر. اهـ، وانظر«علل الإمام أحمد» (٢/ ٢٧). وجاء أيضاً من حديث أبي سعيد، عند أبي يعلى (١٤١١)، لكنه من رواية الحسن، عن أبي سعيد، وفي سماعه منه نظر -كما في «الأمالي المطلقة» (ص ١٦٥).- وروي كذلك من حديث ابن عمر، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٣٥٧)، والبزار -كما في «كشف الأستار» (٣٣٢٣)- وقال الحافظ في «الأمالي المطلقة» (ص ١٦٨): «رواته موثوقون إلا عبدالكريم، وهو أبو أمية ابن أبي المخارق، فإنه ضعيف، لكنه شاهد جيد للحديث الماضي».

تنبيهات: قول الحافظ في «الأمالي المطلقة»: «رواته موثقون إلا عبدالكريم»، متعقَّبٌ؛ لأن في سنده زكريا بن يحيى بن أيوب الضرير؛ فقد ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٤٥٧) بالرواية عن جماعة، وروى عنه جماعة، ولم يتكلم فيه أحد -انظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧٤- ٢٧٥).- وقد ترجمه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٩/ ١٤٣) وقال: «محله الصدق»!!

التنبيه الثاني: وقع قَلْبٌ في اسم «زكريا بن يحيى»، فورد في المطبوع من «الأمالي المطلقة» (ص ١٦٨)، «يحيى بن زكريا الضرير»، وهو على الصواب في «الأوسط» للطبراني.

التنبيه الثالث: الحديث أسنده الطبراني في «الكبير» (١٣٥٠٧) من طريق زكريا بن يحيى المدائني، عن شبابة بن سوار، عن ورقاء بن عمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عمر.

مع أن الطبراني لما أخرجه في «الأوسط» من طريق زكريا، عن شبابة، عن ورقاء، عن عبدالكريم، عن مجاهد، عن ابن عمر: قال: «لا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد، تفرد به زكريا».
=

ثانيا: نقول لهم: أأنتم رددتم باطل المرائين بباطل آخر، والباطل لا يُرَدُّ بالباطل، والصراطُ المستقيمُ بَيْنَ ذلك، حسن في ظاهره كالمرائين، وحسن في باطنه كالملامية.

حكم الذين يُصْعَقُون عند سماع الأنغام الحسنة(١): وهو تَصَنُّعٌ ومظاهرة، ومخداعة للناس، فتجد أحدهم يرقص، ويدورُ في القوم، في مجلس الذكر، فيختل عقله، ثم يصعق، ويسقط، وهؤلاء مبتدعون ضالون.

أولًا: ليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبباً في زوال عقله.

ثانيًا: لأنه لم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك، ولو عند سماع القرآن، وهم خير منا، فكيف نصل إلى ما لم يصلوا إليه؟ بل كان الصحابة كما وصفهم الله: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وكما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الزمر: ٢٣].

= فأخشى أن يكون تحريف أوْ وهم وقع في «الكبير»، ولاسيما أن أبا الشيخ رواه في كتاب «الأمثال» (١٥٢) من طريق زكريا بن يحيى الضرير، عن شبابة، عن ورقاء، عن عبدالكريم، به.

التنبيه الرابع: صحح الألباني ﷺ حديث الباب في «الصحيحة» (٦١٣)، وساق له حديث ابن عمر هذا، شاهداً، من رواية الطبراني في «الكبير»، ثم قال: «وهذا إسناد صحيح، إن كان زكريا بن يحيى هو أبو يحيى اللؤلؤي، الفقيه الحافظ...».

وهذا متعقب؛ بوقوع التصريح بأنه «الضرير» كما في «الأوسط»، وكتاب «الأمثال»، كما تقدَّمَ، والله أعلم.

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٧١).

أمَّا عقلاء المجانين؛ فهؤلاء قوم كان فيهم خير، ثم زالت عقولهم، فتبدوا على ألسنتهم أيام الجنون من الكلمات الخيرية ما كان في أيام صحوهم.

والواقع أنهم مجانين، ومن علامة هؤلاء: أنه إذا حصل في جنونهم نوع من الصحو؛ تكلموا بما كان في قلوبهم من الإيمان، ويهتدون بذلك في حال زوال عقلهم، بخلاف من كان قبل جنونه كافرا أو فاسقا، لم يكن حدوث جنونه مزيلاً لما ثبت من كُفره أو فسقه، وكذلك من جن من المؤمنين المتقين، يكون محشورا مع المؤمنين المتقين، وما يحصل لبعضهم - لبعض الصوفية - عند سماع الأنغام المطربة من الهذيان والتكلم ببعض اللغات المخالفة للسان المعروف عنه، فذلك شيطان يتكلم على لسانه، كما يتكلم على لسان المصروع، أو هو دجال يكذب على الناس، وذلك كله من الأحوال الشيطانية، ولكن بعض الصوفية يظن زوال العقلِ سبباً أو شرطاً يقرب إلى ولاية الله، ومن يظن هذا الظن، فهو من أهل الضلال، حتى قال قائلهم يعني: يخاطب المجانين يعني: مُوَلَّهِي ومجانين الصوفية:

هُمْ مَعْشَرٌ حَلُّوا النِّظَامَ وَخَرَّقُوا الـ ـسِّيَاجَ فَلَا فَرْضٌ لَدِيهُمْ وَلَا نفْلُ
مـجـانـيـن إلا أن سرّ جـنـونـهـم عزيزٌ على أبوابه يسجد العقلُ

يعني أولئك: المجانين، هم مَعْشَرٌ حَلُّوا النظامَ، وخرقوا السياج، فلا فرضٌ لديهم ولا نفلٌ، مجانين إلّا أن سر جنونهم عزيزٌ؛ على أبوابه يسجدُ العقلُ!! هذا كلامُ ضال، بل كافر يظن أن في الجنون سراً؛ يسجد العقلُ على أبوابه، لما رآه من بعض المجانين من نوع مكاشفة، أو تصرف عجيب خارق للعادة، ويكون سبب ذلك؛ ما اقترن به من الشياطين، كما يكون

للسحرة والكهان، فيظن هذا الضال أن كل من خبل أو خَرَقَ العادةَ؛ كان ولياً لله.

وحكم من اعتقد هذا؛ فهو كافر، فقد قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ۝٢٢٣﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣]؛ فكل من تنـزل عليه الشياطين، لا بد أن يكون عنده كذب وفجور. وزوالُ العقلِ بجنون أو غيره، سواء سمي صاحبه مولعاً أو متولهاً، لا يوجب مزيد حال، بل حال صاحبه من الإيمان والتقوى، يبقى على ما كان عليه من خير أو شر، لا أنه يزيده أو ينقصه، ولكن جنونه يحرمه من الزيادة من الخير، كما أنه يمنع عقوبته على الشر، ولا يمحو عنه ما كان قبله، ولكن جنونه من المصائب التي تكفر بها الخطايا.

حكم الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات: هناك طائفة يسمون أنفسهم الخلوتية، يجلس أحدهم في خلوة صغيرة أو في غرفة صغيرة، يتعبّد فيها، وتكون على قدر ما يسع الإنسان، ويجلس فيها مدة طويلة، ثم بعد ذلك يخرج هزيلاً ضعيفا، وبعضهم يستدلون لذلك بعبادة النبي في غار حراء، ولا يصح هذا الاستدلال؛ لأن النبي لم يُبعث قبل ذلك، فقد كان يتعبد بغار حراء قبل البعثة، وأصحاب هذه الخلوات والرياضات هم من الذين يتركون الجمع والجماعات، ولذلك كانوا ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، قد طبع الله على قلوبهم.

والدليل: ما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥٠٠)، والنسائي (١٣٦٩)، وأبو داود (١٠٥٢)، وابن ماجه (١١٢٥) جميعا من طريق محمد بن عمرو، عن عبيدة بن سفيان، عن أبي الجعد =

ما حكم من يجوزون الاستغناء عن الوحي[1]: هناك طائفة من الصوفية يجوزون الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني ويستدلون بقصة الخضر مع موسى بعضهم يقول: أنا أستغني عن الوحي الذي جاء به محمد من الكتاب والسنة؛ بالعلم اللّدني، الذي أتلقاهُ عن الله بلا واسطة؛ فلا أكون بعد ذلك محتاجاً إلى محمدٍ ولا إلى شريعته.

العلم اللدني: هو الذي يحصل للعبد من غير واسطة، بل بإلهام من الله وتعريفٍ منه لعبده، كما حصل للخضر - عليه الصلاة والسلام - بغير واسطة.

وحكم من جوز ذلك: ملحد زنديق، مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلا عن أن يكون من أولياء الله، بل هو من أولياء الشيطان، فعليه أن يجدد إسلامه، ويتشهد شهادة الحق، وإن مات على ذلك، فهو من الملاحدة الزنادقة، الذين هم في الدرك الأسفل من النار، نعوذ بالله.

وهؤلاء الملاحدة يدّعون الأخذ من اللوح المحفوظ، ولذلك لا يوجبون اتباع الرسول ﷺ، ويزعمون أنهم في هذا كالخضر مع موسى، وهذا يقوله رئيس طائفتهم: ابن عربي وغيره من الملاحدة الوجودية، وللردّ

= يعني الضمري، وكانت له صحبة فيما زعم محمد بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ، فذكر الحديث. قال وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس، وسمرة، قال أبو عيسى: حديث أبي الجعد حديث حسن. قال وسألت محمدا عن اسم أبي الجعد الضمري؛ فلم يعرف اسمه، وقال: لا أعرف له، عن النبي ﷺ إلا هذا الحديث قال أبو عيسى: ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث محمد بن عمرو. اهـ، والحديث صححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٥٧٦ - ط: السابعة).

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ٢٣٤)، (٤/ ٣١٨)، (٣/ ٤٢٢)، (١٠/ ٣٣٤-٣٤٤)، (١١/ ٤٠٢-٤٢٦)، (١٣/ ٢٦٦).

عليهم نقول: هناك فرق بين موسى والخضر، وبين محمد وأمته بعد البعثة:

أولًا: الخضر ليس من أمة موسى ولا هو من قومه، وموسى - عليه الصلاة والسلام - لم يكن مبعوثا إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته، ولهذا: عندما جاء يتعلم منه قال له: أنت موسى بني إسرائيل. قال: نعم، فموسى لم يُرسل إلى الثقلين، وإنما هو مرسل إلى بني إسرائيل، والخضر ليس من بني إسرائيل، ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين، ونحن من أمته ومأمورون باتباعه، فيجب علينا اتباعه.

ثانيًا: موسى وعيسى لو كانا حيين لكانا من أتباعه، وإذا نزل عيسى إلى الأرض في آخر الزمان، فإنه سيحكم بشريعة محمد ﷺ ويكون فردا من أفراد الأمة المحمدية، وهو أفضل هذه الأمة، فأفضل هذه الأمة بعد نبيها عيسى؛ لأنه نبي وفرد من أفراد الأمة، ثم يليه أبو بكر الصديق.

فائدة: أفضل هذه الأمة بعد نبيها عيسى - عليه الصلاة والسلام -؛ لأنه ينزل في آخر الزمان، ويحكم بشريعة محمد ويكون فردا من أفراد الأمة المحمدية، فهو نبي ومن أمة محمد ثم يليه أبو بكر الصديق فهو أفضل الناس بعد الأنبياء.

وقد أخذ الله على كل نبي العهد والميثاق؛ لئن بُعث محمدٌ وأنت حي لتتبعنه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

[آل عمران: ٨١].

ثالثًا: الخضر نبي يوحى إليه على الصحيح، كما قال الله - تعالى - عنه أنه قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]؛ لـمَّا فعل الأمورَ الثلاثة

قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] يعني: عن أمر الله، وعنده من العلم ما ليس عند موسى، ولهذا لما نقر عصفورٌ في البحر قال الخضر لموسى: «إني على علم من علم الله علمنيه ما تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه، وما ينقص علمي وعلمك في علم الله إلا كما ينقص ماء هذا العصفور بهذه النقرة من البحر»[1]، أما نحن فلا يوحى إلينا، وليس عندنا من العلم ما ليس عند محمد ﷺ.

حكم من يقول: إن الكعبة تطوف برجال من أرباب الكشوف: هناك بعض الصوفية يقولون: إن الكعبة تطوف برجال من أرباب الكشوف، المستغنين بالعلم اللدني، فمن هؤلاء من لا يحتاج إلى الذهاب إلى مكة ليطوف، بل الكعبة هي التي تأتي إليه في مكانه، ويطوف بها، ومن يقل ذلك؛ فهو ملحد، زنديق، كافر، وفيه شَبَهٌ بالذين وصفهم الله - تعالى - بقوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ [المدثر: ٥٢]؛ فنبينا محمد ﷺ محمد بن عبد الله: سيد الخلق، وأفضلهم أحصر عن البيت يوم الحديبية، ولم تخرج الكعبة وتطوف به، مع فضله وشرفه وكماله، ولم ير الكعبةَ منذ ست سنين، فَهَلّا خرجت الكعبةُ إلى الحديبية، فطافت برسول الله ﷺ حين أُحْصِرَ عنها، وهو يود منها نظرة؟!، نسأل الله السلامة والعافية.

(١) قصة موسى مع الخضر في البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الحث على الاجتماع والنهي عن التفرق والاختلاف(١)

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: وَنَرَى الجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَاباً، والفُرْقَةَ زَيْغاً وَعَذَاباً.

الشرح

نعتقد أن الجماعة حق، وأنه يجب على الأمة أن تجتمع على الحق، وعلى إمام واحد، وأن يتبعوا ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يعتصموا بحبل الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣]؛ فعلى هذه الأمة الإسلامية أن تجتمع على الحق، وعلى كتاب الله وعلى سنة رسوله، وأن تعتصم بحبل الله ودينه، وليس لها أن تتفرق؛ فالفرقة زيغ وانحراف، والزيغ هو الانحراف عن الصراط المستقيم، وقد ذم الله المتفرقين والمختلفين كما في قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٩]، وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هُود: ١١٨-١١٩] وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٥].

والاختلاف والافتراق في الأمة الإسلامية ينقسم إلى قسمين(٢):

أولًا: اختلاف محمود، مرحوم أهله؛ وهو أن يقر المختلفون بعضهم بعضا في المسائل النظرية الاجتهادية، ولا يبغي بعضهم على بعض.

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٧٥).

(٢) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٧٨).

ومثاله: التنازع الذي حصل للصحابة في خلافة عمر وعثمان في بعض مسائل الاجتهاد، فيقر بعضهم بعضا، ولا يعتدي بعضهم على بعض .

ثانيًا: الاختلاف المذموم، وهو ألا يقر المختلفون بعضهم بعضا، بل يبغي بعضهم على بعض، إما بالقول؛ بتكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل مثل: حبسه أو ضربه أو قتله، ومثال ذلك: الذين امتحنوا الناس في خلق القرآن، فإنهم ابتدعوا بدعةً وكفَّروا من خالفهم فيها، واستحلوا منع حقه وعقوبته.

الناس تجاه من خفي عليهم شيءٌ مما بعث الله به رسوله:

قسمان: عادلون وظالمون، فالعادلون يعملون بما وصلوا إليه من آثار الأنبياء، ولا يظلمون غيرهم لا بكفره ولا بتكفيره ولا بتفسيقه ولا بحبسه ولا بضربه ولا بقتله، بل يقر بعضهم بعضا في المسائل النظرية الاجتهادية، وكالمقلدين لأئمة العلم، وهم عاجزون عن معرفة الحكم، فجعلوا أئمتهم نُوَّاباً عن الرسول ﷺ؛ فالعادل منهم لا يظلم الآخر، ولا يعتدي عليه. والظالمون: الذين يعتدون على غيرهم في قول أو فعل؛ وأكثرهم يظلمون مع علمهم بذلك، وهؤلاء ذمهم الله في كتابه، فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الشورى: ١٤].

أنواع الافتراق والاختلاف: ينقسم في الأصل إلى قسمين:

القسم الأول اختلاف تنوع:

وضابطه هو ألا يوجد في الاختلاف تناف أو تناقض بين الأقوال أو القولين، أو بين الأفعال أوالفعلين، وله أنواع:

النوع الأول: ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا مشروعا،

مثاله: القراءات التي اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم النبي وقال: «كلاكما محسن»[(١)] ومثل: اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، ومحل سجود السهو، والتشهد، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، ونحو ذلك مما قد شُرع جميعه، وإن كان بعض أنواعه أرجح وأفضل .

النوع الثاني: ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر، لكنَّ العبارتين مختلفتان، مثال ذلك: الاختلاف في مرجع الضمير في قول الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٣]؛ ففي مرجع الضمير ثلاثة أقوال، قيل: الضمير راجع إلى الله، وقيل: راجع إلى الكتاب، وقيل: راجع إلى الرسول، والمعنى واحد، أي: ليحكم الله أو الرسول بما جاء عن الله، أو ليحكم الكتاب المنزل من عند الله، ومثل: اختلاف كثير من الناس في ألفاظ الحدود والتعريفات، وصوغ الأدلة، والتعبير عن المسميات.

النوع الثالث: الاختلاف في الفروع الاجتهادية والظنية مثاله اختلاف سليمان وداود - عليهما الصلاة والسلام - في الحكم في الحرث الذي رعته غنم، كما قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، ثم أثنى عليهما، وقال: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، ومثل: الاختلاف في قطع الأشجار لبني النضير لما حاصر النبي بني النضير -وهم

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٠) عن عبد الله بن مسعود قال: «سمعت رجلا قرأ آية سمعت من النبي ﷺ خلافها فأخذت بيده فأتيت به رسول الله ﷺ فقال: كلاكما محسن، لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا».

طائفة من اليهود - فبعض الصحابة قطع بعض النخيل، وبعضهم أبقاه، قال: نبقيها، فقطع قوم آخرون؛ إغاظةً للعدو، وترك آخرون[(١)]؛ لأنه مالٌ سيعود إلى المسلمين؛ فالله تعالى أقر هؤلاء، وهؤلاء فأنزل: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ [الحشر: ٥]، ولينة يعني: النخلة.

ومثال آخر: إقرار النبي يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها، ولمن أخرها حتى وصل إلى بني قريظة النبي ﷺ قال: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»[(٢)]؛ فأدركتهم الصلاة في الطريق، فاختلفوا، فقال

(١) أخرج عبد بن حميد عن قتادة قال: قطع المسلمون يومئذ النخل، وأمسك أناس كراهية أن يكون فساداً فقالت اليهود: الله أذن لكم في الفساد؟ فقال الله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ [الحشر: ٥] قال: واللينة ما خلا العجوة من النخل إلى قوله: ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥] قال: لتغيظوهم ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] قال: ما قطعتم إليها وادياً ولا سيرتم إليها دابة، ولا بعيراً إنما كانت حوائط لبني النضير أطعمها الله رسوله ﷺ انظر: «الدر المنثور» (٨/ ٩٨- ٩٩)، وجاء مثله أيضاً عن مجاهد. انظر: «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف» (٣/ ٤٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٩٤٦) من حديث ابن عمر ﵄ بهذا السياق، وأخرجه مسلم (١٧٧٠) من حديث ابن عمر أيضاً، لكن بلفظ: «... أن لا يُصَلِيَنَّ أحدٌ الظهرَ إلا في بَني قريظة».

قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤٠٩): «... فالذي يظهر من تغاير اللفظين أن عبدالله بن محمد بن أسماء؛ شيخ الشيخيْن فيه، لمَّا حدَّث به البخاري، حدَّث به على هذا اللفظ، ولمَّا حدَّث به الباقين، حدَّثهم به على اللفظ الأخير. وهو اللفظ الذي حدَّث به جويرية؛ بدليل موافقة أبي عتبان له عليه، بخلاف اللفظ الذي حدَّث به البخاري، أو أن البخاري كتبه من حفظه، ولم يراع اللفظ، كما عُرف من مذهبه في تجويز ذلك، بخلاف مسلم فإنه يحافظ على اللفظ كثيراً. وإنما لم أجوّز عَكْسَهُ؛ لموافقة من وافق مسلماً على لفظه، بخلاف البخاري. لكن موافقة أبي حفص =

بعضهم: نصلي، والرسول إنما أراد منا الحث، وقد حضر الوقت، فصلى قوم، وقال آخرون: لا نصلي حتى نصل إلى بني قريظة، فلا نصل إلا بعد الغروب، ولم يصلوا العصر إلا بعد الغروب، فأقر النبي هؤلاء وهؤلاء .

ومثال آخر: حديث: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»(١).

أما اختلاف التضاد، وهو أن يوجد تناف وتناقض بين الأقوال، أو القولين، أو بين الأفعال أو الفعلين .

فهذا نوعان: نوع في الأصول والقطعيات، ونوع في الفروع والظنيات ففي الأصول كالتوحيد، وهو نوعان: أحدهما لا يعذر فيه الإنسان، وهو ما حُمد فيه إحدى الطائفتين، وذُمت الأخرى، كما في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وهو الاختلاف يؤدي إلى الإيمان والكفر، ومثله قوله سبحانه: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج: ١٩]، ثم ذكر الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

ومثال آخر مما يعذر فيه الإنسان: وهو ما لم يعلم الشخص حكمه، كأن يشتبه عليه الأمر، وإن كان قطعياً، كتحريم الخمر -مثلاً- فهذا يُلحق

= السلمي له، تؤيد الاحتمال الأول. وهذا كله من حيث حديث ابن عمر. أما بالنظر إلى حديث غيره، فالاحتمالان المتقدمان في كونه قال (الظهر) لطائفة، و (العصر) لطائفة: مُتَّجِهةٌ فيحتمل أن تكون رواية الظهر هي التي سمعها ابن عمر، ورواية العصر هي التي سمعها كعب بن مالك، وعائشة. والله أعلم».

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص ﷺ.

باختلاف التنوع.

ومثاله: الرجل الذي استحل الخمر في زمن عمر فناقشه عمر حتى أقنعه، وهذا القسم لا يكون مذموما بالعصبية والهوى.

النوع الثاني: وهو في الفروع: كالمسائل الفقهية عند الجمهور، الذين يقولون: المصيب واحد، والخطب في هذا أشد؛ لأن القولين يتنافيان، فالفرق بين اختلاف التنوع بأقسامه واختلاف التضاد بقسميه؛ الفرق بينهما: أن اختلاف التنوع هو ما حمد فيه كل واحدة من الطائفتين، إذا لم يحصل بغي من إحداهما، والذم فيه واقعٌ على من بغى على الآخر .

وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين إذا لم يحصل منهما أو من أحدهما بغي على الأخرى، كما في الأمثلة السابقة: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]، ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]. ومن السنة إقرار النبي ﷺ بمن صلى العصر في وقتها أو في بني قريظة[1]، وحديث: «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ ثم أصاب فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثم أخطأ فَلَهُ أَجْرٌ**»[2].

القسم الثاني اختلاف تضاد: فهو ما حمدت فيه إحدى الطائفتين وذُمت الأخرى، كما في الأمثلة السابقة: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩].

(١) تقدم تخريجه قريباً.
(٢) تقدم تخريجه قريباً.

متى يكون كل من أنواع اختلاف التنوع مذموما؟: إذا حصل فيه بغي على الآخر؛ ظلماً بسبب العصبية والهوى، أو بسبب الجهل، إما بالقول مثل: التفكير والتفسيق، أو بالفعل مثل: حبسه وضربه وقتله، ويكون محمودا إذا لم يحصل بغي .

الخلاصة: أنه يُذَمُّ إذا حمل الهوى والعصبية والظلم على التشاحن والقتال، فاختلاف التنوع الذم فيه واقع على من بغى على الآخر؛ ظلماً بسبب؛ العصبية أو الجهل بالقول أو الفعل في أيِّ القِسْمَيْن، فإذا آل الاختلاف فيه إلى التشاحن، والبغي بين الأمة، وإلى سفك الدماء واستباحة الأموال والعدواة والبغضاء، بسبب البغي والهوى والعصبية والظلم؛ فهذا إثم وحرامٌ؛ وذلك: أن إحدى الطائفتين لا تعترف بالأخرى فيما معها من الحق، ولا تنصفها، بل تزيد ما معها من الحق زيادات من الباطل، والأخرى، كذلك قال تعالى... الدليل: قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩]، والبغي مجاوزة الحد، ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ **«ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فإذا أَمَرْتُكُمْ بشيء فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذا نَهَيْتُكُمْ عَن شيء فَدَعوه»**(١)؛ فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا، معللا بأن سبب هلاك الأولين إنما كان بكثرة السؤال، ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية.

أنواع الاختلاف في الكتاب العزيز من الذين يقرءونه: الاختلاف في الكتاب العزيز على نوعين: اختلاف في تنـزيله، واختلاف في تأويله، وكلاهما فيه إيمان ببعض دون بعض.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) واللفظ لمسلم من حديث أبي هريرة.

النوع الأول: الاختلاف في تنزيله، مثاله: اختلافهم في تكلم الله بالقرآن وتنزيله، فطائفة قالت: هذا الكلام حصل بقدرة الله ومشيئته، لكنه مخلوق في غيره، لم يقم به؛ وهم الجهمية والمعتزلة، وطائفة قالت: بل هو صفة له، قائمة بذاته، ليس بمخلوق، لكنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وهم الكلابية، وكل من الطائفتين جمعت في كلامها بين حق وباطل، ومذهب أهل السنة مأخوذ من الحق الذي مع كل من الطائفتين، وهو: أن كلام الله صفة قائمة بذاته، ليس بمخلوق، وهو حاصل بقدرته ومشيئته.

النوع الثاني: الاختلاف في تأويله؛ ويكون في الأصول، ويكون في المسائل الفقهية، فيكون في المسائل الفقهية، كالاختلاف في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون: ٤]. هل المراد بها تطهير النفس أو زكاة المال؟، ويكون في الأصول كاختلافهم في نصوص القدر، كحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: خرج رسول الله على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون في القدر هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان من شدة الغضب فقال: **«أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَوْ بِهَذَا بُعِثْتُمْ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ»**[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٨٥)، وأحمد (٢/ ١٩٥) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.
قال السندي في «الحاشية على ابن ماجه» (١/ ٧٦) في «الزوائد»: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. قلت: هذا مبني على عدم الاعتبار بالتكلم في رواية عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وإلا فالكلام فيها مشهور. وبالغ بعضهم حتى عدوا هذا الإسناد مطلقاً في الموضوعات، فلذلك ما خرج صاحبا الصحيحين في الصحيحين شيئا بهذا الإسناد فلو قال: إسناد حسن؛ كان أحسن. والمتن قد أخرجه الترمذي من رواية أبي هريرة. اهـ، وصححه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٥٨٤ - ط: السابعة). =

أما الاختلاف بين الأئمة في المعنى كاختلافهم في (الأقراء)، هل هي الحيض أو الأطهار، فهذا ليس ضرباً لكتاب الله بعضه ببعض، وأما اختلاف أهل البدع: فهو اختلاف في تأويله؛ مؤمنون ببعضه دون بعض؛ يقرون بما يوافق رأيهم من الآيات، وما يخالفه فلهم فيه طريقان:

أحدهما: أن يتأوله تأويلا يحرفون به الكلم عن مواضعه، الثاني: أن يقولوا هذا متشابه لا يفهمه أحد، ويجحد ما أنزل الله من معانيه، وهو في معنى الكفر بذلك؛ إذ الإيمان باللفظ بدون معنى هو من جنس إيمان أهل الكتاب.

ووجه الاستدلال: قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجُمُعَة: ٥] يعني: في عدم الفهم والعمل، أو بعدم العمل فقط، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البَقَرَة: ٧٨] أي: إلا تلاوةً من غير فهم معناه، ولا يشارك أهل البدع في هذا المؤمن الذي عمل بما فهم من القرآن، ووكل علم ما اشتبه عليه إلى الله؛ لأنه ما نفى أن يفهمه العالم، ولأنه امتثل ما

= وأخرجه الترمذي (٢١٣٣) من طريق صالح المري، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى أحمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان فقال: أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه».

قال أبو عيسى: وفي الباب عن عمر، وعائشة، وأنس. وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري وصالح المري له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها. اهـ.

أمر به النبي ﷺ بقوله: «فَمَا عَرِفْتُمْ بِهِ فَاعْمَلُوا بِهِ وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِه»(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٨١) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، بلفظ: «مهلا يا قوم بهذا هلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا فما عرفتم فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه». وإسناده حسن.
وأخرجه النسائي في «الكبرى» مختصرًا (٨٠٩٣)، وابن جرير في «تفسيره» (١/ ٩)، وابن حبان (٧٤)، والخطيب (١١/ ٢٦)، وأبو يعلى (٦٠١٦)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٢٣١٣)، والديلمي (٦٨٠٦) من حديث أبي هريرة بلفظ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف والمراء في القرآن كفر فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه»، ورجاله ثقات. وانظر: «الصحيحة» للألباني (١٥٢٢).

الدين عند الله الإسلام(١)

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وَدِينُ الله في الأرضِ وَالسَّماءِ وَاحِدٌ، وهُو دِينُ الإِسْلَامِ، قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، **وقال تعالى:** ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

الشرح

دين الإسلام وسط بين الأديان، وبين الملل الأخرى، وهو عام لكل زمان ومكان، والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ومن السنة ما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أنه قال: «**إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ**»(٢)، فدين الإسلام واحد، ودين الأنبياء واحد، فدين الإسلام هو دين آدم، وهو دين نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، ولوط، وموسى، وعيسى، ومحمد، وجميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - .

والمراد بدين الله الذي هو عام في كل زمان ومكان: معناهُ العام الشامل لجميع أديان الأنبياء، وذلك راجع لأصول العبادات، فدين الإسلام هو دين الأنبياء جميعا؛ لأن أصوله واحدة؛ وهو توحيد الله في أفعاله وفي أفعال العباد، والإيمان به - سبحانه - بأسمائه وصفاته ونفي الشرك والبُعد عنه، فالأنبياء كلهم اتفقوا في أصول العبادات، أي: في

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

توحيد الله في: ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته والإيمان بالأنبياء وتعظيم الأنبياء وتعظيم الأوامر والنواهي، هذا هو دين الإسلام.

أما دين الإسلام بمعناه الخاص، فهو خاص بما جاء به محمد ﷺ من الشريعة، فإذا اختلفت الفروع، فالأنبياء دينهم واحد، كما قال النبي ﷺ: «**الأنبياءُ إخوة لِعَلَّات أمهاتهم شتىّ ودينهم واحد**»(١).

أما الشرائع فإنها تختلف، فكل شريعة تختلف عن الأخرى في الحلال والحرام كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً﴾ [المائدة: ٤٨]، ففي شريعة آدم يجوز للإنسان أن يتزوج أخته التي جاءت في بطن غير البطن الذي جاءت فيه أخته التي تحرم عليه؛ لأن حواء كانت تأتي بذكر وأنثى، فأخته التي جاءت معه في بطن واحدة؛ هذه حرام عليه، لكن أخته التي في بطن سابقٍ أو لاحقٍ؛ حلالٌ له؛ حتى تكاثر الناس، ثم بعد ذلك: حرّم زواج الأخت، ومن الأمثلة كذلك: ما كان في شريعة يعقوب من جواز الجمع بين الأختين وفي شريعتنا لا يجوز.

فدين الإسلام بمعناه العام هو: توحيد الله والنهي عن الشرك وتعظيم الأوامر، وبمعناه الخاص هو: ما جاء به محمد ﷺ من الشريعة، فمعنى تنوع الشرائع؛ أن تفاصيل الدين من التكاليف ومن الأوامر والنواهي تختلف من شريعة لأخرى، كالاختلاف في بعض الواجبات أو المحرمات، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

أصل هذا الدين وسنده وفروعه: الدين هو ما شرعه الله تعالى لعباده على ألسنة الرسل، وأصل هذا الدين وفروعه روايته عن الرسل بالوحي،

---

(١) سبق تخريجه قبل قليل.

ولا يكون بالعقل. فدينُ الإسلام، وسهولة تعلمه، وإمكان الدخول فيه بأقصر زمان ظاهرٌ غاية الظهور؛ يمكن لكل صغير، وكبير، وفصيح، وأعجمي، وذكي، وبليد، أن يدخل فيه بأقصر زمان.

ودليل ذلك من الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧].

ودليل ذلك من السنة: قوله - عليه الصلاة والسلام -: «إن هذا الدين يسر»[(١)]، وقوله - عليه الصلاة والسلام -: «**بُعِثْتُ بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحةِ**»[(٢)]، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»[(٣)]، وكان الوفدُ الوافدُ إلى رسول يتعلم الدين،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٦)، والطبراني (٧٨٦٨) من حديث أبي أمامة ولفظه: «إني لم أبعث باليهودية، ولا بالنصرانية، ولكن بعثت بالحنيفية السمحة، والذى نفسى بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم فى الصف خير من صلاته ستين سنة».
قال الهيثمى (٥/ ٢٧٩): فيه على بن يزيد الألهانى وهوضعيف.
وبوب الإمام البخاري في صحيحه (باب/الدين يسر وقول النبي ﷺ: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»).
قال الحافظ في «فتح الباري» (١/ ٩٤): وصله في «كتاب الأدب المفرد» وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن بن عباس وإسناده حسن. اهـ، وحسنه أيضاً الألباني في «الصحيحة» (٨٨١)، لشواهده.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم من طريق الإمام أحمد في «مستدركه» (١/ ١٧٥) من طريق عبد الرحمن بن عمرو السلمي، عن العرباض =

ثم يولي في وقته، فالدين يتعلمه الإنسان في أقصر وقت؛ يتشهد شهادةَ الحق ويشهد لله بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة؛ فيدخل في الإسلام ويلتزم أحكامه، فيدخل الإنسان في هذا الدين في أقصر وقت -في لحظة- كما أنه يخرج من الدين بأقصر زمان، ولذلك أمثلة كثيرة منها:

إنكار كلمة من القرآن، ككلمة التوحيد، يخرج بها من الإسلام، أو تكذيب الله، أو رسوله، أو لما جاء به الله ورسوله، يخرج عن الإسلام كذلك، وأيضاً: معارضته لله، أو لرسوله، أو لما جاء به الله، أو رسوله، أو ارتياب في قول الله، أو قول رسوله، أو كذب على رسوله، أو رد لما أنزل الله، أو لما جاء به رسوله، أو شك فيما نفى الله عنه، فيخرج من الإسلام في أقصر زمان...؛ فالحاصل: أنه كما يدخل فيه في أقصر زمان فكذلك: يخرج منه في أقصر زمان.

والحكمة في اختلاف تعليم النبي ﷺ للناس: والحكمة في اختلاف تعليم النبي للناس في بعض الألفاظ مراعاة الأحوال، أي: مراعاة حال من

= ابن سارية ﷺ، وعبد الرحمن بن عمرو السلمي فيه كلام يسير، ومع ذلك لم ينفرد بالحديث عن العرباض، قال الحاكم: «وقد تابع عبد الرحمن بن عمرو على روايته عن العرباض بن سارية ثلاثة من الثقات الأثبات من أئمة أهل الشام منهم: حجر بن حجر الكلاعي، ويحيى بن أبي المطاع القرشي، ومعبد بن عبد الله بن هشام القرشي. وذكر إسناد كل راو، ثم قال: وليس الطريق إليه من شرط هذا الكتاب فتركته، وقد استقصيت في تصحيح هذا الحديث بعض الاستقصاء على ما أدى إليه اجتهادي، وكتب في كما قال إمام أئمة الحديث شعبة في حديث عبد الله بن عطاء، عن عقبة بن عامر: لما طلبه بالبصرة، والكوفة، والمدينة، ومكة، ثم عاد الحديث إلى شهر بن حوشب فتركه، ثم قال شعبة: لأن يصح لي مثل هذا عن رسول الله ﷺ كان أحب إلي من والدي وولدي والناس أجمعين. وقد صح هذا الحديث والحمد لله وصلى الله على محمد وآله أجمعين». اهـ.

يتعلم، فإن كان الشخص الذي يأتي إلى النبي ﷺ بعيدَ الوطن، كضمام بن ثعلبة النجدي، ووفد عبدالقيس: علَّمهم ما لا يسعهم جهله، ويرسل إليهم من يفقههم فيما يحتاجون إليه، مع علمه بأن دينه ﷺ سينتشر في الآفاق.

وأمَّا من كان منهم قريب الوطن، فيمكنه الإتيان كل وقت؛ بحيث يتعلم على التدريج، فإذا علم منه أنه عرف ما لا بد منه؛ أجابه بحسب حاله وحاجته، على ما تدل قرينةُ حالِ السائل، كقوله: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ**»[1]، فقد كان النبي ﷺ يخاطبهم بحسب حالهم فمن كان عاقاً لوالديه -مثلاً-: أوصاه ببر الوالدين، ومن كان يكذب في الحديث: أجابه بصدق الحديث وهكذا.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨) من حديث سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه

دين الإسلام هو بين الغلو والتقصير[١]

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُو بَيْنَ الغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ.

الشرح

وبيان ذلك: كغلو النصارى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حتى جعلوه إلها، وقالوا: ابن الله، فهذا الغلو قابلهم اليهود فجفوا وقصروا، حتى قالوا: إن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ابن زنا - والعياذ بالله -، ودينُ الإسلام وسط؛ فيقول: هو عبد الله ورسوله، ومثال ذلك أيضا: شخص يغلو في العبادة، ويرهق نفسه في فعل النوافل، وآخر يفرط في العبادة، ويضيعها فلا يصوم لله ولا يصلي. فدين الإسلام وسط: وهو الإتيان بالعبادة، كما أمر الله؛ من غير إفراط ولا تفريط .

والأدلة على تحريم الغلو من الكتاب كثيرةٌ منها: قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة: ٨٧].

ومن السنة حديث: الرهط الذين سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ في السر، فتقالُّوها، فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ أنكر عليهم، وقال: «**لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[٢].

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) واللفظ له، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

دين الإسلام هو بين التشبيه والتعطيل(١)

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ.

الشرح

توضيح ذلك: مثلاً: المشبهة -ويتزعمهم داود الجواربي وجماعته، وهشام بن الحكم الكندي، وهشام بن سالم الجواليقي، وهم من غلوا في التشبيه- قالوا: سمع الله كسمعنا، وبصره كبصرنا، حتى قال داود: إن الله بكى، واشتكت عيناه فعادته الملائكة - والعياذ بالله -، وقابلهم المعطلة من المعتزلة والجهمية الذين بالغوا في التنزيه؛ فعطلوا الله من صفاته وأسمائه، فنفت المعتزلة الصفات، ونفت الجهمية الأسماء والصفات، والحق الوسط مذهب أهل السنة وهو: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تشبيه كما تقول المشبهة ومن غير تعطيل كما تقول المعطلة إثبات من غير غلو وتنزيه من غير غلو، إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل، ومما يرد به على الطائفتين قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى: ١١]، رد على المشبهة وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، رد على المعطلة.

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٧٩٠/٢).

دين الإسلام هو بين الجبر والقدر[(١)]

◆ قال المؤلف رحمه الله: وَبَيْنَ الجَبْرِ وَالقَدَرِ. وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالإِيَاسِ.

الشرح

الجبرية يقولون: إن العبد مجبور على أفعاله وأقواله، وهي بمنزلة حركات المرتعش، وحركات الأشجار بالرياح. وهذا قول الجهم بن صفوان وأتباعه. وأمَّا القدرية فقالوا: إن أفعال العبد مخلوقة له وإن الله لم يقدرها ولم يردها. والحق الوسط هو مذهب أهل السنة الذين قالوا: إن الأفعال هي فعل العبد وكسبه، وهي خلق الله تعالى؛ فالذي ينسب إلى الله: الخلق والإيجاد، والذي ينسب إلى العبد: الكسب والاختيار والمباشرة.

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٩٠).

دين الإسلام هو بين الأمن واليأس(١)

◆ قال المؤلف رحمه الله: وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالإِيَاسِ.

الشرح

الأمن من مكر الله هو: عدم الخوف من الله، ومن عقوبته، فيسترسل في المعاصي، ويأمن مغبتها وإثمها وشرها، واليأس من روح الله هو: القنوط من رحمة الله، وإساءة الظن بالله؛ فهو لا يرجو ثواب الله ومغفرته ورحمته، بل هو يائس، قانط، متشائم، مسيء الظن بالله ﷻ، ومثل هذا محكومٌ عليه بالكفر؛ فاليائس من روح الله؛ كافر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، فالآمن من مكر الله خاسرٌ خسرانَ كُفْرٍ، قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، والحق والوسط هو أن يكون العبد خائفاً من عذاب الله، راجياً رحمته؛ فإن الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للطائر، في سيره لله - تعالى - والدار الآخرة.

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٩٠).

معتقد أهل السنة ما دلت عليه النصوص ظاهرًا وباطنًا

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **فَهَذَا دِينُنَا واعْتِقَادُنَا ظَاهِراً وَبَاطِناً.**

الشرح

أي: هذا ديننا واعتقادنا، قد جَلَّيْنَاهُ، ووضحناهُ في هذه العقيدة المختصرة؛ ليس فيه ظاهر يخالف الباطن، ولا باطن يخالف الظاهر، كما تقولهُ الباطنيةُ الزَّاعمون أن للنصوص بَوَاطِنَ تخالفُ ظواهرها، فمثلا: الباطنية يقولون: الصلوات الخمس، لها باطن ولها ظاهر؛ فظاهرها الصلوات الخمس التي يصليها الناس، وباطنها: تعداد أسماء خمسة من أئمتهم كالحسن، والحسين، وعلي، وفاطمة، والصيام له ظاهر: وهو ما يصومه عامة الناس، ولكن صيام الخاصة معناه: كتمان سر المشايخ، والحج له باطن وظاهر، فظاهره: حج الناس إلى بيت الله الحرام، وباطنه: الحج إلى قبور المشايخ، أما نحن -أهل السنة- فليس عندنا باطن يخالف الظاهر؛ فالظاهر يوافق الباطن، والباطن يوافق الظاهر؛ هذا ديننا واعتقادنا.

البراءة ممن يخالف العقيدة الصحيحة

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنَحْنُ بُرَآءٌ إلى الله مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وبَيَّنَّاهُ.

الشرح

ما خالف كل ما قررناه في هذه العقيدة الطحاوية، ومن خالفها؛ فإنَّا نبرأ إلى الله منه فلا نعتقده ولا نعمل به.

الدعاء بالثبات على الإيمان

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الإيمانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ الـمُخْتَلِفَةِ، والآرَاءِ الـمُتفَرِّقَةِ، وَالمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ المشبَّهَةِ، والمعْتَزِلَةِ، والجَهْمِيَةِ، والجَبْرِيَّةِ، والقَدَرِيَّة وَغَيْرِهم، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والجَمَاعَةِ، وَحَالَفُوا الضَّلالَةَ، ونَحْنُ مِنْهُم بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وأَرْدِيَاءُ. وَبِالله العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

الشرح

نسأل الله أن يعصمنا من الفتن والضلال، ونسأل الله أن يثبتنا على دينه وأن يجنبنا الأهواء والبدع والأهواء المردية المضلة.

أمثلة للمذاهب الردية

◆ **قال المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وَيَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ المُخْتَلِفَةِ، والآرَاءِ المُتَفَرِّقَةِ، وَالمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ المشبَّهَةِ، والمعْتَزِلَةِ، والجَهْمِيَةِ، والجَبْرِيَّةِ، والقَدَرِيَّة وَغَيْرِهم، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والجَمَاعَةِ، وَحَالَفُوا الضَّلالَةَ، ونَحْنُ مِنْهُم بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وأَرْدِيَاءُ. وَبِالله العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.**

الشرح

هذه خمس طوائف، ونسأل الله أن يعصمنا من طريقتهم، وهم المشبهة والمعتزلة، والجهمية، والجبرية، والقدرية.

المُشَبِهَة

فالمشبهة هم الذين شبّهوا الله تعالى بالخلق في صفاته، ورءوس المشبهة هم: داود الجواربي، وهشام بن الحكم الكندي، وهشام بن سالم الجواليقي، وكان وقتهم في منتصف المائة الثالثة .

وتشبيه المشبهة عكس تشبيه النصارى، فإن النصارى شبهوا المخلوق وهو عيسى - عليه الصلاة والسلام - بالخالق وجعلوه إلها، والمشبهة شبهوا الخالق بالمخلوق فانتقصوا الخالق وجعلوه مثل المخلوق، يقول أحدهم: لله يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، واستواء كاستوائي .

المعتزلة

أما المعتزلة فرءوسهم: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما؛ سُمُّوا المعتزلة؛ لأنهم اعتزلوا الجماعة من بعد موت الحسن البصري، أو لاعتزال شيخهم واصل بن عطاء مجلسَ الحسن البصري؛ فكانوا يجلسون معتزلين وقتهم، وكان ذلك في أوائل المائة الثانية، والذي وضع أصول الاعتزال وأسسه هو: واصل بن عطاء، وتابعه عمرو بن عُبيد، تلميذ الحسن البصري، والذي شرحه ووضحه هو أبو هُذيل العَلَّاف شيخ المعتزلة، فهو مجدد المذهب والمُفَرِّع له، حيث صنَّف لهم كتابين، وبيَّن مذهبهم وبناه على الأصول الخمسة، وكان ذلك في زمن هارون الرشيد.

أصول المعتزلة والمعاني التي ستروها تحت كل أصل والرد عليها:

بنى مَذْهَبَهُم أبو هذيل العَلَّاف على خمسة أصول، وهي: العدل، والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل أصل ستروا تحته معنًى باطلاً:

الأصل الأول: العدل: وقد ستروا تحته نفيَ القدر، وقالوا: إن الله لا يخلق الشر، ولا يقضي به؛ إذ لو خلقه فيهم، ثم عذبهم عليه لكان ذلك جوراً، والله عادل لا يجور.

الرد عليهم: نقول: يلزمكم على هذا الأصل الفاسد، أن الله يكون في مُلْكه ما لا يريد، ويريد الشيء ولا يكون، ولازمه: وَصْفُ الله بالعجز -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-.

الأصل الثاني: التوحيد: ستروا تحته نفي الصفات والقول بخلق القرآن، هذا معنى التوحيد عندهم، نَفْيُ الصفات والقول بخلق القرآن، إذ

لو كان غير مخلوق؛ للزم تعدد القدماء .

الرد عليهم: يلزمكم على هذا القول الفاسد أحد أمرين: الأول نفي بقية الصفات عن الله، كالعلم والقدرة وسائر صفاته، والقول بأنها مخلوقة فتلزمهم الشناعة والزور حيث نفوا ما أثبته الله لنفسه في القرآن، والثاني: التناقض، ونفي صفة الكلام، وجعلها مخلوقة، وإثبات بقية الصفات !!

الأصل الثالث: إنفاذ الوعيد: وقد ستروا تحتها القول بخلود أهل الكبائر في النار.

الأصل الرابع: المنـزلة بين المنـزلتين: وقد ستروا تحتها القول بأن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر؛ فكان في منـزلةٍ بين الإيمان والكفر .

الرد عليهم: في الأصلين الآخرين؛ بحديث الشفاعة: «**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[1]؛ **فهذا الحديث يدل على أمرين**:

الأول: أنَّ معهم إيماناً؛ ففيه رد على الأصل الأخير، وهو قولهم بخروجهم من الإيمان بالمعصية .

الثاني: أنهم أخرجوا من النار، ففيه رد على الأصل الثالث، وهو: قولهم بخلود العصاة في النار، كما يُرَدُّ عليهم بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. الأصل الخامس: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: فالأمر بالمعروف: فستروا تحته: القول بأنه يجب عليهم أن يأمروا غيرهم ويلزموه بما وصلوا إليه

---

(١) تقدم تخريجه.

باجتهادهم في الأمور النظرية الاجتهادية.

الرد عليهم: بحديث: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُم الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**»(١)؛ فاختلف الصحابة في اجتهادهم في فهم مراد الرسول ﷺ، فصلى بعضهم العصر في الطريق قبل الوصول، وقالوا: إن الرسول أراد الحث على الإسراع، وقد فعلنا، وصلَّى بعضُهم بعد الوصول وخروج الوقت، فلم يعنف النبيُّ ﷺ أحدَ الفريقين؛ لأنها أمور نظرية؛ يشتبه أمرها.

وأما النهي عن المنكر: فستروا تحته جواز الخروج على الأئمة بالقتال؛ إذا جاروا وظلموا. والرد عليهم بحديث عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله ﷺ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ**»(٢) أخرجه مسلم.

والمعتزلة مشبهة في الأفعال، معطلة في الصفات؛ فهم قاسوا أفعال الله على أفعال العباد، وجعلوا ما يحسن من العباد، يحسن منه تعالى، وما يقبح من العباد يقبح منه، وقالوا: يجب على الله أن يفعل كذا، ولا يجوز له أن يفعل كذا؛ بمقتضى ذلك القياس الفاسد؛ فالعباد خالقون لأفعالهم؛ إذ يقبح منه أن يخلقها، ثم يعذبهم عليها.

الرد عليهم: إن السيد من بني آدم لو رأى عبيده تزني بإمائه ولا يمنعهم من ذلك، لَعُدَّ إما مستحسناً للقبيح، وإما عاجزاً، فكيف يصح قياس أفعاله سبحانه على أفعال عباده، لو كان العبادُ خالقين لأفعالهم؛ للزم عليه أن

---

(١) سبق تخريجه قبل قليل.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

يكون الله مستحسناً للقبيح من أفعالهم، أو عاجزاً، وكلاهما محال على الله.

فالأصل الأول والأصل الثاني عند المُعْتزلة من الأصول العقلية، والثلاثة الأخيرة: أصول شرعية.

فالأصل الأول والثاني وهما: العدل والتوحيد؛ من الأصول العقلية التي لا يعلم صحة السمع إلا بعدها؛ لأنها عُرفت قبل الشريعة بالعقل؛ ولذا: يقولون لا حاجة للشريعة أو الكتاب والسنة في أصل التوحيد والعدل، والشريعة إنما جاءت مطمئنة وموضحة وموافقة لما جاء به العقل. وأما العقل: فهو كافٍ في المطلوب!! وإذا استدلوا على ذلك بأدلة سمعية فإنما يذكرونها لِلاعْتِضَادِ لا للاعتماد عليها؛ ولذلك قالوا: القرآن والحديث بمنزلة الشهود الزائدين على النصاب، وبمنزلة المدد اللاحق بعسكرٍ مستغنٍ عنه، وبمنزلة من يتبع هواه، واتفق أن الشرع ما يهواه!

الرد عليهم: «الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»، والعمل يتبع قصد صاحبه وإرادته، وصلاح العمل متوقف على صلاح النية، وصلاح النية متوقف على العلم بالله والتصديق به، فلا يثاب الإنسان على ما وافق فيه الحق، بدون نية، إذا كان تابعا لهواه، ويعاقب على ما تركه من الحق، إذا كان متبعا لهواه.

الجَهْمِيَّة

الذي أسس عقيدة نفي الصفات والأسماء هو الجعد بن درهم، وقتله خالد بن عبدالله القسري أميرُ العراق والمَشْرِقِ بواسط؛ ضَحَّى به يوم الأضحى؛ وسبب قتله: أنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليما، وكان ذلك بعد استفتاء علماء زمانه من التابعين ثم إنَّ الذي أظهر مقالةَ الجعد بعده، هو: الجهم بن صفوان، الذي اتّصل بالجعد،

وسبب ضلال الجهم: مناظرته قوماً من المشركين يقال لهم: السمنية من فلاسفة الهند، وهم الذين ينكرون من العلم ما سوى الحسيات، وبعد مناظرته لهم نفى الصفات، وشككوه في الله، وقالوا له: إلهك هذا الذي تعبد، هل تراه بعينيْكَ؟ قال: لا، قالوا: فهل تسمعه بإذنك؟ قال: لا، قالوا: فهل تشمه بأنفك؟ قال: لا، قالوا: فهل تذوقه بلسانك؟ قال: لا، قالوا له: فهل تحسه بيدك؟ قال: لا، قالوا: إذن هو معدوم.

فشك في ربه، وترك الصلاة أربعين يوماً، ثم بعد الأربعين نقش الشيطان في ذهنه أن الله موجود وجودا ذهنيا، فأثبت وجودا لله في الذهن، وسلبَ عنه جميع الأسماء والصفات -نسأل الله السلامة والعافية- فَنُسِبتْ الجهمية لأجل ذلك إلى الجهم؛ لأنه هو الذي أظهر المذهب، ونشره ودافع عنه والذي قتله هو سَلْمُ بنُ أَحْوَزذ أمير خراسان: آخر ولاة بني أمية، بعد أن فشت مقالته في الناس.

ثم تقلد نفي الصفات بعد الجهم، المعتزلة، ولكن الجهم أوغل في التعطيل منهم؛ لأنه ينكر الأسماء والصفات، وهم لا ينكرون الأسماء، بل ينكرون الصفات فقط.

العقائد الذي اشتهر بها الجهم: اشتهر بأربع عقائد خبيثة:

العقيدة الأولى: عقيدة نفي الصفات، وورثها عنه المعتزلة.

العقيدة الثانية: عقيدة الجبر وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز، وورثها عنه الجبرية.

العقيدة الثالثة: عقيدة الإرجاء، وأن الإيمان هو: معرفة الرب بالقلب، والكفر هو: جهل الرب بالقلب، وورثها عنه المرجئة.

العقيدة الرابعة: القول بفناء الجنة والنار .

اشتهار مقالة الجهمية: اشتهرت مقالة الجهمية حين امتُحن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره من علماء السنة، في فتنة القول بخلق القرآن، وذلك في إمارة المأمون وخلافته، فإنهم قووا وكثروا، فإنه أقام بخراسان مدة واجتمع بهم، ثم كتب بالمحنة من طرسوس سنة ثمان عشرة ومائتين بسبب بشر بن غياث المردي وطبقته .

سند مذهب الجهم: أصل مذهب الجهم مأخوذ عن المشركين والصابئة واليهود، إذ إن الجهم أخذ عن الجعد بن درهم، والجعد كان قد اتصل بالصابئة الفلاسفة من أهل حران، وأخذ شيئا من بعض اليهود المحرفين لدينهم المتصلين بلبيد، فأخذ الجعد[1] عن أبان بن سمعان،

---

(١) قال الصفدي في «الوافي بالوفيات» (١٣/٤): أخذ جعد عن أبان بن سمعان، وأخذ أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، وأخذ طالوت من لبيد، وكان لبيد يقول بخلق التوراة.
وأول من صنف في ذلك طالوت، وكان زنديقاً، وأفشى الزندقة، وقال علي بن القاسم الخوافي:

أبينوا أين جعد أين جهم ... ومن والاهم، لهم الثبور
كأن لم ينظم النظام قولاً ... ولم تسطر لجاحظهم سطور
وأين الملحد ابن أبي دؤاد ... لقد ضلوا وغرهم الغرور

قال ابن كثير في «البداية» (١٠ / ١٩): كان الجعد بن درهم من أهل الشام، وهو مُؤَدِّبُ مروان الحمار، ولهذا يقال له: مروان الجعدي، فَنُسِبَ إليه، وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تُنسب إليه الطائفة الجهمية، الذين يقولون: إن الله في كل مكان بذاته -تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً-، وكان الجعد بن درهم قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن رجل يقال له أبان بن سمعان، وأخذه أبان، عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي. اهـ.

وأبان أخذ عن طالوت، وطالوت أخذ عن خاله: لبيد بن أعصم اليهودي، الذي سحر النبي ﷺ[1]؛ فصار سند المذهب يتصل باليهود.

نـزاع العلماء في الجهمية: هل هم من فرق الأمة الإسلامية أم لا؟ قد تنازع العلماء في الجهمية هل هم من الاثنتين والسبعين فرقة فيكونون من المبتدعة أم ليسوا منها فيكونون كفرةً، ومن فرق الكفرة؟ قيل: منهم، وقيل: ليسوا منهم، وقيل: غلاةُ الجهمية كفرة، وغير الغلاة مبتدعة، وذكر العلامة ابن القيم رحمه الله أنه كفَّر الجهميةَ خمسمائة عالم، فقال في الكافية الشافية:

وَلَقَـدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُـم خَمْسُونَ فِي ... عَشْرٍ مِن العُلَـمَاءِ فِي البُلْدَانِ
وَاللالكائيُّ الإمَام حَكَاهُ عنْهُم ... بَلْ قَـد حَكَاه قَبْلَه الطَّبَرَانِي[2]

---

(١) قصته في البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) «القصيدة النونية» (١/ ٣٣).

الجَبْرِيَّة(١)

الفرقة الرابعة الجبرية أصل قول الجبرية ورئيسهم؛ الجهم بن صفوان، وهو نظير واصل بن عطاء في الاعتزال، ومذهبهم: أن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه، وهم عكس القدرية؛ نفاة القدر، وإطلاق اسم القدرية عليهم؛ لأنهم غلو في إثبات القدر.

---

(١) «هم القائلون: بأن الله تعالى جبر الخلق على الإيمان، والكفر، والطاعة، وغير ذلك، وخلقها فيهم، فحصل ذلك من غير اكتساب منهم لذلك، ولا تسبب إليه، وإلى ذلك ذهب الجهم وأمثاله -كما سبق بيانه-، وعليه أيضًا قوم من الصوفية فقالوا: العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف يشاء، وكالريشة في مهب الريح، فارتكبت هذه الطائفة - بهذا الاعتقاد- المعاصي، واستحلوا وأمنوا من العقاب عليها، وقالوا: إن الله تعالى لا يعاقب على ما خلق، ورفضوا الطاعات وأهملوها، وقالوا: إن الله تعالى لم يخلقها فينا، ولو خلقها فينا لكانت لازمة.

وأهل السنة والجماعة يفرّقون بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، ويفرقون بين خلق الشيء والرضا به؛ ولهذا صنف البخاري ﷺ كتابه «خلق أفعال العباد»، وهناك جبرية متوسطة: وهي التي تثبت للعبد قدرة، ولكنها غير مؤثرة أصلًا. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٧٢)، و«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (٦٨)، و«منهاج السنة» (١/ ٣٥٨)، و«مجموع فتاوى ابن تيمية» (٨/ ١١٨- ١١٩، ١٢٨)، (١٣/ ٢٢٨)، و«الخطط» للمقريزي (٢/ ٣٤٩)، و«البرهان» (٤٢- ٤٣)، و«كشاف اصطلاحات الفنون» وغيرها.

القَدَرِيَّة(١)

أول من تكلم بالقدر معبد الجهني بالبصرة، وأخذ ذلك عنه غيلان الدمشقي، وكان ذلك في أواخر عهد الصحابة، ومذهبهم: أن الله لم يُقَدِّر

(١) هم القائلون: بأنه لا قدر، وأن الله تعالى لم يُقَدِّر الشَّرَ، وأن العبد يخلق فعل نفسه، وأن الله تعالى لم يشأ ما يقع من العبد، وبعض هذه الطائفة قد نفى علم الله السابق على وجود الأشياء.
قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٦- ٣٧): «وأصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله، والإيمان بأمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أن ذلك ممتنع، وكانوا قد آمنوا بدين الله وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي؛ لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه، وظنوا أيضًا أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم أنه يفسد، فلما بلغ قولهم بإنكار القدر السابق الصحابة أنكروا إنكارًا عظيمًا وتبرءوا منه».
وقد أخرج مسلم في «صحيحه» (٨/ ١-٤) من حديث يحيى بن يعمر، قال: «كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجَّين -أو معتمرين- فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي؛ أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قِبلنا ناسٌ يقرءون القرآن ويتقفرون العلم -يطلبونه ويتتبعونه ويجمعونه- وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف- أي: مستأنف- لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه.
قال: فإذا لقيت أولئك، فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أُحُد ذهبًا فأنفه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب...» فذكر حديث جبريل المعروف، وفيه وجوب الإيمان بالقدر.

أفعالَ العبادِ، ولا شاءها بلِ العبادِ هم الخالقون لأفعالهم، والموجدون للكفرِ والمعاصي، والطاعاتِ والإيمانِ.

والأحاديثُ الواردةُ في ذمهم كثيرةٌ منها: حديثُ ابنِ عمر، عنِ النبي ﷺ أنه قالَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»(1).

التحقيقُ في أحاديثِ ذمِ القدريةِ والفرقِ بينها وبينَ الأحاديثِ في ذمِ الخوارجِ: الصحيح أنَ الأحاديث التي هي في ذمِ القدرية كلها موقوفة، بخلاف الأحاديثِ الواردةِ في ذمِ الخوارجِ. فإنَ فيها في الصحيح وحده عشرة أحاديث، أخرجَ البخاريِ منها ثلاثة، وأخرجَ مسلم سائرها، والقدرية يشبهونَ بالمجوسِ؛ لأنَ كلا منَ الطائفتينِ قالتِ بتعددِ الخالقِ، ولكنِ قولِ القدرية أردأ وأسوأ من قولِ المجوسِ؛ فإنِ المجوسِ اعتقدوا

= ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية كَلَّلله: «ثم كثر الخوض في القدر، وكان أكثر الخوض فيه بالبصرة والشام وبعضه في المدينة، فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق، وبالكتاب المتقدم، وصار نزاع الناس في الإرادة وخلق أفعال العباد، فصاروا في ذلك حزبين: النفاة: ويقولون: لا إرادة إلا بمعنى المشيئة، وهو لم يُرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئًا من أفعال العباد، وقابلهم الخائضون في القدر من المجبرة مثل: الجهم بن صفوان وأمثاله...».

(1) أخرجه أبو داود (٤٦٩١)، ومن طريقه الحاكم (١/ ٨٥) وقال: «هذا صحيح على شرط الشيخين، إن صحَّ سماع أبي حازم من ابن عمر. ولم يخرجاه» قال: «وقال الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب» فذكره. والحديث فيه انقطاع بين الراوي عن ابن عمر، وهو أبو حازم سلمة بن دينار وبين ابن عمر فإنه لم يسمع منه. وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٧٥): هذا لا يصح عن رسول الله ﷺ. اهـ، وقد ورد بنحوه من حديث جابر، وحذيفة، وأبي هريرة، وقد صححه الألباني في «ظلال الجنة» (٣٢٨، ٣٢٩)، و (٣٣٨، ٣٣٩)، و (٣٤٢).

وجودَ خَالِقَينِ: واحد للشر، وآخر للخير، والقدرية اعتقدوا وجود خَالِقِين أي: بعده من يُوجِدْ فِعْلَهُ باختياره.

سبب ضلال هذه الفرق ومنشأ حدوث هذه البدع: منشأ حدوث هذه البدع المتقابلة أنها حدثت من الفتن المفرقة للأمة، كما ذكر البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب قال «**وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ الْأُولَى يَعْنِي مَقْتَلَ عُثْمَانَ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ أَحَدًا ثُمَّ وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ يَعْنِي الْحَرَّةَ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ الْحُدَيْبِيَةِ أَحَدًا ثُمَّ وَقَعَتْ الثَّالِثَةُ فَلَمْ تَرْتَفِعْ وَلِلنَّاسِ طَبَاخٌ**»[1].

فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى، والقدرية والمرجئة في الفتنة الثانية، والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة، فصار هؤلاء المبتدعة يقابلون البدعة بالبدعة؛ فالشيعة غلو في علي، والخوارج كفروه، والمعتزلة غلو في الوعيد حتى خلدوا بعضَ المؤمنين في النار، والمرجئة غلو في الوعد حتى نفوا بعض الوعيد، والمشبهة غلو في الإثبات حتى وقعوا في التشبيه، والجهمية والمعتزلة غلو في التنزيه حتى نفوا صفات الله تعالى، أو صفاته وأسمائه.

وسبب ضلال هذه الفرق: عدولهم عن الصراط المستقيم، الذي أمرنا الله باتباعه فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى

---

(١) أخرجه البخاري في «المغازي» (٤٠٢٤) تعليقًا، وقال الحافظ أنه لم يقع له هذا الأثر من طريق الليث، ولكن وصله أبو نعيم في «المستخرج» من طريق أحمد بن حنبل «عن يحيى بن سعيد القطان، عن يحيى بن سعيد الأنصاري» نحوه. اهـ. وانظر: «تغليق التعليق» (٤/١٠٥). قال الحافظ: «قال ابن سيده: الطباخ؛ القوة».

ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]؛ فلما عدلوا عن الصراط المستقيم، أحاطت بهم الفتن. فنشأت هذه الآراء المتضاربة، والعبد مضطر إلى سؤال الله الهداية؛ فاضطراره إلى سؤال الهداية فوق كل ضرورة، ولهذا شرع الله في الصلاة قراءتهم للقرآن في كل ركعة؛ لاحتياج العبد إلى هذا الدعاء العظيم، بالقدر المشتمل على أشرف المطالب وأجلها فأمرنا أن نقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

تشبيه من انحرف من العلماء ومن العباد: قال طائفة من السلف: من انحرف من العلماء؛ ففيه شبه من اليهود، ولهذا تجد أكثر المنحرفين: من أهل الكلام من المعتزلة ونحوهم، فيهم شبه من اليهود، حتى أن علماء اليهود يقرءون كتب شيوخ المعتزلة ويستحسنون طريقتهم، وكذا شيوخ المعتزلة يميلون إلى اليهود، ويرجحونهم على النصارى.

ومن انحرف من العُبَّادِ ففيه شَبَهٌ من النصارى؛ ولهذا تجد أكثر المنحرفين من العُبَّاد من المتصوفة ونحوهم، فيه شبه من النصارى، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحاد ونحو ذلك، ولهذا نرى شيوخ الصوفية ومن انحرف من العُبَّاد عموماً يذمون الكلام وأهله، وشيوخ أرباب الكلام، يعيبون طريقة العُبَّاد والصوفية، ويصنفون في ذم السماع والوجد، وكثير من الزهد والعبادة التي أحدثها الصوفية.

طريقة فرق الضلال في الوحي[1]: فِرَقُ الضلال المنحرفون لهم طريقتان في الوحي، وهو ما أنزله الله على رسوله مِن القرآن والسنة، وكل

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/٣١)، و«درء التعارض» (١/٨-١٧).

طريقة لها أفرع .

الطريقة الأولى: طريقة التبديل .

والطريقة الثانية: طريقة التجهيل.

وأهل التبديل نوعان:

النوع الأول: أهل الوهم والتخييل:

وأهل الوهم والتخييل هم المتفلسفة، ومن سلك سبيلهم، من متكلم، ومتصوف، ومتفقه، ومذهبهم في الله واليوم الآخر: أنَّ ما ذكره الرسولُ ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر، إنما هو تخيّل للحقائق؛ لينتفع الجمهور به؛ لا أنه بيَّن به الحقَّ، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحق وإنما هو خيالٌ قاله للناس حتى ينتفعوا، وحتى يتعايش الناس، ولا يعتدي بعضهم على بعض، وهم طائفتان:

الطائفة الأولى: يقولون: إن الرسل لم يعلموا الحقائق على ما هي عليه، واعتقدوا خلاف الحقائق، وإنَّ من المتفلسفة الإلهية من عَلِمَها، وكذلك من الأشخاص -الذين يسمونهم الأولياء- من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية -باطنية الشيعة وباطنية الصوفية-.

الطائفة الثانية: يقولون: إن الرسل بينوا للناس النصوص، من العبادات، واليوم الآخر، والجنة، والنار؛ ليعملوا بها، ولا واقع لها، ولكنهم قصدوا إيهام الجمهور والتخييل عليهم بأن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيما محسوسا؛ وعقابا محسوسا ليحملوهم

على ما يصلح حالهم، وإن كان كذباً؛ فهو كذبٌ لمصلحة الجمهور.

وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل، كالقانون الذي ذكره في رسالته (الأضحوية) وخلاصة مذهبهم؛ يقولون: إن الرسل يعرفون الحقائق. لكنهم مَوَّهُوا على الناس لمصلحتهم، أما الأعمال فمنهم من يقرها، ومنهم من يجريها هذا المجرى، ويقولون: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، فهذه طريقة الباطنية الملاحدة الإسماعلية، ونحوهم.

النوع الثاني من أهل التبديل أهل التحريف والتأويل: خلاصة مذهبهم؛ يقولون: إن الأنبياء أتوا بنصوص ظاهرها باطل غير مراد، والمقصود بها: المعاني المجازية، فالأنبياء لم يبينوها للناس، بل تركوها إلى العقول، فالرسول لم يقصد بها أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني لم يبينها لهم ولا دلهم عليها؛ لامتحانهم وليجتهدوا بعقولهم في صرفها عن مدلولها، وهذا القول قولُ المتكلمة، والجهمية، والمعتزلة، والكلابية، وغيرهم، في نصوص الصفات. ويقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بنصوص المعاد واليوم الآخر، والصفات، ما هو في نفس الأمر حق، وأن الحق هو ما علموه بعقولهم، ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات، ولهذا أكثرهم لا يجزمون بالتأويل بل يقولون: يجوز أن يراد كذا، وغاية ما معهم إنكار احتمال اللفظ.

الطريقة الثانية طريقة التجهيل والتضليل: سموا بذلك؛ لأنهم يُجَهِّلُون الرسل بالمعاني التي جاءوا بها من عند الله، ويقولون: إن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء، ويقولون: يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا

الله، لا يعلمه جبريل، ولا محمد، ولا غيره من الأنبياء، فضلاً عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ويقولون: إن محمدا ﷺ كان يقرأ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وهو لا يعرف معاني هذه الآيات، بل معناها الذي دلت عليه لا يعرفه إلا الله، ويظنون أن هذه طريقة السلف وهذا مذهب الفلاسفة والباطنية وهم أخبث ممن مضى.

ويقولون إن قوله - عليه الصلاة والسلام -: «**لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي**»[1] أن الرسول لا يعرف معنى كلمة «أغير»، وهم طائفتان: الطائفة الأولى يقولون: إن المراد بهذا خلاف مدلولها الظاهر المفهوم، ويقولون: نقطع بأن المعنى الحقيقي غير مراد، بل المراد خلاف مدلولها الظاهر المفهوم، ولا يعرفه أحد كما لا يعلم وقت الساعة.

وهؤلاء هم المفوضة الذين يفوضون معاني نصوص الصفات إلى الله.

الثانية: يقولون بل تجرى النصوص على ظاهرها، وتحمل على ظاهرها، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله؛ فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلا يخالف ظاهرها، وقالوا مع هذا: إنها تحمل على ظاهرها.

ما تشترك فيه الطائفتان: يشتركون في القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها مشكلة، أو متشابهة، ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلاً، فهم مشتركون في أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يأت بها على ما يوافق معقولنا، وأن الأنبياء وأتباعهم لا يعرفون العقليات، ولا يفهمون السمعيات، فهم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٤٦) و (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم وحده (١٤٩٨) من حديث أبي هريرة.

مشتركون في أن الرسول ﷺ لم يعلم معناها بل جهل معناها، أو جهّلَهَا الأمة من غير أن يقصد، يعني: يعتقدون الجهل المركب .

وأما هاتان الطائفتان من أهل التجهيل والمجهلة، فيقولون: بل قصد الرسول من الناس أن يعلموا الجهل المركب، والاعتقادات الفاسدة. وهؤلاء مشهورون عند الأمة بالإلحاد والزندقة. ثم انقسموا إلى فرقتين بعد اشتراكهما في المقالة السابقة. ومن هاتين الطائفتين - أهل التضليل وأهل التجهيل - من يقول: لم يعلم الرسول معانيها، ومنهم من يقول: علمها ولم يبينها، بل أحال في بيانها على الأدلة العقلية، وعلى من يجتهد في العلم بتأويل تلك النصوص.

وكل ذلك تضليل وضلال عن سواء السبيل، نسأل الله السلامة والعافية من هذه الأقوال الواهية المفضية بقائلها إلى الهاوية، ونسأله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على صراطه المستقيم حتى نلقاه وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

الفرق المعاصرة

الحَرَكَة القَاديَانِيّة[1]

تنسب الطائفة القاديانية إلى مدينة قاديان بالهند، وأحيانا يطلق عليهم اسم الأحمدية؛ لانتسابهم في مذهبهم إلى رجل اسمه غلام أحمد عبد النبي. وُلِدَ غلام أحمد سنة ألف ومائتين واثنين وخمسين هجرية، في مدينة قاديان وانكب منذ الصغر على دراسة القرآن والحديث والتعبد والتفكير في أمور الدين .

ثم بعد ذلك ادعى غلام أحمد أنه المسيح الموعود والمهدي الموعود في وقت واحد ويستند أتباعه في الإيمان به إلى ما ثبت في صحيح مسلم[2] أن المهدي يظهر في شرقي منارة دمشق، وأن المسيح يصلي خلفه، مع قول النبي «كَيفَ أَنتم إِذا نزل ابنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وإمامكم منكم»[3]، ويقول: إن غلام أحمد وإن كان هنديا، إلا أنه إيراني الأصل هاجر أبوه إلى الهند منذ مئات السنين .

رسالته إلى علماء الهند وغيرهم: في سنة ألف ثلاثمائة وأربع وأربعين، وجه غلام أحمد رسالة إلى علماء الهند وغيرها من البلاد الإسلامية جاء فيها: «إن الله قد بعثني مجددا على رأس هذه المائة، واختصني عبدا لمصالح العامة، وأعطاني علوما ومعارف تجب لإصلاح هذه الأمة، ووهب لي من لدنه علما حيا لإتمام الحجة على الكفرة

---

(١) انظر: «الموسوعة الميسرة» (ص/٤١٦).

(٢) انظر: «صحيح مسلم» (١٥٦) حديث جابر بن عبدالله.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الفجرة، وجعلني من المكلمين الملهمين وأكمل عليَّ نعمه، وأتم تفضله، وسماني المسيح ابن مريم، بالفضل والرحمة، وقدر بيني وبينه تشابه الفطرة كالجوهرين من المادة الواحدة.

إلى أن قال: ومن أجل آلائه أنه استودعني سره الذي يكشف للأولياء والروح الذي لا ينفق إلا في أهل الاصطفاء.

إلى أن قال: ومن آلائه أنه خاطبني، وقال: أنت وجيه في حضرتي، اخترتك لنفسي، وقال: أنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق.

إلى أن قال: أيها الكرام إن الفتن اشتدت والأرض فسدت، والمفاسد كثرت، وعلا في الأرض الحزب المتنصر.

إلى أن قال: فكلمني وناداني وقال: إني مرسلك إلى قوم مفسدين، وإني جاعلك للناس إماما.

إلى أن قال: فلما أخبرت عن هذا قومي قامت علماؤهم للعني ولومي وكفروني قبل أن يحيطوا بقولي ويزنوا حولي، وقالوا دجال، وقال كبيرهم الذي أفتى وأغوى الناس ما أغوى: إن هؤلاء كفرة فجرة فلا يسلم عليهم أحد ولا يتبع جنازتهم، ولا يدفنون في مقابر المسلمين.

إلى أن قال: وبعزة ربي وجلاله نفسي لست بكافر، ولا معتد من أقواله، ولا مرتد، ولا من الملحدين، بل جاءكم الحق فلا تعرضوا عن الحق كارهين.

وقد تقوى مذهبنا بتظاهر الأحاديث والفرقان، ثم بشهادة الأئمة وأهل العرفان، ثم بالعقل الذي هو مدار التكاليف الشرعية، ثم بالإلهام المتواتر اليقيني عن حضرة العزة، فكيف ترجع إلى الظن بعد اليقين.

إلى أن قال: وقد تفردت بفضل الله بكشوف صادقة، ورؤيا صالحة، ومكالمات إلهية، وكلمات إلهامية، وعلوم نافعة، وزادني ربي بسطة في العلم والدين، وأرسلني مجدداً لهذه المائة وسماني عيسى.

إلى أن قال: وجعلني ربي عيسى ابن مريم على طريق الموازاة الروحانية ... إلى أن قال: اعلموا أن فضل الله معي، وأن روح الله ينطق في نفسي، فلا يعلم سري ودخيلة أمري إلا ربي، هو الذي أنزل علي، وجعلني من المنوَّرين».

خلاصة الدعوى: ادعى غلام أحمد أنه المسيح الموعود بمعنى أنه جاء بقوة وروح عيسى - عليه الصلاة والسلام - وادعى أنه هو النبي الذي تنبأت بظهوره أغلب الديانات، وأن مهمته هي إطالة العلاقة بين الإنسان وخالقه، كما أنه جاء ليفسر القرآن وتعاليم الإسلام في ضوء الوحي الإلهي، فيما يطابق العصر الحاضر، وليكون هو نفسه مثالاً يبين الحياة الإسلامية الكاملة وادعى أنه يستغني بالعلم اللدني عن الوحي، وللقاديانية رئيس ديني يلقبونه بلقب: أمير المؤمنين، وخليفة المسيح الموعود، والمهدي المعضود.

انتشارها: انتشرت الدعوة القاديانية وصادفت نجاحا في بعض الجهات الإفريقية، وأخذوا يبشرون بها في أوروبا، وأمريكا، وآسيا، وشيدوا بعض المساجد في إنجلترا، ولكنهم لم يجدوا من يقبل دعوتهم في البلاد العريقة في الإسلام كشمال إفريقية، ومصر، والجزيرة العربية، والسودان، والعراق، والشام، فقد قل نشاطهم الآن وضعفت حماستهم.

مذهب القاديانية في الجهاد: إنه كان فرضا، ثم نسخ، وأنه بعث بعد محمد أحمد القادياني، وقبلته قاديان في الهند، ومذهب البهائية أنه بعث

بعد محمد، البهاءُ، وأنه نزل عليه القرآن سَمَّاهُ (البهاء) وقبلتهم مدينة (عكا)، والجهاد كان فرضا، ثم نُسخ. وكلا من البهائية والقاديانية تزعم أن الجهاد كان فرضا، ثم نُسخ، فالمحاربة بالجهاد عندهم خروج عن دين الإسلام، وعلى المسلمين أن ينضموا إلى دولة من الدول الكبرى لتحميهم، كما أن صلاة الجمعة نسخت، وكذا الحج؛ وذلك لأن كلا منهما من أسباب قوة المسلمين، فقالوا بالنسخ؛ لأجل أن يخدروا أعصاب المسلمين؛ لئلا يكون فيهم القوة التي كانت في آبائهم وأجدادهم.

البَابِيَّة أَوْ البَهَائِيَّة[(١)]

تنسب البابية إلى مؤسس الديانة البابية، الذي سمى نفسه بالباب، وتسمى البهائية نسبة إلى خليفة الباب وهو: علي حسن الملقب بالبهاء، ومؤسس الديانة البهائية، هو: علي بن محمد رضا الشيرازي، وُلد علي بن محمد بن رضا الشيرازي بشيراز في إيران سنة ألف ومائتين وخمس وثلاثين، وكان أبو محمد رضا الشيرازي ينتسب إلى بيت النبوة، وتوفي والده قبل أن يبلغ سن الفطام فكفله خاله علي الشيرازي الذي كان يشتغل بالتجارة، ولم يكن للغلام ميل إلي الدراسة إلا أنه تحت ضغط خاله تعلم قليلا من اللغة العربية ومن النحو الفارسي، وقد أظهر براعة مدهشة في الخط فكان أعجوبة أهل عصره في هذا الفن .

ثم أشركه خاله معه في التجارة وانتقلا معا إلى ميناء أبي شهر، وهو إذ ذاك في السابعة عشرة من عمره، وما لبث أن اظهر براعة في التجارة، فاستقل عن خاله وكسب شهرة تجارية، وكان إلى جانب اشتغاله بالتجارة، ينفق وقتا طويلاً في دراسة العلوم الدينية والرياضيات، ثم اشتغل بالروحانيات، وأخذ يعمل على إذلال نفسه، فكان يسهر الليل، وفي النهار يقف تحت أشعة الشمس المحرقة، فاعتراه بسبب ذلك وجوم وذهول، وتأثرت قواه العقلية بسبب الخلوة وما فيها من العزلة، ومن فرط السهر وإدمان الوقوف في مواجهة قرص الشمس، وتحمل حرارتها التي تبلغ في مدينة أبي شهر اثنين وأربعين درجة، ولاحظ عليه خاله شذوذاً في تفكيره وداخله الشك فيما يصدر منه من أقواله وأفعاله، فنصحه مرةً بعد أخرى

---

(١) انظر: «الموسوعة الميسرة» (ص٤٠٩).

إشفاقا عليه من أن تتطور الحال إلى نتيجة لا تحمد عقباها.

أشار عليه الأطباء بالسفر إلى كربلاء والنجف، حيث الهواء النقي، وعسى أن ينقطع عن التفكير فيما كان بصدده، فرحل وعمره عشرون سنة، وكانت الأفكار الباطنية منتشرة بين فريق النازلين بتلك المدينة، فأخذ بعد وصوله يدرس آراء بعض علمائها، ومن أشهرهم: أحمد الأحسائي، وتلميذه: كاظم الرشتي، وظل يتردد على دروس كاظم الرشتي مؤسس الطائفة الكشفية، ثم انقطع فجأة وتغيب ردحا من الزمن بعد أن اتفق مع بعض أصحابه على السفر إلى الكوفة والإقامة في مسجد الإمام علي منقطعين للرياضة مدة أربعين يوما .

وبعد انقضاء المدة غادر المسجد وهو في حالة غير طبيعية، وعاد لمجلس الرشتي وهو شارد الذهن، وفي حالة ذهول، وأخذ يتكلم بألفاظ عَدَّها تلامذة الرشتي خارجةً عن منهج الشريعة، ومخالفةً لقواعد السنة النبوية، فلاطفوه وجاملوه أولاً، وجفوه وهجروه ثانياً، فإذا به يدعو الناس إلى نفسه ويوصي بالزهد والتقشف، مع ما أمال إليه كثيرا من بسطاء العقول وضعفاء الأحلام، كان يخاطب المقربين إليه بأقوال غامضة مثل: فادخلوا البيوت من أبوابها، ومثل: أنا مدينة العلم وعلي بابها، يعني: أن الطريق إلى الله مسدود إلا عن طريق الرسالة والنبوة والولاية إلا بواسطة، وأنا تلك الواسطة .

وكما أنه لا يجوز دخول البيت إلا من الباب فأنا ذلك الباب، فعندئذ سمى نفسه بالباب، وما كان بعد ذلك يشير لنفسه إلا بلقب الباب، وترك اسمه الأصلي، وهذا هو سر تسميته بالباب، وأتباعه بالبابيّة. ثم بدأ دعوته عام ألف ومائتين وستين وجهر بها في ليلة الخامس من جمادى الأولى عام

ألف ومائتين وستين، وأول المؤمنين به كان هو الملا حسين البشروئي، الذي لبى دعوته في الليلة الخامسة من جمادى الأولى سنة ١٢٦٠هـ/ ٢٣ مارس سنة ١٨٤٤م، واعتبروا هذا العام عيداً سموه عيد المبعث إذ أظهر فيه الباب دعوته ورفع به الصوت جهارا، وكان عمره إذ ذاك خمساً وعشرين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام، وما زال البابيون يحترمون ذلك اليوم ويقدسونه ويحرمون فيه تعاطي الأشغال.

حروف حي: استطاع الباب علي أن يجمع حوله ثمانية عشر شخصا سماهم: (حروف حي) فحرف الحاء يعادل رقم ثمانية في الحروف الأبجدية، والياء يساوي عشرة، ومجموع الحرفين: ثمانية عشرة، ثم ألقى على هؤلاء مبادئه وتعاليم دعوته، والبشروئي أول من آمن بالباب -نسبة إلى مدينة بشروية من أعمال خراسان - التفت إليه الباب وقال: «يا من هو أول من آمن بي حقاً، إنني أنا باب الله وأنت باب الباب، ولا بد أن يؤمن بي ثمانية عشر نفساً بكامل رغبتهم، دون ضغط، أو إكراه، ويعترفون برسالتي وسينشدني كل منهم على انفراد . . .».

ولما لم تكن هذه الحركة تتناسب والمركز الديني لعلماء -إيران إذ إن تعاليم الباب مخالفة لأصول الدين عندهم-: قامت قيامة علماء إيران في وجه هذه الدعوة، فنُشرت الرسائل وأُلفت الكتب، وأُلقيت الخطب، ونتج عن هذه المقاومة أن مال إليه الجهلة من العوام، فلما رأى الباب ذلك: أعلن أنه المهدي المنتظر، بعد أن كان دعوته أنه واسطة، أو باب للوصول إلى الإمام المنتظر .

وقال: إن جسم المهدي اللطيف قد حل في جسمه المادي، وأنه يظهر الآن؛ ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً. وهذا ما دعا الباب أن يظهر بمظهر أرقى

من الدعوة السابقة، فيدعي أنه أفضل من محمد صاحب الدعوة الإسلامية ﷺ، وأن تعاليمه التي جمعها في بيانه أفضل من تعاليم نبي المسلمين في قرآنه، وأن محمداً إذا كان قد تحدى الناس في الإتيان بسورة من سور الفرقان المبين، فإن الباب يتحدى الجميع بالإتيان بباب من أبواب الأرض .

مقتله: دعي الباب لمناظرة علماء إيران وانتهت المناظرة بغير نتيجة، ثم ازدادت الاضطرابات في جميع أنحاء إيران، وانتشرت الفتنة، وساعدت الدسائس الأجنبية على امتدادها، فقرر الشاه ناصر الدين ضرورة القضاء على هذه الفتن، فأصدر أمره بإعدام الباب، ونُفذ فيه حكم الإعدام في سنة ألف ومائتين وخمس وستين هجرية، وقد تبرأ منه كاتب وحيه أقا حسين يزدي، وهال على الباب بالشتائم والسباب، وأُطلق سراحه، وأتى الحراس بوتدين من الحديد ودقوهما في جدارين متقابلين وربطوا فيهما الباب وصاحبه محمد علي الزنوزي وأطلقوا عليهما الرصاص .

وربط الجند جثتهما وألقوهما في خندق حتى أكلتها الطيور الجارحة. وكان عمر الباب يوم إعدامه إحدى وثلاثين سنة قمرية وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوماً من يوم ميلاده بشيراز، ولما قتل الباب زادت تعاليمه اشتهارا، وعظم الاضطهاد على أتباعه وأظهر بعض رؤسائهم دعاوى مختلفة من قبيل النبوة والوصاية والولاية، اختلفت آراؤهم وتشتت أهواؤهم.

كتب الباب: من أهمها البيان العربي، والبيان الفارسي وهو صورة من البيان العربي، وفيه أنه يستغني بالعلم اللدني عن الوحي.

عقائد الباب: تقوم الديانة البهائية والبابية على أساس الاعتقاد بوجود إله واحد أزلي نظير ما يعتقده المسلمون إلا أن البابيين يستمدون صفات

الخالق من أساس العقيدة الباطنية التي ترى أن لكل شيء ظاهرا وباطنا، وأن هذا الوجود مظهر من مظاهر الله، وأن الله هو النقطة الحقيقة، وكل ما في هذا الوجود مظهر له. وعلى هذا: فلا يؤمنون بالله كما يؤمن به المسلمون، و عقيدتهم في النبي والإيمان مستمدة من عين العقيدة بالخالق، فالنبي، أو الإمام مَظْهرٌ من مظاهر الله في الأرض، وارتقاء هذه المنزلة إنما هو باستكمال صفات أخلاقية جعلته يعبّر عن الأمر الواقع، ويصل إلى الحقيقة دون غيره؛ لهذا صح للباب أن يكون مظهراً من مظاهر الله في الأرض، بعد النبي .

وعبادات البهائيين والبابيين ومعاملاتهم: قد وردت في كتاب البيان، الذي نسخه خليفة الباب: علي حسين، الملقب بالبهاء، في كتابه الأقدس؛ كما يلي:

أولًا: الصوم عندهم من شروق الشمس إلى غروبها، ومُدّته، شهرٌ بابي، وعدته تسعة عشر يوماً، وهذا الشهر يقع دائماً في أول الربيع .

ثانيًا: الصلاة، فرضت الصلاة على كل بهائي بالغ وهم يؤدونها على انفراد تسعة في تسع ركعات، تسع ركعات في ثلاث أوقات، حين الزوال، وفي البكور، والآصال، متوجهين شطر مدينة عكا حيث يرقد بهاء الله.

ثالثًا: الحج إلى الدار التي ولد فيها مؤسس ديانتهم علي محمد بشيراز أو إلى الدار التي نزل بها بهاء الله حسين خلال إقامته بالعراق .

رابعًا: الزكاة سئل عبد البهاء عباس عنها فأجاب: الزكاة في البهائية كالزكاة في الإسلام.

خامسًا: الزواج بواحدة فقط، وفي كتابهم الأقدس التصريح بزوجتين إذا عدل بينهما، وهم يزوجون البهائي بغير البهائية، وبالعكس، بشرط

تحرير عقد بهائي إلى جانب العقد غير البهائي.

سادسًا: الطلاق مكروه عندهم .

سابعًا: الميراث تتساوى الابن مع البنت في الميراث وفي كافة الحقوق، وسن الرشد لهما واحد .

ثامنًا: أعيادهم: عيد النيروز، وعيد الرضوان، وعيد ميلاد مؤسس الديانة، وعيد ميلاد البهاء، وعيد إعلان دعوة الباب .

تاسعًا: الجهاد منسوخ .

انقسام البهائية: وبعد وفاة حسين علي الملقب بالبهاء، انقسم البهائيون إلى فرق هي:

أولًا: البهائية .

ثانيًا: الإزارية نسبة إلى أحد أصحاب الباب.

ثالثًا: البابية الخلاص الذين لم يرضخوا لأوامر من قام بعد الباب علي محمد.

رابعًا: البابية البهائية العباسية أتباع عبد البهاء عباس، وابن الحسين علي الملقب بالبهاء، وقد أطلق على نفسه عبد البهاء.

الناقرون هم أتباع محمد علي العباس، ويطلق المؤرخون اسم المارقين على أتباع المرزا عباس، واسم الناقرين على أتباع محمد علي، وكل فريق يؤيد دعواه، ويكفر من عداه، فاعتزلوا المعاشرة وحرموا معاملة بعضهم بعضا، وكان عداوة كل منهم للآخر أشد من عداوتهم جميعا لمن طعن في معتقداتهم، وقال ببطلان دعوتهم.

بهذا يتبين أن البهائية والبابية فرقة خارجة من عداد المسلمين، ليست من المسلمين في شيء ليست من الإسلام في شيء، بل هي فرقة من فرق الكفر والضلال، نسأل الله السلامة والعافية.

اليزيدية(١)

اختلف الباحثون في تعليل تسميتهم باليزيدية:

أولًا: فبين اليزيدية أنفسهم من يعتقد أنهم دعوا بهذا الاسم نسبة إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية الذي أحيا دينهم القديم وأطلق عليهم اسمه.

ثانيًا: بعض الباحثين نسبهم إلى يزيد بن أنيسة الخارجي الذي قال بتولي المحكمة الأولى قبل الأزارقة، وتبرأ ممن بعدهم، إلّا الأباضية فإنه يواليهم.

ثالثًا: ويميل بعض الباحثين إلى القول بأن اليزيدية ينتسبون إلى مدينة يزد أو يزدان الفارسية، وهي بمعنى الله، أو «إيزد»، ومعناها «خليق بالعبادة»، وتطلق في دين المجوس على الملائكة التي تتوسط بين الله والبشر، وتنقل مشيئته إليهم. واختلفوا في أصل دينهم؛ ففي رواية لليزيدية تصريح بأنهم من نسل آدم فقط؛ لا نتيجة لاجتماعه من حواء.

والحق أن اليزيدية خليط من عناصر وثنية قديمة، وعناصر إيرانية ذردشتية، وأخرى يهودية، ونصرانية، وإسلامية.

عقائد اليزيدية: يؤمنون بوجود إله أكبر خالق لهذا الكون، إلا أنه الآن لا يُعنى بشئونه بعد أن فوض أمر تدبيره وإدارته إلى مساعده ومنفذ مشيئته «مَلَكَ طاووس» الذي يرتفع في أذهان اليزيدية إلى مرتبة الألوهية، الذي يُدعى عند أهل الديانا ت الأخرى الشيطان.

---

(١) انظر: «الموسوعة الميسرة» (ص٣٧١).

نبي هذه الديانة: هو الشيخ عادي الذي يروي عنه اليزيدية أخباراً وروايات عديدة، ويرفعونه إلى ما فوق درجة النبوة، ومن هذه الروايات ما ينطبق على أحد شيوخ المسلمين والمتصوفين وهو الشيخ عدي بن مسافر، ومن الشخصيات المقدسة عندهم (منصور الحلاج)، و(عبد القادر الجيلاني)، و(الحسن البصري).

ومن عقائدهم:

أولًا: أنهم لا يأكلون الخس، زعما منهم أن الشيخ عدي طلب صاحب بستان شيئا من الخس فلم يعطه.

ثانيًا: ولا يأكلون لحم الغزال، لزعمهم أن عيونه تشبه عيون الشيخ عدي.

ثالثًا: ومن واجب كل يزيدي أن يزور ضريح الشيخ عدي مرة في كل سنة.

رابعًا: ويجب على كل يزيدي كل يوم وقت طلوع الشمس أن يقف في موضع شروقها بشرط أن لا يراه مسلم .

خامسًا: ينبغي على اليزيدي ألا يسمع صلاة المسلم، لأن فيها ما يتعارض مع العقيدة اليزيدية، وهي الاستعاذة من الشيطان؛ لأن الشيطان اسم لملك طاووس .

سادسًا: الصلاة بالقلب وبالسر، لذلك لا يحددون مواعيد وفرائض للصلاة.

سابعًا: يحللون شرب الخمر.

ثامنًا: لا يصح صيام اليزيدي خارج موطنه؛ لأنه ينبغي عليه أن يذهب

صباح يومه إلى شيخه ليعلن أمامه أنه صائم.

تاسعًا: إذا سافر اليزيدي إلي خارج بلده وأمضى في غيابه نحو سنة، أو أزيد فإن امرأته تحرم عليه ولا يسمح له للزواج من غيرها.

عاشرًا: غير مرخص لليزيدي أن يلبس ثوباً كحليا قط .

حادي عشر: اليزيدية يؤمنون بالتناسخ وبالحلول.

كتبهم: ولهم كتابان مقدسان: أحدهما يسمى: «الجلوة»، فيه وعد ووعيد، وترهيب وترغيب. والثاني: اسمه «مصحف رش»، أي الكتاب الأسود، فيه قصة خلق العالم وعقائد اليزيدية وما حُلِّلَ، لهم وما حُرِّمَ عليهم .

الأماكن التي يقطن فيها اليزيدية: اليزيدية طائفة ينتمي معظمها إلى الجنس الكردي، ويكثر أتباعها في بعض نواحي الشرق الأدنى، وخاصة في المناطق التالية:

طرائف الشيخان في الشمال الشرقي من الموصل، قضاء سنجار الواقع في الشمال الغربي من العراق على الحدود بينه وبين سوريا، وهي منطقة جبلية منيعة ومعقل حصين، وثالثا: ديار بني بكر، وماردين، وجبل الطور، ومنطقة حلب حول كلّس وعينتاب، والبلاد الأرمينية الواقعة على الحدود بين تركيا وروسيا، وخاصة في منطقتي قرص وإيراوان، وحول تفليس من بلاد القوقاز، وهناك بعض اليزيدية في إيران.

رئيس اليزيدية: إسماعيل جون المتوفى سنة ألف وثلاثمائة وواحد وثمانين هجرية= وألف وتسعمائة وثلاث وثلاثين ميلادية، وبهذا يتبين أن الفرقة اليزيدية فرقة وثنية تعبد الشيطان، وتعبد الأوثان، نسأل الله السلامة

والعافية.

فرق الضلالة خالفوا السنة والجماعة

وهؤلاء الفرق خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن نتبرأ إلى الله من طريقتهم، وطريقة أهل البدع، من الجهمية، والمعتزلة، والجبرية، والقدرية، والشيعة، والمشبهة نتبرأ إلى الله منهم، ومن مذهبهم واعتقادهم، ونعتقد أنهم منحرفون عن الصراط المستقيم، ونسأل الله أن يثبتنا وإياكم على دينه.



خاتمة

◆ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ وَبِاللهِ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

الشرح

نسأل الله وحده أن يثبتنا وإياكم على دينه، وعلى صراطه المستقيم، وأن يميتنا عليه، ونسأله - عز وجل - لنا ولكم العلم النافع والعمل الصالح، ونسأله - سبحانه وتعالى - أن لا يزيغ قلوبنا، بعد إذ هدانا، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



فهرس الآيات القرآنية

الآية — الصفحة

سورة الفاتحة

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] ٢٧
- ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] ٣٥
- ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧]. ٨٨٠

سورة البقرة

- ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ٤٢
- ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]. ٤٢
- ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] ٤٤
- ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ٥٦
- ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣] ٦٠
- ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] ٦٤
- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ٦٨
- ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ١٠٣
- ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] ١٢١
- ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]. ١٢٨
- ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ١٣٨

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ١٤١
- ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]. ٢١٣
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢]. ٢٢٤
- ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] ٢٣٩
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] ... ٢٥٤
- ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ٣٢٦
- ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] ... ٣٢٩
- ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ٣٣١
- ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥]. ٣٤٨
- ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ٣٦٠
- ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، .... ٣٩٦، ٣٩٧
- ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]. .. ٤٥٨
- ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]. ٤٧٧
- ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]. ٥٠٢
- ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ٥١١
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة: ١٧٦]. ٥٦٠
- ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧] ٥٩٣

- ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨] ٥٩٦
- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤] ٦٣١
- ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ٦٨٢
- ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ٦٨٧
- ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ٦٩٣
- ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١] ٦٩٤
- ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ٦٩٤
- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ٦٩٥
- ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ٧١٥
- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] ٧٣١
- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] ٧٥٥
- ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] ٨٢٧
- ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] ٨٢٨
- ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٣] ٨٤٩
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ٨٥١
- ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨] ٨٥٥

سورة آل عمران

- ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: ١-٢] ٦٧
- ﴿هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧]. ١١
- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]. ٣٣
- ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ٤٩
- ﴿يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] ١٢٤
- ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]. ١٢٩
- ﴿وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكَٰظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَٰمِلِينَ ۝١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦] ١٣٣
- ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] ١٨٢

- ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. ١٨٣
- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩] ١٩٧
- ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١] ٢١٤
- ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]. ٢٥٤
- ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ٢٥٦
- ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]. ٢٨٨
- ﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧] ٤٢١
- ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. ٤٢٣
- ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]. ٤٨٥
- ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٦٦ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧] ٥٠٤
- ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] ٥٥٤
- ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران: ٣١] ٥٥٨
- ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ٥٥٩
- ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥] ٥٥٩
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ٥٩٤
- ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ [آل عمران: ٩٧]. ٦٨٤

- ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]. ٧٨١

- ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١] ٧٨٨

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١]. ٨٤٥

- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥]. ٨٤٧

- ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٩] ٨٥٣

- ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] ٨٥٧

سورة النساء

- ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] ١٥٧

- ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] . ... ١٩٦، ٢٠٤

- ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾ [النساء: ١٥٣]. ٢٤٤

- ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]. ٣٢٨

- ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النساء: ١٦٥]. ٣٤٢

- ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ

ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٦]. ٣٨٥

- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء: ١٢٦]، ٣٨٨

- ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]. ٤٢٢

- ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] ٤٢٢

- ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]. ٤٢٥

- ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. ٤٤٧

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. ... ٤٦٣

- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. ٤٨٤

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ... ٥١٣

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] ٥١٣

- ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] ٥١٤

- ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]. ٥١٥

- ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]: ٥٢٠

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. ... ٥٤٨

- ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]. ٥٥٩

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. ... ٥٦٣

- ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]. ٥٨٨
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] ٥٩٢
- ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩] ٦٠٣
- ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] ٦٦٥
- ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]، ٧٧٦
- ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥]. ٧٧٧
- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٤-٦٥]. ٧٨٨
- ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩]. ٨١٩
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء: ٤٤-٤٥] ٨٣٣
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. ...٨٧٠

سورة المائدة

- ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]. ٥٧
- ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]. ٥١٨
- ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] ٥٧٠
- ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]. ٥٧٠
- ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [المائدة: ١١٠] ٦٩٢
- ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ٧٩٢
- ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٩] ٨٣٣
- ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. ٨٣٩
- ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. ٨٥٧
- ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً﴾ [المائدة: ٤٨] ٨٥٨
- ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. ٨٥٨

سورة الأنعام

- ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] ٢٢
- ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٤٤]. ٣٤
- ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ٤٠
- ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ

يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥] ٥٦
- ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ
وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ [الأنعام: ١٤]. ٦٩
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ
لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠﴾ [الأنعام: ٦٠]. ٩٦
- ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ
وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ
وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]. ....١٠٤، ٣٨٠
- ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ
يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. ١٠٦
- ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]. ١٠٧
- ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ٣٩] ١١٠
- ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ١٤٩
- ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: ١]. ١٨٨
- ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾ [الأنعام: ٩٩]. ٢٢١
- ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. ٢٢٦
- ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأنعام: ٨] ٢٣٠
- ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ
ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]. ٢٤١
- ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ٢٤٣
- ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾ [الأنعام: ٩] ٢٥٢

- ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] .... ٢٦٣.
- ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١]. .... ٣٥٤.
- ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] . ... ٣٧٢.
- ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] . ... ٤٠٣، ٤٠٩
- ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١]. .... ٤٠٦.
- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٤]. .... ٤٢٦.
- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. .... ٥٥٩.
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩]. .... ٥٥٩.
- ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤] .... ٥٨٢.
- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] ٥٨٣.
- ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] .... ٧٨٦.
- ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. .... ٧٨٦.
- ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]. .... ٨٠٠.
- ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥] . ٨٠٢.
- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨] .... ٨٢٩.

سورة الأعراف

- ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] .... ٢٣.
- ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. .... ١٨١.
- ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. .... ١٨٧.

- ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] ٢٢١
- ﴿لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] .. ٢٣٩
- ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ٢٤٠
- ﴿لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ٢٤٠
- ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ٢٦١
- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣] ٣٣٧
- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] .... ٣٣٨، ٣٤٤
- ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ٣٤١
- ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣] .. ٣٤٣
- ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣] ٣٤٣
- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف: ١٧٤] ٣٤٣
- ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ٣٩٦
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤] ٣٩٩
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤] ٤٢٠
- ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ٥٦٥
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [الأعراف: ١١] ٥٩١

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] .... ٥٩٢.
- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] .... ٥٩٣.
- ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٤] .... ٦٤٠.
- ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]. .... ٨٣٤.
- ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]. .... ٨٣٤.
- ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]. .... ٨٦٥.

سورة الأنفال

- ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣] .٩٦
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]. .... ١٠٣.
- ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣]. .... ٤٦٠.
- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ﴾ [الأنفال: ٢-٤]. .... ٤٨٣.
- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] .... ٤٩٤.
- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧] .... ٦٩٠.
- ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ﴾ [الأنفال: ٣٥] ..... ٨٠٧.

سورة التوبة

- ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧] .... ٩٧.

- ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩] ١٢٠

- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦] ٢٠٠

- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٥] ٢٧٧

- ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] ٤٢٠

- ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]. ٤٦٤

- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] ٤٧١

- ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]. ٤٧٣

- ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة ١٢٤-١٢٥]. ... ٥٠٢

- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]. ٥٠٢

- ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢] ٦٨٥

- ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦]. ٧٤٣

سورة يُونس

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]. ٩٠
- ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]. ٢٩
- ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٢-٣]. ٣٣
- ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس: ١٠٤-١٠٥]. ٣٤
- ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩] ٩٩
- ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [يونس: ٢] ١٥٠
- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ [يونس: ٥]. ١٥٢
- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨]. ١٦٥
- ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦] .... ٢٢٠، ٢٢٣
- ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. ٣٧١

- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣]. ٣٩٩
- ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١]، ٥٧٨
- ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]. ٦٣٦
- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس: ١٢]. ٧٣١
- ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. ٧٨٥
- ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]. ٨٠٧

سورة هُود

- ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [هود: ٩٨] ٥٣
- ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] ٥٦
- ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦]. ٢٤٠
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، ٣٩١
- ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]. ٤٦١
- ﴿...وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]. ٥٥٩
- ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: ٩٤] .... ٦٥٨، ٦٦٠
- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] ٦٧٧
- ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠] ٦٨٤

- ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود: ٣١] ٨٠٠

سورة يُوسُف

- ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠] ٢٣٨
- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠] ٣٩٠
- ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧] ٤٦٧
- ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] ٤٧٨
- ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] ٥٠٢
- ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] ٦٠٢
- ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦] ٧٠٣

سورة الرّعْد

- ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠] ٣٠
- ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] ٩٨
- ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] .... ١٠٣، ١٨٦، ١٨٧
- ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] ٢٥٥
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢] ٣٩٩
- ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] .... ٥٩٠، ٦٩١

سورة إبراهيم

- ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] ٣١٧
- ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]. ٣٤٣
- ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)﴾ [إبراهيم: ٢٧]. ٦٢٥

سورة الحِجْر

- ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)﴾ [الحجر: ٩١] ٢٨٧
- ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. ٤٦٧
- ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] ٥٨٩
- ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] ٦٢٧
- ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧)﴾ [الحجر: ٤٧] ٦٥٧
- ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦] ٧٩١
- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)﴾ [الحجر: ٧٥] ٨٠٨

سورة النَّحل

- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. ١٥
- ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣] ١١٢
- ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] ١١٢
- ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]. .... ١٩١، ٤٠٤
- ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧)﴾ [النحل: ١٧]. ٤١٠
- ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]. ٤٨١
- ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ

مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. ٥٢٨
- ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، ٥٢٩
- ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] . ... ٦٩١، ٦٩٢

سورة الإسراء

- ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. ١٨٤
- ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] ٢٠٠
- ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]. ٢٤٨
- ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]. ٢٦٠
- ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١] . ... ٢٩١، ٢٩٦، ٢٩٨
- ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٣٨]. ٣٦١
- ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]. ٥٢١
- ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]. ٥٤٣
- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]. ٥٨١
- ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، ٥٨٩
- ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١] ٦٣٨
- ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: ٩٧-٩٨]. ٦٤١

- ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ۝٤٩﴾ [الإسراء: ٤٩] ٦٤١
- ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ [الإسراء: ٦٧]. ٧٣١

سورة الكهف

- ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] ٩٢
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف: ٣٠] ٤٨٢
- ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف: ٢٢]. ٥٦٥
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ۝٢١﴾ [الكهف: ٢١]. ٦٤٥
- ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٦٧] ٦٨٤
- ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف: ٨٢] ٨٤٦

سورة مريم

- ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٩]. ٩٣
- ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣﴾ [مريم: ٩٣] ١٢٠
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ۝٩٦﴾ [مريم: ٩٦]. ١٤٣
- ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]. ٢٣٣
- ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٩]؛ ٥٩٠
- ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١]. ٦٥٤
- ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١] ٦٥٧
- ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١]. ٦٥٨
- ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ۝٧٢﴾ [مريم: ٧٢] ٦٥٩

- ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦] ٦٥٩
- ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢] ٦٦٠
- ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧]. ٨٥٩

سورة طه

- ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤]. ١٢
- ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]. ١٥
- ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ١-٨]. ٣٣
- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ٦١
- ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٥٠] ١٠٩
- ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢] .. ١١٤
- ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه: ٨٩] ١٨١
- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠] ٢٦٣
- ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]. ٤٠٠
- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. ٤٣٦
- ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢] ٧٠٣، ٧٠٥
- ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢] ٧٠٨

سورة الأنبياء

- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]. ٣١
- ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ١٣٩
- ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. .... ٣٢٦، ٣٣٠
- ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣]. ٣٧١
- ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ٤٥٧
- ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. ٤٦٨
- ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣]. .... ٧٠٥، ٧١١
- ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩]. ٨٥٢

سورة الحج

- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]. ٤٩
- ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ [الحج: ٧٠]. ٣٥٣
- ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ [الحج: ٧٠] ٣٧٤
- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾ [الحج: ٣-٤]. ٥٦٤
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ [الحج: ٦]. ٦٤٢
- ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج: ٧٨] ٦٩٧

- ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾ [الحج: ١٩] ٨٥١
- ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ [الحج: ١٩]. .. ٨٥٢

سورة المؤمنون

- ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. ١٨٠
- ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ﴾ [المؤمنون: ١٨] ١٩١
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١]. .. ٤٥٨
- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] ٤٥٨
- ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] ٦٢٧
- ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] ٦٩١
- ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] ٦٩٢
- ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ [المؤمنون: ١١٥] ٧٠٨
- ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤﴾ [المؤمنون: ٤]. ٨٥٤

سورة النور

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النور: ٤٥]. ٩٢

سورة الفرقان

- ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢]. ٢٨
- ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]. ٤٠

- ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] .... ١٤٣.
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفرقان: ٢١]. .... ٢٤٤.
- ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] .... ٣٥٤، ٣٨٢
- ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]. .... ٤٠٠.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة: ٨٧]. .... ٨٦٢.

سورة الشُّعَرَاء

- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٨-٩]. .... ١٢٧.
- ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشعراء: ١٩٦] .... ١٧٨.
- ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]. .... ٢٤٢.
- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤] .. ٤٣٩.
- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣]. .... ٥٨٧.
- ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣] . ... ٨٤٣.

سورة النَّمل

- ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]. ٤٦٨
- ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤] .... ٤٧٧.

- ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النمل: ٤٨] ٧٧٢
- ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] ٧٧٩

سورة القَصَص

- ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦] ١٣٩
- ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] ١٦٩
- ﴿إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] ٣٣٣
- ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨] ٤٦٠
- ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] ٥٦٤
- ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ٥٩٤
- ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] .... ٦٧٢، ٦٧٣

سورة العَنْكبوت

- ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦] ٤٧٩
- ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ٧٣١

سورة الرُّوم

- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] ٩٤

سورة لقمان

- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧] ٧٦
- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا

نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧]. ٢٠
- ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان: ٣٤]. ٣٢٨
- ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] ٣٣٠

سورة السَّجْدَة

- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ﴾ [السَّجدَة: ١-٤] ٣٣
- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السَّجدَة: ١٣]. ٣٥٤
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ﴾ [السَّجدَة: ٤]. ٤٠٠

سورة الأحزاب

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩]. ١٣
- ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. ١٥
- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. ٥٧
- ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. ... ١٣٠
- ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ﴾ [الأحزاب: ٤٣-٤٤] ٢٢٧
- ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] ٣٨٣
- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. ٤٨٩

- ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤] ٦٣٣

سورة سَبَأ

- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]. ٦٣٦

سورة فَاطِر

- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]. ٤٠
- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ﴾ [فاطر: ١٠] ٧٣
- ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ﴾ [فاطر: ٢]. ٣٧٨
- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ٤٠٤
- ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ﴾ [فاطر: ١٠]، ٤٠٤
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۚ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١)﴾ [فاطر: ٤١]. ٤١١
- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ﴾ [فاطر: ٣٢] ٤٩٥
- ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾ [فاطر: ١٣-١٤]. ٥٧٥
- ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)﴾ [فاطر: ٢]. ٧٠٢

سورة يس

- ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] ٥٣
- ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨]. ١٧٩
- ﴿...وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]. ٣٦٧
- ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس: ٨١]. ٦٤٢
- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٨-٧٩] ٦٤٣
- ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٩]. ... ٦٤٣
- ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس: ٨٠] ٦٤٤.
- ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ﴾ [يس: ٨١]. ... ٦٤٤
- ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] ٦٤٤
- ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣] ٦٤٥
- ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] ٧٠١
- ﴿وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]. ٧١٥

سورة الصافات

- ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الصافات: ٥٢] ١١٩
- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦] ٣٦٢
- ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]. ٦٥٦

سورة ص

- ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص: ٣٤]. ٣٩٦

- ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: ٨٢]. ٤٧٧
- ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ٨٨٣

سورة الزُّمَر

- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]. ٦٣
- ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]. ١٣٩
- ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] ١٨٨
- ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦] ١٩٢
- ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]. ٣٣٠
- ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. ٣٥٥
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]. ٣٨٩
- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، ٥٨٠
- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] ٥٨٢
- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] ٥٩٤
- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] ٥٩٦
- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] ٦٠٥
- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا

قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧١] .... ٦٤١.
- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزُّمَر: ٦٨] .... ٦٥١.
- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزُّمَر: ٦٨] .... ٦٥٣.
- ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الزُّمَر: ٢٣]. .... ٨٤١.

سورة غافر

- ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [غافر: ٥٧]، .... ٢٨٣.
- ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] . ... ٣٢٩.
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]. .... ٤٢٧.
- ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٣٥] .... ٥٦٤.
- ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥]. .... ٥٨٧.
- ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]. .... ٥٩٤.
- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] . ... ٦١٠.
- ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦]. ٦٢٨
- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. .... ٧٣٠، ٧٣٧

سورة فُصِّلَت

- ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فُصِّلَت: ٣٩] ٩١
- ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فُصِّلَت: ١٧]. ١١٠
- ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَت: ٤٦]. ١١٤
- ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فُصِّلَت: ٢١] ١٨٤
- ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٨]. ٤٠٦

سورة الشُّورَىٰ

- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣]. ٩
- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ٣٨
- ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ٩٥
- ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] ١١٠
- ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]؛ ١٧٦
- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ٢١٥
- ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] ... ٢٥٠، ٢٥١
- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ٢٧٩
- ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣]. ٤٢٧
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]. ٥٨٧
- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]. ٧٤٢
- ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]. ٧٤٦
- ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورىٰ: ١٤]. ٨٤٨
- ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]. ٨٦٣

سورة الزّخرُف

- ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرُف: ٢٧] ٤٤
- ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرُف: ٨٦]. ٤٥
- ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرُف: ٣] ١٨٨
- ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرُف: ٣] ١٨٩
- ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرُف: ٨٠]. ٥٧٧

سورة الدّخان

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [الدخان: ١٠] ٨٢٥

سورة الجاثية

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٩]. . ٥٧٨
﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١]. ٦٤٢

- ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] ٧٠٩

سورة الأحقاف

- ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ١٣٩
- ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١] ١٤٩
- ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥] ١٨٧
- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣] ٤٧٢

سورة محمد

- ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩] ٤٥
- ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦)﴾ [محمد: ٤-٦] ١١٢
- ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)﴾ [محمد: ١٧] ٥٠٢

سورة الفتح

- ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] ٥٠٢
- ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] ٧٥٢

سورة الحجرات

- ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧-٨] .. ١١١
- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] ٤٥٠
- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥]. ٤٨٣
- ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] ٤٩٧
- ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ [الحجرات: ١٧] ٤٩٨
- ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] ٥٠٢
- ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ٥٠٧
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] ٥٩٢
- ﴿...وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ
وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧-٨] ٦٨٠
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات: ٦] ٨٣١

سورة ق

- ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥] ٢٢٠
- ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: ١٧]. ٥٧٧
- ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٤]. ٦٤٢
- ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [ق: ٤١] ٦٥٤

سورة الذاريات

- ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ
أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ
ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]. ٦٩
- ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ
بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦]، ٤٩٦

سورة الطُّور

- ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝﴾ [الطُّور: ٣٥] ٥٢
- ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطُّور: ٤٧] ٦٣٤

سورة النّجْم

- ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۝﴾ [النّجم: ١-٢] ١٤٥
- ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝﴾ [النّجم: ١٣] ٢٥٢
- ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۝﴾ [النّجم: ١١] ٣٠٢
- ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۝﴾ [النّجم: ١٧] ٣٠٢
- ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۝ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۝﴾ [النّجم: ١٣-١٥] ٦٦٨
- ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۝﴾ [النّجم: ٣٩] ٧١٤

سورة الرَّحمٰن

- ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝﴾ [الرَّحمٰن: ١٠] ٦٢
- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾ [الرَّحمٰن: ١٣] ١٤٦
- ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ۝﴾ [الرَّحمٰن: ٢٢] ١٤٩
- ﴿...كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩] ٣٦٧

سورة الواقِعَة

- ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۝﴾ [الواقِعَة: ٧٨] ١٧٨
- ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ [الواقِعَة: ٦٩] ١٩٢

سورة الحديد

- ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣] ....٥١، ٥٤، ٨٦
- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾ [الحديد: ٢٢]. ١٠٢
- ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]. ٢٢٠
- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]. ٤٠٠
- ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] ٤٠٧
- ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١]. ٦٦٨
- ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ [الحديد: ١٠]. ٧٥٦

سورة المجادلة

- ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]. ١٨٢
- ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨] ١٩٥
- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ٥٨٨
- ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]. ..٦٣٧

سورة الحشر

- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ

ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]. ٤٢
- ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]. ٧١٦
- ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ [الحشر: ٥]. ٨٥٠
- ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] ٨٥٠

سورة الجُمُعَة

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجُمُعَة: ٢]. ٦٣٣

سورة المُنَافِقون

- ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١]. ٤٦
- ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١٠-١١]. ٩٩

سورة التّغَابُن

- ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]. ٦٣٦
- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. ٦٨٥

سورة التحريم

- ﴿ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا﴾ [التحريم: ١١] ٦٧٤

سورة المُلْك

- ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [المُلك: ٢] ٧١
- ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾ [المُلك: ٢] ١٠٥

سورة القَلَم

- ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١] ٣٧٨

سورة الحَاقَّة

- ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾ [الحاقّة: ٤٠] ١٨٩
- ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾ [الحاقّة: ٤٠] ١٨٩

سورة المعَارج

- ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣﴾ [المعارج: ٣] ٤٠٦
- ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾ [المعارج: ٦-٧] ٦٤٠

سورة المدّثّر

- ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر: ٢٥] ١٥٣
- ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ۝٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [المدثر: ١٨-٢٦] ..... ١٩٠، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢

- ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر: ٤٨]. .... ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٢٩
- ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦﴾ [المدثر: ٤٦]. ٣٢٩
- ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. ٤٢٦
- ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]. ٥٠٢
- ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر: ٣٨]. ٥٨٧
- ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝٥٢﴾ [المدثر: ٥٢] ٨٤٦

سورة القيامة

- ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٣] .... ٢٢٠، ٢٢١
- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]: .... ٢٦٤، ٤٠٧
- ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة: ١-٢]. ٦٠٢

سورة الإنسان

- ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]. ٣٦٤
- ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: ١] ٥٩٠

سورة النبأ

- ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ [النبأ: ٢٣] ٦٧٨

سورة النازعات

- ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] .... ٣٦، ١٥٩

سورة التكوير

- ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ [التكوير: ٢١] ١٩٠

سورة الإنفطار

- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] ٥٧٧.

سورة المطففين

- ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥] .... ٢٢١.

سورة الإنشقاق

- ﴿يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]. .... ٦٣٧، ٦٣٨

سورة البروج

- ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢١-٢٢]. .... ٣٧٣.

سورة الأعلى

- ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]. .... ٤٠٣.

سورة الفجر

- ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، .... ٥٨٣، ٥٩٨، ٦٠٢
- ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١-٢] .... ٧٧٣.
- ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝١٦ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥-١٧]. . ٨٠٩.

سورة الشمس

- ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥﴾ [الشمس: ١٤-١٥] ٧١.

سورة الليل

- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الليل: ٥-٦]. ٣٦٦
- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥-١٠]. ٦٧٩

سورة القارعة

- ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: ٦-٩]. ٦٦١

سورة الفيل

- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾﴾ [الفيل: ١]. ٢٢٦

سورة الكافرون

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١-٦]. ٤٩

سورة المسد

- ﴿تَبَّتْ يَدَا﴾ [المسد: ١] ١٩٩

سورة الإخلاص

- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤]. ...... ٢٧، ٤٣، ١١٦، ٢١٢، ٢٧٩

❁❁❁❁❁



فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث الصفحة

- الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ ٧٦٢
- أَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ ٥٩٩
- أبغض الحلال إلى الله الطلاق ٧٤٤
- أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَوْ بِهَذَا بُعِثْتُمْ ٨٥٥
- أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟ ٤٨٤
- أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ ٢٥٤
- اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ٨٠٩
- اتَّهِمُوا الرَّأْيَ على الدِّينِ ٥٦٦
- أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ ٣٣٣
- اجتنبوا السبع الموبقات ٥١٥
- اجلس بنا نؤمن ساعة ٤٨٦
- احفظ الله يحفظك ٣٧٨
- أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ ٧٤٤
- أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ ٦٩٥
- أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ٨٧١
- أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ٤٤٦
- اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ ٥٩٩
- أَدْخِلِ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ ٣٢٢

- أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النبي كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ ٥٠٤
- ادْعِي لِي أبا بكرٍ ٧٦٧
- إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا ٥٧٨
- إذا أنا متُّ فأحرقوني ثم اطحنوني ٤٥٢
- إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الآخَرَ ٥٥٢-٧٦٤
- إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب ٨٥٢-٨٥٣
- إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ٢٢٣
- إذا رأيتِ الذين يتبعون ما تشابه منه ١١
- إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ ١١
- إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ ٣٩١-٣٩٤
- إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ -أَوِ الإِنْسَانُ- أَتَاهُ مَلَكَانِ ٦١٣-٦٢٥
- إِذَا مَاتَ الإنسانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ ٧١٣
- إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا ٧١٦
- إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ ٥٧٨
- أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ ٥٠٤-٨٣٣
- أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ٥٠٣
- ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ٣٠٤
- ارْقُبُوهُ؛ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا ٥٧٨
- الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ٥٩١
- اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ ٧١٧
- أسعدَ الناس بِشَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ ٤٤٧
- الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ٤٩٦

- اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا ٣٢٥
- أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ٨٣٣
- أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِم اقْتَدَيْتُم ٧٥٣
- اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي على الصِّرَاطِ ٣١٠
- اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْبُلْهَ ٨٣٩
- اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ ٨٣٩
- أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ ٤٠٨
- أُعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ ٨١٩
- اعملوا فكل ميسر لما خلق له ٣٦٦
- أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ٦١٢
- أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ ٨٢
- أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ٥١
- أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ ١٨٠-٨٠٢
- أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٨٣-١٨٠
- أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتِ ٨٣
- اقتدوا بِالَّذَيْنِ من بعدي ٧٦٦-٧٦٩
- أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ ٧٩٧
- اقرأ ابنَ حضير ٨٠٦
- اقْضُوا اللَّهَ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ ٧٢١
- اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَإِنَّنَا لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ ٣٠
- اكْتُبْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣٠
- اكتب مقادير كل شيء ٣٥١

- أَكُنتَ بي عَالمًا، أو كنتَ على ما في يدي قادِرًا؟ ٤٥٢
- أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟ ٦٩٩
- إِلَّا الَّذِينَ سَارَّنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا ٦٠٢
- إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا ٥٥٦
- أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ ٤٦٦
- أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللهِ وَلَا فَخْرَ ١٤٢
- أَمَّا أَحَدُهُمَا، فَكَانَ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ ٦١٩
- أُمَّتِي أُمَّتِي ٣٢٢
- أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا ٤٤٥
- آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ ٤٩٧
- امْضُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ ٦٥٥
- إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللهِ ١٤٢
- إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ ٦٧٠
- إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ٩٨-٣٦٥
- إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ ٧٢٤
- إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ ٧٦٥
- إِنَّ الأَرْضَ تُمْطَرُ مَطَرًا كَمَنِيِّ الرِّجَالِ ٦٤٧
- إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ٦٩٦
- إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ ٥٨٤
- إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الإِنْسَانِ ٥٦١
- إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس ٥٣١
- إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ٦١٢

- إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ٦٢٥-٦٢٦
- إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ١٤١-٤٢٢
- إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم ٣٤٠
- إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ١٣٥
- إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ١٣٦
- إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ ٧٤٤
- إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا ١٩٥
- إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا ٢٠١
- أن الله تعالى يخرج بعد الشفاعة من قال ٧٩٨
- إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ ٣٣٨
- إن الله سبحانه اختار نبيه واصطفاه ٧٥٩
- إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي ٢٥٠
- إِنَّ اللهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ ٣٩٢
- إن الله كره لكم ثلاثاً ٣٦١
- إِنَّ اللهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ ٧٠٧
- إن الله يحب أن تُؤتَى رُخَصه ٣٦١
- إِنَّ اللهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ ٢٠٠
- إن الله يَصْنَعُ كُلَّ صانع وصنعته ٣٦٢
- أَنَّ اللهَ يَضَعُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ ٦٣
- إِنَّ المَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ المَحِيضَ ١٢
- إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك ٨٣٤
- إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ ٦٥١

- أنَّ النَّبيَ رَأى كَأنَّهُ نـزَعَ دلْوًا ٧٦٨
- إِنَّ أَهْلَ الكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ ٥٦٠
- إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ ٨٢٠
- إن أول ما خلق الله القلم ٣٥١-٣٧٥
- الآنَ بَرَّدتَ عَلَيه جلدته ٧٢١
- أن تؤمن بالله وملائكته ٣٤٨
- إِنَّ حَوْضِي مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ البَلْقَاءِ ٣٠٦
- إِنَّ خليلي أوصاني أَنْ اسْمَعْ وَأُطِعْ ٧٦٤
- إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ ٥٤٨
- إن خياركم أبناء المشركين ٣٤٤
- إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعوَرَ ٧٩٤-٨٢٠
- إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا ٧٤٤
- إِنَّ عَرْشَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ هَكَذَا ٣٩٢
- إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ ٣٠٦
- إن كنتَ تُحِبُّ أن تطوق طوقاً من نارٍ فاقبلها ٧٢٣
- إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا يَتَبَاهَوْنَ ٣٠٩
- إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهَا نَاجِيًا ٦٣٠
- إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْر ٧٦٦
- إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ ١٣٠
- إِنَّ لِي حَوْضًا طُولُهُ مَا بَيْنَ الكَعْبَةِ ٣٠٩
- إِنَّ لِي حَوْضًا عَرْضُه كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الكَعْبَةِ ٣٠٦
- إِنَّ مَثَلَ رُوحِ المُؤْمِنِ الطَّائِرُ ٥٩٥-٥٩٩

- إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا ١٣٠-٧٨٣
- إِنَّ مِن البَيَان لَسِحْرًا ٨٢٧
- إنَّ من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه ٤٨٥
- إن منّا رجالاً يأتون الكهان. قال: فلا تأتهم ٨٣١
- إن هذا الدين يسر ٨٦٠
- إِنَّ هَذَا وَالَّذِي أَتَى بِهِ مُوسَى مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ ١٢٦
- إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ٦٢٦
- إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ ٢٠١
- أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟ ٦٣
- أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ ٣٢٢
- أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ ٣٣٣
- أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ ١٣٥
- أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ١٣٥
- أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ ٤٥٧
- أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ ١٣٠
- إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ ٨٥٨
- الأنبياءُ إخوة لِعَلَّات ٨٥٩
- أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ ٥٩
- أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ٨٠٤
- أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ٤٤٠
- انطلقْ فأخرجْ منها من كان في قلبه مثقالُ شعيرة ٣٢٤
- انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ ٦٧٠

- إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ .... ٥٠٣.
- إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَر .... ٢٢٧.
- إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ ٢٢٢- .... ٤٠٧.
- إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ .... ١٧٧.
- إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوف .... ٥٥٠.
- إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ .... ٦٣٩.
- إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ ٦٣٣-٦٧٠-٦٧٢
- أنه دفن شهداء أحد بدمائهم وثيابهم ٥٣٨
- إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ .... ٦٦٣.
- أَنَّهُ نَـزَلَ مِيزَانٌ مِنَ السَّمَاءِ فَوَزَنَ النَّبِيَّ ٧٦٨
- إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ .... ٨١٩.
- إنها ليست نسمةٌ تُولَدُ إلا وُلدتْ على الفطرة .... ٣٤٤.
- إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ .... ٦١٣.
- إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ .... ١٤١.
- إني خلقت عبادي حنفاء كُلَّهُمْ .... ٣٤٥.
- إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ .... ٣١١.
- إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا .... ٨٣٢.
- إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَراً بمكة كان يُسَلِّمُ عليَّ .... ١٨٤.
- أُوصِيكُمْ بتقوى الله، والسَّمعِ وَالطَّاعَةِ .... ٥٦٢.
- أول ما خلق الله القلم ٣٥٣-٣٧٦
- أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ .... ١٢٣.
- آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ .... ٥٠٤.

- أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ، اخرُجِي ٦١٢
- أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ؛ اخرُجِي ٦١٢
- الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ ٥٠٩
- الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ٣٥٠-٤٢٥
- الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ٤٨٤-٧٩٦
- الإِيمَانُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ٤٩٧
- الإِيمَانُ مَكَمَّلٌ فِي القَلْبِ ٤٨٢
- أَيْنَ اللهُ ٤٠٨-٤٢٠
- بعثت أنا والساعة كهاتين ٨٢٢
- بُعِثْتُ بِالحَنَفِيَّةِ السَّمْحَةِ ٦٩٦-٨٦٠
- بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ فَأَنْتَ سَيِّدُنَا ٧٦٥
- بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلى خَمْسٍ ٤٩٥
- بَيْنَا أَهْلُ الجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُم نُورٌ ١٧٩
- تَرِدُ عَليَّ أُمتي الحوضَ وأنا أذودُ ٣١٢
- تَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا ٢٣٣
- تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ ٢٢٧
- تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ ٢٢٦
- تعلْموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربَّه ٢٦٢
- تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ ٦٦١
- تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ ٥٥٠
- التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ٧٧٤
- ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فِيهِ فَقَدِ جَمَعَ الإِيمَانَ ٤٨٦

- ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ٦٦٩
- ثُمَّ يَخْرِقُ لَهُ خَرْقًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ عَذَابِهَا ٦٢٩
- ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَى مَقْعَدِهِ فِيهَا ٦٢٩
- جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ٢٢٢
- الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ ٥٣٦
- الجهنميون عتقاء الله من النار ٥٢٢
- حِجَابُهُ النُّورُ ٢٥٠-٢٥١-٢٨٨-٤٦٢
- حَوْضِي كَمَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى الْيَمَنِ ٣٠٦
- حَوْضِي مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ٣٠٧
- حَوْضِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ ٣٠٧-٣٠٨
- خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ ٢٨٨
- خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ ٥٥٢
- خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ ٥٥٧-٥٧٥-٨٧٢
- خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْره ٧٥٩
- خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ ١٠٠
- الدعاء مخ العبادة ٧٣٣
- الدعاء هو العبادة ٧٣٣
- الدِّينُ النَّصِيحَةُ ٥٥٥
- ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ٨٥٤
- الذي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ ٧٩٧
- رآه بفؤاده ٢٥٢
- رأى ربه بعيني رأسه ٢٤٧

- رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ٢٢٨-٢٦٠
- رَأَيْتُ صَاحِبَكُمْ مَحْبُوسًا عَلَى بَابِ الجَنَّةِ ٦٠٢
- رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُهُ ٦٧٠
- رَأَيْتُ نُورًا ٢٥١
- رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ ٦٢٢
- رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ ٤٠٤
- الرَّجُلُ يَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَيُصَلِّي وَهو يَخَافُ ٤٥٨
- زَوَّجْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ٧٢٤
- السَّابِقُ بالخيرات يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٢٣
- سُبْحَانَ مَنْ وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتِ ١٨٢
- سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي ٣١١
- السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٧١٨
- السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ ٥٤٩
- سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ ١٣١
- شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي ٣٢٤
- شَفَعَتِ المَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيونَ ٥٢٠
- الصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ مُسلمٍ ٥٣٥
- الصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ ٥٧٣
- صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ ٥٣٥
- صَلُّوا خَلْفَ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ٥٣٦
- صَلُّوا عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أهل لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ٥٣٦
- الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ ٣٢٨

- ضحك رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ ٧٤٦
- الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ٦٦٥
- العَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ ٤٧٩
- فَآتِي الجَنَّةَ فَآخُذُ بِحَلْقَةِ البَابِ ثُمَّ أَسْتَفْتِحُ ٣٣٦
- فَإِذَا حَاذَوْا بنا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا ١٤
- فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ ٢٥٣
- فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِ صَفْوَانَ ١٣
- فَأَمَرَ اللهُ البَحْرَ بجمع مَا فِيهِ ٤٥٢
- فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ١٩٥
- فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الغَائِطِ ٥٧٩
- فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ١٣٠
- فَتُعَادُ الرُّوحُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ٦٢٤
- فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الفَضْلِ ١٢
- فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ ١٢
- فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي ١٣
- فُضِّلْتُ عَلى الأنبياء بِسِتٍّ ١٣١-١٥٠
- فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهم عَزَّ وَجَلَّ ٢٢٣
- فَمَا عَرِفْتُمْ بِهِ فَاعْمَلُوا بِهِ ٨٥٧
- فَهَلْ تُمَارُونَ في رُؤية الشمسِ لَيس دونها سَحابٌ ٢٢٨
- فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِه ٢٦٠
- فِي جَهَنَّمَ جِسْرٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ ٦٥٦
- فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ ٦٧

- فيخرجون من النار قد امتحشوا؛ فيصب عليهم ماء الحياة ٥٢٢
- فَيَضَعُ اللهُ كُرْسِيَّهُ حَيْثُ شَاءَ مِنْ أَرْضِهِ ٣٣٥
- فيقبضُ قبضةً من النَّار فَيُخْرِجُ ٥٢٠
- فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ، أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ٦١٢
- قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ، حِينَ شَاءَ ٥٨٥
- قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ ٨٦٠
- قَدْ سَأَلْتِ اللهَ بِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ ١٠٠
- قد سألتك أقل من ذلك ٣٤٢
- قَدْ كَانَ فِيما مَضى قَبلَكم من الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ٨١٧
- القدرية مجوس هذه الأمة ٣٤٩
- الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ٨٧٩
- قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ ٨٦٢
- قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا ٢٣
- قولوا: اللَّهُمَّ إنا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ٦١٤
- كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا ١٤
- كأنهما غمامتان أو غيايتان ٧٣
- كأني به أسود أفحج ٨٢٥
- الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار ٥١٥
- كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ ٩٨-١١٨-٣٦٤-٣٧٥-٦٨٠
- الكُرْسِيُّ مَوْضِعُ القَدَمَيْنِ ٣٨٩-٤٦٤
- الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر ٣٩٥
- الكُرْسِيُّ هُوَ عِلْمُهُ ٤٦٤

- كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ٢٠٢
- كَفَى بِبَارِقَةِ السَّيُوفِ عَلَى رَأْسِه فِتْنَةً ٥٣٨-٦٢٢
- كل ما وعد الله عليه النار كبيرة ٥١٤
- كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ ٦٢٢
- كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا ١٢٢
- كلاكُمَا مُحْسِنٌ، فلَا تَخْتَلِفُوا ٤٣٧
- كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ٦٦٥
- كَمَا تكُونُوا يُولَّ عَلَيْكُمْ ٥٥٤
- كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ حَيٌّ ٧٧١
- كَيفَ أنتم إِذا نزل ابنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ ٨٨٦
- كَيْفَ نَسَبُهُ فيكم؟ ١٢٤
- لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ ٢٥٣-٢٥٤
- لَا تَؤُمَّنَّ امْرَأَةٌ رَجُلًا ٥٣٢
- لَا تَبْرَحْ مَكَانَكَ ١٤٨
- لَا تُخَيِّرُوني عَلَى مُوسَى ١٣٥
- لَا تُخَيِّروني من بين الأنبياء ١٣٥-٣٩١-٦٥١
- لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ ٩
- لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ٧٥٩
- لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ٧٥٧
- لَا تَسْتَنْجُوا بِالعَظْمِ وَالرَّوْثِ ١٤٧
- لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ الله ١٣٦
- لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى ١٣٧

- لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ٨٢٠
- لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ ٨٢٣
- لَا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ٤٤٩
- لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ ٦٢٦
- لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ ٥٤٩
- لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ٥٠٨
- لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ وَلَا لِأَبْيَض ٥٠٩
- لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ ٥٥٢-٨٧٢
- لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ ٧٩٦
- لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ ٢٢-٤٤٨
- لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ ٥٤٤
- لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ٧٥٧
- لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ٧٥٣
- لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاء الله مِنْ أَصحابِ الشَجَرَةِ ٦٦٠
- لا يرد القضاء إلا الدعاء ٧٣٤
- لا يزال أمر الناس ماضياً ما وَليهم ٧٧٤
- لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ٤٤٨-٦٠٣
- لَا يُصَلِّي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ ٧١٨-٧٢٠
- لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ٨٥١-٨٧٢
- لَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ١٣٨
- لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ١٣٨
- لا يلج النارَ أحدٌ بايع تحت الشجرة ٧٧٣

- لا يَمَسَّ القُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ ١٩٩
- لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ ٤٥٧
- لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه ٨٤٠
- لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ٣٢٥
- لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي ٨٨٤
- لعلَّه تنفعُه شفاعتي يوم القيامة ٣٢٤
- لَعَنَ اللهُ الخَمْرَ وَشَارِبَهَا ٤٤٩
- لَقد خَشيتُ على نفسي ١٢٢
- لَقَدْ سَأَلْتني عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ ٢٠١
- لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي ٦٧٤
- لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ١٤٧
- لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي ٨٦٣
- لَلْجِنُّ أَحْسَنُ رَدًّا مِنْكُمْ ١٤٦
- لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ - يعني يوم أحد - جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ ٦٣٢
- لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ ٣٣٩
- لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرَائِيلَ ٦٧١
- لَما قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابه فَهُوَ عِنْدَهُ ٤٠٧
- لَنْ يُدْخِلَ أَحَداً عَمَلُهُ الجَنَّةَ ٦٩١
- لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ ٦٩٣
- اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي ٧٥٧
- اللَّهُمَّ اشْهَدْ -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- ٤٠٧
- اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ ١٠٠

- اللَّهُمَّ إنا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ٦١٤
- اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ٥١-٦٨-٤٠٧
- اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي ١٣٩
- اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ٤٧٢-٥٢٩-٧٩٥
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ ٣٣٢
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ٨٣
- اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ٧٠٦
- اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ ٥١
- اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا ٤٨٥
- لَهمَا فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ٦٦٣
- لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه ٣٥١
- لو أنَّ لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به ٣٤١
- لَوْ دَخَلُوا فِيهَا، مَا خَرَجُوا مِنْهَا ٥٥٠
- لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيدةَ حَيًّا لَاسْتَخْلَفْتُهُ ٧٩١
- لَوْ كُنتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ ١٠٠
- لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ ٧٦٩
- لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أهل الأَرضِ خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ ١٤١-١٤٤-٤٢٢
- لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَهْلِ الأَ بِإِيمَانِ أَبِي بَكْرٍ لَرَجَحَ ٤٩٠
- لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ ٦١٨
- لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ ٣١١
- لَيسَ مِنَ الإنسان شَيءٌ إلا يَبْلى إلّا عظماً ٦٤٧
- لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدي الله، لَيْس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ ٢٢٢

- لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ ٨٢٠
- مَا أَرَاكِ إِلَّا حَرُمْتِ عَلَيْهِ ١٨٢
- مَا أَصَابَ العَبْدَ قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ ٧٠٦
- مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضون السَّبْعُ فِي يَدِ الله إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ ٦٤-٣٨٩
- مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ ٣٩٨
- مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي ٥٦١
- مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ المَدِينَةِ وَجَرْبَاءَ ٣٠٧
- مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كما صَنْعاء وَالمَدِينَةِ ٣٠٥
- ما حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ ٨٣٢
- ما رأيتُ مِنْ نَاقِصَاتُ عَقْلٍ ودِينٍ ٤٨٥-٧٩٦
- ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ١١٦
- مَا فُقِدَ جَسَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَكِنْ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ ٢٩٥
- مَا لَا نَفْسَ لَهُ سَائِلَةٌ لَا يَنْجَسُ بِالمَوْتِ ٥٨٧
- ما من أيام العمل الصالح فيهن ٧٧٤
- ما مَنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا ثم مات ٤٤٥
- ما مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ ٧٣٧-٧٣٩
- مَا مِنْ مولودٍ يُولَدُ إِلَّا على الفطرة ٣٤٤
- مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ وَأَنْذَرَ أُمَّتَهُ ٨٢٠
- ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتب مقعده من النار ٣٦٦
- مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ ٤٦٢
- مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ ٧٦٨
- مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ ٨٣١

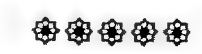
- مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ٨٣١
- مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ ٨٣٨
- مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ ٣٢٦-٣٢٨
- مَنْ أَطَاعَنِي، فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ٥٤٨
- مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ ٢٢-٤٤٨
- مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا ٨٤٤
- مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ٢٤٨
- مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ ٥٥١-٥٦٠
- مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ ٢٤٩
- مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ ٦٠٣
- مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ٤٣٥
- مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا ٣٢٧
- مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ ٨٠٩
- مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي ٨٠٩
- مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ٨٣٨
- مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ١٣٦
- مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ ١٣٨
- مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ ٣٢٦
- مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ ٧٩٨
- مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ ٧٩٨
- مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ٦٧٥
- مَن قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ٦٨

- مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ ٣١
- من لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه ٣٥١
- من لم يسأل الله يغضب عليه ٧٣٢
- من مات على غير هذا ليس مني ٣٥١
- مَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الحَرَمَيْنِ اسْتَوْجَبَ شَفَاعَتِي ٣٢٧-٣٢٨
- مَنْ مَاتَ مَرِيضًا، مَاتَ شَهِيدًا ٦٢٣
- مَنْ مَاتَ وَعَلَيهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ ٧١٥-٧٢٧
- مِنْ مُحَمَّدٍ عبد الله ورسوله إِلَى هِرَقْلَ ١٢٣
- مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ ٦٣٩
- مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ ٥٥٢
- ناداني مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي ٢٩٧
- نَسَمَةُ المُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الجَنَّةِ ٥٨٥
- النشرة من عمل الشيطان ٨٣٦
- نعم، تصدق عنها ٧١٨
- نهى عن ثَمَنُ الْكَلْبِ ٨٣١
- نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟ ٢٥٠
- هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ ٥٤١
- هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنزِلَ عَلى مُوسَى ١٢٣
- هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟ ٢٢٢
- هلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ ٢٣٢
- هل من داع فأستجيب له ٧٣٣
- هلموا نزدد إيمانًا ٤٨٥

- هُوَ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ ٦٣٣
- هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا المُسْلِمُ ٨٠٤
- هِيَ المَانِعَةُ، هِيَ المُنْجِيَةُ ٦٢٢
- وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ٤٦١
- واستيقظ وهو في مسجد الحرام ٢٩٧
- واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ٣٨٠
- وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى ٢٦٢
- وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي ٨٣
- وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ ١٥٠
- والذي نَفْسي بيده لتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ ٤٥٢
- وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَلِجُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ ٦٦٠
- وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ٥٩
- واللهِ لَا يُؤْمِنُ ٧٩٧
- والله ما زلتُ ذليلاً مستيقناً بأن أمره سَيَظْهَرُ ١٢٦
- وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ٥١
- وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنْ النار فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ ٣٢٤
- وَجَّهْتُ وَجْهِي ١٣٩
- وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ يومًا بعد صَلاةِ الغداةِ ٥٦٢
- وَكَانَ يَعْرِفُنِي قَبْلَ الحِجَابِ ١٣
- وَلَا يَثبت أَحدٌ عَلَى لأوائِها وَجَهْدِها ٣٢٧
- ولا يحل السحر إلا ساحر ٨٣٦
- ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل ١٨٤

- وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ ٧٩٠-٨١٠
- وَمَا تَعْجَبُونَ انْقَطَعَ عَمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا ٧٥٨
- وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ، فَقَدْ أَطَاعَنِي ٥٤٨
- وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّم ٣٢٣
- ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر ٣٨٣
- يُؤْتَى بِالمَوْتِ كَبْشًا أَغَرَّ ٦٦٣
- يُؤْتَى بالمَوْت كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ ٧٢
- يُؤْتَى بِرَجُلٍ فَيُخْرَجُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا ٤٤٥-٦٦٥
- يَا أَسْمَاءُ؛ إِنَّ المَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ المَحِيضَ ١٢
- يَا أَهْلَ الجنة خُلُودٌ فلا مَوْتَ ٧٢
- يَا رَبِّ أَصْحَابِي ٣١٩
- يَا رَبِّي؛ وَعَدْتَنِي الشَّفَاعَةَ فَشَفِّعْنِي فِي خَلْقِكَ ٣٢١-٣٣٥
- يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ٧٠٤
- يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ٦٩
- يَا عُمَرُ؛ تَرَانِي قَدْ رَضِيتُ وَتَأْبَى أنت؟ ٥٦٦
- يا غلام إني أعلمك كلمات ٣٧٨
- يَا لَيْتَنِي فيها جَذَعًا ١٢٣
- يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ ٥٧٩
- يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَة ٦٥٥
- يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ٥٠٣
- يُذَادُ أَقْوَامٌ فَيَقُولُ النَّبِيُّ: أَصْحَابِي ٣١٨
- يُصَلُّونَ لَكُمْ فَإِنْ أَصَابُوا ٥٣٠-٥٣٥

- يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا ٧٤٤
- يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ ٤٤٨
- يكتب بين أعينهم هؤلاء عتقاء الله ٥٢٢
- يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ٦٧٠-٦٧٢
- يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ ٧٣٩
- يَنْصَرِفُ نَبِيُّكُمْ وَيَنْصَرِفُ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ ٣١٣
- يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ٥٤١





فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع	الصفحة
مقدمة الشارح - حفظه الله - وفيها من الفوائد:	٥
التعريف بمتن الطحاوية	٥
التعريف بعلم أصول الدين	٥
فضل هذا العلم	٦
كتاب أبي حنيفة: الفقه الأكبر	٦
مدى الحاجة لعلم أصول الدين	٧
الحكمة من إرسال الرسل وبيان أن العقل لا يستقل بمعرفة هذا الأمر	٧
أقسام العلم النافع ثلاثة لا رابع لها	٨
تصدي العلماء والأئمة لأهل البدع وإيضاح الحق	١٠
ومن هؤلاء الإمام الطحاوي	١٠
قد يلاحظ على الطحاوية ملحوظات يسيرة	١٠
القاعدة: أن النصوص المشتبهة تفسر بالمحكمة	١١
أهل الزيغ يتعلقون بالمتشابه ويتركون المحكم	١١
من الأمثلة على ذلك: مسألة الحجاب والسفور	١٢
مزيد من أدلة الحجاب	١٣
ومن الأمثلة أيضا: مسألة العلو	١٥
أحسن شروح الطحاوية شرح ابن أبي العز الحنفي	١٦
العقيدة الطحاوية تلقاها العلماء بالقبول	١٦
هذه العقيدة في أصول الدين ليست خاصة بالأحناف	١٩

تعريف العقيدة ١٩
التعريف بالجهمية والمعتزلة والشيعة والرافضة ٢٠
صلاح المجتمع يتناسب مع مدى صلاح عقيدة أفراده ٢٢
العقيدة السليمة تعصم الدم والدم ٢٣
لو صحت العقيدة صحت جميع الأعمال ٢٣
اتجهت جهود الأنبياء والصالحين إلى إصلاح العقائد أولا ٢٣
التوحيد، وتعريفه ٢٥
أقسام التوحيد ٢٦
هذا التقسيم إنما هو بالستقراء والتتبع للنصوص لا بالرأي ٢٦
القسم الأول: توحيد الربوبية ٢٧
لابد في توحيد الربوبية من خمسة أمور: ٢٧
الأمر الأول: إثبات حقيقة ذات الرب ٢٧
الأمر الثاني: الإيمان بأنه الرب وغيره مربوب ٢٧
الأمر الثالث: إثبات أنه الخالق وغيره مخلوق ٢٨
الأمر الرابع: إثبات أنه المالك وغيره مملوك ٢٨
الأمر الخامس: إثبات أن الله هو المدبر وغيره مدبَّر ٢٨
توحيد الربوبية أقر به كفار قريش ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام
لأنهم لم يأتوا بلازمه وهو توحيد الألوهية ٢٩
القسم الثاني: توحيد الأسماء والصفات ٢٩
الأسماء والصفات توقيفية ٢٩
هذا القسم أيضا أقر به الكفار فلم ينكروا شيئًا من أسمائه إلا الرحمن ٢٩
هذا القسم من التوحيد لا يكفي حتى يقر بلازمه وهو توحيد الألوهية ٣٠
القسم الثالث: توحيد الألوهية والعبادة ٣٠

توحيد العبادة أول دعوة الرسل وآخرها ٣١
هذا التوحيد هو الذي لأجله خلق الله الخليقة وأرسل الرسل وأنزل الكتب ٣١
هذا التوحيد هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم ٣٢
من العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين: ٣٢
القسم الأول: توحيد المعرفة والإثبات ٣٢
القسم الثاني: توحيد الطلب والقصد ٣٢
كل سورة في القرآن متضمنة لهذين النوعين ٣٤
القرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وجزاء أهله ٣٥
بيان أن المعطلة جعلوا معنى التوحيد نفي الصفات، وردُّ ذلك ٣٥
توحيد المعطلة أفضى ببعضهم إلى الحلول والاتحاد ٣٦
مذهب الاتحادية ٣٧
الله ليس كمثله شيء ٣٨
من اعتقد مثيلا لله أو شبهه بخلقه فهو في الحقيقة لم يعبد الله
وإنما يعبد وثنا ٣٨
المشبه يعبد صنما والمعطل يعبد عدما ٣٩
كمال قدرة الله تعالى وانتفاء العجز عنه ٤٠
كل نفي في الكتاب والسنة فهو لإثبات ضده من الكمال ٤١
النصوص جاءت بالإثبات المفصل والنفي المجمل ٤٢
أهل البدع والكلام أتوا بإثبات مجمل ونفي مفصل ٤٢
قد يأتي النفي في النصوص مفصلا للرد على أهل البدع ٤٣
كلمة التوحيد: لا إله إلا الله ٤٤
إثبات التوحيد إنما هو بالنفي والإثبات المقتضي للحصر ٤٤
شروط كلمة التوحيد: الأول: العلم المنافي للجهل ٤٥

معنى العبادة ٤٥
الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك ٤٦
الشرط الثالث: الصدق المنافي للنفاق ٤٦
الشرط الرابع: الإخلاص المنافي للشرك ٤٦
الشرط الخامس: المحبة لهذه الكلمة وأهلها ٤٧
الشرط السادس: الانقياد لحقوقها وواجباتها ٤٧
الشرط السابع: القبول المنافي للترك ٤٧
من لم يأت بنوع من أنواع التوحيد لم يصح منه التوحيد ٤٧
توحيد الألوهية متضمن توحيد الربوبية ٤٧
توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية ٤٧
أنواع الدلالات ثلاثة: تضمن والتزام ومطابقة ٤٨
دلالات انواع التوحيد بعضها على بعض ٤٨
صفتا القِدم والبقاء ٥٠
القديم لم يرد في أسماء الله ٥٠
قديم بلا ابتداء تساوي اسمه الأول ٥٠
دائم بلا انتهاء تساوي اسمه الآخر ٥٠
ما لم يرد في الكتاب والسنة نفيا ولا إثباتا فنتوقف في إطلاقه ٥٠
من أسماء الله تعالى: الأول والآخر والظاهر والباطن ٥٢
الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته؛ قطعا للتسلسل ٥٢
القديم يفيد التقدم نسبيا بخلاف الأول ٥٣
لا يرد على أولية الله وآخريته بقاء الجنة والنار وأهلهما ٥٣
تأكيد بقائه سبحانه ودوامه ٥٤
كل ما يحدث في الكون فهو بإرادته سبحانه ٥٥

إثبات الإرادة ٥٥
الإرادة عند أهل السنة قسمان: ٥٦
الأول: إرادة كونية ٥٦
الثاني: إرادة شرعية ٥٦
المعتزلة والقدرية عموا عن الإرادة الكونية فضلوا ٥٧
والجبرية أنكروا الإرادة الشرعية فضلوا ٥٨
الحكمة من إيجاد الكفر والمعاصي ٥٨
معرفة البشر ربهم بأسمائه وصفاته وعجزهم عن الإحاطة بكنهه ٦١
تنزيه الله عن مشابهة مخلوقاته ٦٢
التشبيه مذهب باطل ٦٤
مذهب المشبهة عكس مذهب النصارى ٦٤
حي لا يموت قيوم لا ينام ٦٦
إثبات اسمي الحي والقيوم ٦٦
صفتا الخلق والرزق ٦٩
من صفات الله الفعلية أنه يحيي ويميت ٧١
اتصاف الرب تعالى بصفات الكمال أزلا وأبدا ٧٤
الصفات قسمان: ٧٤
صفات الذات وضابطها ٧٤
صفات الأفعال وضابطها ٧٤
الرد على من قال: إن صفات الأفعال كانت ممتنعة على الرب ٧٥
شبهة لأهل الكلام والرد عليها من وجوه ٧٦
مسألة تسلسل الحوادث ٧٨
أهل السنة يقولون: الحوادث متسلسلة في الماضي ٧٨

لكن كل فرد من أفرادها مسبوق بالعدم ٧٨
كثير من أهل البدع على أن الحوادث متسلسلة في المستقبل دون الماضي ٧٨
الصور العقلية لمسألة التسلسل أربع ٧٩
الصفات الذاتية ثابتة للرب بخلاف قول أهل البدع ٨٠
مذاهب الفرق في إثبات الصفات الذاتية والفعلية ثلاثة ٨١
الصفة هل هي زائدة على الموصوف؟ وهل هي غير الموصوف ٨٢
هل الاسم غير المسمى؟ أو عين المسمى؟ ٨٣
ما هو مذهب الفلاسفة في الصفات؟ ٨٤
تكفير شيخ الإسلام للفلاسفة، ومناقشته لأهل البدع ٨٥
صفتا الخالق والبارئ ٨٨
الله تعالى هو الرب بكل معاني الربوبية قبل أن يخلق الخلق ٨٩
الله هو الخالق قبل إنشاء الخلق وبعد إنشائه ٩٠
متعلقات القدرة والرد على المعتزلة ٩١
عند المعتزلة: أن الله لا يقدر على أفعال العباد ٩١
الممتنع المحال لا يدخل في قوله: (إن الله على كل شيء قدير) ٩٢
اختلف العلماء في المعدوم الذي يمكن وجوده؛ هل يسمى شيئا ٩٣
الخلق جميعا فقراء إلى الله ٩٤
الرد على الممثلة والمشبهة والمعطلة ٩٥
الله سبحانه خالق الخلق وهو عالم به ٩٦
قدر الله مقادير الخلق قبل خلق السماوات والأرض ٩٨
الرد على المعتزلة في قولهم: المقتول قُطع عليه أجله ٩٩
شمول علمه سبحانه ١٠٢
مراتب القدر أربع: أولها العلم ١٠٣

الدليل العقلي على ثبوت العلم لله ١٠٣
الله تعالى خالق الخلق لعبادته وتوحيد ١٠٥
ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ١٠٦
مشيئة العباد تابعة لمشيئة الله ١٠٦
إنكار الله احتجاج الكفار بالمشيئة لا يعارض ما شرعه بالمشيئة ١٠٧
مسألة الضلال والهدى ١٠٨
مراتب الهداية أربع ١٠٨
المرتبة الأولى: الهداية العامة ١٠٨
المرتبة الثانية: هداية البيان والدلالة ١٠٩
المرتبة الثالثة: هداية التوفيق ١١٠
ولابد في وقوع هذه الهداية من أمرين ١١٠
المرتبة الرابعة: الهداية إلى طريق الجنة والنار يوم القيامة ١١٢
القدرية والمعتزلة ليس عندهم إلا هداية واحدة هي هداية الدلالة ١١٣
تقلب العباد في مشيئة الله ١١٤
تعالى الله عن الأضداد والأنداد ١١٦
لا رادَّ لقضاء الله ١١٧
الإيمان بأن كل شيء يجري بمشيئة الله وقدره ١١٨
وأن محمدا عبده المصطفى ونبيه المجتبى ١١٩
كيفية إثبات النبوة ١٢١
صدق النبي ووفاؤه ومطابقة أقواله لأفعاله دليل على نبوته ١٢٢
من دلائل النبوة: ما أبقاه الله من آثار الأمم المهلكة ١٢٧
ومن دلائلها: ما اشتملت عليه الشرائع من العلوم والرحمة ١٢٧
مراتب الأنبياء والرسل والفرق بينهم ١٢٨

ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم ١٣٠
محمد إمام الأتقياء ١٣٣
محمد سيد المرسلين ١٣٤
وجوه النهي عن التخيير بين الأنبياء ١٣٥-١٣٦
الصواب: أن الأنبياء يتفاضلون ١٣٨
ثبوت الخلة لنبينا صلى الله عليه وسلم ١٤١
الخلة نهاية مراتب المحبة ١٤٢
مراتب المحبة العشرة ١٤٢
كل من ادعى النبوة بعده كاذب ١٤٥
عموم بعثته صلى الله عليه وسلم للإنس والجن ١٤٦
هل يكون من الجن رسول أو نبي؟ ١٤٩
قول بعض النصارى: إن النبوة خاصة بالعرب ١٥٠
الرسول هو المبعوث لعامة الجن والإنس بالحق والهدى ١٥٢
القرآن كلام الله وليس بمخلوق ١٥٣
المذاهب الباطلة في كلام الله سبعة ١٥٤
الأول: مذهب الاتحادية ١٥٥
وهذا المذهب لم ينقرض ١٥٧
هؤلاء لما أنكروا مباينة الله لخلقه صاروا بين واحد من ثلاثة أمور ١٥٨
ومن فروع مذهبهم قولهم: إن فرعون مصيب ١٥٩
ومن فروع مذهبهم أنه لا فرق بين الزنا والنكاح ١٥٩
المذهب الثاني: الفلاسفة وأتباعهم ١٦٠
مذهبهم في الكلام مبني على قولهم بقدم العالم ١٦٠
المذهب الثالث: مذهب السالمية ١٦٢

وهم يقولون أن كلام الله نوعان ١٦٢
المذهب الرابع : مذهب الكلابية ١٦٤
مناقشة الكلابية ١٦٤
المذهب الخامس : مذهب الأشاعرة ١٦٥
المذهب السادس: مذهب الكرامية ١٦٧
وهو باطل من وجوه ١٦٨
المذهب السابع : الجهمية ١٦٩
وتلقته منهم المعتزله فنُسب إليهم ١٦٩
أكثر هذه المذاهب انتشاراً : الأشاعرة والكلابية ١٦٩
السبب في هذا والاعتذار عنهم ١٧٠
المذهب الثامن – وهو الحق –: مذهب أهل السنة والجماعة ١٧٠
الخلاف بين هذه المذاهب يدور على أصلين ١٧١
الأول: هل كلام الرب واقع بمشيئته واختياره أم بغيره ذلك؟ ١٧١
الثاني: هل كلامه قائم بذاته أو خارج عن ذاته ١٧٢
مسألة: الصوت المسموع من كلام الله هل يقال: إنه مخلوق؟ ١٧٤
مسألة: مسمى الكلام هل هو اللفظ أو المعنى؟ اختلفوا فيه ١٧٤
حقيقة مذهب أهل السنة في كلام الرب عز وجل ١٧٥
أصلان عظيمان ضل فيهما أهل الزيغ ١٧٦
الأصل الأول: أن المبلغ ليس منشئًا للكلام ١٧٧
الأصل الثاني: أن التبليغ فعل المبلغ ١٧٧
الفرق بين كون القرآن في كتب الأولين وبين كونه في اللوح المحفوظ ١٧٨
الأدلة على أن الله يتكلم بحرف وصوت ١٧٩
من الأدلة العقلية على أن الرب يتكلم ١٨١

ومن الأدلة على أن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد ١٨١
من شبه المعتزلة في قولهم: كلام الله مخلوق ١٨٣
من الشبه الشرعية التي استدلوا بها والجواب عنها ١٨٦
أدلة أهل السنة على أن القرآن كلام الله ١٩٠
اعتراض للمعتزلة وجوابه ١٩١
مناقشة أدلة الأشاعرة في كلام الله ١٩٢
حقيقة مذهب الأشاعرة ١٩٣
من أدلة الأشاعرة على أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يسمع ١٩٤
إجابة أهل السنة عن هذا بجوابين ١٩٤
استدلالهم بدلالة كلام العرب على أن الكلام إنما يكون في الفؤاد ١٩٦
إجابة أهل السنة عن ذلك بأجوبة ١٩٦
مناقشة الأشاعرة في أن كلام الله معنى واحد لا يتجزأ ١٩٨
الرد على المعتزلة القائلين بأن القرآن بدا من غير الله ٢٠٤
والأشاعرة يقولون: لم يبدُ منه شيء ٢٠٤
معنى قول أهل السنة في كلام الله: وإليه يعود ٢٠٤
القرآن أنزل على الرسول وحيًا ٢٠٦
إيمان وتصديق المؤمنين بأن القرآن كلام الله ٢٠٧
تيقن المؤمنين بأن القرآن كلام الله حقيقة ٢٠٨
القرآن كلام الله ليس بمخلوق ككلام البرية ٢٠٩
كفر من قال: القرآن كلام البشر من غير شبهة ٢١٠
ذم الله من قال: القرآن كلام البشر وتوعده ٢١١
كلام الله ليس ككلام البشر ٢١٢
كفر من وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر ٢١٣-٢٥٦

من أبصر النصوص تبين له أن الله لا يماثل شيئا من مخلوقاته ٢١٤
الله تعالى بصفاته ليس كالبشر ٢١٥
رؤية المؤمنين لربهم ٢١٦
رؤية الله قبل دخول الجنة فيها ثلاثة أقوال ٢١٦
رؤية المؤمنين لربهم في الجنة لا شك فيها ٢١٦
المذاهب في رؤية الله في الآخرة ٢١٨
أدلة أهل السنة في إثبات الرؤية ٢١٩
شبه نفاة الرؤية ٢٢٥
جواب أهل السنة عن هذه الشبه ٢٢٥
استدلال أهل السنة بالإجماع ٢٢٩
الدليل العقلي على الرؤية ٢٣٠
الكلابية والأشاعرة أثبتوا الرؤية ونفوا الجهة والفوقية ٢٣١
أجاب أهل السنة بجوابين ٢٣٢
من الشبه العقلية لنفاة الرؤية، والجواب عنها ٢٣٤-٢٤١
رؤية الله في الدنيا ٢٤٥
اتفقت الطوائف -إلا الجهمية- على أن الله يُرى في المنام ٢٤٥
النزاع في رؤية الله في الدنيا في اليقظة ٢٤٦
أجمعت الأمة -عدا المشبهة- على أن الله لا يراه أحد في الدنيا ٢٤٦
اتفقوا على النبي لم ير ربه في الأرض ٢٤٦
اتفقوا على النبي رأى ربه بعين قلبه ٢٤٦
اختلفوا في رؤية النبي لربه بعيني رأسه على ثلاثة أقوال ٢٤٧-٢٥١
أسئلة وجوابها ٢٥٣-٢٦٠
الخلاصة في مبحث الرؤية ٢٦١

الله سبحانه يُرى ولكن لا يُحاط به لكمال عظمته ٢٦٣
من ادلة رؤية المؤمنين لربهم ٢٦٤
النهي عن الخوض في الصفات ٢٦٥
ما جاء في أحاديث الرسول مفسر لما أراد الله ٢٦٦
التسليم لله والرسول ورد المتشابه للعلماء ٢٦٧
التسليم والانقياد والإذعان لنصوص الوحيين ٢٦٨
أهل البد إنما أُتوا من تقديمهم العقل على النصوص ٢٦٩
الفساد دخل في العالم من ثلاث فرق ٢٦٩
النهي عن التكلم في أمور الدين بغير علم ٢٧٢
انتياب الحيرة من عدل عن الكتاب والسنة إلى غيرهما ٢٧٣
الرد على من تأول رؤية الله ٢٧٤
صفات الله تعالى ٢٧٦
كل صفة تضاف إلى الرب تفسيرها بترك التأويل ٢٧٦
النفي والتشبيه من أمراض القلوب ٢٧٧
تنزيه الرب هو وصفه كما وصف نفسه نفيا وإثباتا ٢٧٩
الله تعالى لا يحويه شيء ولا يحيط به شيء ٢٨٠
الرد على من زعم أن الطحاوي أراد نفي العلو ٢٨٠
القول في الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها في النص ٢٨١
للناس في إطلاق هذه الألفاظ ثلاثة أقوال ٢٨١
التعبير بالجوهر ٢٨٣
التعبير بأن الله له حدٌّ أو ليس له حد ٢٨٣
عبارة موهمة للطحاوي يستدل بها بعض النفاة على نفي بعض الصفات ٢٨٦
إشكالات في قول الطحاوي: (لا تحويه الجهات الست) ٢٨٩

الإسراء والمعراج ٢٩١
ثبوت الإسراء والمعراج للنبي صلى الله عليه وسلم بشخصه في اليقظة ٢٩١
معنى الإسراء لغة واصطلاحا ٢٩١
العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ٢٩٢
معنى المعراج لغة واصطلاحا ٢٩٢
العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ٢٩٢
للعلماء في الإسراء والمعراج أربعة أقوال ٢٩٢-٢٩٨
الفوائد المستنبطة من حديث الإسراء والمعراج ٢٩٨
أولا: الفوائد الأصولية ٢٩٨
ثانيا: الفوائد العامة ٢٩٩
ما الحكمة من تقديم الإسراء على المعراج ٣٠٠
إكرام الله تعالى لنبيه بالإسراء والمعراج ٣٠٢
سوق حديث الإسراء لإجمال ما سبق ٣٠٣
الحوض ٣٠٥
ثبوته، وإنكار بعض الطوائف له ٣٠٥
أحاديث الحوض بلغت حد التواتر ٣٠٥
اختلاف العلماء في الجمع بين أحاديث تحديد طوله وعرضه، وأرجحها .. ٣٠٧-٣٠٨
هل في العرصات أحواض أخرى ٣٠٨
من الأدلة على أن لكل نبي حوضا ٣٠٩
الحوض قبل الصراط أم بعده؟ للسلف فيه قولان **٣١٠-٣١٢**
طرق للعلماء في الجمع بين القولين السابقين ٣١٣
ترجيح الشيخ ابن باز بأمر لم يتنبه له العلماء ٣١٥
هل الحوض قبل الميزان أو بعده؟ ٣١٦

صفة الحوض ٣١٧
مكان الحوض ٣١٧
شُبه المنكرين للحوض ٣١٨
أنواع الذين يُطردون عن الحوض ٣١٩
الشفاعة ٣٢٠
الشفاعة لغة واصطلاحا ٣٢٠
الشفاعة مثبتة ومنفية ٣٢٠
أنواع الشفاعة المثبتة: الأول: الشفاعة العظمى ٣٢٠
النوع الثاني: الشفاعة لأهل الجنة في دخولها ٣٢٢
النوع الثالث: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير بحساب ٣٢٢
النوع الرابع: الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة ٣٢٣
النوع الخامس: الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة ٣٢٣
النوع السادس: الشفاعة في قوم أُمر بهم إلى النار ألا يدخلوها ٣٢٣
النوع السابع: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه ٣٢٤
النوع الثامن: الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد ليخرجوا من النار ٣٢٤
الأنواع الأربعة الأولى متفق عليها، والأربعة الأخيرة خالف
فيها الخوارج والمعتزلة ٣٢٥
الحكمة من الشفاعة ٣٢٥
الناس في الشفاعة ثلاثة أقسام؛ طرفان ووسط ٣٢٥
الأعمال الموعود عليها بالشفاعة خمسة ٣٢٦
شُبه المنكرين للشفاعة والرد عليها ٣٢٩-٣٣٠
التوسل والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم يراد به ثلاثة أمور ٣٣١
التوسل الشرعي ٣٣٢

الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته ٣٣٧
الميثاق لغة واصطلاحا ٣٣٧
اختلف العلماء في هذا العهد على قولين ٣٣٧-٣٤٥
هل يمكن الجمع بين القولين؟ ٣٤٧
القدر منزلته وحقيقة الإيمان به ٣٤٨
القدر لغة واصطلاحا ٣٤٨
من لم يؤمن بالقدر فليس بمؤمن ولا مسلم ٣٤٩
حقيقة الإيمان بالقدر ٣٥٢
متى خرجت القدرية؟ ومن أول من تكلم بالقدر؟ ٣٥٢
مراتب الإيمان بالقدر أربع: الأولى: العلم ٣٥٣
الثانية: الكتابة ٣٥٣
الثالثة: المشيئة ٣٥٤
الرابعة: الخلق والإيجاد ٣٥٤
مذاهب الناس في القدر ثلاثة ٣٥٤
المذهب الأول: مذهب أهل السنة ٣٥٤
المذهب الثاني: مذهب القدرية ٣٥٥
القدرية ينقسمون إلى فرقتين ٣٥٥
نفاة القدر يثبتون للعبد مشيئة تخالف مشيئة الله ٣٥٧
الرد على نفاة القدر ٣٥٧
المذهب الثالث: مذهب الجبرية ٣٥٨
الرد عليهم ٣٥٩
منشأ ضلال الطائفتين: التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا ... ٣٦٠
دلت النصوص على الفرق بين المشيئة والمحبة ٣٦١

الجبرية والجهمية يخرجون أفعال الله عن حِكمها ومصالحها ٣٦٣
الأعمال بالخواتيم ٣٦٥
السعادة والشقاوة مكتوبة في اللوح المحفوظ ٣٦٦
القدر سر الله في خلقه ٣٦٨
الحذر من الاعتراض على الله ٣٦٩
طوى الله علم القدر عن الأنام ٣٧٠
الله تعالى لا يُسأل عما يفعل ٣٧١
العلم نوعان: علم موجود وعلم مفقود ٣٧٢
اللوح والقلم ٣٧٣
تعريف اللوح والقلم ٣٧٣
الأدلة على ثبوت اللوح والقلم ٣٧٤
القلم؛ هل كان قبل العرش أو بعده؟ ٣٧٦
أقلام المقادير التي وردت في السنة ٣٧٧
ما قدره الله لا يُغيَّر ولا يُبدَّل ٣٧٨
لا يتم الإيمان بالربوبية إلا بالإيمان بالقدر ٣٨٢
خلق الله وأمره مبنيان على الحكمة ٣٨٢
مرض القلب نوعان ٣٨٥
إثم من تكلم في الغيب ٣٨٧
العرش والكرسي ٣٨٨
الله سبحانه غني عن العالمين محيط بكل شيء ٣٨٨
أصل العرش في اللغة ٣٨٩
المرد بالعرش في النصوص ٣٩٠
العرش سابق على تقدير المقادير ٣٩٢

ملخص أوصاف العرش ٣٩٣
خطأ قول أهل الكلام أن العرش مغلِّف للعالم ٣٩٣
الصواب أن الكرسي مخلوق آخر غير العرش ٣٩٦
ما الفرق بين العلو والاستواء ٤٠٠
ثلاث صفات من أثبتها فهو من أهل السنة: الكلام والرؤية والعلو ٤٠١
العلو لغة وشرعا ٤٠١
العلو أنواع ٤٠١
مذاهب الناس في العلو أربعة ٤٠٢-٤٠٣
أدلة السلف على علو الله على خلقه بذاته ٤٠٣
اعتراض نفاة العلو على أدلة أهل السنة ٤٠٩
إجابة أهل الحق عن هذا الاعتراض بأجوبة ٤٠٩
أدلة أهل السنة على العلو من العقل ٤١١
شُبه نفاة العلو العقلية والجواب عنها ٤١٦
اتخذ الله إبراهيم خليلا وكلم موسى تكليما ٤٢٢
الفرق بين المحبة والخلة ٤٢٣
أصول الإيمان عند أهل السنة ٤٢٥
الإيمان بالأنبياء والمرسلين جملة وتفصيلا ٤٢٦
الإيمان بالكتب المنزلة جملة وتفصيلا ٤٢٧
الفلاسفة لم يجرأوا على إنكار أصول الإيمان صراحة ٤٣١
الإيمان بالله عند الفلاسفة ٤٣١
الإيمان بالملائكة عند الفلاسفة ٤٣٢
الإيمان بالكتب عند الفلاسفة ٤٣٢
الإيمان بالأنبياء والرسل عند الفلاسفة ٤٣٣

الإيمان باليوم الآخر عند الفلاسفة ٤٣٤
أهل القبلة مسلمون مؤمنون ٤٣٥
الكف عن كلام المتكلمين الباطل وذم علمهم ٤٣٦
النهي عن الجدال في القرآن ٤٣٧
وهذا يحتمل معنيين ٤٣٧
الفرق بين ترتيب سور القرآن وترتيب آياته ٤٣٧
اختلاف العلماء في الأحرف السبعة ٤٣٨
القرآن كلام الله ٤٣٩
القرآن لا يساويه شيء من كلام البشر ٤٤٠
مخالفة من قال بخلق القرآن جماعة المسلمين ٤٤٢
لا يجوز تكفير المسلم بذنب ما لم يستحله ٤٤٣
الناس في هذه المسألة أربعة مذاهب ٤٤٣
مناقشة هذه المذاهب ٤٤٥
ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب ٤٥٤
ما ينبغي على المؤمن اعتقاده في حق نفسه وغيره ٤٥٥
يرجون من الله أن يدخل المحسنين الجنة ٤٥٦
الأسباب التي تسقط بها العقوبة عن فاعل السيئات ٤٦٠
الأول: التوبة ٤٦٠
الثاني: الاستغفار ٤٦٠
الثالث: الحسنات ٤٦١
الرابع: المصائب ٤٦٢
الخامس: عذاب القبر ٤٦٢
السادس: دعاء المؤمنين ٤٦٢

السابع: ما يهدى إليه بعد الموت ٤٦٢
الثامن: أهوال القيامة ٤٦٢
التاسع: اقتصاص المؤمنين بعضهم من بعض ٤٦٢
العاشر: شفاعة الشافعين ٤٦٣
الحادي عشر: عفو أرحم الراحمين ٤٦٣
أسئلة وجوابها ٤٦٣-٤٦٥
الجمع بين الخوف والرجاء ٤٦٦
ما يخرج العبد من الإيمان ٤٧٠
الكفر خمسة أنواع ٤٧٠
كثير من الناس يقررون مذهب المرجئة أن الكفر لا يكون إلا بالقلب ٤٧٢
الاختلاف فيما يقع عليه اسم الإيمان ٤٧٤
مذاهب العلماء في مسمى الإيمان ٤٧٥
من شُبه القائلين بأن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، والإجابة عنه ٤٧٨
أدلة أهل السنة على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان ٤٨٣
ماصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق ٤٨٨
الناس في تلقي النصوص لهم طريقان ٤٨٨
تفاوت الناس في الإيمان ٤٩٠
التفاضل بالإيمان وأعمال القلوب ٤٩١
أثر الخلاف في أن الواجبات هل هي من الإيمان أم لا؟ ٤٩٢
مسألة الاستثناء في الإيمان ٤٩٣
الاختلاف في مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال ٤٩٥
الإسلام والإيمان تختلف دلالتهما بحسب الإفراد والاقتران ٤٩٨
المؤمنون كلهم أولياء الرحمن ٥٠٠

جمهور أهل السنة يقسمون الناس ثلاثة أقسام: عدو لله، وولي كامل، وولي لله بوجه ٥٠٠
الأدلة على أنه يجتمع في الشخص شيء من شعب الإيمان والكفر والنفاق ..٥٠٢
مذهب الخوارج والمعتزلة في مرتكب الكبيرة ٥٠٥
مذهب المرجئة في مرتكب الكبيرة ٥٠٥
أصل شبهة أهل البدع أن الإيمان شيء واحد ٥٠٥
أكرم المؤمنين عند الله ٥٠٧
أركان الإيمان ٥٠٩
وجوب الإيمان بجميع الرسل ٥١١
التصديق بكل ما جاءت به الرسل ٥١٢
أهل الكبائر إذا ماتوا على التوحيد لا يخلدون في النار ٥١٣
الاختلاف في تحديد الكبيرة ٥١٤
الراجح من ذلك والدليل عليه ٥١٤
الموت على التوحيد شرط لعدم خلود أهل الكبائر في النار ٥١٨
المعرفة الكاملة لله المستلزمة للاهتداء ٥١٩
أهل الكبائر من أهل الإيمان تحت المشيئة ٥٢٠
أهل الكبائر بين فضل الله وعدله ٥٢٣
خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة وبرحمة الله ٥٢٤
دخول أهل الكبائر الجنة ٥٢٥
الله تولى أهل الإيمان به ٥٢٥
الله تعالى ما جعل المؤمنين كأهل الجهل به ٥٢٦
أعداء الله خابوا من هدايته ٥٢٦
خذلان أعداء الله بعدم نيل ولايته ٥٢٧

الدعاء بالثبات على الإسلام ٥٢٧
الصلاة خلف البر والفاجر ٥٢٨
يُصلى خلف الفاسق في حالين ٥٣٠
الصلاة في الثوب المغصوب أو المحرم ٥٣٢
الأئمة في الصلاة أقسام ٥٣٤
إمامة المبتدع ٥٣٥
إمامة الكافر ٥٣٥
الصواب: أنه لا يُصلى على الشهيد ٥٣٨
الصلاة خلف البر والفاجر ٥٣٩
الشهادة للإنسان بالجنة أو النار ٥٣٩
أقوال السلف في الشهادة بالجنة ٥٤٠
الحكم بالظاهر وترك السرائر إلى الله تعالى ٥٤٣
ما يحل به دم المسلم ٥٤٤
طاعة ولاة الأمر وعدم الخروج عليهم ٥٤٦
ومنهج الخوارج والمعتزلة والرافضة في هذا الأمر ٥٤٦
الأدلة على مذهب أهل السنة في ذلك ٥٤٨
الحكمة في منع الخروج على ولي الأمر إلا بشرطين ٥٥٦
الدعاء لولي الأمر بالصلاح والمعافاة ٥٥٧
اتباع السنة والجماعة واجتناب الخلاف والفرقة ٥٥٨
الأدلة من القرآن ٥٥٨
الأدلة من السنة ٥٦٠
محبة أهل العدل والأمانة وبغض أهل الجور والخيانة ٥٦٤
موقف المسلم من النصوص المتشابهة والمحكمة ٥٦٥

أدلة القرآن على ذم القول في الدين بغير علم ٥٦٥
الأدلة من السنة على ذلك ٥٦٦
المسح على الخفين في السفر والحضر ٥٦٨
أدلته من القرآن ٥٦٩
أدلته من السنة ٥٦٩
شبهة الرافضة والجواب عنها ٥٧٠
الحج والجهاد ماضيان مع ولي الأمر إلى قيام الساعة ٥٧٣
الحكمة في هذا ٥٧٣
مذهب الرافضة في أنه لا جهاد حتى يخرج الرضي ٥٧٤
الإيمان بالكرام الكاتبين ٥٧٧
ما تكتبه الملائكة ٥٧٧
الإيمان بملك الموت ٥٨١
اختلاف الناس في الروح ٥٨٢
القول المختار ٥٨٢
الأدلة على أن الروح جسم ٥٨٣
من أدلة الإجماع والعقل والفطرة ٥٨٦
هل النفس والروح شيء واحد؟ ٥٨٧
النفس تطلق على أمور ٥٨٧
الروح تطلق على أمور ٥٨٨
هل الروح أو محدثة مخلوقة؟ فيها ثلاث أقوال ٥٨٩
هل الروح مخلوقة قبل الجسد أم بعده ٥٩٢
هل تموت الروح أم الموت للبدن وحده ٥٩٤
الصواب في ذلك ٥٩٦

تعلّق الروح بالبدن خمسة أنواع ٥٩٧
مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة ٥٩٨
الصواب أن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكفار في النار ٦٠١
الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم التفاوت ٦٠١
هل الأمارة واللوامة والمطمئنة نفس واحدة أم ثلاث ٦٠٢
التحقيق أنها نفس واحدة ولكن لها صفات ٦٠٣
مسمى الإنسان : هل هو الروح أو البدن لأو كجموعهما؟ ٦٠٤
هل تتلاقى أرواح الأموات والأحياء ٦٠٤
تميز الأرواح عن بعضها ٦٠٥
الإيمان بعذاب القبر وسؤاله ٦٠٨
أقوال العلماء فيما يتعلق بعذاب القبر ونعيمه هل هو للروح او الجسد؟ ٦٠٩
أدلة أهل السنة أن النعيم والعذاب يحصل للروح والبدن ٦١١
شُبهة المنكرين لعذاب القبر ونعيمه ٦١٤
الجواب عن هذه الشبهة من وجوه ٦١٥
الحكمة في عدم اطلاع الثقلين على ما يحصل للمقبور ٦١٧
أسباب عذاب القبر ٦١٨
الأسباب المنجية من عذاب القبر ٦٢١
سؤال الملكين في القبر هل هو للروح؟ ٦٢٣
السؤال في القبر هل هو عام للمسلمين والكفار؟ ٦٢٥
وجه تسمية القبر برزخاً ٦٥٨
عذاب القبر، هل هو دائم أو منقطع؟ ٦٥٩
ضغطة القبر وضمته ٦٣٠
الحياة التي اختفى فيها الشهداء ٦٣٢

ما الحكمة في كون عذاب القبر لم يُذكر في القرآن مع شدة الحاجة إلى معرفته ٦٣٤
القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ٦٣٦
الإيمان بالبعث والحساب والثواب والعقاب ٦٣٧
البعث لغة وشرعاً ٦٣٧
الحساب لغة واصطلاحاً ٦٣٨
قراءة صحائف الأعمال ٦٣٩
من شُبه المنكرين للمعاد ٦٤٢
براهين المعاد في القرآن مبنية على ثلاثة أصول ٦٤٣
من الأدلة العقلية على البعث ٦٤٤
القائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة لهم في المعاد خبط واضطراب، وهم فيه على قولين ٦٤٦
النفخ في الصور ٦٥٠
إشكال وحله ٦٥٢
الصعق نوعان: الاول صعق البعث ٦٥٣
الثاني : صعق التجلي ٦٥٤
النفخ في الصور نفختان على الصحيح ٦٥٤
العرض انواع ٦٥٥
الصراط لغة وشرعاً ٦٥٥
وصف الصراط ٦٥٧
شبهة من أنكر الصراط وردها ٦٥٧
هل هناك صراط آخر؟ ٦٥٨
اختلاف المفسرين في المراد بالورود على قوله تعالى ﴿إلا واردها﴾ ٦٥٩

هل في القيامة ميزان واحد أو موازين؟ ٦٦٢
ذهب المعتزلة إلى أن الميزان أمر معنوي ٦٦٢
ردُّ أهل السنة على هذه الشبهة ٦٦٣
منشأ ضلال المعتزلة قياس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا ٦٥٥
الترتيب في الميزان والحوض والصراط والحساب ٦٦٦
الحكمة في وزن الأعمال بالميزان الحسي ٦٦٦
الحساب والميزان ؛ أيهما يكون قبل الآخر ٦٦٦
الترتيب في الميزان والحوض والصراط ٦٦٧
الجنة والنار موجودتان دائمتان ٦٦٨
الأدلة على ذلك على أنواع خمسة ٦٦٩
المنكرون لوجودهما الآن، وحجتهم في ذلك ٦٧١
الرد على هذا القول ٦٧٢
ومن شبههم الشرعية، الأولى: ٦٧٣
والجواب عنها بأجوبة ٦٧٣
الشبهة الثانية للمعتزلة ٦٧٤
الجواب عنها ٦٧٥
الشبهة الثالثة ٦٧٥
الجواب عنها ٦٧٦
مكان الجنة ٦٧٦
اختلاف الناس في أبدية الجنة والنار ٦٧٦
شبهة الجهم بقوله بفناء الجنة والنار ٦٧٧
الرد عليها ٦٧٧
مبحث في أبدية النار ودوامها ٦٧٨

معتقد أهل السنة في خلق الجنة والنار ٦٨٠
دخول المؤمنين الجنة بفضل الله ٦٨١
كل يصير إلى ما قدر له ٦٨٢
الخير والشر مقدران على العباد ٦٨٢
الاستطاعة تكون مع الفعل وقبله ٦٨٣
هل الاستطاعة والقدرة نوع واحد؟ فيه ثلاث مذاهب ٦٨٣
الفروق بين الاستطاعة والقدرة ٦٨٤
من أدلة الجبرية على أنهما نوع واحد؟ والرد عليها ٦٨٥
من أدلة المعتزلة على ذلك، والجواب عن ذلك ٦٨٥
لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ٦٨٨
أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد ٦٨٩
مذهب الجبرية والمعتزلة والقدريةفي ذلك ٦٨٩
الأفعال التي تصدر من العباد على قسمين : اضطرارية واختيارية ٦٩٠
استدلال للجبرية، والجواب عنه ٦٩٢
استدلال للقدرية، والجواب عنه ٦٩٢
الخلق نوعان : الانشاء والإختراع، والتصوير ٦٩٢
التكليف بحسب الطاقة ٦٩٤
هل يكلف الله العبد بشيء لا يطيقه، اختلفوا على مذاهب ٦٩٤
أدلة هذه المذاهب ومناقشتها ٦٩٤
استطاعة الإنسان أكثر مما كلف به ٦٩٨
قول الطحاوي هنا غلط يتمشى مع مذهب الجبرية ٦٩٨
تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله ٦٩٩
لا تحول من المعصية إلى الطاعة إلا بمعونة الله ٧٠٠

إقامة طاعة الله والثبات عليها بتوفيق الله ٧٠٠
كل شيء يجري بعلم الله وقضائه وقدره ٧٠١
مشيئة الله تعالى ٧٠٢
غلب قضاء الله الحيل كلها ٧٠٣
تنزيه الله عن الظلم ٧٠٤
وفي المسألة مذهبان آخران، شبههما، والرد عليها ٧٠٥
تنزيه الله عن كل سوء وقبيح ٧١١
تنزيه الله عن كل عيب وشين ٧١٢
مذاهب الناس في انتفاع الأموات بسعي الأحياء، ومناقشتها ٧١٢
انتفاع الأموات بالدعاء ٧١٧
مسألة : استئجار من يقرأ القرآن ويهدي ثوابه للميت ٧٢٢
مسألة : تعليم القرآن بأجرة ٧٢٢
مسألة : إعطاء قارئ القرآن ومعلمه معونة بدون شرط ٧٢٥
مسألة : الوصية بإعطاء شيء من ماله لمن يقرأ على قبره ٧٢٥
مسألة : قراءة القرآن : إهداؤه للميت تطوعاً مختلف فيه ٧٢٥
مسألة : الإهداء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧٢٧
مسألة : قراءة القرآن عند القبور ٧٢٨
استجابة الله تعالى دعاء عبده ٧٣١
للناس في نفع الدعاء مذهبان ٧٣١
المعاني التي يستلزمها الدعاء ٧٣٥
شبهات المذهب الثاني، والجواب عنها ٧٣٥
الله تعالى مالك الاشياء كلها ٧٤٢
لا أحد يستغنى عن الله طرفة عين ٧٤٢

كفر من زعم أنه استغنى عن الله ٧٤٢
صفة الغضب لله تعالى ٧٤٣
أمثلة لصفات الذات وصفات الأفعال ٧٤٣
الأدلة من الكتاب على إثبات صفات الأفعال ٧٤٤
الأدلة من السنة على ذلك ٧٤٤
مذهب أهل السنة في صفات الله تعالى ٧٤٦
مذهب أهل التعطيل فيها ٧٤٧
شبهتهم والرد عليها ٧٤٧
مذهب الكلابية والأشاعرة في صفات الأفعال ٧٤٧
شبهتهم والرد عليها ٧٤٨
تاويلهم لصفة الرضا والغضب ونحوهما، والرد عليهم ٧٤٨
حب الصحابة رضي الله عنهم ٧٥٠
مذاهب الناس في الصحابة ثلاثة ٧٥٠
وسطية أهل السنة في الصحابة ٧٥٢
اختلاف العلماء في السابقين الأولين ٧٥٢
الترجيح والدليل عليه ٧٥٣
حب الصحابة من الإيمان وبغضهم كفر ونفاق ٧٥٦
الأدلة لمذهب أهل السنة في الصحابة ٧٥٦
الخلافة والولاية ٧٦١
اختلاف العلماء في حكم الإمامة على ثلاثة أقوال والصواب في ذلك ٧٦١
لمن الخلافة؟ ٧٦٢
بم تثبت الخلافة والولاية؟ بواحد من ثلاث أمور ٧٦٣
ثبوت الخلافة لأبي بكر الصديق ٧٦٥

رأي شيخ الإسلام في ذلك ٧٦٩
خلافة عمر بن الخطاب ٧٧٠
خلافة عثمان بن عفان ٧٧٠
خلافة علي بن أبي طالب ٧٧٠
تقديم عثمان على عليٍّ ٧٧١
آراء أصحاب الفرق في العشرة المبشرين بالجنة ٧٧٢
حسن القول في الصحابة وأمهات المؤمنين فيه براءة من النفاق ٧٧٦
عدم ذكر العلماء بالسوء ٧٧٧
المفاضلة بين الأنبياء والأولياء ٧٧٨
قول ابن عربي في ذلك ٧٧٩
أصل ابن عربي الذي تتفرع عنه اعتقاداته : الوجود الواحد ٧٨٣
ومن كلام ابن عربي ٧٨٤
الرد على الاتحادية والصوفية ٧٨٥
حكم ابن عربي وشيعته ٧٨٦
حكم الاتحادية في الدنيا والآخرة ٧٨٧
حكم قبول توبة الزنديق ٧٨٧
مذهب أهل الاستقامة أن النبوة أخص من الولاية والرسالة أخص
من النبوة، وأدلة ذلك ٧٨٨
مسألة يوصف الله بالتردد؟ ٧٨٩
مسألة : صفتا الحياة والقيومية من أي أنواع الصفات؟ ٧٨٩
مسألة : هل هناك ثمرة للخلاف في مسألة ثبوت خلافة أبي بكر
بالاختيار أو بالنص؟ ٧٩٠
مسألة : ما قولكم في التفريق بين اليأس والقنوط؟ ٧٩١

مسألة : هل في قول الطحاوي : (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة ..)
موافقة للمرجئة؟ ٧٩١
مسألة : في قول الطحاوي ((والأمن والإياس)) هل هذا على إطلاقه
أم لا بد من تقييده بالأمن والإياس الكفريان ؟ ٧٩١
مسألة : هل يكفر من قال إحدى هذه الأمور ؛ القول بخلق القرآن ؟ ٧٩٢
مسألة : ما حكم من أنكر علم الله، وأن الله يعلم كل شيء؟ ٧٩٢
مسألة : ما حكم من قال أن الله موجودٌ في كُل مكان؟ ٧٩٢
مسألة : هل يكفر من أنكر اليد أو العين لله - سبحانه وتعالى - ؟ ٧٩٢
مسألة : ألا يكون قول المؤلف : «ولا يخرج العبد من الإيمان إلا
بجحود ما أدخله فيه» من المتشابه فنرده إلى المحكم من قوله:
«ولا نكفر أحدا من أهل القبلة..» ؟ ٧٩٣
مسألة : من عُرف عنه سب الدين أو الاستهزاء به؛ هل تنطبق
عليه أحكام الكفار في عدم تغسيله والصلاة عليه؟ ٧٩٣
مسألة : يحدث أحيانا عندما تنصح شخصا بعمل واجب أو ترك
محرم أن يقول: الإيمان في القلب؛ فكيف يرد عليه؟ ٧٩٤
مسألة : هل يوجد دليل يصرح بنقص الإيمان؟ ٧٩٤
مسألة : نرجو تعليقكم على حديث قتل أسامة بن زيد لمن نطق الشهادة ٧٩٥
مسألة : جاء في الحديث: أن الله يخرج بعد الشفاعة من قال
لا إله إلا الله؛ فهل يدخل فيه من لا يصلي؟ ٧٩٦
الإيمان بكرامات الأولياء ٧٩٨
تعريف المعجزة والكرامة ٧٩٨
الأمر الخارق للعادة نوعان ٨٠٠
كلمات الله نوعان: الأول: كونية، وضابطها ٨٠١

النوع الثاني: الكلمات الدينية ٨٠٢
الخارق نوعان: كشف وتأثير، وكل منهما إما كوني أو ديني ٨٠٢
الفرق بين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية ٨٠٤
أقسام الخارق من جهة حكمه وباب كل قسم ٨٠٤
الحكمة في إجراء الكرامة ٨٠٥
أقسام الناس تجاه الكرامة ٨٠٥
هل يضر المسلم عدم حصول الخارق على يديه؟ ٨٠٦
التدين يستلزم خرق العادة بأمرين ٨٠٧
الأدلة على ذلك ٨٠٧
هل تدل الخوارق على إكرام من ظهرت على يديه؟ ٨٠٩
أقسام الناس بعد حصول الخارق ٨٠٩
أعظم كرامة يعطاها الولي ٨٠٩
الفرق بين طلب الاستقامة وطلب الكرامة ٨١٠
شبهة المنكرين للكرامة والرد عليها ٨١٠
أمثلة لكرامات الأولياء ٨١١
مما ينبغي أن يعلم عن الكرامات ٨١٥
الفراسة ثلاثة أنواع ٨١٥
ضابط الفرق بين الكرامة والحالة الشيطانية ٨١٧
أشراط الساعة ٨١٨
ذكر جملة من الأحاديث في ذلك ٨١٨
أقسام أشراط الساعة وأماراتها ٨٢١
الأمارات الكبيرة القريبة من الساعة ٨٢٣-٨٢٥
النهي عن تصديق الساحر والكاهن والعراف ٨٢٦

تعريف الكاهن والعراف ٨٢٦
تعريف السحر وأنواع نجومه ٨٢٦-٨٢٧
حكم السحر ٨٢٧
كيف يتضمن السحر كفرا؟ ٨٢٧
هل يستتاب الساحر؟ ٨٢٨
دعوة الكواكب السبعة ٨٢٨
حكم ما تعاطاه المنجم ٨٢٩
حكم إتيان السحرة ٨٣٠
حكم طلب السقيا بالنجم ٨٣٢
صناعة التنجيم ٨٣٢
الواجب على الولاة تجاه المنجمين والكهان والعرافين ٨٣٣
النزاع في حقيقة السحر ٨٣٤
تعريف النشرة وحكمها ٨٣٥
المشعوذون ثلاثة أنواع ٨٣٦
حكمهم والحد الواجب عليهم ٨٣٦
موقف المسلم من أصحاب الأحوال ٨٣٧
حكم من اعتقد في البله أنهم أولياء ٨٣٧
الطائفة الملامية ثلاثة أنواع ٨٣٩
حكم الذين يصعقون عند سماع الأنغام ٨٤١
حكم الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات ٨٤٣
حكم من يجوزون الاستغناء عن الوحي ٨٤٤
فائدة: أفضل هذه الأمة بعد نبيها: عيسى عليه السلام ٨٤٥
حكم من يقول: إن الكعبة تطوف برجال من أرباب الكشوف ٨٤٦

الحث على الاجتماع والنهي عن التفرق والاختلاف ٨٤٧
الاختلاف في الأمة قسمان: محمود ومذموم ٨٤٧
الاختلاف في الأصل قسمان: اختلاف تنوع، أمثلته ٨٤٨
القسم الثاني: اختلاف تضاد، أمثلته ٨٥٢
متى يكون اختلاف التنوع مذمومًا؟ ٨٥٣
أنواع الاختلاف في الكتاب العزيز من الذين يقرأونه ٨٥٣
الدين عند الله الإسلام ٨٥٧
الحكمة في اختلاف تعليم النبي للناس ٨٦٠
دين الإسلام هو بين الغلو والتقصير ٨٦٢
الأدلة على تحريم الغلو ٨٦٢
دين الإسلام هو بين التشبيه والتعطيل ٨٦٣
دين الإسلام هو بين الجبر والقدر ٨٦٤
دين الإسلام هو بين الأمن واليأس ٨٦٥
معتقد أهل السنة ما دلت عليه النصوص ظاهرا وباطنا ٨٦٦
البراءة ممن يخالف العقيدة الصحيحة ٨٦٧
الدعاء بالثبات على الإيمان ٨٦٧
أمثلة للمذاهب الردية ٨٦٨
الْمُشَبِّهَة ٨٦٨
المعتزلة ٨٦٩
أصول المعتزلة والمعاني التي ستروها تحت كل أصل والرد عليها ٨٦٩
الجهمية ٨٧٢
العقائد الذي اشتهر بها الجهم، وسبب ضلاله ٨٧٣
نزاع العلماء في الجهمية: هل هم من فرق الأمة الإسلامية أم لا؟ ٨٧٥

الجبرية ٨٧٦
القدرية ٨٧٧
التحقيق في أحاديث ذم القدرية والفرق بينها وبين الأحاديث في ذم الخوارج ... ٨٧٨
سبب ضلال هذه الفرق ومنشأ حدوث هذه البدع ٨٧٩
وسبب ضلال هذه الفرق: عدولهم عن الصراط المستقيم ٨٧٩
تشبيه من انحرف من العلماء ومن العباد ٨٨٠
طريقة فرق الضلال في الوحي ٨٨٠
الطريقة الأولى: طريقة التبديل ٨٨١
وأهل التبديل نوعان ٨٨١
النوع الأول: أهل الوهم والتخييل ٨٨١
النوع الثاني: أهل التحريف والتأويل ٨٨٢
الطريقة الثانية: طريقة التجهيل والتضليل ٨٨٢
ما تشترك فيه الطائفتان ٨٨٣
الفرق المعاصرة ٨٨٥
الحركة القاديانية ٨٨٥
البابية أو البهائية ٨٨٩
اليزيدية ٨٩٦
فرق الضلالة خالفوا أهل السنة والجماعة ٨٩٩
خاتمة ٩٠٠
فهرس الآيات القرآنية ٩٠١
فهرس الأحاديث والآثار ٩٤٣
فهرس الموضوعات والفوائد ٩٦٧

❁❁❁❁❁